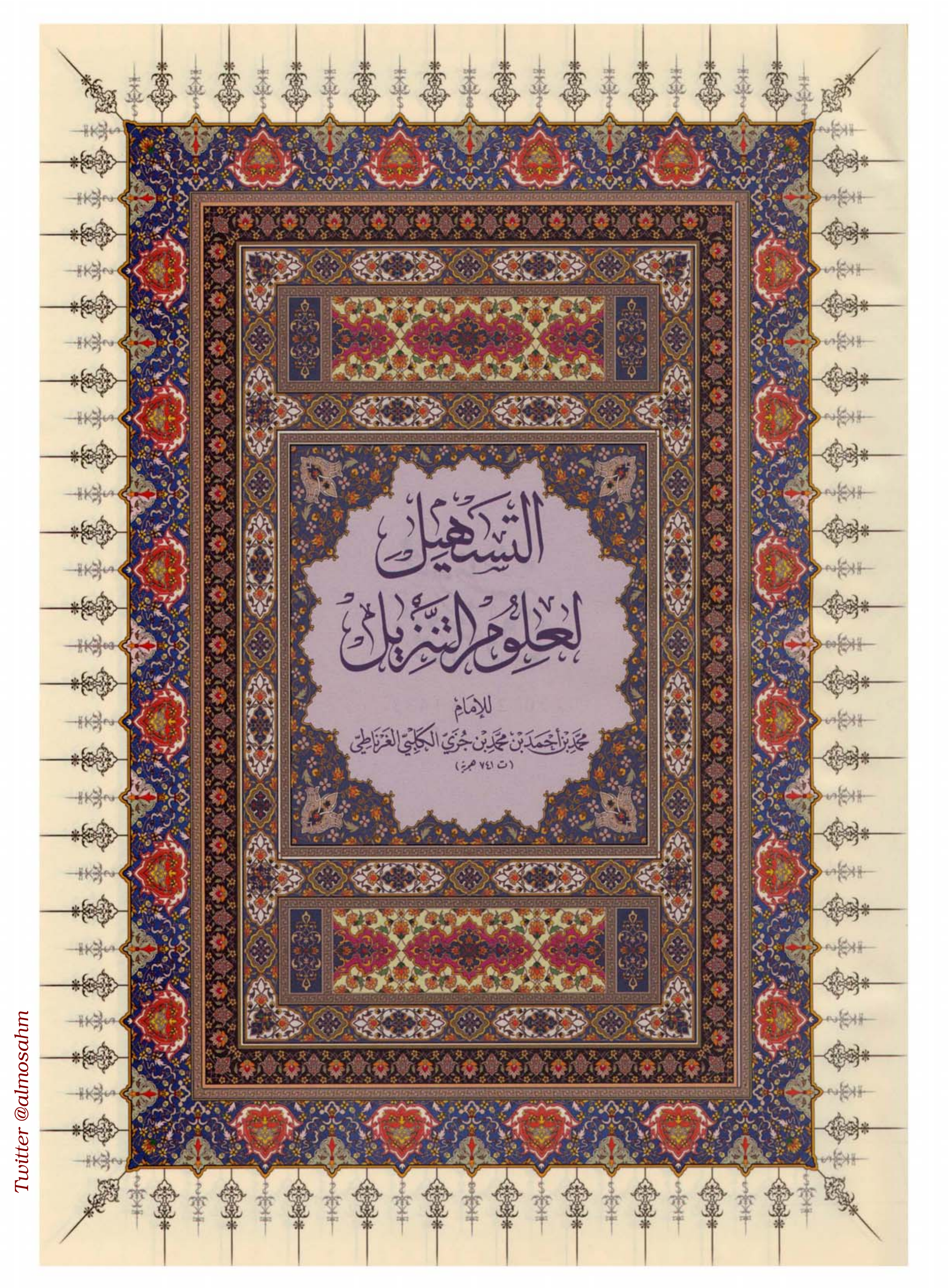
التسهيل لعلوم التنزيل

للإمام ابن جزي

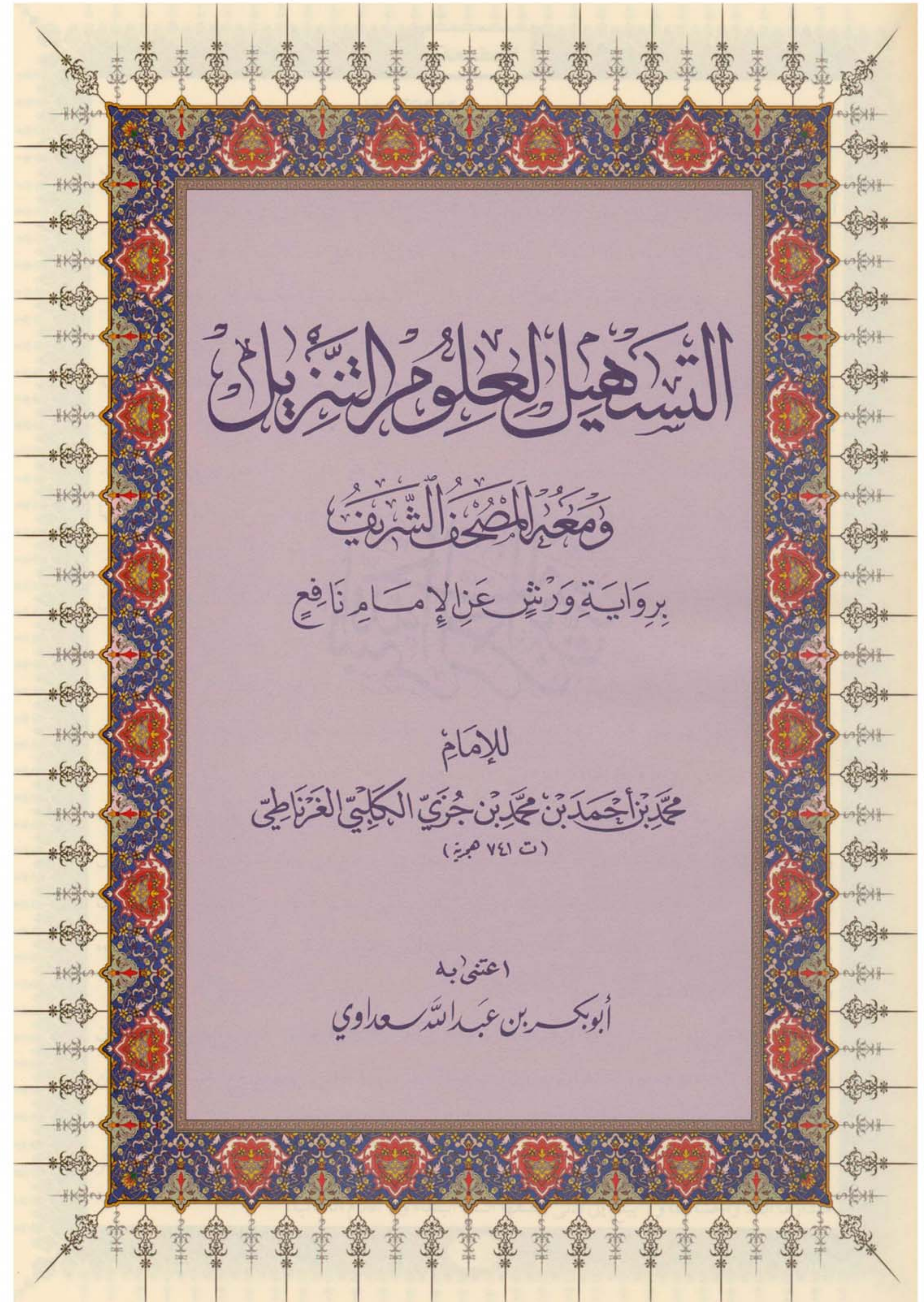

التسهيل
لعلوم التنزيل
للإمام
محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي
(ت ٧٤١ هجرية)
Twitter @almosahm

حكومة الشارقة
المنتدى الإسلامي

1433 هـ - 2012 م

المنتدى الإسلامي
Al-Muntada Al-islami

هاتف٥٦٦٨٨٥٥ ٦ ٩٧١+ فاكس٥٦٦٨٨٦٦ ٦ ٩٧١ + ص . ب ٢٥٦٥٦ الشارقة - أ.ع.م
Tel: + 971 6 5668855 Fax:+971 5 5668866 P.O. Box (25656) Shj - U.A.E
www.muntada.ae



التسهيل لعلوم التنزيل

ومعه المصحف الشريف

بِرِوايةِ ورش عن الإمامِ نافعٍ

للإمام

محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي

(ت ٧٤١ هجرية)

اعتنى به

أبو بكر بن عبد الله سعداوي


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة أبو عبد الله سيدي محمد المدعو بأبي القاسم بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ونفعنا به وبأمثاله، وأفاض علينا من خيرهم آمين يا رب العالمين:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك ورب الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، والأنوار الساطعة، غاية الحكمة وفصل الخطاب.

وخصّه من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجلية، والأسرار الربانية العجاب، بكل عجب عجاب، وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنسان والجان، واعترف زعماء أرباب اللسان، بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

ويسّر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير؛ ولا يتغير على طول الدهور، وتوالي الأحقاب.

وجعله قولا فصلا، وحكما عدلا، وآية بادية، ومعجزة باقية، يشاهدها من شاهد الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب.

وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وعلم من شرائع الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر، والمواعظ والزواجر، والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب.

وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب.

فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، فيالها من نعمة سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيام بشكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقي إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على من دلنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلم ونصح، وبين وأوضح، حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبين الرشد من الغي، وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب؛ ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب، وأشرف الأحساب.

الذي أيده الله بالمعجزة الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائد الغر المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين؛ خير أهل وأكرم أصحاب، صلاة زاكية نامية لا يحصر مقدارها العد والحساب، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكُتاب.

أما بعد؛ فإن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا، وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن العظيم وتعلمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه؛ فاطلعت على ما صنف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف؛ فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طول حتى أكثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عول على النظر والتحقيق و التدقيق، وكل واحد سلك طريقا نحاه، وذهب مذهبا ارتضاه، وكلا وعد الله الحسنى.

فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت به مسلكا نافعا؛ إذ جعلته وجيزا جامعا، قصدت فيه أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات؛ إما بحل العُقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح؛ وذلك أن أقوال الناس على مراتب؛ فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا، وإني جعلت لهذه الأقسام عبارة مختلفة يعرف بها مرتبة كل قول؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه: إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول: إن غيره أرجح منه أو أقوى أو أظهر أو أشهر، ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم، أو بالقول فيه: قيل كذا؛ قصدا للخروج عن عهدته.

وأما إذا صرحت فيه باسم قائل القول؛ فإني أفعل ذلك لأحد أمرين: إما للخروج عن عهدته، وإما لنصرته؛ إذا كان قائله ممن يقتدى به، على أني لا أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد؛ فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه؛ سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيها للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيرا منه.

وهـذا الـذي أرتكبـت من الترجيح والتصحيـح مبني على القواعـد العلمية، أو على ما تقتضيـه اللغة العربية، وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله.

وسـميت هذا الكتاب: «**كتاب التسـهيل لعلوم التنزيل**» وقدمت في أوله مقدمتين؛ إحداهما: في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة. والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنـا أرغـب إلى الله العظيـم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا، وسـعيا مشـكورا، ووسـيلة توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المقدمة الأولى فيها اثنا عشر بابا

الباب الأول: في نزول القرآن العظيم وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيره وذكر أسمائه.

نزل القرآن على رسـول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سـنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله، فكانت مدة نزوله عليه عشرين سـنة، وقيل: كانت ثلاثا وعشرين سـنة؛ على حسب الاختلاف في سـنه ﷺ يوم توفي هل كان ابن سـتين سـنة أو ابن ثلاث وستين سـنة؟ وكان ربما نزلت عليه سورة كاملة، وربما نزل عليه آيات مفترقات، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأول مـا نـزل عليه من القرآن صدر سـورة العلق، ثم المدثـر والمزمل، وقيل: أول ما نـزل المدثر، وقيل: فاتحة الكتاب، والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة ﵂ في حديثها الطويل في ابتداء الوحي، قالت فيه: جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسـلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسـلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف بها فؤاده فقال: «**زملوني، زملوني**»؛ فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع. [البخاري 3].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله ﵁، فقال: «**زملوني**»، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. [البخاري 4].

وأما آخر ما نزل من القرآن فسـورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وقيل: آية الربا التي في البقرة، وقيل: الآية التي قبلها.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي ابن أبي طالب ﵁ في بيته، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، لكنه لم يوجد.

فلما قُتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق ﵄ بجمـع القرآن؛ مخافـة أن يذهب بموت القراء، فجمعه في صحف غير مرتب السـور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر ﵁، ثم عند عمر ﵁ بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ﵂.

وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة ﷺ، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان ﷺ، بجمع الناس على مصحف واحد؛ خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان ﷺ، وأمر زيد بن ثابت ﷺ بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وسعيد بن العاصي بن أمية ﷺ، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة ﷺ إماما في هذا الجمع الأخير. وكان عثمان ﷺ يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان ﷺ منه نسخا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق - يروى بالحاء المهملة والخاء المنقوطة - فترتيب السور على ما هو الآن عليه هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت ﷺ والذين كتبوا معه المصحف. وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك.

وأما نقط القرآن وشكله؛ فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبه. وقيل: أول من نقطه يحيى بن يعمر. وقيل: أبو الأسود الدؤلي.

وأما وضع الأعشار فيه؛ فقيل: إن الحجاج فعل ذلك. وقيل: بل أمر به المأمون العباسي.

وأما أسماؤه فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر.

وسائر ما يسمى صفات لا أسماء؛ كوصفه بالعظيم، والكريم، والمبين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر ثم أطلق على المقروء. **وأما الفرقان**: فمصدر أيضا، معناه: التفرقة بين الحق والباطل. **وأما الكتاب**: فمصدر ثم أطلق على المكتوب. **وأما الذكر**: فسمي القرآن به؛ لما فيه من ذكر الله عز وجل، أو من التذكير والمواعظ.

ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش. وأما الآية فأصلها العلامة، ثم سميت الجملة من القرآن آية؛ لأنها علامة على صدق النبي ﷺ.

الباب الثاني في السور المكية والمدنية

اعلم أن السور المكية: هي التي نزلت بمكة، ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

وتنقسم السور إلى ثلاثة أقسام:

مدنية باتفاق: وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله.

وقسم فيها خلاف: هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاث عشرة سورة: أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرأيت، والإخلاص، والمعوذتان.

وقسم مكية باتفاق: وهي سائر السور.

وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل مختلف في أكثره.

واعلم أن **السور المكية** نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن **السور المدنية** نـزل أكثرهـا في الأحكام الشرعيـة، وفي الرد على اليهود والنصـارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسـائل، وذكر غزوات النبي ﷺ.

وحيث ما ورد ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهو مدني، وأما ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني.

الباب الثالث في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن

ولنتكلـم في ذلـك على الجملة والتفصيل؛ أما الجملة: فاعلـم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لابد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها. **والآخر:** ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتقودهم إليها.

فأمـا العبادة فتنقسـم إلى نوعـين: وهما أصول العقائد وأحـكام الأعمال. وأما البواعث عليهـا؛ فأمران، وهما: الترغيب والترهيب.

وأمـا على التفصيل: فاعلم أن معاني القرآن سـبعة: وهي علم الربوبية، والنبـوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص.

فأما **علم الربوبية** فمنه: إثبات وجود الباري جل جلاله، والاسـتدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن مـن التنبيـه على المخلوقـات، والاعتبـار في خلقة الأرض والسـموات، والحيـوان والنبات، والريـح والأمطار، والشـمس والقمـر، والليل والنهـار، وغير ذلك من الموجودات، فهـو دليل على خالقه. ومنـه: إثبات الوحدانية والرد على المشركين، والتعريف بصفات الله من الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهه عما لا يليق به.

وأما النبوة: فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والرد على من كفر بشيء من ذلك. وينخرط في سلك هذا ما ورد في القرآن؛ من تأنيس النبي ﷺ، وكرامته، والثناء عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وأما المعاد: فإثبات الحشر، وإثبات البراهين عليه، والرد على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة؛ من الجنة، والنار، والحساب، والميزان، وصحائف الأعمال، وكثرة الأهوال، وغير ذلك.

وأمـا الأحـكام: فهي الأوامر والنواهي، وتنقسـم خمسـة أنواع: واجب، ومندوب، وحـرام، ومكروه، ومباح. ومنهـا مـا يتعلق بالأبـدان كالصلاة والصيـام، وما يتعلـق بالأموال كالـزكاة، وما يتعلق بالقلـوب كالإخلاص والخوف والرجاء، وغير ذلك.

وأما الوعد: فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك، ومنه وعد بخير الآخرة، وهو الأكثر؛ كأوصاف الجنة ونعيمها.

وأما الوعيد: فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر؛ كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد قد ذكر أحدهما على إثر ذكر الآخر؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب؛ وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل: فبضدها تتبين الأشياء.

وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكر في سورة أخرى، ففي كل واحدة منها فائدة زائدة على الأخرى.

الوجه الثاني: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الوجه الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد كثيرة، فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد: إثبات نبوءة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك.

ومنها: إثبات النبوة لمحمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا﴾.

ومنها: إثبات الوحدانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة، قال: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

ومنها: الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر به.

ومنها: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

ومنها: تسليته عليه السلام، ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ، واحتجاج الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك؛ فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة، ذكرت في مواضع كثيرة، ولكل مقام مقال.

الباب الرابع في فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن

اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

فأما التفسير: فهو المقصود بنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرع منه.

ومعنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه؛ بنصه، أو إشارته، أو فحواه.

واعلم أن التفسير؛ منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى؛ فهذا عده كثير من المؤلفين في التفسير خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولا واحدا، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه؛ فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال للمراد وليس بكل المراد، ولم نعده نحن خلافا، بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل، مع التنبيه على العموم المقصود.

النوع الثالث: اختلاف في المعنى؛ فهذا هو الذي عددناه خلافا، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب: أن في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعنى.

الثالث: وهو الصواب، أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ لموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة وشاذة؛ **فالمشهورة**: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب وابن محيصن، **والشاذة**: ما سوى ذلك.

وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين؛ **أحدهما**: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب. **والآخر**: الاقتداء بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة. وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى، أو الإعراب، أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنفنا فيها كتبا نفع الله بها.

وأيضا فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار، حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد أصول القراءات.

وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر، والنواهي، والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسمائة، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصي تتبعها في مواضعها.

وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف القاضي إسماعيل، وأبي الحسن كياه، ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس فيها: تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس.

وأما النسخ: فهو يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ؛ إذ لا تنسخ الأخبار، ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم: وهو ما لم ينسخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، أحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد النسخ، وذكر ما تقرر في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائره في مواضعه.

وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه؛ لوجهين:

أحدهما: أن كثيرا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات، والنوازل، والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؛ فإن النسخ مبني على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخ المتقدم.

الوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس.

وأما القصص: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادة مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره؛ مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

وأما التصوف: فله تعلق بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب، وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن؛ فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه «**الحقائق**». وقال بعض العلماء: بل هو البواطل، وإذا أنصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يعترض أو يقدح فيه.

وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقام التصوف في مواضعها من القرآن، فتكلمنا على **الشكر** في أم القرآن؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى، وتكلمنا على **التقوى** في قوله تعالى في البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وعلى **الذكر** في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وعلى **الصبر** في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِين﴾، وعلى **التوحيد** في قوله تعالى فيها: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، وعلى **محبة الله** في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وعلى **التوكل** في قوله في آل عمران: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، وعلى **المراقبة** في قوله في النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وعلى **الخوف والرجاء** في قوله في الأعراف: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وعلى **التوبة** في قوله في النور: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، وعلى **الإخلاص** في قوله في "لَمْ يَكُن": ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

وأما أصول الدين: فتتعلق بالقرآن من طريقين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل؛ فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التسديد، والتأييد من الله والتوفيق.

وأما أصول الفقه: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

وأما اللغة: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فن من فنون التفسير، وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة.

وقد ذكرنا بعد هذه المقدمةِ مقدمةً في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت؛ فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب، فيحتاج إلى معرفة اللسان. والنحو ينقسم إلى قسمين: **أحدهما**: عوامل الإعراب؛ وهي أحكام الكلام المركب، **والآخر**: التصريف؛ وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدىء؛ فإن ذلك يطول بغير كبير فائدة.

وأما علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكتا مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان؛ ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القرآن.

الباب الخامس في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم

فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات.

الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم والخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق والتقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدة أو غير زائدة.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب أو على التقديم والتأخير.

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف ﵃.

وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر، حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة؛ كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس ﵄؛ لقول النبي ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» [أحمد: 2398].

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة، أو الإعراب، والتصريف، أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله و ما بعده.

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز؛ فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز الذي كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالا من الحقيقة؛ ويسمى مجازا راجحا، والحقيقة مرجوحة.

وقد اختلف العلماء أيهما يقدم؟ فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص؛ فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

الباب السادس في ذكر المفسرين

اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين: فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه وهم الأكثرون، ومنهم من توقف عن الكلام فيه؛ احتياطا لما ورد من التشديد في ذلك، فقد قالت عائشة ﵂: ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن إلا آيات بعدد، علمه إياهن جبريل. [مختصر البزار: 1448]. وقال ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**» [أبوداود: 3654]. وتأول المفسرون حديث عائشة ﵂ بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى، وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم بها تقتضيه أدوات العلوم، ونظر في أقوال العلماء المتقدمين؛ فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

واعلم أن المفسرين على طبقات:

فالطبقة الأولى: الصحابة ﵃، وأكثرهم كلاما في التفسير: ابن عباس ﵄، وكان علي بن أبي طالب ﵁ يثني على تفسير ابن عباس ﵄ ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. وقال ابن عباس ﵄: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب ﵁. ويتلوهما: عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص ﵃.

وكل ما جاء من الصحابة من التفسير فهو حسن مقبول.

والطبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلاما في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد مولى ابن عباس ﵄، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود ﵁.

ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسدي، والضحاك بن مزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف، وألف الناس فيه؛ كالمفضل، وعبد الرزاق، وعبد الله بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم، ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها.

وممن صنف في التفسير أيضا: أبو بكر النقاش، والثعلبي، والماوردي، إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه.

وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحق الزجاج، وأبي علي الفارسي، وأبي جعفر النحاس.

وأما أهل المغرب والأندلس؛ فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتابا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابا في غريب القرآن، وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليفه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفا أكثرها في علوم القرآن من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني؛ فتواليفه تنيف على مائة وعشرين، إلا أن أكثرها في القرآءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلا.

وأما أبو العباس المهدوي؛ فمتقن التآليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن.

ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحد منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه، وألف في سائر علوم القرآن تواليف مفيدة.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التواليف وأعدلها؛ فإنه اطلع على تواليف من كان قبله، فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة.

ثم ختم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير؛ فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق ونظر دقيق.

ومما بأيدينا من تواليف أهل المشرق: تفسير أبي القاسم الزمخشري، وأبي الفضل الغزنوي، وأبي الفضل ابن الخطيب.

فأما الزمخشري: فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه؛ فخذ منه ما صفا ودع منه ما كدر.

وأما الغزنوي: فكتابه مختصر جامع، وفيه من التصوف نكت بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباع الكلام في قواعد علم الكلام؛ ونسقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص. والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه بمنه وكرمه وفضله وجوده.

الباب السابع في الناسخ والمنسوخ

النسـخ في اللغـة: هو الإزالـة والنقل. ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعـد تقرره. ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

نسخ اللفظ والمعنى؛ كقوله: (لا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ).

والثـاني: نسـخ اللفظ دون المعنى؛ كقوله: (الشَّيْخُ والشَّـيْخَةُ إذا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَـا أَلْبَتَّةَ نَكَالاً مِـنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

والثالـث: نسـخ المعنى دون اللفظ، وهو كثـير، وقع منه في القرآن على ما عد بعض العلـماء مائتا موضع واثنان وعشرة مواضع منسوخة.

إلا أنهم عدُّوا التخصيص، والتقييد، والاستثناء، نسخا؛ وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه.

ونقدم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار، والعفو عنهم، والإعراض والصبر على أذاهم، بالأمر بقتالهم؛ ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه؛ فإنه وقع في القرآن منه مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين سورة.

ففي البقرة: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [83]، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾[139]، ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾[190]؛ أي لا تبدؤا بالقتال، ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ﴾ [191]، ﴿قُلْ قِتَالٌ﴾ [217]، ﴿لاَ إِكْرَاهَ﴾ [256].

وفي آل عمران: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ [20]، ﴿مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [28].

وفي النسـاء: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [63-81] في موضعين، ﴿فَمَا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [80]، ﴿لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾ [84]، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [90].

وفي المائدة: ﴿وَلاَ آمِّينَ﴾ [2]، ﴿رَسُولِنَا الْبَلاَغُ﴾ [29]، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [105].

وفي الأنعـام: ﴿لَّسْـتُ عَلَيْكُـم بِوَكِيلٍ﴾ [66]، ﴿ثُـمَّ ذَرْهُمْ﴾ [91]، ﴿عَلَيْكُم بِحَفِيـظ﴾ [104]، ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [106]، و﴿عَلَيْهِـمْ حَفِيظًـا﴾ [107]، ﴿وَلاَ تَسُـبُّواْ﴾ [108]، ﴿فَذَرْهُـمْ﴾ [112-120] في موضعـين، ﴿يَـا قَـوْمِ اعْمَلُواْ﴾ [135]، ﴿قُلِ انتَظِرُواْ﴾ [158]، ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [159].

وفي الأعراف: ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [199]، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [183].

وفي الأنفال: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ [72] يعني: المعاهدين.

وفي التوبة: ﴿فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾ [7].

وفي يونس: ﴿فَانتَظِرُواْ﴾ [102]، ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ [41]، ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [46]، ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [65]؛ لما يقتضي من الإمهال، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ [99]، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ [108]؛ لأن معناه الإمهال، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [109].

وفي هود: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [12]؛ أي: تنذر ولا تجبر، ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [93]، ﴿وَانتَظِرُوا﴾ [122].

وفي الرعد: ﴿عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ [40].

وفي الحجر: ﴿ذَرْهُمْ﴾ [3]، ﴿فَاصْفَحِ﴾ [85]، ﴿لاَ تَمُدَّنَّ﴾ [88]، ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [89]، ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [94].

وفي النحل: ﴿إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [35]، ﴿عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ [82]، ﴿وَجَادِلْهُم﴾ [125]، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [127].

وفي الإسراء: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [54].

وفي مريم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [39]، ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [75]، ﴿فَلاَ تَعْجَلْ﴾ [84].

وفي طه: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ [135].

وفي الحج: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ [68].

وفي المؤمنين: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [54]، ﴿ادْفَعْ﴾ [96].

وفي النور: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [54]، ﴿وَمَآ عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [54].

وفي النمل: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ [92].

وفي القصص: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [55].

وفي العنكبوت: ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [50]؛ لما يقتضي من عدم الإجبار.

وفي الروم: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [60].

وفي لقمان: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [23].

وفي السجدة: ﴿وَانتَظِرْ﴾ [30].

وفي الأحزاب: ﴿وَدَعْ آذَاهُمْ﴾ [48].

وفي سبأ: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ﴾ [25].

وفي فاطر: ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ [23].

وفي يس: ﴿فَلاَ يَحْزُنكَ﴾ [76].

وفي الصافات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [174]، ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [178] وما يليهما.

وفي ص: ﴿اصْبِرْ﴾ [17]، ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [70].

وفي الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [3]؛ لما فيه من الإمهال، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم﴾ [15]، ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ [39]، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ [41]، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ [46]؛ لأن فيه تفويضا.

وفي المؤمن: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [55 - 77] في موضعين.

وفي السجدة: ﴿ادْفَعْ﴾ [34].

وفي الشورى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيل﴾ [6]، ﴿لَنَآ أَعْمَالُنَا﴾ [15]، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [48].

وفي الزخرف: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [83]، ﴿فَاصْفَحْ﴾ [89].

وفي الدخان: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ [10].

وفي الجاثية: ﴿يَغْفِرُوا﴾ [14].

وفي الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [35].

وفي القتال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا﴾ [4].

وفي ق: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [39]، ﴿وَمَا أَنتَ﴾ [45].

وفي الذاريات: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [54].

وفي الطور: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [31]، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [48]، ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [45].

وفي النجم: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [29].

وفي القمر: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [6].

وفي ن: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [48]، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [44].

وفي المعارج: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [5]، ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [42].

وفي المزمل: ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾ [10]، ﴿وَذَرْنِي﴾ [11].

وفي المدثر: ﴿ذَرْنِي﴾ [11].

وفي الإنسان: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [24].

وفي الطارق: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [17].

وفي الغاشية: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [22].

وفي الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [6].

نسخ ذلك كله: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾، و ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾.

الباب الثامن في جوامع القراءات

وهي على نوعين: مشهورة وشاذة؛ فالمشهورة: القراءات السبع، وهي: حرف نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وحمزة وعاصم، والكسائي الكوفيين.

ويجري مجراهم في الصحة والشهرة: يعقوب الحضرمي، وابن محيصن، ويزيد بن القعقاع.

والشاذة: ما سوى ذلك. وإنما سميت شاذة؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ وقوية المعنى.

ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط:

- موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات.
- ونقله نقلا متواترا، أومستفيضاً.

واعلم أن اختلاف القراء على نوعين: أصول، وفرش الحروف.

فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطرد ولا قانون كلي؛ وهو على وجهين: اختلاف في القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى.

وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغير المعنى، وهي ترجع إلى ثمان قواعد:

الأولى: المد، وهو في حروف المد الثلاث، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين.

الثانية: الهمزة، وأصله التحقيق، ثم قد يخفف على سبعة أوجه: إبدال واو وياء وألف، وتسهيل بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاط.

الثالثة: الإدغام والإظهار؛ والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين أو في المتقاربين وفي كلمة وفي كلمتين، وهو على نوعين:

- إدغام كبير: انفرد به أبو عمرو البصري، وهو إدغام المتحرك.
- وإدغام صغير: لجميع القراء، وهو إدغام الساكنين.

الرابعة: الإمالة، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء؛ والأصل الفتح، ويوجب الإمالة الكسر أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام:

- مفخم في كل حال؛ وهي حروف الاستعلاء السبعة.
- مفخم تارة ومرقق أخرى، وهي الراء واللام والألف؛ فأما الراء فأصلها التفخيم، وترقق للكسرة والياء، وأما اللام فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق، وأما الألف فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.
- والمرقق على كل حال سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو ثلاثة أنواع: سكون جائز في الحركات الثلاث، وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة.

السابعة: مراعاة الخط في الوقف.

الثامنة: إثبات الياءات، وحذفها، وتسكينها، وفتحها.

الباب التاسع في المواقف

وهي أربعة أنواع: موقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح؛ وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك؛ لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح؛ وذلك الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل موصول وصلته.

وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله؛ فالوقف على الأول كاف، وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك، إلا أن وصل الاستثناء المتصل آكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مفردة آكد من وصلها إذا كانت جملة.

وإن كان الأول مستقلا والثاني كذلك؛ فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب والمعنى؛ ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها: راجح، ومرجوح، وباطل. وقد يوقف؛ لبيان المراد، وإن لم يتم الكلام.

تنبيه: وهذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف استقر به العمل وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها؛ لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر، ويؤيد ذلك ما خرجه الترمذي [3177] عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته؛ يقول: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم يقف.

الباب العاشر في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربية، لا مما أحدثه المولدون، ولا مما غلطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثقلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى، موفية له، لا قاصرة عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلة، سالمة من التقعيد.

الخامس: أن يكون الكلام سالما من الحشو الذي لا يحتاج إليه.

وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهديل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح أو الكناية أو الإشارة، وشبه ذلك؛ بحيث يهز النفوس، ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد.

وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع؛ وهي تزيين الكلام كما يزين العلمُ الثوب.

وقد وجدنا في القرآن منها اثنين وعشرين نوعا، ونبهنا على كل نوع في المواضع التي وقعت فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها ونبين معانيها:

النوع الأول: المجاز: وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما.

وهو اثنا عشر نوعا: التشبيه، والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتسمية المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، وتسمية السبب باسم المسبب، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى؛ وفي هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز؟.

واتفق أكثر أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب؛ وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

النوع الثاني: الكناية: وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه من غير تصريح.

الثالث: الالتفات: وهو على ستة أنواع: خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب.

الرابع: التجريد: وهو ذكر شيء بعد اندراجه في لفظ عام متقدم، أوالقصد بالتجريدِ تعظيم المجرد ذكره، أو تحقيره أو رفع الاحتمال.

الخامس: الاعتراض: وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين؛ كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل، والقصد به تأكيد الكلام الذي أدرج فيه.

السادس: التجنيس: وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى. ثم إن الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة، أو في الحروف خاصة، أو في أكثر الحروف لا في جميعها، أو في الخط لا في اللفظ؛ وهو تجنيس التصحيف.

السابع: المطابقة: وهو ذكر الأشياء المتضادة؛ كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك.

الثامن: المقابلة: وهو أن تجمع بين شيئين فصاعدا ثم تقابلهما بأشياء أخر.

التاسع: المشاكلة: وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته.

العاشر: الترديد: وهو رد أول الكلام على آخره. ويسمى في الشعر رد العجز على الصدر.

الحادي عشر: لزوم ما لا يلزم: وهو أن تلتزم قبل حرف الروي حرفا آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات.

الثاني عشر: القلب: وهو أن يكون الكلام يصح ابتداء قراءته من أوله وآخره؛ نحو: دعد، أو تعكس كلماته فيقدم المؤخر منها ويؤخر المقدم.

الثالث عشر: التقسيم: وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه.

الرابع عشر: التتميم: وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة.

الخامس عشر: التكرار: وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر؛ فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل، أو لمدح المذكور أو ذمه، أو للبيان.

السادس عشر: التهكم: وهو إخراج الكلام عن مقتضاه؛ استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه؛ كذكر البشارة في موضع النذارة.

السابع عشر: اللف والنشر: وهو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلقات بها، وفيه طريقتان: أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول، وأن تبدأ بالآخر.

الثامن عشر: الجمع: وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد وفي وصف واحد، وشبه ذلك.

التاسع عشر: الترصيع: وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

الموفي عشرون: التسجيع: وهو أن تكون كلمات الآية على روي حرف واحد.

الحادي والعشرون: الاستطراد: وهو أن تتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود؛ كخروج الشاعر من النسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنما قصد المدح.

الثاني والعشرون: المبالغة: وقد تكون بصيغة الكلمة؛ نحو: صيغة فَعَّال ومفعال، وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف. فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراق؛ وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن.

الباب الحادي عشر في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله تعالى

ويدل على ذلك عشرة وجوه:

الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني: نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.

الثالث: عجز الخلق في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.

الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السابقة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.

الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ما قال.

السادس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة والحجج الواضحة، والرد على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير. ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة، وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراط مستقيم.

السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة، وثمرة العلوم.

الثامن: كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

التاسع: تيسيره للحفظ، وذلك معلوم بالمعاينة.

العاشر: كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترداد، بخلاف سائر الكلام.

الباب الثاني عشر في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها ما ورد في الحديث الصحيح.

- فمن ذلك ما ورد عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**» [مسلم: 1910].

- وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» [مسلم: 1898].

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة؛ ريحها**

طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة التي لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» [البخاري: 5020].

- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها» [مسلم: 1877].

- وعن عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [البخاري: 5027].

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين» [مسلم : 1934].

- وعن ابن عباس ﷺ قال: بينما جبريل قاعدا عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» [مسلم: 1913].

- وعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» [البخاري:4008].

- وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» [مسلم: 1910].

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» [مسلم: 1860].

- وعن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:255] فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر!» [مسلم 1921].

- وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتها بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرف، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما» [مسلم: 1912].

- وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» [مسلم: 1919].

- وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ [الإخلاص:1] تعدل ثلث القرآن» [مسلم: 1922].

- وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط؟ ﴿ قُلَ اَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق ﴾ [الفلق:1] و﴿ قُلَ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ [الناس:1]» [مسلم: 1928].

المقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف، وإنما جمعناها في هذا الباب لثلاثة فوائد؛ **أحدها**: تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها، **والثانية**: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير؛ كما أن تواليف القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور، **والثالثة**: الاختصار؛ فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك، ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظرها في هذا الباب، واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي دون الحروف الزوائد في أول الكلمات.

حرف الهمزة

﴿ءَايَةٍ﴾ لها معنيان؛ أحدهما: عبرة وبرهان، والثاني: آية من القرآن، وهي كلام متصل إلى الفاصلة، والفواصل هي رؤوس الآيات.

﴿أَتَى﴾ بقصر الهمزة معناه: جاء، ومضارعه يأتي، ومصدره إتيان، واسم الفاعل منه آت، واسم المفعول منه مأتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾.

﴿وَءَاتَى﴾ بمد الهمزة، معناه: أعطى، ومضارعه يؤتي، ومصدره: إيتاء، واسم الفاعل مؤت، ومنه ﴿وَالْمُوتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

﴿أَبَى﴾ أي: امتنع.

﴿أَثَـرِ﴾ الشيء: بقيته وأمارته، وجمعه آثار، والأثر أيضا: الحديث، و ﴿أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بقية، ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾ حرثوها، وآثر الرجل الشيء يؤثره: فضله.

﴿إِثْـمٌ﴾ ذنب، ومنه ﴿آثِـمٌ﴾ و ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: مذنب.

﴿أَجْـرِ﴾ ثواب، وبمعنى الأجرة، ومنه ﴿اسْتَاجِرْهُ﴾ و﴿عَلَى أَن تَاجُـرَنِي﴾، وأما ﴿اسْتَجَارَكَ فَأَجِـرْهُ﴾ و﴿يُجِرْكُـم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ و﴿لَـن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ و﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ فذلك كله من الجوار، بمعنى التأمين.

﴿ءَامَنَ﴾ إيمانا أي: صدق، والإيمان في اللغة: التصديق مطلقا، وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور، والمؤمن: اسم الله تعالى أي: المصدق لنفسه، وقيل: إنه من الأمن أي: يؤمن أولياءه من عذابه، وأمن بقصر الألف وكسر الميم أمنا وأمانة: ضد الخوف، وأمن من الأمانة، وأمن غيره من التأمين.

﴿أَلِيمٍ﴾ مؤلم: موجع، ومنه ﴿تَألَمُونَ﴾.

﴿إِمَامٍ﴾ له أربعة معان؛ القدوة، والكتاب، والطريق، وجمع أم؛ أي: تابع، وهي ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

﴿أُمَّةً﴾ لها أربعة معان؛ الجماعة من الناس، والدين، والحين، والإمام أي: القدوة.

﴿أُمِّيِّ﴾ لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب بالأميين.

﴿أُمَّ﴾ له معنيان؛ الوالدة، والأصل؛ و ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة.

﴿أُخْرَى﴾ مؤنثة آخر وأخر.

﴿ءَال﴾ له معنيان؛ الأهل، ومنه ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، والأتباع والجنود، ومنه ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿أَمْس﴾ اليوم الذي قبل يومك، والزمان الماضي.

﴿أَنَاه﴾ وقته، وجمعه: آناء، ومنه ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾.

﴿أَمَرَ﴾ له معنيان؛ أحدهما: طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة، وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطلب؛ كالتهديد والتعجيز والتعجب والخبر، والثاني: بمعنى الشأن والصفة، وقد يراد به العذاب، ومنه ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾.

﴿إِسْرَائِيل﴾ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو والد الأسباط، واليهود من ذريتهم.

﴿إِيَاب﴾ رجوع، ومنه ﴿مَآب﴾ أي: مرجع، ورجل أوّاب: كثير الرجوع إلى الله تعالى، والتأويب: التسبيح، ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي﴾.

﴿إِفْك﴾ أشد الكذب، والأفّاك: الكذّاب، وأفك الرجل عن الشيء أي: صرف عنه، ومنه ﴿تُوفَكُون﴾.

﴿أَوَى﴾ الرجل إلى الموضع بالقصر، وآواه غيره بالمد، ومنه ﴿الْمَأْوَى﴾.

﴿أُفّ﴾ كلمة شر.

﴿ءَالَآءِ اللَّهِ﴾ نعمه، ومنه ﴿ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾.

﴿أَسِف﴾ له معنيان؛ الحزن، والغضب، ومنه ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾.

﴿إِسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها: قدوة.

﴿ءَاسَى﴾ الرجل يأسى أسىً أي: حزن، ومنه ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ و﴿كَيْفَ آسَى﴾.

﴿أَذَانٌ﴾ بالقصر: إعلام بالشيء، ومنه الأذان للصلاة، والآذان بالمد جمع أذن.

﴿إِذنِ اللَّهِ﴾ بمعنى العلم والأمر والإرادة والإباحة، وأذِنت بالشيء: علمت به بكسر الذال، وآذنت به غيري بالمد.

﴿إِصْر﴾ له معنيان؛ الثقل، والعهد.

﴿أَيْدٍ﴾ أي: قوة، ومنه ﴿أَيَّدْنَاهُ﴾ و﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾، والأيدي: جمع يد، فهمزتها زائدة.

﴿أُكُل﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة: المصدر.

﴿أَيْكَةِ﴾ غيضة.

﴿أَثَاث﴾ متاع البيت.

﴿أُجَاجٌ﴾ مُر.

﴿أَرَائِك﴾ أَسِرَّة، واحدها أريكة.

﴿ءَانِيَة﴾ له معنيان؛ جمع إناء، ومنه ﴿ءَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾، وشديدة الحر، ومنه ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾، ووزن الأولى: أفعلة، والثانية: فاعلة، ومذكرها آن ومنه: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

﴿أَحَد﴾ له معنيان؛ واحد، ومنه ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، واسم نفي بمعنى إنسان.

﴿أَيَّانَ﴾ معناه: متى.

﴿أَنَّى﴾ بمعنى: كيف ومتى وأين.

﴿إِنَّ﴾ المكسورة المشددة للتأكيد، والمفتوحة المشددة مصدرية.

﴿إِن﴾ المكسورة المخففة أربعة أنواع: شرطية، ونافية، وزائدة، ومخففة من الثقيلة.

﴿أَنْ﴾ المفتوحة المخففة أربعة أنواع: مصدرية، وزائدة، ومخففة من الثقيلة، وعبارة عن القول.

﴿إِذَا﴾ نوعان: ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط

وقد تخلو عن الشرط، وفجائية.

﴿إِذْ﴾ لها معنيان؛ ظرف زمان ماض، وسببية للتعليل.

﴿أَوْ﴾ العاطفة لها خمسة معان: الشك، والإبهام، والتخيير، والإباحة، والناصبة للفعل بمعنى (إلى أن)، أو (إلا أن)، أو (كي).

﴿أم﴾ استفهامية، وقد يكون فيها معنى الإنكار والإضراب، وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها، ومنفصلة مما قبلها.

﴿إِمَّا﴾ المكسورة المشددة؛ للتنويع، والشك، والتخيير، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة.

﴿أَمَّا﴾ المفتوحة المشددة للتقسيم والتفصيل.

﴿أَلا﴾ المفتوحة المخففة؛ للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعرض، والتمني.

﴿إِلاَّ﴾ المكسورة المشددة؛ استثناء، وتكون للإيجاب بعد غير الواجب، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية.

﴿أَيّ﴾ المشددة سبعة أنواع: شرطية، واستفهامية، وموصولة، ومنادى، وصفة، وظرفية إذا أضيفت إلى ظرف، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر.

﴿إِي﴾ المكسورة المخففة معناها: التصديق.

﴿إِلَى﴾ معناها انتهاء الغاية، وقيل: تكون بمعنى مع.

﴿الهمزة﴾ للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ، والنداء، والتسوية، وللمتكلم، وأصلية، وزائدة للبناء.

حرف الباء

﴿بَارِي﴾ خالق، ومنه ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ أي: الخلق.

﴿بَعَثَ﴾ له معنيان؛ بَعْث الرسل، وبعث الموتى من القبور.

﴿بَسَطَ﴾ الله الرزق: وسعه، وضده قبض، وقدر الرزق أي: ضيقه، ومن أسماء الله تعالى القابض والباسط، و﴿بسطة﴾ زيادة.

﴿بَشَّرَ﴾ من البشارة وهي الإعلام بالخير قبل وروده، وقد تكون للشر إذا ذكر معها، ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه المبشر والبشير، واستبشر بالشيء: فرح به.

﴿بُعْد﴾ له معنيان؛ ضد القرب والفعل منه بعُد بضم العين، والهلاك والفعل منه بَعِد بكسرها، ومنه ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

﴿بَلاَء﴾ له معنيان؛ العذاب، والاختبار، ومنه ﴿ابْتَلَى﴾ ﴿وَنَبْلُوكُم﴾.

﴿بِر﴾ له معنيان؛ الكرامة ومنه بر الوالدين و﴿أن تَبَرُّوهُمْ﴾ والتقوى، والجمع لخصال الخير ومنه ﴿ـ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾، ورجل بار وبَرٌّ، والجمع: أبرار، والبَرُّ من أسماء الله تعالى.

﴿بَات﴾ معروف، ومصدره بيات، وبيّت الأمر: دبّره بالليل.

﴿بَغْتَةً﴾ فجأة.

﴿بُرُوج﴾ جمع برج، وهو: الحصن، وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

﴿بَيْن﴾ ظرف، وبين يدي الشيء: ما تقدم قبله، والبين: الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

﴿بَيِّنَات﴾ براهين من المعجزة وغيرها، و﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ من البيان، ﴿يُبين﴾ من البيان وله معنيان: بين غير متعد، ومبين لغيره.

﴿بَدَا﴾ يبدو بغير همز: ظهر، وأبديته: أظهرته، والبادي

أيضا: من البادية، ومنه ﴿بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ﴾.

﴿بَدَأَ﴾ بالهمز من الابتداء، ويقال: بدأ الخلق وأبدأه، وقد جاء القرآن بالوجهين.

﴿بَغْيِ﴾ له معنيان؛ العدوان على الناس، والحسد، و﴿الْبِغَاء﴾ بكسر الباء: الزنا، ومنه امرأة بغي أي: زانية، وابتغى الشيء وبغاه أي: طلبه.

﴿بث﴾ الحديث وغيره: نشره، و ﴿الْمَبْثُوث﴾ المنتشر و﴿مَبْثُوثَة﴾ متفرقة، والبث: الحزن الشديد، ومنه ﴿أَشْكُو بَثِّي﴾.

﴿بَوَّأَ﴾ أنزل الرجل منزلا، ومنه ﴿بَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ﴿مُبَوَّأَ﴾.

﴿بَوَار﴾ هلاك، ومنه ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكى.

﴿بَاء﴾ بالشيء: رجع به، وقد يقال: بمعنى اعترف.

﴿بَأْسَا﴾ الفقر، والبؤس: الشدة والمحنة، و ﴿الْبَائِس﴾ الفقير من البؤس، و﴿الْبَأْس﴾ القتال والشجاعة والمكروه، و﴿بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، و﴿بِئْسَ﴾ كلمة ذم.

﴿بَرْزَخ﴾ شيء بين شيئين، والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

﴿بَدِيع﴾ له معنيان؛ جميل، ومبدع أي: خالق الشيء ابتداء.

﴿بَسَرَ﴾ عبس، ومنه ﴿بَاسِرَة﴾.

﴿بَصِير﴾ من أبصر، يقال: أبصرته وبصرت به، والبصائر: البراهين، جمع بصيرة.

﴿بَرَزَ﴾ ظهر، ومنه ﴿بَارِزَةً﴾ و﴿بَارِزُونَ﴾.

﴿بَطَشَ﴾ أخذ بشدة.

﴿بَخْس﴾ نقص.

﴿بَعْل﴾ له معنيان؛ زوج المرأة، وجمعه: بعولة، والبعل أيضا: الرب، وقيل: اسم صنم، ومنه ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾.

﴿بَهْجَة﴾ حسن، و﴿بَهِيج﴾ حسن.

﴿مُبْلِسُون﴾ جمع مبلس وهو البائس، وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته، وقيل: الحزين النادم، ومنه ﴿يُبْلِسُ﴾، ومنه اشتق إبليس.

﴿بُهِتَ﴾ انقطعت حجته.

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة وهي الكثرة والنماء، وقيل: تقدس.

﴿بَلَى﴾ جواب يقتضي إثبات الشيء.

﴿بَلْ﴾ معناها: الإضراب عما قبلها.

﴿الْبَاء﴾ للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية، وزائدة.

حرف التاء

﴿تلاَ﴾ يتلو، له معنيان؛ قرأ، واتبع.

﴿تَقْوَى﴾ مصدر مشتق من الوقاية، فالتاء بدل من الواو ومعناه: الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه، فهو جماع كل خير.

﴿تَابَ﴾ يتوب رجع، توبة وتوبا فهو تائب، و ﴿تَوَّابُ﴾ كثير التوبة، و﴿تَوَّابُ﴾ اسم الله تعالى أي: كثير التوبة على عباده، وتاب الله على العبد: ألهمه التوبة وقبل توبته.

﴿تَبَاب﴾ خسران، و﴿تَبّ﴾ خسر.

﴿تَبَار﴾ هلاك، ومنه ﴿مُتَبَّرٌ﴾.

﴿أُتْرِفُوا﴾ أنعموا، والمترفون: المنعمون في الدنيا.

حرف الثاء

﴿ثَمُود﴾ قبيلة من العرب الأقدمين.

﴿ثوى﴾ في الموضع: أقام فيه، ومنه ﴿مَثْوَى﴾.

﴿ثُبُور﴾ هلاك، ومنه ﴿مَثْبُورًا﴾ ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا﴾ أي: صاحوا هلاكا.

﴿ثَمَر﴾ ما يؤكل مما تنبت الأرض، ويقال: بالفتح والضم.

﴿ثُقِفُوا﴾ أخذوا وظفر بهم، ومنه ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾.

﴿ثاقب﴾ مضيء.

﴿ثم﴾ بالفتح: ظرف، وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة، وقد يرد لغير الترتيب كالتأكيد وترتيب الأخبار.

حرف الجيم

﴿جَعَلَ﴾ لها أربعة معان؛ صيَّر، وألقى، وخلق، وأنشأ يفعل كذا.

﴿جناح﴾ الطائر معروف، وجناح الإنسان: إبطه، ومنه ﴿اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾، و﴿لاَ جُنَاحَ﴾ لا إثم فمعناه إباحة، وجنح للشيء: مال إليه.

﴿لاَ جَرَمَ﴾ لا بد.

﴿اجْتَبَى﴾ اختار.

﴿جِدَال﴾ مخالفة ومخاصمة واحتجاج.

﴿تَجْأَرُون﴾ تصيحون بالدعاء.

﴿جَوَارِي﴾ جمع جارية وهي: السفينة.

﴿أَجْرَمَ﴾ فهو مجرم له معنيان؛ الكفر، والعصيان.

﴿جِن﴾ الجنون، وقد جاء بمعنى الملائكة.

﴿جَآنّ﴾ له معنيان؛ الجنون، والحية الصغيرة.

﴿جَنَّة﴾ بالفتح؛ البستان، وبالكسر: الجنون، وبالضم: الترس وما أشبهه مما يستتر به، ومنه استعير ﴿أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾.

﴿جَاثِيَة﴾ أي: على ركبهم لا يستطيعون القيام مما هم فيه، وقوله: ﴿جِثِيًّا﴾ جمع جاث.

﴿الْجُرُزِ﴾ الأرض التي لا نبات فيها.

﴿جَاثِمِين﴾ باركين على ركبهم.

﴿جَبَّارٍ﴾ اسم الله تعالى، له معنيان؛ قهار، ومتكبر، وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه، والجبار أيضا: الظالم.

﴿أَجْدَاث﴾ قبور.

﴿جزى﴾ له معنيان؛ من الجزاء بالخير والشر، وبمعنى أغنى، ومنه ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ﴾. فأما أجزأ بالهمزة فمعناه: كفى.

﴿جَرَح﴾ له معنيان؛ من الجروح، وبمعنى الكسب والعمل، ومنه ﴿جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ و﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح؛ لأنها كواسب لأهلها.

﴿جُنُبُ﴾ له معنيان؛ من الجنابة، وبمعنى البعد، ومنه ﴿عَن جُنُبٍ﴾.

حرف الحاء

﴿حمد﴾ هو الثناء سواء كان جزاء على نعمة أو ابتداء، والشكر إنما يكون جزاء، فالحمد على هذا الوجه أعم، والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان، فالشكر من هذا الوجه أعم.

﴿حَمِيد﴾ اسم الله تعالى، أي: محمود.

﴿حِكْمَة﴾ عقل أو علم، وقيل: في ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: هي السنة.

﴿حَكِيم﴾ اسم الله تعالى؛ من الحكمة، أو من الحكم بين العباد، أو من إحكام الأمور وإتقانها.

﴿حَلِيم﴾ الحلم: العقل، وقد يقال: بمعنى العفو،

والأحلام: العقول، والحليم من أسماء الله تعالى، قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وقيل: معناه العفو عن الذنوب، وأحلام النوم: ما يرى في المنام.

﴿ حبطَ ﴾ بطل، وأحبطه الله: أبطله.

﴿ حَنِيف ﴾ مسلم وموحد لله، وقيل: حاج، وقيل: مختتن، وجمعه: حنفاء.

﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ و﴿ مُحْصَنَاتٍ ﴾ الإحصان له أربع معان؛ الإسلام، والحرية، والعفاف، والتزوج، و﴿ لِيُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ﴾ يقيكم.

﴿ حُجَّةٌ ﴾ بالضم: دليل وبرهان، وحاج فلان فلانا: جادله، وحجه عليه بالحجة، والحَج بالفتح والكسر: القصد، ومنه أخذ ﴿ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾، وحِجة بالكسر: سنة وجمعها حجج.

﴿ حِطَّةٌ ﴾ أي: حط عنا ذنوبنا، وقيل: هي كلمة بالعبرانية تفسيرها: لا إله إلا الله.

﴿ حضَرَ ﴾ بالضاد من الحضور، ومنه ﴿ مُحْضَرُونَ ﴾ و﴿ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾، وبالظاء من المنع، ومنه ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ و﴿ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾، وبالذال من الحذر وهو الخوف، ومنه ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.

﴿ حِفْظُ ﴾ العلم: وعيه، وحفظ الشيء: حراسته، والحفيظ: اسم الله تعالى، قيل معناه: العليم، وقيل: حافظ الخلق؛ أي كالئهم من المهالك.

﴿ حَاقَ ﴾ بهم: حل بهم.

﴿ حَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ أي: عهد، و﴿ حَبْلِ اللَّهِ ﴾ القرآن، وأصله الحبل المعروف.

﴿ حَسِبَ ﴾ بكسر السين: ظن، ومضارعه بالفتح والكسر، وحَسَبَ بالفتح: من العدد، ومضارعه بالضم، ومنه ﴿ الْحِسَابِ ﴾، والحسبان، و﴿ حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ ﴾ أي: مرام، واحدها حُسبانة.

﴿ حِسَابٍ ﴾ من الظن ومن العدد، و﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ يحتمل الوجهين، وأن يكون من المحاسبة أي لا يحاسب عليه، ومن التقدير أي: بغير تضييق، و﴿ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ أي: كافيا.

﴿ حَسِيب ﴾ اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال: كاف، وعالم، وقادر، ومحاسب، ﴿ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾ أي: كافيك.

﴿ حزن ﴾ تأسف على ماض أو حال، أو لخوف توقع في المستقبل، ويقال: حزِن بكسر الزاي، وحزَنه غيره بفتحها، وأحزنه أيضا.

﴿ حَصِير ﴾ محبس من الحصر، وأحصر عن الشيء: حبس عنه.

﴿ حَسِير ﴾ بالسين: كليل.

﴿ حَصِيد ﴾ هو ما يحصد من الزرع وغيره، واستعير منه ﴿ قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ أي: باق وذاهب.

﴿ حَمِيم ﴾ له معنيان؛ الصديق، والماء الحار.

﴿ مَحِيص ﴾ مهرب.

﴿ حِجر ﴾ له أربعة معان؛ الحرام، والعقل، ومنازل ثمود، وحجر الكعبة.

﴿ حِمْل ﴾ بكسر الحاء: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للركوب، وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أحمال.

﴿ إِحْسَان ﴾ له ثلاث معان؛ فعل الحسنات، والإنعام على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**» [البخاري: 50].

﴿حَـقّ﴾ له أربعة معان؛ الصـدق، والعدل في الحكم، والشيء الثابت، والأمر الواجب، و﴿الْحَقُّ﴾ اسـم الله تعالى أي: الواجب الوجود.

﴿حَاصِبا﴾ ريح شـديدة سـميت بذلـك؛ لأنها ترمي بالحصباء أي: الحصا، والحاصب أيضا: الحجارة.

﴿حِلْيَة﴾ حُلي.

﴿حَرَج﴾ ضيق أو مشقة.

﴿حَوْل﴾ له معنيان؛ العام، والحيلة، و﴿حِوَلاً﴾ بكسر الحاء: انتقالا.

﴿حَـرْثُ﴾ الأرض، مصـدر، ثـم اسـتعمل بمعنـى الأرض والزرع والجنات.

﴿حـس﴾ بغـير ألف: قتـل، ومنـه ﴿إِذْ تَحُسُّـونَهُم﴾ وأحس: من الحس.

﴿حُرُم﴾ بضمتين، محرمون بالحج.

﴿حُقُـب﴾ بضمتـين، و﴿أَحْقَـاب﴾ جمـع حقـب، وهـو مـدة مـن الدهـر، يقـال: إنـه ثمانـون سـنة.

﴿حَـفَّ﴾ الشيء بالـشيء: إذا طـاف به مـن جوانبه، ومنه: ﴿حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْـلٍ﴾ و﴿الْمَلآئِكَةَ حَآفِّينَ﴾.

﴿حَلَّ﴾ بالمكان يحل بالضم والكسر، وحل من إحرامه يحل بالكسر لا غير.

﴿حُطَام﴾ فتات، والحطـام: ما تحطم من عيدان الزرع اليابس.

حرف الخاء

﴿خَلَـق﴾ له معنيـان؛ من الخلقـة، ومنـه ﴿الْخَالِقُ﴾ اسـم الله تعـالى و﴿الْخَلاَّقُ﴾، وخلـق الرجل: كذب، ومنـه ﴿تَخْلُقُـونَ إِفْـكًا﴾ و﴿اخْتِـلاَق﴾ أي: كـذب

﴿خَلاَقٍ﴾ نصيب.

﴿خَيْر﴾ ضد الشر، ولـه أربعة معان؛ العمل الصالح، والمال، والخيرة، والتفضيل بين شيئين.

﴿خَلاَ﴾ له معنيان؛ من الخلوة، وبمعنى ذهب وتقدم، ومنه ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾.

﴿خَطِيئَـةً﴾ ذنب، وجمعه: خطايـا وخطيات، والفعل منه خطـىء فهو خاطىء، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه: أخطأ.

﴿خَاسِـئِين﴾ مطرودين، من قولك: خسئت الكلب، ومنه ﴿اخْسَؤُوا﴾.

﴿خَلْـف﴾ بفتـح الخاء وإسـكان الـلام، لـه معنيان؛ وراء، ومـن خَلَف سـلفه بـشر، فإذا خلفـه بخير قيل: بفتح اللام.

﴿خِـلاَفَ﴾ لـه معنيـان؛ مـن الخـلاف، وبمعنى بعد أو دون، ومنـه ﴿بِمَقْعَدِهِـمْ خِـلاَفَ رَسُـولِ اللَّهِ﴾.

﴿خَوَّلَ﴾ أعطى.

﴿خُلَّـةٌ﴾ بضـم الخاء مـودة، ومنه الخليـل، وجمعه: أخلاء.

﴿خِـلاَل﴾ لـه معنيـان؛ وداد، ومنـه ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيـهِ وَلاَ خِـلاَل﴾، وبمعنـى بـين، ومنه ﴿خِـلاَلَ الدِّيَارِ﴾ و﴿خِلاَلَكُمْ﴾.

﴿خَرَّ﴾ يخر: سقط على وجهه.

﴿خَامِدِين﴾ هالكين، وأصله من خمد النار.

﴿خَطْـب﴾ خـبر، والخَطـب أيضـا: الأمـر العظيـم، و﴿خِطْبَةِ النِّسَآءِ﴾ بالكسر، وخُطبة الخطيب: بالضم.

﴿خَرَّاصُونَ﴾ كذابون، ومنه ﴿يَخْرُصُون﴾، والخرص أيضا: التقدير، وقيل: إن ﴿يَخْرُصُون﴾ منه أي: يقولون بالظن من غير تحقيق.

﴿خَبَالاً﴾ سوء.

﴿خَوَّانٍ﴾ كثير الخيانة.

﴿مُخْتَال﴾ من الخيلاء.

﴿خَتَّارٍ﴾ غدار، من ختر العهد.

﴿مَخْمَصَةٍ﴾ من الخمص، وهو: الجوع.

﴿أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن، وهو: الخليل.

﴿خَرَاجُ﴾ و﴿خَرْجًا﴾ أي: أجرة أو عطية.

حرف الدال

﴿دِيـن﴾ لـه خمسـة معـان: الملـة، والعـادة، والجزاء، والحساب، والقهر.

﴿أَدْنَى﴾ له معنيان؛ أقرب فهو من الدنو، وأقل فهو من الدنيء الحقير.

﴿دَأْب﴾ له معنيان؛ عادة، وجد وملازمة، ومنه ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: متتابعة للزراعة، من قولك: دأبت على الشيء، دمت عليه.

﴿دَارُ﴾ ﴿دَارُ السَّلاَمِ﴾ الجنة.

﴿دَوَائِـرَ﴾ صروف الدهـر، واحدهـا دائـرة، ومنـه ﴿دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾.

﴿دُعَاء﴾ لـه خمسـة معان: الطلـب مـن الله، والعبادة ومنـه ﴿تَدْعُونَ مِـن دُونِ اللّهِ﴾، والتمنـي ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُـونَ﴾، والنداء ﴿وادْعُواْ شُـهَدَآءَكُم﴾، والدعوة إلى الشيء ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾.

﴿دَابَّةٍ﴾ كل ما يدب، فيجمع جميع الحيوان.

﴿دُحُورا﴾ إبعادا، ومنه المدحور: المطرود.

﴿دَعَّ﴾ بتشـديد العين يـدع، أي: دفع بعنـف، ومنه ﴿يَـدُعُّ الْيَتِيـم﴾، و﴿يُدَعُّـونَ إِلَى نَـارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

﴿درأ﴾ دفع، ومنه ﴿يَدْرَؤُونَ﴾.

﴿مِّدْرَارًا﴾ من در المطر، إذا صب.

﴿دَاخِرِين﴾ صاغرين.

﴿دُكَّـتِ﴾ الأرض أي: دقت جبالها حتى اسـتوت مع وجـه الأرض، ومنـه ﴿جَعَلَـهُ دَكًّا﴾ أي: مسـتويا مع الأرض.

حرف الذال

﴿ذِكْر﴾ له أربعة معان: ضد النسيان، والذكر باللسان، والقرآن ومنه ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، والشرف. و﴿مُذَّكِرٍ﴾ مفتعل، من الذكر.

﴿ذُنُـوب﴾ بضم الذال: جمع ذنب، وبالفتح: النصيب، ومنه ﴿ذَنُوبًـا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِـمْ﴾ أي: نصيبا من العذاب، والذَنوب أيضا: الدلو.

﴿ذِبْـحٍ﴾ بكسر الـذال: المذبـوح، وبالفتـح: المصدر.

﴿ذَرَأَ﴾ خلق ونشر.

﴿ذَلُـولٌ﴾ مذللة للعمل، من الـذِّل بكسر الذال، ومنه ﴿ذَلَّلْنَاهَـا لَهُـمْ﴾، ورجـل ذليـل، من الـذُّل بالضم، و﴿ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ أي: أدنيت.

﴿أَذْقَان﴾ جمع ذقن.

حرف الراء

﴿رَبّ﴾ لـه أربعـة معـان؛ الإلـه، والسـيد، والمالك للشيء، والمصلح للأمر.

﴿رَيْـب﴾ شـك، ومنـه ﴿ارْتَابُـوا﴾ و﴿مُرِيـب﴾ و﴿رَيْبَ الْمَنُون﴾ حوادث الدهر.

﴿رجَـع﴾ يسـتعمل متعديـا بمعنى رد، وغـير متعد، والمرجـع: اسـم مصدر أو زمـان أو مكان، مـن الرجوع.

﴿رَعَى﴾ لـه معنيـان؛ مـن النظـر، ومن رعـي الغنم.

﴿رُوح﴾ لـه أربعـة معـان؛ النفس التـي بهـا الحيـاة

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، والوحي ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ﴾، وجبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينِ﴾، وملك عظيم ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾. و﴿رَوْحِ﴾ بفتح الراء: رائحة طيبة، و﴿الرَّيْحَانِ﴾ الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

﴿رُكَامٌ﴾ بعضه فوق بعض، ومنه ﴿مَرْكُوم﴾ و﴿يَرْكُمَهُ﴾.

﴿رَجَا﴾ طمع، وقد يستعمل في الخوف ﴿لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾.

﴿رِجَالٌ﴾ جمع رجل، وجمع راجل؛ أي: غير راكب ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾، ومثله ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾.

﴿رَفَثَ﴾ له معنيان؛ الجماع، والكلام بهذا المعنى.

﴿رِجْزٌ﴾ عذاب، إلا ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فهي الأوثان.

و﴿الرجس﴾ بالسين: النجس حقيقة أو مجازا، وقد يستعمل بمعنى العذاب.

﴿رَهَبٌ﴾ خوف، ومنه ﴿يَرْهَبُونَ﴾.

﴿رَؤُوفٌ﴾ من الرأفة وهي: الرحمة إلا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعم من الرأفة.

﴿مَرْضَاتِ﴾ مفعلة، من الرضا.

﴿رَاسِيَاتٍ﴾ ثابتات، ومنه قيل للجبال: ﴿رَوَاسِيَ﴾، ومنه ﴿مُرْسَاهَا﴾ أي ثبوتها.

﴿رَغَداً﴾ كثيرا.

﴿رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع.

﴿رِبا﴾ هو في اللغة: الزيادة، ومنه ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ وربت الأرض: انتفخت.

﴿أَرْحَامٌ﴾ جمع رحم وهو فرج المرأة، ويستعمل أيضا في القرابة.

﴿أَرْجِهِ﴾ أخره، ومنه ﴿تُرْجِي﴾ و﴿مَرْجُون﴾ ويجوز فيه الهمز وتركه.

﴿رَأَى﴾ من رؤية العين يتعدى إلى واحد، ومن رؤية القلب بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين.

﴿تَرَبَّص﴾ انتظر.

﴿رُفَات﴾ فتات.

﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ الهرم، و﴿الأَرْذَلُون﴾ من الرذالة.

﴿رقِيّ﴾ من الرقية بفتح القاف، ومنه ﴿وَقِيلَ مَنْ رَّاقٍ﴾، ورقي في السلم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم، والردى: الهلاك، ومنه ﴿تُرْدِين﴾ و﴿تَرَدَّى﴾.

﴿رَجْفَة﴾ زلزلة وشدة.

حرف الزاي

﴿زُبُر﴾ بضمتين: كتب، و﴿الزَّبُورِ﴾ كتاب داود عليه السلام.

﴿زُخْرُف﴾ زينة، والزخرف أيضا: الذهب.

﴿زَكَاة﴾ له في اللغة معنيان؛ الزيادة، والطهارة، ثم استعمله الشرع في: إعطاء المال، وهو من الزيادة؛ لأنه يبارك له فيه فيزيد، أو من الطهارة؛ لأنه يطهره من الذنوب، وزكّيت الرجل: أثنيت عليه، وزكا هو مخففا؛ أي: صار زكيا.

﴿زَوْج﴾ له ثلاث معان؛ الرجل، والمرأة، وقد يقال فيها: زوجة، ومعنى الصنف والنوع، ومنه ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ﴾ و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿زَلَّ﴾ لـه معنيـان؛ زل القـدم عـن الموضـع، وفعل الزلل .

﴿زَاغَ﴾ عـن الـشيء زيغا: مـال عنه، وأزاغـه غيره: أماله .

﴿زُلْفَى﴾ قربـى، و﴿أُزْلِفَـتِ﴾ قربـت، و﴿زُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ ساعات.

﴿زَعَمَ﴾ أي: ادعى ولم يوافقه غيره، قال ابن عباس ﷺ: زعم كناية عن كذب.

﴿زَعِيم﴾ ضامن.

﴿يُزْجِي﴾ يسوق.

﴿زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ اهتزازها، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف، ومنه ﴿زُلْزِلُوا﴾ .

﴿زَجْـرَةٌ وَاحِـدَةٌ﴾ صيحـة، بمعنى نفخـة في الصور، والزجـرة: الصيحة بشـدة وانتهـار، و﴿ازْدُجِر﴾ من الزجر.

حرف الطاء

﴿طَبَعَ﴾ ختم، والخاتم: الطابع.

﴿طَوْل﴾ بفتح الطاء: فضل أو غنى.

﴿طَائِـر﴾ لـه معنيـان؛ مـن الطـيران، ومـن الطيرة.

﴿طُـوًى﴾ قيل: اسـم الـوادي، وقيل: معنـاه مرتين؛ أي: قدس الوادي مرتين.

﴿طَهَـارَة﴾ له معنيـان: الطهـارة بالماء، ومنـه ﴿جُنُبًا فَاطَّهَّـرُواْ﴾ والماء الطهور: وهـو المطهر، والطهارة من القبائح والرذائل، ومنه ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون﴾ .

﴿طَيِّب﴾ له معنيان؛ اللذيذ، والحلال.

﴿طُوفَان﴾ السيل العظيم.

﴿طَاغُوتَ﴾ أصنام وشـياطين، ويكون مفـردا و جمعا، والطاغوت أيضا: رئيس النصارى على قول.

﴿طِبَـاق﴾ بعضها على بعـض، و﴿طَبَقًا عَـن طَبَق﴾ حالا بعد حال.

﴿طُورِ﴾ الجبل، وهو: الطود.

﴿طَفِقَ﴾ يفعل كذا؛ أي: جعل يفعله.

﴿طَائِفِـينَ﴾ مـن الطواف، وطيف من الشـيطان: لمم، وطائف: فاعل منه.

حرف الظاء

﴿ظَهَرَ﴾ الأمر: بدا، وأظهره غيره: أبداه، و﴿ظَهِيرٍ﴾: معين.

﴿ظَاهَـرَ﴾ الرجـل من امرأتـه وتظاهـر وتظهر؛ أي: قـال لهـا: أنـت علـيّ كظهـر أمـي، وهـو الظهـار.

﴿ظَهر﴾ البيـت: أعلاه، وظهرتـه أي: ارتفعت عليه، ومنه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ .

﴿ظَلَـمَ﴾ يقـع في القـرآن عـلى ثلاثـة معـان؛ الكفر، والمعـاصي، وظلـم النـاس؛ أي: التعـدي عليهـم.

﴿ظَـنَّ﴾ لـه ثلاثـة معـان: التحقيـق، وغلبـة أحـد الاعتقادين، والتهمة.

﴿ظَمَأٌ﴾ عطش.

﴿ظِلَالُ﴾ جمع ظل، وظُلل: بالضم جمع ظلة؛ وهي: ما كان من فوق.

﴿ظَلَّ﴾ بالنهار، بمنزلة بات بالليل.

حرف الكاف

﴿كَافِر﴾ له معنيان؛ من الكفر وهو: الجحود، وبمعنى الزارع، ومنـه ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُـهُ﴾ أي: الزراع، وتكفير الذنوب: غفرانها.

﴿كَافَّةً﴾ جميعا.

﴿كَرَّةٌ﴾ رجعة.

﴿كَبِرَ﴾ بكسر الباء من السن، يكبَر بالفتح في المضارع، و﴿كَبُرَ﴾ الأمر بالضم في المضارع والماضي، و﴿كُبَرَ﴾ بضم الكاف وفتح البـاء جمع كبرى، و﴿كُبَّار﴾ بالضم والتشـديد كبير مبالغـة، والكبر: التكـبر، وكِبر الشيء: بكسر الـكاف وضمهـا معظمـه، والكبريـاء: الملـك والعظمة، والمتكبر: اسـم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى العظمة.

﴿كَفَلَ﴾ يكفل أي: ضم الصبي وحضنه، و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها.

﴿كَفِيل﴾ نصيب.

﴿كَلَالَةً﴾ هـي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

﴿كَادَ﴾ قـارب الأمـر ولم يفعلـه، فـإذا نفـي اقتـضى الإثبات.

﴿كَرِيم﴾ من الكرم وهو الحسـب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى أي: محسن.

﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية، وأكنان جمع كن وهو: ما وقى من الحر والبرد.

﴿كَهْل﴾ هو: الذي انتهى شبابه.

﴿أَكْمَام﴾ ثـمار النخيل، جمع كم وهو: ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

﴿أَكَبَّ﴾ الرجل عـلى وجهه فهو مكـب، وكبه غيره بغير ألف.

﴿كَهْف﴾ غار.

﴿كَيْدَ﴾ هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر.

﴿كِسَفًا﴾ بفتح السـين جمع كسـفة وهي: القطعة من الشيء، وبالسكون كذلك، أو مفرد.

﴿كُبِتُـوا﴾ أهلكوا، و﴿يَكْبِتَهُـمْ﴾ يهلكهم أو يخزيهم

﴿أَكْمَهَ﴾ هو: الذي ولد أعمى.

﴿كَانَ﴾ عـلى نوعـين؛ تامـة: بمعنى حـضر أو حدث أو وقـع، وهـي ترفع الفاعـل، وناقصة: ترفع الاسـم وتنصـب الخبر، وتقتـضي ثبوت الخـبر للمخبر عنه في زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُـورًا رَّحِيمًـا﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ وشـبه ذلك، وهـو كثير في القرآن ومعناه: لم يـزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف.

﴿كَأَنَّ﴾ معناها التشبيه.

﴿كَيْ﴾ معناها التعليل.

﴿كَـم﴾ معناهـا التكثـير، وهـي خبرية واسـتفهامية.

﴿كَأَيِّن﴾ بمعنى كم، وهي عند سـيبويه كاف التشبيه دخلت على أي.

﴿كَلَّا﴾ حـرف ردع وزجـر، وقيل: إنهـا تكون للنفي أي: ليس الأمـر كما ظننت، وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنى: ألا.

﴿الْكَاف﴾ بمعنى التشـبيه، وبمعنـى التعليل، وقيل: إنها تكون زائدة.

حرف اللام

﴿لَبِسَ﴾ الأمـر أي: خلطـه، بفتـح البـاء في الماضي وكسرها في المسـتقبل، ولبس الثوب بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل.

﴿أَلْبَاب﴾ عقول، وهو جمع لب.

﴿لَبِثَ﴾ في المكان: أقام به.

﴿لمز﴾ يلمز أي: عاب الشيء.

﴿لُؤْلُؤٌ﴾ جوهر.

﴿لَغْـو﴾ الكلام: الباطل منـه والفحش، ولغو اليمين: ما لا يلزم.

﴿لَهَـا﴾ بفتح الهاء مـن اللهو، ومضارعـه يلهو، ولهي عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح، إذا أعرض عنه، وألهاه الشيء إذا أشغله، ومنه ﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾.

﴿لَطِيفُ﴾ اسـم الله تعالى، قيل معنـاه: رفيق، وقيل: خبير بخفيات الأمور.

﴿لَدَى﴾ و﴿لَدُن﴾ معناهما: عند.

﴿لَيْتَ﴾ معناها: التمني.

﴿لَعَـلَّ﴾ معناهـا: الترجـي في المحبوبـات والتوقـع للمكروهات، وأشـكل ذلك في حـق الله تعالى، فقيل: جـاءت في القرآن على منهـاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطـب أي: ذلـك مما يرتجـى عندكـم ويتوقع، وقد يكون معناها التعليل أومقاربة الأمر؛ فلا إشكال.

﴿لَوْ﴾ لها معنيان؛ التمني، وامتناع شيء لامتناع غيره.

﴿لَـوْلاَ﴾ لها معنيـان؛ العرض مثـل (لومـا)، وامتناع الشيء لوجود غيره.

﴿لَمَّا﴾ لها معنيـان؛ النفي وهي الجازمة، ووجود شيء لوجود غيره.

وأما ﴿لَمَـا﴾ بالتخفيف فهـي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون: هي بمعنى إلا الموجبة بعد النفي.

﴿لاَ﴾ ثلاثة أنواع: نافية، وناهية، وزائدة.

﴿الـلاَّمُ﴾ خمسـة أنـواع: لام الجـر، ولام كـي، ولام الجحـود، ولام الأمـر، ولام التأكيـد في القسـم وغيره وهي المفتوحـة. ثم إن لام الجر لها ثلاثـة معان؛ الملك، والاسـتحقاق، والتعليل، وقد تـأتي للتعدي إذا ضعف العامـل، وقد تأتي بمعنى عند نحو ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّـمْسِ﴾ و﴿لِذِكْـرِي﴾، ولام كـي معناها: التشـبيه والتعليل، وقـد تأتي بمعنى الصـيرورة في العاقبة، نحو ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، وقد تأتي بمعنى أن المصدرية ومنه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

حرف الميم

﴿مَرَضٌ﴾ الجسـد معروف، ومرض القلب: الشك في الإيمان والبغض في الدين.

﴿الْمَنَّ﴾ شبه العسـل، وقيل: خبز النقي، والسلوى: طائر، والمن أيضـا: الإنعام، والمن أيضـا: ذكر العطية، والمن أيضا: القطع، ومنه ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿أَمَانِيَّ﴾ جمع أمنية، ولها ثلاثة معان؛ ما تتمناه النفس، والتلاوة، والكذب، وكذلـك ﴿تَمَنَّى﴾ له هذه المعاني الثلاثة.

﴿مَلأُ﴾ القوم: أشرافهم وذوو الرأي منهم.

﴿مَثَـلُ﴾ بفتـح الميم والثـاء، له أربعة معان؛ التشـبيه، والنظـير، ومن المثـل المضروب وأصله من التشـبيه، ومثل الشيء: حاله وصفته، والمثل: الكلام الذي يتمثل به، ومثل الشيء: بكسر الميم شبهه.

﴿مِرْيَـةٍ﴾ شـك، ومنـه ﴿الْمُمْتَرِين﴾ أي: الشـاكين، و﴿لاَ تُمَارِ﴾ من المراء وهو: الجدال.

﴿أَمْلَى﴾ لهم: أمهلهم وزادهم.

﴿مِهَاد﴾ فراش.

﴿مَـدَّ﴾ يمـد أي: أملى، وقـد تكون بمعنـى زاد، مثل ﴿أَمَدَّ﴾ بألف من المدد.

﴿مُضْغَةٍ﴾ قطعة لحم.

﴿إِمْلاَقٍ﴾ فقر.

﴿مَرِيدٍ﴾ و﴿مَارِدٍ﴾ من العتو والضلال.

﴿مَكَانَةِ﴾ بمعنى مكان، أو: من التمكين والعز، ومنه ﴿مَكِينٌ﴾.

﴿مَوَاخِرَ﴾ فواعل من المخر، يقال: مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء.

﴿مَجِيدٌ﴾ من المجد، وهو: الكرم والشرف.

﴿مَقْتَ﴾ هو: الذم أو البغض على فعل القبيح.

﴿مَعِينٍ﴾ ماء جار كثير، وهو من قولك: معن الماء إذا كثر، وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه مفعول؛ فالميم زائدة.

﴿مَّرِيجٍ﴾ مختلط، والمارج: لهب النار، من قولك: مرج الشيء إذا اضطرب، وقيل: من الاختلاط أي: خلط نوعان من النار.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: خلاء بينهما، وقيل: خلطهما، وقيل: أفاض أحدهما في الآخر.

﴿مُهْلِ﴾ فيه قولان؛ دردي الزيت، وما أذيب من النحاس.

﴿مَنُونِ﴾ له معنيان؛ الموت، والدهر.

﴿مَسَّ﴾ له معنيان؛ اللمس باليد وغيره، والجنون.

﴿من﴾ أربعة أنواع؛ شرطية، وموصولة، واستفهامية، ونكرة موصوفة.

﴿ما﴾ إذا كانت اسما فلها ستة أنواع؛ شرطية، وموصولة، واستفهامية، وموصوفة، وصفة، وتعجبية، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع؛ نافية، ومصدرية، وزائدة، وكافة، ومبهمة.

﴿من﴾ لها ستة أنواع؛ لابتداء الغاية، ولجملة الغاية، وللتبعيض، ولبيان الجنس، والتعليل، وزائدة.

﴿مَهْمَا﴾ اسم شرط.

حرف النون

﴿نظر﴾ له معنيان؛ من النظر، ومن الانتظار، فإذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف، ومن نظر العين يتعدى بإلى، ومن نظر القلب يتعدى بفي.

﴿أَنظِرْ﴾ بالألف: أخر، ومنه ﴿أَنظِرْنِي﴾ و﴿مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ و﴿نَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾.

﴿نَضْرَةً﴾ بالضاد من التنعيم، ومنه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي ناعمة، وأما ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فمن النظر.

﴿نَعْمَةٍ﴾ بفتح النون من النعيم، وبكسرها من الإنعام.

﴿أَنْعَامُ﴾ هي: الإبل والبقر والغنم دون سائر البهائم، ويجوز تذكيرها وتأنيثها، ويقال لها أيضا: نَعَمٌ.

و﴿نِعْمَ﴾ كلمة مدح، ويجوز فيها كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

﴿نَعَمْ﴾ بفتح النون والعين: كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات، بخلاف بلى فإنها للإثبات خاصة، ويجوز في نعم كسر العين وفتحها.

﴿نِد﴾ هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أنداد.

﴿أَنذَرَ﴾ أعلم بالمكروه قبل وقوعه، ومنه ﴿نَذِيرٌ﴾ و﴿مُنذِرٌ﴾ و﴿الْمُنذِرِينَ﴾ و﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: إنذاري فهو مصدر، ومنه ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، ونذر النذر بغير ألف، ومنه ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

﴿نَكَالِ﴾ له معنيان؛ العقوبة، والمعرة.

﴿نَجِّى﴾ بتشديد الجيم له معنيان؛ من النجاة، ومن النجوة وهو: الموضع المرتفع، ومنه ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ على قول.

﴿نَجْوَى﴾ معناه كلام خفي، ومنه ﴿نَاجَ﴾ و﴿قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾، وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

﴿نِسْيَان﴾ له معنيان؛ الذهول، ومنه ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، والترك، ومنه ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

﴿نَسْخُ﴾ له معنيان؛ الكتابة، ومنه ﴿نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والإزالة، ومنه ﴿مَا نَنسَخْ مِنَ ءَايَةٍ﴾.

﴿نَصْر﴾ بالصاد معروف، وبالسين: اسم صنم ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، واسم طائر أيضا.

﴿نُشُورًا﴾ خروج الناس من القبور، ويقال: أنشرهم الله فنشروا، والرياح ﴿نَشْرًا﴾ لأنها تنشر السحاب.

﴿نُشُوزا﴾ بالزاي له معنيان؛ شر بين الرجل والمرأة، وارتفاع، ومنه ﴿انشُزُوا﴾ أي: قوموا من المكان.

﴿نُزُل﴾ بضمتين: رزق وهو: ما يطعم الضيف.

﴿نَأى﴾ أي بعد، ومنه ﴿يَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾.

﴿نَكَصَ﴾ رجع إلى وراء.

﴿نَفَرَ﴾ نفورا عن الشيء، ونفر ينفر بضم المضارع، ومنه نفرت الدابة، ونفر ينفر بكسر المضارع ﴿نَفِيرًا﴾ أي: أسرع وجد، ومنه ﴿انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿نَبَأ﴾ خبر، ومنه اشتق ﴿النَّبِيءُ﴾ بالهمز، وترك الهمز تخفيفا، وقيل: إنه عند من ترك الهمز مشتق من النبوة وهي الارتفاع.

﴿نُطْفَةٍ﴾ أي: نقطة من ماء، ومنه ﴿خَلَقَكُمْ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: من المني.

﴿أَنَابَ﴾ إلى الشيء: رجع ومال إليه، ومنه ﴿مُّنِيب﴾.

﴿نفذ﴾ ينفذ أي: تم وانقطع.

﴿نَهَر﴾ بفتح الهاء: الوادي، ويجوز الإسكان، وأما ﴿السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ فهو من الانتهار، وهو الزجر.

﴿مُنِير﴾ من النور، وهو الضوء حسا أو معنى.

﴿نُصُبِ﴾ بضمتين، وبضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، بمعنى واحد، وهو: حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: ﴿أَنصَاب﴾.

﴿نَصَبٌ﴾ بفتحتين: تعب، و﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ أي: بلاء وشر.

﴿نقم﴾ الشيء ينقمه أي: كرهه وعابه.

﴿نَضِيد﴾ أي: منضود بعضه إلى بعض.

﴿نَكِير﴾ إنكار، ويقال: نكر الشيء وأنكره، بمعنى.

﴿يَنسِلُونَ﴾ من النسلان، وهو: الإسراع في المشي مع قرب الخُطَا.

حرف الصاد

﴿صِرَاطَ﴾ هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى الطريقة الدينية، وأصله السين، ثم قلبت صادا لحرف الإطباق بعدها، وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

﴿صَلاَةَ﴾ إذا كانت من الله فمعناها: رحمة، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيان: الدعاء، والأفعال المعلومة.

﴿صَوْم﴾ أصله في اللغة: الإمساك مطلقا، ثم استعمل شرعا: في الإمساك عن الطعام والشراب، وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾؛ لأنه إمساك عن الكلام.

﴿صَدَقَة﴾ تطلق على الزكاة الواجبة، وعلى التطوع،

ومنه ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بالتشديد؛ أي المتصدقين، وأما ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِين﴾ بالتخفيف: فهو من التصديق.

﴿صَدُقَ﴾ بضم الدال: صداق المرأة، ومنه ﴿وَآتُواْ النَّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾.

﴿الصِّدْق﴾ في القول: ضد الكذب، والصدق في الفعل: حسن النية فيه، والصدق في القصد: العزم الصادق.

﴿صَعَد﴾ يصعد أي: ارتفع، وأصعد بالألف يُصعد بالضم أي: أبعد في الهروب، ومنه ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾.

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: ترابا، والصعيد: وجه الأرض.

﴿صَدَّ﴾ له معنيان؛ فالمتعدي: بمعنى منع غيره من شيء، ومصدره: صد، ومضارعه: بالضم، وغيره بمعنى: أعرض، ومصدره: صدود.

﴿صَارَ﴾ له معنيان؛ من الانتقال، ومنه ﴿تَصِيرُ الأُمُورِ﴾ و﴿الْمَصِيرُ﴾ وبمعنى ضم، ومضارعه: يصور، ومنه ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

﴿صَاعِقَةٌ﴾ لها ثلاثة معان؛ الموت، وكل بلاء يصيب، وقطعة نار تنزل من شدة الرعد والمطر، وجمعها: ﴿صَوَاعِق﴾.

﴿أَصَرّ﴾ على الذنب يُصِرُّ إصرارا: أي دام عليه ولم يتب منه.

﴿صُوَاعَ﴾ مكيال وهو السقاية، والصاع، و﴿سُوَاعٌ﴾ بالسين: اسم صنم.

﴿صَابين﴾ قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله، وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب، وفيه لغتان: الهمز، وتركه، من صبأ إلى الشيء إذا مال إليه.

﴿تَصْطَلُون﴾ تفتعلون، من صلي بالنار إذا تسخن بها، والطاء بدل من تاء.

﴿اصْطَفَى﴾ أي: اختار، وأصله من الصفا أي: اتخذه صفيا.

﴿صَغَارٌ﴾ بفتح الصاد: ذلة، ومنه ﴿صَاغِرُون﴾ والصغير: ضد الكبير.

﴿صَدَفَ﴾ عن الشيء يصدف: أعرض عنه.

﴿صَرِيخ﴾ مغيث، ومنه ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾.

﴿صَلْصَالٍ﴾ طين يابس، فإذا مسته النار فهو: فخار.

﴿صَرْحُ﴾ قصر، وهو أيضا: البناء العالي.

حرف الضاد

﴿ضَرَبَ﴾ له أربعة معان؛ من الضرب باليد وشبهه، ومن ضرب الأمثال، ومن السفر، ومنه ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾، ومن الالتزام، ومنه ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي: ألزموها، و﴿ضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: ألقينا عليهم النوم، و﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ﴾ أي: يمسك عنكم التذكير.

﴿ضَاعَف﴾ الشيء كثره، ويجوز فيه التشديد، وضِعف الشيء: بكسر الضاد مثلاه، وقيل: مثله، و﴿الضِّعْفِ﴾ أيضا: العذاب، والضُّعف بالضم، ويجوز فيه الفتح.

﴿ضُرّ﴾ بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد، وكذلك الضَّير: بالياء، ومنه ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ و﴿الضَّرَّاءُ﴾ ما يصيب من المرض وشبهه.

﴿ضُحَىً﴾ أول النهار، والفعل منه: أضحى، وأما ضحِي: بكسر الحاء يضحى في المضارع فمعناه: برز للشمس وأصابه حرها، ومنه ﴿لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾.

﴿ضَيْف﴾ يقال للواحد والاثنين والجماعة.

﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد: مصدر، وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيف من ضيق المشدد، كميت وميت.

حرف العين

﴿عَاذَ﴾ بالله يعوذ؛ أي: استجار به ليدفع عنه ما يخاف، ويقال أيضا: استعاذ يستعيذ، ومنه ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾ و﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

﴿الْعَالَمِين﴾ جمع عالم، وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة، فجمعه جمع العقلاء، وقيل: الإنس خاصة لقوله: ﴿الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿يَعْمَهُون﴾ يتحيرون في ضلالهم، والعمه: الحيرة.

﴿عَدَلَ﴾ يعدل عدلا ضد جار، وعدل عن الحق عدولا، وعدلت فلانا بفلان: سويت بينهما، ومنه: ﴿بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾، وللعدل ثلاثة معان: ضد الجور، والفدية ومنها: ﴿لاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾، ومثل الشيء ومنه: ﴿أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

﴿عَزِيزٌ﴾ اسم الله تعالى معناه: الغالب، وعز: غلب، ومنه ﴿عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني، والغلبة ترجع إلى القوة والقدرة، ومنه ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا، وقيل: العزيز العديم المثل.

﴿عَفَا﴾ له أربعة معان؛ عفا عن الذنب أي: صفح عنه، وعفا: أسقط حقه، ومنه ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾، وعفا القوم: كثروا، ومنه ﴿حَتَّى عَفَواْ﴾، وعفا المنزل: درس.

﴿عَفْو﴾ له ثلاث معان؛ الصفح عن الذنب، والإسقاط، والسهل من غير كلفة، ومنه ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾.

﴿عَيْن﴾ له في القرآن معنيان؛ العين المبصرة، وعين الماء، وله في غير القرآن معان كثيرة.

﴿عِين﴾ بكسر العين: واسعات العين، وهو جمع عيناء.

﴿عَنَت﴾ معناه: الهلاك أو المشقة، ومنه ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي: أهلككم أو ضيق عليكم، والعنت أيضا: الزنا، ومنه ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، وأما ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ فليس من هذا؛ لأن لامه واو، فهو من عنا يعنو إذا خضع.

﴿عَاقَبَ﴾ له معنيان؛ من العقوبة على الذنب، ومن العقبى، ومنه ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنَ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: أصبتم عقبى.

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصولها، أعجز الشيء إذا فات ولم يقدر عليه، ومنه ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾، وأما ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بالألف فمعناه: مسابقين.

﴿عَال﴾ يعيل عيلة؛ أي: افتقر، ومنه ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾، وعال يعول: عدل عن الحق، وعال يعول أيضا: كثر عياله، والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال بالألف.

﴿عَرَج﴾ يعرج، بفتح الراء في الماضي، وضمها في المضارع: صعد وارتقى، ومنه ﴿الْمَعَارِج﴾ وعرِج بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع: صار أعرج.

﴿عُتْبَى﴾ معناه: الرضى، ومنه ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِين﴾ ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُون﴾، والعتاب: العدل.

﴿أَعَدَّ﴾ بالألف: يسر الشيء وهيأه، وعدّ بغير الألف: من العدد.

﴿عَـرْشُ﴾ سريـر الملـك، ومنـه ﴿وَرَفَـعَ أَبَوَيْـهِ عَلَى الْعَـرْشِ﴾ و﴿أَهَكَـذَا عَرْشُـكِ﴾، وعـرش الله فوق السموات، و﴿يَعْرِشُـون﴾ يبنون، و﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها.

﴿عَـوْرة﴾ أصـل معناه: الانكشـاف فيما يكره كشـفه ولذلـك قيل: عـورة الإنسـان، و﴿ثَلاثُ عَـوْرَاتٍ﴾ أي: أوقات انكشـاف، و﴿بُيُوتَنَا عَـوْرَةٌ﴾ أي: خالية معرضة للسراق.

﴿عَاقِرٌ﴾ له معنيان؛ المرأة العقيم، واسم فاعل من عقر الحيوان.

﴿عَـبَرَ﴾ يعبر، له معنيان؛ من عبـارة الرؤيا ومنه ﴿إِن كُنتُـمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُون﴾، ومن الجواز على الموضع ومنه ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾.

﴿عَمـون﴾ و﴿عَمِينَ﴾ جمع عم وهـو: صفة على وزن فعل بكـسر العين، من العمى في البـصر أو في البصيرة.

﴿عَـلاَ﴾ يعلو: تكـبر، ومنه ﴿قَوْمًـا عَالِين﴾ و﴿عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾، و﴿الْعَـلِيّ﴾ اسـم الله، و﴿الْمُتَعَـال﴾ و﴿الأَعْلَى﴾ من العلو بمعنى الجلال والعظمة، وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به.

﴿عزب﴾ الشيء: غاب، ومنه ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْ رَّبِّكَ﴾ أي: لا يخفى عنه.

﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة من العشرة إلى الأربعين.

﴿عَلَقَةٌ﴾ واحدة العلق وهو: الدم.

﴿عَاصِفٌ﴾ ريح شديدة.

﴿عَصْف﴾ ورق الزرع.

حرف الغين

﴿غِشَاوَة﴾ غطاء إما حقيقة أو مجاز.

﴿غَمَام﴾ هو: السحاب.

﴿غُلْفُ﴾ جمع أغلَفْ وهو: كل شيء جعلته في غلاف أي: قلوبنا محجوبة.

﴿غُرْفَـةٌ﴾ بضـم الغين لها معنيـان؛ المسـكن المرتفع، والغرفة من الماء بالضم والفتح: المرة الواحدة.

﴿غَادِرْ﴾: ترك، ومنه: ﴿لا يُغَادِرُ﴾.

﴿غَـلَّ﴾ يغل مـن الغلول وهـو: الخيانـة والأخذ من المغنم بغير حق، والغل: الحقد.

﴿أَغْـلاَل﴾ جمـع غل بالضم وهو: مـا يجعل في العنق، ومنه ﴿مَغْلُولَةً﴾.

﴿غلاَ﴾ يغلو من الغلـو وهو: مجاوزة الحد والإفراط، ومنه ﴿لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ أي: لا تجاوزوا الحق.

﴿غَآئِـط﴾ المكان المنخفـض، ثم اسـتعمل في حاجة الإنسان.

﴿غَشِيَ﴾ الأمر يغشـى؛ بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع؛ معناه: غطى حسا ومعنى، ومنه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ لأنه يغطي بظلامه، ويقال بالهمزة والتشديد، فيقال: غشى وأغشـى، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ يعني: ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم، ومنه ﴿غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، و﴿الْغَاشِيَة﴾ أيضا القيامة؛ لأنها تغشى الخلق.

﴿غَـبَرَ﴾ له معنيـان؛ ذهب، وبقـي، ومنـه ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِيـن﴾ أي: في الهالكـين الذاهبين أو في الباقين في العذاب.

﴿غُـرُور﴾ بضـم الغين مصدر، وبفتحها: اسـم فاعل مبالغة، ويراد به إبليس.

﴿غَاض﴾ الـشيء: نقـص، ومنـه ﴿وَغِيـضَ الْمَاء﴾

و﴿ تَغِيضُ الأَرْحَامُ ﴾، وغاظ يغيظ بالظاء المشالة من الغيظ.

﴿ غَوْر ﴾ أي غائر، من غار الماء إذا ذهب.

﴿ غَرَام ﴾ عذاب، ومنه ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُون ﴾، والمغرم: غرم المال، ومنه ﴿ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُون ﴾.

حرف الفاء

﴿ فُرْقَان ﴾ أي: يفرق بين الحق والباطل، ومنه ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ أي: تفرقة، ولذلك سمي القرآن بالفرقان.

﴿ فِئَةٌ ﴾ جماعة من الناس.

﴿ فِصَالُ ﴾ فطام من الرضاع.

﴿ فَضْل ﴾ له معنيان: الإحسان، والربح في التجارة وغيرها، ومنه ﴿ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾.

﴿ فِسْقٌ ﴾ أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر، وتارة بمعنى العصيان.

﴿ فِتْنَةٌ ﴾ لها ثلاثة معان؛ الكفر، والاختبار، والتعذيب.

﴿ فَاء ﴾ يفيء أي: رجع.

﴿ فُلْك ﴾ بضم الفاء: سفينة، ويستوي فيه المفرد والجمع.

﴿ فَلَكِ ﴾ بفتحتين: القطب الذي تدور به الكواكب.

﴿ فَزَع ﴾ له معنيان؛ الخوف، والإسراع، ومنه ﴿ إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ ﴾.

﴿ فَرِحَ ﴾ له معنيان؛ السرور، والبطر.

﴿ فَاحِشَةً ﴾ و﴿ فَحْشَاء ﴾: هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي.

﴿ فَرَضَ ﴾ له معنيان؛ الوجوب، والتقدير.

﴿ فَتَح ﴾ له معنيان؛ فتح الأبواب، ومنه فتح البلاد وشبهها، والحكم، ومنه ﴿ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾، ويقال للقاضي: فتاح، واسم الله الفتاح، قيل: الحاكم، وقيل: خالق النصر والفتح.

﴿ انفَضُّوا ﴾ أي تفرقوا.

﴿ فَطَرَ ﴾ خلقه ابتداء، ومنه ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، و﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ ﴾ الخلقة التي خلق الخلق عليها، وأفطر بالألف من الطعام.

﴿ فُطُور ﴾ شقوق، ومنه ﴿ انفَطَرَت ﴾ أي: انشقت، و﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾.

﴿ فَجٍّ ﴾ طريق واسع، وجمعه: فجاج.

﴿ فَارَ التَّنُّورُ ﴾ يقال لكل شيء هاج وعلا حتى فاض، ومنه ﴿ وَهِيَ تَفُور ﴾ وقولهم: فارت القدر.

﴿ فَوْجٌ ﴾ جماعة من الناس، وجمعه: أفواج.

﴿ فَاكِهِين ﴾ من التلذذ بالفاكهة، أو من الفكاهة: وهي السرور واللهو.

﴿ فُؤَاد ﴾ هو: القلب، وجمعه: أفئدة.

﴿ اسْتَفز ﴾ يستفز أي: استخف.

﴿ فقه ﴾ فهم، ومنه ﴿ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ و﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا ﴾.

﴿ في ﴾ حرف جر بمعنى الظرفية، وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنى مع، وقيل: بمعنى على.

﴿ الفاء ﴾ لها ثلاثة أنواع: عاطفة، ورابطة، وناصبة للفعل بإضمار أن، ومعناها: الترتيب والتعقيب والتسبب.

حرف القاف

﴿ قُرْآن ﴾ له معنيان؛ الكتاب العزيز، ومصدر قرأ؛ أي: تلا، ومنه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾.

﴿ قنوت ﴾ له خمسة معان؛ العبادة، والطاعة، والقيام في الصلاة، والدعاء، والسكوت.

﴿قَضَى﴾ له سبعة معان؛ الحكم، والأمر، والقدر السابق، وفعل الشيء، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشيء، ومنه ﴿قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾.

﴿قَدَرَ﴾ له خمسة معان؛ من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر والقضاء، وبمعنى التضييق نحو ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، وقد يشد الفعل ويخفف، والقدر بفتح الدال وإسكانها: القضاء، والمقدار بالفتح لا غير من القضاء.

﴿قَامَ﴾ له ثلاثة معان؛ من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه، ومنه ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه: ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

﴿أَقَامَ﴾ له ثلاثة معان؛ أقام الرجل غيره، من القيام، ومن التقويم، ومنه ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾، وأقام في الموضع سكن، ومنه ﴿مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم.

﴿قَيُّومُ﴾ اسم الله تعالى، وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور معناه: مدبر الخلائق في الدنيا والآخرة، ومنه: ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾.

﴿قِيَامُ﴾ له معنيان؛ مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه، وقيم بغير ألف جمع قيمة.

﴿قَرْض﴾ سلف، والفعل منه أقرض يقرض.

﴿أَقْسَط﴾ بالألف قسطا: عدل في الحكم، ومنه ﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، وقسط بغير ألف: جار، ومنه ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

﴿مَقَالِيدُ﴾ فيه قولان؛ خزائن، ومفاتح.

﴿قَدَّسَ﴾ يقدس من التنزيه والطهارة، وقيل: من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول، من النزاهة عما لا يليق به.

﴿قَالَ﴾ يقول من القول، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول وقيل، وقال يقيل من القايلة، ومنه ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ و﴿أَحْسَنُ مَقِيلاً﴾.

﴿قَفى﴾ اتبع، وأصله من القفا يقال: أقفوته إذا جئت في أثره، وقفّيت بالتشديد إذا سقت شيئا في أثره، ومنه ﴿وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾.

﴿قَرْن﴾ جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

﴿قَوَاعِد﴾ البيت: أساسه واحده قاعدة، و﴿الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ واحده قاعد؛ وهي العجوز.

﴿قُرْبَان﴾ ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها، وقربان أيضا: من القرابة.

﴿قَلَى﴾ يقلي: أبغض، ومنه ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ و﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾.

﴿اقْتَرَف﴾ اكتسب حسنة أو سيئة.

﴿قَصَص﴾ له معنيان؛ من الحديث، ومن قص الأثر، ومنه﴿عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ و﴿قُصِّيهِ﴾.

﴿قَرَرت﴾ به عينا، أقرّ بالكسر في الماضي والفتح في المضارع، وقررت بالمكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

﴿قِسْطَاس﴾ ميزان.

﴿قَتَرَ﴾ وقترة: غبار، وهو عبارة عن تغير الوجه و﴿قَتُور﴾ من التقتير.

﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية وأمر عظيم.

﴿قَبَس﴾ شعلة من نار.

﴿قَنَط﴾ يئس من الخير.

﴿قِرْطَاس﴾ صحيفة، وجمعه قراطيس.

حرف السين

﴿أَسْبَاط﴾ جمع سبط وهم: ذرية يعقوب عليه السلام، كان له اثنا عشر ولدا ذكرا فأعقب كل واحد منهم عقبا، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.

﴿سَبِيل﴾ هو الطريق وجمعه: سبل، ثم استعمل في طريق الخير والشر، و﴿سَبِيْلِ اللَّهِ﴾: الجهاد، و﴿ابْنِ السَّبِيْلِ﴾: الضيف، وقيل: الغريب.

﴿سَوَّى﴾ بالتشديد له معنيان؛ من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء، وبمعنى أتقن وأحسن، ومنه ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ﴾.

﴿سَوَاءُ﴾ بالفتح والهمز: من التسوية بين الأشياء، و﴿سَوَاءَ الْجَحِيمِ﴾ وسطها، و﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ قصد الطريق.

﴿سُوًى﴾ بالكسر والضم مع ترك الهمزة: استثناء، وقد يكون من التسوية.

﴿سُفَهَاء﴾ جمع سفيه، وهو: الناقص العقل، وأصل السفه الخفة، ولذلك قيل لمبذر المال: سَفِيه، وللكفار والمنافقين: سُفَهَاء.

﴿سَلْوَى﴾ طائر يشبه السَّماني، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المن.

﴿سَأَلَ﴾ له معنيان؛ طلب الشيء، والاستفهام عنه، و﴿سَالَ﴾ بغير همز: من المعنيين المذكورين، ومن السيل.

﴿سُبْحَانَ﴾ تنزيه، وسبحت الله أي: نزهته عما لا يليق به من الصاحبة، والولد، والشركاء، والأنداد، وصفات الحدوث، وجميع العيوب والنقائص.

﴿سَارَ﴾ يسير: مشى ليلا أو نهارا.

﴿سَرَى﴾ يسري: مشى ليلا، ويقال: ﴿أَسْرَى﴾ بألف.

﴿سَخِرَ﴾ يسخر: بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع أي: استهزأ. ﴿سَخَّرَ﴾ بالتشديد من التسخير.

﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين: من السخرة وهي تكليف الأعمال، وبالكسر: من الاستهزاء.

﴿سُلْطَان﴾ له معنيان؛ البرهان، والقوة، ومنه ﴿لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾.

﴿سَامَ﴾ يسوم أي: كلف الأمر وألزمه، ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ﴾، وأصله من سوم السلعة في البيع.

﴿سَئِمَ﴾ يسأم أي: مل، ومنه ﴿وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾.

﴿سُنَّة﴾ أي: عادة.

﴿سَلَفَ﴾ الأمر أي تقدم، وأسلفه الرجل أي: قدمه، ومنه ﴿هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾.

﴿سَرَّاء﴾ فعلاء من السرور.

﴿سَارَعَ﴾ إلى الشيء: بادر إليه.

﴿إِسْرَاف﴾ إفراط، و﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: المبذرون أو المفرطون في الكفر والمعاصي.

﴿سَوْءَة﴾ عورة، و﴿السُّوء﴾ ما يسوء بالفتح والضم، و﴿السُّوأَى﴾ فعلاء من السوء، و﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ فعل بهم السوء.

﴿سَنَة﴾ بفتح السين: عام، ولامها محذوفة وجمعها: ﴿سِنِينَ﴾، وقد يقال: بمعنى القحط والجدب.

﴿سِنَةٌ﴾ بكسر السين: ابتداء النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسن.

﴿سَلَكَ﴾ يسلك له معنيان؛ أدخل، ومنه: ﴿اسْلُكْ

يَدَكَ ﴾، و﴿ سَلَكَهُ يَنَابِيعَ ﴾ ومنه: سلوك الطريق.

﴿أَسْفَار﴾ جمع سَفَر بفتحتين، وجمع سِفر وهو الكتاب.

﴿سَاحَ﴾ يسيح أي: سار، ومنه ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ﴾، و﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون.

﴿سَوَّلَ﴾ بتشديد الواو: زين، ومنه ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

﴿سَرَابِيلُ﴾ جمع سربال وهو: القميص.

﴿سبأ﴾ قبيلة من العرب.

﴿سَمُومٍ﴾ شدة الحر.

﴿سَلاَمٌ﴾ له ثلاثة معان؛ التحية، والسلامة، والقول الحسن، ومنه ﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾.

﴿السَّلاَمُ﴾ اسم الله تعالى معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من أسماء التنزيه، وقيل: مسلم العباد من المهالك، وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

﴿سَلَم﴾ بفتحتين انقياد وإلقاء باليد، وهو أيضا بيع.

﴿سَلْم﴾ بفتح السين وإسكان اللام: صلح ومهادنة.

﴿سِلْمِ﴾ بكسر السين وإسكان اللام ومعناه: الإسلام.

﴿سُلَّمٌ﴾ بضم السين وفتح اللام مشددة: هو الذي يصعد فيه.

﴿أَسْلَمَ﴾ يسلم له ثلاث معان؛ الدخول في الإسلام، والإخلاص لله، والانقياد، ومنه ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾.

﴿سَعَى﴾ يسعى له ثلاث معان؛ عمل عملا، ومنه ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾، ومشى، ومنه ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وأسرع في مشيه، ومنه ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾.

﴿سَكَنَ﴾ يسكن له معنيان؛ من السكون ضد الحركة، ومن السكنى في الموضع.

﴿سَكِينَة﴾ وقار وطمأنينة.

﴿سَائِغٌ﴾ سهل للشرب لا يغص به من شربه.

﴿سَابِغَاتٍ﴾ دروع واسعات طوال.

﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما كتبه المتقدمون.

﴿مُصَيْطِر﴾ أي: مسلط، و﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُون﴾ أي: الأرباب.

﴿سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ثياب حرير، وقيل: السندس رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه.

﴿سُحْقًا﴾ بعدا، ومنه ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد.

﴿سَعِير﴾ جهنم، و﴿سُعِّرَت﴾ أوقدت.

﴿سَبَب﴾ وجمعه: أسباب، له خمسة معان؛ الحبل ومنه ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء﴾، والاستعارة من الحبل في المودة والقرابة ومنه ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾، والطريق ومنه ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾، والباب ومنه ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾، وسبب الأمر: موجبه.

حرف الشين

﴿شَعَرَ﴾ بالأمر يشعر أي: علمه، والشعور: العلم من طريق الحس، ومنه: ﴿لاَ يَشْعُرُون﴾.

﴿شَهِدَ﴾ يشهد له معنيان؛ من الشهادة على الشيء، ومن الحضور.

﴿شُهداء﴾ جمع شهيد وله ثلاثة معان: من الشهادة على الشيء، ومن الحضور، ومن الشهادة في سبيل الله.

﴿شُكْرًا﴾ قد تقدم في الحمد والشكر، و﴿الشَّكُور﴾ اسم الله تعالى المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب، وقيل: المثني على العباد.

﴿شَرَى﴾ أي: باع، وقد يكون بمعنى: اشترى

﴿شِقَاق﴾ عداوة ومعاندة، ومنه ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾

﴿شِهَابٌ﴾ كوكب، وقد يطلق على شعلة النار.

﴿شَجَرٌ﴾ هو كل ما ينبت في الأرض، و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا فيه.

﴿شَنَآنُ﴾ عداوة وشر، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.

﴿شَرَعِ الله﴾ الأمر أي: أمر به، والشريعة والشرعة: الملة، وشرعت الدواب في الماء.

﴿شَعَآئِرِ اللَّهِ﴾ معالم دينه، واحدها: شعيرة أو شعارة.

﴿شِرْكٌ﴾ له معنيان؛ من الإشراك، وهو أيضا النصيب، ومنه ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾.

﴿شُرَكَاء﴾ جمع شريك.

﴿مَشْحُون﴾ أي: مملوء.

حرف الهاء

﴿الْهُدَى﴾ له معنيان؛ الإرشاد والبيان، ومن البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، والإرشاد قد يكون إلى الطريق وإلى الدين، وبمعنى التوفيق والإلهام.

﴿هَدْي﴾ بفتح الهاء وإسكان الدال: ما يهدى إلى الكعبة من البهائم.

﴿هَاد﴾ يهود: أي تاب ومنه ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: تهودوا أي: صاروا يهودا، وأصله من قولهم: ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾.

﴿هُودُ﴾ له معنيان: اسم نبي عاد عليه السلام، وبمعنى اليهود، ومنه ﴿كُونُواْ هُودًا﴾.

﴿هَوَى﴾ النفس، مقصور، وهو: ما تحبه وتميل إليه، والفعل منه بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع، والهواء بالمد والهمز: ما بين السماء والأرض، ﴿وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآء﴾ أي: منخرقة لا تعي شيئا، وهوى يهوي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع: وقع من علو ويقال أيضا: بمعنى الميل، ومنه ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

﴿هَاجَرَ﴾ خرج من بلاده، ومنه سمي المهاجرون.

﴿هجر﴾ من الهجران، ومن الهجر أيضا وهو: فحش الكلام، وقد يقال في هذا: أهجر بالألف.

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: صيح، والإهلال: الصياح، ثم استعمل في الكلام بغير صياح، وفي النية أي: أريد به غير الله.

﴿مُهَيْمِنُ عَلَيْهِ﴾: أي شاهد، وقيل: مؤتمن، والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم، وقيل: الشاهد، وقيل: الرقيب.

﴿هَوان﴾ وهُون أي: ذل.

﴿مُهِين﴾ بضم الميم: مفعل مشتق من الهوان أي: مذل، وأما ﴿مَهِين﴾ بفتح الميم فمعناه: ضعيف أو ذليل.

حرف الواو

﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ بفتح الواو: ما توقد به من الحطب وشبهه، والوقود بالضم: المصدر.

﴿وَجْه﴾ له معنيان؛ الجارحة، والجهة، ومنه: ﴿وِجْهَةٌ﴾، وأما وجه في قوله: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: طلب رضاه، وفي قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ قيل: الوجه الذات، وقيل: صفة كاليدين، وهو من المتشابه.

﴿وَعَدَ﴾ يعد وعدا: بالخير، وقد يقال في الشر إذا قيد، وأوعد بالألف يوعد وعيدا: بالشر لا غير.

﴿وَدَّ﴾ يود، له معنيان؛ من المودة والمحبة، وبمعنى تمنى ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، والود بالضم: المحبة، و﴿وَدًّا﴾: اسم صنم بضم الواو وفتحها، ﴿وَدُودٌ﴾:

اسم الله تعالى أي: محب لأوليائه، وقيل: محبوب.

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة شر، وقيل: إن الويل واد في جهنم.

﴿وَجَبَ﴾ له معنيان؛ وجوب الحق، وبمعنى سقط كقولهم: وجب الحائط إذا سقط، ومنه: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾.

﴿وَسَط﴾ وأوسط، له معنيان؛ من التوسط بين الشيئين، وبمعنى الخيار والأحسن.

﴿وَسِعَ﴾ يسع سعة من الاتساع ضد الضيق، والسعة: الغنى، والواسع: اسم الله تعالى أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة، وقيل: ﴿وَاسِعٌ﴾ جواد.

﴿مُوسِع﴾ غني، أي: واسع الحال، وهو ضد المقتر، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قيل: أغنياء، وقيل: قادرون، و﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ طاقتها.

﴿وَلَّى﴾ له معنيان؛ أدبر، وجعل واليا، و﴿تَوَلَّى﴾ له ثلاث معان؛ أدبر، وأعرض بالبدن أو بالقلب، وصار واليا، واتخذ وليا، ومنه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر، والولي: اسم الله تعالى، قيل: ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق.

﴿مَوْلًى﴾ له سبعة معان؛ السيد الأعظم، والناصر، والولي أي: القريب، والمالك، والمعتق، وبمعنى أولى، ومنه: ﴿النَّارُ مَوْلاكُمْ﴾.

﴿ولج﴾ يلج أي: دخل، ومنه ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ وأولج: يولج أي أدخل، ومنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

﴿وَهَنَ﴾ يهن: ضعف، ومنه ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي: ضعف، والوهن: الضعف.

﴿وَرَدَ﴾ الماء يرده إذا جاء إليه، وأورده غيره، و﴿أَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ الذي يتقدمهم إلى الماء فيسقي لهم.

﴿أَوْزِعْنِي﴾ أي: ألهمني ووفقني.

﴿يُوزَعُون﴾ يدفعون.

﴿وَلِيد﴾ صبي وجمعه: ولدان.

﴿وَجِلَ﴾ يوجل وجلا: خاف، ومنه: ﴿لاَ تَوْجَلْ﴾ ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

﴿أَوْجَسَ﴾ وجد في نفسه وأضمر.

﴿وَارَى﴾ يواري: ستر، ومنه ﴿يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ و﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ و﴿تَوَارَى﴾ أي: استتر واستخفى.

﴿وطِئ﴾ يطأ، له ثلاث معان؛ جماع المرأة، ومن الوطء بالأقدام، ومنه ﴿أَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا﴾، والإهلاك، ومنه ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ﴾.

﴿وَقْر﴾ بفتح الواو هو: الصمم والثقل في الأذن، والوقر بكسر الواو: الحمل، ومنه ﴿فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا﴾.

﴿وَدْق﴾ هو: المطر.

﴿وَاصِب﴾ أي: دائم.

﴿وَكِيل﴾ كفيل بالأمر، وقيل: كاف.

﴿وِزْر﴾ بكسر الواو وإسكان الزاي له معنيان؛ الذنب ومنه: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، والحمل الثقيل، وهو الأصل، ومنه: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: أحمالا.

﴿وَزَر﴾ بفتحتين أي: ملجأ.

﴿وَزِير﴾ أي: معين، وأصله الوزر، بمعنى الثقل؛ كأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله.

﴿وَسْوَسَ﴾ الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه، و﴿الْوَسْوَاسِ﴾: الشيطان.

﴿أَوْحَى﴾ يوحي وحيا، له ثلاث معان؛ كلام الملك عن الله للأنبياء، ومنه قيل للقرآن وحي، وبمعنى الإلهام، ومنه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، وبمعنى الإشارة، ومنه ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾ أي: أشار.

﴿وَعَى﴾ العلم يعي: حفظه، ومنه ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، وأوعى بالألف يوعي: جمع المال في الوعاء، ومنه ﴿جَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

حرف الياء

﴿يَمِين﴾ له أربعة معان؛ اليد اليمنى، والجهة اليمنى، وبمعنى القوة، وبمعنى الحلف، أيمن أي: إلى الجهة اليمنى.

﴿يَسِير﴾ له معنيان؛ قليل ومنه ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾، وهين ومنه ﴿ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، واليسر ضد العسر.

﴿يَئِسَ﴾ من الأمر ييأس، أي: انقطع رجاؤه، ومنه ﴿لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ و﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾، وأما ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فمعناه: ألم يعلم.

﴿يَمّ﴾ هو: البحر.

﴿مَيْسِر﴾ هو: القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك، وهو مأخوذ من: يسر لي كذا إذا وجب، واليسر بفتح الياء والسين: الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار، وميسر العرب أنهم كان لهم عشرة قداح وهي الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضهم لا نصيب له ويجزؤونها عشرة أجزاء، ثم يدخلون الأزلام في خريطة، ويضعونها على يد عدل، ثم يدخل يده فيها، فيخرج باسم رجل قدحا، فمن خرج له قدح له نصيب أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له غرم ثمن الناقة كلها.

﴿يَنبُوع﴾ أي: عين من ماء، والجمع: ينابيع.

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

الكلام على الاستعاذة

فيه عشرة فوائد من فنون مختلفة:

الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو المروي عن النبي ﷺ [البخاري: 5764] والمختار عند القراء، وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهو مروي أيضا عن النبي ﷺ [أبو داود: 775]، وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد؛ وهي محدثة.

الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتدأ أول سورة، أو جزء سورة، والأمر بذلك على الندب.

الثالثة: يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار، وروي الإخفاء عن حمزة ونافع.

الرابعة: لا يتعوذ في الصلاة عند مالك، ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة، وفي كل ركعة عند قوم؛ فحجة مالك عمل أهل المدينة، وحجة غيره قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وذلك يعم الصلاة وغيرها.

الخامسة: إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء، وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾.

السادسة: «الشيطان» يحتمل أن يراد به الجنس؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين، أو العهد؛ فالاستعاذة من إبليس، وهو مشتق من شَطَنَ إذا بَعُدَ، فالنون أصلية والياء زائدة، ووزنه فيعال، وقيل: من شاط إذا هاج، فالنون زائدة والياء أصلية، ووزنه فعلان، وإنْ سُميت به لم يَنْصَرِفْ على الثاني؛ لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأول.

السابعة: «الرجيم» فعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين؛ أن يكون بمعنى لعين وطريد، وهذا يناسب إبليس لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، وأن يكون من الرجيم بالنجوم، وهذا يناسب الجنس؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾، والأول أظهر.

الثامنة: مَن استعاذ بالله صادقا أعاذه الله؛ فعليك بالصدق، ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله؛ ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه**» [مسلم: 2366].

التاسعة: الشيطان عدو، وحذر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال عاديته، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم؛

بسم الله الرحمن الرحيم

فيأمره أولا بالكفر ويشككه في الإيمان، فإن قدر عليه وإلا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة، فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

العاشرة: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق؛ فعلاج الشيطان بالاستعاذة منه والمخالفة له، وعلاج النفس بالقهر، وعلاج الدنيا بالزهد، وعلاج الخلق بالانقباض والعزلة.

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد:

الأولى: ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها إلا من النمل خاصة، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة، وعند ابن عباس ﷺ آية من كل سورة؛ فحجة مالك ما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**نزلت علي سورة، ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها**» ثم قال: «**الحمد لله رب العالمين**» [الموطأ: 186] ولم يذكر البسملة، وكذلك في الحديث الصحيح: «**إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين**» [مسلم: 395] فبدأ بها دون البسملة، وحجة الشافعي ما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ «**بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين**»، وحجة ابن عباس ﷺ: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

الثانية: إذا ابتدأت أول سورة بسملت إلا براءة، وسنذكر علة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة؛ فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى؛ فاختلف القراء في البسملة وتركها.

الثالثة: لا يبسمل في الصلاة عند مالك، ويبسمل عند الشافعي جهرا في الجهر وسرا في السر، وعند أبي حنيفة سرا في الجهر والسر؛ فحجة مالك من وجهين؛ أحدهما: أنها ليست عنده آية من الفاتحة حسبما ذكرنا، والآخر: الحديث الصحيح عن أنس ﷺ أنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بـ«**الحمد لله رب العالمين**» [مسلم: 399] لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها، وحجة الشافعي من وجهين؛ أحدهما: أن البسملة عنده آية من الفاتحة، والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا.

الرابعة: كانوا يكتبون: باسمك اللهم، حتى نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ فكتبوا: بسم الله، حتى نزل ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ فكتبوا: بسم الله الرحمن، حتى نزل ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فكتبوها، وحذفت الألف من «بسم الله» لكثرة الاستعمال.

....

الخامسة: البـاء من «بسـم اللَّهِ» متعلقة باسـم محذوف عند البصريـين؛ والتقدير: ابتدائي كائن بسـم الله، فموضعهـا رفـع، وعند الكوفيـين تتعلق بفعـل تقديره: أبـدأ أو أتلـو، فموضعها نصب، وينبغـي أن يقدر متأخـرا، لوجهـين؛ أحدهمـا: إفادة الحـصر والاختصاص، والأخـرى: تقديم اسـم الله اعتناء كـما قدم في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾.

السادسة: الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفة، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامـة؛ ففاؤه واو محذوفة، ودليل البصريين التصغير والتكسـير؛ لأنهما يـردان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسـماء وسـمي دليل على أن الفاء هي السـين وأن اللام حرف علة، وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأن الاسم علامة على المسمى.

السـابعة: قولك «اللَّهُ»، اسـم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف، وقيل: إنه مشـتق من التأله وهو التعبد، وقيل: من الولهان وهو الحيرة؛ لتحير العقول في شأنه، وقيل: أصله إله من غير ألف ولام ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ثم أدخلت عليه الألف واللام، وقيل: أصله الإله بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في الأرض وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى، وفُخِّمَ للتعظيم إلَّا إذا كان قبلَهُ كسرة.

الثامنـة: «الرَّحمـن الرَّحيم» صفتان من الرحمة ومعناها؛ الإحسـان فهي صفة فعل، وقيل: إرادة الإحسـان فهي صفة ذات.

التاسـعة: الفـرق بين «الرَّحمن» و«الرَّحيم» على ما روي عن رسـول الله ﷺ؛ أنَّ الرحمـن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة، وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين؛ لقوله ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل: الرحيم أبلغ لوقوعه بعده على طريق الارتقاء إلى الأعلى.

العاشرة: إنما قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١﴾

سورة أم القرآن

وتسمى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني. وفيها عشرون فائدة سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها، واختلف هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، إلا أن الشافعي يعد البسملة آية منها، والمالكي يسقطها ويعد «أنعمت عليهم» آية.

الفائدة الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وحجتها قوله ﷺ: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»** [البخاري 756]، وحجة أبي حنيفة قوله ﷺ للذي علمه الصلاة: **«اقرأ ما تيسر من القرآن»** [البخاري 757].

الثانية: اختلف هل أول الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد أي: قولوا الحمد لله، أو هو ابتداء كلام الله، ولا بد من إضمار القول في «إياك نعبد» وما بعده.

الثالثة: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر، ويكون ثناء ابتداء، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح، فإذا فهمت عموم «الحمد» علمت أن قولك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي الثناء عليه بما هو أهله من الجلال، والعظمة، والواحدانية، والعزة، والإفضال، والعلم، والقدرة، والحكمة، وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكره، والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول الخلائق، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه وآخر دعوى أهل الجنة.

الرابعة: الشكر باللسان: هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعمة، قال رسول الله ﷺ: **«التحدث بالنعمة شكر»** [أحمد: 18449]. والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد. واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنيوية كالعافية والمال، ونعم دينية كالعلم والتقوى، ونعم أخروية؛ وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير. والناس في الشكر على مقامين: منهم من يشكره على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم. والشكر على ثلاث درجات؛ فدرجات العوام: الشكر على النعم، ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن رؤية النعمة بمشاهدة المنعم، قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أعطوا شكروا، وإذا منعوا صبروا، فقال إبراهيم: هذه

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾

أخلاق الكلاب، ولكن الفقراء إذا منعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا. ومن فضيلة الشكر؛ أنه من صفات الحق ومن صفة الخلق، فإن من أسماء الله تعالى: الشاكر والشكور، وقد فسرتها في اللغات.

الخامسة: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلا الله» من وجهين: أحدهما: ما خرجه النسائي [10608] عن رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين، كتبت له ثلاثون حسنة**»، والثاني: أن التوحيد الذي تقتضيه: لا إله إلا الله؛ حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدمنا. وأما قوله ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**» [الترمذي: 3934] فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك وزادت عليها، وهذا لمؤمن يقولها لطلب الثواب، وأما لو دخل في الإسلام فيتعين عليه: لا إله إلا الله.

السادسة: الرب: وزنه فعِل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح، وكلها تصلح في «رب العالمين» إلا أن الأرجح معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى، كما أن الأرجح في «العالمين» أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى فيعم جميع المخلوقات.

السابعة: ﴿مَلِكِ﴾ قرأه الجماعة بغير ألف من الملك، وقرأه عاصم والكسائي بالألف؛ والتقدير على هذا: مالك مجيء يوم الدين أو مالك الأمر يوم الدين، وقراءة الجماعة أرجح لثلاثة أوجه؛ الأول: أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس، والثاني: قوله ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾، والثالث: أنها لا تقتضي حذفا والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها: مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل، وأما قراءة الجماعة بإضافة «ملك» إلى «يوم الدين» فهي على طريق الاتساع، وأجري الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية؛ أي: الملك في يوم الدين، ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين، فيكون فيه حذف، وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد قرئ «ملك» بوجوه كثيرة تركناها لأنها شاذة.

الثامنة: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ و﴿مَلِكِ﴾ صفات، فإن قيل: كيف جر «ملك»، و«مالك» صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟ فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائما فإضافته محضة.

الفائدة التاسعة: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو يوم القيامة، ويصلح هنا من معاني «الدين»: الحساب، والجزاء، والقهر، ومنه ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾.

الفائدة العاشرة: ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدم ليفيد الحصر؛ فإن تقديم

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

المعمولات يقتضي الحصر؛ فاقتضى قول العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أنه يعبد الله وحده، واقتضى قوله «إياك نستعين» اعترافا بالعجز والفقر وأنه لا يستعين إلا بالله وحده.

الحادية عشرة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأن الحق بين ذلك.

الثانية عشرة: ﴿اهدِنَا﴾ دعاء بالهدى، فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟ فالجواب: أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت أو الزيادة منه؛ فإن الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

الثالثة عشرة: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأن تلك هي السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة، وكذلك قدم «الرحمن الرحيم» على «ملك يوم الدين»؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدم «إياك نعبد» على «إياك نستعين»؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

الرابعة عشرة: ذكر الله في أول هذه السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في «إياك» وما بعده، وذلك يسمى الالتفات، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناجاه.

الخامسة عشرة: ﴿الصِّرَاطَ﴾ في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى عليه، ثم استعير للطريق الذي يكون عليه الإنسان من الخير أو الشر، ومعنى ﴿المُستَقِيمَ﴾: القويم الذي لا عوج فيه، فـ«الصراط المستقيم»: الإسلام، وقيل: القرآن، والمعنيان متقاربان؛ لأن القرآن تضمن شرائع الإسلام، وكلاهما مروي عن النبي ﷺ وقرئ «الصراط» بالصاد، والسين، وبين الصاد والزاي، وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة، والأصل فيه السين وإنما أبدل صادا لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر.

السادسة عشرة: ﴿الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ قال ابن عباس ﵄: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل: المؤمنون. وقيل: الصحابة. وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا. والأول أرجح لعمومه، ولقوله ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾.

السابعة عشرة: إعراب ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ بدل، ويبعد النعت؛ لأن إضافته غير محضة، وهو قد جرى على معرفة، وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال.

الثامنة عشرة: أسند ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ إلى الله، والغضب إلى ما لم يسم فاعله على وجه التأدب، كقوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، و«عليهم» الأول في موضع نصب، والثاني في موضع رفع.

التاسعة عشرة: ﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ اليهود و﴿الضَّالِّين﴾ النصارى، قاله ابن عباس وابن مسعود ﵄ وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ [أحمد:20887]، وقيل: ذلك عام في كل مغضوب عليه وكل ضال،

....

والأول أرجح لأربعة أوجه؛ روايته عن النبي ﷺ، وجلالة قائليه، وتكرارُ «لا» في قوله «ولا الضالين» دليلٌ على تغاير الطائفتين، وأنَّ الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله ﴿فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ﴾، والضلال صفة النصارى؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم، ولقول الله فيهم ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾.

الموفية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن كله، فكأنها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل الباب الثالث من المقدمة الأولى تعلم ذلك، فالإلهيات حاصلة في قوله ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، والدار الآخرة في قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والشريعة كلها في قوله ﴿الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، والأنبياء وغيرهم في قوله ﴿الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾، وذكر طوائف الكفار في قوله ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

خاتمة: أمر بالتأمين عند ختم الفاتحة للدعاء الذي فيها، وقولك «آمين» اسم فعل معناه: اللهم استجب، وقيل: هو من أسماء الله. ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم. ويؤمن في الصلاة المأموم والفذ والإمام إذا أسر، واختلف إذا جهر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

سورة البقرة

﴿الم﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور وهي: ﴿المص﴾ و﴿الر﴾ و﴿المر﴾ و﴿كهيعص﴾ و﴿طه﴾ و﴿طسم﴾ و﴿طس﴾ و﴿يس﴾ و﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿حم﴾ و﴿عسق﴾ و﴿ن﴾ فقال قوم لا تفسر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، قال أبو بكر الصديق ﷺ: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح السور. وقال قوم: تفسر؛ ثم اختلفوا فيها، فقيل: هي أسماء السور، وقيل: أسماء الله، وقيل: أشياء أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات؛ فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد ﷺ. ومثل ذلك في سائرها. وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بعدد "حروف أبجد" على السنين التي تبقي هذه الأمة، وسمع النبي ﷺ ذلك فلم ينكره [التاريخ الكبير: 208/2]. وقد جمع أبو القاسم السهيلي عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة. وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معانيها، فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض؛ فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر، والنصب على أنها مفعولة بفعل مضمر، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك: الله لأفعلن، وإنما سكنت؛ لأنها لم يدخل عليها عامل يقتضي حركة، فسكونها للوقف لا للبناء، كقوله في العدد: واحد اثنان.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو هنا القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ؛ والأول هو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام، وتشهد له مواضع من القرآن. فالمقصود فيها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن باتفاق، وخبر "ذلك" "لا ريب فيه" وقيل: خبره "الكتاب" فعلى هذا "ذلك الكتاب" جملة مستقلة فيوقف عليها. ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر وفي اعتقاد أهل الحق، ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل، وخبر "لا" "فيه" فيوقف عليه، وقيل: خبرها محذوف فيوقف "لا ريب" والأول أرجح لتعينه في قوله "لا ريب فيه" في مواضع أخر. فإن قيل: فهلا قدم قوله "فيه" على الريب كقوله ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾؟ فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه، ولو قدم "فيه" لكان إشارة إلى أن ثم كتابا آخر فيه ريب؛ كما أن ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده فلم يقدم الخبر. ﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وإعرابه: خبر المبتدأ، أو مبتدأ وخبره "فيه" عند من يقف على "ريب"، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مفتعلين من التقوى، وقد تقدم معناه في اللغات، فنتكلم على التقوى في ثلاثة فصول: **الأول**: في فضائله المستنبطة من القرآن: وهي خمس عشرة: **الهدى** لقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، و**النصرة** لقوله ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾، و**الولاية** لقوله ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾، و**المحبة** لقوله

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، **والمعرفة** لقوله ﴿إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ الآية، **والمخرج من الغم، والرزق من حيث لا يحتسب** لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾، **وتيسير الأمور** لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، **وغفران الذنوب، وإعظام الأجور** لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾، **وتقبل الأعمال** لقوله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، **والفلاح** لقوله ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، **والبشرى** لقوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، **ودخول الجنة** لقوله ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، **والنجاة من النار** لقوله ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

الفصل الثاني: البواعث على التقوى وهي عشرة: خوف العقاب الدنيوي، وخوف العقاب الأخروي، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الأخروي، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته، والعلم لقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

ولله در القائل:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها	بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمإ	وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس: **أن يتقي** العبد الكفر وذلك مقام الإسلام، **وأن يتقي** المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة، **وأن يتقي** الشبهات وهو مقام الورع، **وأن يتقي** المباحات وهو مقام الزهد، **وأن يتقي** حضور غير الله عز وجل على قلبه وهو مقام المشاهدة.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان: يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها؛ فالغيب على هذا بمعنى الغائب؛ إما من تسميته بالمصدر كعدل، وإما تخفيفا من فعيل كميت، والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم أي باطنا وظاهرا، و"بالغيب" على القول الأول يتعلق بـ"يومنون" وعلى الثاني في موضع الحال، ويجوز في "الذين" أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أو رفعا على أنه خبر ابتداء. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ إقامتها: عملها من قولك: قامت السوق وشبه ذلك، والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها بالإخلاص لله تعالى في فعلها، وتوفية شروطها وأركانها وسننها وفضائلها، وحضور القلب والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل. ﴿يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الزكاة لاقترانها مع الصلاة، والثاني: أنه التطوع،

وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

والثالث: العموم وهو أرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات، أو هم غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة، أو مبتدأ وخبره الجملة بعده. ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن. ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية؛ فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل، فإن كان "الذين" للجنس فلفظها عام يراد به الخصوص، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم فقيل: المراد من قتل ببدر من كفار قريش وقيل: المراد حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان. ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر "إن"، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فاعل به لأنه في تقدير المصدر، أو"سواء" مبتدأ و"أنذرتهم" خبره، أو العكس وهو أحسن، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه؛ استئناف للبيان أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضا و"لا يومنون" الخبر، والهمزة في "ءأنذرتهم" بمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام. ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ الآية، تعليل لعدم إيمانهم وهو عبارة عن إضلالهم؛ فهو مجاز، وقيل: حقيقة، وإن القلب كالكف يقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه، والأول أبدع. ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على "قلوبهم" فيوقف عليه، وقيل: الوقف "على قلوبهم" والسمع راجع إلى ما بعده، والأول أرجح لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾. ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافا لمن منعه، ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أصل الناس: أناس؛ لأنه مشتق من الإنس، وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا. ﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في "الناس" للجنس فـ"من" موصوفة، وإن جعلتها للعهد فـ"من" موصولة، وأفرد الضمير في "يقول" رعيا للفظ "من". ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول يظهرون الإسلام ويسرون الكفر، ويسمى الآن من كان كذلك: زنديقا؛ وهم في الآخرة مخلدون في النار، وأما في الدنيا فإن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم، وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب مالك: القتل دون الاستتابة، ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل،

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾

فإن قيل: كيف جاء قولهم "آمنا" جملة فعلية "وما هم بمومنين" جملة اسمية فهلا طابقتها؟ فالجواب: أن قوله "وما هم بمومنين" أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم من أن لو قال: وما آمنوا، فإن قيل: لم جاء قولهم "آمنا" مقيدا "بالله وباليوم الآخر"، و "وما هم بمومنين" مطلقا؟ فالجواب: أنه يحتمل وجهين: التقييد وتَرَكَهُ لدلالة الأول عليه، والإطلاق وهو أعم في سلبهم عن الإيمان. ﴿يُخَادِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون، وقيل: معناه يخدعون رسول الله ﷺ والأول أظهر. ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُم﴾ أي: وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ "وما يخدعون" بفتح الياء من غير ألف من خدع، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تم له. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حذف مفعوله أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم. ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يحتمل أن يكون حقيقة؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد. ﴿فَزَادَهُمُ﴾ يحتمل الدعاء والخبر. ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي يكذبون الرسول ﷺ، وقرئ بالتخفيف أي "يكذبون" في قولهم: "آمنا". ﴿لاَ تُفْسِدُواْ﴾ أي بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل أن يكون جحودا للكفر لقولهم "آمنا" واعتقادا أنهم على إصلاح. ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل، و"ما" تحتمل أن تكون كافة كما هي في "ربما" وأن تكون مصدرية. ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ إنكار منهم وتقبيح. ﴿هُمُ السُّفَهَآءُ﴾ رد عليهم وإناطة السفه بهم، وكذلك ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم، وأكده بـ"إن" وبـ"ألا" التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب. ﴿قَالُواْ ءَامَنَّا﴾ كذبوا خوفا من المؤمنين. ﴿خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ هم رؤساء الكفار، وقيل شياطين الجن وهو بعيد، وتعدى خلا بـ"إلى" لأنه ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا، وقيل: "إلى" بمعنى مع أو بمعنى الباء، وجاء قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمُ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ جملة اسمية مبالغة وتأكيدا بخلاف قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم.

ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: تسمية العقوبة باسم الذنب كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ وقيل: يملي لهم بدليل قوله ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزاء بهم، كما جاء في سورة الحديد ﴿ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا﴾ الآية. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم، وقيل: يملي لهم، وقد ذكرنا ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم في الضلالة؛ فهو مجاز بديع ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز؛ لما ذكر الشراء ذكر ما يتبعه من الربح والخسران، وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا؛ لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر. ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء أو على الإطلاق، وقال الزمخشري: نفى الربح في قوله "فما ربحت" ونفى سلامة رأس المال في قوله "وما كانوا مهتدين".

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه، وإن كان المثل هنا بمعنى الشبْه فالكاف زائدة. ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ أي: أوقد، وقيل: طلب الوقود على الأصل في استفعل. ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ إن تعدى فـ"ما حوله" مفعول به، وإن لم يتعد فـ"ما" زائدة أو ظرفية. ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهبه، وهذه الجملة جواب "لمَّا"، فالضمير في "نورهم" عائد على "الذي"، وهو على هذا بمعنى "الذين" وحذف النون منه لغة، وقيل: جواب "لما" محذوف تقديره: طفيت النار و"ذهب الله بنورهم" جملة مستأنفة، والضمير عائد على المنافقين، فعلى هذا يكون "الذي" على بابه من الإفراد والأول أرجح، والأرجح أنه إنما أعيد عليه ضمير الجماعة؛ لأنه لم يقصد بـ"الذي" واحدا بعينه، وإنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه لأنهم جماعة، فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده، الثاني: أن اختفاء كفرهم كالنور وفضيحتهم بعده كالظلمة، والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر بعده فإيمانه نور وكفره بعده ظلمة، ويرجح هذا قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: ذهب الله بضوئهم؛ مشاكلة لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؟ فالجواب: أن ذهاب النور أبلغ؛ لأنه إذهاب للقليل والكثير بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير. ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يحتمل أن يراد به المنافقون أو المستوقدون المشبه بهم، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فَقْدُ الحواس. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به

أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ

المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى، وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحيرون في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق. ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على الذي استوقد والتقدير: أو كصاحب صيب، و"أو" للتنويع؛ لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين، والصيب المطر، وأصله صيوب، ووزنه فيعل، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب، وفي قوله: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوته وشدة انصبابه، قال ابن مسعود ﷺ: إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلا للمنافقين. وقيل: المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فَضَلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه، وهذا تشبيه على الجملة، وقيل: إن التشبيه على التفصيل؛ فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام، والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة، فإن قيل: لم قال: ﴿رَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمَاتٌ﴾؟ فالجواب: أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ويحتمل أن يكونا اسمين وترك جمعهما؛ لأنهما في الأصل مصدران.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق، قال ابن مسعود ﷺ: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ فهو على هذا حقيقة في المنافقين، و"الصواعق" على هذا: ما يكرهونه من القرآن و﴿الْمَوْتِ﴾ هو ما يتخوفونه فهما مجازان، وقيل: إنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم، و"الصواعق" على هذا حقيقة وهي التي تكون مع المطر من شدة الرعد ونزول قطعة النار، و"الموت" أيضا حقيقة، وقيل: إنه راجع إلى المنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد، فإن قيل: لم قال: "أصابعهم" ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي أصلا تجعل في الآذان؟ فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة. ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقون فهو بيِّنُ المعنى، وإن رجع إلى المنافقين فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين؛ أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم. والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان.

وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان ثبتوا على كفرهم، وقيل: إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه فهذا مثل الظلمة، فإن قيل: لم قال مع الإضاءة "كلما" ومع الظلام "إذا"؟ فالجواب: أنهم لما كانوا حُراصا على المشي ذكر معه "كلما" لأنها تقتضي التكرار والكثرة. ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ﴾ الآية، إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم، والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية، لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف المؤمنين والكافرين والمنافقين، أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله، وجاءت الدعوة عامة لجميع الناس لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس. ﴿اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته؛ فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق "بخلقكم" أي: خلقكم لتتقوه كقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي: دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون، وهذا أحسن، وقيل: يتعلق بقوله ﴿اعْبُدُواْ﴾ وهذا ضعيف، وإن كانت "لعل" للترجي فتأويله؛ أنه في حق المخلوقين، جريا على عادة كلام العرب، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو: عسى، فإذا قالها الله فمعناها: إطماع العباد، وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى. ﴿الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز، وكذلك ﴿السَّمَآءَ بِنَآءً﴾. ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ "من" للتبعيض أو لبيان الجنس؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها، والباء في "به" سببية كقولك: كتبت بالقلم؛ لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى. ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ﴾ "لا" ناهية أو نافية، وانتصب الفعل بإضمار "أن" بعد الفاء في جواب "اعبدوا"، والأول أظهر. ﴿أَندَاداً﴾ يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جل وعلا. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي: وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين، وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق، ويتعلق قوله "فلا تجعلوا" بما تقدم من البراهين، ويحتمل أن يتعلق بقوله "اعبدوا" والأول أظهر.

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ

فوائد ثلاث: الأولى: هذه الآية تضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين؛ أحدهما: إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والثمرات والمطر، والأخرى: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق والإنعام؛ فذكر أولا ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقته لهم ولآبائهم لأن الخالق يستحق أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ومن إنزال المطر وإخراج الثمرات؛ لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر، وانظر قوله: "جعل لكم" و"رزقا لكم" يدلك على ذلك لتخصيص ذلك بهم، فما أجملها من ملاطفة وخطاب بديع!. **الثانية:** المقصود الأعظم من هذه الآية؛ الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها "فلا تجعلوا لله أندادا" وذلك هو الذي يترجم عنه بقولنا: لا إله إلا الله، فيقتضي ذلك الأمر الدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد وقول لا إله إلا الله. **الثالثة:** تكرر في القرآن ذكر المخلوقات والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار، وذلك أنها تدل بالعقل على عشرة أمور وهي: أن الله **موجود؛** لأن الصنعة تدل على الصانع لا محالة، وأنه **واحد لا شريك له؛** لأنه لا خالق إلا هو ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وأنه **حي قدير عالم مريد؛** لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع إذ لا تصدر صنعة عمن عدم صفة منها، وأنه **قديم؛** لأنه صانع للمحدثات فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث، وأنه **باق؛** لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وأنه **حكيم؛** لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت، وأنه **رحيم؛** لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته. فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله "لعلكم تتقون" على المخاطبين دون الذين من قبلهم مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟ فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمراد الجميع، فإن قيل: هلا قال: لعلكم تعبدون مناسبة لقوله "اعبدوا"؟ فالجواب: أن التقوى غاية العبادة وكمالها فكان قوله "تتقون" أبلغ وأوقع في النفوس. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية، إثبات لنبوة محمد ﷺ بإقامة الدليل على أن القرآن الذي جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة، فإن قيل: كيف قال "إن كنتم في ريب" ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟ فالجواب: أنه ذكر حرف "إن" إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر الواقع، لبعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبي ﷺ والعبودية على وجهين؛ عامة: وهي التي بمعنى الملك، وخاصة: وهي التي يراد بها التشريف والتخصيص، وهي من أشرف أوصاف العباد، ولله در القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمر يراد به التعجيز. ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد على "ما نزلنا" وهو القرآن، و"من" لبيان

وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

الجنس، وقيل: يعود على النبي ﷺ، فـ"من" على هذا لابتداء الغاية ومعناه: من بشر مثله، والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود، ومعنى "مثله" في فصاحته وفيما تضمن من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة. ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم. ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله، وقيل: هو من الدني الحقير، فهو مقلوب اللفظ. ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبار بغيب ظهر مصداقه في الوجود إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن مع فصاحة العرب في زمان نزوله وتصرفهم في الكلام وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى، وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين؛ أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح، والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه، والإعجاز حاصل على الوجهين، وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمات. ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ أي: فآمنوا لتنجوا من النار، وعبر باللازم عن ملازمه؛ لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف. ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها. ﴿الْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود ﷺ: هي حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها، وقيل: الحجارة المعبودة، وقيل: الحجارة على الإطلاق. ﴿أُعِدَّتْ﴾ دليل على أنها قد خلقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة خلافا لمن قال: إنها تخلق يوم القيامة، وكذلك الجنة. ﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ، أو خطابا لكل واحد، ورجح الزمخشري هذا لأنه أفخم. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه، خلافا لمن قال: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيها وهي: أنهار الماء واللبن والخمر والعسل، وهكذا تفسيره حيث وقع، وروي: أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود. ﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ "من" الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس، و"من" الثانية لبيان الجنس. ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا بدليل قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: في الدنيا؛ فإن في الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها في المطعم والمنظر. ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ أي: يشبه ثمر الدنيا في جنسه، وقيل: يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في المطعم، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذي يدل عليه المعنى. ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء، ومن سائر الأقذار التي لا تختص بالنساء كالبول وغيره، ويحتمل أن يريد به طهارة الطباع وطيب الأخلاق.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ تأول قوم؛ أن معناه لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك، وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله ﷺ: «إن الله حي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا» [الترمذي: 3904]. ﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية؛ أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك، وقيل: لما ضرب المثلين المتقدمين في المنافقين تكلموا في ذلك فنزلت الآية ردا عليهم. ﴿مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب "بعوضة" مفعول بـ"يضرب" و"مثلا" حال، أو "مثلا" مفعول و"بعوضة" بدل منه أو عطف بيان، أو هما مفعولان بـ"يضرب" لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين كجعل، و"ما" صفة للنكرة أو زائدة. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكبر، وقيل: في الصغر، والأول أظهر. ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة وضرب أمثال وبيان للناس، ولأن الصادق جاء بها من عند الله ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ لفظه لفظ الاستفهام ومعناه: الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب، وفي إعراب "ماذا" وجهان؛ أن تكون "ما" مبتدأ و"ذا" خبره وهي موصولة، وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بـ"أراد"، و"مثلا" منصوب على الحال أو التمييز. ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ من كلام الله جوابا للذين قالوا "ماذا أراد الله بهذا مثلا"، وهو أيضا تفسير لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال. ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم من الإيمان بمحمد ﷺ، ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدم في وصفهم. ﴿مِيثَاقِهِ﴾ الضمير للعهد أو لله تعالى. ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ "كيف" موضعها الاستفهام ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ. ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ أي: معدومين في أصلاب الآباء، أو نطفا في الأرحام. ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أخرجكم إلى الدنيا. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، وقيل: الحياة الأولى حين أخرجكم من صلب آدم لأخذ

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

العهد، وقيل: في الحياة الثانية؛ إنها في القبور؛ والراجح القول الأول لتعيينه في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. **فوائد ثلاث: الأولى**: هذه الآية في معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، فإن قيل: إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم ينكرونه؟ فالجواب: أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كله، **الثانية**: قوله "وكنتم أمواتا" في موضع الحال، فإن قيل: كيف جاء دون "قد" وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟ فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل والمراد مجموع الكلام كأنه يقول: وحالكم هذه فلذلك لم تلزم قد، **الثالثة**: عطف "فأحياكم" بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا تراخي بينهما وعطف "ثم يميتكم" و"ثم يحييكم" بـ"ثم" للتراخي الذي بينهما. ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ دليل على إباحة الانتفاع بما في الأرض. ﴿اسْتَوَى﴾ أي: قصد لها و﴿السَّمَاءِ﴾ هنا جنس، ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي: أتقن خلقهن كقوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ وقيل: جعلهن سواء. **فائدة**: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ظاهره خلاف ذلك؟ والجواب: من وجهين أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض، والآخر: أن تكون "ثم" لترتيب الأخبار. ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك، واختلف في وزنه فقيل: فعل فالميم أصلية ووزن ملائكة على هذا فعايلة، وقيل: هي من الألوكة وهي الرسالة فوزنه مفعل وأصله مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار معافلة وذلك بعيد. ﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عليه السلام لأن الله استخلفه في الأرض وقيل: ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا، والأول أرجح ولو أراد الثاني لقال خلفاء. ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية سؤال محض؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه، وليس فيه اعتراض لأن الملائكة منزهون عنه، وإنما علموا أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان في الأرض جن فأفسدوا فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم فقاس الملائكة بني آدم عليهم. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار ولا منة. ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي حامدين لك، والتقدير: نسبح متلبسين بحمدك، فهو في موضع الحال. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك: ضربت لزيد، أو أن يكون المفعول محذوفا أي: نقدسك على معنى ننزهك أو نعظمك وتكون اللام في "لك" للتعليل أي لأجلك، أو يكون التقدير نقدس أنفسنا؛ أي نطهرها لك. ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا

من المصالح والحكمة. ﴿الأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسميات؛ وهي أشخاص بني آدم أو أجناس الأشياء. ﴿أَنبِئُونِي﴾ أمر على وجه التعجيز. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إن الخليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء وقيل: "إن كنتم صادقين" في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء. ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ اعتراف. ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي: أنبىء الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء. ﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ السجود له على وجه التحية، وقيل: عبادة لله وآدم كالقبلة. ﴿فَسَجَدُواْ﴾ روي: أن أول من سجد إسرافيل ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ. ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكاً، ومنقطع عند من قال إنه كان من الجن. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ لقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قيل: كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر، والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية. ﴿وَزَوْجُكَ﴾ هي حواء خلقها الله من ضلع آدم، ويقال: زوجة وزوج وهو أفصح. ﴿الْجَنَّةَ﴾ هي جنة الخلد عند الجماعة وأهل السنة خلافا لمن قال هي غيرها. ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة؛ فهذا أصل في سد الذرائع. ﴿الشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم. ﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على "تقربا"، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي. ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعد من زلل القدم، وأزالهما بالألف من الزوال. ﴿عَنْهَا﴾ الضمير عائد على الجنة أو على الشجرة فتكون "عن" على هذا سببية. فائدة: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة؛ فالأظهر أنه كان على وجه النسيان لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وقيل: سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها؛ وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر، وقيل: أكل عمدا وهي معصية صغيرة وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر، وقيل: تأول آدم أن النهي عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها، وقيل: لما حلف له إبليس صدّقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا.

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

﴿اهْبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار وهو في مدة الحياة، وقيل في بطن الأرض بعد الموت. ﴿وَمَتَاعٌ﴾ ما يتمتع به. ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى الموت. ﴿فَتَلَقَّى﴾ أي: أخذ على قراءة الجماعة، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات فـ"تلقى" على هذا من اللقاء. ﴿كَلِمَاتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بدليل ورودها في الأعراف، وقيل غير ذلك. ﴿اهْبِطُواْ﴾ كرر ليناط به ما بعده، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء والآخر من الجنة، وأن يكون هذا الثاني لذرية آدم لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ والأول لآدم وزوجه وإبليس، وروي أن آدم نزل بسرنديب من أرض الهند ونزلت حواء بجدة وإبليس بالأبلة. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ "إن" شرطية و"ما" زائدة للتأكيد، والهدى هنا يراد به كتاب الله ورسالاته. ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرط وهو جواب الشرط الأول، وقيل: "فلا خوف" جواب الشرطين. ﴿يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصا وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ﴾ فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم بها، فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء؛ وهي: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، و﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾، و﴿بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، و﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾، و﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾، و﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، و﴿يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، و﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾. وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء؛ قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، و﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، وقولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، و﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾، و﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾، و﴿تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾، و﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِئَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، و﴿يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾، و﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾، و﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾، و﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، و﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾، و﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾. وهذا كله جزاء لآبائهم الأقدمين وخوطب به المعاصرون لمحمد ﷺ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم، وقد وُبِّخَ المعاصرون لمحمد ﷺ بتوبيخات أخر؛ وهي عشرة: كتمانهم أمر محمد ﷺ مع معرفتهم به،

ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، و﴿يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾، وحرصهم على الحياة، وعداوتهم لجبريل، واتباعهم للسحر، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. ﴿نِعْمَتِيَ﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم وما اختصوا هم به كالمن والسلوى، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة واللفظ يعم جميعها. ﴿بِعَهْدِي﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود، وقيل الإيمان بمحمد ﷺ؛ وذلك قوي لأنه مقصود الكلام. ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة. ﴿وَإِيَّايَ﴾ مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير، وليفيد الحصر، يفسره ﴿فَارْهَبُونِ﴾، ولا يصح أن يعمل فيه "فارهبون" لأنه قد أخذ معموله، وكذلك ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾. ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني القرآن. ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدقا للتوراة ولتصديق القرآن للتوراة وغيرها. وتصديق محمد ﷺ للأنبياء المتقدمين له ثلاث معان؛ **أحدها**: أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به، **والآخر**: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم، **والثالث**: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك. ﴿وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير عائد على القرآن وهذا نهي عن المسابقة إلى الكفر به ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني حال لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون في كتبهم من ذكره ولما يعرفون من علاماته. ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال كقوله: ﴿اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾، والآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ، والثمن القليل: ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد ﷺ وغير ذلك، وقيل: كانوا يُعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن. ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ "الحق" هنا يراد به نبوة محمد ﷺ و"الباطل" الكفر به، وقيل: الحق التوراة والباطل ما زادوا فيها. ﴿وَتَكْتُمُواْ﴾ معطوف على النهي أو منصوب بإضمار "أن" في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع، والأول أرجح لأن العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب بالواو، فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه حق. ﴿الصَّلاَةَ وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ﴾ يراد بهما صلاة المسلمين وزكاتهم؛ فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام.

وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم

﴿وَارْكَعُواْ﴾ خصص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأن صلاة اليهود بغير ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع، وقيل: الركوع: الخضوع والانقياد. ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ هم المسلمون فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دينهم، وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة. ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقريع وتوبيخ لليهود. ﴿بِالْبِرِّ﴾ عام في أنواعه، فوبخهم على أمر الناس به وتركهم له، وقيل: كان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر باتباع سيدنا محمد ﷺ ولا يتبعونه. وقال ابن عباس ﷺ: كانوا يأمرون بإتباع التوراة ويخالفونها في جحدهم منها صفة سيدنا محمد ﷺ. ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي: تتركون؛ وهذا تقريع. ﴿تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ حجة عليهم. ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ قيل: معناه استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [أبو داود: 1321]. ونعي إلى ابن عباس ﷺ أخوه قثم فصلى ركعتين وقرأ الآية، وقيل: "استعينوا" بهما على طلب الآخرة، وقيل: "الصبر" هنا الصوم، وقيل: "الصلاة" هنا الدعاء. ﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد على العبادة التي تضمنها "الصبر والصلاة" أو على الاستعانة، أو على الصلاة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي شاقة صعبة. ﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا يتيقنون. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم، وقيل: تفضيل من وجه ما: وهو كثرة الأنبياء أو غير ذلك. ﴿لا تَجْزِي﴾ لا تغني، و﴿شَيْئاً﴾ مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير أي: فيه. ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ ليس نفي الشفاعة مطلقا؛ فإن مذهب أهل الحق ثبوت شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ولقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، وانظر ما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة فيقال له: «اشفع تشفع» [مسلم: 495] فكل ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقا يحمل على هذا؛ لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة. ﴿عَدْلٌ﴾ هنا فدية. ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس. ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ منهم؛ لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون

مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ

لهم فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساويهم؛ لأن ذريتهم راضون بذلك. ﴿مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله، وحذف لدلالة المعنى، و"آل فرعون" هم جنوده وأشياعه وأهل دينه، لا قرابته خاصة، ويقال: إن اسمه الوليد بن مصعب، وهو من ذرية عمليق، ويقال فرعون لكل من ولي مصر، وأصل "ءال": أهل، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف. **فائدة**: كل ما ذكر في هذه السورة من الأخبار معجزات للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم. ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يلزمونه لكم، وهو استعارة من السوم في البيع وفسر "سوء العذاب" بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل: أن يراد بـ"سوء العذاب" غير ذلك فيكون عطف مغايرة، أو أراد به ذلك وعطفه لاختلاف اللفظ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل؛ أنه أخبره الكهان والمنجمون أن هلاكه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل، وقيل: إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك، وروي أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن، وقيل: بل وكل على ذلك القوابل، ولأجل هذا قيل: معنى "يستحيون نساءكم": يفتشون الحيا من كل امرأة؛ وهو فرجها، وهذا بعيد، والأظهر أنه من الحياة ضد الموت. ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي: فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقا على عدد الأسباط، والباء سببية أو للمصاحبة، و"البحر" المذكور هنا هو بحر القلزوم. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة، وإنما خص الليالي بالذكر؛ لأن التاريخ بها والأيام تابعة لها، والمراد أربعين ليلة بأيامها. ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ اتخذتموه إلها؛ فحُذف لدلالة المعنى. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي: بعد غيبته في الطور. ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا التوراة. ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ أي: المفرق بين الحق والباطل؛ وهو صفة للتوراة عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل "الفرقان" هنا: فرق البحر، وقيل: آتينا موسى الكتاب وآتينا محمدا ﷺ الفرقان؛ وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه. ﴿فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضا

فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ وروي: أن مَنْ لم يَعبد العجل قَتَلَ من عَبده، وروي: أن الظلام ألقي عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعين ألفا فعفى الله عنهم، وإنما خص هنا اسم الباري؛ لأن فيه توبيخا للذين عبدوا العجل، كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي بَرَأكُم ومعنى الباري؛ الخالق. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف لدلالة الكلام عليه وهو فحوى الخطاب: أي فعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد. ﴿جَهْرَةً﴾ عيانا. ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ الموت، وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم وجرأتهم على الله. ﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقكم كالظلة يقيكم حر الشمس، وكان ذلك في التيه، وكذا أنزل عليه فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ لما عدموا الطعام، وقد فسرنا "المن والسلوى" في اللغات. ﴿كُلُواْ﴾ معمول بقول محذوف. ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس ﴿فَكُلُواْ﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول، وجاء في الأعراف بالواو بعد قوله: ﴿اسْكُنُواْ﴾ لأن الأكل مقارن للسكنى. ﴿سُجَّداً﴾ قيل معناه: ركعا؛ لأن الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل: متواضعين. ﴿حِطَّةٌ﴾ تقدم في اللغات ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ أي: نزيدهم أجرا إلى المغفرة ﴿فَبَدَّلَ﴾ روي: أنه قالوا حنطة، وروي: حبة في شعرة. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني المذكورين وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالظلم وكرره زيادة في تقبيح أمرهم. ﴿رِجْزاً﴾ روي: أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا. ﴿اسْتَسْقَى﴾ طلب السقيا لما عطشوا في التيه. ﴿الْحَجَرَ﴾ كان مربعا ذراعا في ذراع انفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروي: أن آدم كان أهبطه من الجنة، وقيل: هو جنس غير معين؛ وذلك أبلغ في الإعجاز.

فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾

﴿فَانفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره؛ فضربه فانفجرت. ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي: موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين. ﴿كُلُواْ﴾ أي: من المن والسلوى ﴿وَاشربوا﴾ من الماء المذكور. ﴿وَفُومِهَا﴾ هي الثوم وقيل الحنطة. ﴿أَدْنَى﴾ من الدني الحقير، وقيل: أصله أدون ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه. ﴿مِصْراً﴾ قيل: البلد المعروف وصرف لسكون وسطه، وقيل: هو غير معين فهو نكرة لما روي: أنهم نزلوا بالشام، والأول أرجح لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني مصر. ﴿وَضُرِبَتْ﴾ أي: قضي عليهم بها وألزموها، وجعله الزمخشري استعارة من ضرب القبة؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به. ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب، والباء للتعليل. ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الآيات المتلوة أو العلامات. ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق، وإنما نص عليه تشنيعا لقبح فعلهم ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق، وذلك أقبح. فائدة: قال هنا "بغير الحق" بالتعريف باللام للعهد لأنها تقررت الموجبات لقتل النفس، وقال في الموضع الآخر من آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بالتنكير لاستغراق النفي لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ. ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ يحتمل أن يكون تأكيدا للأول وتكون الإشارة بـ"ذلك" إلى الكفر والقتل، والباء للتعليل أي: اجترؤوا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا في العصيان والعدوان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنه: نسختها ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وقيل: معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره؛ فيكون في حق المؤمنين الثبات إلى الموت وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام؛ فلا نسخ، وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ فلا نسخ. ﴿مَنْ ءامَنَ﴾ مبتدأ خبره "فلهم أجرهم"، والجملة خبر "إن"، أو "من آمن" بدل. ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر "إن".

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرُفع الجبل فوقهم، وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ جد في تعلم التوراة أو العمل بها. ﴿اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت وكان محرما عليهم. ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ عبارة عن مسخهم، و﴿خَاسِئِينَ﴾ صفة أو خبر ثان، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب. ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير للفعلة وهي المسخ. ﴿نَكَالاً﴾ أي: عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل: عبرة لمن تقدم ومن تأخر. ﴿أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ قصتها؛ أن رجلا من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها، ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا. ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاء وقلة أدب وتكذيب. ﴿فَارِضٌ﴾ مسنة. ﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة. ﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة. ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين ما ذكر، ولذلك قال "ذلك" مع الإشارة إلى شيئين. ﴿صَفْرَآءُ﴾ من الصفرة المعروفة، وقيل: سوداء، وهو بعيد، والظاهر صفراء كلها، وقيل: القرن والظلف فقط، وهو بعيد. ﴿فَاقِعٌ﴾ شديدة الصفرة. ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لحسن لونها، وقيل: لسمنها ومنظرها كله. ﴿لا ذَلُولٌ﴾ أي غير مذللة للعمل. ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ أي: تحرثها، وهو داخل تحت النفي على الأصح. ﴿وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ لا يُسقى عليها. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل أو من العيوب. ﴿لا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لمعة غير الصفرة، وهو من "وشى"؛ ففاؤه واو محذوفة كـ"عدة". ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الظرف "جئت"، وقيل العامل فيه مضمر تقديره: الآن نذبحها، والأول أظهر؛ فإن كان قولهم: "أتتخذنا هزوا" تكذيبا فهذا تصديق، وإن كان غير ذلك فالمعنى بالحق المبين. ﴿وَمَا كَادُواْ﴾ لعصيانهم وكثرة

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

سؤالهم عن شأنها، أو لغلاء البقرة، فقد جاء: أنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا، أو لقلة وجود تلك الصفة فقد روي: أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم. ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ هو أول قصة البقرة فرتبته التقديم قبل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما: ترك المسارعة إلى الأمر وقتل النفس، ولو قدم لكان قصة واحدة وتوبيخا واحدا. ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي: اختلفتم، وهذا من المداراة؛ أي: المدافعة. ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل ومن قتله. ﴿اضْرِبُوهُ﴾ القتيل أو قبره. ﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلقا، وقيل: الفخذ، وقيل: اللسان، وقيل: الذنب. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتيل، واستدلال بها على الإحياء للبعث، وقبله محذوف لا بد منه وهو: ففعلوا ذلك فقام القتيل. فائدة: استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: فلان قتلني، وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصته معجزة للنبي ﷺ فلا يتأتى أن يكذب المقتول بخلاف غيره، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك. ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ خطاب لبني إسرائيل. ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعدما رأوا تلك الآيات. ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف، أو خبر ابتداء أي: هذا أشد، و"أو" هنا؛ إما للإبهام، أو للتخيير؛ كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة كالحديد، أو للتفصيل أي: فيهم كالحجارة وفيهم أشد، وإنما قال: "أشد قسوة" ولم يقل أقسى مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل لكون أشد أدل على فرط القسوة. ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ الآية، تفضيل الحجارة على قلوبهم. ﴿يَهْبِطُ﴾ أي: يتردى من علو إلى سفل، والخشية عبارة عن انقيادها، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط من خشية الله. ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين. ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ يعني اليهود، وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد. ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذين سمعوا كلام الله على الطور ثم حرفوه، وقيل: بنو إسرائيل حرفوا التوراة. ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح فعلهم.

وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةًۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود، وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم. ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ توبيخ. ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه: بما حكم عليهم من العقوبات، وبما في كتبهم من ذكر سيدنا محمد ﷺ، وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام؛ وكل وجه حجة عليهم ولذلك قالوا: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة، وقيل: أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه؛ فـ"عنده" بمعنى حكمه. ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم توبيخا لقولهم. ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية، من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم. ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي: الذين لا يقرؤن ولا يكتبون فهم ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ والمراد قوم من اليهود، وقيل: من المجوس؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كله مع اليهود. ﴿إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ تلاوة بغير فهم، أو أكاذيب، أو ما تتمناه النفس. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافترائهم. ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عرض الدنيا من الرياسة أو الرشوة وشبه ذلك. ﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو هي الذنوب. ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوما عدد عبادتهم العجل، وقيل: سبعة أيام. ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾ الآية تقرير يقتضي إبطال قولهم. ﴿بَلَى﴾ تحقيق لطول مكثهم في النار، أو لقولهم ما لا يعلمون. ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار؛ لأنها رد على اليهود ولقوله بعدها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار. ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ جواب القسم يدل عليه الميثاق، وقيل: خبر بمعنى النهي ويرجحه قراءة "لا تعبدوا"، وقيل: الأصل: بأن لا تعبدوا، ثم حذفت الباء وأن. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَاناً﴾ أو بمحذوف تقديره: أحسنوا ووُكد بـ"إحسانا". ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة. ﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾

وهو من فقد والده قبل البلوغ، واليتيم من سائر الحيوان من فقد أمه، وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم؛ فقدم الوالدين لحقهما الأعظم، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى لقلة ذاتهم، ثم المساكين. ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وإعرابه مثل "لا تعبدون". ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا يخرج بعضكم بعضا. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم. ﴿هَٰؤُلَآءِ﴾ منصوب على التخصيص بفعل مضمر، وقال ابن الباذش: مبتدأ وخبره "أنتم"، و"تقتلون" حال لازمة تم بها المعنى. ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه وينفيه من موضعه إذا ظفر به. ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون. ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ قرئ بالألف وبحذفها والمعنى واحد، وكذلك ﴿أَسَارَىٰ﴾ بالألف وحذفها جمع أسير. ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره "محرم"، و"إخراجهم" بدل، أو الضمير للأمر والشأن، و"إخراجهم" مبتدأ و"محرم" خبره والجملة خبر الضمير. ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم. ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتابهم. ﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق. ﴿وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: جئنا من بعده بالرسل وهو مأخوذ من القفا أي: جاء بالثاني في قفا الأول. ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك. ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل، وقيل: الإنجيل، وقيل: الاسم الذي كان يحيي به الموتى، والأول أرجح لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾، ولقوله ﷺ لحسان رضي الله عنه: «**اللهم أيده بروح القدس**» [البخاري: 453]. ﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعا مبالغة؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه.

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ

﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي: عليها غلاف؛ وهو الغشاء فلا تفقه. ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ردٌّ عليهم، وبيان عدم فهمهم بسبب كفرهم. ﴿فَقَلِيلاً﴾ أي: إيمانا قليلا. ﴿مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ "ما" زائدة، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم، أو على أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض. ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ هو القرآن. ﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدم أن له ثلاثة معان. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يستنصرون على المشركين؛ إذا قاتلوهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان! ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، وقيل "يستفتحون" أي: يعرفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين على هذا للمبالغة كالسين في استعجب واستسخر، وعلى الأول للطلب. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ القرآن والإسلام ومحمد ﷺ. قال المبرد: ﴿كَفَرُواْ﴾ جواب "لما" الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام ولقصد التأكيد، وقال الزجاج: "كفروا" جواب "لما" الثانية وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه بذلك، وقال الفراء: جواب "لما" الأولى "فلما" وجواب الثانية "كفروا". ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: عليهم يعني اليهود، ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم، واللام للعهد أو للجنس فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار. ﴿بِئْسَمَا﴾ فاعل "بئس" مضمر، و"ما" مفسرة له، و﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ هو المذموم، وقال الفراء: "بئسما" مركب كـ"حبذا"، وقال الكسائي: "ما" مصدرية أي اشتراؤهم؛ فهي فاعلة. ﴿اشْتَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى باعوا. ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ في موضع خبر ابتداء، أو مبتدأ كاسم المذموم في "بئس"، أو مفعول من أجله، أو بدل من الضمير في "به". ﴿بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ. ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في موضع مفعول من أجله. ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ القرآن والرسالة. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني محمدا ﷺ، والمعنى: أنهم إنما كفروا حسدا لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة. ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ أي: بغضب لكفرهم بمحمد ﷺ، "على غضب" لكفرهم بعيسى عليه السلام، أو لعبادتهم العجل، أو لقولهم: عزير ابن الله، أو لغير ذلك من قبائحهم. ﴿بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن. ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة. ﴿بِمَا وَرَآءَهُ﴾ أي بما بعده وهو القرآن.

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ رد عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطية بمعنى القدح في إيمانهم، وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها، والأول أظهر. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: المعجزات كالعصا وفلق البحر وغير ذلك. ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ذكر هنا على وجه الذم لهم والإبطال لقولهم "نُؤمِنُ بما أنزل علينا" وكذلك رفع الطور، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمْ﴾ ولقوله ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، وعطفه بـ"ثم" في الموضعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ الضمير لموسى عليه السلام، أي: من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور. ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال أو بلسان الحال. ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ عبارة عن تمكن حب العجل في قلوبهم فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الثوب، وفي الكلام محذوف أي: أشربوا حب العجل وقيل: إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربوه، فالشرب على هذا حقيقة، ويرد هذا قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة. ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ إسناد الأمر إلى إيمانهم مجاز على وجه التهكم فهو كقوله: ﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وكذلك إضافة الإيمان إليهم. و﴿إِن كُنتُمْ﴾ شرط أو نفي. ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان أو باللسان خاصة، وذلك أمر على وجه التعجيز والتبكيت؛ لأن من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها، وورد أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين، وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طول حياته. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة "ولن يتمنوه" وفي الجمعة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ فنفى هنا بـ"لن" وفي الجمعة بـ"لا"؟ فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: الجواب أنه لما كان الشرط في البقرة مستقبلا وهو قوله: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ جاء جوابه بـ"لن" التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالا وهو قوله: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ جاء جوابه بـ"لا" التي تدخل على الحال وقد تدخل على المستقبل. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ أي: لسبب ذنوبهم وكفرهم. ﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديد لهم.

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون عطفا على ما قبله فيوصل به، والمعنى: أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا، وخص "الذين أشركوا" بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا، والآخر: أن يكون "ومن الذين أشركوا" ابتداء كلام فيوقف على ما قبله والمعنى: من الذين أشركوا قوم. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فحذف الموصوف، وقيل: أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم. ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ الآية فيها وجهان؛ أحدهما: أن يكون "هو" عائد على "أحدهم" و"أن يعمر" فاعل لمزحزحه، والآخر: أن يكون "هو" للتعمير و"أن يعمر" بدل. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية سببها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب فلذلك لا نؤمن بك، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك لأنه ملك الأمطار والرحمة. ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: فإن الله نزل جبريل، والآخر: فإن جبريل نزل القرآن وهذا أظهر لأن قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن والمعنى: الرد على اليهود بأحد وجهين؛ أحدهما: من كان عدوا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه؛ لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ويؤكد هذا قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ والثاني: من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل، وجبريل وميكائيل ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم. ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ الواو للعطف وقال الأخفش: زائدة. ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال: والله ما أخذ علينا عهدا أن نؤمن بمحمد رسولاً، يعني محمدا ﷺ ﴿كِتَابَ اللهِ﴾ يعني القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا

﴿وَاتَّبَعُواْ﴾ أي: اليهود الذين في زمن محمد ﷺ أو المتقدمون. ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ هو من القراءة أو الاتباع. ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: في ملك، أو على عهد ملك سليمان. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تنزيه له مما نسبوه إليه؛ وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ونسبوه إليه، وقالت اليهود: إنما كان سليمان ساحرا، وقيل: إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان. ﴿الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعليم السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام. ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نفي، أو عطف على "السحر" أو على "ما تتلوا". ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ إن كانت "ما" نافية فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر عليهما إلا أن ذلك يرده آخر الآية، وإن كانت معطوفة بمعنى "الذي" فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر منه، وقرئ "الملِكين" بكسر اللام، وقال الحسن: هما علجان؛ فعلى هذا يتعين أن تكون "ما" غير نافية. ﴿بِبَابِلَ﴾ موضع معروف. ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمان علمان؛ وهما بدل من الملكين أو عطف بيان. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: محنة، وذلك تحذير من السحر. ﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾ أي: بتعلم السحر، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفرا. ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء. ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة. ﴿عَلِمُواْ﴾ أي اليهود والشياطين. ﴿اشْتَرَاهُ﴾ أي: اشتغل به، وذكر الشِّراء لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه. ﴿شَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى باعوا. ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ من الثواب وهو جواب ﴿لَوْ أَنَّهُمْ﴾، وإنما جاء جوابها بجملة اسمية وعدل عن الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره، وقيل: الجواب محذوف أي: لأثيبوا. ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين نفي لعلمهم. فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ ؟ فالجواب: أنهم لم ينفعهم علمهم فكأنهم لم يعلموا. ﴿لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا، وذلك من المراعاة؛ أي راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ،

وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ

وربما كانوا يقولونها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود فالنهي سدا للذريعة، وأمروا أن يقولوا: انظرنا، لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم؛ وهو من النظر أو الانتظار، وقيل: إنما نُهِيَ المسلمون عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ عطف على "قولوا" لا على معمولها، والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد. ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب ولذلك فسره بهما، ومعنى الآية: أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرا على المسلمين. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ "من" للتبعيض، وقيل زائدة لتقدم النفي في قوله "ما يود". ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن وقيل: النبوة، والعموم أولى، ومعنى الآية الرد على من كره الخير للمسلمين. ﴿مَا نَنسَخْ﴾ أي: نزيل حكمه ولفظه أو أحدهما، وقرئ بضم النون؛ أي: نأمر بنسخه. ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النسيان وهو ضد الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن الله كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ أو بمعنى الترك؛ أي: نتركها غير منزلة أو غير منسوخة، وقرئ بالهمز بمعنى التأخير أي نؤخر إنزالها أو نسخها. ﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفة العمل أو في الثواب أو أعم. ﴿قَدِيرٌ﴾ استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله، وهو جائز عقلا وواقع شرعا فكما نسخت شريعتهم ما قبلها نسخها ما بعدها. ﴿تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات، ويحتمل السؤال عن العلم والأول أرجح لما بعده فإنه شبهه بسؤالهم لموسى وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾. ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: تمنوا ونزلت الآية في حيي بن أخطب وأخيه أبي ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام. ﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال والعامل فيه ما قبله فيجب وصله معه، وقيل: هو مصدر والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدا فعلى هذا يوقف على ما قبله، والأول أظهر وأرجح. ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلق بـ"حسدا" وقيل بـ"يود". ﴿فَاعْفُواْ﴾ منسوخ بالسيف.

وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

﴿بِأَمْرِهِ﴾ يعني: إباحة قتالهم أو وصول آجالهم. ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا. ﴿هُوداً﴾ يعني: اليهود؛ وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به، وقال الفراء: حذفت منه ياء يهود على غير قياس. ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ أكاذيبهم أو ما يتمنونه. ﴿هَاتُواْ﴾ أمر على وجه التعجيز والرد عليهم، وهو من هاتي يهاتي ولم ينطق به، وقيل: أصله آتوا وأبدل من الهمزة هاء. ﴿بَلَى﴾ إيجاب لما نفوا، أي: يدخلها من ليس يهوديا ولا نصرانيا. ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: دخل في الإسلام أو أخلص، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية سببها اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة فذمت كل طائفة الأخرى. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب. ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظها الاستفهام ومعناها: لا أحد أظلم منه حيث وقع. ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ قريش منعت الكعبة أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم. ﴿خَآئِفِينَ﴾ في حق قريش لقوله عليه السلام: «**لا يحج بعد هذا العام مشرك**» [البخاري: 369]، وفي حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية. ﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش غلبتهم وفتح مكة، وفي حق النصارى فتح بيت المقدس أو الجزية. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت، وقيل: هي في تنفل المسافر حيث ما توجهت به دابته، وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها أي: إن مُنعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم، وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية، والقول الأول هو الصحيح، ويؤخذ منه أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه وهو مذهب مالك. ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ المراد به هنا كقوله: ﴿ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: رضاه، وقيل: معناه هنا الجهة التي وجهنا إليها، وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويرد علمه إلى الله،

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ

وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات أو عن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع. ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم. ﴿بَل لَّهُ﴾ الآية رد عليهم؛ لأن الكل ملكه، والعبودية تنافي البنوة. ﴿قَانِتُونَ﴾ أي: طائعون منقادون. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداء. ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾ أي: قدره أو أمضاه، قال ابن عطية: يتجه في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد، قلت: لا يكون "قضى" هنا بمعنى قدر لأن القدر قديم، "وإذا" تقتضي الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم، وإنما "قضى" هنا بمعنى أمضى أو فعل أو أوجد كقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، وقد قيل: إنه بمعنى حتم الأمر أو بمعنى حكم، والأمر هنا بمعنى الشيء وهو واحد الأمور وليس بمصدر: أمر يأمر. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقي؛ لأنه إن كان قول "كن" خطابا للشيء في حال عدمه لم يصح لأن المعدوم لا يخاطب، وإن كان خطابا للشيء في حال وجوده لم يصح لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب، وحمله المفسرون على حقيقته وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه: أحدها: أن الشيء الذي يقول له "كن فيكون" هو موجود في علم الله، وإنما يقول له "كن" ليخرجه إلى العيان لنا. والثاني: أن قول "كن" لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري. والثالث: أن ذلك خطاب لمن كان موجودا على حاله، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى؛ كإحياء الموتى ومسخ الكفار؛ وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص. والرابع: أن معنى "يقول له" يقول من أجله فلا يلزم خطابه، والأول أحسن هذه الأجوبة، وقال ابن عطية: تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عز وجل لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المأمورات، إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن. "فيكون" رفع على الاستئناف. قال سيبويه: معناه فهو يكون وقال غيره: "يكون" عطف على "يقول" واختاره الطبري. قال ابن عطية: وهو فاسد من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود. وفي هذا نظر. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول، كفار العرب على الأصح، وقيل: هنا هم اليهود والنصارى. ﴿قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ يعني اليهود والنصارى على القول بأن "الذين لا يعلمون" كفار العرب، وأما على القول بأن "الذين لا يعلمون" اليهود والنصارى فـ "الذين من قبلهم" أمم الأنبياء المتقدمين. ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ "لولا" هنا عرض والمعنى: أنهم قالوا لن نؤمن لك حتى يكلمنا الله. ﴿أَوْ تَأْتِينَآ آيَةٌ﴾ أي: دلالة من المعجزات كقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ وما بعده. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ يعني: اليهود والنصارى على

تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

القول بأن "الذين لا يعلمون" كفار العرب، وأما على القول بأن "الذين لا يعلمون" اليهود والنصارى فـ"الذين من قبلهم" هم أمم الأنبياء المتقدمين. ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير لـ"الذين لا يعلمون" و"الذين من قبلهم"، وتشابه قلوبهم هو في الكفر أو في طلب ما لا يصح أن يطلب وهو قولهم: ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾. ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ﴾ أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته وعلى صدق رسوله ﷺ فكيف تطلب الآيات بعد بيانها ولكن إنما فهمها الذين ﴿يُوقِنُونَ﴾ فلذلك خصهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين فإنهم لا تنفعهم الآيات لعنادهم. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والمراد "بالحق" التوحيد وكل ما جاءت به الشريعة. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار وهذا معناه حيث وقع. ﴿وَلاَ تَسْأَلْ﴾ بالجزم نهي، وسببها: أن رسول الله ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت، وقيل: إن ذلك على معنى التهويل كقولك: لا تسأل عن فلان لشدة حاله. وقرأ غير نافع بضم التاء واللام؛ أي: لا تُسأل في القيامة عن ذنوبهم. ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت مفردة وإن كانت ملتين لأنهما متفقتان في الكفر فكأنهما ملة واحدة. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ رد على اليهود والنصارى، والمعنى أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ جمع هوى، ويعني به ما هم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس، والضمير لليهود والنصارى، والخطاب لمحمد ﷺ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك فهو على معنى الفرض والتقدير، ويحتمل أن يكون خطابا له ﷺ والمراد غيره. ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: المسلمين و"الكتاب" على هذا القرآن، وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل و"الكتاب" على هذا التوراة، ويحتمل العموم ويكون "الكتاب" اسم جنس. ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ أي: يقرؤونه كما يجب من التدبر له والعمل به. وقيل: معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والأول أظهر؛ فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة وبمعنى الاتباع، فإنها أظهر في معنى التلاوة، لا سيما إذا كانت تلاوة الكتاب، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع خبر "الذين" فيتم الكلام ويوقف عليها، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال ويكون الخبر ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهذا أرجح؛ لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ

﴿يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ الآية، تقدم الكلام على نظيرها. ﴿وَإِذِ ابْتَلَى﴾ أي: اختبر، فالعامل في "إذ" فعل مضمر تقديره اذكروا، وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾. ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قيل: مناسك الحج، وقيل: خصال الفطرة العشرة وهي: المضمضة والسواك والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية وقص الأظافر ونتف الإبطين وحلق العانة والختان والاستنجاء، وقيل: هي ثلاثون خصلة عشرة ذكرت في براءة من قوله: ﴿التَّآئِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ وعشرة في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وعشرة في المعارج من قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عمل بهن. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ استفهام أو رغبة. ﴿عَهْدِي﴾ الإمامة. ﴿الْبَيْتَ﴾ الكعبة. ﴿مَثَابَةً﴾ اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام. ﴿وَاتَّخَذُواْ﴾ بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام، وبالكسر أمر لهذه الأمة. وافق قول عمر ﷺ: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقيل: أمر لإبراهيم وشيعته، وقيل: لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ وهذا بعيد. ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي صعد عليه حين بناء الكعبة، وقيل المسجد الحرام. ﴿وَعَهِدْنَا﴾ عبارة عن الأمر والوصية. ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ وقيل: المعنى طهراه عن عبادة الأصنام. ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة، وقيل: الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر. ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ هم المعتكفون في المسجد، وقيل: المصلون، وقيل: المجاورون بمكة من الغرباء، وقيل: أهل مكة، والعكوف في اللغة اللزوم. ﴿بَلَدًا﴾ يعني مكة. ﴿آمِنًا﴾ أي: مما يصيب غيره من الخسف والعذاب، وقيل: آمنا من إغارة الناس على أهله؛ لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة؛ وهذا أرجح لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ فإن قيل: لم قال في البقرة "هذا بلدا آمنا" وفي إبراهيم: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فعرف "البلد" في إبراهيم ونكَّره في البقرة؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة: الجواب الأول: قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريفه، بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف. الجواب الثاني: قاله السهيلي: وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزول آية إبراهيم لأنها مكية؛

مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ

فلذلك قال فيه ﴿الْبَلَدَ﴾ بلام التعريف التي للحضور، كقولك هذا الرجل وهو حاضر، بخلاف آية البقرة فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها، فلم يُعرفها بلام الحضور؛ وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة. الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة: أنه قال ﴿هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ قبل أن يكون بلدا فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وقال "هذا البلد" بعدما صار بلدا؛ وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ على حذف القول أي: يقولون ذلك. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علمنا مواضع الحج، وقيل: العبادات. ﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذريتنا ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ، ولذلك قال ﷺ: **«أنا دعوة إبراهيم»** [الحاكم: 3525] والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان، وأما الذين من نسل قحطان؛ فاختلف فيهم هل هم ذرية إسماعيل أم لا؟ ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا القرآن. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا هي السنة. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الكفر والذنوب. ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به وقيل: الأصل في نفسه ثم حذف الجار فانتصب، وقيل: تمييز. ﴿وَأَوْصَى بِهَآ﴾ أي: بالكلمة والملة. ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع عطف على "إبراهيم" فهو موصٍ، وقرئ بالنصب عطفا على ﴿بَنِيهِ﴾ فهو موصى. ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ "أم" هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار. ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ كان عمه، والعم يسمى أبا. ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ﴾ أي: قالت

هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ

اليهود: كونوا هودا، وقالت النصارى: كونوا نصارى. ﴿بَلْ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل. ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي: لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض. ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وعد ظهر مصداقه بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وغير ذلك. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء أو على المصدر من المعاني المتقدمة أو بدل من "ملة إبراهيم". ﴿كَتَمَ شَهَادَةً﴾ من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بـ"كتم" أو بـ"عنده"؛ كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله. ﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه إلا أن ابن عباس ﷺ قال: نزلت بعد قولهم. ﴿السُّفَهَآءُ﴾ هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون. ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي: ما ولى المسلمين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ الأولى وهي بيت المقدس إلى الكعبة. ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾ الآية رد عليهم بأن الله يحكم ما يريد، ويولي عباده حيث شاء؛ لأن الجهات كلها له. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي كما هديناكم. ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: خيارا. ﴿شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم. ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالكم، قال عليه الصلاة والسلام: «أقول كما قال أخي عيسى ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ الآية» [البخاري: 3447].

وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

فإن قيل: لم قدم المجرور في قوله "عليكم شهيدا" وآخره في قوله "شهداء على الناس"؟ فالجواب: أن تقديم المعمولات يفيد الحصر فقدم المجرور في قوله "عليكم شهيدا" لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدمه في قوله "شهداء على الناس" لأنه لم يقصد الحصر. ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان؛ أحدهما: أنها الكعبة وهو قول ابن عباس ﷺ، والآخر: أنها بيت المقدس وهو قول قتادة وعطاء والسدي، وهذا مع ظاهر قوله: "كنت عليها" لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس ثم انصرف عنه إلى الكعبة، وأما قول ابن عباس ﷺ فتأويله بوجهين؛ الأول: أن "كنت" بمعنى أنت، والثاني: قيل إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب "التي كنت عليها" مفعول بـ"جعلنا" أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها، وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة، وأما على قول ابن عباس ﷺ، فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة. ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله. ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء. ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ "إن" مخففة من الثقيلة، واسم "كان" ضمير الفعلة، وهي التحول عن القبلة. ﴿إِيمَانَكُمْ﴾ هنا قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس، واستدل به من قال: إن الأعمال من الإيمان. وقيل معناه: ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة. ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة. ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهته. ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي، ووحدت قبلتهم وإن كانت جهتين لاستوائهما في البطلان. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود يستقبلون المغرب

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

والنصارى المشرق. ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: يعرفون النبي ﷺ، أو القرآن، أو أمر القبلة. ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام ﷺ: معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك. ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: ولكل أحد، أو لكل طائفة. ﴿وِجْهَةٌ﴾ أي: جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل: إنه مصدر ثبت فيه الواو على غير قياس. ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: موليها وجهه، وقرئ "مولاها" أي: ولاه الله إليها، والمعنى: أن الله جعل لكل أمة قبلة. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحات. ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كرر تأكيدا أو ليناط به ما بعده. ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع حجة المعترضين من الناس؛ فإن أريد بـ"الناس" اليهود؛ فحجتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين، وإن أريد بهم قريش؛ فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به. ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة، والاستثناء متصل لأنه استثناء من عموم الناس، ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة فإن "الذين ظلموا" هم الذين ليس لهم حجة. ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ متعلق بمحذوف أي: فعلت ذلك لأتم، أو معطوف على "لئلا يكون". ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بقوله "لأتم" أو بقوله "فاذكروني" والأول أظهر. ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد ابن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون لا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة ولا دليل على التخصيص، وبالجملة هذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ١٥٣﴾

يذكـرني، إن ذكرني في نفسـه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خـير منه» [البخاري: 7405]. والذكر ثلاثـة أنواع؛ ذكر بالقلب، وباللسـان، وبهـما معا، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال عـلى الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى، والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه؛ الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سـائر الأعمال قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة في سـبيل الله، وخـير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهـم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بـلى يا رسـول الله! قال: «ذكر الله»** [الترمذي: 3704]. وسـئل ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قـال: **«ذكر الله»**، قيل: الذكر أفضل أم الجهاد في سـبيل الله؟ فقال: **«لو ضرب المجاهد بسـيفه في الكفار حتى ينقطع سـيفه ويختضب دما، لـكان الذاكـر لله أفضل منـه»** [الترمذي: 3703]. الوجه الثـاني: أن الله تعالى حيـث ما أمر بالذكـر أو أثنى على الذاكرين اشترط فيه الكثرة فقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ولم يشترط ذلك في سـائر الأعمال. الوجه الثالث: أن في الذكر مزية هي له خاصة ليست لغيره وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب الذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: **«أنا جليس مـن ذكرني»** [الديلمي: 4533]، ويقول: **«أنـا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»** [البخـاري: 6856]. وللناس في المقصـد بالذكر مقامان؛ فمقصد العامة اكتسـاب الأجور ومقصد الخاصة القرب والحضور؛ وبين المقامين بـون بعيـد فكم بـين من يأخـذ أجره وهو مـن وراء حجـاب، وبين من يقـرب حتى يكـون من خواص الأحباب. واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة؛ فمنها التهليل والتسبيح والتكبير والحمد والحوقلة والحسبلة، وذكر كل اسـم من أسـماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، والاسـتغفار، وغير ذلك، ولكل ذكر خاصية وثمـرة؛ فأما التهليل؛ فثمرته التوحيد؛ أعني التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبـير؛ فثمرتـه التعظيم والإجـلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسـماء التي معناها الإحسـان والرحمة؛ كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشـبه ذلك؛ فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي الشكر وقوة الرجاء والمحبة، فإن المحسـن محبـوب لا محالة، وأما الحوقلة والحسـبلة؛ فثمرتها التوكل عـلى الله والتفويض إلى الله والثقة بالله، وأما الأسـماء التـي معانيها الاطـلاع والإدراك؛ كالعليم والسـميع والبصير والرقيب وشـبه ذلك؛ فثمرتهـا المراقبـة، وأمـا الصلاة على النبـي ﷺ؛ فثمرتها شـدة المحبة فيـه والمحافظة على اتباع سـنته، وأما الاسـتغفار؛ فثمرته الاسـتقامة على التقوى والمحافظة على شروط التوبة مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمـة، ثـم إن ثمرات الذكر بجميع الأسـماء والصفات مجموعـة في الذكر الفرد، وهـو قولنا: الله، الله؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى. ﴿اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ قد ذكر. ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلا؛ لما قُتلوا حزن عليهم أقاربهم؛ فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله ومسلية لأقاربهم، ولا يخصصها نزولها فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في علمه لتقوم الحجة على العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون، والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين، وقيل: لكفار قريش، والأول أظهر لقوله بعد هذا "وبشر الصابرين". ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ﴾ من الأعداء. ﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجدب. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ﴾ بالخسارة. ﴿وَالانفُسِ﴾ بالقتل، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح، وقيل: ذلك كله بسبب الجهاد. ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء. ﴿رَاجِعونَ﴾ تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي هذه وأخلف لي خيرا منها، أخلف الله له خيرا مما أصابه**» قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما مات زوجي أبو سلمة رضي الله عنه قلت ذلك، فأبدلني الله به رسول الله ﷺ [مسلم: 2165]. **فائدة:** ورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا، وذلك لعظمة موقعه في الدين، قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة؛ أولها: **المحبة** قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، والثاني: **النصر** قال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، والثالث: **غرفات الجنة** قال: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، والرابع: **الأجر الجزيل** قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية؛ فمنها **البشارة** قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، **والصلاة والرحمة والهداية** قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، والصبر على أربعة أوجه؛ صبر على البلاء: وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع، وصبر على النعم: وهو تقييدها بالشكر وعدم الطغيان وعدم التكبر بها، وصبر على الطاعات: بالمحافظة والدوام عليها، وصبر على المعاصي: بكف النفس عنها، وفوق الصبر؛ التسليم، وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهرا وترك الكراهة باطنا، وفوق التسليم؛ الرضا بالقضاء، وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة وكل ما يفعل المحبوب محبوب. ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة. ﴿مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ﴾ أي: معالم دينه واحدها

فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

شعيرة أو شعارة. ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة، والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي، وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له: أساف، وعلى المروة صنم يقال له: نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك، ثم إن السعي بينهما واجب بالسنة، قالت عائشة ﵂: سن رسول الله ﷺ السعي بين الصفا والمروة وليس لأحد تركه، وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله "شعائر الله"، وهذا ضعيف؛ لأن شعائر الله منها واجبة ومنها مندوبة، وقد قيل: إن السعي مندوب. ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله يتطوف، ثم أدغمت التاء في الطاء، وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ عام في أفعال البر أوخاصة بالسعي بين الصفا والمروة، فيقتضي أن السعي بينهما تطوع، ويؤخذ الوجوب من السنة أو معنى "تطوع" التطوع بحج بعد حج الفريضة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود كتموا أمر محمد ﷺ. ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة هنا. ﴿اللاَّعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل: المخلوقات إلا الثقلين، وقيل: البهائم لما يصيبهم من الجدب بذنوب الكاتمين للحق. ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ إنما شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا. ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون فهو عام يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين، وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة، وقيل: في النار. ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ من أنظر إذا أخَّر؛ أي: لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون، أو من نظر لقوله: ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ إلا أن هذا يتعدى بـإلى. ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى؛ أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، والآخر: أنه لا شريك له ولا نظير، والثالث: أنه واحد لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسر المراد به هنا في قوله: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾. واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات؛ الأولى: توحيد عامة المسلمين، وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا وينجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد، الدرجة الثانية: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، يشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال؛ فإن معرفة ذلك

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ

بطريق الاستدلال حاصلة لكل مؤمن، وإنما مقام الخاصة يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه وحده، واطراح جميع الخلق فلا يرجو إلا الله ولا يخاف أحدا سواه، إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر؛ فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب، والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات حتى كأنها عنده معدومة، وهذا هو الذي تسميه الصوفية: مقام الفناء؛ بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه وعن توحيده، أي: يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات، تنبيها على ما فيها من العبر، واستدلالا على التوحيد المذكور قبلها في قوله "وإلهكم إله واحد". ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اختلاف وصفهما من الضياء والظلام، والطول والقصر، وقيل: المعنى إن أحدهما يخلفه الآخر. ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ إرسالها من جهات مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينهما وبصفات مختلفة؛ فمنها: ملقحة للشجر، وعقيم، وصر، وللنصر، وللهلاك. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين؛ إحداهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن وهي واجبة، والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون والأصفياء والأولياء، وهي أعلى المقامات وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين كالخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك، وهي مبنية على حظوظ النفوس، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه، بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة. واعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجب للمحبة أحد أمرين، أو كلاهما إذا اجتمعا ولا شك أنهما اجتمعا في حق الله تعالى على غاية الكمال، فالموجب الأول: الحسن والجمال، والآخر: الإحسان والإجمال؛ فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن، والإجمال: مثل جمال الله تعالى في حكمته البالغة وصنائعه البديعة وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار التي تروق العقول وتبهج القلوب، وإنما يدرك جماله تعالى بالبصائر لا بالأبصار، وأما الإحسان: فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي،

وَلَوۡ تَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

وإلى المؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه وحده فهو المستحق للمحبة وحده، واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح، من الجد في طاعته والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل ما يحب الله، وإيثار الله على كل من سواه، قال الحارث المحاسبي: المحبة ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه. ﴿وَلَوۡ تَرَى﴾ من رؤية العين. و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مفعول، وجواب "لو" محذوف وهو العامل في "أن"، والتقدير: ولو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله، أو لعلموا أن القوة لله، وقرئ: "يرى" بالياء، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب، و"الذين ظلموا" فاعل و﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ﴾ مفعول "يرى"، وجواب "لو" محذوف وتقديره: لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ولاستعظموا ما حل بهم. ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾ بدل من ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ﴾ أو استئناف، والعامل فيه محذوف تقديره: اذكر. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى. ﴿ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ هنا الوصلات من الأرحام والمودات. ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: سيئاتهم، وقيل: حسناتهم إذ لم تقبل منهم، أو ما عملوا لآلهتهم. ﴿كُلُواْ﴾ أمر محمول على الإباحة. ﴿حَلَٰلٗا﴾ حال ﴿مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أو مفعول بـ"كلوا"، أو صفة لمفعول محذوف أي: شيئا حلالا. ﴿طَيِّبٗا﴾ يحتمل أن يريد الحلال أو اللذيذ. ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ما يأمر به، وأصله من خطوة المشي، قال المنذر بن سعيد: يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته، وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهما لغتان. ﴿بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ المعاصي. ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك. ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ رد على قولهم: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ﴾، والآية في كفار العرب، وقيل في اليهود، والمعنى: أتتبعونهم ولو كانوا ﴿لَا يَعۡقِلُونَ﴾ فدخلت همزة الإنكار على واو الحال. ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، في معناها قولان؛

كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولا بد في هذا من محذوف، وفيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون المحذوف أول الآية، والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لاَ يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء﴾ ولا تعقل معناه. والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك، والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذي ينعق ويكون "دعاء ونداء" على الوجهين مفعولا "يسمع"، والنعيق هو زجر الغنم والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم، وشبه داعيهم بالذي يزجرها ويصيح عليها، القول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئا، ويكون "دعاء ونداء" على هذا منقطعا أي: أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لم يسمعه من غير فائدة؛ فعلى هذا شبه الكفار بالناعق. ﴿صُمٌّ﴾ وما بعده راجع إلى الكفار، وذلك يقوي التأويل الأول، ورفعه على إضمار مبتدأ. ﴿وَاشْكُرُواْ﴾ الآية دليل على وجوب الشكر لقوله ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿الْمَيْتَةَ﴾: ما مات حتف أنفه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك الجراد حتى يسبب موتها بقطع عضو منها، أو وضعها في الماء وغير ذلك، وأجازه ابن عبد الحكم دون ذلك. ﴿وَالدَّمَ﴾ يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الأنعام، ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم. ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ هو حرام سواء ذكي أو لم يذك وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل ولأن الشحم تابع له، ولذلك من حلف أن لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس. ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾ أي: صيح؛ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل في النية في الذبيحة. ﴿لِغَيْرِ اللّهِ﴾ الأصنام وشبهها. ﴿اضْطُرَّ﴾ بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة، ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين وعادٍ عليهم، ولذلك لم يرخص مالك في رواية عنه للعاصي بسفره أن يأكل الميتة، والمشهور عنه الترخيص له، وقيل: باغ باستعمالها من غير إضرار، وقيل: "باغ" أي: متزيد على إمساك رمقه، ولهذا لم يجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزود. ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للحرج، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة ويؤخذ الوجوب من غيرها، وقد اختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمُۥٓ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرُّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنِ ٱلۡبِرُّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيٓـِٔينَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

واختلف هل يباح له أكل ميتة بني آدم أم لا؟ فمنعه مالك، وأجازه الشافعي لعموم الآية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار، فوضع السبب موضع المسبب، وقيل: يأكلون النار حقيقة في جهنم. ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم، وقيل: لا يكلمهم بما يحبون. ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم. ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار، أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة، وقيل: إنه استفهام، و"أصبرهم" بمعنى صبرهم؛ وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله؛ لأنه استعظام خفي سببه، وذلك لا يلزم؛ فإنه في حق الله غير خفي السبب. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب، ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ الباء سببية. ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن هنا. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو بالإخبار بالحق أي: الصادق، والباء فيه سببية أو للمصاحبة. ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى و"الكتاب" على هذا التوراة والإنجيل، وقيل: "الذين اختلفوا" العرب و"الكتاب" على هذا القرآن، ويحتمل جنس الكتاب في الموضعين. ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيد من الحق والاستقامة. ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾ الآية خطاب لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبلة اليهود والمشرق قبلة النصارى، أي: إنما البر التوجه إلى الكعبة، وقيل: خطاب للمؤمنين، أي: ليس البر الصلاة خاصة؛ بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا. ﴿وَلَكِنِ الْبِرُّ مَنَ ءَامَنَ﴾ لا يصح أن يكون "من آمن" خبرا عن "البر"؛ فتأويله: لكن صاحب البر من آمن، أو لكن البر بر من آمن، أو يكون "البر" مصدرا وصف به. ﴿وَءَاتَى الْمَالَ﴾ صدقة التطوع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ الضمير عائد على "المال" لقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب، وهو على هذا تتميم، وهو من أدوات البيان، وقيل: يعود على مصدر "آتى"، وقيل على "الله". ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وما بعده مرتب بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى؛ لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الغريب، وقيل: الضعيف. ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وإن كانوا غير محتاجين. ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتقها. ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله ومع الناس. ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب بإضمار فعل. ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ الفقر، ﴿والضَّرَّاءِ﴾ المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ القتال، ﴿صَدَقُوا﴾ في القول والفعل والعزيمة. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي: شرع لكم، وليس بمعنى فرض؛ لأن ولي المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل: بمعنى فرض، أي: فرض على القاتل الانقياد إلى القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى قتل غيره كفعل الجاهلية، وعلى الحكام التمكين من القصاص. ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ ظاهره اعتبار التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حر بعبد ولا ذكر بأنثى، إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياؤها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص منه خلافا لمالك والشافعي وأبي حنيفة، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية لا في الذكورية ولا في الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده أن قوله "الحر بالحر والعبد بالعبد" عموم يدخل فيه الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله "الأنثى بالأنثى" تجريدا للتأكيد، لأن بعض العرب كانوا إذا قتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة وهو قوله ﷺ: «لا يقتل حر بعبد» [الدارقطني: 3300] والناسخ لها على القول بالنسخ عموم قوله: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ على أن هذا ضعيف لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل. ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ الآية، فيها تأويلان؛ أحدهما: أن المعنى من قَتل وعُفي عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها بمعروف، فعلى هذا "مَنْ" كناية عن القاتل، وأخوه هو المقتول أو وليه، و"عفي" من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن، وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك: تجاوزت لفلان عن ذنبه، والثاني: أن المعنى: من أعطيته الدية فعليه اتباع بمعروف وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا "من" كناية عن أولياء المقتول، و"أخوه" هو القاتل أو عاقلته، و"عفي" بمعنى يسر كقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أي: ما تيسر، ولا إشكال في تعدي "عفي" باللام على هذا المعنى. ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية؛

فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية وإنما هو القصاص. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ أي: قتل قاتل وليه بعد أن أخذ الدية. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه، وقيل: عذاب الآخرة. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ بمعنى قولهم: القتل أنفى للقتل، أي: أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل: المعنى أن القصاص أقل قتلا؛ لأنه قتل واحد بواحد بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة. ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية المواريث مع قوله ﷺ: «**لا وصية لوارث**» [أبو دود: 2872] وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين، وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض فلا تعارض بينها وبين المواريث ولا نسخ، والأول أشهر. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فرض، القصد بقوله ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ تسهيل الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة، والذي كُتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا، وقيل: كُتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه. ﴿أَيَّامًا﴾ منصوب بـ"الصيام" أو بمحذوف، ويبعد انتصابه بـ"تتقون". ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية إباحة للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك، وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب، وتقديره: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر، ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المريض والمسافر لا يصح، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر وإن صام في رمضان، وهذا منهم جهل بكلام العرب، وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر وبذلك قال الظاهرية، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون، ثم نسخ جواز الإفطار

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟

بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقيل: يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم، فيجوز له الفطر ويكفر بالإطعام؛ فلا نسخ على هذا. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي: صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة، وذلك على القول بالنسخ، وقيل: تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر، أو بدل من "الصيام" ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ قال ابن عباس ﷺ: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزل في شأنه القرآن، كقولك: أنزل القرآن في فلان، وقيل: المعنى ابتدأ فيه إنزال القرآن. ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ أي: أن القرآن هدى، ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى؛ وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق، وموصوف بالبينات، فالهدى الأول هنا على الإطلاق، وقوله: "وبينات من الهدى" أي: وهو من الهدى المبين؛ فهو من عطف الصفات كقولك: فلان عالم، وجليل من العلماء. ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي: كان حاضرا غير مسافر، و﴿الشَّهْرَ﴾ منصوب على الظرفية، و﴿الْعُسْرَ﴾ و﴿الْيُسْرَ﴾ على الإطلاق، وقيل "اليسر" الفطر في السفر و"العسر" الصوم فيه ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: شرع، أو عطف على "اليسر". ﴿الْعِدَّةَ﴾ الأيام التي أفطر فيها. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾ التكبير يوم العيد أو مطلق. ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله وموافقة القدر، وهو جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: في امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة. ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية، كان الأكل والجماع محرما بعد النوم في ليل رمضان، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب ولصرمة بن مالك ﷺ، فأحلهما الله تخفيفا على عباده. ﴿الرَّفَثُ﴾ هنا الجماع، وإنما تعدى بـ"إلى" لأنه في معنى الإفضاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تشبيه بالثياب لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة. ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ أي: غفر ما وقعتم فيه من ذلك، وقيل: رفع عنكم ذلك الحكم. ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ إباحة ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل:

وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ

الولد يبتغى بالجماع، وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه. ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض لا للأسود؛ لأن الفجر ليس له سواد، و"الخيط" هنا استعارة يراد بـ﴿الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ بياض الفجر، وبـ﴿الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ سواد الليل، وروي أن قوله "من الفجر" نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى؛ لأن بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود عند وسادته وأكل حتى تبين له، فقال له النبي ﷺ: «**إنما هو بياض النهار وسواد الليل**» [الترمذي: 3233]. ﴿إِلَى الَّيْلِ﴾ أي: إلى أول الليل وهو غروب الشمس، فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة، ومن شك هل غربت الشمس أم لا؟ فأفطر فعليه القضاء والكفارة، وقيل: القضاء فقط. وقالت عائشة ﵂: "إلى الليل" يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث. ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ تحريم للمباشرة حين الاعتكاف، قال الجمهور: المباشرة هنا الجماع وما دونه، وقيل: الجماع فقط. ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد، خلافا لمن قال: لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس، وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لا في غيرها، خلافا لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية. ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي أحكامه التي أمر بالوقوف عندها. ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ أي: لا تقربوا مخالفتها، واستدل بعضهم به على سد الذرائع؛ لأن المقصود النهي عن المخالفة للمحدود لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدا للذريعة. ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ كالقمار والغصب وجحد الحقوق وغير ذلك. ﴿وَتُدْلُواْ﴾ عطف على "لا تأكلوا" أو نصب بإضمار أن، وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها، والمعنى: نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ليصل بها إلى أكل مال الناس، وقيل: نهى عن رشوة الحكام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس، فالباء على الأول سببية، وعلى الثاني للإلصاق ﴿بِالإِثْمِ﴾ الباء سببية أو للمصاحبة، و"الإثم" على القول الأول في: "تدلوا" إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور والأيمان الكاذبة، وعلى الثاني: الرشوة. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنكم على الباطل، وذلك مبالغة في المعصية والجرأة. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ سببها: أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدة إمحاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس؟ والهلال ليلتان من أول الشهر، وقيل ثلاث، ثم يقال له قمر. ﴿مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات

وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ

لمحل الديون والأكرية وانقضاء العدد وغير ذلك، ثم ذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس. ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية، كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحول بيننا وبين السماء شيء، فنزلت الآية إعلاما بأن ذلك ليس من البر وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج، وقيل: إن المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب، فعلى هذا ﴿الْبُيُوتَ﴾ و﴿أَبْوَابِهَا﴾ و﴿ظُهُورِهَا﴾ استعارات؛ يراد بـ"البيوت" المسائل، وبـ"ظهورها" السؤال عما لا يفيد، و"أبوابها" السؤال عما يحتاج إليه. ﴿الْبِرُّ مَنِ اتَّقَى﴾ تأويله مثل ﴿الْبِرُّ مَنْ آمَنَ﴾ ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غير مباح في أول الإسلام، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل، وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فهذه الآية منسوخة، وقيل: إنها محكمة، وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم، والأول أرجح وأشهر. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول، وبقتال النساء والصبيان على الثاني. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من مكة، لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله، وقيل: كفر الكفار أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد. ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخ بقوله ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وذلك يقوي نسخ "الذين يقاتلونكم" ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن الكفر فأسلموا، بدليل قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وإنما يغفر للكافر إذا أسلم. ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: لا يبقى دين كفر. ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآية، نزلت لما صد الكفار النبي ﷺ والمسلمين عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي قعدة، فدخلها في العام بعده في شهر ذي قعدة، أي: "الشهر الحرام" الذي دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن دخولها. ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر والبلد حين صددتم عنها. ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسمية للعقوبة

مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ

باسم الذنب؛ أي: قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن مكة. ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة، وقيل: لا تقنطوا من التوبة، وقيل: لا تقتحموا المهالك، والباء في "بأيديكم" زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم. ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إتمامهما إكمال المناسك، وقال علي رضي الله عنه: إتمامهما أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء. ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة أحصره المرض بالألف، وحصره العدو، وقيل: بالعكس، وقيل: هما بمعنى واحد، فقال مالك: "أحصرتم" هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدي ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدي على من حصره العدو، وحملا الآية على ذلك، واستدلا بنحر رسول الله ﷺ الهدي بالحديبية، وقال أبو حنيفة: يجب الهدي على المحصور بعدو أو مرض. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدي وذلك شاة. ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بمرض عند مالك، لأنه لا يتحلل بالحلق. ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ أي: موضع نحره وهو مكة أو منى عند مالك، وقال الشافعي: محله حيث أحصر وقيل هو خطاب للمحصر وغيره. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً﴾ الآية، نزلت في كعب بن عجرة رضي الله عنه حين رآه النبي ﷺ، فقال له ﷺ: **«لعلك آذاك هوامك»**، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«احلق رأسك وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة»** [البخاري: 4190] فمعنى الآية: أن من كان في الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد ووطء النساء، وقصر الظاهرية ذلك الحكم على حلق الرأس، ولا بد في الآية من مضمر لا يستقل الكلام دونه، وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية. ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ أي: من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع

فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ

عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة. وقال عبد الله بن الزبير ﷺ: هو أن يحصر بعدو عن الحج حتى يفوته الحج فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاءا لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل: التمتع هو قران الحج والعمرة. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة ﴿ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاته صام أيام التشريق. ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم أو في الطريق. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فائدته: أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل: هو مثل الفذلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل: كاملة في الثواب. ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني غير أهل مكة وذي طوى بإجماع، وقيل: أهل الحرام كله، وقيل: من كان دون المواقيت، وقوله "ذلك" إشارة إلى الهدي أوالصيام، أي: إنما يجب الهدي أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع. ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر، أو الحج في أشهر؛ وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وقيل: العشر الأول منه وينبني على ذلك: من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة فعليه دم على القول بالعشر الأول، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر؛ فأجازه مالك على كراهة، ولم يجزه الشافعي وداود لتعيين هذه الأشهر لذلك، فكأنها كوقت الصلاة. ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ أي: ألزم الحج نفسه. ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ﴾ الرفث: الجماع، وقيل: الفحش من الكلام، والفسوق المعاصي، والجدال: المراء مطلقا، وقيل: المجادلة في مواقف الحج، وقيل: النسيء الذي كانت العرب تفعله. ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ قيل: احملوا زادا في السفر، وقيل: تزودوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح لما بعده. ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج أباحها الله تعالى، وقرأ ابن عباس ﷺ: فضلا من ربكم في مواسم الحج. ﴿أَفَضْتُم﴾ اندفعتم جملة واحدة. ﴿مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ اسم علم للموقف، والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر لا تنوين صرف؛ فإن فيه التعريف والتأنيث. ﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة والوقوف بها سنة.

كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ

﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ الكاف للتعليل. ﴿وَإِن كُنتُم﴾ "إن" مخففة من الثقيلة، ولذلك جاء اللام في خبرها. ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل الهدى. ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه أمر للحمس، وهم قريش ومن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس لأنها حل، ويقولون: نحن أهل الحرم فلا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها، وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له، والقول الثاني: أنها خطاب لجميع الناس، ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى، فـ"ثم" على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست للترتيب بل للعطف خاصة، قال الزمخشري: هي كقولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلا إلى كريم، فإنما معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها وأن ما بعدها آكد. ﴿قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ أي: فرغتم من أعمال الحج ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾؛ لأن الإنسان كثيرا ما يذكر آباءه، وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك. ﴿ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قيل: العمل الصالح، وقيل: المال، وقيل: المرأة الصالحة. ﴿وَفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة. ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ يحتمل أن تكون "من" سببية، أي: لهم نصيب عند الله من أجل ما كسبوا من الحسنات، وأن تكون لبيان الجنس، أي: لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها؛ والنصيب على هذا الثواب. ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة؛ والآخر أن يراد به سرعة وقوع الحساب يوم القيامة؛ لأن الله لا يحتاج إلى مدة ولا فكرة، وقيل لعلي رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ثلاثة بعد يوم النحر؛ وهي أيام التشريق، والذكر فيها التكبير أدبار الصلوات وعند رمي الجمار وغير ذلك. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق. ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل؛ فقيل يترك رمي جمار اليوم الثالث، وقيل: يقدمها في اليوم الثاني. ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في الموضعين قيل إنه إباحة للتعجل

لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ

والتأخر، وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم؛ وهو الذنب للحاج سواء تعجل أو تأخر. ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ أما على القول بأن معنى "فلا إثم عليه" الإباحة؛ فالمعنى: أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما، فقد أبيح له ذلك من غير إثم، وأما على القول بأن معنى "فلا إثم عليه" إخبار بغفران الذنوب، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه؛ كقوله ﷺ: **«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»** [البخاري: 1521] فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية. ﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الآية نزلت في الأخنس بن شريق، فإنه أظهر الإسلام ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا، وقيل: في المنافقين، وقيل: عامة، وقيل: في كل من كان على هذه الصفة. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ متعلق بـ"قوله" أي: يعجبك ما يقول في أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بـ"يعجبك" ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ﴾ أي يقول: الله يعلم إني لصادق. ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة. ﴿تَوَلَّى﴾ أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل: صار واليا. ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ على القول بأنها في الأخنس؛ فإهلاك الحرث حرقه للزرع، وإهلاك النسل قتله الدواب، وعلى القول بالعموم فالمعنى: مبالغة في الفساد وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنهما قوام معيشة ابن آدم؛ فإن "الحرث" هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، و"النسل" هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل. ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ المعنى: أنه لا يطيع مَنْ أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا، والباء يحتمل: أن تكون سببية، أو بمعنى مع، وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناس بكذا، أي: ألزمهم إياه، فالمعنى: حملته العزة على الإثم. ﴿مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها، قيل: نزلت في صهيب ﷺ وقيل: على العموم. وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد، وقيل: في تغيير المنكر، وأن الذي قبلها فيمن غُير عليه فلم ينزجر. ﴿السَّلْمِ﴾ بفتح السين المسالمة، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية، فالأمر على هذا لأهل الكتاب، وخوطبوا بـ"الذين آمنوا" لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة، وقيل هو الإسلام، وكذلك هو بكسر السين، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام، وقيل إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا، فالمعنى على هذا؛ ادخلوا في الإسلام واتركوا سواه، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى

كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ

الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي. ﴿كَآفَّةً﴾ عموم في المخاطبين أو في شرائع الإسلام. ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زل بعد البيان. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون. ﴿يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ تأويله عند المتأولين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المتشابه فيجب الإيمان بها من غير تكييف، ويحتمل أن لا تكون من المتشابه؛ لأن قوله: "ينظرون" بمعنى يطلبون ذلك بجهلهم كقولهم: ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ﴾. ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة، وهي ما علاك من فوق؛ فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله فهو من المتشابه. ﴿الْغَمَامِ﴾ السحاب. ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ فرغ منه، وذلك كناية عن وقوع العذاب. ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم. ﴿مِّنْ آيَةٍ﴾ معجزات موسى، أو الدلالات على نبوة محمد ﷺ. ﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ وعيد. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب ﷺ. ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم. ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسن حالا منهم، ويحتمل فوقية المكان؛ لأن الجنة في السماء. ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ إن أراد في الآخرة فـ"مَنْ" كناية عن المؤمنين، والمعنى رد على الكفار أي: إن رزق الكفار في الدنيا فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة، وإن أراد في الدنيا؛ فيحتمل أن تكون "من" كناية عن المؤمنين أي: سيرزقهم الله، ففيه وعد لهم، وأن تكون كناية عن الكافرين أي: أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق أو من حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه، وإن كان للكفار فمن غير تضييق. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متفقين في الدين، وقيل: كفار في زمن نوح عليه السلام، وقيل: مؤمنون ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة وعلى ذلك يقدر، فاختلفوا بعد اتفاقهم، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ﴾. ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا جنس، أو مع كل نبي كتابه. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود على "الكتاب"، أو على الضمير المجرور

مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ

المتقدم، وقال الزمخشري: يعود على "الحق". وأما الضمير في "أوتوه" فيعود على "الكتاب"، والمعنى: تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات. ﴿بَغۡيَۢا﴾ أي: حسدا أو عدوانا، وهو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال. ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ. ﴿لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: للحق فيما اختلفوا فيه؛ فـ"ما" بمعنى الذي، وقبلها مضاف محذوف، والضمير في "اختلفوا" لجميع الناس؛ يريد اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق، وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق، و"من" في قوله ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ لبيان الجنس، أي: جنس ما وقع فيه الخلاف. ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ قيل: بعلمه، وقيل: بأمره. ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد. ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم﴾ أي: لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم. ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل. ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ بالتخويف والشدائد. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا "متى نصر الله"، وأن يكون إخبارا مستأنفا، وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه "متى نصر الله". ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ إن أريد بالنفقة الزكاة فذلك منسوخ، والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ، وقدم في الترتيب الأهم فالأهم، وورد السؤال عن المنفق، والجواب عن مصرفه؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله "من خير". ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان فنسخه ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ فصار القتال فرض كفاية، وإن كان على الكفاية فلا نسخ. ﴿كُرۡهٞ﴾ مصدر كره للمبالغة، أو اسم مفعول، كالخبز بمعنى: المخبوز. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ﴾ حض على القتال. ﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ جنس، وهي أربعة أشهر: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿قِتَالٖ فِيهِ﴾ بدل من "الشهر"، وهو مقصود السؤال. ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ أي: ممنوع، ثم نسخه

وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرُۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ

﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وذلك بعيد فإن "حيث وجدتموهم" عموم في الأمكنة لا في الأزمنة، ويظهر أن ناسخه: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ بعد ذكر الأشهر الحرم فكان التقدير: قاتلوا فيها، ويدل عليه: ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام أي: إباحته حسبما استقر في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخة بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم. ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداء وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ خبر الجميع أي: أن هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عير به الكفار المسلمين في سرية عبد الله بن جحش ﷺ حين قاتل في أول يوم من رجب، وقد قيل: إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى. ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطف على "سبيل الله" ﴿حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: "حتى" هنا للتعليل. ﴿فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد سواء رجع إلى الإسلام أو مات على الارتداد، ومن ذلك انتقاض وضوئه وبطلان صومه، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا؛ لقوله "فيمت وهو كافر"، وأجاب المالكية: بأن قوله: "حبطت أعمالهم" جزاء على الردة، وقوله ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ جزاء على الموت على الكفر، وفي ذلك نظر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ الآية نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه ﷺ. ﴿الْخَمْرِ﴾ كل مسكر من العنب وغيره. ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما، وروي أن السائل عنها كان حمزة بن عبد المطلب ﷺ. ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم وأنها من الكبائر؛ لأن الإثم حرام لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾ خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لا هذه الآية. ﴿وَمَنَافِعُ﴾ في الخمر التلذذ والطرب، وفي القمار الاكتساب به، ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة، قال ابن عباس ﷺ: المنافع قبل التحريم والإثم بعده. ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ تغليبا للإثم على المنفعة، وذلك أيضا بيان للتحريم. ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ أي: السهل من

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

غير مشقة، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل، مشاكلة للسؤال على أن يكون "ماذا" مركبا مفعول "ينفقون"، وقرأ أبو عمرو بالرفع بالابتداء مشاكلة للسؤال على أن يكون "ما" مبتدأ و"ذا" خبره. ﴿تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ أي: في أمرهما. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا، فنزلت الآية بإباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم، فإن قيل: لم جاء "يسألونك" بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟ فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذير من الفساد؛ وهو أكل أموال اليتامى. ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى. ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ﴾ أي: لا تتزوجوا؛ والنكاح مشترك بين الوطء والعقد. ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ عباد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في المائدة، فلا تعارض بين الموضعين ولا نسخ خلافا لمن قال آية المائدة نسخت هذه، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتابيات، ونزلت الآية بسبب مرثد الغنوي أراد أن يتزوج امرأة مشركة. ﴿وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمة لله حرة كانت أو مملوكة، وقيل: أمة مملوكة مؤمنة خير من حرة مشركة. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال والمال وغير ذلك. ﴿وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تزوجوهم نساءكم، وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة سواء كان كتابيا أو غيره، واستدل المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: "ولا تنكحوا المشركين"؛ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال. ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبد لله، وقيل: مملوك. ﴿أُوْلَئِكَ﴾ المشركات والمشركون. ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى الكفر الموجب للنار. ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بإرادته أو علمه. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما، قالا لرسول الله ﷺ: ألا نجامع النساء في المحيض خلافا لليهود؟ ﴿هُوَ أَذًى﴾ مستقذر، وهذا تعليل لتحريم الجماع في المحيض. ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء﴾ اجتنبوا جماعهن، وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «**لتشد عليها إزارها وشأنك بأعلاها**» [الموطأ: 125].

ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطع عنهن الدم. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء، وتعلق الحكم بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي، فلا يجوز عندهما وطء الحائض حتى تغتسل، وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرئ "حتى يطهرن" بالتشديد، ومعنى هذه القراءة: بالماء، فتكون الغايتان بمعنى واحد وذلك حجة لمالك. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قبل المرأة. ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب. ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء أو من الذنوب. ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: موضع حرث، وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع. ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم من الهيئات أو متى شئتم، لا أين شئتم؛ لأنه يوهم الإتيان في الدبر، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك، وقد تبرأ هو من ذلك، وقال: إنما الحرث في موضع الزرع. ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: الأعمال الصالحة. ﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا تكثروا الحلف بالله فتبدلوا اسمه، و﴿أَن تَبَرُّوا﴾ على هذا علة للنهي؛ فهو مفعول من أجله أي: نهيتم عن كثرة الحلف كي تبروا، وقيل: المعنى لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا، وافعلوا البر والتقوى دون يمين؛ فـ"أن تبروا" على هذا هو المحلوف عليه، والـ"عرضة" على هذين القولين كقولك: فلان عرضة لفلان؛ إذا أكثر التعرض له، وقيل: "عرضة" مانع، من قولك: عرض له أمر حال بينه وبين كذا، أي: لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق ﷺ أن لا ينفق على مسطح، فـ"أن تبروا" على هذا علة لامتناعهم؛ فهو مفعول من أجله، أو مفعول بـ"عرضة" لأنها بمعنى مانع. ﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط، وهو عند مالك قولك: نعم والله ولا والله، الجاري على اللسان من غير قصد، وفاقا للشافعي، وقيل: أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة، وقال ابن عباس ﷺ: اللغو الحلف حين الغضب، وقيل: اللغو اليمين على المعصية، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة. ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدت فهو خلاف اللغو، وقال ابن عباس ﷺ: هو اليمين الغموس، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا، وهو حرام إجماعا، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي. ﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهن، وإنما

فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ

تعدى بـ"من" لأنه تضمن معنى البعد منهن، ويدخل في عموم قوله: "الذين" كل حالف حرا كان أو عبدا؛ إلا أن مالكا جعل مدة إيلاء العبد شهرين خلافا للشافعي، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم، خلافا للشافعي في قصره الإيلاء على الحلف بالله؛ ووجهه أنها اليمين الشرعية، ولا يكون موليا عند مالك والشافعي إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا، فإذا انقضت الأربعة الأشهر وقف المولي عند مالك والشافعي؛ فإما فاء وإلا طلق، فإن أبى طلق عليه الحاكم، وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر وقع الطلاق دون توقيف. ولفظ الآية يحتمل القولين. ﴿فَإِنْ فَآءُو﴾ رجعوا إلى الوطء وكفَّروا عن اليمين. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة. ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ﴾ العزيمة على قول مالك؛ التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم، وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك، بائن عند الشافعي وأبي حنيفة. ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيان للعدة، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَاللَّآئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الآية، والتي لم يدخل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ فبقي حكمها في المدخول بها وهي في سن من تحيض، وقد خص مالك منها الأمة فجعل عدتها قرءين. و"يتربصن" خبر بمعنى الأمر. ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتصب "ثلاثة" على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري، و"قروء" جمع قرء، وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض، فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في "ثلاثة"؛ فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث، ولقول عائشة ﵂: الأقراء هي الأطهار. وحمله أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدة؛ فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسها فيه، وعند أبي حنيفة بالطهر منها. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني: الحمل والحيض ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع بعل، وهو هنا الزوج. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في زمان العدة. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع وحسن المعاشرة. ﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامة، وقيل: بالإنفاق، وقيل: كون الطلاق بيده. ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر، وقيل: بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السنة. ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ ارتجاع؛ وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حسن المعاشرة وتوفية الحقوق. ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة

بِإِحْسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ

فتبين منه. ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ المتعة، وقيل: التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف، وهو بعيد؛ لأن قوله بعد ذلك: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارا، والطلقة الرابعة لا معنى لها. ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ﴾ الآية نزلت بسبب ثابت بن قيس اشتكت منه امرأته ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «**أتردين عليه حديقته؟**» قالت: نعم، فدعاه فطلقها على ذلك [البخاري:5273]. وحكمها على العموم، وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان. ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما. ثم إن المخالعة على أربعة أحوال؛ الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة؛ فأجازها مالك وغيره لقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الآية، ومنعها قوم لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾. الثاني: أن يكون الضرر منهما جميعا؛ فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، وأجازه الشافعي لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾. الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة؛ فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية. الرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة؛ فمنعه الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية. وقد منع بعضهم الخلع مطلقا لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ وأجازه أبو حنيفة مطلقا، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: "الطلاق مرتان". ﴿حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا العقد مع الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر: «**لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**» [البخاري: 2639]، وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء؛ وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث وخرقه للإجماع، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه، والوطء مباحا في غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام، خلافا لابن الماجشون في الوطء غير المباح، وأما نكاح المحلل فحرام، ولا يُحل الزوجة لزوجها عند مالك، خلافا لأبي حنيفة، والمعتبر في ذلك نية المحلِّل، لا نية المرأة ولا نية المحلَّلِ له، وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني هذا الزوج الثاني ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوجة والزوج الأول.

إن ظنآ أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴿٢٣٠﴾ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴿٢٣١﴾ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٢٣٢﴾ والوالدات يرضعن أولادهن

﴿أن يقيما حدود الله﴾ أي: أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة. ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ الآية خطاب للأزواج، وهو نهي عن أن يطيل الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها، بأن يرتجع قرب انقضاء العدة ثم يطلق بعد ذلك، ومعنى ﴿فبلغن أجلهن﴾ في هذا الموضع قاربن انقضاء العدة وليس المراد انقضاءها؛ لأنه ليس بيده إمساك حينئذ. ومعنى ﴿فأمسكوهن﴾ راجعوهن. ﴿بمعروف﴾ هنا قيل: هو الإشهاد، وقيل: النفقة. ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ الآية، هذه الأخرى خطاب للأولياء، وبلوغ الأجل هنا انقضاء العدة. ﴿فلا تعضلوهن﴾ أي: لا تمنعوهن ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهن، قال السهيلي: نزلت في معقل بن يسار ﷺ، كان له أخت فطلقها زوجها، ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها أخوها، وقيل: نزلت في جابر بن عبد الله ﷺ، وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها، ثم أراد ارتجاعها، فمنعها جابر ﷺ وقال: تركتها وأنت أملك بها ،لا زوجتكها أبدا، فنزلت الآية. و ﴿بالمعروف﴾ هنا: الصداق، وقيل: الإشهاد، وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في نكاح وليته خلافا لأبي حنيفة. ﴿ذلك يوعظ به﴾ خطاب للنبي ﷺ، أو لكل أحد على حدته؛ ولذلك وحد ضمير الخطاب. ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ خطابا للمؤمنين، والإشارة إلى ترك العضل، ومعنى "أزكى" أطيب للنفس ومعنى ﴿أطهر﴾ للدين والعرض.

﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ خبر بمعنى الأمر، وتقتضي الآية حكمين؛ الأول: من يرضع الولد؟ فمذهب مالك: أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها فلا يلزمها ذلك، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال لزمها إرضاعه في المشهور، وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال، وإن كانت مطلقة بائنا لم يلزمها إرضاعه؛ لقوله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ إلا أن تشاء هي فهي أحق به بأجرة المثل، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب،

حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ

وقال: أبو ثور: يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب، وأما مالك فحملها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التخيير، حسبما ما ذكر من التقسيم في المذهب، الحكم الثاني: مدة الرضاع، وقد ذكرها في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين؛ لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر حولان، فرفع ذلك الاحتمال وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً﴾ الآية، فإن لم يكن على الولد ضرر في الفطام ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين فذلك له، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له، وقال ابن عباس ﷺ: إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فإن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾. ﴿وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان؛ أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد أوجبها الله للأم على الوالد؛ وهو قول الزمخشري وابن العربي، والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، وقال منذر بن سعيد البلوطي: هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى ذلك حملها ابن الفرس. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: على قدر حال الزوج في ماله والزوجة في منصبها، وقد بين ذلك بقوله: ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي، ويرفعها على الخبر ومعناه النهي، ويحتمل على كل واحد من الوجهين: أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل، فيكون ما قبل الآخر مكسورا قبل الإدغام، أو يكون مسندا إلى المفعول فيكون مفتوحا، والمعنى على الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد، ويدخل في عموم النهي وجوه الضرر كلها، والباء في قوله "بولدها" و"بولده" سببية، والمراد بقوله: ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ﴾ الوالد، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب له لا للأم. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ اختلف في "الوارث" فقيل: وارث المولود له، وقيل: وارث الصبي لو مات، وقيل: هو الصبي نفسه، وقيل: من بقي من أبويه، واختلف في المراد بقوله "مثل ذلك"، فقال مالك وأصحابه: عدم المضارة، وذلك يجري مع كل قول في "الوارث" لأن ترك الضرر واجب على كل أحد، وقيل: المراد أجرة الرضاع من النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله، وأما على سائر الأقوال، فقيل: إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد، وقيل: إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات

وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾

أو على وارث الوالد؛ وهو قول قتادة والحسن البصري. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ إباحة لاتخاذ الظئر. ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: دفعتم أجرة الرضاع. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية عموم في كل متوفى عنها، سواء توفي زوجها بعد الدخول أو قبله؛ إلا الحامل فعدتها وضع حملها سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشرة أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: عدتها أبعد الأجلين. وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال، و"يتربصن" معناه: عن التزويج، وقيل: عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد، وإعراب "الذين" مبتدأ، وخبره "يتربصن" على تقدير أزواجهم يتربصن، وقيل: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، وقال الكوفيون: الخبر عن "الذين" متروك، والقصد الإخبار عن أزواجهم. ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: إذا كان غير منكر، وقيل: معناه الإشهاد. ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ الآية إباحة التعريض بخطبة المرأة المعتدة، ويقتضي ذلك النهي عن التصريح ثم أباح ما يضمر في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾. ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: تذكروهن في أنفسكم وبألسنتكم لمن يخف عليكم، وقيل: أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك. ﴿لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهن في العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة، وقال مالك فيمن يعِد في العدة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إلي، ثم يكون خاطبا من الخُطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها. ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع، والقول المعروف هنا: ما أبيح من التعريض كقوله: إنكم لأكفاء كرام، وقوله: إن الله سيفعل معك خيرا، وشبه ذلك. ﴿وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية نهي عن عقد النكاح قبل إتمام العدة، و﴿الْكِتَابُ﴾ هنا: القدر الذي شرع من العدة، ومن تزوج امرأة في عدتها فرق بينهما اتفاقا، فإن دخل بها حرمت عليه على التأبيد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة، واختلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ

يدخل بها، وإذا دخل بها ولم يطأها. ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية، قيل: إنها إباحة للطلاق قبل الدخول، لما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة، ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهي عنه، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك، وقيل: إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول؛ وذلك أن من طلق قبل الدخول، فإن كان لم يفرض لها صداقا؛ وذلك في نكاح التفويض فلا شيء عليه من الصداق لقوله: "لا جناح عليكم إن طلقتم النساء" الآية فالمعنى: لا طلب عليكم بشيء من الصداق، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾، وإن كان قد فرض لها فعليه نصف الصداق لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ولا متعة عليه؛ لأن المتعة إنما ذكرت لمن لم يفرض لها بقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾، "أو" فيه بمعنى الواو. ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أحسنوا إليهن وأعطوهن شيئا عند الطلاق، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك وواجب عند الشافعي. ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرُهُ﴾ أي: يمتع كل واحد على قدر ما يجد، و"الموسع" الغني، و﴿الْمُقْتِرِ﴾ الضيق الحال، وقرئ بإسكان دال "قدره" وفتحها وهما بمعنى، و﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا أي: لا حِمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله "حقا"، وتعلق مالك في الندب بقوله "على المحسنين"؛ لأن الإحسان تطوع بها لا يلزم. ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية، بيان أن المطلقة قبل الدخول لها نصف الصداق إذا كان قد فرض لها صداق مسمى، بخلاف نكاح التفويض. ﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ﴾ النون فيه نون جماعة النسوة يريد المطلقات، والعفو هنا بمعنى الإسقاط أي: للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق إلا أن يسقطنه، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها. ﴿أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس ﷺ ومالك وغيرهما: هو الولي الذي تكون المرأة في حجره، كالأب في ابنته المحجورة والسيد في أمته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء، وقال علي ابن أبي طالب ﷺ والشافعي: "الذي بيده عقدة النكاح" هو الزوج، وعفوه أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته، وحجة مالك أن قوله "الذي بيده عقدة النكاح" في الحال، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح، وحجة الشافعي قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل، وأما إسقاط الأب

وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

لحق ابنته فليس فيه تقوى؛ لأنه إسقاط حق الغير. ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل: إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه، واللفظ أعم من ذلك. ﴿والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ جرد ذكرها بعد دخولها في ﴿الصَّلَوَاتِ﴾ اعتناء بها، وهي الصبح عند مالك وأهل المدينة، والعصر عند علي بن أبي طالب ﷺ لقوله ﷺ: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**» [البخاري:2931]، وقيل: هي الظهر، وقيل: المغرب، وقيل: العشاء الآخرة، وقيل: الجمعة، وسميت الوسطى لتوسطها في عدد الركعات، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع، أو لتوسط وقتها على القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة لأنها في وسط النهار أو لفضلها من الوسط وهو الخيار، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها. ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ﴾ معناه في صلاتكم ﴿قَانِتِينَ﴾ هنا: ساكتين وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت، قاله ابن مسعود وزيد بن أرقم ﷺ، وقيل: خاشعين، وقيل: هنا طول القيام. ﴿فَإنْ خِفْتُمْ﴾ أي: من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس ﴿فَرِجَالاً﴾ جمع راجل أي: على رجليه. ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي: صلوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره وذلك في صلاة المسايفة، ولا ينقص فيها من ركعتين في السفر وأربع في الحضر عند مالك. ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ﴾ الآية، قيل: المعنى إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي عُلمتموها وهي التامة، وقيل: إذا أمنتم فاذكروا الله. ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ هذه الصلاة التي تجزئكم في حال الخوف، فالذكر على القول الأول بمعنى الصلاة، وعلى الثاني بمعنى الشكر. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ هذه الآية منسوخة ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجه أن تقيم في منزله سنة وينفق عليها من ماله وذلك وصية لها، ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذي لها من الميراث حسبما ذكر في سورة النساء، وإعراب "وصية" مبتدأ وخبره "لأزواجهم"، أو مضمر تقديره فعليهم وصية، وقرئت بالنصب على المصدر تقديره ليوصوا وصية، و﴿مَّتَاعًا﴾ نصب على المصدر. ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراج المرأة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة ﴿فَلاَ جُنَاحَ﴾ على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوج وزينة.

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ عام في إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور، واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة، واستثنى مالك المختلعة والملاعنة. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبة ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها "حقا على المحسنين"، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع فنزلت "حقا على المتقين". ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب. ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد، فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماتهم الله ليعرفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيء، وقيل: بل فروا من الطاعون. ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألف، قيل: ثمانون ألفا، وقيل: ثلاثون ألفا، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: هو من الألفة؛ وهذا ضعيف. ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ عبارة عن إماتتهم، وقيل: إن ملكين صاحا بهم: موتوا؛ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم. ﴿وَقَاتِلُوا﴾ خطاب لهذه الأمة، وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم. ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف، وروي أن الآية نزلت في أبي الدحداح ﷺ حين تصدق بحائط لم يكن له غيره. ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصا طيبا من حلال من غير مَن ولا أذى. ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف وبالرفع على الاستئناف، أو عطفا على "يقرض" وبالنصب في جواب الاستفهام. ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة. ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ رؤية قلب، وكانوا قوما نالتهم الذلة من أعدائهم فطلبوا الإذن في القتال فلما أمروا به كرهوه. ﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ قيل: اسمه شمويل، وقيل: شمعون. ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم، ويجوز في

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ

السين من "عسيتم" الكسر والفتح وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر، وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح. ﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملكهم، وقال السدي: أرسل الله إلى نبيهم عصا، وقال له: إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم، فكان ذلك طالوت. ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي: أنه كان دباغا ولم يكن من بيت الملك، والواو في قوله "ونحن" واو الحال، وفي قوله ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ لعطف الجملة على الأخرى. ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالما بالعلوم، وقيل: بالحروب، وكان أطول رجل يصل إلى منكبه. ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ﴾ رد عليهم في اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال. ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع، فجعله يوشع في البرية، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: رمح لها رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل: طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء، وقيل: رحمة، وقيل: وقار. ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ قال ابن عباس ﷺ: هي عصى موسى ورضاض الألواح، وقيل: العصا والنعلان، وقيل: ألواح من التوراة. ﴿ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ﴾ يعني أقاربها قال الزمخشري: يعني الأنبياء من بني إسرائيل، ويحتمل أن يريد موسى وهارون وأقحم الآل. ﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد. ﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين. ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية، اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾ رخص لهم في الغرفة باليد، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها وهو الاسم ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش. ﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة، ويقال: إن البربر من ذريته.

قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ

﴿يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه. ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوت، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة. ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ هنا النبوة أو الزبور. ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك. ﴿وَلَوۡلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ﴾ الآية، منة على العباد بدفع بعضهم ببعض، وقرئ "دفاع" بالألف، و"دفع" بغير ألف والمعنى متفق. ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم. ﴿فَضَّلۡنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول كقوله ﷺ: **«لا تخيروا بين الأنبياء»** [البخاري: 2412] و**«لا تفضلوني على يونس بن متى»** [البخاري: 3415]، فإن معناه النهي عن تعيين المفضول؛ لأنه تنقيص له وذلك غيبة ممنوعة، وقد صرح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: **«أنا سيد ولد آدم»** [مسلم: 6079] لا بفضله على واحد بعينه فلا تعارض بين الحديثين. ﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ موسى عليه السلام. ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ﴾ قيل: هو محمد ﷺ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة، وقيل: هو إدريس لقوله: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فالرفعة على هذا في المسافة، وقيل: هو مطلق في كل من فضله الله منهم. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ أي: من بعد الأنبياء، والمعنى: بعد كل نبي لا بعد الجميع. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ كرره تأكيدا وليبني عليه ما بعده. ﴿أَنفِقُواْ﴾ يعم الزكاة والتطوع. ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرف أحد في ماله، والمراد: لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا، ويدخل فيه نفي الفدية؛ لأنها شراء الإنسان نفسه. ﴿وَلَا خُلَّةٞ﴾ أي: مودة نافعة؛ لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه. ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله،

وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه، وكرامة للشافع، ليس فيها تحكم على الله، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن، أعني أنها لا تقع إلا بإذن الله، فلا تعارض بينه وبين إثباتها، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة والتخويف بها، نفيت الشفعة على الإطلاق ومبالغة في التهويل، وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم لله نفيت الشفاعة إلا بإذنه. ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا ولم يقل: الظالمون هم الكافرون. ﴿اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي، وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وغيره. ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية، والفرق بين السِّنة والنوم: أن السنة هي ابتداء النوم لا نفسه؛ كقول القائل: في عينه سنة وليس بنائم. ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ استفهام يراد به نفي الشفاعة إلا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعة إليه. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، وقال مجاهد: "ما بين أيديهم" الدنيا "وما خلفهم" الآخرة. ﴿مِّنْ عِلْمِهِ﴾ من معلوماته، أي: لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش؛ وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وقيل: كرسيه علمه، وقيل: كرسيه ملكه. ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ﴾ أي: لا يثقله ولا يشق عليه. ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه؛ بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه دون إكراه، ويدل على ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل: معناها الموادعة، وأن لا يكره أحد بقتال على الدخول في دين الإسلام، ثم نسخت بالقتال؛ وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة. ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة في الأجرام: هي موضع الإمساك وشد الأيدي، وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان. ﴿لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ

لها ولا انفصال. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ جمع الطاغوت هنا، وأفرد في غير هذا الموضع، فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله، ولمن يضل الناس من الشياطين وبني آدم. ﴿الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو نمرود الملك، وكان يدعي الربوبية فقال لإبراهيم: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وأحضر رجلين؛ فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا، فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: انقطع وقامت عليه الحجة، فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؟ فالجواب: أنه لم ينقطع، ولكنه لما ذكر الدليل الأول؛ وهو الإحياء والإماتة، كان له حقيقة وهو فعل الله، ومجاز وهو فعل غيره، فتعلق نمرود بالمجاز غلطا منه أو مغالطة، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني؛ لأنه لا مجاز له، ولا يمكن الكافر عدول عنه. ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الذي، فحذف لدلالة "ألم تر" عليه؛ لأن كلتيهما كلمتا تعجب، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قال: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية، وهذا المار، قيل: إنه عزير، وقيل: الخضر، فقوله: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ ليس إنكارا للبعث ولا استبعادا، ولكنه استعظام لقدرة الذي يحيي الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء، وصورته لا شك في وقوعه، وذلك مقتضى كلمة "أنى" فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة، وقيل: بل كان كافرا وقالها إنكارا للبعث واستبعادا، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه وذلك أعظم برهان. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس، وقال السدي: سقطت سقوفها وهي العروش ثم سقطت الحيطان على السقف. ﴿أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب، ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم؛ لأن ذلك هو الذي يمكن فيه الشك والإنكار، ولذلك أراه الله الحياة بعد موته، والقرية كانت بيت المقدس لما خربها بختنصر، وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤال على وجه التقرير. ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقل مدة موته، قيل: أماته الله غدوة يوم، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام، فظن أنه يوم واحد، ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب في قوله "يوما"، فقال "أو بعض يوم". ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: كان طعامه تينا وعنبا، وأن شرابه كان عصيرا ولبنا. ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغير؛ بل بقي على حاله طول مائة عام، وذلك أعجوبة إلهية، واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة؛ لأن لامها هاء، فتكون الهاء في "يتسنه" أصلية، أي: لم تغيره السنون، ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك: تسنن الشيء إذا فسد، ومنه: الحمأ المسنون، ثم قلبت النون حرف علة؛ كقولهم: قصيت أظفاري، ثم حذف حرف العلة للجزم، والهاء على هذا هاء السكت. ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيا طول المائة عام دون علف ولا ماء، وقيل: مات ثم أحياه الله وهو ينظر إليه. ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ التقدير: فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، وروي: أنه قام شابا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا. ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسه، وقيل: عظام الحمار على القول بأنه مات. ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالراء: نحييها، وقرئ بالزاي؛ ومعناه: نرفعها للإحياء. ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضم الميم، أي: قال الرجل ذلك اعترافا، وقرئ بألف وصل والجزم على الأمر، أي: قال له الملك ذلك. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الآية، قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال، ويدل على ذلك قوله ﴿كَيْفَ﴾؛ فإنما سؤال عن حال الإحياء وصورته، لا عن وقوعه. ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: بالمعاينة. ﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك والطاوس والحمام والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها، ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل وأمسك رؤوسها بيده، ثم قال: تعالين بإذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت وبقيت بلا رؤوس، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها وطارت بإذن الله. ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي: ضمهن، وقيل: قطعهن على كل جبل، قيل: أربعة جبال، وقيل: سبعة، وقيل: الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد.

انَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظاهره الجهاد، وقد يحمل على جميع وجوه البر. ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كل ما يزرع ويقتات، وأشهره القمح، وفي الكلام حذف تقديره: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة، أو يقدر في آخر الكلام: كمثل صاحب حبة. ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ بيان أن الحسنة بسبعمائة، كما جاء في الحديث: أن رجلا جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة**» [مسلم: 5005]. ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يزيده على سبعمائة، وقيل: هي تأكيد وبيان للسبعمائة، والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآية، قيل نزلت في عثمان ﷺ، وقيل: في علي ﷺ، وقيل: في عبد الرحمن بن عوف ﷺ. ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، والأذى: السب. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ هو رد السائل بجميل من القول كالدعاء له والتأنيس. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل: مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، والمعنى: تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة على العطاء الذي يتبعه أذى. ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تبطل الحسنات، وقالوا في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي لا تقبل منه، وقيل: إن المن والأذى دليل على أن نيته لم تكن خالصة فلذلك بطلت صدقته. ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ﴾ تمثيل لمن يمن ويؤذي بالذي ينفق رياء وهو غير مؤمن. ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل المرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة فإذا نزل عليه المطر انكشف التراب، فيبقى الحجر لا منفعة فيه، فكذلك المرائي يظن أن له أجرا، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته. ﴿صَفْوَانٍ﴾ حجر كبير. ﴿وَابِلٌ﴾ مطر كثير. ﴿صَلْدًا﴾ أملس. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم، وهو كسبهم. ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي: تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على

مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ

الإيمان باحتمال المشقة في بذل المال، وانتصاب "ابتغاء" على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه "وتثبيتا"، ولا يصح في "تثبيتا" أن يكون مفعولا من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت، فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو "ابتغاء". ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر أولاً: مثل نفقة الذين ينفقون. ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها. ﴿فَطَلٌّ﴾ المطر الرقيق الخفيف، والمعنى: يكفي هذه الجنة لكرم أرضها. ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآية، مثلٌ ضرب للإنسان يعمل عملا صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم عليه بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائي المتقدم ذكره آنفا، أو ذي المن والأذى؛ فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله، فإذا كان يوم حاجته إليه لم يجد شيئا، فشبههم الله بمن كانت له جنة ثم أصابتها الجائحة المهلكة، أحوجَ ما كان إليها لشيخوخته وضعف ذريته، فالواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ للحال. ﴿إِعْصَارٌ﴾ أي: ريح فيها سموم محرقة. ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء، فقيل: إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا، وقيل: في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء. ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ النبات والمعادن وغير ذلك. ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي: لا تقصدوا الرديء. ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال. ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ الواو للحال، والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم إلا أن تتسامحوا فيه، و﴿تُغْمِضُوا﴾ من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه، إذا لم يستوفه، أو إذا غض بصره. ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الآية، دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حض على الإنفاق، ثم بين عداوة الشيطان بأمره ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾ وهي المعاصي، وقيل: الفحشاء البخل، والفاحش عند العرب: البخيل، قال ابن عباس ﷺ: في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله، والفضل هو الرزق والتوسعة. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن، وقيل: النبوة، وقيل: الإصابة في القول والفعل.

ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٨﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٦٩﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَنُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية، ذكر نوعين، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر، وفي قولـه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وعد بالثواب، وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق مالـه لغير الله. ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة في الصلوات. ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناء على الإظهار، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء و"ما" من "نعما" في موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير: فنعم شيء إبداؤها ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قيل: إنّ المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة، فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفـع لكافـر أصلا، فالضمير في "هداهم" على هذا القول للكفار، وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفـاق وترك المن والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلغهم، والهدى بيد الله، فالضمير على هذا للمسلمين. ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: إن منفعته لكم؛ لقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله، ففيه تزكية لهم وشـهادة بفضلهـم، وقيل: مـا تنفقون نفقة تقبل منكـم إلا ابتغاء وجه الله، ففي ذلـك حض على الإخلاص. ﴿لِلْفُقَـرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: الإنفاق للفقراء، وهم هنا المهاجرون. ﴿أُحْصِرُوا﴾ حبسـوا بالعدو أو بالمرض. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل الجهاد، أو الدخول في الإسلام. ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ أي: يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم، و﴿التَّعَفُّفِ﴾ هنا هو عن الطلب، و"من" سـببية، وقال ابن عطية: لبيان الجنس. ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ علامة وجوههم، وهي ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة، وقيل: الخشوع، وقيل: السجود. ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الإلحاف هو الإلحاح في السؤال، والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون، وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاح معا، وباقي الآية وعد.

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ

﴿بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته، قال ابن عباس ﷺ: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرا وبدرهم علانية، وقال أبو هريرة ﷺ: نزلت في علف الخيل. ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي: ينتفعون به، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع، وسواء من أعطاه أو من أخذه، والربا في اللغة الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم: أتقضي أم تُربي، فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه، ثم إن الربا على نوعين؛ ربا النسيئة، وربا التفاضل، وكلاهما يكون في الذهب والفضة وفي الطعام، فأما النسيئة فتحرم في بيع الذهب بالذهب، وبيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة وهو الصرف، وفي الطعام بالطعام مطلقا، وأما التفاضل فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام، ومذهب الشافعي أنه يحرم في كل طعام، ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره. ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون و"يتخبطه" يتفعله من قولك: خبط يخبط، و"المس" الجنون، و"من" تتعلق بـ"يقوم". ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ رد على الشريعة وتكذيب لها، ثم قد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد، فإن قيل: هلا قيل: إنما الربا مثل البيع؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟ فالجواب: أن هذا مبالغة، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع. ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعا. ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ رد على الكفار، وإنكار للتسوية بين البيع والربا، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه. ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أخذ من الربا، أي: لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم. ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا، والمعنى: أن الله يحكم فيه يوم القيامة فلا تؤاخذوه في الدنيا، وقيل: الضمير عائد على "الربا"، والمعنى: أن أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك. ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآية، يعني من عاد إلى فعل الربا وإلى القول "إنما البيع مثل الربا"، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار؛ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفار. ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾

وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

ينقصه ويذهبه ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ﴾ ينميها في الدنيا بالبركة وفي الآخرة بمضاعفة الثواب. ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي: من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدل على أن الآية في الكفار. ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا﴾ سبب الآية: أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «**كل ربا كان في الجاهلية موضوع**» [مسلم: 3009]، ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش فأبوا من دفعه، وقالوا: قد وضع الربا، فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد ﷺ أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرط لمن خوطب به من ثقيف وغيرهم. ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم، ومعنى "فَأْذَنُواْ" اعلموا، وقرئ بالمد أي: أعلموا غيركم، ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله. ﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ أي: "لا تظلمون" بأخذ زيادة على رؤوس أموالكم، "ولا تظلمون" بالنقص منها. ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ "كان" تامة بمعنى حضر أو وقع، وقرئ "ذا عسرة" أي: إن كان الغريم ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة، حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه. و﴿نَظِرَةٌ﴾ مصدر معناه التأخير، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء، تقديره: فالواجب نظرة أو مبتدأ، و﴿مَيْسُرَةٍ﴾ أيضا مصدر، وقرئ بضم السين وفتحها. ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه، فذلك أفضل من إنظاره، وباقي الآية وعظ، وقيل: إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل: بل قوله ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ الآية، قيل: آية الدين المذكورة بعد. ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ أي: إذا عامل بعضكم بعضا بدين، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا في "تداينتم" ليعود عليه الضمير في "اكتبوه"، وليزول الاشتراك الذي في "تداينتم"، إذ قد يقال بمعنى الجزاء. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعي وأبو حنيفة، قال ابن عباس ﷺ: نزلت الآية في السلم

فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ

خاصة، يعني أن سَلم أهل المدينة كان سبب نزولها، قال مالك: وهذا يجمع الدين كله، يعني أنه يجوز التأخير في السَلم والسلف وغيرهما. ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم: إنها منسوخة لقوله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، وقال قوم: إنها على الندب. ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾، وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم: إن الأمر بذلك على الندب؛ ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق. ﴿بِالْعَدْلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله "وليكتب"، وعند الزمخشري بقوله "كاتب"، فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل وإن كان الكاتب غير مرضي، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضيا في نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون. ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهى عن الإباية وهو يقوي الوجوب. ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلق بقوله "أن يكتب"، والكاف للتشبيه أي: يكتب مثل ما علمه الله، أو للتعليل أي: ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله؛ لقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقيل: يتعلق بقوله بعدها: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾. ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال: أمللت الكتاب وأمليته، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله تعالى: ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ على الأخرى. ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأن الشهادة إنما هي باعترافه، فإن كُتبت الوثيقة دون إملاله ثم أقر بها جاز. ﴿وَلاَ يَبْخَسْ﴾ أمر الله بالتقوى فيما يملي ونهاه عن البخس وهو نقص الحق. ﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ السفيه: الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف: الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يمل: الأخرس وشبهه. ﴿وَلِيُّهُ﴾ أبوه أو وصيه، والضمير عائد على "الذي عليه الحق". ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء إلا في الزنا، فلا بد من أربعة ﴿من رِّجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعي لنقص الرق. ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قوم: لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع عدم الرجال، وقالوا: معنى الآية "إن لم يكونا" أي: إن لم يوجدا، وأجازه الجمهور؛ لأن المعنى: إن لم يستشهد رجلان فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل فيما لا يطلع عليه الرجال؛ كالولادة والاستهلال وعيوب النساء، وارتفع "رجل"

مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ

بفعل مضمر تقديره: فليكن رجل فهو فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون. ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين، وهو مشترط أيضا في الرجلين الشاهدين؛ لأن الرضا مشترط في الجميع، وهو العدالة، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر وتوقي الصغائر مع المحافظة على المروءة. ﴿أَن تَضِلَّ﴾ مفعول من أجله، والعامل فيه هو المقدر العامل في "رجل وامرأتان"، والضلال في الشهادة هو نسيانها أو نسيان بعضها، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله، وليس هو المراد؛ لأنه سبب لتذكير الأخرى لها وهو المراد، فأقيم السبب مقام المسبب، وقرئ "إن تضل" بكسر الهمزة على الشرط، وجوابه الفاء في ﴿فَتُذَكِّرَ﴾، ولذلك رفعه من كسر الهمزة، ونصبه من فتحها على العطف، وقرئ "تذكر" بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد. ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ أي: لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ. واتفق العلماء على أن أداء الشهادة واجب إذا دعي إليها، وقيل: إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها، وقيل: إلى الأمرين. ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ أي: لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت، سواء كان الحق ﴿صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾، ونصب "صغيرا" على الحال. ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارة إلى الكتابة. ﴿أَقۡسَطُ﴾ من القسط وهو العدل. ﴿وَأَقۡوَمُ﴾ بمعنى وأشد إقامة، وبنى أفعل فيهما من الرباعي، وهو قليل. ﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: أقرب إلى عدم الشك في الشهادة. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ﴾ "أن" في موضع نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل، والمعنى إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، وهو ما يباع بالنقد. وقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ يقتضي القبض والبينونة. ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾ ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا وهم الظاهرية، خلافا للجمهور، وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾، وذهب قوم إلى أنه على الندب. ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ يحتمل أن يكون "كاتب" فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من "يضار"، والمعنى على هذا: نهي للكاتب والشاهد أن يضرا صاحب الحق، أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه، أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة، أو الشهادة، ويحتمل أن يكون "كاتب" مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب ﷺ:

وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقْبُوضَةٞۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضٗا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ

"لا يضارر" بالتفكيك وفتح الراء، والمعنى: النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد بإذايتهما بالقول أو بالفعل. ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ أي: إن وقعتم في الإضرار، ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾ حال ﴿بِكُمْ﴾، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه: الوعد بأن من اتقى الله علمه وألهمه، وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يعطيه، لأنه لو كان كذلك لجزم "يعلمكم" في جواب "اتقوا". ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ الآية، لما أمر الله تعالى بكتابة الديون، جعل الرهن توثيقا للحق عوضا عن الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر، وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر لظاهر الآية، وأجازه مالك وغيره في الحضر؛ لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة [البخاري: 2509]. ﴿فَرِهَٰنٞ مَّقْبُوضَةٞ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله، وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل، والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره؛ لقوله تعالى: "مقبوضة"، وهو عند مالك شرط كمال. ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضٗا﴾ الآية، أي إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به فليستغن عن الكتابة وعن الرهن، فأمر أولاً بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدين ثلاثة أحوال، ثم أمر المديان بأداء الأمانة ليكون عند ظن صاحبه به. ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ محمول على الوجوب. ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلْبُهُۥ﴾ معناه قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة، وارتفع "آثم" بأنه خبر "إن"، و"قلبه" فاعل به، ويجوز أن يكون "قلبه" مبتدأ و"آثم" خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملة الكاتم هي الآثمة؛ لأن الكتمان من فعل القلب إذ هو يضمرها، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان. ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ الآية، مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب، سواء أبدوه أو أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله، وفي ذلك إشكال؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها**» [البخاري: 5269] ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة، وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «**قولوا سمعنا وأطعنا**»،

فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ

فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[مسلم: 344]، فكشف عنهم الكربة، ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل: هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها وذلك محاسب به، وقيل: يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول؛ لوروده في الصحيح، وقد ورد أيضا عن ابن عباس ﷺ وغيره، فإن قيل: إن الآية خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ؟ فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة، وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه، فلفظ الآية خبر ومعناها حكم. ﴿فَيَغْفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبْ﴾ قرئ بجزمهما عطفا على "يحاسبكم" وبرفعهما على تقدير: فهو يغفر. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية، سببها ما تقدم في حديث أبي هريرة ﷺ لما قالوا: سمعنا وأطعنا، مدحهم الله بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على "الرسول"، أو مبتدأ؛ فعلى الأول يوقف على "المؤمنون"، وعلى الثاني يوقف على "من ربه"، والأول أحسن. ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ إن كان "المؤمنون" معطوفا فـ"كل" عموم في "الرسول والمؤمنين"، وإن كان مبتدأ فـ"كل" عموم في المؤمنين، ووحد الضمير في "آمن" على معنى: كل واحد منهم آمن. ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرئ بالجمع أي: كل كتاب أنزله الله، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس. ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ التقدير: يقولون لا نفرق، والمعنى: لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان؛ بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين على وجه المدح لهم. ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدر، والعامل فيه مضمر، ونصبه على المصدرية تقديره: اغفر غفرانك، وقيل على المفعولية تقديره: نطلب غفرانك. ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد، وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين. ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق، وهو جائز عقلا عند الأشعرية، ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات. ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات، وجاءت العبارة بـ"لها" في الحسنات؛ لأنها مما ينتفع به العبد، وجاءت في السيئات بـ"عليها" لأنها مما يضر بالعبد، وإنما قال في الحسنات "كسبت"، وفي الشر "اكتسبت"؛ لأن في الاكتساب ضربا من الاعتمال والمعالجة حسبما تقتضيه صيغة افتعل؛ فالسيئات

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ويتعداه، بخلاف الحسنات فإنه فيها على الجادة من غير تكلف، أو لأن السيئات يجدّ في فعلها لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم، ويحتمل أن يكون من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم "سمعنا وأطعنا"، والنسيان هنا هو الذهول الغالب على الإنسان، والخطأ غير العمد، فذلك معنى قوله ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**» [ابن ماجه: 2123]، وقد كان يجوز أن يؤاخذ به لولا أن الله رفعه. ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ التكاليف الصعبة كانت قد كلفت لمن تقدم من الأمم، كقتل أنفسهم وقرض أبدانهم، ورفعت عن هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، وقيل: الإصر المسخ قردة وخنازير. ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق، لأنه لا يُدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إن الشرع دفع وقوعه، وتحقيق ذلك: أن ما لا يطاق أربعة أنواع؛ الأول: عقلي محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن، فهذا جائز وواقع بالاتفاق، والثاني: عادي كالطيران في الهواء، والثالث: عقلي وعادي؛ كالجمع بين الضدين، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه، والرابع: تكليف ما يشق ويصعب، فهذا جائز اتفاقا، وقد كلفه الله من تقدم من الأمم ورفعه عن هذه الأمة. ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ﴾ ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق: أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام. ﴿مَوْلَانَا﴾ ولينا وسيدنا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ

سورة آل عمران

نزل صدرها نيف وثمانون آية؛ لما قدم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام. ﴿الم﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء، وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾، وقال الزمخشري: هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم؛ وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج. ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ رد على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صلب فليس بحي وليس بقيوم. ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا القرآن. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها، أو بالاستحقاق. ﴿مُصَدِّقاً﴾ قد تقدم في ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة. ﴿التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ أعجميان، فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما. ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه المفرق بين الحق والباطل، ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات؛ لإنزاله بقوله ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به، كما قال في التوراة والإنجيل: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فكأنه قال: وأنزل الفرقان هدى للناس، ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه، فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارا، وقيل: "الفرقان" هنا كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل: هو الزبور، وهذا بعيد. ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفصيل، وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لغيره ففي ذلك رد على النصارى. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهان على إثبات علم الله المذكور قبل، وفيه رد على النصارى؛ لأن عيسى لا يقدر على التصوير بل كان مصورا كسائر بني آدم. ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طول وقصر وحسن وقبح ولون وغير ذلك. ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ المحكم من القرآن: هو البين المعنى الثابت الحكم، والمتشابه: هو الذي يحتاج إلى تأويل، أو يكون مستغلق المعنى كحروف الهجاء، قال ابن عباس رضي الله عنه: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر، وهذا تمثيل لما قلنا ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: عمدة ما فيه ومعظمه. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران، فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: «نعم» قالوا: فحسبنا إذاً [ابن أبي حاتم 3187]،

ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾

فهذا من المتشابه الذي اتبعوه، وقيل: نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حيي، ثم يدخل في ذلك كل كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناس. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبهم، أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبار عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس. ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل: إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى: أنهم يعلمون تأويله، وكلا القولين مروي عن ابن عباس ﷺ، الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة وعروة بن الزبير ﷺ وهو أرجح. وقال ابن عطية: المتشابه نوعان؛ نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه، فيكون "الراسخون" ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفا بالنظر إلى الثاني. ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم؛ والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ استدلال على البعث، ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين، أو منقطعا فهو من كلام الله تعالى. ﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفع أي: دأب هؤلاء كدأب ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾، وفي ذلك تهديد. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على "آل فرعون"، ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على "آل فرعون". ﴿بِآيَاتِنَا﴾ البراهين أو الكتب. ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش، وقرئ بالياء إخبارا عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش؛ وهو صادق على كل قول، أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها، والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له: لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال،

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ

فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ قيل: خطاب للمؤمنين، وقيل: لليهود، وقيل: لقريش؛ والأرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم "ستغلبون"، ففيه تهديد لهم وعبرة لما جرى لغيرهم. ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر. ﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قرئ "ترونهم" بالتاء خطابا لمن خوطب بقوله "قد كان لكم آية"، والمعنى: ترون الكفار مثلي المسلمين، ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قلة عددهم، وقرئ بالياء، والفاعل في "يرونهم" المؤمنون والمفعول به هم المشركون والضمير في "مثليهم" للمؤمنين، والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من مثلي المسلمين؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما؛ أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن الكفار كانوا قريبا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار في أعين المؤمنين؛ حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين؛ ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أمروا به من قتال الواحد للاثنين في قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾، والآخر: أنه رجع قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا وذلك قدر عدد المسلمين مرتين، وقيل: إن الفاعل في "يرونهم" ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين، وأن الضمير في "مثليهم" يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين، والمعنى على هذا: أن الله كثر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقل من ذلك، وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾. ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ نصب على المصدرية، ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ﴾ أي: أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين مع أنهم كانوا أكثر منهم. ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزين هو الله، وقيل: الشيطان؛ ولا تعارض بينهما؛ فتزيين الله بالإيجاد، والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا، وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة. ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومائتا أوقية، وقيل: ألف ومائتا مثقال، وكلاهما مروي عن النبي ﷺ. ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ مبنية من لفظ القنطار للتأكيد؛ كقولهم: ألف مؤلفة، وقيل: المضروبة دنانير أو دراهم. ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية من قولك: سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح، وقيل: المعلمة في وجوهها شيات، فهي من السيما بمعنى العلامة، وقيل: المعَدة للجهاد. ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها ليزهد فيها

حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ

الناس. ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها، وتمام الكلام في قوله: "من ذلكم"، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ تفسيرا لذلك فـ﴿جَنَّاتٌ﴾ على هذا مبتدأ وخبره "للذين اتقوا"، وقيل: إن قوله: "للذين اتقوا" متعلق بما قبله، ويتم الكلام في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فـ"جنات" على هذا خبر ابتداء مضمر. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادة إلى نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث. ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعت "للذين اتقوا"، أو رفع بالابتداء ونصب بإضمار فعل. ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال. ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ العابدين أو المطيعين. ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار هو طلب المغفرة، قيل لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: «**قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**» [السنن الكبرى: 10296].

﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سحر، وهو آخر الليل، يقال: إنه الثلث الأخير، وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذ: «**من يستغفرني فأغفر له**» [البخاري: 1145]. ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية، شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، وقيل: معناها إعلامه لعباده بذلك. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطف على اسم "الله"؛ أي: هم شهداء بالوحدانية، ويعني بأولي العلم: العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته. ﴿قَائِمًا﴾ منصوب على الحال من اسم "الله"، أو من "هو"، أو منصوب على المدح. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرر التهليل لوجهين؛ أحدهما: أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة، والآخر: أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها. ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء، وبفتحها بدل من "أنه" وهو بدل شيء من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآية، إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغي؛ وهو الحسد، والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما. ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدم معناه في البقرة، وهو هنا تهديد، ولذلك وقع في جواب: ﴿مَن يَكْفُرْ﴾. ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين، والضمير لليهود ونصارى نجران. ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أخلصت نفسي وجملتي ﴿لِلَّهِ﴾، وعبر بالوجه عن الجملة،

وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۦ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ

ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم؛ لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة من خالفه. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء في "أسلمت"، ويجوز أن يكون مفعولا معه. ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقرير بعد إقامة الحجة عليهم، أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك، وقيل: إن فيها موادعة نسختها آية السيف. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية، نزلت في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبح أفعالهم وأفعال أسلافهم. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود، و"الكتاب" هنا التوراة أو جنس. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: دخل رسول الله ﷺ على جماعة من اليهود، فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له: على أي دين أنت؟ فقال: «على دين إبراهيم» فقالوا: فإن إبراهيم كان يهوديا! فقال لهم النبي ﷺ: «**فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم**» فأبوا عليه فنزلت الآية [الطبري: 6781]. فـ"كتاب الله" على هذا التوراة، وقيل: هو القرآن، كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله، والباء سببية، والمعنى أن كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: كيف يكون حالهم يوم القيامة، والمعنى تهويل واستعظام لما أعد لهم. ﴿اللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين؛ ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون: أصله يا الله أمنا بخير؛ فالميم عندهم من أمنا. ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ منادى عند سيبويه، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله، وقيل: إن الآية نزلت ردا على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر، استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية.

مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ قيل المراد: بيدك الخير والشر، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقيل: إنما خص الخير بالذكر؛ لأن الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظي منه. ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة، وقال عكرمة: هو إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وقيل: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن؛ فالحياة والموت على هذا استعارة، وفي ذكر الحي مع الميت المطابقة وهي من أدوات البيان، وفيه أيضا القلب؛ لأنه قدم الحي على الميت ثم عكس. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق، وقيل: بغير محاسبة. ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية عامة في جميع الأعصار، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود، وقيل: كتاب حاطب ﷺ إلى مشركي قريش. ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفار، وفي الكلام حذف، تقديره: ليس من التقرب إلى الله في شيء، وموضع "في شيء" نصب على الحال من الضمير في "ليس من الله" قاله ابن عطية. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم، والمراد موالاة بالظاهر مع البغضاء في الباطن. ﴿تُقَاةً﴾ وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين، وفاؤه واو أبدل منها تاء، ولامه ياء أبدل منها ألف وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في "تتقوا". ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تخويف. ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوب على الظرفية، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا أو خافوا، وقيل: العامل فيه "قدير"، وقيل: "المصير"، وقيل: "يحذركم". ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ﴾ أو معطوف. ﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافة. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف، أو لأن التحذير والتنبيه رأفة. ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ جعل اتباع النبي ﷺ علامة على محبة العبد لله تعالى

وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا

وشرطا في محبة الله للعبد ومغفرته له، وقيل: إن الآية خطاب لنصارى نجران، ومعناها على العموم في جميع الناس. ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ الآية، لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران، أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته، وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام، وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة، والأظهر أن المراد هنا والد مريم؛ لذكر قصتها بعد ذلك. ﴿وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ﴾ يحتمل أن يريد بالآل القرابة أو الأتباع، وعلى الوجهين يدخل نبينا محمد ﷺ في "ءال إبراهيم". ﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدل مما تقدم، أو حال، ووزنه فعلية منسوب إلى الذر؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغُيِّر أوله في النسب، وقيل: أصل ذرية ذرورة، وزنها فعولة، ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء فصار ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصار: ذرية. ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، وقيل: "عليم"، وقال الزجاج: العامل فيه معنى الاصطفاء. ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ اسمها حنة بالنون وهي أم مريم، وعمران هنا هو والد مريم. ﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت نذرا علي أن يكون هذا الولد الذي في بطني حبسا على خدمة بيتك، وهو بيت المقدس. ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد. ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآية، كانوا لا يحررون الإناث لخدمة المساجد، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ "وضعت" بإسكان التاء، وهو من كلام الله تعظيما لموضوعها، وقرئ بضم التاء وسكون العين، وهو على هذا من كلامها. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، فالمعنى: ليس الذَّكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لك، وأن يكون من كلامها، فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث. ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها "سميتها مريم"؛ لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب إلى الله، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته، وامتنع "مريم" من الصرف للتعريف والتأنيث، وفيه أيضا العجمة. ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ورد في الحديث: «**ما من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا، إلا مريم وابنها**» لقوله: "وإني أعيذها بك" الآية، [البخاري: 4548].

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآءُ ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: رضيها للمسجد مكان الذكر. ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون مصدرا على غير المصدر، والآخر: أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط لما يسعط به. ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارة عن حسن النشأة. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآءُ﴾ أي: ضمها إلى إنفاقه وحضانته، والكافل هو الحاضن، وكان زكريا زوج خالتها، وقيل: زوج أختها. وقرئ "كفّلها" بتشديد الفاء ونصب "زكريا"؛ أي: جعله الله كافلها. ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ في اللغة أشرف المجالس، وبذلك سمي موضع الإمام، ويقال: إن زكريا بنى لها غرفة في المسجد؛ وهي "المحراب" هنا، وقيل: "المحراب" موضع العبادة. ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويقال: إنها لم ترضع ثديا قط، وكان الله يرزقها. ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: كيف، ومن أين؟. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى. ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان، وقد يستعمل في الزمان، وهو الأظهر هنا؛ أي: لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم سأل من الله الولد. ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أُنث رعيا للجماعة، وقرئ بالألف على التذكير، وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل "الملائكة" كقولهم: فلان يركب الخيل؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسا واحدا. ﴿بِيَحْيَىٰ﴾ اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء في العربية، وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميا ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل. ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي مصدقا بعيسى عليه السلام، مؤمنا به، وسمي عيسى كلمة الله؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله: ﴿كُن﴾، لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بني آدم. ﴿وَسَيِّدًا﴾ السيد هو الذي يسود قومه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضل. ﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء، فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان يمسك نفسه، وقيل: الحصور الذي لا يأتي الذنوب. ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، ويقال: إنه كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة، فاستبعد ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك، فسأله لعلمه بقدرة الله، واستبعده لأنه نادر في العادة، وقيل: سأله وهو شاب، وأجيب وهو شيخ ولذلك استبعده. ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ أي: مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء، فالكاف لتشبيه

يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ

أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة بـ"ذلك" إلى هبة الولد لزكرياء، واسم "الله" مرفوع بالابتداء، و"كذلك" خبره، فيجب وصله معه، وقيل: إن الخبر ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، ويحتمل "كذلك" على هذا وجهين؛ أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل "يفعل"، والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك، أو أنتما كذلك، وعلى هذا يوقف على "كذلك"؛ والأول أرجح؛ لاتصال الكلام وارتباط قوله "يفعل ما يشاء" مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن منها قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ . ﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗ﴾ أي: علامة على حمل المرأة ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس. ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ يمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله، ولذلك قال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾، وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه، ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر. ﴿إِلَّا رَمۡزٗا﴾ إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما، فهو استثناء منقطع. ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ من زوال الشمس إلى غروبها. ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى. ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل، أو جمع من الملائكة؟ والعامل في "إذ" مضمر. ﴿ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ أولا حين تقبلك من أمك. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كل عيب في خَلق أو خُلق أو دين. ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب، فيكون على "نساء العالمين" عاما، وأن يكون الاصطفاء عاما فيخص "من نساء العالمين" خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى على نساء زمانها، وقد قيل: بتفضيلها على الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبية لتكليم الملائكة لها. ﴿ٱقۡنُتِي﴾ القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل: طول القيام في الصلاة، وهو قول الأكثرين. ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾ أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي: في الجماعة، فلا يقتضي الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع؛ لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة، وقيل: أراد ذلك، وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم تقديم السجود على الركوع. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القصص، وهو خطاب للنبي ﷺ. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ احتجاجا على نبوته ﷺ؛ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم. ﴿يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ أي: أزلامهم؛ وهي قِداحهم،

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ

وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقترعوا بها على كفالة مريم حرصا عليها وتنافسا في كفالتها، وتدل الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت أيضا من السنة. ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره: ينظرون أيهم. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم. ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ "إذ" بدل من "إذ قالت"، أو من "إذ يختصمون"، أو العامل فيه مضمر. ﴿اسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكر على الكلمة؛ لأن المسمى بها ذكر. ﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتق من ساح في الأرض فوزنه مفعل، وقال الأكثرون: من مسح؛ لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل، وإنما قال: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم لينسبه إليها، إعلاما بأنه يولد من غير والد. ﴿وَجِيهًا﴾ نصب على الحال، ووجاهته في الدنيا النبوة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة. ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال. ﴿وَكَهْلاً﴾ عطف عليه، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا؛ آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوته، ويكلمهم أيضا كبيرا؛ ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة وأوله ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: أربعون. ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على "يبشرك"، أو على "ويكلم".
﴿الْكِتَابَ﴾ هنا جنس، وقيل: الخط باليد. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا العلوم الدينية، أو الإصابة في الفعل والقول.
﴿وَرَسُولاً﴾ حال معطوفة على "ويعلمه"؛ إذ التقدير: ومعلما الكتاب، أو يضمر له فعل تقديره: أرسل رسولا، أو جاء رسولا. ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة. ﴿أَنِّي﴾ تقديره بأني. ﴿إِنِّي أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة بدل من "أني" الأولى، أو من "آية"، وبكسرها ابتداء كلام.
﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكر هنا الضمير؛ لأنه يعود على "الطير"، أو على الكاف من "كهيئة"، وأنث في المائدة؛ لأنه يعود على الهيئة. ﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرئ "طيرا" بياء ساكنة على الجمع، وبالألف وهمزة على الإنفراد، وكرر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رفعاً لوهم من توهم في عيسى الربوبية. ﴿وَأُبْرِىءُ﴾ روي أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصا، فيدعو لهم فيبرؤون. ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ روي أنه كان يضرب

وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، وروي أنه أحيا سام بن نوح. ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول: يا فلان أكلتَ كذا، وادخرت في بيتك كذا. ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على "رسولا"، أو على موضع "بآية من ربكم"؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن، لأنه من جملة كلام عيسى؛ فالتقدير: جئتكم بآية من ربكم وجئتكم مصدقا. ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على "بآية من ربكم"، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير، فأحل لهم عيسى بعض ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ رد على من نسب الربوبية لعيسى، وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وابتداؤه من قوله "أني قد جئتكم"، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع، ثم استؤنف الكلام من قوله "ورسولا"، على تقدير: جاء عيسى رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ أي: علم علما ظاهرا كعلم ما يدرك بالحواس. ﴿مَنْ أَنصَارِي﴾ طلب النصرة، والأنصار جمع ناصر. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله، فلذلك قيل: "إلى" هنا بمعنى مع، أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا إلى الله، أو ملتجئا إلى الله. ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حواريُّ الرجل صفوته وخاصته؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير» [البخاري: 2846] وقيل: إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين. ﴿بِمَا أَنزَلْتَ﴾ يريدون الإنجيل، و﴿الرَّسُولَ﴾ هنا عيسى عليه السلام. ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس. ﴿وَمَكَرُوا﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل؛ ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة. ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: رفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله "مكروا". ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ العامل فيه فعل مضمر أو "يمكر" ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء، وقيل: رفع حيا، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال،

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

وقيل: يعني وفاة نوم، وقيل: المعنى قابضك من الأرض إلى السماء. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلى السماء. ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: من سوء جوارهم. ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعلوهم على الكفار بالحجة وبالسيف في غالب الأمر، وقيل: "الذين اتبعوك" النصارى، و﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ اليهود؛ فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم. ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأخبار. ﴿مِنَ الآيَاتِ﴾ المتلوة أو المعجزات. ﴿الذِّكْرِ﴾ القرآن. ﴿الْحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ الآية، حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب؛ وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم. ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم، فيكون حكاية حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له "كن" فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضي؛ ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم. ﴿الْحَقُّ﴾ خبر ابتداء مضمر. ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد والآخر العاقب. ﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبهلة اللعنة؛ أي: نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة، فخافوا أن يهلكهم الله، أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية. ﴿قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لنصارى نجران، وقيل: لليهود. ﴿سَوَآءٍ﴾ أي: عدل ونصف. ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ بدل من "كلمة"، أو رفع

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ

على تقدير: هي، ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وترك ما عبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان. ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا؛ فنزلت الآية ردا عليهم؛ لأن ملة اليهود والنصارى إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة. ﴿هَآنتُمْ﴾ "ها" تنبيه، وقيل: بدل من همزة الاستفهام، و"أنتم" مبتدأ، و﴿هَؤُلَآءِ﴾ خبره، و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ استئناف، أو "هؤلاء" منصوب على التخصيص، و"حاججتم" الخبر. ﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل. ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ردا على اليهود والنصارى. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمنه دين اليهود والنصارى. ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على الذين اتبعوه، أي: محمد ﷺ. ﴿أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ لأنه على دينه. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أمة محمد ﷺ. ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾ هم اليهود، دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا ﵃ إلى اليهودية. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمد ﷺ نبي. ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أي: تخلطون، و﴿الْحَقَّ﴾ نبوة محمد ﷺ و"الباطل" الكفر به. ﴿ءَامِنُواْ بِالَّذِي أُنزِلَ﴾ كان قوم من اليهود أظهروا الإيمان أول النهار ثم كفروا آخره؛ ليخدعوا المسلمين، فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم، وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف. ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله، فيكون متصلا بقوله "إن الهدى هدى الله"، وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم: "ولا تؤمنوا إلا

أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

لمن تبع دينكم"، ويكون "إن الهدى" اعتراضا بين الكلامين؛ فعلى الأول: يكون المعنى كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، قلتم ما قلتم، ودبرتم ما دبرتم من الخداع، فموضع "أن يوتى" مفعول من أجله، أو منصوب بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة، وعلى الثاني: يكون المعنى لا تؤمنوا، أي: لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. ﴿إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ واكتموا ذلك عمن لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام، فموضع "أن يوتى" مفعول بـ"تومنوا" المضمن معنى تقروا، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله، أي: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. ﴿أَوْ يُحَآجُوكُمْ﴾ عطف على "أن يوتى"، وضمير الفاعل للمسلمين، وضمير المفعول لليهود. ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ رد على اليهود في قولهم: لم يؤت الله أحدا مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف. ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، إخبار أن أهل الكتاب على قسمين؛ أمين وخائن، وذكر القنطار مثالا للكثير، فمن أداه أدى ما دونه، وذكر الدينار مثالا للقليل فمن منعه منع ما فوقه بطريق الأولى. ﴿قَآئِمًا﴾ يحتمل أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد، أو من القيام بالأمر وهو العزيمة عليه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم، والباء للتعليل. ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أن أموال الأميين وهم العرب حلال لهم. ﴿الْكَذِبَ﴾ هنا قولهم: إن الله أحلها لهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق. ﴿بَلَى﴾ أي: عليهم سبيل وتباعة في أموال الأميين. ﴿بِعَهْدِهِ﴾ الضمير يعود على "من"، أو على "الله". ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية، قيل نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا، وقيل: نزلت بسبب خصومة بين الأشعث بن قيس وآخر؛ فأراد خصمه أن يحلف كاذبا. ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب. ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ أي: يحرفون اللفظ أو المعنى. ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دل عليه قوله "يلوون

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

ألسنتهم"، وهو الكلام المحرف. ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية، هذا النفي متسلط على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوة، والإشارة إلى عيسى عليه السلام، رد على النصارى الذين قالوا إنه الله، وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد! أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله، ما بذلك أمرت، ولا إليه دعوت» [دلائل النبوة: 2125]. ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ جمع رباني؛ وهو العالم، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ الباء سببية، و"ما" مصدرية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف تعرفون، وقرئ بالتشديد من التعليم. ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع استئناف، والفاعل "الله" أو البشر المذكور، وقرئ بالنصب عطف على "أن يوتيه"، أو على "ثم يقول" والفاعل على هذا البشر. ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء، واللام في قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْنَاكُم﴾ لام التوطئة، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف، واللام في "لتومنن" جواب القسم، و"ما" يحتمل أن تكون شرطية، و"لتومنن" سد مسد جواب القسم والشرط، وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيناكموه. ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ والضمير في "به" و﴿لَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ عائد على "الرسول". ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ اعترفتم. ﴿إِصْرِي﴾ عهدي. ﴿فَٱشْهَدُواْ﴾ أي: على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد. ﴿وَأَنَا مَعَكُم﴾ تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جل جلاله. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من تولى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسق متمرد في كفره. ﴿أَفَغَيْرَ﴾ الهمزة للإنكار، والفاء عطفت جملة على جملة، و"غير" مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر. ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ أي: انقاد واستسلم. ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدر في موضع الحال والطوع للمؤمنين، والكره للكافر إذا عاين الموت، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم، وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها. ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أمر النبي ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان. ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا بـ"على" مناسبة لقوله

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

"قل"، وفي البقرة بـ﴿إِلَى﴾ لقوله ﴿قُولُوٓاْ﴾؛ لأن "على" حرف استعلاء يقتضي النزول من علو، ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ، و﴿إِلَى﴾ حرف غاية، وهو موصل إلى جميع الأمة. ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ الآية، إبطال لجميع الأديان غير الإسلام، وقيل: نسخت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية. ﴿كَيْفَ﴾ سؤال، والمراد به هنا استبعاد الهدى. ﴿قَوْمًا كَفَرُواْ﴾ نزلت في الحارث بن سويد وغيره، أسلموا، ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ فرجعوا إلى الإسلام، وقيل: نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي ﷺ وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث. ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على "إيمانهم"؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، وقيل: الواو للحال، وقال ابن عطية: عطف على "كفروا" والواو للترتيب. ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين، أو على عمومه، وتكون اللعنة في الآخرة. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد على اللعنة، وقيل: على النار وإن لم تذكر؛ لأن المعنى يقتضيها. ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ قيل: هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعد ما كانوا مؤمنين به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعد رؤيتهم له وطعنهم عليه، وقيل: هم الذين ارتدوا. ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل: ذلك عبارة عن موتهم على الكفر أي: ليس لهم توبة فتقبل، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر فذلك عام. ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم﴾ جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر، والواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ﴾ قيل: زائدة، وقيل: للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به ولو افتدى به، وقيل: نفى أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفي، كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلي.

۞ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ أي: لن تكونوا من الأبرار، أو لن تنالوا البر الكامل. ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم، ولما نزلت قال أبو طلحة ﵁: إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة، وكان ابن عمر ﵄ يتصدق بالسكر، ويقول: إني لأحبه. ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ الآية، إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم أبوهم على نفسه، وهو لحم الإبل ولبنها، ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم في قولهم: إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام، وأن الأشياء التي هي محرمة عليهم كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه؛ لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها خلافا لليهود في قولهم: إن النسخ محال على الله، وفيها معجزة للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد، وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه؛ أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم. ﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ تعجيزا لليهود، وإقامة الحجة عليهم، وروي: أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة. ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ أي: من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل. ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: الأمر كما وصف، لا كما تكذبون أنتم، ففيه تعريض بكذبهم. ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ إلزام لهم أن يسلموا، لما ثبت أن ملة الإسلام هي ملة إبراهيم التي لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم. ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ﴾ أي: أول مسجد بني في الأرض، وقد سأل أبو ذر ﵁ النبي ﷺ أي مسجد بني أولا؟ قال: «**المسجد الحرام ثم بيت المقدس**» [مسلم: 1189]. وقال علي بن أبي طالب ﵁: المعنى أنه أول بيت وضع مباركا وهدى، وقد كانت قبله بيوت. ﴿بِبَكَّةَ﴾ هي مكة، والباء بدل من الميم، وقيل: مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله. ﴿مُبَارَكٗا﴾ نصب على الحال، والعامل فيه على قول علي ﵁ "وضع" لأنه حال من الضمير الذي فيه، وعلى القول الأول هو حال من الضمير الذي في المجرور، والعامل فيه العامل في المجرور من معنى الاستقرار. ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ آيات البيت كثيرة: منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم؛ وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم

مَقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ

إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باق إلى اليوم، ومنها أن الطير لا تعلوه، ومنها إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبابرة عنه، ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحفر عبد المطلب لها بعد دثورها، وأن ماءها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك. ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: إنه بدل من الآيات أو عطف بيان، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة، لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك، وقيل: الآيات مقام إبراهيم وأمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله ﴿وَمَن دَخَلَهُ﴾ عطفا، وعلى الأول استئنافا، وقيل: التقدير: منهن مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل: البيت كله، وقيل: مكة كلها. ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: آمنا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جريمة، ثم لجأ إلى البيت، لا يطلب ولا يعاقب، فأما في الإسلام، فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس ﷺ وأبو حنيفة: ذلك الحكم باق في الإسلام، إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج، وقيل: آمنا من النار. ﴿حَجُّ الْبَيْتِ﴾ بيان لوجوب الحج، واختلف: هل هو على الفور أو على التراخي؟ وفي الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم، قيل لهم: إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه. ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ "من" بدل من "الناس"، وقيل: فاعل بالمصدر وهو "حج"، وقيل: شرط مبتدأ؛ أي: من استطاع فعليه الحج. والاستطاعة عند مالك، هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إما راجلا وإما راكبا، مع الزاد المبلغ والطريق الآمن، وقيل: الاستطاعة الزاد والراحلة، وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قيل المعنى: من لم يحج، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله ﷺ: «**من ترك الصلاة فقد كفر**» [ابن حبان: 1463]، وقيل: أراد اليهود لأنهم لا يحجون، وقيل: من زعم أن الحج ليس بواجب. ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخ لليهود ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخ أيضا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم. و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هنا الإسلام. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الضمير يعود على "السبيل"؛ أي: تطلبون لها الاعوجاج. ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: تشهدون أن الإسلام حق. ﴿إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا﴾ الآية، لفظها عام، والخطاب للأوس والخزرج، إذ كان اليهود يريدون فتنتهم. ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكار واستبعاد.

عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قيل: نسخها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقيل: لا نسخ إذ لا تعارض، فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا، تحرزا من الإكراه وشبهه. ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: تمسكوا، والحبل هنا مستعار من الحبل الذي يشد عليه اليد، والمراد به هنا القرآن، وقيل: الجماعة. ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ نهي عن التدابر والتقاطع، إذ قد كان الأوس قد هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق في أصول الدين، ولا يدخل النهي الاختلاف في الفروع. ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام. ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي: جرف حفرة، وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية، دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وقوله "منكم" دليل على أنه فرض كفاية؛ لأن "من" للتبعيض، وقيل: إنما لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمة، وتغيير المنكر يكون باليد واللسان وبالقلب على حسب الأحوال. ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ هم اليهود والنصارى، نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم، وورد في الحديث أنه ﷺ قال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة»** قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: **«من كان على ما أنا وأصحابي عليه»** [ابن ماجه: 4127]. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ العامل فيه محذوف، وقيل: "عذاب عظيم" ﴿أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: أكفرتم؟ والخطاب لمن ارتد عن الإسلام، وقيل: للخوارج، وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا به لما بعث.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ كان هنا هي التي تقتضي الدوام، كقوله: ﴿كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وقيل: كنتم في علم الله، وقيل: كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدمة، وقيل: كنتم بمعنى أنتم، والخطاب لجميع المؤمنين، وقيل: للصحابة خاصة. ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أي: بالكلام خاصة وهو أهون المضرة. ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ إخبار بغيب ظهر في الوجود صدقه. ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ إخبار مستأنف غير معطوف على "يولوكم"، وفائدة ذلك: أن توليهم الأدبار مقيدة بوقت القتال، وعدم النصر على الإطلاق، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء، و"ثم" لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال. ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ هو هنا العهد والذمة. ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: ليس أهل الكتاب مستوين في دينهم. ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: قائمة بالحق، وذلك فيمن أسلم من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد ﵃ وغيرهم. ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة. ﴿فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ أي: لا تحرمون ثوابه. ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآية، تشبيه لنفقة الكفار بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه، فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون، وفي الكلام حذف تقديره: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح، أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، وإنما احتيج لهذا؛ لأن "ما ينفقون" ليس شبيها بالريح، إنما هو تشبيه بالزرع الذي أهلكته الريح. ﴿صِرٌّ﴾ أي: بَرْدٌ. ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ الضمير للكفار

وَلَٰكِنَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ

والمنفقين أو لأصحاب الحرث، والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعل حال يدل على أنه للحاضرين. ﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء من غيركم، فالمعنى: نهي عن استخلاص الكفار وموالاتهم، وقيل لعمر بن الخطاب ﷺ: إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن خَطًّا منه، أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذاً أتخذ بطانة من دون المؤمنين. ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يقصرون في فسادكم، والخبال: الفساد. ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنوا مضرتكم، و"ما" مصدرية، وهذه الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف. ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بكل كتاب أنزله الله، واليهود لا يؤمنون بقراءتكم. ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ﴾ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، و"الأنامل" جمع أنملة، بضم الميم وفتحها. ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ تقريع وإغاظة، وقيل: دعاء. ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة ضدها. ﴿لاَ يَضِرْكُمْ﴾ من الضير بمعنى الضر. ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد، وكان غزو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة. ﴿تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنزلهم، وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة؛ وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز، وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس؛ وذلك ضعيف؛ لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال، إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة. ﴿مَقَاعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مقعد. ﴿طَآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المسلمين هموا بالانصراف، فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ. ﴿أَن تَفْشَلاَ﴾ الفشل في البدن هو الإعياء، والفشل في الرأي هو العجز والحيرة وفساد العزم. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ثبتهما الله، وقال جابر بن عبد الله ﷺ: ما وددنا أنها لم تنزل لقوله "والله وليهما" ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم. ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الذلة؛ هي قلة

فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ الرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

عَددهم، وضعف عُددهم، كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، ولم يكن لعهم إلا فرس واحد، وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس، فقتل من المشركين سبعون، وأسر منهم سبعون، وانهزم سائرهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق بـ"نصركم" أو بـ"اتقوا"، والأول أظهر. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القول يوم بدر، وقيل: يوم أحد، فالعامل في "إذ" على الأول محذوف، وعلى الثاني هي بدل من "إذ غدوت" ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير، جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلمُ لصحة الأمر وبيانه كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾. ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور السرعة، أي: من ساعتهم، وقيل: المعنى من سفرهم. ﴿بِخَمْسَةِ ءَالافٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم؛ ليزيد ذلك في قوتهم، فإن كان هذا يوم بدر فقد قاتلت فيه الملائكة، وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله "إن تصبروا وتتقوا"، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة. ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بفتح الواو وكسرها، أي: معلَّمين، أو معلِّمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل: كانوا بعمائم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب، وقيل: كانوا على خيل بلق. ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على الإنزال والإمداد. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على "بشرى" لأن هذا الفعل بتأويل المصدر، وقيل: يتعلق بفعل مضمر يدل عليه "جعله". ﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلق بقوله "ولقد نصركم الله"، أو بقوله "وما النصر". ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملة اعتراض بين المعطوفين، ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء العرب، فترك الدعاء عليهم. ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: يسلمون. ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كل ما حل عاما بعد عام. ﴿سَارِعُواْ﴾ بغير واو استئناف، وبالواو عطف على ما تقدم. ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة ﴿عَرْضُهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: تقرن السماوات

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله، وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما سعتها كسعة السموات والأرض. ﴿فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ في اليسر والعسر. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم، وقيل: للكفار تخويفا لهم. ﴿فَانْظُرُواْ﴾ من نظر العين عند الجمهور، وقيل: هو بالفكر. ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾ تقوية لقلوب المؤمنين. ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ إخبار بعلو كلمة الإسلام. ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية، معناها: إن مسكم قتل أو جراح في أُحد، فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل: قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه، فإنهم نالوا منكم ونلتم منهم، وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي. ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسلية أيضا عما جرى يوم أحد. ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: أصابكم ما أصاب يوم أحد ليعلم، والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة. ﴿شُهَدَآءَ﴾ من قتل من المسلمين يوم أحد. ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي: يظهر، وقيل: يميز، وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يهلكهم. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ "أم" هنا منقطعة، مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد. ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر، فتمنوا حضور قتال الكفار مع

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

النبي ﷺ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل: إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمدا ﷺ رسول كسائر الرسل، قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته، وسببها: أنه صرخ صارخ يوم أحد إن محمدا قد مات فتزلزل بعض الناس. ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها، والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم، لأن شريعته قد تقررت، وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ أو قتل، وقد علم أنه لا يقتل، ولكن ذكر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم. ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الثابتون على دينهم. ﴿كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ نصب على المصدر؛ لأن المعنى كتب الموت كتابا، وقال ابن عطية: نصب على التمييز. ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيد بالمشيئة، بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيءٍ قُتِلَ﴾ الفعل مسند إلى ضمير الـ"نبي"، و﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ على هذا في موضع الحال، وقيل: إنه مسند إلى "ربيون"، ويكون "ربيون" على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله، فعلى الأول يوقف على قوله "قتل"، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد إن محمدا قد قتل، فضرب لهم المثل بنبي قتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قط نبي في محاربة. ﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماء مثل ربانيين، وقيل: جموع كثيرة. ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ الضمير لـ"ربيون" على إسناد القتل للنبي، وهو لمن بقي منهم على إسناد القتل إليهم. ﴿وَمَا اسْتَكَانُواْ﴾ أي: لم يذلوا للكفار، قال بعض النحاة: استكان مشتق من السكون، ووزنه: افتعلوا، مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطلها ألف، وذلك كالإشباع، وقيل: إنه مِنْ كانَ يكون، فوزنه استفعلوا، وقوله: "فما وهنوا" وما بعده تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أحد. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في الحرب ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر ﴿ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ الجنة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ

﴿إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قصة أحد ما قالوا، وقيل: مشركوا قريش، وقيل: اليهود. ﴿الرُّعْبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعب في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب، وقيل: لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا، والآية بعد تتناول جميع الكفار لقوله ﷺ: «نصرت بالرعب» [البخاري: 335]. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر، فنصرهم الله أولا، وانهزم المشركون، وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا في الغنيمة، واتبعوهم، وخالفوا ما أمروا به من الثبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين. ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلا ذريعا، يعني في أول الأمر. ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة، فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم. ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبوت، وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين، وإن كان المخالف بعضهم، وعظا للجميع، وسترا على من فعل ذلك، وجواب "إذ" محذوف تقديره: انهزمتم. ﴿مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة. ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه ليُنزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقى عليكم، وقيل: هو عفو عن الذنب. ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في "إذ" "عفا"، فيوصل "إذ تصعدون" مع ما قبله، ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمرا. ﴿وَلاَ تَلْوُونَ﴾ مبالغة في صفة الانهزام. ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول: «إليَّ عباد الله» وهم يفرون. ﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ في ساقتكم، وفيه مدح للنبي ﷺ، فإن الآخر هو موقف الأبطال. ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ أي: جازاكم ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ قيل: أثابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل: أثابكم غما متصلا بغم،

لِكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

وأحد الغمين ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ. ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر والغنيمة. ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام. ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمن من الله. ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً﴾ هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينا لهم. ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون. ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ معناه: يظنون أن الإسلام ليس بحق وأن الله لا ينصره. و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل، وهو على حذف موصوف، تقديره: ظن المدة الجاهلية أو الفرقة الجاهلية. ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أُبي ابن سلول، والمعنى: ليس لنا رأي ولا يسمع قولنا، أو لسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا. ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر. ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ قاله معتب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبي. ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الآية، رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء. ﴿وَلِيَبْتَلِىَ﴾ متعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلي. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ الآية، نزلت فيمن فر يوم أحد. ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي: طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم أي: أوقعهم في الزلل. ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بأن مكن الشيطان من استزلالهم. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار. ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم المنافقون. ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هي أخوة القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة. ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا، وإنما قال "إذا" التي للاستقبال مع "قالوا" لأنه على حكاية الحال الماضية.

أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غاز، وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين. ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ اعتقاد منهم فاسد؛ لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم، ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين. ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بـ"قالوا" أي: قالوا ذلك فكان ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة؛ لأن الذي يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة. ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رد على قولهم واعتقادهم. ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله. ﴿خَيْرٌ﴾ لهم ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا. ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ الآية، إعلام أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ "ما" زائدة للتأكيد. ﴿لَانفَضُّوا﴾ أي: تفرقوا. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختص بحق الله. ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمور بها شرعا، وإنما يشاور النبي ﷺ في الرأي والحروب وغيرها، لا في أحكام الشريعة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "وشاورهم في بعض الأمر". ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات أو رفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين؛ أحدهما: قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقد يكون واجبا لقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعله شرطا في الإيمان، ولظاهر قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإن الأمر محمول على الوجوب. واعلم أن الناس في التوكل على ثلاثة مراتب؛ الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له وقيامه بمصالحه، والثانية: أن يكون العبد مع ربه، كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها، والثالثة: أن يكون العبد مع ربه، كالميت بين يدي الغاسل قد أسلم إليه نفسه بالكلية؛ فصاحب الدرجة الأولى عنده حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الدرجة الثانية، وصاحب الثانية له حظ من الاختيار، بخلاف صاحب الثالثة، وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فهي تقوى بقوته وتضعف بضعفه. فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب

إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

على ثلاثة أقسام؛ أحدها: سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه كالأكل لدفع الجوع واللباس لدفع البرد. والثاني: سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك، فهذا لا يقدح فعله في التوكل، فإن التوكل من أعمال القلب لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي على ذلك. والثالث: سبب موهوم بعيد، فهذا يقدح فعله في التوكل، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند الاختيار إلى الله تعالى فهو أكمل أدبا مع الله تعالى. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يُغَلَّ﴾ هو من الغلول؛ وهو أخذ الشيء في خفية من الغنائم وغيرها، وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه تبرئة النبي ﷺ من الغلول؛ وسببها: أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، وقرئ بضم الياء وفتح الغين، أي: ليس لأحد أن يغل نبيا، أي: يخونه في المغانم، وخص النبي ﷺ بالذكر، وإن كان ذلك محظورا مع الأمراء؛ لشنعة الحال مع النبي ﷺ، فإن المعاصي تعظم بحضرته، وقيل: معنى هذه القراءة أن يوجد غالا، كما تقول أحمدت الرجل إذا أصبته محمودا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيد لمن غل بأن يسوقيوم القيامة على رقبته الشيء الذي غل، وقد جاء ذلك مفسرا في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت، لا ألفين أحكم على رقبته إنسان؛ فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد بلغتك**» [البخاري: 3073]. ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ﴾ الآية، قيل: إن الذي اتبع رضوان الله من لم يغل، والذي باء بالسخط من غل، وقيل: الذي اتبع الرضوان من استشهد بأحد، والذي باء بالسخط المنافقون الذين رجعوا عن الغزو، و﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي ذووا درجات، والمعنى تفاوت ما بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط، أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان، فإن بعضهم فوق بعض وكذلك درجات أهل السخط. ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية، إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله ﷺ. ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به وقلة الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم يوجب حسن

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ

الفهم منه، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ ويكون هو ﷺ أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين. ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ الآية، عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد، ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف، والجملة معطوفة على ما تقدم من قصة أحد أو على محذوف. ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ قتل من المسلمين يوم أحد سبعون، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون وأسر سبعون. ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ قيل: معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين، فأبوا إلا الخروج، وقيل: بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم. ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي: جمع المسلمين والمشركين يوم أحد. ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ الآية، كان رأي عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج المسلمون إلى المشركين، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين، فخرج رسول الله ﷺ، غضب عبد الله وقال: أطاعهم وعصاني، فرجع ورجع معه نحو ثلاثمائة رجل، فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري رضي الله عنه فقال: لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، فقال له عبد الله بن أبي: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا أنه يكون قتال لكنا معكم. ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ أي: كثروا السواد وإن لم تقاتلوا. ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ بدل من "الذين نافقوا"، و﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ في النسب؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج. ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ﴾ أي: ادفعوا، والمعنى رد عليهم. ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين، فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة. ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾ المعنى: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم؛ لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم، فينالوا مثل ما نالوا من السعادة. ﴿أَلَّا خَوۡفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله، أو بدل من "الذين". ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ كرر ليذكر ما تعلق به

وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

من النعمة والفضل. ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ صفة للمؤمنين، أو مبتدأ، وخبره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ الآية، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد، فتجلدوا وخرجوا، فمدحهم الله بذلك. ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الآية، لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد بلغ ذلك أبا سفيان، فمر عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة، فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين، فخوفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا، فـ"الناس" الأُول ركب عبد القيس، و﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثاني مشركوا قريش، وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا بدر في العام القابل فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، فلما كان العام القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نُعيم بن مسعود الأشجعي يثبط المسلمين، فعلى هذا "الناس" الأول نعيم، وإنما قيل له "الناس" وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس؛ كقولك: ركبت الخيل، إذا ركبت فرسا. ﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المفعول، وهو "إن الناس قد جمعوا لكم"، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص؛ فمعناه هنا: قوّى يقينهم وثقتهم بالله. ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، ومعنى "حسبنا الله": كافينا الله وحده فلا نخاف غيره، ومعنى "ونعم الوكيل" ثناء على الله، وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ أي: رجعوا. ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ السلامة وفضل الأجر. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بخروجهم مع رسول الله ﷺ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ المراد به هنا أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان، أو إبليس، و"ذلكم" مبتدأ، و"الشيطان" خبره، وما بعده استئناف، أو "الشيطان" نعت وما بعده خبر. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفكم أيها المؤمنون "أولياءه" وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه قوله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ وقراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: "يخوفكم أولياءه"، وقيل: المعنى يخوف المنافقين،

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ۞ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ

وهم أولياؤه من كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف. ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعا، من حزن الثلاثي، وهو أشهر في اللغة من أحزن. ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلى أقواله وأفعاله؛ وهم المنافقون والكفار. ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ الآية، هم المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار. ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: نمهلهم، و"أن" مفعول "يحسبن"، و"ما" اسم "أن"، فحقها أن تكتب منفصلة، و"خير" الخبر. ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ "ما" هنا كافة، والمعنى: رد عليهم؛ أي: أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم، إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم. ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيمان أو النفاق. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليطلعكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق، أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تَغلبون أو تُغلبون. ﴿يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ﴾ أي: يختار من شاء من رسله فيطلعه على ما شاء من غيبه. ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها. ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ "هو" فصل، و"خيرا" مفعول ثان، والأول محذوف تقديره: لا يحسبن البخل خيرا لهم. ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يلزمون إثم ﴿مَا بَخِلُوا بِهِ﴾، وقيل: يجعل "ما بخلوا به" حيَّة يطوقها في عنقه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية، لما نزلت: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال بعض اليهود؛ وهو فنحاص أو حيي بن أخطب أو غيرهما: إنما يستقرض الفقير من الغني،

سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

فالله فقير ونحن أغنياء؛ فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن، أوجبه قلة فهمهم أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد فهو استخفاف وعناد. ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف. ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَآءَ﴾ أي: قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم؛ لأنهم راضون به ومتبعون لمن فعله من آبائهم. ﴿الَّذِينَ قَالُواْ﴾ صفة لـ"الذين" وليس صفة لـ"العبيد". ﴿حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها، جعلوه في مكان فتنزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل. ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآية، رد عليهم؛ لأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضا بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم؛ فذلك يدل على أن كفرهم عناد، وأنهم كذبوا في قولهم "إن الله عهد إلينا". ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره. ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي: نُحِّيَ وأبعد. ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآية، خطاب للمسلمين، والبلاء في الأنفس بالموت والأمراض، وفي الأموال بالمصائب والإنفاق. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية، سببها قول اليهود: إن الله فقير، وسبهم للنبي ﷺ وللمسلمين. ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي في اليهود، أخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه. وقيل: هي عامة في كل من علمه الله علما.

لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ

﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ الآية، قال ابن عباس ﷺ: نزلت في أهل الكتاب، سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه، وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: نزلت في المنافقين، كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلفوا وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، وإذا قدم النبي ﷺ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ بالتاء وفتح الباء خطاب للنبي ﷺ، وبالياء وضم الباء: أسند الفعل لـ"الذين يفرحون"؛ أي: لا يحسبن أنهم ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾، ومن قرأ "تحسبن" بالتاء فهو أيضا خطاب للنبي ﷺ، و"الذين يفرحون" مفعول به، و"بمفازة" المفعول الثاني، وكرر "فلا تحسبنهم" للتأكيد، ومن قرأ "لا يحسبن" بالياء من أسفل، فإنه حذف المفعولين؛ لدلالة مفعولي "لا تحسبنهم" عليهما. ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال، فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم، وقيل: إن ذلك في الصلاة يصلون قياما، فإن لم يستطيعوا صلوا قعودا، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم. ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيعرفوك فيعبدوك. ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبي ﷺ. ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسنة رسلك. ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ "من" لبيان الجنس، وقيل: زائدة لتقدم النفي. ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: الرجال والنساء سواء في الأجور

فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ
حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ
جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ
لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

والخيرات. ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها. ﴿ثَوَابٗا﴾ منصوب على المصدرية. ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا تظنوا أن حال الكفار في الدنيا دائمة، فتهتموا لذلك وأنزل "لا يغرنك" منزلة "لا يحزنك". ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ أي: تقلبهم في الدنيا قليل بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة. ﴿نُزُلٗا﴾ منصوب على الحال من "جنات" أو على المصدرية. ﴿لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ جمع بار أو بر؛ ومعناه العاملون بالبر، وهي غاية التقوى والعمل الصالح. قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون أحدا. ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الآية، قيل: نزلت في النجاشي ﷺ، ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيا فأسلم. وقيل: في عبد الله بن سلام ﷺ وغيره ممن أسلم من اليهود. ﴿لَا يَشۡتَرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريض بذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا. ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أي: صابروا أعداءكم في القتال. ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أي: أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد، وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله، أي: معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية؛ والأول أظهر وأشهر. قال ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه**» [مسلم: 5047]، وأما قوله في انتظار الصلاة: «**فذلكم الرباط**» [مسلم: 610] فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظمة أجره، والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور ليرابط فيها وهي غير موطنه، فأما سكانها دائما بأهلهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين ولكنهم حماة. حكاه ابن عطية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ

سورة النساء

﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ خطاب على العموم، وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة. ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام. ﴿زَوْجَهَا﴾ هي حواء، خلقت من ضلع آدم. ﴿وَبَثَّ﴾ نشر ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِ﴾ أي يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا. ﴿وَالأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطفا على اسم "الله"؛ أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور وهو "به"؛ لأن موضعه نصب، وقرئ بالخفض عطف على الضمير في "به"، وهو ضعيف عند البصريين؛ لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله علم وحال، ثم يثمر حالين، أما العلم؛ فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال؛ فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين الحياء من الله؛ وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين المشاهدة؛ التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [البخاري: 48]. فقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» إشارة إلى الثمرة الثانية؛ وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكا عظيما، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين، فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى، رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر. واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تقدم قبلها المشارطة والمرابطة، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة؛ فأما المشارطة: فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي. وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشارطة والمرابطة في أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ونقض عهد المرابطة عاقب النفس عقابا بزجرها على العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون إلى أن يلقى الله تعالى. ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير، فأمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء،

وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾

فالمراد أن يعطوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة. وقيل: المراد دفع أموالهم إذا بلغوا، ويكون اليتيم على هذا مجازا؛ لأن اليتيم قد كبر. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف فنهوا عن ذلك. وقيل: المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا أموالكم وهو الطيب. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أبيح ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾، وإنما تعدى الفعل بـ"إلى" لأنه تضمن معنى الجمع والضم، وقيل: "إلى" بمعنى مع. ﴿حُوبًا﴾ أي: ذنبا ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم، فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق، لمكان ولايتهم عليهن، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهن، فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج ما طاب له من الأجنبيات اللاتي يوفيهن حقوقهن. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى، ولا تتحرج في العدل بين النساء فنزلت الآية في ذلك؛ أي: كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء. وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشر وأكثر، فإذا ضاق ماله أخذ من مال يتيمه، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقتصروا في النساء. ﴿مَا طَابَ﴾ أي: ما حل، وإنما قال "ما" ولم يقل: من؛ لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشري: لأن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء، ومنه قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ لا تنصرف للعدل والوصف، وهي حال من "ما طاب"، وقال ابن عطية: بدل، وهي معدولة عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها، أن الخطاب لجماعة فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى انكحوا اثنتين أو ثلاثا أو أربعا، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع. وقال قوم لا يعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمع منه تسعة، وهذا خطأ؛ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا، وأيضا قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع، فاقتصروا على واحدة، أو على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من قليل أو كثير، رغبة في العدل، وانتصاب "واحدة" بفعل مضمر تقديره: فانكحوا واحدة. ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى: أن ذلك أقرب إلى أن

وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

لا تعولوا، ومعنى "تعولوا" تميلوا، وقيل: يكثر عيالكم. ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ خطاب للأزواج، وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل: هو نهي عن الشغار. ﴿نِحْلَةً﴾ أي: عطية منكم لهن، أو عطية من الله، وقيل: معنى "نحلة" أي: شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن، أو على الحال من ضمير المخاطبين. ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ الآية، إباحة للأزواج أو الأولياء على ما تقدم من الخلاف أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن، والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ يعود على الصداق أو على الإيتاء. ﴿هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ عبارة عن التحليل ومبالغة في الإباحة، وهما صفتان من قولك: هنؤ الطعام ومرؤ؛ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وهما وصف للمصدر؛ أي: أكلا هنيئا، أو حال من ضمير الفاعل، وقيل: يوقف على "فكلوه" ويبتدأ "هنيئا مريئا" على الدعاء. ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامرأته، أي: لا تؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل: السفهاء المحجورون، و﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ أي: أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وهي تحت ولايتهم. ﴿قِيَماً﴾ جمع قيمة، وقيل: بمعنى قياما بالألف أي تقوم بها معايشكم. ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل: في المحجورين يُرزقون ويُكسون من أموالهم. ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ أي: ادعوا لهم بخير، أو عِدوهم وعدا جميلا؛ أي: إن رشدتم دفعنا لكم أموالكم. ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ أي: اختبروا رشدهم. ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ بلغوا مبلغ الرجال. ﴿فَإِنَ ـانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ الرشد: هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال، واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن. ﴿وَبِدَارًا ان يَكْبَرُوا﴾ معناه: مبادرة لكبرهم، أي: أن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر، وموضع "أن يكبروا" نصب على المفعولية بـ"بدارا"، أو على المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن يكبروا. ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أمر الوصيَّ الغنيَّ أن يستعفف عن مال المحجور ولا يأكل منه شيئا. ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم فإذا أيسر رده، وقيل: المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته، ومعنى "بالمعروف" من غير إسراف، وقيل: نسخها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾. ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرز والحزم فهو

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ

ندب، وقيل: فرض. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية، سببها: أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء، فنزلت الآية ليرث الرجال والنساء. ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾، وقال الزمخشري: منصوب على التخصيص بمعنى نصيبا. ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية، خطاب للوارثين، أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب، وقيل: على الندب، وهو الصحيح، وقيل: نسخ بآية المواريث. ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية، معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في نظر أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، ويقدروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول "وليخش". و﴿خَافُواْ﴾ جواب "لو". ﴿قَوْلاً سَدِيدًا﴾ على القول الأول: ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني: أن يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وأرفق بورثتك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ الآية، قيل: نزلت في الذين لا يورثون الإناث، وقيل: في الأوصياء؛ ولفظها عام في كل من أكل مال يتيم بغير حق. ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: إن أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل: يأكلون النار في جهنم. ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع ﷺ، وقيل: بسبب جابر بن عبد الله ﷺ إذ عاده رسول الله ﷺ في مرضه. ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال، وقيل: نسخت: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ﴾. وإنما قال "يوصيكم" بلفظ الفعل الدائم، ولم يقل أوصاكم، تنبيها على نسخ ما مضى والشروع في حكم آخر، وإنما قال "يوصيكم الله" بالاسم الظاهر ولم يقل يوصيكم؛ لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء، وإنما قال: "في أولادكم" ولم يقل في أبنائكم؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة وعلى ابن البنت وعلى ابن المتبنى وليسوا من الورثة. ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه،

فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ

ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر لكان فيه تفضيل للإناث. ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ إنما أنث ضمير الجماعة في "كن"؛ لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد؛ لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل: يعود على المتروكات، وأجاز الزمخشري أن تكون كان تامة، والضمير مبهم، و"نساء" تفسير. ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثين، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس ﷺ: لهما النصف كالبنت الواحدة، وقال الجمهور: لهما الثلثان، وتأولوا "فوق اثنتين" أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم: إن "فوق" زائدة؛ كقوله ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾، وهذا ضعيف، وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن، وقيل: بالقياس على الأختين. ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ بالرفع فاعل، و"كان" تامة، وبالنصب خبر "كان". وقوله: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين. ﴿إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواء كان للصُلب أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس. ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين؛ أحدهما: عدم الولد، والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث؛ ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه؛ لأنه لا يبقى بعد "الثلث" إلا الثلثان، ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال؛ وهو الثلثان. ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء رضي الله عنهم على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الاثنين، فذهب الجمهور: أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس ﷺ: أنهما لا يردانها إليه، بل هما كالأخ الواحد، وحجته أن لفظ "الإخوة" لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمع لا تثنية، وأقل الجمع ثلاثة، وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين، كقوله ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، و﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾، و﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾، واحتجوا بقوله ﷺ: «**الاثنان فما فوقهما جماعة**» [ابن ماجه: 1025]، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدا، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأخوان فصاعدا الأم عن الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين، أو لأب، أو لأم، أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين، أو أنثيين، أو ذكرا وأنثى، فإن كان معهما أب ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم ولا يرثون. وقال قوم: يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم، وإن لم يكن أب ورثوا. ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله "من بعد" يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله "فلهن ثلثا ما ترك" أي: استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بـ"ترك"، وفاعل "يوصي" الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين، والدين مقدم

وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ

عليها في الشريعة، اهتماما بها وتأكيدا للأمر بها ولئلا يتهاون بها، وأخّر الدين لأن صاحبه يتقاضاه فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه، وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن، وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين؛ ليدل على أنهما قد يكونان، وقد لا يكونان، فدل ذلك على سقوط وجوب الوصية. ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل: بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعا بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام. ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآية، خطاب للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص من ميراث الزوج والزوجة وسائر أهل السهام إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس ﷺ فإنه لا يقول بالعول، فإن قيل لم كرر قوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضية على انفرادها؛ فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأولى، فإن الموروث فيها واحد ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه وهي قضية واحدة؛ فلذلك قال فيها "من بعد وصية" مرة واحدة. ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الكلالة هي انقطاع عمود النسب، وهي خلو الميت عن ولد ووالد، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث، أو على الورثة، أو على الوراثة، أو على القرابة، أو على المال؛ فإن كانت للميت، فإعرابها خبر "كان"، و"يورث" في موضع الصفة، أو "يورث" خبر "كان"، و"كلالة" حال من الضمير في "يورث"، أو تكون "كان" تامة، و"يورث" في موضع الصفة، و"كلالة" حال من الضمير، وإن كانت للورثة فهي خبر "كان"، على حذف مضاف تقديره: ذا كلالة، أو حال على حذف مضاف أيضا، وإن كانت للوراثة فهي مصدر في موضع الحال، وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، وإن كانت للمال فهي مفعول ثان لـ"يورث"، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون "كان" تامة و"يورث" في موضع الصفة، وأن تكون ناقصة و"يورث" خبرها. ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع، وقرأ سعد بن أبي وقاص ﷺ: "وله أخ أو أخت لأمه"، وذلك تفسير للمعنى. ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ إذا كان

فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ

الأخ للأم واحدا فله السدس، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة. ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثُّلُثِ﴾ إذا كان الإخوة للأم اثنين فأكثر، فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قوله "شركاء" يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك. ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيه "يوصي"، و"مضار" اسم فاعل، قال ابن عباس ﷺ: الضرر في الوصية من الكبائر، ووجوه المضار كثيرة منها؛ الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا، واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب والمشهور أنه ينفذ. ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله "يوصيكم الله"، ويجوز أن ينتصب بغير مصدر. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما تقدم من المواريث وغيرها. ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، تعلق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار، وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار. ﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ هي هنا الزنا. ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ أي: من المسلمات؛ لأن المسلمة تحد حد الزنا، وأما الكافر والكافرة، فاختلف: هل يحد أو يعاقب؟ ﴿فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ قيل: إنما جاء شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعي، وسترا على العباد، وقيل: ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا وهو السب والتوبيخ، وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال؛ فلا نسخ بينهما، ورجحه ابن عطية وابن الفرس، بقوله في الإمساك "من نسائكم"، وفي الأذى ﴿مِنكُمْ﴾، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن، وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك. فأما الجلد فمذكور في سورة النور، وأما الرجم فقد كان في القرآن، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم النبي ﷺ ماعز الأسلمي ﷺ وغيره. ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا﴾ لما أمر بالأذى للزاني، أمر بالإعراض عنه إذا تاب وهو ترك الأذى. ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهٗاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ

يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها، فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء، وقال أبو المعالي: يغلب ذلك على الظن، ولا يقطع به. ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي: بسفاهة وقلة تحصيل أدت إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن يكون ذلك الفعل معصية، قال أبو العالية: أجمع الصحابة ﷺ على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمدا أو جهلا. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت، وقيل: قبل السياق ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» [الترمذي: 3880] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية في الذين يصرون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة وهو معاينة الموت، فإن كانوا كفارا فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثابت في حق الكفار، ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فعذابهم مقيد بالمشيئة. ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ قال ابن عباس ﷺ: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزويج، فنزلت الآية في ذلك، فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال كما يورث المال، وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزويج ليرثوهن دون الزوج. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على "أن ترثوا"، أو نهي، والعضل: المنع، فقال ابن عباس ﷺ: هي أيضا في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أن قوله: ﴿مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه: ما آتاها الرجل الذي مات، وقال ابن عباس ﷺ أيضا: هي في الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى تفتدي بصداقها، وهو ظاهر اللفظ في قوله "ما آتيتموهن"، ويقويه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم، وقيل: هي للأولياء. ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: الفاحشة هنا الزنا، وقيل: نشوز المرأة وبغضها في زوجها، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق وغير ذلك من مالها، وهذا جار على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضرر من المرأة. والزنا أصعب على الزوج من النشوز فيجوز له أخذ الفدية معه.

فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، معناها: إن كرهتم النساء لوجه، فاصبروا عليه، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر، وقيل: الخير الكثير الولد؛ والأحسن العموم، وهو معنى قوله ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر**» [مسلم: 3721]. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية، معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إذا أراد أن يبدلها بأخرى، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج، وقال قوم: إن هذه الآية منسوخة بقوله في البقرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، وقال قوم: هي ناسخة؛ والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة، فإن جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه فلا تعارض ولا نسخ. ﴿قِنطَارًا﴾ مثال على وجه المبالغة في الكثرة، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك، فقال عمر رضي الله عنه: امرأة أصابت ورجل أخطأ، كل الناس أفقه منك يا عمر!. ﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع. ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ قيل: هو عقدة النكاح، وقيل: قوله ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾، وقيل: الأمر بحسن العشرة. ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده، فنزلت الآية تحريما لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا، سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد، و"ما نكح" يعني النساء، وإنما أطلق عليهن "ما" وإن كن ممن يعقل؛ لأن المراد الجنس، فإن زنى رجل بامرأة، فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا؟ فحرمه أبو حنيفة، وأجازه الشافعي، وفي المذهب قولان، واحتج من حرمه بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطء، وقال من أجازه: إن الآية لم تتناوله؛ إذ النكاح فيها بمعنى العقد. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام فقد عفي عنه، فلا تؤاخذون به، ويدل على هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرة الأخرى في الجمع بين الأختين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، وقيل: المعنى إلا ما قد سلف فدعوه. وقال الزمخشري: إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ "كان" في هذه الآية تقتضي الدوام، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وشبه ذلك، وقال المبرد: هي زائدة؛ وذلك خطأ؛

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ

لوجود خبرها منصوبا، وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ دلالة على أن هذا أقبح من الزنا. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية، معناها تحريم نكاح من ذكر من النساء، والنساء المحرمات على التأبيد ثلاثة أصناف: بالنسب، وبالرضاع، وبالمصاهرة؛ فأما النسب: فيحرم به سبعة أصناف، وهي المذكورة في هذه الآية؛ وضابطها: أنه يحرم على الرجل فصوله ما سفلت، وأصوله ما علت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه. ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه الوالدة، والجدات من الأم ومن الأب ما علون. ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ تدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ما سفلن. ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه الأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم. ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الوالد وأخت الجد ما علت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَخَالاَتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الأم وأخت الجد ما علت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَبَنَاتُ الأَخِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو للأب أو للأم. ﴿وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخت الشقيقة أو للأب أو للأم. ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**» [البخاري: 2645]، فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب؛ وهي الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت، وتفصيل ذلك يطول، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية. ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ﴾ المحرمات بالمصاهرة أربع؛ وهن زوجة الأب وزوجة الابن وأم الزوجة وبنت الزوجة؛ فأما الثلاث الأول فتحرم بالعقد دخل بها أو لم يدخل، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمها، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع، وإن تلذذ بها بما دون الوطء فحرمها مالك والجمهور، وإن عقد عليها ولم يدخل بها لم تحرم بنتها إجماعا، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب. ﴿وَرَبَآئِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ الربيبة: هي بنت امرأة الرجل من غيره سميت بذلك؛ لأنه يربيها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة، وقوله "اللاتي في حجوركم" على غالب الأمر إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمها، وهي محرمة سواء كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء إلا ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره. ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة خاصة، ولم يشترطه في تحريم غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع، وقد انعقد الإجماع بعده

فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ

على خلاف ذلك. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمْ﴾ الحلائل جمع حليلة؛ وهي الزوجة. ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن الذي يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه؛ كتزويج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها امرأة زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه، الذي كان يقال له زيد ابن محمد ﷺ. ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين، سواء كانتا شقيقتين، أو لأب، أو لأم، وذلك في الزوجتين، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء، فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأختين، وأجازه الظاهرية؛ لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح، وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المعنى: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام، فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به. هذا أرجح الأقوال حسبما تقدم في الموضع الأول. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ المراد هنا ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورات قبله، والمعنى: أنه لا يحل نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد السبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل، والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ثم سُبيت جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها، وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين، فتأثم المسلمون من غشيانهن، فنزلت الآية مبيحة لذلك، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح، سواء سبي الزوجان الكافران معا، أو سبي أحدهما قبل الآخر، وقال ابن المواز: لا يهدم السبي النكاح. ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ منصوب على المصدرية، أي: كتب الله ذلك عليكم كتابا، وهو تحريم ما حرم، وهو عند الكوفيين منصوب على الإغراء. ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ معناه: أحل لكم تزوج من سوى ما حرم من النساء، وعطف "أحل" على الفعل المضمر الذي نصب "كتاب الله"، والفاعل هو الله أي: كتب الله عليكم تحريم من ذكر وأحل لكم ما وراء ذلكم. ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعول من أجله، أو بدل من "ما وراء ذلكم"، وحذف مفعوله وهو النساء. ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ هنا: أعفة، ونصبه على الحال من الفاعل في "تبتغوا". ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي: غير زناة، والسفاح هو الزنا. ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: معناها: إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر، وهو الصداق كاملا. وقيل: إنها في

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا اَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُومِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُومِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ

نكاح المتعة؛ وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزا في أول الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حرم عند جمهور العلماء، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة، وقيل: نسخها آية الفرائض؛ لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه، وقيل: نسخها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، وروي عن ابن عباس ﷺ جواز نكاح المتعة، وروي أنه رجع عنه. ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ﴾ من قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء؛ فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حط الصداق، أو تأخيره بعد استقرار الفريضة، ومن قال إن الآية في نكاح المتعة؛ فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الأجر. ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً اَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُوْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتَ اَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُوْمِنَاتِ﴾ معناها إباحة تزويج الفتيات؛ وهن الإماء للرجل، إذا لم يجد طولا للمحصنات، والطَوْلُ: هو السعة في المال، و"المحصنات" هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات، ومذهب مالك وأكثر أصحابه: أنه لا يجوز للحر نكاح أمة إلا بشرطين؛ أحدهما: عدم الطول؛ وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة، والآخر: خوف العنت؛ وهو الزنا، لقوله بعد هذا: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾، وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين، على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر، واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تتزوج لقوله: "من فتياتكم المومنات"، إلا أن أهل العراق لم يشترطوه، وإعراب "طولا": مفعول بالاستطاعة، و"أن ينكح" بدل منه، فهو في موضع نصب بتقدير: لأن ينكح، ويحتمل أن يكون "طولا" نصب على المصدر، والعامل فيه الاستطاعة، لأنها بمعنى يتقارب، و"أن ينكح" على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم﴾ معناه أنه يعلم بواطن الأمور، ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان فنكاحها صحيح وعلم باطنها إلى الله. ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي: إماؤكم منكم، وهذا تأنيس بنكاح الإماء؛ لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك. ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: بإذن ساداتهن المالكين لهن. ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: صدقاتهن، وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن، وهو مذهب مالك. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشرع على ما تقتضيه السنة. ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ أي: عفيفات غير زانيات، وهو منصوب على الحال، والعامل فيه "فانكحوهن". ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن وهو الخليل، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزني معه خاصة، ومنهن من كانت لا ترد يد لامس.

فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معنى ذلك: أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة، فإن الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة، والأمة تجلد خمسين، "فإذا أحصن" هنا يراد به: تزوجن، والـ"فاحشة" هنا الزنا، و"المحصنات" هنا الحرائر، و"العذاب" هنا الحد، فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت، ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة، وهو مثل حد المتزوجة، وهذا على قراءة "أحصن" بضم الهمزة وكسر الصاد، وقرئ بفتحهما، ومعناه: أسلمن، وقيل: تزوجن. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ الإشارة إلى تزوج الأمة، أي: إنما يجوز لمن خشي على نفسه الزنا لا لمن يملك نفسه. ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد الصبر عن نكاح الإماء، وهذا ندب إلى تركه، وعلته ما يؤدي إليه من استرقاق الولد. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري: أصله أن يبين، فزيدت اللام مؤكدة كما زيدت في: لا أبا لك. وقال الكوفيون: اللام مصدرية مثل أن. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر توطئة لفساد إرادة ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ وهم هنا الزناة عند مجاهد، وقيل: المجوس لنكاحهم ذوات المحارم، وقيل: عام في كل متبع شهوة، وهو أرجح. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء، وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده وجعل دينه يسرا. ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ قيل: معناه لا يصبر على النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم من ذلك. ﴿لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك. ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ استثناء منقطع؛ والمعنى: لكن إن كانت تجارة فكلوها، وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مائة، والمشهور إمضاء البيع، وحكي عن ابن وهب؛ أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث، وموضع "أن" نصب، و"تجارة" بالرفع فاعل "تكون" وهي تامة، وقرئ بالنصب خبر "تكون" وهي ناقصة. ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ أي: اتفاق، وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق، وقال الشافعي: إنما يتم بالتفرق بالأبدان؛ لقوله ﷺ: **«المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»** [البخاري: 2111].

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون أن المعنى لا يقتل بعضكم بعضا. قلت: ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه، وقد حملها عمرو بن العاص رضي الله عنه على ذلك، ولم ينكره رسول الله ﷺ إذ سمعه. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القتل لأنه أقرب مذكور، وقيل: إليه وإلى أكل المال بالباطل، وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة. ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى هذه الآية، وقال بعض العلماء: كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وعدها بعضهم سبعة عشر، وفي البخاري [2766] عن النبي ﷺ: «**اتقوا السبع الموبقات؛ الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات**». فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء ورد في الأحاديث النص على أنها كبائر، وورد في القرآن أو في الحديث وعيد عليها، فمنها عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرز من البول، والغلول، واستطالة المرء في عرض أخيه، والجور في الحكم. ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ اسم مكان، وهو هنا الجنة. ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ﴾ الآية، سببها أن النساء قلن: ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغزو، فنزلت نهيا عن ذلك؛ لأن في تمنيهم ردا على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمني مخالفة الأحكام الشرعية كلها. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ الآية، أي: من الأجر والحسنات، وقيل: من الميراث؛ ويرده لفظ الاكتساب. ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ الآية، في معناها وجهان؛ أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا موالي يرثونه، فـ"مما ترك" على هذا بيان "لكل"، والآخر: لكل أحد جعلنا موالي يرثون. ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ فـ"مما ترك" على هذا يتعلق بفعل مضمر والـ"موالي" هنا الورثة والعصبة. ﴿وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ اختلف هل هي منسوخة أو محكمة؟ فالذين قالوا إنها

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا

منسوخة، قالوا معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل: بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، ثم نسخها ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ فصار الميراث للأقارب. والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر على أن يتوارثا صح ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة. ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قوام: بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرجال أمراء على النساء. ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الباء للتعليل، و"ما" مصدرية، والتفضيل بالجهاد والإمامة وملك الطلاق وكمال العقل وغير ذلك. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ هو الصداق والنفقة المستمرة على الزوجات. ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي: النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن، أو مطيعات لله في حق أزواجهن. ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: تحفظ كلما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك صيانة نفسها، وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسراره. ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فـ"ما" مصدرية أو بمعنى الذي. ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا بمعنى اليقين، وقيل: هو على أصله. ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب؛ فالوعظ في النشوز الخفيف، والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد منهما، ومهما انتهت عن النشوز بوجه من الوجوه لم يتعد إلى ما بعده، والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها، والضرب غير مبرح. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشقاق: الشر والعداوة، وكان الأصل: إن خفتم شقاقا بينهما، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريقة الاتساع، كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، وأصله مكر بالليل والنهار. ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا﴾ الآية، ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة، والحكم في طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى وهي: إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما، فيبعث حكمان مسلمان لينظرا في أمرهما وينفذ ما ظهر لهما من تطليق وخلع من غير إذن الزوج، وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما، ومشهور مذهب مالك: أن الحاكم هو الذي يبعث الحكمين، وقيل: يبعثهما الزوجان، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة

مِنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا

أمينة ولا يبعثوا حكمين، قال بعض العلماء: هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية. ﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله. ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ الضمير في "يريدا" للحكمين، وفي "بينهما" للزوجين على الأظهر، وقيل: الضميران للزوجين، وقيل: للحكمين. ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ قال ابن عباس ﵄: "الجار ذي القربى" هو القريب النسب، "والجار الجنب" هو الأجنبي، وقيل: "ذو القربى" القريب المسكن منك، و"الجنب" البعيد المسكن عنك، وحد الجوار عند بعضهم أربعون دارا من كل ناحية. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ قال ابن عباس ﵄: الرفيق في السفر، وقال علي بن أبي طالب ﵁: الزوجة. ﴿مُخْتَالًا﴾ اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء، وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه. ﴿فَخُورًا﴾ شديد الفخر ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من قوله "مختالا"، أو نصب على الذم، أو رفع بخبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره يعذبون، والآية في اليهود نزلت في قوم منهم؛ كرْدم وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت؛ كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات، وهي مع ذلك عامة فيمن فعل هذه الأفعال من المسلمين. ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ عطف على "الذين يبخلون"، وقيل: على "الكافرين"، والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياء ومصانعة، وقيل: في اليهود، وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين. ﴿قَرِينًا﴾ أي: ملازما له يغويه. ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، استدعاء لهم بملاطفة، أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق، كأنه يقول: أي مضرة عليهم في ذلك. ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزنها، وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيل بالقليل تنبيها على الكثير. ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ بالرفع فاعل و"تك" تامة، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها. ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ أي: يكثرها، واحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة وأكثر.

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا ﴿بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيهم يشهد عليهم بأعمالهم. ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي: تشهد على قومك، ولما قرأ ابن مسعود ﵁ هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرفت عيناه. ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: يتمنون أن يدفنوا فيها ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى، وقيل: يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئا. فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم؛ لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا، والآخر: أنهم طوائف مختلفة ولهم أوقات مختلفة، وقيل: إن قوله "ولا يكتمون" عطف على "تسوى"؛ أي: يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا. ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط في القراءة، فمعناها النهي عن الصلاة في حال السكر، وقال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر؛ وذلك لا يلزم؛ لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، إنما هي نهي عن الصلاة في حال السكر، وذلك حكم ثابت في حال إباحة الخمر وفي حين تحريمها، وقال بعضهم: معناها لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة، فكأنها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ. ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي: حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤون، ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول، فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزمه طلاقه ولا إقراره. ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ عطف "ولا جنبا" على موضع و"أنتم سكارى" إذ هو في موضع الحال، والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج، وهو واقع على جماعة، بدليل استثناء الجمع منه، واختلف في "عابري سبيل" فقيل: إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر فيصلي بالتيمم دون اغتسال؛ فمقتضى الآية إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ أيضا إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث، وقيل: عابر السبيل المار في المسجد، و"الصلاة" هنا يراد بها المسجد لأنه موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا النهي ألا يقرب الجنب المسجد إلا خاطرا عليه، وعلى هذا حمل الشافعي الآية؛ لأنه يجيز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود.

وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية، سببها عدم الصحابة للماء في غزوة المريسيع، فأبيح لهم التيمم في عدم الماء، ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه؛ أحدها: عدمه في السفر، والثاني: عدمه في المرض، فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع؛ لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله "وإن كنتم مرضى أو على سفر" ثم قال ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾، الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض؛ فاختلف الفقهاء فيه: فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم؛ لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض والسفر، ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمم، فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة، وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله "فلم تجدوا ماء"، فيرجع قوله "فلم تجدوا ماء" إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي، ويجوز التيمم أيضا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة، وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها على أن يتناول قوله "وإن كنتم مرضى" أن معناه مرضى لا تقدرون على مس الماء. وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند مالك: هو أن يخاف الموت، أو زيادة المرض، أو تأخر البرء، وعند الشافعي خوف الموت لا غير، وحد السفر: الغيبة عن الحضر، كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا. ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ في "أو" هنا تأويلان؛ أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها، والآخر: أنها بمعنى الواو؛ فعلى القول بأنها على بابها يكون، قوله "فلم تجدوا ماء" راجعا إلى المريض والمسافر وإلى من جاء من الغائط وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين أم لا حسبما ذكرنا قبل هذا؛ فيقتضي ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو، يكون قوله "فلم تجدوا ماء" راجعا إلى المريض والمسافر، فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون "أو" على بابها لوجهين؛ أحدهما: إن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها، وذلك ضعيف، والآخر: أنها إذا كانت على بابها كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة. وحجة من جعلها بمعنى الواو: أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليهما، وهذا لا يلزم؛ لأن العطف بـ"أو" هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية: كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر. ﴿الْغَآئِطِ﴾ أصله المكان المنخفض وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين،

أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ

وهو العذرة والريح والبول، لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودي والمذي. ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها الجماع، وما دونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم، والقول الثاني: أنها ما دون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ﷺ ويؤخذ جوازه عند من أجازه من الحديث، والثالث: أنها الجماع لا غير؛ فعلى هذا يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبي حنيفة. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء، وهو مذهب مالك، خلافا لأبي حنيفة، فإن وجده بثمن، فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وُهب له، فاختلف هل يلزمه قبوله أم لا؟ ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ التيمم في اللغة: القصد، وفي الفقه: الطهارة بالتراب، وهو منقول من المعنى اللغوي. ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصعيد عند مالك: هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة؛ فأجاز التيمم بذلك كله، وهو عند الشافعي التراب لا غير، والطيب هنا الطاهر، واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجعول في طبق وبالآجر وبالجص المطبوخ وبالجدار وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك، ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية محتمل لأنه لم يحد، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا، وفي الموضع الثاني. قال السهيلي: فالموضع الأول نزل في رفاعة بن زيد بن التابوت، وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف. ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان، فالشراء مجاز، كقوله ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾، وفي تكرار قوله: ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾ مبالغة. ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ "من" راجعة إلى "الذين أوتوا نصيبا"، أو إلى "أعدائكم" فهي بيان، وقال الفارسي: هي ابتداء كلام، تقديره: من الذين هادوا قوم، وقيل: هي متعلقة بـ"نصيرا" وهو ضعيف، ويوقف على "نصيرا" على قول الفارسي.

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل: "الكلم" هنا التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ. ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه لا سمعت. ﴿وَرَاعِنَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوض من قولهم "سمعنا وعصينا"، ﴿وَاسْمَعْ﴾ عوض من قولهم "اسمع غير مسمع" ﴿وَانظُرْنَا﴾ عوض من قولهم "راعنا" وهو من النظر أو الانتظار؛ فهذه الأشياء الثلاثة مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها، لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، فإن هذه ليس فيها سوء أدب. ﴿مُصَدِّقًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ قال ابن عباس ﵁: طمسها أن تزال العينان منها وترد في القفا، فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف وعين وحاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي: نمسخهم كما مسخ ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وقد ذكر في البقرة، أو يكون من اللعن المعروف، والضمير يعود على الوجوه، والمراد أصحابها، أو يعود على "الذين أوتوا الكتاب" على الالتفات. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة: أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية؛ فإنها نص في هذا المعنى، ومذهب الخوارج: أن العصاة يعذبون، سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة: أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويرد على الطائفتين قوله "ويغفر ما دون ذلك"، ومذهب المرجئة: أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان، ويرد عليهم قوله "لمن يشاء"؛ فإنه تخصيص لبعض العصاة، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم، فقالوا "لمن يشاء" هو التائب؛ فإن التائب لا خلاف أنه لا يعذب، وهذا التأويل بعيد؛ لأن قوله "إن الله لا يغفر أن يشرك به" في غير التائب من الشرك، وكذلك قوله "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" في غير التائب من العصيان؛ ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد، وتأولتها المرجئة على مذهبهم فقالوا "لمن يشاء" معناه: لمن يشاء أن يؤمن، وهذا أيضا بعيد لا يقتضيه اللفظ، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد، فحملها المعتزلة على العصاة، وحملها المرجئة على الكفار، وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آية الوعد على

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾

المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آيات الوعد وآية الوعيد؛ بل يجمع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم، فإن الآيات فيها تتعارض. وتلخيص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره غفر له بإجماع، وإن مات على كفره لم يغفر له وخلد في النار بإجماع، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه. ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ هم اليهود، وتزكيتهم قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، وقيل: مدحهم لأنفسهم. ﴿فَتِيلاً﴾ الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل: ما يخرج بين إصبعيك وكفيك إذا فتلتها، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى. ﴿يَفْتَرُونَ﴾ دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل. ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال ابن عباس ﷺ: "الجبت" هنا هو حيي بن أخطب "والطاغوت" كعب بن الأشرف، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "الجبت" السحر"، والطاغوت" الشيطان، وقيل: "الجبت" الكاهن، "والطاغوت" الساحر، وبالجملة هما كل ما عبد أو أطيع من دون الله. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، سببها أن حيي بن أخطب أو كعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه. ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الهمزة للاستفهام مع الإنكار. ﴿نَقِيرًا﴾ النقير هو النقرة في ظهر النواة، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء، والمراد: وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذي هو أقل الأشياء، ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ وصفهم بالحسد مع البخل، و"الناس" هنا يراد بهم النبي ﷺ وأمته، والفضل النبوة، وقيل: النصر والعزة، وقيل: "الناس" العرب، والفضل كون النبي ﷺ منهم. ﴿فَقَدْ آتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد بـ"ءال إبراهيم" ذريته من بني إسرائيل وغيرهم ممن آتاه الله الكتب التي أنزلها والحكمة التي علمها، والقصد بالآية: الرد على اليهود في حسدهم لمحمد ﷺ، ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم، فلأي شيء تخصون محمدا ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم. ﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾ الملك في

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾

آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الآية، قيل: المراد من اليهود من آمن بالنبي ﷺ، أو بالقرآن المذكور في قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه ثلاثة أوجه في ضمير "به"، وقيل: "منهم" أي: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، و"منهم" من كفر كقوله: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ الآية، قيل: تبدل لهم جلود بعد جلود أخر؛ إذ نفوسهم هي المعذبة، وقيل: تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل: الجلود السرابيل؛ وهو بعيد. ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ صفة من لفظ الظل للتأكيد؛ أي: دائما لا تنسخه الشمس، وقيل: يقي الحر والبرد. ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية، قيل: هي خطاب للولاة، وقيل: للنبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، ولفظها عام، وكذلك حكمها. ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾ هم الولاة، وقيل: العلماء، ونزلت في عبد الله بن حذافة ﷺ بعثه رسول الله ﷺ في سرية. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الرد إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته. ﴿إِن كُنتُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا إلى قوله "فردوه"، أو إلى قوله "أطيعوا"، والأول أظهر لأنه أقرب إليه. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي: مآلا وعاقبة، وقيل: أحسن نظرا منكم. ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية، نزلت في المنافقين، وقيل: في منافق ويهودي كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن. ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر

فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ

موضع المضمر ليذمهم بالنفاق، ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين. ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ الآية، أي: كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ما قبله، أو يكون معطوفا على قوله "يصدون"، ويكون قوله "فكيف إذا أصابتهم" اعتراضا. ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: عن معاقبتهم، وليس المراد بالإعراض القطيعة؛ لقوله ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾. ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية، وعد بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة، ومعنى ﴿جَآءُوكَ﴾ أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ "لا" هنا مؤكدة للنفي الذي بعدها. ﴿شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: اختلط واختلفوا فيه، ومعنى الآية: أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ، ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا، وقيل: بسبب خصام الزبير رضي الله عنه مع رجل من الأنصار في الماء، وحكمها عام. ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية، معناها لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها، لقلة انقيادهم، إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا، وقد روي أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس رضي الله عنهم. ﴿إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ بالرفع بدل من المضمر، وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء، أو على إلا فعلا قليلا. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له. ﴿أَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ أي: تحقيقاً لإيمانهم. ﴿وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم﴾ جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ ثواب على الطاعة؛ أي: هم معهم في الجنة، وهذه الآية مفسرة لقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، والصديق: فعيل من الصدق، أو من التصديق، والمراد به المبالغة، والصديقون أرفع الناس

وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

درجة بعد الأنبياء، والشهداء المقتولون في سبيل الله، ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق وصاحب الهدم، حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة. ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة، والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط، وهو مفرد بين به الجنس، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي ينال بها مرافقة هؤلاء. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ﴾ الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر في الجنة، و"الفضل" صفة أو خبر. ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرزوا من عدوكم واستعدوا له. ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ أي: اخرجوا للجهاد جماعات مفترقين، وذلك كناية عن السرايا، وقيل: إن "الثبات" ما فوق العشرة، ووزنها فُعلة بفتح العين ولامها محذوفة. ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين في الجيش الكثيف، فخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة. ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين، والمراد به المنافقون، وعبر عنهم "بمنكم" إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ويقولون آمنا، واللام في "لمن" للتأكيد، وفي "ليبطئن" جواب قسم محذوف، ومعناه يبطئ غيره أي: يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو، وقيل: يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل. ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: قتل وهزيمة، والمعنى: أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا، و﴿شَهِيدًا﴾ معناه حاضرا معهم. ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ﴾ أي: نصر وغنيمة، والمعنى: أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم. ﴿كَأَن لَّمْ يَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ جملة اعتراض بين القول ومعموله فلا يجوز الوقف عليها، وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده. ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل، ووعد بالأجر على كل واحدة منهما. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ تحريض على القتال، "وما" مبتدأ، والمجرور خبر، و"لا تقاتلون" في موضع الحال. ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام، وهو عطف على اسم "الله"، أو مفعول معه. ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين، وتحريضهم على القتال. ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، قيل: هي في قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يُفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أمروا به كرهوه، لا شكا في دينهم، ولكن خوفا من الموت، وقيل: هي في المنافقين؛ وهو أليق بسياق الكلام. ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ تحقير للدنيا يتضمن ردا عليهم في كراهتهم الموت. ﴿فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ أي: في حصون منيعة، وقيل: الـ"مشيدة" المطولة، وقيل: المبنية بالشيد وهو الجص. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الآية، الـ"حسنة" هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات، والـ﴿سَيِّئَةٌ﴾ الجوع والهزيمة وشبه ذلك، والضمير في "تصبهم"، وفي "يقولون" لـ"الذين قيل لهم كفوا أيديكم"، وهذا يدل على أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ إن السيئات من عنده. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ رد على من نسب السيئة إلى رسول الله ﷺ، وإعلام أن الحسنة والسيئة، والخير والشر، من عند الله، أي: بقضائه وقدره. ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ توبيخ لهم على قلة فهمهم. ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمراد به كل مخاطب على الإطلاق، فدخل فيه غيره من الناس، وفيه تأويلان؛ أحدهما: نسبة الحسنة إلى الله، والسيئة إلى العبد تأدبا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة، وذلك كقوله ﷺ: «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**» [مسلم: 7481]. وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه لقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ، فهي من العبد بتسببه فيها ومن الله بالخلقة والاختراع، والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل، والتقدير: يقولون كذا، فمعناها كمعنى التي قبلها. ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هذه الآية من

وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ

فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله؛ لأنه يأمر وينهى عن الله. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أي: من أعرض عن طاعتك فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله، بل حسابه وجزاؤه على الله، وفي هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال. ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة لك، وهي في المنافقين بإجماع. ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾ "بيت" أي: دبر الأمر بالليل، والضمير في "تقول" للمخاطب، وهو النبي ﷺ، أو للطائفة. ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: لا تعاقبهم. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ حض على التفكر في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه. ﴿ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ أي: تناقضا كما في كلام البشر، أو تفاوتا في الفصاحة، لكن القرآن منزه عن ذلك، فدل على أنه كلام الله، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا في شيء من القرآن، فالواجب أن يتهم نظره، ويسأل أهل العلم ويطالع تواليفهم حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ قيل: هم المنافقون، وقيل: قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش وغير ذلك "أذاعوا به" أي: تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين، مع ما في ذلك من العجلة، وقلة التثبت، فأنكر الله عليهم ذلك.

﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم، وردوه إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر منهم، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم؛ لعلمه القوم الذين يستنبطونه؛ أي: يستخرجونه من الرسول وأولي الأمر؛ فـ"الذين يستنبطونه" على هذا طائفة من المسلمين، يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام وأولي الأمر، وحرف الجر في قوله "يستبطونه منهم" لابتداء الغاية، وهو يتعلق بالفعل، والضمير المجرور يعود على "الرسول وأولي الامر"، وقيل "الذين يستنبطونه" هم أولوا الأمر كما جاء في الحديث عن عمر ﷺ أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فدخل عليه فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: "لا" فقام على باب المسجد، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فأنزل الله هذه القصة. قال: وأنا الذي استنبطته. [مسلم: 4673]. فعلى هذا "يستنبطونه" هم أولوا الأمر، والضمير المجرور يعود عليهم، و"منهم" لبيان الجنس، واستنباطه على هذا هو بسؤالهم النبي ﷺ أو بالنظر والبحث، واستنباطه على التأويل الأول؛ هو بسؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولي الأمر.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: هداه وتوفيقه، أو بعثه للرسول وإنزاله للكتب، والخطاب في الآية للمؤمنين. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا اتباعا قليلا؛ فالاستثناء من المصدر، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا في أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها، وقيل: إنه استثناء من الفاعل في "اتبعتم" أي: إلا قليلا منكم، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل، والفضل والرحمة على هذا بعث الرسول وإنزال الكتاب، وقيل: الاستثناء من قوله "أذاعوا به". ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ أي: إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك. ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض. ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: عسى من الله واجبة، و"الذين كفروا" هنا قريش، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها وبفتح مكة. ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقابا وعذابا. ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في مسلم؛ لتفرج عنه كربة أو ترفع مظلمة، أو تجلب إليه خيرا، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك، وقيل: الشفاعة الحسنة؛ هي الطاعة، والشفاعة السيئة؛ هي المعصية، والأول أظهر، والكفل هو النصيب. ﴿مُّقِيتًا﴾ قيل: قديرا، وقيل: حفيظا، وقيل: الذي يقيت الحيوان؛ أي يرزقهم القوت. ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنى ذلك الأمر برد السلام، والتخيير بين أن يرد بمثل ما سلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل؛ مثل أن يقال له: سلام عليك، فيرد السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي، وقال بعض الناس: هو فرض عين، واختلف في الرد على الكفار؛ فقيل: يرد عليهم لعموم الآية، وقيل: لا يرد عليهم، وقيل: يقال لهم «**عليكم**» حسبما جاء في الحديث [البخاري: 6042] وهو مذهب مالك، ولا يبتدؤون بالسلام. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بـ"إلى". ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهام ومعناه: لا أحد أصدق من الله. ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ "ما" استفهامية بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين، ومعنى "فئتين" أي: طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال، والمراد بـ"المنافقين" هنا ما قال ابن عباس رضي الله عنه: أنها

وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ

نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين، فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات، فاختلف المسلمون؛ هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا، أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟ وقال زيد بن ثابت ﷺ: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد؛ فاختلف الصحابة في أمرهم، ويرد هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾. ﴿أَرۡكَسَهُم﴾ أي: أضلهم وأهلكهم. ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ الضمير لـ"المنافقين" أي: تمنوا أن تكفروا. ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ يريد به الأسر. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية، استثناء من قوله: "فخذوهم واقتلوهم"، ومعناها: أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين، وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة، فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك القتال، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في سورة براءة. قال السهيلي وغيره: "الذين يصلون" هم بنو مدلج ابن كنانة. ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ بنو خزاعة، فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ، فمعنى "يصلون إلى قوم" ينتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة، وقيل: معنى "يصلون": ينتسبون؛ وهذا ضعيف جدا، بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش وهم أقاربه وأقارب المؤمنين، فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين. ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ عطف على "يصلون" أو على صفة قوم؛ وهي "بينكم وبينهم ميثاق" والمعنى يختلف على ذلك، والأول أظهر، و"حصرت صدورهم" في موضع الحال، بدليل قراءة يعقوب "حصرة" ومعناه: ضاقت عن القتال وكرهته، ونزلت في قوم جاؤوا إلى المسلمين وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضا أن ﴿يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ وهم أقاربهم الكفار، فأمر الله بالكف عنهم، ثم نسخ ذلك أيضا بالقتال. ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ أي: سالموكم فلا تقاتلوهم، و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هنا الانقياد. ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ الآية، نزلت في قوم مخادعين، وهم من أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا؛ ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا؛ ليأمنوا قومهم و﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ هنا الكفر على الأظهر، وقيل: الاختبار.

وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ اَن يَقْتُلَ مُومِنًا اِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُومِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُومِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ

﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ اَن يَقْتُلَ مُومِنًا اِلَّا خَطَـًٔا﴾ نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد، وكان الحارث يعذبه على الإسلام، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله. وقيل: إن الاستثناء هنا منقطع، والمعنى: لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه، لكن الخطأ قد يقع، والصحيح أنه متصل؛ والمعنى: لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعمد، إذ هو مغلوب فيه، وانتصاب "خطأ" على أنه مفعول من أجله، أو حال، أو صفة لمصدر محذوف. ﴿وَمَن قَتَلَ مُومِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ هذا بيان ما يجب على القاتل خطأ، فأوجب الله عليه التحرير والدية؛ فأما التحرير ففي مال القاتل، وأما الدية ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي ﷺ وهو بيان للآية؛ إذ لفظها يحتمل ذلك وغيره، وأجمع الفقهاء عليه، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون "مومنة" ليس فيها عقد من عقود الحرية سالمة من العيوب؛ فأما إيمانها فنص هنا، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة اليمين، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله "فتحرير رقبة"؛ لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها، وأما سلامتها من العيوب فزعموا أن إطلاق الـ"رقبة" يقتضيه؛ وفي ذلك نظر، ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ﴿مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي: مدفوعة إليهم، والأهل هنا الورثة، واختلف في مدة تسليمها؛ فقيل: هي حالة عليهم، وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين، وقيل: في أربع؛ ولفظ التسليم مطلق، وهو أظهر في الحلول، لولا ما جاء من السنة في ذلك. ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول، أي: إذا أسقطوا الدية سقطت، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور خلافا لأهل الظاهر، وحجتهم عود الضمير على الأولياء، وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول. ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُومِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ﴾ معنى الآية: أن المقتول خطأ إن كان مؤمنا وقومه كفار أعداء وهم المحاربون، فإنما في قتله التحرير خاصة دون الدية، فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين، ورأى ابن عباس رضي الله عنه أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر، وخالفه غيره، ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال؛ فالآية عنده منسوخة. ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الآية، معناها: أن المقتول خطأ إن كان قومه كفارا معاهدين، ففي قتله تحرير رقبة،

فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُومِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنَ اَلْقِيٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُومِنًا

والدية إلى أهله؛ لأجل معاهدتهم، والمقتول على هذا مؤمن؛ ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي، وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب الكفارة في قتل الذمي، وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله "وهو مومن" في الآية التي قبلها، وقرأ الحسن هنا "وهو مؤمن". ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: من لم يجد العتق ولم يقدر عليه، فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه. ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر، ومعناه: رحمة منه وتخفيفا. ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُومِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية، نزلت بسبب مقيس بن صبابة، كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ، ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله، والمتعمد عند الجمهور: هو الذي يقصد القتل بحديد أو حجر أو عصا أو غير ذلك. وهذه الآية معضلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين في النار، واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار؛ لقوله "خالدا فيها"، وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه؛ أحدها: أن قالوا إنها في الكافر إذا قَتل مؤمنا، والثاني: قالوا معنى المتعمد هنا: المستحل للقتل وذلك يؤول إلى الكفر، والثالث: قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي، وإنما هو عبارة عن طول المدة، والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ورأوا أنها ناسخة لقوله "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت ﵁: نزلت الشديدة بعد الهينة، وبقول ابن عباس ﵄: الشرك والقتل من مات عليهما خلد، وبقول رسول الله ﷺ: **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا والرجل يقتل المؤمن متعمدا»** [أبو داود: 4272]. وتقتضي الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصي، واختلف الناس في القاتل عمدا إذا تاب هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقْتص منه، هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا؟. والصحيح أنه يسقط عنه لقول رسول الله ﷺ: **«من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»** [البخاري: 81]، وبذلك قال جمهور العلماء. ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: سافرتم في الجهاد. ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ من البيان، وقرئ بالثاء المثلثة من الثبات، والتفعل فيها بمعنى الاستفعال؛ أي: اطلبوا بيان الأمر وثبوته. ﴿اَلْقِيٓ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ بغير ألف أي: انقاد وألقى بيده، وقرئ "السلام" بمعنى التحية، ونزلت في سرية لقيت رجلا فسلم عليهم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله،

تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

فشق ذلك على رسول الله ﷺ، وكان القاتل محلم بن جثامة، والمقتول عامر بن الأضبط، وقيل: القاتل: أسامة ابن زيد، والمقتول مرداس بن نهيك. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة؛ وكان للرجل المقتول غنم. ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ وعد وتزهيد في غنيمة من أظهر الإسلام. ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ قيل: معناه كنتم كفارا فهداكم الله للإسلام، وقيل: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالعزة والنصر حتى أظهرتموه. ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ الآية: معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون. ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية قام ابن أم مكتوم الأعمى ﷺ فقال: يا رسول الله! هل من رخصة فإني ضرير البصر؟ فنزل "غير أولي الضرر" وقرئ "غير" بالحركات الثلاث، بالرفع صفة للقاعدين، وبالنصب على الاستثناء أو الحال، وبالخفض صفة للمؤمنين. ﴿دَرَجَةً﴾ قيل: هي تفضيل على القاعدين من أهل العذر، والدرجات على القاعدين بغير عذر، وقيل: إن الدرجات مبالغة وتأكيد "الدرجة". ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة. ﴿أَجْرًا﴾ منصوب على الحال من "درجات" أو على المصدرية من معنى "فضل"، وانتصب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على البدل من الأجر، أو بفعل مضمر، وانتصب ﴿مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بإضمار فعلها، أي: غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية: نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة وقيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، ويحتمل "توفاهم" أن يكون ماضيا أو مضارعا، وانتصب ﴿ظَالِمِي﴾ على الحال. ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟. ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي وبخهم به الملائكة، أي: لم نقدر على الهجرة؛ وكان اعتذارا بالباطل. ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ رد عليهم وتكذيب لهم في اعتذارهم. ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي:

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

الذين كان استضعافهم حقا، قال ابن عباس ﷺ: كنت أنا وأبي وأمي ممن عنى الله بهذه الآية. ﴿مُرَاغَمًا﴾ أي: متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه. ﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتساع في الأرض، وقيل: في الرزق. ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ثبت وصح. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ﴾ الآية: حكمها على العموم، ونزلت في ضمرة ابن العيص ﷺ، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضا، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني فهيئ له فراش فوضع عليه، وخرج فمات في الطريق. وقيل: نزلت في خالد بن حزام ﷺ فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق، فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة. ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال؛ الأول: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر، وأن ذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة، وعثمان بن عفان ﷺ. الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية ﷺ قال: قلت لعمر بن الخطاب ﷺ: إن الله يقول: "إن خفتم" وقد أمن الناس؟ فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «**صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته**» [مسلم: 1605]. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قصر في السفر وهو آمن. الثالث: أن قوله "إن خفتم" راجع إلى قوله ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية التي بعد ذلك، والواو زائدة؛ وهذا بعيد. الرابع: أنها في صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة، قال ابن عباس ﷺ: فرضت الصلاة في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة. الخامس: أنها في صلاة المسايفة، فالقصر على هذا هو من هيئة الصلاة كقوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، وإذا قلنا إنها في القصر في السفر، فظاهرها أن القصر رخصة والإتمام أفضل، وهو مذهب الشافعي، وقال مالك: القصر أفضل، وقيل: إنهما سواء، وأوجب أبو حنيفة القصر، وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه السفر مطلقا؛ ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير، ومذهب مالك والشافعي؛ أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا، واحتجوا بآثار عن ابن عمر وابن عباس ﷺ، وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية؛ فإن لفظها مطلق في السفر، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية، ومنعه مالك في

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ

سفر المعصية، ومنعه ابن حنبل في المعصية وفي المباح. وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فأضربنا عن ذكرها، والمراد بالفتنة في هذه الآية: القتال أو التعرض بما يكره. ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية، في صلاة الخوف؛ وظاهرها يقتضي أنها لا تصلى بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه شرط كونه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف، وأجازها الجمهور بعده ﷺ؛ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته، وقد فعلها الصحابة بعده ﷺ. واختلف الناس في صفة صلاة الخوف على عشرة أقوال؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطر إلى ذكرها، فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك، وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع. ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ يقسم الإمام المسلمين على طائفتين؛ فيصلي بالأولى نصف الصلاة، وتقف الأخرى تحرس، ثم يصلي بالثانية بقية الصلاة، وتقف الأولى تحرس، واختلف؛ هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور أم لا؟ وعلى القول بالإتمام اختلف هل يتمونها في أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟. ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختُلف من المأمور بأخذ الأسلحة؟ فقيل: الطائفة المصلية، وقيل: الحارسة؛ والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم، وإلا لم يكن معنى لأخذ الأسلحة إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم. ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ الضمير في قوله "سجدوا" للمصلين، والمعنى: إذا سجدوا معك في الركعة الأولى، وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء، والضمير في قوله "فليكونوا من ورائكم" يحتمل أن يكون للذين سجدوا؛ أي: إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم، وعلى هذا إن كان السجود هنا الركعة الأولى، فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها، وإن كان السجود في ركعة القضاء، فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء؛ وهو مذهب مالك والشافعي، ويحتمل أن يكون الضمير في قوله "فليكونوا" للطائفة الأخرى؛ أي: يقفون وراء المصلين يحرسونهم في حال سجودهم. ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ يعني الطائفة الحارسة. ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، إخبار عما جرى في غزوة ذات الرقاع من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل جبريل على النبي ﷺ وأخبره بذلك، وشرعت صلاة الخوف؛ حذرا من الكفار، وفي قوله ﴿مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ مبالغة؛ أي: مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ الآية،

أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾

نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف ﷺ كان مريضا فوضع سلاحه، فعنفه بعض الناس، فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويقاس عليهما كل عذر يحدث في ذلك الوقت. ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ إن قيل: كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟ فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدو يقتضي توهم قوتهم وعزتهم، فنفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين، قال ذلك الزمخشري، وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾ الآية، أي: إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان، وقيل: المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما، فإن لم تقدروا فقعودا، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم. ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ﴾ أي: إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة. ﴿كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: محدودا بالأوقات، وقال ابن عباس ﵄: فرضا مفروضا. ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب الكفار. ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ الآية، معناها: إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله، ومع ذلك فأنكم ترجون إذا قاتلتموهم النصر في الدنيا والأجر في الآخرة، وذلك تشجيع للمسلمين. ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد بالوحي، أو بالاجتهاد، أو بهما، وإذا تضمنت الاجتهاد؛ ففيها دليل على إثبات النظر والقياس خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم. ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ نزلت الآية وما بعدها في قصة طعمة بن الأبيرق إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريء، ونسبوا السرقة إلى غيره، وظن رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم ليدفع ما نسب إليهم، حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائنون في الآية هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلي: هم بشر وبشير ومبشر وأسير، ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم. ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي: من خصامك عن الخائنين، على أنه ﷺ إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يدبرون ليلا، وإنما سمى التدبير قولا؛ لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام باللسان. ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: إن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل: هما بمعنى، وكرر لاختلاف اللفظ. ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل. ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابن الأبيرق من السرقة، وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة، فهي أيضا تتضمن أحكام غيرها، وبقية الآية تشريف للنبي ﷺ وتقرير لنعم الله عليه. ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فالاستثناء الذي بعد هذا منقطع، وقد يكون متصلا على حذف مضاف، تقديره: إلا نجوى من أمر، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي: يعاديه، والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق؛ لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامة فيه وفي غيره. ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين، وأنه لا تجوز مخالفته؛ لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين، وفي ذلك نظر. ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نتركه مع اختياره الفاسد. ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدم الكلام على نظيرتها.

إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ الضمير في "يدعون" للكفار، ومعنى "يدعون" يعبدون، واختلف في الإناث هنا؛ فقيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة كاللات والعزى، وقيل: المراد الملائكة؛ لقول الكفار إنهم إناث، وكانوا يعبدونهم، فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل: المراد الأصنام؛ لأنها لا تعقل، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث. ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ يعني إبليس، وإنما قال إنهم يعبدونه، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد هو الشديد العتو والإضلال. ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ صفة للشيطان. ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ الضمير في "قال" للشيطان، و"مفروضا" أي: فرضته لنفسي من قولك: فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال. ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي: أعدهم الأماني الكاذبة. ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: يقطعونها؛ والإشارة بذلك إلى البَحيرة وشبهها. ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ التغيير هنا الخصاء وشبهه، وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل: التغيير هو الوشم وشبهه؛ ويدل على هذا الحديث الذي لعن فيه الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله [البخاري: 4486]. ﴿مَحِيصًا﴾ أي: معدلا ومهربا. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران: الأول مؤكد للوعد الذي يقتضيه قوله "سندخلهم جنات"، والثاني مؤكد لـ"وعد الله". ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآية، اسم "ليس" مضمر تقديره الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل: للمشركين، أي: لا يكون ما تتمنون ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده ويجازيهم بأعمالهم. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين. ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دخلت "من" للتبعيض رفقا بالعباد؛ لأن "الصالحات" على الكمال لا يطيقها البشر. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييد باشتراط الإيمان، فإنه لا يقبل عمل إلا به. ﴿نَقِيرًا﴾ هو النقرة

وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ

التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء. ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: دين الإسلام. ﴿حَنِيفًا﴾ حال من المتبع أو من "إبراهيم". ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ أي: صفيا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة، وفي ذلك تشريف لإبراهيم، وترغيب في اتباعه. ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي: يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء. ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم "الله" أي: يفتيكم الله، والمتلو في الكتاب يعني القرآن. ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله "ما كتب لهن" يعني ما تستحقه المرأة من الصداق، وقوله ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني لجمالهن ومالهن، من غير توفية حقوقهن، فنهاهم الله عن ذلك في قوله أول السورة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى﴾ الآية، وهذه الآية هي التي تليت عليهم في يتامى النساء. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطف على "يتامى النساء" أي: والذي يتلى في المستضعفين من الولدان وهو قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾؛ لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث. ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ عطف على "المستضعفين" أي: والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبا، تقديره: ويأمركم أن تقوموا، والخطاب في ذلك للأولياء والأوصياء أو القضاة وشبههم، والذي يتلى عليهم في ذلك هو قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ الآية، وقوله ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ إلى غير ذلك. ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف، كذلك يجوز بعد وقوع النشوز والإعراض، وقد تقدم معنى النشوز، وأما الإعراض فهو أخف منه، ووجوه الصلح كثيرة منها؛ أن يعطيها الزوج شيئا أو تعطيه هي أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع، أو غير ذلك، وسبب الآية؛ أن سودة بنت زمعة رضي الله عنها لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت له: أمسكني في نسائك ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة رضي الله عنها [الترمذي: 3314].

وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل: معناه صلح الزوجين خير من فراقهما، فـ"خير" على هذا للتفضيل، واللام في "الصلح" للعهد. ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جبلت عليه، والشح: هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج: هو منع الصداق، والتضييق في النفقة، وزهده في المرأة؛ لكبر سنها أو قبح صورتها. ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ معناه: العدل التام الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده، فإنهم لا يستطيعون، وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، ثم يقول: «**اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك**» [النسائي: 3960] يعني ميله بقلبه، وقيل: إن الآية نزلت في ميله ﷺ بقلبه إلى عائشة ﵂، ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده، ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ أي: لا ذات زوج ولا مطلقة. ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الآية، معناها إن تفرق الزوجان بطلاق؛ أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعد بخير وتأنيس. ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا﴾ الآية، إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه. ﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي: بقوم غيركم، وروي أن النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي ﵁ وقال: «**هم قوم هذا**» [الطبري: 10676]. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية، تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة؛ لأنه خير من ثواب الدنيا، وتقتضي أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده؛ فإن ذلك بيده لا بيد غيره، وعلى أحد هذين الوجهين يرتبط الشرط بجوابه، فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة، فعند الله ثواب

كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

الدنيا والآخرة، وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة. ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: مجتهدين في إقامة العدل. ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ معناه لوجه الله ولمرضاته. ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يتعلق بـ"شهداء"، وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق، ثم ذكر ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ إذ هم مظنة للتعصب والميل، فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى. ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ جواب "إن" محذوف على الأظهر، أي: إن يكن المشهود عليه غنيا فلا تمتنع من الشهادة عليه تعظيما له، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه إشفاقا عليه؛ فإن الله أولى بالغني والفقير، أي: بالنظر إليهما. ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ "أن" مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل؛ فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس، أو من العدول، فالتقدير؛ كراهة أن تعدلوا عن الحق. ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ قيل: إن الخطاب للحكام، وقيل: للشهود؛ واللفظ عام في الوجهين، واللي: هو تحريف الكلام، أي: "إن تلووا" عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق، "أو تعرضوا" عن صاحب الحق أو عن المشهود له؛ فإن الله يجازيكم، فإنه خبير بما تعملون، وقرئ "وإن تلُوا" بضم اللام من الولاية، أي: إن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عنها. ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ الآية، خطاب للمسلمين، معناه: الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر، أو يكون أمرا بالدوام على الإيمان، وقيل: خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين؛ معناه: الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ، وقيل: خطاب للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الآية، قيل: هي في المنافقين؛ لترددهم بين الإيمان والكفر، وقيل: في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ، والأول أرجح؛ لأن الكلام من هنا فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتد، وازداد كفرا. ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذلك فيمن علم الله أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم.

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الآية، إشارة إلى قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وغيرها، وفي الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصي، والضمير في قوله ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين. ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ صفة للمنافقين، أي: ينتظرون بكم دوائر الزمان. ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية. ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره: ذلك في الآخرة، وقيل: السبيل هنا: الحجة البالغة. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ لأن وبال خداعهم راجع عليهم. ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ أي: مضطربين مترددين لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار. ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة ظاهرة. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾ أي: في الطبقة السفلى من جهنم وهي سبع طبقات، وفي ذلك دليل على أنهم شر من الكفار. ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناء من المنافقين، والتوبة هنا: الإيمان الصادق في الظاهر والباطن. ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ المعنى: أي حاجة أو منفعة لله بعذابكم، وهو الغني عنكم، وقدم الشكر على الإيمان؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالمنعم، فكأن الشكر سبب للإيمان متقدم عليه،

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾

ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به، والشاكر اسم الله ذكر في اللغات. ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أي: إلا جهر المظلوم؛ فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه، وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم، وقيل: أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه. ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية، ترغيب في فعل الخير سرا وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار؛ لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية، نزلت في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ وغيره، ومعنى التفريق بين الله ورسله: الإيمان به والكفر برسله، وكذلك التفريق بين الرسل: هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله. ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة، كما أتى موسى بالتوراة، وقيل: كتاب إلى فلان وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت، فذكر الله سؤالهم من موسى، وسوء أدبهم معه؛ تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره، ثم ذكر أفعالهم القبيحة؛ ليبين أن كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدم في البقرة ذكر طلبهم للرؤيا، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت، وغير ذلك مما أشير إليه هنا. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ "ما" زائدة

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾

للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره: بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ويكون ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ على هذا بدلا من قوله "فبما نقضهم". ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد. ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عدد الله في جملة قبائحهم قولهم "إنا قتلنا المسيح"؛ لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقي عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروي أن عيسى قال للحواريين: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فألقي عليه شبه عيسى، فقتل على أنه عيسى، وقيل: بل دل على عيسى يهودي، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي، فقتل اليهودي، ورفع عيسى إلى السماء حيا حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال. ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف قالوا فيه "رسول الله" وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه؛ كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث: أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدته: تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم إنا قتلناه. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم: إنه صلب، حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب. ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فيه تأويلان؛ أحدهما: ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي، والآخر: أن معناه شبه لهم الأمر، أي: خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه، ومنعوا الناس أن يقربوا منه حتى تغير؛ بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ روي أنه لما رفع عيسى وألقي شبهه على غيره فقتلوه، قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فاختلفوا فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل واختلفوا من كان. ﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع؛ لأن العلم تحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل؛ إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء، ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب: أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمارات فظنوا، قاله الزمخشري، وقد يقال: الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: ما قتلوه

بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾

قتلا يقينا، فإعراب "يقينا" على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل: هو مصدر في موضع الحال، أي: ما قتلوه متيقنين، وقيل: هو تأكيد للنفي الذي في قوله "وما قتلوه" أي: تيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية. ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى سمائه، وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية. ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيها تأويلان؛ أحدهما: أن الضمير في "موته" لـ"عيسى"، والمعنى: أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى، وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا وهو دين الإسلام، والثاني: أن الضمير في "موته" للكتابي الذي تضمنه قوله "وإن من اهل الكتاب" التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى، ويعلم أنه نبي قبل أن يموت هذا الإنسان، وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمان لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس ﵄ وغيره، وفي مصحف أبي بن كعب ﵁ "قبل موتهم" وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني، والضمير في "به" لـ"عيسى" على الوجهين، وقيل: هو لمحمد ﷺ. ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره: صدا كثيرا، أو بمعنى صدهم لغيرهم؛ فيكون "كثيرا" مفعولا بالصد أي: صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله. ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله بن سلام ومخيرق ﵄ ومن جرى مجراهم. ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ منصوب على المدح بإضمار فعل، وهو جائز كثيرا في الكلام، وقالت عائشة ﵂: هو من لحن كتاب المصحف، وفي مصحف ابن مسعود ﵁ "والمقيمون" على الأصل. ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية رد على اليهود الذين سألوا من النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحي كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحي من غير إنزال كتاب من السماء؛ ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ

الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة. ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ منصوب بفعل مضمر، أي: أرسلنا رسلا. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة: إن الشجرة هي التي كلمت موسى. ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر أو على البدل. ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي: بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلي رسولا لآمنت. ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية، معناها أن الله يشهد بأن القرآن من عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك، وسبب الآية إنكار اليهود للوحي، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا: لن نشهد بما أنزل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك، وفي الآية من أدوات البيان؛ الترديد: وهو ذكر الشهادة أولا ثم ذكرها في آخر الآية. ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافا للمعتزلة في قولهم: إنه عالم بلا علم، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب عام؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس. ﴿فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ انتصب "خيرا" هنا وفي قوله ﴿انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ بفعل مضمر لا يظهر تقديره: إيتوا خيرا لكم، هذا مذهب سيبويه، وقال الخليل: انتصب بقوله "آمنوا" و"انتهوا" على المعنى، وقال الفراء: فآمنوا إيمانا خيرا لكم، فنصبه على النعت لمصدر محذوف، وقال بعض الكوفيين: هو خبر كان المحذوفة تقديره: يكن الإيمان خيرا لكم. ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم لا يضره كفركم. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ هذا خطاب للنصارى؛ لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ "أهل الكتاب" عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك، والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد. ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي: مكون عن كلمته، والتي هي "كن" من غير واسطة أب ولا نطفة. ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: ذو روح من الله

فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

فـ"من" هنا لابتداء الغاية، والمعنى من عند الله، وجعله من عند الله؛ لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم. ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾ نهي عن التثليث الخبيث، وهذا مذهب النصارى، وإعراب "ثلاثة" خبر ابتداء مضمر. ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ برهان على تنزيهه تعالى عن الولد؛ لأنه مالك كل شيء. ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف، وكذلك معناه حيث وقع. ﴿وَلاَ الْمَلآئِكَةُ﴾ فيه دليل لمن قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ولا من فوقه. ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ﴾ هو القرآن وهو أيضا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور النبي ﷺ؛ لأنه سماه سراجا. ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يطلبون منك الفتيا، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طالبا للكلالة، و ﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أيضا طالبا لها فيكون من باب الإعمال، وإعمال العامل الثاني على اختيار البصريين، أو يكون "يستفتونك" مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه؛ والأول أظهر، وقد تقدم معنى الكلالة في أول السورة، والمراد بالأخ والأخت هنا: الشقائق والذين للأب إذا عدم الشقائق، وقد تقدم حكم الإخوة للأم في قوله ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً﴾ الآية. ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث. ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تضلوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ

سورة المائدة

﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ قيل: إن "العقود" هنا ما عقده الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك، وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات كالحج والصيام وشبه ذلك، وقيل: ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه؛ ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ وما بعده. ﴿بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، وإضافة الـ"بهيمة" إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، قال الزمخشري: هي الإضافة التي بمعنى "من" كخاتم من حديد، أي: البهيمة من الأنعام، وقيل: هي الوحش كالظباء وبقر الوحش، والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان. ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يريد الميتة وأخواتها. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في "لكم". ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من "محلي الصيد"، و"حرم" جمع حرام وهو المحرم بالحج؛ فالاستثناء بـ"إلا" من البهائم المحللة، والاستثناء بـ"غير" من القوم المخاطبين. ﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي مناسك الحج؛ كان المشركون يحجون ويعتمرون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فقيل لهم: "لا تحلوا شعائر الله" أي: لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم، وقيل: هي الحرم؛ وإحلاله الصيد فيه، وقيل: هي ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك؛ وإحلاله فعله. ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ وهي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وقيل: أشهر الحج؛ وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة؛ وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها. ﴿وَلاَ الْهَدْيَ﴾ هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام، ويذبح تقربا إلى الله، فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه أو يصد عن البيت. ﴿وَلاَ الْقَلآئِدَ﴾ قيل: هي التي تعلق في أعناق الهدي، فنهى عن التعرض لها، وقيل: أراد ذوات القلائد من الهدي وهي البدن، وجردها بالذكر بعد دخولها في الهدي اهتماما بها وتأكيدا لأمرها. ﴿وَلآ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي: قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة، فنهى الله عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت، ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحكم البكري واسمه شريح ابن ضبيعة، أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عام في المسلمين والمشركين، ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وبقوله: ﴿فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، وبقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل الربح في التجارة، والرضوان الرحمة في الدنيا وفي الآخرة. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ أي: إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم، فالأمر هنا إباحة بإجماع. ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ اَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ معنى "لا يجرمنكم": لا يُكسبنكم، يقال: جرَم فلان فلانا هذا الأمر، إذا أكسبه إياه وحمله عليه، والشنآن: هو البغض والحقد، ويقال: بفتح النون وإسكانها، و"أن صدوكم" مفعول من أجله، و"أن تعتدوا" مفعول ثان لـ"يجرمنكم"، ومعنى الآية: لا تحملكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم؛ من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة، فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم؛ لأن الله علم أنهم يؤمنون. ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وصية عامة، والفرق بين "البر" و"التقوى": أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات؛ فالبر أعم من التقوى. ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الفرق بينهما: أن "الاثم" كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس، "والعدوان" على الناس. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ تقدم الكلام عليها في البقرة. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تخنق بحبل وشبهه. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعصا أو حجر وشبهه. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تسقط من جبل وشبه ذلك. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نطحتها بهيمة أخرى. ﴿وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي: أكل بعضه؛ و"السبع": كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر. ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناء منقطع؛ وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها ما مات من الاختناق، والوقذ، والتردية، والنطح، وأكل السبع، والمعنى: حرمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال، وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة، فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة في ذكرها بعدها، وقيل: إنه استثناء متصل؛ وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركتَ ذكاته، والمعنى على هذا: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا؟

وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ

وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب فذكاتها جائزة باتفاق. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ عطف على المحرمات المذكورة، و"النصب" حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام؛ لأن الأصنام مصورة و"النصب" غير مصورة، وهي الأنصاب والمفرد نصاب، وقد قيل: إن "النصب" بضمتين مفرد وجمعه أنصاب. ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ﴾ عطف على المحرمات أيضا، والاستقسام: هو طلب ما قسم له، والأزلام: هي السهام، واحدها زُلم بضم الزاي وفتحها، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة، وأدخل يده، وأخرج أحدها؛ فإن خرج له الذي فيه: افعل فعل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل، تركه، وإن خرج له المهمل، أعاد الضرب. ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرمه الله وجعله فسقا؛ لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب. ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ أي: يئسوا أن يغلبوه أو يبطلوه، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين، ويحتمل أن يكون المراد بـ"اليوم" الزمان الحاضر لا اليوم بعينه. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور، أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام. ﴿فَمَنُ اضْطُرَّ﴾ راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا؛ أباحها الله تعالى عند الاضطرار. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة. ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ هو بمعنى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ وقد تقدم في البقرة. ﴿فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قام مقام: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ وتضمن زيادة الوعد. ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها: أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يحل لهم من المآكل، وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سألوه: ماذا يحل لنا من الكلاب؟ فنزلت مبينة للصيد بالكلاب. ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ هي عند مالك الحلال؛ وذلك ما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة، وعند الشافعي الحلال المستلذ، فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها؛ لأنها من الخبائث. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على "الطيبات" على حذف مضاف تقديره: وصيد ما علمتم، أو مبتدأ وخبره: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن؛ لأنه لا حذف فيه، و"الجوارح": هي الكلاب ونحوها مما يُصاد به، وسميت جوارح؛ لأنها كواسب لأهلها، فهو من الجرح بمعنى الكسب، ولا خلاف في

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ

جواز الصيد بالكلاب، واختلف فيما سواها، ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة في البزات وغيرها، ومنع بعضهم ذلك لقوله "مكلبين"؛ فإنه مشتق من الكلب، ونزلت الآية بسبب عدي بن حاتم ﵁؛ فإنه كان له كلاب يصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد. ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: معلمين للكلاب الاصطياد، وقيل: معناه أصحاب كلاب، وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في "علمتم" ويقتضي قوله "علمتم"، و"مكلبين" أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم؛ لقوله "ما علمتم" ولقوله "مكلبين" على القول الأول، ولتأكيده ذلك بقوله "تعلمونهن". وحدُّ التعليم عند ابن القاسم: أن يفهم الجارح الإشلاء والزجر، وقيل: الإشلاء خاصة، وقيل: الزجر خاصة، وقيل: أن يجيب إذا دعي. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّآ عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد، وتأتي تحصيل الصيد، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان، فـ"من" للتبعيض، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية، والجملة في موضع الحال أو استئناف. ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا إباحة، ويحتمل أن يريد "مما أمسكن" سواء أكلت منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ، وبذلك أخذ مالك، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكلن منه، وبذلك فسره رسول الله ﷺ بقوله: «فإن أكل منه فلا تأكل، فإنه إنما أمسك على نفسه» [البخاري: 5476]. وقد أخذ بهذا بعض العلماء، وقد ورد في حديث آخر: «إذا أكل فكل» [أبو داود: 2854]، وهو حجة لمالك. ﴿وَاذْكُرُوا۟ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمر بالتسمية على الصيد ويجري الذبح مجراه، وقد اختلف الناس في حكم التسمية؛ فقال الظاهرية: إنها واجبة؛ حملا للأمر على الوجوب، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا لم تؤكل عندهم، وقال الشافعي: إنها مستحبة؛ حملا للأمر على الندب، وتؤكل عنده سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا، وجعل بعضهم الضمير في "عليه" عائدا على الأكل، فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد، ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل، وإن تركت نسيانا أكلت، فهي عنده واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان. ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا۟ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ معنى "حل" حلال، و"الذين أوتوا الكتاب" هم اليهود والنصارى، واختلف في نصارى بني تغلب من العرب، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية، هل يحل لنا طعامهم أم لا؟ ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب، واختلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا؟ وأما الطعام فهو على ثلاثة أقسام؛ أحدها: الذبائح، وقد اتفق العلماء على أنها مرادة في الآية، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى، واختلفوا فيما هو محرم عليهم في دينهم هل يحل لنا أم لا؟ على ثلاثة أقوال: الجواز والمنع والكراهة، وهذا الاختلاف مبني على هل هو من طعامهم أم لا؟ فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز، وإن أريد

وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُومِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

به ما يحل لهم مُنع، والكراهة توسط بين القولين، القسم الثاني: ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز باتفاق، والثالث: ما فيه محاولة كالخبز وتعصير الزيت وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه، فمنعه ابن عباس ﷺ؛ لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة، ولأنه يمكن أن يكون نجسا، وأجازه الجمهور؛ لأنه رأوه داخلا في طعامهم، وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلا، وقد صنف الطرطوشي في تحريم جبن النصارى، وقال: إنه ينجس البائع والمشتري والآلة؛ لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة، ويجري مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على الطعام المحلل، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوج، والعفة، والحرية؛ فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾، وأما التزوج فلا يصح أيضا؛ لأن ذات الزوج لا تحل لغيره، ويحتمل هنا العفة والحرية، فمن حمله على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة؛ وهو مذهب مالك، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ﴾؛ لأن هذه في الكتابيات، والأخرى في المشركين من العرب، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك، وقيل: بالعكس، وقد تقدم معنى ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ومعنى الـ﴿أَخْدَانٍ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾ الآية، نزلت في غزوة المريسيع، حين انقطع عقد عائشة ﷺ فأقام الناس على التماسه، وليسوا على ماء ولا معهم ماء، فنزلت الرخصة في التيمم، فقال أسيد بن حضير ﷺ: ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر؛ ولذلك سميت الآية آية التيمم، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ثابتا بالسنة، وقوله "إذا قمتم إلى الصلاة" معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضأوا، ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة، ومذهب الجمهور: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال؛ الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله ﷺ، إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد [مسلم: 664]، والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب، والثالث: أن تقديرها إذا قمتم محدثين؛ فإنما يجب على من أحدث، والرابع: أن تقديرها إذا قمتم من النوم. ﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ذكر في

وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ

هـذه الآيـة أربعة أعضاء؛ اثنـين محدودين؛ وهما: اليـدان والرجلان، واثنين غير محدوديـن؛ وهما: الوجه والرأس؛ أما المحدودان فتغسـل اليـدان إلى المرفقين والرجلان إلى الكعبين وجوبـا بإجماع؛ فإن ذلك هو الحد الذي جعله الله لهما، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا؟ وذلـك مبنـي على معنى "إلى"؛ فمن جعل "إلى" بمعنى "مع" في قولـه "إلى المرافق" و"إلى الكعبين" أوجب غسـلهما، ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسـلهما، واختلف في "الكعبين" هـل هما اللذان عند معقد الـشراك أو العظمان الناتئان في طرف السـاق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفـظ التثنية، ولو كان اللذان عند معقـد الـشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر "المرافق"؛ لأنه عـلى ذلك في كل رجل كعب واحد. وأما غير المحدودين؛ فاتفق على وجوب إيعاب الوجه؛ وحَدُّه طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحَدُّه عرضا من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العذار إلى العذار. وأما الرأس؛ فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه؛ لما ورد في الحديث أن رسـول الله ﷺ مسح على ناصيته [مسلم: 656]، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة. ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ اختلف في هذه الباء؟ فقال قوم: إنها للتبعيض؛ وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية، وقال القرافي: إنها باء الاسـتعانة التي تدخل على الآلات، وأن المعنى امسـحوا أيديكم برؤسكم؛ وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود، وقيل: إنها زائـدة؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها، والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسـح تارة يتعدى بنفسـه وتارة بحرف الجـر كقوله ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾، وكقوله ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾. ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ قـرئ "وأرجلَكم" بالنصب عطفا على الوجوه والأيدي؛ فيقتضي ذلك وجوب غسـل الرجلين، وقرئ بالخفض، فحمله بعضهم على أنه عطف عـلى قوله "برؤوسـكم" فأجاز مسـح الرجلين، روي ذلك عـن ابن عباس ﷺ، وقـال الجمهور: لا يجوز مسـحهما بل يجب غسـلهما، وتأولوا قراءة الخفض بثلاث تأويلات؛ أحدها: أنه خفض على الجوار لا على العطف، والآخر: أنه يراد به المسـح على الخفين، والثالث: أن ذلك منسـوخ بالسـنة. والفرق بين المسح والغسل: أن المسح إمرار اليد بالبلل الذي يبقى من الماء، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء، وعند الشافعي إمـرار المـاء وإن لم يدلـك باليـد. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النسـاء.

مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: من ضيق ولا مشقة، كقول رسول الله ﷺ: «دين الله يسر» [أحمد: 20688]، وبقية الآية تفضل من الله على عباده ورحمة، وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها. ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وكل موطن قال المسلمون: فيه سمعنا وأطعنا. ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء. ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم. ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها أربعة أقوال؛ الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان، ويقوي هذا القول ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود، والثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده، فقال له: من يمنعك مني؟ فقال: «الله»، فأغمد السيف وجلس [البخاري: 2910]، واسمه غورث بن الحارث الغطفاني، الثالث: أنها فيما همَّ به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف، الرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين. ﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ النقيب: هو كبير القوم القائم بأمورهم. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بنصري، والخطاب لبني

يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

إسرائيل، وقيل: للنقباء. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعاني؟ ﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: على خيانة؛ فهو مصدر كالعاقبة، وقيل: على طائفة خائنة؛ وهو إخبار بأمر مستقبل. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف والجزية. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى﴾ أي: ادعوا أنهم أنصار الله، وسموا أنفسهم بذلك، ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به، ويتعلق "من الذين" بـ ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ والضمير عائد على النصارى. ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي: أثبتنا وألصقنا، وهو مأخوذ من الإغراء. ﴿يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في الموضعين يعم اليهود والنصارى، وقيل: إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة؛ فإنهم كانوا يذكرون رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به. ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمدا ﷺ، وفي الآية دلالة على صحة نبوته؛ لأنه بين لهم ما أخفوه مما في كتبهم وهو أمي لم يقرأ كتابهم. ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: يتركه ولا يفضحكم فيه. ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ محمد ﷺ والقرآن. ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا﴾ الآية، رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصارى. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي: قالت كل فرقة عن نفسها أنهم ﴿أَبْنَآءُ اللّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ﴾، والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة، وقال الزمخشري: المعنى نحن أشياع أبناء الله عندهم وهما المسيح وعزير، كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك. ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ رد عليهم؛ لأنهم

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾

اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب حبيبه؛ ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله. ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قيل: جعل منكم ملوكا، أي: أمراء، وقيل: الملك من له مسكن وامرأة وخادم. ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: يعني المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا يكون "العالمين" خاصا بأهل زمانهم؛ لأن أمة محمد ﷺ قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم، وقيل: المراد كثرة الأنبياء، فعلى هذا يكون عاما؛ لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم. ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: الطور، وقيل: دمشق. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قضى أن تكون لكم. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة، والرجوع إلى الطريق الذي جاؤوا منه؛ فإنه روي أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر. ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة. ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما يوشع وكالب، ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله، وقيل: يخافون الجبارين؛ ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما. ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي: باب المدينة. ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله ﷺ: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون [البخاري: 3952]. ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبذل جهده في طاعة الله، ويعتذر إلى الله، وإعراب "أخي" عطف على "نفسي"؛ لأن أخاه هارون كان يطيعه، وقيل: عطف على الضمير في "لا أملك" أي: لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه، وقيل: مبتدأ وخبره محذوف، أي: أخي لا يملك إلا نفسه. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي: فارق بيننا وبينهم، فهو من الفرقة، وقيل: افصل بيننا

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ

وبينهم بحكم. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في "قال" لله تعالى، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في تلك المدة. ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أرض التيه، وهو ما بين مصر والشام، حتى مات كل من قال "إنا لن ندخلها" ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هارون في التيه، ومات موسى بعده في التيه أيضا، وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه لقوله "فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين"، وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة وقتل الجبارين وفتح المدينة. والعامل في "أربعين" "محرمة" على الأصح، فيجب وصله معه، وقيل: العامل فيه "يتيهون"؛ فعلى هذا يجوز الوقف على قوله "محرمة عليهم"؛ وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتيه. ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يتحيرون، وروي: أنهم كانوا يسيرون الليل كله، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي: لا تحزن، والخطاب لموسى، وقيل: لمحمد ﷺ، ويراد بالفاسقين: من كان في عصره من اليهود. ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هما قابيل وهابيل. ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي: أن قابيل كان صاحب زرع، فقرب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش كان عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول، وإلا فلا قبول؛ فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته، وتركت زرع قابيل، فحسده قابيل فقتله. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن العاصي لا يتقبل عمله، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك. ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية، قيل: معناها: لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك به، وقيل: لئن بدأتني بالقتل لم أدافعك، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا منه وفضيلة؟ وهو الأظهر والأشهر، أو كان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تخيير في أهون الشرين، كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحب إلي من أن أقتلك، كما ورد في الأثر: «**كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل**» [أحمد: 23162]. وأما قوله "بإثمي وإثمك" فمعناه بإثم قتلي لك لو قتلتك وبإثم قتلك لي، وإنما يحمل القاتل الإثمين؛ لأنه ظالم فذلك مثل قوله ﷺ: «**المستبان ما قالا فهو على البادئ**» [مسلم: 6756]، وقيل: "بإثمي" أي: تحمل عني سائر ذنوبي؛

فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِىۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

لأن الظالم تجعل عليه يوم القيامة ذنوب المظلوم. "وإثمك" أي: في قتلك لي وفي غير ذلك من ذنوبك. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓءُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل: أن يكون من كلام هابيل أو استئنافا من كلام الله تعالى. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية، روي: أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت، وقيل: بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقي التراب على هابيل. ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي: عورته وخصت بالذكر؛ لأنها أحق بالستر من سائر الجسد، والضمير في "أخيه" عائد على ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بني آدم. ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ أصله يا ويلتي ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء، وكذلك ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾، و﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على ما وقع فيه من قتل أخيه، واختلف في قابيل هل كان كافرا أو عاصيا؟ والصحيح أنه لم يكن كافرا؛ لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافرا، و"أصبح" هنا وفي الموضع الأول: عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح. ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ يتعلق بـ"كتبنا"، وقيل: بـ"النادمين" وهو ضعيف. ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم. ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه: من غير أن يقتل نفسا يجب عليه به القصاص. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات؛ إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قتل الواحد والجميع سواء، والثاني: انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان، والثالث: الإثم والعذاب الأخروي، قال مجاهد: وعد الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك؛ وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس، والتشديد فيه؛ ليزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر والترغيب فيه. وإحياؤها هو بإنقاذها من الموت، كإنقاذ الحريق، والغريق، وشبه ذلك، وقيل: بترك قتلها، وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص. ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ الضمير: لبني إسرائيل، والمعنى تقبيح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله ﷺ.

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية، سببها عند ابن عباس ﷺ: قوم من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة: نزلت في نفر من عكل وعرينة أسلموا، ثم إنهم قتلوا راعي رسول الله ﷺ وأخذوا إبله، ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب، والحرابة عند مالك: هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلا خارج البلدان، وقوله "يحاربون الله" تغليظ ومبالغة، قال بعضهم: تقديره يحاربون رسول الله ﷺ وذلك ضعيف؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ذكر بعد ذلك، وقيل: يحاربون عباد الله؛ وهو أحسن. ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ الآية، بيان للحرابة، وهي على درجات؛ فأدناها إخافة الطريق، ثم أخذ الأموال، ثم قتل الناس. ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الصلب مضاف إلى القتل، فقيل: يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فيزدجروا، وهو قول أشهب، وقيل: يصلب حيا ويقتل في الخشبة، وهو قول ابن القاسم. ﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل؛ وذلك في الحرابة وفي السرقة. ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ مشهور مذهب مالك: أن ينفى من بلد إلى بلد آخر يسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروى عنه مطرف: أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل: ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك: أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه، أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلا أنه قال: إن كان قَتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل فالأحسن أن يأخذ فيه بأيسر العقاب، وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتبة؛ فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ مال قتل ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي. وحجة مالك عطف هذه العقوبات بـ"أو" التي تقتضي التخيير. ﴿خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة النار، وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب بخلاف سائر الحدود، ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ قيل: هي في المشركين، وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها، وقيل: هي في المحاربين من المسلمين؛ وهو الصحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ واختلف هل يطالب بما عليه من حقوق الناس

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَ اَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْاَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ اَلَمْ تَعْلَمَ اَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْاَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُومِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ

في الدنيا من الأموال أم لا؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة، ووجه سقوطها إطلاق قوله "غفور رحيم". ﴿وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك. ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِ﴾ إن قيل: لم وحّد الضمير وقد ذكر شيئين وهما "ما في الارض" و"مثله"؟ فالجواب: أنه وضع المفرد موضع الاثنين، أو أجرى الضمير مجرى أسماء الإشارة كأنه قال: ليفتدوا بذلك، أو تكون الواو بمعنى مع. ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم، وكذلك ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾. ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق، إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم، فمن ذلك؛ أن من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له، وكذلك من سرق مال ولده أو مال سيده، أو سرق من غير حرز، أو سرق أقل من النصاب؛ وهو عند مالك ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية، وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من الآية؛ لأن ما أهمل بغير حرز، أو ائتمن عليه، فليس أخذه سرقة، وإنما هو اختلاس أو خيانة. وإعراب "السارق" عند سيبويه مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة، والخبر عند المبرد وغيره "فاقطعوا أيديهما" ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط. ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ الآية، توبة السارق هو أن يندم على ما مضى، ويقلع فيما يستقبل، ويرد ما سرق إلى من يستحقه، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي؛ لظاهر الآية، أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة إلا المحارب؛ للنص عليه. ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قدم العذاب على المغفرة؛ لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة. ﴿يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له. ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ هم المنافقون. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ﴾ يحتمل أن يكون عطفا على "الذين قالوا"،

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَاتُوكَ يُحَرِّفُونَ اَلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنُ اوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْاَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمُۥ أَوَ اَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرِيَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُومِنِينَ (43)

ثم يكون ﴿سَمَّاعُونَ﴾ استئناف، إخبار عن الصنفين؛ المنافقين واليهود، ويحتمل أن يكون "من الذين هادوا" استئنافا مقطوعا مما قبله، و"سماعون" راجع إليهم خاصة. ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ـاخَرِينَ﴾ أي: سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ؛ لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة، فقوله ﴿لَمْ يَاتُوكَ﴾ صفة لـ"قومَ اخرين"؛ والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر، والـ"سماعون للكذب" بنو قريظة. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يبدلونه من بعد أن يوضع في مواضعه، وقصدت به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود. ﴿يَقُولُونَ إِنُ اوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب؛ أن يهوديا زنى بيهودية، فسأل رسول الله ﷺ اليهود عن حد الزاني عندهم؟ فقالوا: نجلدهما ونحمم وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن في التوراة الرجم» فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرأوها، وجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك فرفع، فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرجما [البخاري: 4556]. فمعنى قولهم "إن أوتيتم هذا فخذوه": إن أوتيتم هذا الذي ذكرتم من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به. ﴿وَإِن لَّمْ تُوتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد ﷺ بغيره ﴿فَاحْذَرُواْ﴾. ﴿فِتْنَتَهُ﴾ أي: ضلالته في الدنيا أو عذابه في الآخرة. ﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: الذلة والمسكنة والجزية. ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود فكررها هنا تأكيدا، وإن كان الأول في المنافقين واليهود فهذا في اليهود خاصة. ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي: للحرام؛ من الرشوة والربا وشبه ذلك. ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمُ أَوَ اَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضا يتناول الحكام، وقيل: إنه منسوخ بقوله ﴿وَأَنُ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾. ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ الآية، استبعاد لتحكيمهم النبي ﷺ، وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها، فمعنى ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: يتولون عن اتباع حكم الله في التوراة، من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم، ومعلوما في قضية الرجم وغيرها. ﴿وَمَآ أُوْلَئِكَ بِالْمُومِنِينَ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه السلام،

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ

وهـذا إلـزام لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة. ﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ هم الأنبيـاء الذين بين موسـى ومحمد عليهم السـلام، ومعنى "أسـلموا" هنا: أخلصـوا لله، وهي صفة مدح أريـد بهـا التعريض باليهود؛ لإنهم بخلاف هـذه الصفة، وليس المراد هنا الإسـلام الذي هو ضد الكفر؛ لأن الأنبيـاء لا يقـال فيهم أسـلموا على هـذا المعنى؛ لأنهم لم يكفـروا قط، وإنما هو كقـول إبراهيم عليه السـلام ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقولـه تعالى ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾. ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ متعلق بـ"يحكـم" أي: يحكـم الأنبيـاء بالتوراة للذين هـادوا ويحملونهم عليهـا، وقيل: يتعلق بقولـه "فيها هدى ونور". ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُواْ﴾ أي: كلفوا حفظه، والباء هنا سببية قاله الزمخشري، ويحتمل أن تكون بدلا من المجـرور في قوله "يحكم بها". ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ﴾ وما بعده خطاب لليهـود، ويحتمل أن يكون وصية للمسـلمين يـراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك مـن أفعالهم. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس ﷺ: نزلت الثلاثة في اليهود: ﴿الْكَافِرُونَ﴾، و﴿الظَّالِمُونَ﴾، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾، وقـد روي في هـذا حديث عن النبي ﷺ، وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسـلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسـلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان، وقال الشـافعي: "الكافرون" في المسـلمين، و"الظالمـون" في اليهود، و"الفاسـقون" في النصارى. ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كتبنا بمعنـى الكتابة في الألواح، أو بمعنى الفرض والإلزام، والضمير في "عليهم" لـ "بني إسرائيل"، وفي قوله "فيهـا" لـ"التـوراة". ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي: تقتل النفس إذا قتلت نفسـا، وهذا إخبار عما في التوراة؛ وهو حكم في شريعتنا بإجماع، إلا أن هذا اللفظ عام وقد خصص العلماء منه أشـياء، فقال مالك: لا يقتل مؤمـن بكافر للحديث الوارد في ذلك، ولا يقتل حر بعبـد لقوله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾، وقد تقدم الـكلام على ذلـك في البقرة. ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ وما بعده حكم القصاص في الأعضـاء، والقراءة بنصب "العين"، وما بعده عطف عـلى "النفس"، وقرئ بالرفـع؛ ولها ثلاثة أوجه؛ أحدهـا: العطف على موضع "النفس"؛ لأن المعنى: قلنا لهم النفس بالنفس، والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر وهو "بالنفس"، والثالـث: أن يكون مسـتأنفا مرفوعـا بالابتداء. ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب عطـف على المنصوبات قبلـه، وبالرفـع على الأوجه الثلاثة التـي في رفع "العين"، وهذا اللفظ عام يـراد به الخصوص في الجراح

فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

التي لا يخاف على النفس منها. ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ فيه تأويلان؛ أحدهما: من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص، وعفا عنه؛ فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه، والثاني: من تصدق وعفا، فهو كفارة للقاتل أو الجارح بعفو الله عنه في ذلك؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه، فالضمير في "له" على التأويل الأول يعود على "من" التي هي كناية عن المقتول، أو المجروح، أو الولي، وعلى الثاني يعود على القاتل، أو الجارح وإن لم يجر له ذكر، ولكن سياق الكلام يقتضيه؛ والأول أرجح لعود الضمير على مذكور وهو "من"، ومعناهما واحد على التأويلين، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا، وترغيب في العفو، والتأويل الثاني بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفي عنه. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدم معنى ﴿مُصَدِّقٌ﴾ في البقرة، و"لما بين يديه" يعني التوراة؛ لأنها قبله، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل؛ لأنهما قبله، و"مصدقا" عطف على موضع قوله "فيه هدى ونور"؛ لأنه في موضع الحال. ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ ابن عباس ﷺ: شاهدا، وقيل: مؤتمنا. ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف، ولذلك تعدى بـ"عن". ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ابن عباس ﷺ: سبيلا وسنة، والخطاب للأنبياء أو الأمم، والمعنى: أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها، وقد استدل بها من قال: إن شريعة من قبلنا ليس بشرع لنا، وذلك في الأحكام والفروع، وأما في الاعتقادات فالدين فيها واحد لجميع العالم؛ وهو الإيمان بالله وتوحيده وتصديق رسله والإيمان بالدار الآخرة. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استدل بها قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها؛ وهذا متفق عليه في العبادات كلها إلا الصلاة ففيها خلاف؛ فمذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل، وعكس أبو حنيفة، وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ عطف على "الكتاب" في قوله "وأنزلنا إليك الكتاب"، أو على "الحق" في قوله "بالحق"، وقال قوم: إن هذا وقوله قبله "فاحكم بينهم" ناسخ لقوله "فاحكم بينهم، أو أعرض عنهم" أي: ناسخ للتخيير الذي في الآية، وقيل: إنه ناسخ للحكم بالتوراة، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ توبيخ لليهود، وقرئ بالياء إخبارا عنهم، وبالتاء خطابا لهم. ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قال الزمخشري: اللام للبيان، أي: هذا الخطاب لقوم يوقنون؛ فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما. ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ سببها: موالاة عبد الله بن أبي ابن سلول يهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصامت ﷺ الحلف الذي بينه وبينهم، ولفظها عام وحكمها باق، ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع وشبهه. ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة. ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون، والمراد هنا: عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه. ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثر بهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر. ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ الفتح: هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين، والأمر من عنده: هو هلاك الأعداء بأمر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود. ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ الضمير في "فيصبحوا" للمنافقين، والذي أسروه: هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين، وإضمار العداوة للمسلمين. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ قرئ "يقول" بغير واو، استئناف إخبار، وقرئ بالواو والرفع؛ وهو عطف جملة على جملة، وبالواو والنصب عطفا على "أن ياتي الله"، أو على "فيصبحوا". ﴿أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ﴾ الإشارة إلى المنافقين؛ لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين،

جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُوتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾

وانتصب ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على المصدر المؤكد. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين أو من كلام الله، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبرا. ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ خطاب على وجه التحذير والوعيد؛ وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين؛ فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع فارتد في حياة رسول الله ﷺ بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة وقتل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون وفشا أمرهم بعد موت رسول الله ﷺ حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق ﷺ، وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي ﷺ سبع قبائل؛ بنو فزارة، وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب ﷺ؛ وهم قوم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها وقال: «هم قوم هذا» يعني أبا موسى الأشعري ﷺ [الطبراني: 14423]. والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن، وقيل المراد: أبو بكر الصديق وأصحابه ﷺ الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق ﷺ من الجد في قتالهم والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه، فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوي ذلك أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر ﷺ، ألا ترى قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وكان أبو بكر ﷺ ضعيفا في نفسه قويا في الله، وكذلك قوله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ إشارة إلى من خالف أبا بكر ﷺ ولامه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ﴾ كقوله ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، وإنما تعدى "أذلة" بـ"على" لأنه تضمن معنى العطف والحنو، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره: من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ذكر الولي بلفظ المفرد؛ إفراد اسمه تعالى بها ثم عطف على الله تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال: إنما أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل وتبع. ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ؛ فإنه سأله سائل وهو راكع في الصلاة فأعطاه خاتمه، وقيل: هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة؛ لأنه من أشرف أعمالها،

وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

فالواو على القول الأول واو الحال، وعلى الثاني عطف على "الذين". ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر؛ معناه: فإنهم هم الغالبون. ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ بالنصب عطف على "الذين اتخذوا"، وقرئ بالخفض عطف على "الذين أوتوا الكتاب"؛ ويعضده قراءة ابن مسعود "ومن الكفار" ويراد بهم المشركون من العرب. ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية، روي أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حرق الله الكاذب فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله. واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين. ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ أي: هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله وبجميع كتبه ورسله، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب، ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم　　بهن فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وجماعة من اليهود؛ سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم فتلا ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به. [ابن أبي حاتم: 6595]. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على "آمنا"، وقيل: على "ما أنزل"، وقيل: هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره: هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم، ولأن أكثركم فاسقون، ويحتمل أن يكون "وأن أكثركم" مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فسقكم معلوم أو ثابت. ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ﴾ لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون على المسلمين بالإيمان بالله ورسله، ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم، فالخطاب في "أنبئكم" لليهود، والإشارة بـ"ذلك" إلى ما تقدم من حال المؤمنين. ﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ هي من الثواب، ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني اليهود، و"من" في موضع رفع بخبر ابتداء مضمر؛ تقديره: هو من لعنه الله، أو في موضع خفض على البدل من "شر"، ولا بد في الكلام من حذف مضاف تقديره: بشرٍّ من أهل ذلك، أو تقديره: دين من لعنه الله.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى بن مريم. ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ القراءة بفتح الباء فعل معطوف على "لعنه الله"، وقرئ بضم الباء وخفض "الطاغوت" على أن يكون "عبد" اسما على وجه المبالغة كيقظ، أضيف إلى "الطاغوت"، وقرئ "وعابد" "وعباد" وهو في هذه الوجوه عطف على "القردة والخنازير". ﴿شَرٌّ مَّكَاناً﴾ أي: منزلة، ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله، وذلك مبالغة في الذم. ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ نزلت في منافقين من اليهود. ﴿دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ﴾ تقديره: ملتبسين بالكفر، والمعنى: دخلوا كفارا وخرجوا كفارا، ودخلت "قد" على "دخلوا"، و"خَرَجُواْ" تقريبا للماضي من الحال؛ أي: ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام. ﴿فِي الإِثْمِ﴾ الكذب وسائر المعاصي. ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم. ﴿السُّحْتَ﴾ الحرام. ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ﴾ عرض وتحضيض وتقريع. ﴿لَبِيسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غل اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الجود، ومنه ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي: لا تبخل كل البخل، ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي: لا تجد كل الجود، وروي أن اليهود أصابتهم سنة جهد، فقالوا هذه المقالة الشنيعة، وكان الذي قالها فنحاص، ونسبت إلى جملة اليهود لأنهم رضوا بقوله. ﴿غُلَّتَ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة؛ فإن كان في الدنيا فيحتمل أن يراد به البخل، أو غل أيديهم في الأسر، وإن كان في الآخرة فهو جعل الأغلال في جهنم. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه وجوده، وإنما ثنيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود "يد الله مغلولة"، ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود، كقول العرب: فلان يعطي بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء. ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ إيقاد النار: عبارة عن محاولة الحرب، وإطفاؤها: عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم، أو يراد من كان معاصرا للنبي ﷺ منهم ومن يأت بعدهم؛ فيكون

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ

على هذا إخبار بغيب وبشارة للمسلمين. ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ الآية، يحتمل أن يراد أسلافهم أو المعاصرون للنبي ﷺ فيكون على هذا ترغيبا لهم في الإيمان والتقوى. ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ إقامتها بالعلم والعمل، وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى في لفظ "أهل الكتاب". ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم﴾ قيل: "من فوقهم" عبارة عن المطر، و"من تحتهم" عبارة عن النبات والزرع، وقيل: ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه. ﴿أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞ﴾ أي: معتدلة، ويراد به من أسلم منهم؛ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، وقيل: من لم يعاد الأنبياء المتقدمين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أمر بتبليغ جميع ما أوحي إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلغ، وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد. ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَاتِهِ﴾ هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان؛ أحدهما: أن المعنى إن تركت منه شيئا فكأنك لم تبلغ شيئا، وصار ما بلغت لا يعتد به، فمعنى "إن لم تفعل" إن لم تستوف التبليغ على الكمال، والآخر: أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها، ووضع السبب موضع المسبب. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وعد وضمان للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه، ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: «**يا أيها الناس انصرفوا، فإن الله قد عصمني**» وترك الاحتراس [الترمذي: 3320]. ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ الآية، أي: لستم على دين يعتد به يسمى شيئا. ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَاةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ، وقوله ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني القرآن، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ورافع بن حريملة، وغيرهم من اليهود، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتبعك. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة. ﴿وَٱلصَّابِئُونَ﴾ قراءة السبعة بالواو وهي مشكلة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: هي من لحن كُتّاب المصحف، وإعرابها عند أهل البصرة: مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: والصابئون كذلك، وهو مقدم في نية التأخير، وأجاز بعض الكوفيين فيه:

وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

أن يكون معطوفا على موضع اسم "إن"، وقيل: "إن" هنا بمعنى نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء؛ وهو ضعيف. ﴿وَحَسِبُوٓا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء واختبار، وقرئ "تكون" بالرفع على أن تكون "أن" مخففة من الثقيلة، وبالنصب على أنها مصدرية. ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدا، وقيل: التوبة بعث عيسى عليه السلام، وقيل: بعث محمد ﷺ. ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير، أو فاعل على لغة أكلوني البراغيث؛ والبدل أرجح وأفصح. ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ الآية رد على النصارى وتكذيب لهم. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المسيح أو من كلام الله. ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ الآية رد على من جعله إلها. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية. ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزه عن صفات الحدوث، وعن كل ما يلحق البشر، وقيل: إن قوله "يأكلان الطعام" عبارة عن الاحتياج إلى الغائط؛ ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمة بالوجهين. ﴿ثُمَّ انظُرْ﴾ دخلت "ثم" لتفاوت الأمرين، ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات.

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ
وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ
لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا
يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمُۥٓ أَنفُسُهُمُۥٓ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ
هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُومِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيٓءِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمُۥٓ أَوْلِيَآءَ
وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، إقامة الحجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرا ولا نفعا.
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطاب للنصارى، والغلو الإفراط؛ وسبب ذلك كفر النصارى.
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أئمتهم في دين النصرانية كانوا على ضلال في عيسى. ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس، ثم ﴿ضَلُّوا﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: هم اليهود؛ والأول أرجح لوجهين؛ أحدهما: أن الضلال وصف لازم للنصارى؛ ألا ترى قوله تعالى ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق. ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: في الزبور والإنجيل. ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضا. ﴿عَن مُّنكَرٍ﴾ فإن قيل: لم وصف المنكر بقوله ﴿فَعَلُوهُ﴾ والنهي لا يكون بعد الفعل؟ فالجواب: أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر إن أرادوا فعله. ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ إن أراد أسلافهم فالرؤية بالقلب، وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ وهو الأظهر فهي رؤية عين. ﴿وَالنَّبِيءِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني محمدا ﷺ. ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني ما اتخذوا الكفار أولياء. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ الآية، إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين.
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآية، إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر، فكل يهودي شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ تعليل لقرب مودتهم، والقسيس: العالم، والراهب: العابد. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية، هي في النجاشي رضي الله عنه وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ؛ وهم سبعون رجلا، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا

تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ

كما بكى النجاشي ﵁ حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب ﵁ سورة مريم. وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى عشرون رجلا، فلما سمعوا القرآن بكوا. ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾ "من" الأولى سببية، والثانية لبيان الجنس. ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: بالقرآن من عند الله. ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع المسلمين، وكذلك ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾. ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيف لأنفسهم، أو محاجة لغيرهم. ﴿وَنَطْمَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال، وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل. ﴿لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها: أن قوما من الصحابة ﵃ غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل، وبعضهم أكل اللحم، وهَم بعضهم أن يختصوا أو يسيحوا في الأرض، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»** [البخاري: 5063]. ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾ أي: لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم. ﴿وَكُلُواْ﴾ أي: تمتعوا بالمآكل الحلال وبالنساء وغير ذلك، وإنما خص الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم حاجات الإنسان. ﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدم في البقرة. ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ أي: بما قصدتم عقده بالنية، وقرئ "عقدتم" بالتخفيف و"عاقدتم" بالألف. ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزئ في الكفارة إطعام غني، فإن أطعمه جهلا لم يجزه على المشهور من المذهب، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين، وليس في الآية ما يدل على ذلك. ﴿مِنَ اَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختلف في هذا التوسط؛ هل هو في القدر أو في الصنف؟ واللفظ يحتمل الوجهين، فأما القدر؛ فقال مالك: يطعم بالمدينة مد بمد النبي ﷺ، وبغيرها وسط من الشبع، وقال الشافعي وابن القاسم: يجزئ المد في كل مكان، وقال أبو حنيفة: إن غداهم وعشاهم أجزأه، وأما الصنف، فاختلف؛ هل يطعم من عيش نفسه أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني: من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة، وعلى الأول يختص الخطاب بالمكفر.

أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال كثير من العلماء: يجزئ ثوب واحد لمسكين؛ لأنه يقال فيه كسوة، وقال مالك: إنما يجزئ ما تصح به الصلاة؛ فللرجل ثوب واحد وللمرأة قميص وخمار. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقييدها بذلك في كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافر؛ لإطلاق اللفظ هنا، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو، فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ فالخصال الثلاثة على التخيير، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة. ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه: إذا حلفتم وخشيتم أو أردتم الحنث، واختلف؛ هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا؟. ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: احفظوها فبروا فيها ولا تحنثوا، وقيل: احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم، وقيل: احفظوها، أي: لا تنسوها تهاونا بها. ﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَامُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة. ﴿رِجْسٌ﴾ هو في اللغة: كل مكروه مذموم، وقد يطلق بمعنى النجس، وبمعنى الحرام، وقال ابن عباس هنا معنى "رجس": سخط. ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ نص في التحريم، والضمير يعود على الـ"رجس" الذي هو خبر عن جميع الأشياء المذكورة. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ تقبيح للخمر والميسر وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة ﷺ عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال: إن ذلك كان سبب نزول الآية. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ توقيف يتضمن الزجر والوعيد، ولذلك قال عمر ﷺ لما نزلت: انتهينا انتهينا. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيها تأويلان؛ أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة ﷺ: فكيف بمن مات منا وهو يشربها؟ فنزلت الآية معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ. والآخر: أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر ﷺ حين

إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ

قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها، واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال له عمر رضي الله عنه: أخطأت التأويل. ﴿إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ الآية، قيل: كرر التقوى مبالغة، وقيل: الرتبة الأولى اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس، وقيل: الأولى للزمان الماضي، والثانية للحال، والثالثة للمستقبل. ﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾ يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس أو الإحسان في طاعة الله، وهو المراقبة؛ وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرّة الثالثة، وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة؛ مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ أي: يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام أو في الحرم، وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت، وإنما قلله في قوله "بشيء من الصيد" إشعارا بأنه ليس من الفتن العظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها. ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد: الذي تناله الأيدي: الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر، والذي تناله الرماح: كبار الصيد؛ والظاهر عدم هذا التخصيص. ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي: يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ أي: بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا في الآخرة. ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ معنى "حرم": داخلين في الإحرام أو في الحرم، و"الصيد" هنا عام خصص منه الحديث: «**الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور**» [البخاري: 1828]، وأدخل مالك في الكلب العقور: كل ما يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ "الصيد" يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد، وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر، وقال جمهور الفقهاء: إن المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله "متعمدا" على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد الذي في قوله ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ إذ لا وعيد على الناسي، والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد، والثالث: أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن، وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة. ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلِ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المعنى: فعليه جزاء، وقرئ

يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

بإضافة "جزاء" إلى "مثل" وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به، وقيل "مثل" زائدة؛ كقولك أنا أُكرم مثلك، أي أكرمك، وقرئ "فجزاء" بالتنوين، و"مثل" بالرفع على البدل أو الصفة، و"النعم" الإبل والبقر والغنم خاصة، ومعنى الآية عند مالك والشافعي: أن من قتل صيدا وهو محرم؛ أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر؛ ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثلية على هذا هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة؛ يقوَّم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه. ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذه الآية تقتضي أن الحكم شرط في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك؛ فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه فعليه إعادته بالحكم، إلا حمام مكة فإنه لا يحتاج إلى حكَمين؛ قاله مالك، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكموا به لعموم لفظ الآية، وقال الشافعي: يكتفي في ذلك بما حكمت به الصحابة. ﴿هَدْيًا﴾ يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه، وقال الشافعي: يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن. ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ لم يرد الكعبة بعينها وإنما أراد الحرم، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي من سوقه من الحل إلى الحرم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: إن اشتراه في الحرم أجزأه. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ عدد تعالى ما يجب في قتل المحرم الصيد؛ فذكر أولا الجزاء من النعم، ثم الطعام، ثم الصيام، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير، وهو الذي يقتضيه العطف بـ"أو"، ومذهب ابن عباس ﷺ أنها على الترتيب، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يقدر بالجزاء من النعم؛ إلا أنهم اختلفوا في كيفية التقدير، فقال مالك: يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام، أو بالدراهم، ثم تقوم الدراهم بالطعام، فينظر كم كان يساوي من طعام أو من دراهم وهو حي، وقال بعض أصحاب مالك: تقدير الصيد بالطعام أن يقال: كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعاما، وقال الشافعي: لا يقدر الصيد نفسه وإنما يقدر مثله وهو الجزاء الواجب على القاتل له. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ تحتمل الإشارة بـ"ذلك" أن تكون إلى الـ"طعام" وهو أحسن؛ لأنه أقرب، أو إلى "الصيد"، واختلف في صفة تعديل الصيام بالطعام؟ فقال مالك: يصوم مكان كل مد يوما، وقال أبو حنيفة: مكان كل مدين يوما، وقيل: مكان كل صاع يوما، ولا يجب الجزاء، ولا الإطعام، ولا الصيام؛ إلا بقتل الصيد، لا بأخذه دون قتل لقوله "ومن قتله"، وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين، وإنما لم يذكره الله في الطعام والصيام استغناء بذكره في الجزاء. ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ الذوق هنا مستعار؛ لأن حقيقته بحاسة اللسان، والوبال: سوء العاقبة، وهو هنا ما لزمه من التكفير. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عما فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد في الحرم. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ

بعد النهي عن ذلك، فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه في الآخرة. ﴿احِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والـ"صيد" هنا المصيد، و"البحر" هنا: هو الماء الكثير سواء كان ملحا أو عذبا كالبرك ونحوها. ﴿وَطَعَامُهُ﴾ هو ما يطفوا عن الماء وما قذف به البحر؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، وقال ابن عباس ﷺ: طعامه ما ملح منه وبقي. ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بـ"لكم" للحاضرين في البحر، و"السيارة" المسافرون أي: هو متاع تأتدمون به. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ الـ"صيد" هنا يحتمل؛ أن يراد به المصدر، أو الشيء المصيد، أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ما صاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه، ونشأ الاختلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال، فقيل: يجوز للمحرم أكله، وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك، وإن اصطاد حرام لم يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعي. ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل: موضع قيام بالمناسك، ولفظ "الناس" هنا عام، وقيل: أراد العرب خاصة؛ لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفون عن القتال فيها. ﴿وَالْهَدْيَ﴾ يريد أنه أمان لمن يسوقه؛ لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأت لحرب. ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر، وإذا رجع تقلد شيئا من شجر الحرم ليعلم أنه كان في عبادة فلا يتعرض له أحد بشيء، فـ"القلائد" هنا: ما تقلده المحرم من الشجر، وقيل: أراد قلائد الهدي، قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية وشددها في الإسلام. ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس، والمعنى: جعل الله ذلك لتعلموا أنه يعلم تفاصيل الأمور. ﴿لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظ عام في جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك. ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ان تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قيل: سببها سؤال عبد الله بن حذافة ﷺ: من أبي؟

وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

فقال له النبي ﷺ «أبوك حذافة»، وقال آخر: أين أبي؟ قال: «في النار» [البخاري: 7294]. وقيل: سببها أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا» فقالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلت نعم لوجبت» [مسلم: 3321]. فعلى الأول "تسؤكم" بالإخبار بها لا يعجبكم، وعلى الثاني "تسؤكم" بتكليف ما يشق عليكم؛ ويقوي هذا قوله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها كقوله ﷺ «عفا الله عن الزكاة في الخيل» [أبو داود: 1576]. وقيل: إن معنى "عفا الله عنها" عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه. ﴿وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال، كأنه قال لا تسألوا وإن سألتم أبدي لكم ما يسوؤكم، والمراد بـ"حين ينزل القرآن" زمان الوحي. ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في "سألها" راجع إلى المسألة التي دل عليها "لا تسألوا" وهي مصدر، ولذلك لم يتعد بعن كما تعدى قوله "وإن تسألوا عنها"؛ وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به. ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظم كتعظيم الكعبة والهدي؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده، أي: لم يشرعه لهم، وإنما الكفار جعلوا ذلك؛ فأما البحيرة: فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا أذنها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها، وأما السائبة: فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها، وأما الوصيلة: فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى في بطن، قالوا: وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها، وأما الحامي: فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون، قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذين يفترون هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم. ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ أي: يكفينا دين آبائنا. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون، وقال ابن عطية: ألف التوقيف دخلت على واو العطف، وقول الزمخشري أحسن في المعنى.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل: إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها، كأنه يقول لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم؛ والقول الصحيح فيها ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر؛ فإذا رأيتم شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم**» [أبو داود: 4343]. ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود ﷺ: ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم. ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ قال مكي: هذه الآية أشكل آية في القرآن إعرابا ومعنى وحكما، ونحن نبين معناها على الجملة، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل؛ وسببها: أن رجلين خرجا إلى الشام، وخرج معهما رجل آخر لتجارة، فمرض في الطريق، فكتب كتابا قيد فيه كل ما معه، وجعله في متاعه، وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته، فمات، فقدم الرجلان المدينة، ودفعا رحله إلى ورثته، فوجدوا فيه كتابه، وفقدوا منه أشياء قد كتبها، فسألوهما عنها فقالا: لا ندري، هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فاستحلفهما رسول الله ﷺ، فبقي الأمر مدة، ثم عثر على إناء عظيم من فضة، فقيل لمن وجد عنده: من أين لك هذا؟ فقال: اشتريته من فلان وفلان، يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا، فحلفا واستحقا. فمعنى الآية: إذا حضر الموت أحدا في السفر فليشهد عدلين بما معه، فإن وقعت ريبة في شهادتهما، حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا، حلف رجلان من أولياء الميت، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما. "شهادة بينكم" مرفوع بالابتداء وخبره "اثنان"، التقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين، أو مقيم شهادة بينكم اثنان، "إذا حضر" أي: إذا قارب الحضور، والعامل في "إذا" المصدر الذي هو "شهادة"، وهذا على أن يكون "إذا" بمنزلة -حين- لا تحتاج جوابا، ويجوز أن تكون شرطية وجوابها محذوف، يدل عليه ما تقدم قبلها؛ فإن المعنى: إذا حضر أحدكم الموت فينبغي أن يشهد. "حين الوصية" ظرف العامل فيه "حضر"، أو يكون بدلا من "إذا". ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة للشاهدين. ﴿مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قيل: معنى "منكم" من عشيرتكم وأقاربكم، و"من غيركم" من غير العشيرة والقرابة، وقال الجمهور "منكم" أي: من المسلمين، و"من غيركم" أي: من الكفار إن لم يوجد مسلم، ثم اختلف على هذا هل هي منسوخة بقوله ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا تجوز شهادة الكفار

إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ

أصلا، وهو قول مالك والشافعي والجمهور، أو هي محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على الوصية في السفر، وهو قول ابن عباس ﷺ. ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم، وجواب "إن" محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، والمعنى: إن ضربتم في الأرض ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ فشهادة بينكم شهادة اثنين. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسي: هو صفة لـ"ـاخران"، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله "إن انتم" إلى قوله "الموت"؛ ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض وحلول الموت في السفر، وقال الزمخشري: "تحبسونها" استئناف كلام. ﴿مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قال الجمهور: هي صلاة العصر؛ فاللام للعهد؛ لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ باللعان، وقال: «**من حلف على سلعة بعد صلاة العصر**» [البخاري: 2369]. وكان التحليف بعدها معروفا عندهم، وقال ابن عباس ﷺ: هي صلاة الكافرين في دينهما؛ لأنهما لا يعظمان صلاة العصر. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: يحلفان، ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ، وقد أحلفهما علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري ﷺ. ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في صدقهما وأمانتهما، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسم عليه، وجواب "إن" محذوف يدل عليه "يقسمان". ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسم عليه، والضمير في "به" للقسم وفي ﴿كَانَ﴾ للمقسم له أي: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا، أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا لنا، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها، وإضافها إلى "الله" تعظيما لها. ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ما أوجب إثما، والإثم الكذب والخيانة، واستحقاقه الأهلية للوصف به. ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدين في اليمين. ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: من الذين استحق عليهم الإثم أو المال، ومعناه: من الذين جني عليهم وهم أولياء الميت. ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ تثنية أولى بمعنى أحق، أي: الأحقان بالشهادة لمعرفتها، أو الأحقان بالمال لقرابتهما، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره: هما الأوليان، أو مبتدأ مؤخر تقديره: الأوليان آخران يقومان، أو بدل من الضمير في "يقومان"، ومنع الفارسي أن يسند "استحق" إلى "الأوليان" وأجازه ابن عطية، وأما على قراءة "استَحَق" بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل، فـ"الأوليان" فاعل بـ"استحق"، ومعنى "استحق" على هذا أخذ المال وجعل يده عليه، و"الأوليان" على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما أي: الأوليان بالتحليف والتعنيف

فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا

والفضيحة، وقرئ "الأولين" جمع أول وهو مخفوض على الصفة لـ"الذين استحق عليهم" أو منصوب بإضمار فعل، ووصفهم بالأولية لتقديمهم على الأجانب في استحقاق المال وفي صدق الشهادة. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي: يحلف هذان الآخران أن شهادتها أحق، أي: أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما. ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن اعتدينا فإنا من الظالمين، وذلك على وجه التبرئة، ومثله قول الأولين ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾. ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الإشارة بـ"ذلك" إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية، ومعنى "أدنى" أقرب و"على وجهها" أي: كما وقعت من غير تبديل ولا تغيير. ﴿أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصاب الظرف بفعل مضمر. ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم وإقامة الحجة عليهم، وانتصب "ما ذا أجبتم" انتصاب مصدره، ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم. ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إنما قالوا ذلك تأدبا مع الله، فوكلوا العلم إليه، قال ابن عباس ﷺ: المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا، وقيل: المعنى علمنا ساقط في جنب علمك، ويقوي ذلك قولهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾؛ لأن من عَلِمَ الخفيات لم تخف عليه الظواهر، وقيل: ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم، وهذا بعيد؛ لأن الأنبياء في ذلك اليوم آمنون، وقيل: أرادوا بذلك توبيخ الكفار. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون "إذ" بدل من "يوم يجمع"؛ ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل في "إذ" مضمرا، ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله "قال" بمعنى يقول، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران. ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير المؤنث عائد على الكاف لأنها صفة للهيئة، وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾ وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران ﴿فَيَنْفُخُ فِيهِ﴾ عائد على الكاف أيضا؛ لأنها بمعنى مثل، وإن شئت أن تقول: هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله ﴿كَهَيْئَةِ﴾؛ فتقديره في التأنيث صورة؛ وفي التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك، وقيل: المؤنث يعود على الهيئة، والمذكر يعود على ﴿الطَّيْرِ﴾ أو على ﴿الطِّينِ﴾ وهو بعيد في المعنى.

بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا

﴿بِإِذْنِي﴾ كرره مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية لعيسى. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهود حين هموا بقتله فرفعه الله إليه. ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوف على ما قبله، فهو من جملة نعم الله على عيسى، والوحي هنا يحتمل؛ أن يكون وحي إلهام، أو وحي كلام. ﴿وَاشْهَدْ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى، أو لعيسى عليه السلام. ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون يا رسول الله! يا نبي الله!، وقولهم "ابن مريم" دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد بخلاف ما اعتقده النصارى. ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله على إنزال المائدة، وعلى هذا أخذ الزمخشري وقال: ما وصفهم الله بالإيمان، وإنما حكى دعواهم في قولهم "ءامنا". وقال ابن عطية وغيره: ليس أنهم شكوا في قدرة الله، لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا، وهل تقع منه إجابة إليه؟ وهذا أرجح؛ لأن الله تعالى أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أن في اللفظ بشاعة تنكر، وقرئ "تستطيع" بتاء الخطاب، "ربك" بالنصب، أي: هل تستطيع سؤال ربك؟ وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا، وبها قرأت عائشة ؓ وقالت: كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربك؟ ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ موضع "أن" مفعول بقوله "يستطيع" على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء، والـ"مائدة" التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قوله لهم "اتقوا الله" يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة واقتراح الآية، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه قولهم "هل يستطيع ربك" على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك. وقوله "إن كنتم مومنين" هو على ظاهره على مذهب الزمخشري، وأما على مذهب ابن عطية وغيره فهو تقرير لهم كما تقول: افعل كذا إن كنت رجلا، ومعلوم أنه رجل، وقيل: إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى. ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: أكلا نتشرف به بين الناس، وليس مرادهم شهوة البطن. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أي: نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال. ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظاهره يقوي قول من قال: إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم، ويحتمل أن

وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس. ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله، وروي أنه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلي ويدعو ويبكي. ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ قيل: نتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ثم لمن بعدهم، وقال ابن عباس ﷺ: المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور. ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي: علامة على صدقي. ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا، ونزلت المائدة عليها خبز وسمك، وقيل: زيتون وتمر ورمان، وقال ابن عباس ﷺ: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا. وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ عادة الله تعالى عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير، قال عبد الله بن عمر ﷺ: أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس ﷺ والجمهور: هذا القول من الله يكون يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل، وقال السدي: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن ذلك فقال ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الآية، فعلى هذا يكون "إذ قال" ماضيا في معناه كما هو في لفظه، وعلى قول ابن عباس ﷺ يكون بمعنى المستقبل. ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ نفي يعضده دليل العقل؛ لأن المحدث لا يكون إلها. ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ اعتذار وبراءة من ذلك القول، ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته؛ لأن الله علم أنه لم يقل ذلك. ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة فقال: "في نفسك" مقابلة لقوله "في نفسي"، وبقية كلامه تعظيم لله وإخبار بما قال للناس في الدنيا. ﴿أَنُ اعْبُدُواْ﴾ "أن" عبارة وتفسير، أو مصدرية بدل من الضمير

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

في "به". ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان؛ الأول: كيف قال "وإن تغفر لهم" وهم كفار، والكفار لا يغفر لهم؟ والجواب: أن المعنى: تسليم الأمر لله، وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، فلا إشكال؛ لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة وكانوا حينئذ أحياء، وكل حي معرض للتوبة. السؤال الثاني: ما مناسبة قوله "فإنك أنت العزيز الحكيم" لقوله "إن تغفر لهم" والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل: فإنك أنت الغفور الرحيم؟ والجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له كان قوله "فإنك أنت العزيز الحكيم" أليق؛ فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له؛ فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته، الجواب الثاني: قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: إنما لم يقل الغفور الرحيم؛ لئلا يكون في ذلك تعريض بطلب المغفرة لهم، فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب، إذ لا تطلب المغفرة لكافر؛ وهذا قريب من قولنا، الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم بن حازم، أنه كان يقف على قوله "وإن تغفر لهم" ويجعل "فإنك أنت العزيز الحكيم" استئنافا، وجواب "إن" في قوله "فإنهم عبادك"؛ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال. ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عموم في جميع الصادقين، وخصوصا في عيسى ابن مريم؛ فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه، وقرأ غير نافع "هذا يومُ" بالرفع على الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون "يوم" ظرف لـ"قال"؛ فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله "هذا" خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص، والخبر في "يوم"، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام، والآخر: أن يكون "هذا" مبتدأ، و"يوم" في موضع خبره، والعامل فيه محذوف تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، ولا يجوز أن يكون "يوم" مبنيا على قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلى معرب، قاله الفارسي والزمخشري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤)

سورة الأنعام

قال كعب الأحبار ﷺ: أول الأنعام هو أول التوراة. ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ "جعل" هنا بمعنى خلق، و"الظلمات" الليل، و"النور" النهار والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما، وإنما أفرد "النور"؛ لأنه أراد الجنس، وفي الآية رد على المجوس في عبادتهم النار وغيرها من الأنوار، وقولهم: إن الخير من النور والشر من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلها ولا فاعلا لشيء من الحوادث. ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يسوون ويمثلون؛ من قولك: عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه، ودخلت "ثم" لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض والظلمات والنور، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه أحياهم وأماتهم، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم، و"الذين كفروا" هنا عام في كل مشرك، وقد يختص بالمجوس؛ بدليل ذكر الظلمات والنور، أو بعبدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الرد في أكثر القرآن. ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ أي: خلق أباكم آدم من طين. ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ الأجل الأول: الموت، والثاني: يوم القيامة، وجعله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه، وقيل: الأول: النوم، والثاني: الموت، ودخلت "ثم" هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع؛ لأن القضاء متقدم على الخلق. ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ يتعلق "في السموات" بمعنى اسم الله، فالمعنى كقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر، فيتعلق باسم فاعل محذوف، والمعنى على هذا قريب من الأول، وقيل: المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك، فقد جمعها مع الإيجاز، ويترجح الثاني؛ بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه؛ لقوله بعدها ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وقيل: يتعلق بمحذوف تقديره: المعبود في السموات والأرض، وهذا المحذوف صفة لله، واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدأ، وأما إذا كان المجرور الخبر، فاسم الله بدل من الضمير. ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ "من" الأولى زائدة، والثانية للتبعيض أو لبيان الجنس.

فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآية، وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حض للكفار على الاعتبار بغيرهم، والـ﴿قَرْنٍ﴾: مائة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون. ﴿مَّكَّنَّاهُمْ﴾ الضمير عائد على الـ"قرن"؛ لأنه في معنى الجماعة. ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من مؤمن وكافر. ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم﴾ "السماء" هنا المطر أو السحاب أو السماء حقيقة، و﴿مِّدْرَارًا﴾ بناء مبالغة وتكثير من قولك: در المطر؛ إذا غزر. ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ التقدير: فكفروا وعصوا فأهلكناهم، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ الآية، إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات، والمراد بقوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بعد ذلك، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي ﷺ: لا أومن بك حتى تأتيني بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أراني بعد ذلك أصدقك. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ حكاية عن طلب بعض العرب، وروي أن العاصي بن وائل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، والأسود بن عبد يغوث، قالوا للنبي ﷺ: يا محمد! لو كان معك ملك؟. ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف؛ و"قضي الأمر" على هذا تعجيل أخذهم، وقيل: المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته؛ فـ"قضي الأمر" على هذا موتهم. ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان، قالوا: هذا إنسان وليس بملك. ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية، إخبار قصد به تسلية النبي ﷺ عما كان يلقى من قومه. ﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط بهم، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار.

قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ الآية، حض على الاعتبار بغيرهم، إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم. ﴿ثُمَّ انظُرُواْ﴾ قال الزمخشري: إن قلت: أيُّ فرق بين قوله ﴿فَانْظُرُواْ﴾ وبين قوله "ثم انظروا"؟ قلت: جعل النظر سببا على السير في قوله "فانظروا"، فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله "فسيروا في الأرض ثم انظروا"، فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في الهالكين، ونبه على ذلك بـ"ثم" لتباعد ما بين الواجب والمباح. ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ﴾ القصد بالآية؛ إقامة برهان على صحة التوحيد، وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصيغة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار، فسأل أولا: "لمن ما في السموات والارض"؟ ثم أجاب عن السؤال بقوله: "قل لله"؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السموات والأرض، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي يقيم به الحجة عليه. ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: قضاها، وتفسير ذلك بقول النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض وفيه إن رحمتي سبقت غضبي**»، وفي رواية «**تغلب غضبي**» [البخاري: 7115]. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع عما قبله، وهو جواب لقسم محذوف، وقيل: هو تفسير للرحمة المذكورة تقديره: أن يجمعكم؛ وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير موضعها، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: "إلى" هنا بمعنى في وهو ضعيف، والصحيح أنها للغاية على بابها. ﴿الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ "الذين" مبتدأ وخبره "فهم لا يؤمنون"، ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج؛ وهو حسن، وقال الزمخشري: "الذين" نصب على الذم، أو رفع بخبر ابتداء مضمر، وقيل: هو بدل من الضمير في "ليجمعنكم" وهو ضعيف، وقيل: منادى؛ وهو باطل. ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله "قل لله"، ومعنى "سكن": حل؛ فهو من السكنى، وقيل: هو من السكون؛ وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء. ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامة حجة على الكفار، ورد عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها. ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابق أمته إلى الإسلام. ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذف تقديره: وقيل لي "ولا تكونن من المشركين"، أو يكون معطوفا على معنى "أمرت" فلا حذف،

قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

وتقديره: أمرت بالإسلام ونهيت عن الإشراك. ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي: من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله، وقرئ "يَصرف" بفتح الياء، وفاعله الله. ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى "يمسسك" يصبك، والـ"ضر" المرض وغيره على العموم في جميع المضرات، والخير العافية وغيرها على العموم أيضا، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعدها من الأوصاف براهين ورد على المشركين. ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سؤال يقتضي جوابا ينبني عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال عليه شيء، ولكن ليس كمثله شيء. ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون "الله" مبتدأ، و"شهيد" خبره، والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله "قل الله"، بمعنى: الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ على تقدير: هو شهيد بيني وبينكم؛ والأول أرجح لعدم الإضمار، والثاني أرجح لمطابقته للسؤال؛ فإن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال: في الجواب فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس، والمقصود بالكلام: الاستشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله ﷺ، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوة محمد ﷺ وإظهاره لمعجزاته الدالة على صدق نبوته.

﴿وَمَن بَلَغَ﴾ عطف على ضمير المفعول في "لأنذركم" والفاعل ببلغ ضمير القرآن، والمفعول محذوف يعود على "من"، تقديره: ومن بلغه، والمعنى: أوحي إلي هذا القرآن لأنذر به المخاطبين وهم أهل مكة، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا ﷺ. وقيل: المعنى ومن بلغ الحلم، وهو بعيد. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآية، تقرير للمشركين على شركهم ثم تبرأ من ذلك بقوله ﴿لَّا أَشْهَدُ﴾ ثم شهد لله بالوحدانية، وروي: أنها نزلت بسبب قوم من الكفار، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! أما تعلم مع الله إلها آخر؟. ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ تقدم في البقرة. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ وخبره "فهم لا يومنون"، وقيل: "الذين" نعت لـ"الذين ءاتيناهم الكتاب"، وهو فاسد؛

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

لأن الذين أوتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة على الكفار. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم. ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ وذلك تنصل من الكذب على الله، وإظهار لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، ويحتمل أن يريد بالافتراء على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: علاماته وبراهينه. ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعمون أنهم آلهة، فحذفه لدلالة المعنى عليه، والعامل في "يوم نحشرهم" محذوف. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ الفتنة: هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر، أي: لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه، وقيل: "فتنتهم" معذرتهم، وقيل: كلامهم، وقرئ "فتنتهم" بالنصب على خبر كان، واسمها ﴿أَن قَالُوا﴾، وقرئ بالرفع على اسم كان، وخبرها "أن قالوا". ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحود لشركهم، فإن قيل: كيف يجحدونه وقد قال الله: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؟ فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن؛ فيكتم قوم ويقر آخرون، ويكتمون في موطن ويقرون في موطن آخر؛ لأن يوم القيامة طويل، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عن هذا السؤال: إنهم جحدوا طمعا في النجاة، فختم الله على أفواههم، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثا. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائد على الكفار، وأفرد "يستمع" وهو فعل جماعة حملا على لفظ "من". ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ "أكنة" جمع كنان، وهو الغطاء، و"أن يفقهوه" في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: كراهة أن يفقهوه، ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة وهو استعارة. ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: قصصهم وأخبارهم، وهو جمع أسطار أو أسطورة، وقال السهيلي: حيث ما ورد في القرآن "أساطير الاولين" فإن قائلها هو النضر ابن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس، وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد. ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ "هم" عائد على الكفار، والضمير في "عنه" يعود على القرآن، والمعنى: هم ينهون الناس عن الإيمان به وينأون هم عنه؛ أي: يبعدون، والنائي هو البعيد، وقيل: الضمير في "عنه" يعود على

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾

النبي ﷺ، ومعنى "ينهون عنه" ينهون الناس عن إذايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يسلم، وفي قوله "ينهون"، و"ينأون" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾ جواب "لو" محذوف هنا، وفي قوله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾؛ وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع؛ أي: لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا، ومعنى "وقفوا" حبسوا، قاله ابن عطية، ويحتمل أن يريد بذلك: إذا دخلوا النار، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها، ووضع "إذ" موضع إذا؛ لتحقق وقوع الفعل حتى كأنه ماض. ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ﴾ قرئ برفع "نكذب". ﴿وَنَكُونَ﴾ على الاستئناف والقطع على التمني؛ ومثله سيبويه بقولك: دعني ولا أعود؛ أي: وأنا لا أعود، ويحتمل أن يكون حالا تقديره: نرد غير مكذبين، أو عطفا على "نرد"، وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو في جواب التمني. ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ المعنى: ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم، وقيل: هي في أهل الكتاب، أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ، وقيل: هي في المنافقين، أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر؛ وهذان القولان بعيدان؛ فإن الكلام من أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب، وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا، وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر به أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة. ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني في قولهم "ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين"، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم "يا ليتنا نرد"؛ لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب. ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ حكاية عن قولهم في إنكار البعث الأخروي. ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ تقرير لهم وتوبيخ. ﴿قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضمير في "فيها" للحياة الدنيا؛ لأن المعنى يقتضي ذلك، وإن لم يجر لها ذكر، وقيل: الساعة، أي: فرطنا في شأنها والاستعداد لها؛ والأول أظهر. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن تحمل الذنوب، وقال: "على ظهورهم"؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهور، وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، وروي في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة. ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبار

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيُحْزِنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

عن سوء ما يفعلون من الأوزار. ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع: يُحزن؛ حيث وقع بضم الياء من أحزن إلا قوله: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثي، وهو أشهر في اللغة، و"الذي يقولون": قولهم إنه ساحر، شاعر، كاهن. ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ من قرأ بالتشديد فالمعنى: لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون الحق مع علمهم به، ومن قرأ بالتخفيف، فقيل: معناه لا يجدونك كاذبا، يقال أكذبت فلانا، إذا وجدته كاذبا، كما يقال أحمدته، إذا وجدته محمودا، وقيل: هي بمعنى التشديد؛ يقال: كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد؛ وهو الأظهر؛ لقوله بعد هذا ﴿يَجْحَدُونَ﴾، ويؤيد هذا ما روي أنها نزلت في أبي جهل، فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق: والله إن محمدا لصادق، ولكني أحسده على الشرف. ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ولكنهم، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم. ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ وحض له على الصبر ووعد له بالنصر. ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لمواعيده لرسله، كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾، وفي هذا تقوية للوعد. ﴿وَلَقدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من أخبارهم، ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم؛ وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر، وفاعل "جاءك" محذوف تقديره: نبأ أو خبر، وقيل: هو المجرور. ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية، مقصودها حمل النبي ﷺ على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر؛ فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض، أو تصعد إلى السماء، فتأتيهم بآية يؤمنوا بسببها فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك فاستسلم لأمر الله، والنفق في الأرض معناه: منفذ تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض، وحذف جواب "إن" لفهم المعنى. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ حجة أهل السنة على القدرية. ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى. ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون. ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ فيه ثلاث

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

تأويلات: أحدها: أن "الموتى" عبارة عن الكفار لموت قلوبهم، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة؛ فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله في الآخرة وحينئذ يسمعون، والآخر: أن "الموتى" عبارة عن الكفار، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسماع، والثالث: أن "الموتى" على حقيقته، والبعث على حقيقته؛ فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة. ﴿وَقَالُواْ لَوْلَاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ الضمير في "قالوا" للكفار، و"لولا" عرض، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوته، فإن قيل: فقد أتى بآيات ومعجزات كثيرة فلم طلبوا آية؟ فالجواب: من وجهين؛ أحدهما: أنهم لم يعتدوا بما أتى به، فكأنه لم يأت بشيء عندهم لعنادهم وجحدهم، والآخر: أنهم طلبوا آية تضطر إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر. ﴿قُلِ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ جواب على قولهم، وقد حكي هذا القول عنهم في مواضع من القرآن، وجاوبوا عليه بأجوبة مختلفة؛ منها ما يقتضي الرد عليهم في طلبهم الآية، فإنه قد أتاهم بآيات، وتحصيل الحاصل لا ينبغي، كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ﴾، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، ومنها ما يقتضي الإعراض عنهم؛ لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله" إن الله قادر على أن ينزل ءاية"، ويحتمل أيضا أن يكون معناه: قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعول "يعلمون" وهو يحتمل وجهين؛ أحدهما: لا يعلمون أن الله قادر، والآخر: لا يعلمون أن الله إنما منع الآية التي تضطر إلى الإيمان لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب. ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، فقد يقال طائر للسعد والنحس. ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي: في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك، ومناسبة هذا لما قبله من وجهين؛ أحدهما: أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى؛ فكأنه يقول: تفكروا في آياته أي مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات، والآخر: أنه تنبيه على البعث كأنه يقول: جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر؛ لقوله بعده: "ثم إلى ربهم يحشرون". ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: ما أغفلنا، و"الكتاب" هنا اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام، وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص، أي ما فرطنا فيه من شيء في هدايتكم والبيان لكم. ﴿ثُـمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينها. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ الآية، لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم، وقوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يقوم مقام

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

الوصف بالعمى. ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ معناه: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محل له من الإعراب، وجواب الشرط محذوف، تقديره: إن أتاكم عذاب الله، أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد وإبطال للشرك. ﴿إِن شَآءَ﴾ استثناء، أي: يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد. ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ كان ذلك على وجه التخويف والتأديب. ﴿فَلَوْلَآ﴾ هنا عرض وتحضيض، وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد. ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ الآية، أي: لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد، فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها؛ فلم يشكروا فأخذهم الله. ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير. ﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: آخرهم ،وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر على إهلاك الكفار؛ لأنه نعمة على المؤمنين، وقيل: إنه على ما تقدم من ملاطفته في أخذه لهم بالشر ليزدجروا، أو بالخير ليشكروا، حتى وجب عليهم العذاب بعد الإعذار والإنذار. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ الآية، احتجاج على الكفار أيضا. ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ الضمير عائد على المأخوذ. ﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي: يعرضون. ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الآية، وعيد وتهديد والبغتة: ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهرة: ما بدت لهم مخايله، وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾ بالليل، و﴿جَهْرَةً﴾ بالنهار.

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ﴾ الآية، أي: لا أدعي شيئا ينكر ولا يستبعد، إنما أنا نبي رسول كما كان غيري من الرسل. ﴿الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثال للضال والمهتدي. ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في "به" يعود على "ما يوحى"، والإنذار عام لجميع الناس، وإنما خصص هنا بـ"الذين يخافون"؛ لأنه قد تقدم في الكلام ما يقتضي اليأس من إيمان غيرهم؛ فكأنه يقول: أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون. ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في "يحشروا"، أو استئناف إخبار. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلق بـ"أنذر". ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية، نزلت في ضعفاء المؤمنين؛ كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب، وصهيب ﷺ، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي ﷺ: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا، فلو طردتهم لاتبعناك، فنزلت الآية. ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية، قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية، وقيل: هي عبارة عن دوام الفعل، و"يدعون" هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إخبار عن إخلاصهم لله، وفيه تزكية لهم. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قيل: الضمير في "حسابهم" لـ"الذين يدعون" وقيل: للمشركين، والمعنى على هذا: لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم؛ والأول أرجح لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾، والمعنى على هذا: أن الله هو الذي يحاسبهم، فلأي شيء تطردهم؟ ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله "ما عليك". ﴿فَتَكُونَ﴾ هذا جواب النهي في قوله "، ولا تطرد" أو عطف على "فتطردهم". ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: أهؤلاء العبيد والفقراء مَنَّ الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشراف أغنياء؟ وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ رد على الكفار في قولهم المتقدم. ﴿وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نهى النبي ﷺ

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا

عن طردهم، أمر بأن يسلم عليهم إكراما لهم، وأن يؤنسهم بما بعد هذا. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: حتمها، وفي الصحيح [7115]: «إن الله كتب كتابا، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي». ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا﴾ الآية، وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل، وحكمه عام فيهم وفي غيرهم، والجهالة قد ذكرت في النساء، وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب ﷺ أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار، فلما نزلت "لا تطرد" ندم عمر ﷺ على قوله وتاب منه، فنزلت الآية، وقرئ "أنه" بالفتح على البدل من "الرحمة"، وبالكسر على الاستئناف، وكذلك: ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح خبر ابتداء مضمر تقديره: فأمره أنه غفور، وقيل: تكرار للأولى لطول الكلام. ﴿وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد، وغير ذلك، وتفصيل الآيات؛ شرحها وبيانها. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ بتاء الخطاب، ونصب الـ"سبيل" على أنه مفعول به، وقرئ بتاء التأنيث، ورفع الـ"سبيل" على أنه فاعل مؤنث بالياء، والرفع على تذكير الـ"سبيل"؛ لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث. ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم ضللت. ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي: على أمر بين من معرفة ربي، والهاء في "بينة" للمبالغة أو للتأنيث. ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ الضمير عائد على الرب أو على البينة. ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي: العذاب الذي طلبوه في قولهم: ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾، وقيل: الآيات التي اقترحوها؛ والأول أظهر. ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ من القصص، وقرئ "يقضي" بالضاد المعجمة، من القضاء؛ وهو أرجح لقوله: ﴿خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ أي: الحاكمين. ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ أي: لو كان عندي العذاب على التأويل الأول، أو الآيات المقترحة على التأويل الآخر؛ لوقع الانفصال وزال النزاع، لنزول العذاب أو لظهور الآيات. ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ استعارة، وعبارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل بالمفاتح إلى ما في الخزائن، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح، وهو المخزون.

وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

﴿وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾ تنبيه بها على غيرها؛ لأنها أشد تغييبا من كل شيء. ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ، وقيل: علم الله. ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي: إذا نمتم، وفي ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروي. ﴿مَا جَرَحْتُم﴾ أي: ما كسبتم من الأعمال. ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوقظكم من النوم، والضمير عائد على النهار؛ لأن غالب اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل. ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت. ﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ، وهم الملائكة الكاتبون. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ الملائكة الذين مع ملك الموت. ﴿ثُمَّ رُدُّواْ﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة، والضمير لجميع الخلق. ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ الآية، إقامة حجة، و﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ عبارة عن شدائدهما وأهوالهما، كما يقال لليوم الشديد مظلم. ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل: الذي من فوق إمطار الحجارة، ومن تحت الخسف، وقيل: "من فوقكم" تسليط أكابركم و"من تحت أرجلكم" تسليط سفلتكم؛ وهذا بعيد. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أي: يخلطكم فرقا مختلفين. ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو للمؤمنين؟ وروي أنه لما نزلت "أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم" قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، فلما نزلت "أو من تحت أرجلكم" قال: «**أعوذ بوجهك**»، فلما نزلت "أو يلبسكم شيعا" قال النبي ﷺ: «**هذه أهون**» [البخاري: 4352]، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة. ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائد على القرآن، أو على الوعيد المتقدم، و"قومك" هم قريش. ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظ ومتسلط، وفي ذلك متاركة نسخها القتال. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: غاية يعرف

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

عندها صدقه من كذبه. ﴿يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا﴾ في الاستهزاء بها والطعن فيها. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: قم ولا تجالسهم. ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ "إما" مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، والمعنى: إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم، فلا تقعد بعد أن تذكر النهي. ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ "الذين يتقون" هم المؤمنون، والضمير في "حسابهم" للكفار والمستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالهم، وقيل: إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكفار؛ لأنهم شق عليهم النهي عن ذلك، إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نسخت بآية النساء وهي: ﴿وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ الآية، وقيل: إنها لا تقتضي إباحة القعود. ﴿وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار، ولكن عليهم تذكير لهم ووعظ، وإعراب "ذكرى" على هذا نصب على المصدر، وتقديره: يذكرونهم ذكرى، أو رفع على المبتدأ، تقديره: عليهم ذكرى، والضمير في "لعلهم" عائد على الكفار أي: يذكرونهم رجاء أن يتقوا، أو عائد على المؤمنين أي: يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله. الوجه الثاني: أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القعود مع الكفار بسبب أن عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب "ذكرى" على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكن نهيهم ذكرى، أو مفعول من أجله، تقديره: إنما نهوا ذكرى، والضمير في "لعلهم" على هذا للمؤمنين لا غير. ﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ قيل: إنها متاركة منسوخة بالسيف، وقيل: بل هي تهديد فلا متاركة، فلا نسخ فيها. ﴿اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: اتخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبا ولهوا؛ لأنهم سخروا منه، واتخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبا ولهوا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فهم يلعبون ويلهون. ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ الضمير عائد على الدين أو على القرآن. ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قيل: معناه تحبس، وقيل: تفضح، وقيل: تهلك، وهو في موضع مفعول من أجله أي: ذكر به كراهة أن تبسل نفس. ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي: وإن تعط كل فدية. ﴿لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾.

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

﴿قُلْ أَنَدْعُو﴾ الآية، إقامة حجة وتوبيخ للكفار. ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع من الهدى إلى الضلال، وأصل الرجوع على العقب في المشي ثم استعير في المعاني، وهذه جملة معطوفة على "أندعوا"، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ. ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في "نرد"؛ أي: كيف نرجع مشبهين بمن استهوته الشياطين، أو نعت لمصدر محذوف تقديره: ردا كرد الذي، ومعنى "استهوته الشياطين" ذهبت به في مهامة الأرض وأخرجته عن الطريق، فهو استفعال من هوى يهوي في الأرض، إذا ذهب فيها، وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى مثل استزل بمعنى أزل. ﴿حَيْرَانَ﴾ أي: ضال عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول في "استهوته". ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ أي: لهذا المستهوى "أصحاب"، وهم رفقة "يدعونه إلى الهدى" أي: إلى أن يهدوه الطريق، يقولون له: "ائتنا" وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم، وهذا كله تمثيل لمن ضل في الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام، فلا يجيب، وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ حين كان أبواه ﷺ يدعوانه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة ﷺ: ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي. ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾ عطف على "لنسلم"، أو على مفعول "أمرنا". ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره "يوم يقول" وهو مقدم عليه، والعامل فيه معنى الاستقرار، كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين، وفاعل يكون مضمر، وهو فاعل كن أي: حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ظرف لقوله "وله الملك"، كقوله ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾. وقيل: في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تخليط. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ خبر ابتداء مضمر. ﴿لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فإعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعلمية والعجمة لا للوزن؛ فإن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ بالرفع على النداء، وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارح، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته له، أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اسمان. ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ

قيل: إنه فرج له السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل؛ وهذا يفتقر إلى صحة نقل، وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه. ﴿وَلِيَكُونَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ﴾ أي: ستره، يقال: جن عليه الليل وأجنه. ﴿رَءا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي﴾ يحتمل هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي: أن أمه ولدته في غار خوفا من نمرود، إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه؛ وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم؛ وهذا أرجح لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار؛ لأن ذلك يقتضي محاجة وردا على قوم، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها إلها، لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها وانتقالها هو الإله الحق وحده، فقوله: "هذا ربي"، قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل؛ لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادة المتغيرين؛ لأن التغير دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفة الإله، ثم استمر على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهان وأقام عليهم الحجة جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال: "إني بريء مما تشركون"، ثم أعلن بعبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك، فإن قيل: لم احتج بالأفول دون الطلوع وكلاهما دليل على الحدوث؛ لأنهما انتقال من حال إلى حال؟ فالجواب: أن الأفول أظهر في الدلالة؛ لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب. ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل: أتحاجونني بنونين، وقرئ بالتشديد على إدغام أحداهما في الأخرى، وبالتخفيف على حذف أحداهما، واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية؟ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ "ما" هنا بمعنى الذي، يريد به الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه

إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

أصنامهم بضر، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يقدرون على شيء. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن، أي: إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئا. ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شيء؟ وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف وهو إشراككم بالله، فأنتم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، وقيل: إن "الذين ءامنوا": استئناف، وليس من كلام إبراهيم. ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**» [البخاري 3181]. ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير لـ"نوح"، أو لـ"إبراهيم" عليهما السلام؛ والأول هو الصحيح لذكر "لوط" وليس من ذرية إبراهيم. ﴿دَاوُودَ﴾ عطف على "نوحا" أي: وهدينا داود. ﴿وَعِيسَى﴾ فيه دليل على أن أولاد البنات يقال لهم ذرية؛ لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح. ﴿وَمِنَ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضع نصب عطف على "كلا" أي: وهدينا بعض آبائهم. ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة. ﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون، وقيل: الصحابة، وقيل: كل مؤمن؛ والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ

للإيمان بها والقيام بحقوقها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين. ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ استدل به من قال: إن شرع من قبلنا شرع لنا، فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فاتفقت فيه جميع الشرائع، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف هل يقتدي النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء في "اقتده" للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل، ولكن من أثبتها فيه راعى ثبوتها في خط المصحف. ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم، إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله الكتب، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد ﷺ، وروي: أن الذي قالها منهم مالك بن الصيف، فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به، وهو إنزال التوراة على موسى، وقيل: القائلون قريش، وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرين بالتوراة. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ الخطاب لليهود، أو لقريش، على وجه إقامة الحجة والرد عليهم في قولهم: "ما أنزل الله على بشر من شيء"، فإن كان لليهود فالذي عُلموه التوراة، وإن كان لقريش فالذي عُلموه ما جاء به محمد ﷺ. ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب "من أنزل"، واسم "الله" مرفوع بفعل مضمر تقديره: أنزله الله، أو مرفوع بالابتداء. ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على صفة الكتاب. ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت "أم القرى"؛ لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها، ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق. ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوة. ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو النضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف تقديره: لرأيت أمرا عظيما. و ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين فتكون اللام للعهد، أو أعم من ذلك فتكون للجنس. ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾، وهذه عبارة عن التعنيف في

ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

السياق والشدة في قبض الأرواح. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يحتمل أن يريد بذلك الوقت بعينه، أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد. ﴿الْهُونِ﴾ الذلة. ﴿فُرَادَى﴾ منفردين عن أموالكم وأولادكم، أو عن شركائكم؛ والأول يترجح بقوله: ﴿تَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي: ما أعطيناكم من الأموال والأولاد، ويترجح الثاني بقوله: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾. ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تفرق شملكم، ومن قرأ بالرفع أسند الفعل إلى الظرف، واستعمله استعمال الأسماء، أو يكون البين بمعنى التفرقة، أو بمعنى الوصل، ومن قرأ بالنصب فالفاعل مصدر الفعل، أو محذوف تقديره: تقطع الاتصال بينكم. ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي: يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق النوى لخروج الشجر منها، وقيل: أراد الشقين الذين في النواة والحنطة؛ والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ تقدم في آل عمران. ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ معطوف على "فالق". ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ أي: الصبح فهو مصدر سمي به الصبح، ومعنى فلقه إخراجه من الظلمة، وقيل: إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالق ظلمة الإصباح. ﴿سَكَنًا﴾ أي: يسكن فيه عن الحركات ويستراح. ﴿حُسْبَانًا﴾ أي: يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار. ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ما أحسن ذكر هذين الإسمين هنا؛ لأن "العزيز" يغلب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، و"العليم" لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار، من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة. ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف الظلمات إليهما لملامستها لهما أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات. ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من كسر القاف من "مستقر" فهو اسم فاعل، "ومستودع" اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقر ومستودع، ومن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر "ومستودع" مثله، والتقدير على هذا: لكم مستقر

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ومستودع، والاستقرار في الرحم، والاستيداع في الصلب، وقيل: الاستقرار فوق الأرض، والاستيداع تحتها. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ الضمير يعود على الـ"مـاء". ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الـ"نبات". ﴿خَضِرًا﴾ أي: أخـضر غضـا، وهو ما يتولد من أصل النبات مـن الفراخ. ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضمـير عائد على الخضر. ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعنـي: السـنبل؛ لأن حبه بعضه على بعض، وكذلك الرمان وشـبهها. ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو، وهو العنقود من التمر، وهو مرفوع بالابتداء وخبره "من النخل"، ومن طلعها بدل، والطلع أول ما يخرج من التمر في أكمامـه. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة سـهلة للتناول، وقيـل: قريب بعضها من بعـض. ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب عطفا على "نبات كل شيء"، وقرئ في غير السبع بالرفع عطفا على "قنوان". ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ نصب على الحال من ﴿الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾، أو من كل ما تقدم من النبات والمشـتبه والمتشـابه بمعنى واحد، أي: من النبات ما يشبه بعضه بعضا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضا، وفي ذلك دليل قاطـع على الصانع المختار القدير العليم المريد. ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أي: انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه، ثم ينقل من حال إلى حال حتى يينع أي: ينضج ويطيب. ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ نصب "الجن" على أنه مفعول أول لـ"جعلوا"، و"شركاء" مفعول ثان، وقدم لاستعظام الإشراك، أو "شركاء" مفعول أول، و"الله" في موضع المفعول الثاني، و"الجن" بدل من "شركاء"، والمراد بهم هنا الملائكة، وذلك ردٌّ على من عبدهـم، وقيل: المـراد الجن، والإشراك بهم طاعتهـم. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الواو للحال، والمعنـى الرد عليهم؛ أي جعلـوا لله شركاء وهو خلقهم، والضمير عائد على "الجن"، أو عـلى الجاعلين، والحجة قائمة على الوجهين. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ أي: اختلقوا وزوروا، والـ"بنين" قول النصارى في المسيح، وقول اليهود في عزير، والـ"بنـات" قول العرب في الملائكة. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: قالوا ذلك بغير دليل؛ بل مجرد افتراء. ﴿بَدِيعُ﴾ ذكر معنـاه في البقـرة، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخـبره ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ أو فاعل تعالى، والقصد به الرد على من نسـب لله البنين والبنات وذلك من وجهين؛ أحدهما: أن الولد لا يكون إلا من جنس والده،

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

والله تعالى متعال عن الأجناس؛ لأنه مبدعها فلا يصح أن يكون له ولد، والآخر: أن الله خلق السموات والأرض، ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شيء. ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة أي: من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده. ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا، وأما في الآخرة فالحق أن المؤمنين يرون ربهم، بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، وقالت الأشعرية: إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلا؛ لأن موسى سألها من الله، ولا يسأل موسى ما هو محال، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا؟. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الرؤية وبين الإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته؛ فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم ،ولا يقتضي ذلك نفي الرؤية وحسن على هذا قوله: "وهو يدرك الأبصار" لإحاطة علمه تعالى بالخفيات. ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: لطيف عن أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شيء فهو يدرك الأبصار. ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة، وهو نور القلب، والبصر نور العين، وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ، لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾. ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليقولوا صرفنا الآيات. ﴿دَرَسْتَ﴾ بإسكان السين وفتح التاء أي: درست العلم وقرأته، و"دارست" بالألف أي: دارست العلماء وتعلمت منهم، و"درست" بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودثرت. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الضمير لـ"الآيات"، وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه: أعرض عما يدعونك إليه أو عن مجادلتهم، فهو محكم، وإن كان أعرض عن قتالهم وعقابهم، فهو منسوخ، وكذلك: ما أنا عليكم بحفيظ وبوكيل. ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله،

وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع. ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: هي بيد الله لا بيدي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يدريكم، وهو من الشعور بالشيء، و"ما" نافية أو استفهامية. ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ من قرأ بفتح "أنها" فهو معمول "يشعركم" أي: ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه، وقيل: "لا" زائدة، والمعنى: ما يشعركم أنهم يؤمنون، وقيل: "أن" هنا بمعنى لعل، فمن قرأ بالكسر فهي استئناف إخبار، وتم الكلام في قوله "وما يشعركم" أي: ما يشعركم ما يكون منهم، فعلى القراءة بالكسر يوقف على "ما يشعركم"، وأما على القراءة بالفتح؛ فإن كانت "أن" مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها، وإن كانت بمعنى لعل؛ فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير لما في لعل من معنى التعليل. ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ أي: نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفقهون. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ الكاف للتعليل، أي: نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ويحتمل أن تكون للتشبيه، أي: نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثلما إذا طبعنا عليها أول مرة. ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ﴾ الآية، رد عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها، أي: لو أعطيناهم هذه الآية التي اقترحوها، وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله. ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة، فنصبه على الحال، وقرئ بضمتين، ومعناه: مواجهة، كقوله ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾، وقيل: جمع قبيل بمعنى كفيل، أي: كفلا بتصديق رسول الله ﷺ. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره. ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: المتمردين من الصنفين، ونصب "شياطين" على البدل من "عدوا" إذ هو بمعنى الجمع، أو مفعول أول و"عدوا" مفعول ثان. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: يوسوس ويلقي الشر. ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ ما يزينه من القول. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائد على وحيهم، أو على عداوة الكفار. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ "ما" في موضع نصب على أنها مفعول معه، أو عطف على الضمير. ﴿وَلِتَصْغَى﴾ أي: تميل، وهو متعلق بمحذوف، واللام لام الصيرورة. ﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوحيهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ يكتسبوا.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ معمول لقول محذوف، أي: قل لهم. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: صحت، وال"كلمات" ما نزل على عباده من كتبه. ﴿صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ أي: صدقا فيما أخبر، وعدلا فيما حكم. ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة، وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرح به في قوله: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية على ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك، وقال عطاء: هذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ﴾ المعنى: أيُّ غرض لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه، وقد تبين لكم الحلال من الحرام. ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناء مما حرم. ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظ يعم أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر، وقيل: الظاهر الأعمال والباطن الاعتقاد. ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر "لا تاكلوا". ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ سببها؛ أن قوما من الكفار قالوا: إنا نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله؛ يعنون الميتة. ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الموت هنا عبارة عن الكفر، والإحياء عبارة عن الإيمان، والنور نور الإيمان، والظلمات الكفر؛ فهي استعارات، وفي قوله "ميتا فأحييناه" مطابقة، وهي من أدوات البيان، ونزلت الآية في عمار بن ياسر ﷺ،

كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ

وقيل: في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي في الظلمات أبو جهل، ولفظها أعم من ذلك. ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ "مثل" هنا بمعنى صفة، وقيل: هو زائد، والمعنى كمن هو. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ﴾ أي كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر؛ لأن غيرهم تبع لهم، والمقصود تسلية النبي ﷺ. "مجرميها" إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره، وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول بـ"جعلنا"، و"أكابر" مفعول ثان مقدم، وهذا جيد في المعنى، ضعيف في العربية؛ لأن "أكابر" جمع أكبر، وهو من أفعل، فلا يستعمل إلا بمن أو بالإضافة. ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ الآية، قائل هذه المقالة أبو جهل، وقيل: الوليد بن المغيرة؛ لأنه قال: أنا أولى بالنبوة من محمد. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ رد عليهم فيما طلبوه، والمعنى أن الله علم أن محمدا ﷺ أهل للرسالة فخصه بها، وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها، وفي الآية من أدوات البيان الترديد، لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم رده في أول كلامه. ﴿صَغَارٌ﴾ أي: ذلة. ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ شرح الصدر وضيقه وحرجه ألفاظ مستعارة، ومن قرأ ﴿حَرِجًا﴾ بفتح الراء فهو مصدر وصف به. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: كأنما يحاول الصعود إلى السماء، وذلك غير ممكن، فكذلك يصعب عليه الإيمان، وأصل "يصعد" المشدد يتصعد، وقرئ بالتخفيف. ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ الجنة والسلام هنا يحتمل؛ أن يكون اسم الله فأضافها إليه؛ لأنها ملكه وخلقه، أو بمعنى السلامة والتحية. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في "يوم" محذوف تقديره: اذكروا، أو تقديره: قلنا، ويكون على هذا عاملا في "يوم"، وفي ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ﴾ أي: أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم، كما تقول استكثر الأمير من الجيش. ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتاع الجن

وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ

بالإنس طاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن كقوله ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي، يعني كبير الجن. ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في ﴿مَثْوَاكُمْ﴾، فـ"ما" بمعنى من؛ لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: من آمن منهم، وقيل: الاستثناء من مدة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار، وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزمهرير، وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه. ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نجعل بعضهم وليا لبعض، وقيل: نُتْبع بعضهم بعضا في دخولهم النار، وقيل: نسلط بعضهم على بعض. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ تقرير للجن والإنس، فقيل: إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية، وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة، وإنما قال: "رسل منكم"؛ لأنه جمع الثقلين في الخطاب. ﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لما تقدم هنالك، فإن قيل: لم كرر شهادتهم على أنفسهم؟ فالجواب: أن قولهم "شهدنا على أنفسنا" قول قالوه هم، وقوله "شهدوا على أنفسهم" ذم لهم وتقبيح لحالهم.

﴿ذَلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره: الأمر ذلك، أو مفعول بفعل مضمر تقديره: فعلنا ذلك، والإشارة إلى بعث الرسل. ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ تعليل لبعث الرسل، وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدل من "ذلك".

﴿بِظُلْمٍ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم، فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذرهم، فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾، والآخر: أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا ظلموا دون أن ينذرهم، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى، وغفلتهم عدم إنذارهم؛ حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري؛ والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة، ولا يصح على مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالما عندهم. ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾ أي: منازل في الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب.

كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ

﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ﴾ أي: من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم. ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة التمكن. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد. ﴿مَن تَكُونُ لَهُ﴾ يحتمل أن تكون "من" موصولة في موضع نصب على المفعولية، أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء. ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي الآخرة أو الدنيا؛ والأول أرجح لقوله: ﴿عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾. ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الضمير في "جعلوا" لكفار العرب، قال السهيلي: هم حي من خولان يقال لهم: الأديم؛ كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم، ومعنى "ذرأ" خلق وأنشأ، ففي ذلك رد عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالكها لا رب غيره. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم في الكذب، وقرئ بفتح الزاي وضمها، وهما لغتان. ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ﴾ الآية، كانوا إذا هبت الريح فحملت شيئا من الذي لله إلى الذي للأصنام أقروه، وإن حملت شيئا من الذي للأصنام إلى الذي لله ردوه، وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم. ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم تقربا إلى الأصنام، و"شركاؤهم" هنا هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام، وقرأ الجمهور بفتح الزاي من زَيَّنَ على البناء للفاعل، ونصب "قتل" على أنه مفعول، وخفض "أولادهم" بالإضافة، ورفع "شركاؤهم" على أنه فاعل بـ"زين"، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل، وقرأ ابن عامر بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع "قتل" على أنه مفعول لم يسم فاعله، ونصب "أولادهم" على أنه مفعول بـ"قتل"، وخفض "شركائهم" على الإضافة إلى "قتل" إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله "أولادهم"؛ وذلك ضعيف في العربية، وقد سمع في الشعر، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون للأولاد. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم، وهو من الردى بمعنى الهلاك.

لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حرام، وهو فعل بمعنى مفعول نحو ذبح، فيستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ أي: لا يأكلها إلا من شاؤوا، وهم القائمون على الأصنام أو الرجال دون النساء. ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي: لا تركب وهي السائبة وأخواتها. ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه لا يحج عليها، فلا يذكر اسم الله بالتلبية، وقيل: لا يذكر عليها إذا ذبحت. ﴿افْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قسموا أنعامهم هذه الأقسام، ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذبا، ونصب على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكد. ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية، كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حيا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منه النساء، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الرجال والنساء، وأنث "خالصة" للحمل على المعنى وهي الأجنة، وذكّر ﴿مُحَرَّمٌ﴾ حملا على لفظ "ما"، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة. ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: البحيرة والسائبة وشبهها. ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ متروكات على وجه الأرض، وقيل: الـ"معروشات" ما غرسه الناس في العمران، "وغير معروشات" ما أنبته الله في الجبال والبراري. ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم؛ وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد. ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قيل: "حقه" هو الزكاة؛ وهو ضعيف لوجهين، أحدهما: أن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، والآخر: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى بعد ضم الحبوب والثمار، وقيل: "حقه" ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعُشر، وقيل: هو ما يسقط من السنبل؛ والأمر هنا على الندب. ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ عطف على "جنات"، والـ"حمولة" الكبار،

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ

والـ"فرش" الصغار كالعجاجيل والفصلان، وقيل: الـ"حمولة" الإبل؛ لأنها يحمل عليها، والـ"فرش" الغنم؛ لأنها تفرش للذبح، ويفرش ما ينسج من صوفها. ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من "حمولة وفرشا" وسماها أزواجا؛ لأن الذكر زوج للأنثى والأنثى زوج للذكر. ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يريد الذكر والأنثى وكذلك فيما بعده. ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ﴾ يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بـ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ الأنثى من الضأن، والأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر، والهمزة للإنكار. ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ تعجيز وتوبيخ. ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني في تحريمهم ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها. ﴿قُل لَّا أَجِدُ﴾ الآية، تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر، وقد جاء في السنة تحريم أشياء لم تذكر هنا كلحوم الحمر، فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضي الحصر، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهي عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوف على المنصوبات قبله، وهو "ما أهل لغير الله" سماه "فسقا" لتوغله في الفسق، وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات في البقرة. ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع وله ظفر، وقال الماوردي مثله، وحكى النقاش عن ثعلب: أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مخلب وهذا غير مطرد؛ لأن الأسد ذو ظفر. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني ما في الظهور والجنوب من الشحم. ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي المباعر، وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى في البطن، وواحد حوايا حوية، على وزن فعيلة، فوزن "حوايا"

أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

على هذا فعائل كصحيفة وصحائف، وقيل: واحدها حاوية على وزن فاعلة، فـ"حوايا" على هذا فواعل كضاربة وضوارب، وهو معطوف على "ما" في قوله "إلا ما حملت ظهورهما" فهو من المستثنى من التحريم، وقيل: عطف على الظهور، فالمعنى إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا، وقيل: عطف على الشحوم فهو من المحرم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد في جميع الجسد. ﴿وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: فيما أخبرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريض بكذب من حرم ما لم يحرم الله. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم، فقل لهم "ربكم ذو رحمة واسعة" إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلم الله! تريد لإمهاله عن مثل ذلك، ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغتروا بسعة رحمته، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم؛ إما في الدنيا أو في الآخرة. ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية، معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، واحتجوا على صحته بإرادة الله له، وتلك نزغة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ولا يحرموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف، ويحتمل عندي أن يكون قولهم "لو شاء الله" قولا يقولونه في الآخرة على وجه التمني أن ذلك لم يكن، كقولك إذا ندمت على شيء: لو شاء الله ما كان هذا، أي يتمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيد هذا أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال وهي السين، فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل وهي الآخرة. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ توقيف لهم وتعجيز. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل. ﴿هَلُمَّ﴾ قيل: هي بمعنى هات فهي متعدية، وقيل: بمعنى أقبل فهي غير متعدية، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث، وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب به الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء، ومقصود الآية: تعجيزهم عن إقامة الشهداء. ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.

قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم، وذكر في هذه الآية المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى. ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قيل: "أن" هنا حرف عبارة وتفسير، فلا موضع لها من الإعراب، و"لا" ناهية جزمت الفعل، وقيل: "أن" مصدرية في موضع رفع تقديره؛ الأمر ألا تشركوا، فـ"لا" على هذا نافية، وقيل: "أن" في موضع نصب بدلا من قوله "ما حرم"، ولا يصح ذلك إلا إن كانت "لا" زائدة، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك؛ والأحسن عندي أن تكون "أن" مصدرية في موضع نصب على البدل، و"لا" نافية، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى؛ لأن قوله "ما حرم ربكم" معناه: ما وصاكم به ربكم، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ فضمن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص، فإذا تقرر هذا فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان، فقال "أن لا تشركوا به شيئا" أي: وصاكم ألا تشركوا به شيئا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجمعت الوصية ترك الإشراك، وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك، ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا؛ أن الآيات اشتملت على أوامر كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء في الوزن، وعلى نواهي كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أجملت فيه، ثم فسرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية؛ لأنه جامع للأمر والنهي، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك، وإن لم يتأول على ما ذكرناه لزم في الآية إشكال؛ وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طلب فعلها والنواهي طلب تركها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك، وتحتمل الآية عندي تأويلا آخر؛ وهو أن يكون لفظ التحريم عاما، ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجب حرام. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ الـ"املاق" الفاقة، و"من" هنا للتعليل، تقديرها من أجل إملاق؛ وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم لغير ذلك الوجه. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قيل: "ما ظهر" الزنا، و"ما بطن" اتخاذ الأخدان؛ والصحيح أن ذلك عام في جميع

وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

الفواحش. ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ فسره قول رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاثة أمور: زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس بغير نفس» [البخاري: 6484] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ النهي عن القرب يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى، و"التي هي أحسن" منفعة اليتيم وتثمير ماله. ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السن وحده، وإنما المقصود معرفته بمصالحه. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عما سواه. ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الوصايا أو إلى جميع الشريعة، و"أن" بفتح الهمزة والتشديد عطف على ما تقدم أو مفعول من أجله أي: فاتبعوه؛ لأن هذا "صراطي مستقيما"، وقرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح والتخفيف على العطف، وهي على هذا مخففة من الثقيلة. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة، وفي الحديث أن النبي ﷺ خط خطا ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» [ابن حبان: 6]. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: تفرقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة؛ ولذلك شدده البزي. ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا﴾ معطوف على "وصاكم به"، فإن قيل: فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها بـ"ثم"؟ فالجواب: أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها فصح الترتيب، وقيل: إنها هنا لترتيب الأخبار والقول لا لترتيب الأزمان. ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ فيه ثلاث تأويلات؛ أحدها: أن المعنى تماما للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى، ففاعل "أحسن"

أن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

ضمير يعود على "الذي"، و"الذي أحسن" يراد به جنس المحسنين، والآخر: أن المعنى "تماما" أي: تفضلا وجزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير "موسى" عليه السلام، و"الذي" صفة لعمل موسى، والثالث: "تماما" أي: إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى. ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقولوا. ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ أهل التوراة والإنجيل. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ أي: لم ندرس مثل دراستهم، ولم نعرف ما درسوا من الكتب، فلا حجة علينا، "وإن" هنا مخففة من الثقيلة. ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ إقامة حجة عليهم. ﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآية، تقدمت نظيرتها في البقرة. ﴿بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاص، فقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ يعني: أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذ. ﴿قُلِ انتَظِرُوٓاْ﴾ وعيد. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى، وقيل: أهل الأهواء والبدع، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»** قيل: يارسول الله! ومن تلك الواحدة؟ قال: **«من كان على ما أنا وأصحابي عليه»** [الترمذي: 2614]. وقرئ "فارقوا" أي تركوا. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ جمع شيعة أي: مفترقين، كل فرقة تتشيع لمذهبها. ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم. ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضل عظيم على العموم في الحسنات،

دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

وفي العاملين، وهو أقل التضعيف للحسنات، فقد تنتهي إلى سبعمائة وأزيد. ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ بدل من موضع "إلى صراط مستقيم"؛ لأن أصله هداني صراطا مستقيما بدليل: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ﴾، والقيم فيعل من القيام، وهو أبلغ من قائم، وقرئ "قِيَما" بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها، وهو على هذا مصدر وصف به. ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل من "دينا" أو عطف بيان. ﴿وَنُسُكِي﴾ أي: عبادتي، وقيل: ذبحي للبهائم، وقيل: حجي، والأول أعم وأرجح. ﴿وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي﴾ أي: أعمالي في حين حياتي وعند موتي. ﴿لِلَّهِ﴾ أي: خالصة لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ أي: لا أريد بأعمالي غير الله، فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء، ويحتمل أن يريد: لا أعبد غير الله، فيكون نفيا للشرك الأكبر. ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ الإشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك. ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنه ﷺ سابق أمته. ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ تقرير وتوبيخ للكفار، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم. ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله. ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ رد على الكفار؛ لأنهم قالوا له: اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك، فنزلت هذه الآية، أي: ليس كما قلتم، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة. ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا يحمل أحد ذنوب أحد، وأصل الوزر الثقل ثم استعمل في الذنوب. ﴿خَلاَئِفَ﴾ جمع خليفة أي: يخلف بعضكم بعضا في السكنى في الأرض، أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد ﷺ لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَاكُمْ﴾ ليختبر شكركم على ما أعطاكم وأعمالكم فيما مكنكم فيه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى إما في الدنيا بمن عجل أخذه، أو في الآخرة؛ لأن كل آت قريب، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ انزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴿٢﴾ اَتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَّكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا اَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي الْارْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

سورة الأعراف

﴿المص﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة. ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك، وقيل: الـ"حرج" هنا الشك، فتأويله كقوله ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بـ"انزل". ﴿وَذِكْرَى﴾ منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره: لتنذر وتذكر ذكرى؛ لأن الذكر بمعنى التذكير، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مخفوض عطفا على موضع "لتنذر" أي: للإنذار والذكرى. ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَّكَّرُونَ﴾ انتصب "قليلا" بـ"تذكرون" أي: تذكرون تذكرا قليلا، و"ما" زائدة للتأكيد. ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ قيل: إنه من المقلوب، تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها، وقيل: معناه أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا؛ لأن مجيء البأس قبل الإهلاك، فلا يصح عطفه عليه بالفاء، ويحتمل أن يكون "فجاءها بأسنا" استئنافا على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف، والمراد: أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف بدليل "او هم قائلون". ﴿بَيَاتًا اَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ "بياتا" مصدر في موضع الحال، بمعنى بائتين؛ أي: بالليل، و"قائلون" من القائلة؛ أي: بالنهار، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل وبعضهم بالنهار، و"أو" هنا للتنويع. ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ أي: ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون، وقيل: المعنى أن "دعواهم" هنا ما كانوا يدعونه من دينهم، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك. ﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور، ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أجيبوا به. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي: على الرسل والأمم. ﴿وَالْوَزْنُ﴾ يعني: وزن الأعمال. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يسأل الرسل وأممهم؛ وهو يوم القيامة. ﴿بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي: يكذبون بها ظلما.

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قيل: المعنى أردنا خلقكم وتصويركم. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ وقيل: خلقنا أباكم آدم ثم صورناه، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف. ﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ "لا" زائدة للتأكيد. ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور؛ ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة للسجود. ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس، إذ ليس كفره كفر جحود. ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من السماء. ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الفاء للتعليل، وهي تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوين بني آدم، و"ما" مصدرية، وقيل: استفهامية، ويبطله ثبوت الألف فيها مع حرف الجر. ﴿صِرَاطَكَ﴾ يريد طريق الهدى والخير، وهو منصوب على الظرفية. ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية، أي من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه، وقال ابن عباس ﵄: "من بين أيديهم" الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآخرة، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ الحسنات. ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ السيئات. ﴿مَذْءُومًا﴾ من ذأمه بالهمزة إذا ذمه. ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي: مطرودا حيث وقع. ﴿فَوَسْوَسَ﴾ إذا تكلم كلاما خفيا يكرره، فمعنى "وسوس لهما" ألقى لهما هذا الكلام. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ أي: ليظهر ما ستر من عوراتهما، واللام في قوله "ليبدي" للتعليل إن كان في انكشافهما غرض لإبليس، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه إليه. ﴿الشَّجَرَةِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: كراهة أن تكونا ملكين،

وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

واستدل به من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقرئ "مِلكين" بكسر اللام، ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾. ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: حلف لهما إنه ﴿لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين؛ لأنه اجتهد فيه، أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته. ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ أي: أنزلهما إلى الأكل من الشجرة. ﴿بِغُرُورٍ﴾ أي: غرهما بحلفه لهما؛ لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا. ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ أي: زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما، وكان لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر، وقيل: كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر. ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي: يصلان بعضه ببعض ليستترا به. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك أو بغير واسطة. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية، اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة؛ وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها. ﴿اهْبِطُواْ﴾ وما بعده مذكور في البقرة. ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: في الأرض. ﴿لِبَاسًا﴾ أي: الثياب التي تستر، ومعنى أنزلنا خلقنا، وقيل: المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة. ﴿وَرِيشًا﴾ أي: لباس الزينة، وهو مستعار من ريش الطير. ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ استعار للتقوى لباسا، كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه، وقيل: لباس التقوى ما يُتقى به في الحرب من الدروع وشبهها، وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الجملة وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. ﴿ذَٰلِكَ مِنَ ـايَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس، وهذه الآية واردة على وجه الاستطراد عقيب ما ذكر من ظهور السوآت، وخصف الورق عليهما؛ ليبين إنعامه على ما خلق من اللباس. ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: كان سببا في نزع لباسهما عنهما. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني في غالب الأمر،

وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا

وقد استدل به من قال: إن الجن لا يُرون، وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتُحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث. ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ قيل: هي ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش. ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين؛ أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله. ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ قيل: المراد إحضار النية والإخلاص لله، وقيل: فعل الصلاة والتوجه فيها. ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: في كل مكان سجود، أو كل وقت سجود؛ والأول أظهر، والمعنى: إباحة الصلاة في كل موضع كقوله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدا» [البخاري: 328] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأخروي بالبدأة الأولى. ﴿فَرِيقًا﴾ الأول: منصوب بـ﴿هَدَى﴾ والثاني: منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده. ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل: المراد به الزينة زيادة على الستر؛ كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب، وبالسواك، والطيب. ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ الأمر فيهما للإباحة؛ لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل. ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ أي: لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكار لتحريمها، وهي ما شرعه الله لعباده من اللباس والمأكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يحرمون الثياب، ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردا عليهم. ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: الزينة والطيبات في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمر. ﴿وَالإِثْمَ﴾ عام في

وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ
سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي
فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا
يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ
أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ
كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨
وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ
تَكۡسِبُونَ ٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا
يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠

كل ذنب. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: تفتروا عليه في التحريم وغيره. ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي "إن" الشرطية دخلت عليها "ما" الزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة وجواب الشرط. ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ الآية. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: غابوا عنا. ﴿ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ﴾ أي: ادخلوا النار في جملة أمم؛ أي: مع أمم. ﴿ادَّارَكُواْ﴾ أي: تلاحقوا واجتمعوا. ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ﴾ المراد بـ"أولاهم" الرؤساء والقادة، و"أخراهم" الأتباع والسفلة، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم؛ إنما هو كقولك: قال فلان لفلان كذا أي: قاله عنه وإن لم يخاطبه به. ﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: لم يكن لكم علينا فضل في الإيمان والتقوى، يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم؛ بل نحن وأنتم متساوون. ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ من قول أولاهم لأخراهم، أو من قول الله تعالى لجميعهم. ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء، والثاني: لا يدخلون الجنة فإن الجنة في السماء، والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين. ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ

أي: حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا، فلا يدخلونها أبدا. ﴿مِهَادٌ﴾ فراش. ﴿غَوَاشٍ﴾ أغطية. ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَآ﴾ جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر؛ ليبين أنه إنما يطلب من الأعمال الصالحة ما في الوسع والطاقة. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي: من كان في صدره غل لأخيه في الدنيا نزع منه في الجنة، وصاروا إخوانا أحبابا، وإنما قال: "نزعنا" بلفظ الماضي وهو مستقبل؛ لتحقق وقوعه في المستقبل، حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ، وهي تقع في الآخرة كقوله ﴿نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، و﴿نَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾، و﴿نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وغير ذلك. ﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾ إشارة إلى الجنة، أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى. ﴿أَن تِلْكُمُ﴾ و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾، و﴿أَن لَّعْنَةُ﴾، و﴿أَن سَلاَمٌ﴾ يحتمل أن تكون "أن" في كل واحد منها مخففة من الثقيلة فيكون فيها ضميرا، أو حرف عبارة وتفسير لمعنى القول. ﴿ما وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول "وعدنا"، أو لإطلاق الوعد، فيتناول الثواب والعقاب. ﴿فَأَذَّنَ مُؤذِّنٌ﴾ أي: أعلم معلم وهو ملك. ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الجنة والنار، أو بين أصحابها؛ وهو أرجح لقوله ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾. ﴿الأَعْرَافِ﴾ قال ابن عباس ﷺ: هو تل بين الجنة والنار، ومجاهد: حجاب بين الجنة والنار، وقيل: سور الجنة. ﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب الأعراف، وورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يدخلوا الجنة ولا النار، وقيل: هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم فاستشهدوا، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم، ونجوا من النار للشهادة. ﴿يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم، وغير ذلك من العلامات.

وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلم أصحاب الأعراف على أهل الجنة. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد. ﴿صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف، إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ يعني: من الكفار الذين في النار، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿جَمْعُكُمْ﴾ يحتمل أن يريد جمعكم للمال، أو كثرتكم. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: استكباركم على الناس، أو استكباركم على الرجوع إلى الحق، فـ"ما" هاهنا مصدرية، و"ما" في قوله ﴿مَآ أَغْنَى﴾ استفهامية أو نافية. ﴿أَهَؤُلآءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار، والإشارة بـ"هؤلاء" إلى أهل الجنة، وذلك أن الكفار كانوا يقسمون في الدنيا أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم، فظهر خلاف ما قالوا، وقيل: هي من كلام الملائكة خطابا لأهل النار، والإشارة بـ"هؤلاء" إلى أصحاب الأعراف. ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ﴾ خطابا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف، تقديره: قد قيل لهم: ادخلوا الجنة، وخطابا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة. ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ﴾ دليل على أن الجنة فوق النار. ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ من سائر الأطعمة والأشربة. ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ أي: نتركهم. ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ الكاف للتعليل. ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ عطف على "كما نسوا" أي: لنسيانهم وجحودهم. ﴿جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن. ﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: علمنا كيف نفصله. ﴿إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: هل ينظرون إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من ظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: قد تبين وظهر الآن أن

قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ

الرسل جاؤوا بالحق. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع؛ حمله قوم على ظاهره منهم: ابن أبي زيد وغيره، وتأوله قوم بمعنى قصد، كقوله "ثم استوى إلى السماء"، ولو كان كذلك لقال استوى إلى العرش، وتأوله الأشعرية أن معنى "استوى" استولى بالملك والقدرة، والحق الإيمان به من غير تكييف، فإن السلامة في التسليم، ولله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة، وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء؛ بل أمسكوا عنه؛ ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يلحق الليل بالنهار، ويلحق النهار بالليل، يحتمل الوجهين هكذا قال الزمخشري، وأصل اللفظة من الغشاء، أي: يجعل أحدهما غشاء للآخر يغطيه، فيغطي ظلمةَ الليل نورُ النهار. ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي: سريعا، والجملة في موضع الحال من الليل أي: يطلب الليل النهار فيدركه. ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ قيل: "الخلق" المخلوقات، و"الأمر" مصدر أمر يأمر، وقيل: "الخلق" مصدر خلق، و"الأمر" واحد الأمور كقوله ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾، والكل صحيح. ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل غير متصرف لم تنطق له العرب بمضارع. ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدر في موضع الحال، وكذلك ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، و"خُفية" من الإخفاء، وقرئ "خِيفة" من الخوف. ﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحد، وقيل: هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط فيه. ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا، كما قال تعالى ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه، قال تعالى ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾ ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عذابه خافه؛ ولذلك جاء في الأثر: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا. إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف؛ ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»** [مسلم: 2878]. واعلم أن الخوف على ثلاث درجات؛ الأولى: أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر

إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

في الظاهر ولا في الباطن فوجود هذا كالعدم، الثانية: أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة، الثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها، والناس في الخوف على ثلاث مقامات؛ فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها، والرجاء على ثلاث درجات؛ الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته وترك معصيته، فهذا هو الرجاء المحمود، والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان، فهذا غرور، والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن؛ فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات؛ فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من "قريب"، وهو خبر عن الـ"رحمت" على تأويل الـ"رحمت" بالرحم أو الترحم أو العفو، أو لأن تأنيث الـ"رحمت" غير حقيقي، أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيء قريب، أو على تقدير النسب، أي: ذات قرب، وقيل: "قريب" هنا ليس خبرا عن الـ"رحمت"، وإنما هو ظرف لها. ﴿الرِّيَاحَ نُشُراً﴾ قرئ "الرياح" بالجمع؛ لأنها رياح المطر، وقد اضطرد في القرآن جمعها إذا كانت للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب، ومنه ورد في الحديث: «**اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا**» [الطبراني: 11533] وقرئ بالإفراد والمراد الجنس، وقرئ "نشرا" بفتح النون وإسكان الشين؛ وهو على هذا مصدر في موضع الحال، وقرئ بضمها وهو جمع ناشر، وقيل جمع منشور، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من الضم كرُسُل ورُسْل، وقرئ بالباء في موضع النون من البشارة. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قبل المطر. ﴿أَقَلَّتْ﴾ حملت. ﴿سَحَابًا ثِقَالاً﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به. ﴿سُقْنَاهُ﴾ الضمير للـ"سحاب". ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني لا نبات فيه من شدة القحط، وكذلك معناه حيث وقع. ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الضمير للـ"سحاب"، أو لـ"لبلد" على أن تكون الباء ظرفية. ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ تمثيل لإخراج الموتى من القبور، وبإخراج الزرع من الأرض، وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، و﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾. ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هو الكريم الأرض الجيد التراب. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها. و﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ عبارة عن السهولة والطيب، والنكد بخلاف ذلك، ويحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ، فتكون متممة للمعنى الذي قبلها في المطر، وأن تكون تمثيلا للقلوب، فقيل:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً

على هذا "الطيب" قلب المؤمن، والخبيث قلب الكافر، وقيل: هما الفهيم والبليد. ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ قرأ الكسائي بالخفض حيث وقع على اللفظ، وقرأه غيره بالرفع على الموضع. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة أو يوم إهلاكهم. ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أشراف الناس. ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ إنما قال "ضلالة" ولم يقل ضلال كقولهم؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ فتقول: ما عندي تمرة، فتعم بالنفي. ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو في موضع رفع صفة لـ"رسول" أو استئناف. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من صفاته ورحمته وعذابه. ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف كأنه قال: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: على لسان رجل. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يتعلق بـ"معه"، والتقدير: استقروا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلق بـ"أنجيناه". ﴿عَمِينَ﴾ جمع عَمٍ، وهو من عمى القلب. ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: واحد من قبيلتهم، وهو معطوف على "نوحا"، و"هودا" بدل منه، أو عطف بيان، وكذلك ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ وما بعده وما هو مثله حيث وقع. ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيد هنا بالكفر؛ لأن في الملأ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعد بخلاف قوم نوح، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ "الملأ". ﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد أمانته على الوحي، أو أنهم كانوا قد عرفوه بالأمانة والصدق. ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا. ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ كانوا عظام

فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ

الأجسام، فكان أقصرهم ستون ذراعا وأطولهم مائة ذراع. ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه حيث وقع. ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته؛ ولذلك قال لهم هود ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي: حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ يعني الأصنام، أي: أتجادلونني في عبادة مسميات أسماء؟ ففي الكلام حذف، وأراد بقوله ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ جعلتم لها أسماء؛ فدل ذلك على أنها محدثة، فلا يصح أن تكون آلهة، أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل، فالجدال على القول الأول في عبادتها، وعلى الثاني في تسميتها آلهة، والمراد بالأسماء على القول الأول المسمى، وعلى الثاني التسمية. ﴿دَابِرَ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آية ظاهرة؛ وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشريفا لها، ولأنه خلقها من غير فحل، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نتجت ولدا فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون. ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: معجزة تدل على صحة نبوة صالح، والمجرور في موضع الحال من "آية"؛ لأنه لو تأخر لكان صفة. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي: لا تضربوها ولا تطردوها. ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كانت أرضهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه ﭫ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون؛ مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم**» [البخاري: 423]. ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون قصورا في الأرض البسيطة. ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي: تتخذون

لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ
عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ
ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

بيوتا في الجبال، وكانوا يسكنون القصور في الصيف والجبال في الشتاء، وانتصب "بيوتا" على الحال وهو كقولك: خطت هذا الثوب قميصا. ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من "الذين استضعفوا". ﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ إنما لم يقولوا: إنا بما أرسل به كما قال الآخرون؛ لئلا يكون اعترافا برسالته. ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾ نُسب العقر إلى جميعهم؛ لأنهم رضوا به وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر. ﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصيحة حيث وقعت، وذلك أن الله أمر جبريل عليه السلام فصاح صيحة بين السماء والأرض فماتوا منها. ﴿جَاثِمِينَ﴾ حيث وقع أي: قاعدين لا يتحركون. ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الآية، يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم؛ لأنه روي أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا؛ وهو ظاهر الآية، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم، وقوله ﴿لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ حكاية حال ماضية. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ العامل في "إذ" أرسلنا المضمر أو يكون بدلا من "لوط". ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾ أي: لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم، و"من" الأولى زائدة والثانية للتبعيض أو للجنس. ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ الآية، أي أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله. ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتنزهون عن الفاحشة. ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: من الهالكين، وقيل: من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا، وقيل: من الباقين من أترابها، يقال: غبر بمعنى مضى وبمعنى بقي، وإنما قال "الغابرين" بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم، وقلبت

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ

البلاد بمن كان فيها. ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آية ظاهرة ولم تُعين في القرآن آية شعيب. ﴿فَأَوْفُوا۟ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا ينقصون في الكيل والوزن، فبعث شعيب لينهاهم عن ذلك، و"الكيل" هنا بمعنى المكيال الذي يكال به مناسبة للميزان كما جاء في هود ﴿الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، ويجوز أن يكون "الكيل و"الميزان" مصدرين. ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قيل: هي نهي عن السلب وقطع الطريق وكان ذلك من فعلهم، وقيل: كانوا يقعدون على الطريق، يردون الناس عن اتباع شعيب، ويوعدونهم إن اتبعوه. ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ أي: تمنعون الناس عن سبيل الله، وهو الإيمان، والضمير في ﴿بِهِ﴾ لـ"صراط" أو "لله". ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ذكر في آل عمران. ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم أو عودكم إلى ملة الكفر، فإن قيل: إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك؛ فيقتضي قولهم "لتعودن في ملتنا" أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم، ثم خرجوا منها، فطلب قومهم أن يعودوا إليها؟ وذلك محال؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها! فالجواب من وجهين؛ أحدهما: قاله ابن عطية: وهو أن "عاد" قد تكون بمعنى "صار" فلا يقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار إليه، والثاني: قاله الزمخشري: وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك لما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم "لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك"، فغلبوا في الخطاب بعود الجماعة على الواحد، وبمثل ذلك يجاب عن قوله "إن عدنا في ملتكم"، "وما يكون لنا أن نعود فيها". ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام والإنكار، والواو للحال تقديره: أنعود في ملتكم وما يكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون. ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ أي: إن عدنا فيها فقد

وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ

وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله؛ وذلك تبرؤ من العود فيها. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه؛ وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم، أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه؛ لأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء، فإن قلت: إن ذلك يصح في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا، فإنه معصوم من الكفر؟ فالجواب: أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى، واستسلاما لأمره، كقول نبينا ﷺ: **«يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك»** [الترمذي: 2140] مع أنه قد علم أنه يثبته. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي: احكم. ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا في ديارهم. ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أي: كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم. ﴿ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قد تقدم. ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أي: بدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم بالحالتين. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ أي: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم. ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي: قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم، فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار. ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بالمطر والزرع. ﴿أَوَأَمِنَ﴾ من قرأ بإسكان الواو فهي أو العاطفة، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء في قوله ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر.

فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أي: أولم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ﴾ أي: يسكنوها. ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ﴾ هو فاعل "أولم يهد" ومقصود الآية الوعيد. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ عطف على "أصبناهم"؛ لأنه في معنى المستقبل، أو منقطع على معنى الوعيد، وأجاز الزمخشري أن يكون عطفا على "يرثون الارض"، أو على ما دل عليه معنى "أولم يهد" كأنه قال: يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم. ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لـ"أهل القرى"، والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود. ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ من قرأ "علي" بالتشديد على أنها ياء المتكلم، فالمعنى ظاهر وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق، وموضع "أن لا أقول" على هذا رفع على أنه خبر "حقيق" و"حقيق" مبتدأ أو بالعكس، ومن قرأ بالتخفيف فموضع "أن لا أقول" خفض بحرف الجر، و"حقيق" صفة لـ"رسول"، وفي المعنى على هذا وجهان؛ أحدهما: أن "على" بمعنى الباء فمعنى الكلام: رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، والثاني: أن معنى "حقيق" حريص ولذلك تعدى بـ"على". ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا، أو جنس المعجزات. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ أي: خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم، وذلك أنه لما توفي يوسف عليه السلام غلب فرعون على بني إسرائيل، واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخل موسى أربعمائة عام. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءَ﴾ كان موسى عليه السلام شديد الأدمة، فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها، وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا، وقيل: إنها كانت منيرة شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه. ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ مبالغة في

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾

وصف يده بالبياض، كان الناس يجتمعون للنظر إليها والتعجب منها. ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حكي هذا الكلام هنا عن "الملأ"، وفي الشعراء عن فرعون كأنه قد قاله هو وهم، أو قاله هو ووافقوه عليه، كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل، وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خداما لهم، فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملأ أو من قول فرعون، وهو من معنى المؤامرة أي المشاورة، أو من الأمر وهو ضد النهي. ﴿أَرْجِهِ﴾ من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فمعناه: أخرهما حتى ننظر في أمرهما، وقيل: المراد بالإرجاء هنا السجن، ومن قرأه بغير الهمز فتحتمل؛ أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء أي: أطمعه، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان، وإما إسكانها فلغة أجري فيها الوصل مجرى الوقف. ﴿حَاشِرِينَ﴾ يعني الشرط، أي: جامعين للسحرة. ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ﴾ قيل: هذا محذوف يدل عليه سياق الكلام، وهو أنه بعث إلى السحرة. ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين فهو استفهام، ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل؛ أن يكون خبرا، أو استفهاما حذفت منه الهمزة، و"الأجر" هنا الأجرة طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده. ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطف على معنى "نعم"، كأنه قال: نعم نعطيكم أجرا ونقربكم، واختلف في عدد السحرة اختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا؛ وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل. ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤوا هم بإلقاء سحرهم، فأمرهم أن يلقوا، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعبروا عن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر. ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الجبل، وقيل: إنه طال حتى جاوز النيل. ﴿تَلْقَفُ﴾ أي: تبتلع. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: ما صوروا من إفكهم وكذبهم، وروي أن الثعبان أكل ملء الوادي من حبالهم

فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

وعصيهم، ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر وليس في قدرة البشر، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام. ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، وعيد من فرعون للسحرة، وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك، ولكن روي أنه أنفذه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وقد ذكر معنى ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾ في العقود. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربنا. ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: ما تعيب منا إلا إيماننا. ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه. ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على "ليفسدوا"، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو. ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها، وجعل نفسه الإله الأكبر، فلذلك قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، فـ"الهتك" على هذا هي تلك الأصنام، وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم "إلاهتَكَ" أي: عبادتك والتذلل لك. ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليل للصبر الذي أمرهم به؛ يعني أرض الدنيا هنا وفي قوله ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقيل: يعني أرض فرعون، فأشار لهم موسى أولا بالنصر في قوله ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾ ثم صرح به في قوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآية. ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حض على الاستقامة والطاعة. ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالجدب والقحط. ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الآية، إذا جاءهم

يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ

الخصب، والرخاء قالوا: هذا لنا وبسعدنا ونحن مستحقون له، وإذا جاءهم الجدب والشدة ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ أي قالوا: بشؤمه. فإن قيل: لم قال "إذا جاءتهم الحسنة" بـ"إذا" وتعريف "الحسنة" ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٌ﴾ بـ"إن" وتنكير الـ"سيئة"؟ فالجواب: أن "الحسنة" وقوعها كثير والـ"سيئة" وقوعها نادر، فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد، وذكره بـ"إذا"؛ لأنها تقتضي التحقيق، وذكر الـ"سيئة" بـ"إن" لأنها تقتضي الشك ونكرها للتقليل. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر عند الله، وهو مأخوذ من زجر الطير، ثم سمي به ما يصيب الإنسان، ومقصود الآية؛ الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم. ﴿مَهۡمَا﴾ هي ما الشرطية ضمت إليها "ما" الزائدة نحو: أينما ثم قلبت الألف هاء، وقيل: هي اسم بسيط غير مركب، والضمير في "به" عائد على مهما، وإنما قالوا "من اية" على تسمية موسى لها آية أو على وجه التهكم. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ روي: أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون، وامتنعوا من الزراعة، وقيل: هو الطاعون. ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ هو المعروف، أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسقف بيوتهم. ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ قيل: هي صغار الجراد، وقيل: البراغيث، وقيل: السوس، وقرئ "القمل" بفتح القاف والتخفيف فهي على هذا القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم. ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ هي المعروفة، كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم، وإذا تكلم أحدهم وثب الضفدع إلى فمه. ﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياههم دما، فكان يسقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد، فيخرج ما يلي القبطي دما وما يلي الإسرائيلي ماء. ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ أي: العذاب، وهو الأشياء المتقدمة، وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فإذا كشف عنهم؛ نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي بذمامك إليه ووسائلك، والباء تحتمل أن تكون للقسم، وجوابه ﴿لَنُؤۡمِنَنَّ﴾ أو يتعلق بـ﴿ٱدۡعُ لَنَا﴾ أي: توسل إليه بما عهد عندك. ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾ البحر حيث وقع. ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل.

مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ

﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ الشام ومصر. ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بالخصب وكثرة الأرزاق. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: نفذت لهم واستمرت، والـ"كلمة" هنا ما قضي لهم في الأزل، وقيل: هي قوله ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ الآية. ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون، وقيل: هي الكروم وشبهها؛ فهو على الأول من العرش، وعلى الثاني من العريش. ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَهًا﴾ أي: اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم، ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بني إسرائيل، من هنا إلى قوله ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾. ﴿مُتَبَّرٌ﴾ من التبار وهو الهلاك. ﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وما بعده مذكور في البقرة. ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً﴾ روي: أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة، وأن العشر بعدها هي العشر الأول من ذي الحجة؛ وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة. ﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي: ما وقّت له من الوقت لمناجاته في الطور. ﴿اخْلُفْنِي﴾ أي: كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبي. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته؛ فسألها كما قال الشاعر:

وأفرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

فاستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا، وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى؛ فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه، وتأول الزمخشري طلب موسى الرؤية بوجهين؛ أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بني إسرائيل، فهم الذين طلبوا الرؤية فقالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فقال موسى

قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ

ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأدبوا، والآخر: أن معنى "أرني أنظر اليك" عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا، وكلا الوجهين بعيد والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الآية. ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾ قال مجاهد وغيره: إن الله قال لموسى "لن تراني" لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى، وقال قوم: المعنى سأتجلى لك على الجبل؛ وهو ضعيف يبطله قوله ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ فإذا تقرر هذا، فقوله تعالى "لن تراني" نفي للرؤية، وليس فيه دليل على أنها محال؛ فإنه إنما جعل علة النفي عدم إطاقة موسى للرؤية لا استحالتها، ولو كانت الرؤية مستحيلة لكان في الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح ﴿فَلاَ تَسْئَلْنِّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وأما في الآخرة فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا ينكرها إلا مبتدع، وبين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الرؤية نزاع طويل، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها ولما فيها من الأقوال الفاسدة. ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول، كقولك: ضرب الأمير، والدكُّ والدقُّ أخوان وهو التفتت، وقرئ "دكاء" بالمد والهمز أي: أرضا دكاء، وقيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره، وقيل: تفتت حتى صار غبارا، وقيل: ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر. ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقًا﴾ أي: مغشيا عليه. ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ معناه تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها. ﴿أَوَّلُ الْمُومِنِينَ﴾ أي: أول قومه أو أول زمانه، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان. ﴿اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ هو عموم يراد به الخصوص، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا؟ والصحيح أنه كلم نبينا محمدا ﷺ ليلة الإسراء. ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ تأديبا، أي: اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي ولا تطلب غير ذلك. ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ أي: ألواح التوراة وكانت سبعة، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان، وقيل: كانت من زمرد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب. ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم، وكذلك ﴿تَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. وموضع "من كل شيء" نصب على أنه مفعول "كتبنا"، و"موعظة" بدل منه. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجد وحزم، والضمير للتوراة.

وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ

﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسن وأحسن منه؛ كالقصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات. ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: دار فرعون وقومه وهي مصر، والمعنى: أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا، وقيل: منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها، وقيل: جهنم، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما "سأورثكم" بالثاء المثلثة من الوراثة، وهي على هذا مصر لقوله ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾. ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ﴾، الآيات هنا يحتمل أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب، أو العلامات والبراهين، والصرف يراد به صدهم عن فهمها، وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم، وقيل: الصرف منعهم من إبطالها. ﴿وَلِقَآءِ الآخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي: ولقاؤهم الآخرة، أو من إضافة المصدر إلى الظرف. ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ هم بنو إسرائيل. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد غيبته في الطور. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء والتشديد جمع حلي نحو ثُدَى وثُدي، وقرئ بكسر الحاء للإتباع، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام، والحلي هو ما يتزين به من الذهب والفضة. ﴿جَسَدًا﴾ أي: جسما دون روح، وانتصابه على البدل. ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ الخوار هو صوت البقر، وكان السامري قد قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذفه في العجل، فصار له خوار، وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل، فيصيح فيه، فيسمع له الخوار. ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ﴾ رد عليهم وإبطال لمذهبهم الفاسد في عبادته. ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: اتخذوه إلها، فحذف المفعول الثاني للعلم به، وكذلك حذف من قوله "واتخذ قوم موسى". ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا، يقال سقط في يد فلان، إذا عجز عما يريد، أو وقع فيما يكره. ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوا، وقيل: شديد الغضب، كقوله ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ أي: قمتم مقامي، وفاعل بئس مضمر يفسره "ما"

أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ

واسم المذموم محذوف، والمخاطب بذلك؛ إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل، كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين عبدوا العجل.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل. ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعر رأسه. ﴿يَجُرُّهُ﴾ لأنه ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل. ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمه؛ لأنه أدعى إلى العطف والحنو، وقرئ "ابن أم" بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر، جُعل الاسمان اسما واحدا فبني. ﴿وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظن أني منهم، أو لا تجد علي في نفسك ما تجد عليهم يعني أصحاب العجل. ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي: غضب في الآخرة وذلة في الدنيا.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشري: قوله "سكت" مثل، كأن الغضب كان يقول له: ألق الألواح وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: فيما ينسخ منها، والنسخة فعلة بمعنى مفعول. ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾، وقال المبرد: تتعلق بمصدر تقديره: رهبتهم لربهم. ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه. ﴿سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ حملهم معه إلى الطور، فسمعوا كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة ف﴿أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ عقابا لهم على قولهم، وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم عن عبادته؛ والأول أرجح لقوله ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء؛ والأول أظهر لقوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾. ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ يحتمل أن تكون "لو" هنا للتمني،

أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

أي: تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت، فإنا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن كما وعدتنا، وأَحْيِ هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّا﴾ أي: أتهلكنا وتهلك بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل، فمعنى هذا إدلاء بحجته وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة. ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ أي: الأمور كلها بيدك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ ومعنى هذا اعتذار عن فعل السفهاء، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته. ﴿إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْـكَ﴾ أي: تبنا، وهذا الكلام الذي قاله موسى عليه السلام إنما هو كله استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه، ولا يقتضي شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله "أتهلكنا بما فعل السفهاء منا"؛ لأنا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء. ﴿قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَنَ اَشَآءُ﴾ قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة؛ والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم، وقرئ "من أساء" بالسين وفتح الهمزة من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال: إنها تصحيف. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتمل أن يريد رحمته في الدنيا؛ فيكون خصوصا في الرحمة وعموما في كل شيء؛ لأن المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة؛ فيكون خصوصا في كل شيء؛ لأن الرحمة في الآخرة مختصة بالمؤمنين، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق؛ فيكون عموما في الرحمة وفي كل شيء. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة، فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم وهم أمة محمد ﷺ، وإن كانت رحمة الدنيا فهي أيضا مختصة بهم؛ لأن الله نصرهم على جميع الأمم وأعلى دينهم على جميع الأديان، ومكن لهم في الأرض ما لم يمكن لغيرهم، وإن كانت على الإطلاق فقوله "فسأكتبها" تخصيص للإطلاق. ﴿وَالَّذِينَ هُـم بِآيَاتِنَا يُومِنُـونَ﴾ أي: يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء وليس ذلك لغير هذه الأمة. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ﴾ هذا الوصف خصص أمة محمد ﷺ، قال بعضهم: لما قال الله "ورحمتي وسعت كل

ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ

شيء" طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما قال: "فسأكتبها للذين يتقون" يئس إبليس وبقيت اليهود والنصارى، فلما قال "الذين يتبعون الرسول" الآية، يئس اليهود والنصارى. ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ أي: الذي لا يقرأ ولا يكتب؛ وذلك من أعظم دلائل نبوته ﷺ لأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ قال بعضهم: الأمي منسوب إلى الأم، وقيل: إلى الأمة. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في "يجدونه" لبني إسرائيل وكذلك الضمير في "عندهم"، ومعنى "يجدونه" يجدون نعته وصفته، ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد ﷺ؛ فمن ذلك ما ورد في البخاري [2018] وغيره أن في التوراة من صفة النبي ﷺ: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به عيونا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا. ومن ذلك ما ورد في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن: أن الملك نزل على إبراهيم، فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم: يا رب ليت إسماعيل يعيش يخدمك، فقال الله لإبراهيم: ذلك لك قد استجيب لك في إسماعيل، وإني أباركه وأنميه وأكثره وأعظمه بماذ ماذ؛ وتفسير هذه الحروف محمد. ومن ذلك ما في التوراة: إن الرب تعالى جاء في طور سيناء وطلع من ساعر وظهر من جبال فاران؛ ويعني بطور سيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام، وساعر موضع عيسى، وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد ﷺ ومبعثه. ومعنى ما ذكر من مجيء الله وطلوعه وظهوره؛ هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع، ويفسر ذلك ما في كتاب أشعيا خطابا لمكة: قومي فأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تجلل الأرض الظلام، وغطّا على الأمم المصاب، والرب يشرق عليك إشراقا، ويظهر كرامته عليك، تسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك، وتأملي فإنهم مستجمعون عندك، وتحج إليك عساكر الأمم. وفي بعض كتبهم: لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلأت الأرض من حمده؛ لأنه ظهر بخلاص أمته. ومن ذلك في التوارة: أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك، فقال لها: يا هاجر! أين تريدين ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدين ابنا اسمه إسماعيل، وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع. ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد ﷺ أن هذا الذي وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع، وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع؛ إنما ظهر بمبعث محمد ﷺ وظهور دينه وعلو كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا

....

لغيره قبل محمد ﷺ. ومن ذلك في التوراة أيضا: أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوتهم، وأي رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه. ودلالة هذا الكلام ظاهرة، فإن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ كبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم. ومن ذلك في التوراة: أن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: قد استجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وسيلد اثني عشر عظيما وأجعله لأمة عظيمة. ومن ذلك في الإنجيل: أن المسيح قال للحواريين: أنا ذاهب عنكم، وسيأتيكم البارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه، وإنما يقول كما يقال له، وبهذا وصف الله نبينا محمدا ﷺ في قوله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وتفسير البارقليط أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا ﷺ محمد وأحمد، وقيل: معنى البارقليط: الشافع المشفع. ومن ذلك في التوراة: أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمته الحمادون. وبيان ذلك أن أمته يقرؤون "الحمد لله" في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار ؓ وهو من اليمن من حمير: أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال: كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب الأحبار: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة وبكتب الأنبياء، ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني فقال: يا بني، قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم، إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظل زمانه فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك، وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتبعه، وانظر فيهما فإن الله يزيدك بذلك خيرا، فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده، مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون؛ الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال، وتذلل ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم، وأناجيلهم في صدورهم، ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون، والشافعون المشفع لهم. فلما قرأت هذا قلت في نفسي: والله ما علمني شيئا خير لي من هذا، فمكثت بهذا ما شاء الله حتى بعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج بمكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا،

....

وتخوفت ما كان والدي حذرني وخوفني من الكذابين، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه قد أتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه، وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي صلوات الله وسلامه عليه. فقلت في نفسي: لعله لم يكن الذي كنت أظن، ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت في نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر، وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم، فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره؛ لأتبين وأتثبت، حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ﷺ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء؛ علمت أنهم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى حتى أتى على هذه الآية ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت من الله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي، فما كان شيء أحب إلي من الصباح، فغدوت على عمر ﷺ فأسلمت حين أصبحت، وقال كعب لعمر ﷺ عند انصرافه عن الشام: يا أمير المؤمنين! إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل وأهلها، مفتوحة على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون. فقال له عمر ﷺ: ثكلتك أمك أحق ما تقول؟ فقال: إي والذي أنزل التوراة على موسى، والذي يسمع ما نقول إنه لحق. فقال عمر ﷺ: الحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ وبرحمته التي وسعت كل شيء. ومن ذلك كتاب فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ وكان من ملوك العرب بالشام فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله ﷺ من فروة بن عمرو: إني مقر بالإسلام مصدق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام. فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه، فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدا، فإنك تعلم أنه النبي الذي بشر به عيسى بن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل. [ابن عساكر 50/ 161]. ويشهد لهذا ما خرجه البخاري [2782] ومسلم [1773] من كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع قدمي، ولو خلصت إليه لغسلت قدميه. ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد: أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في تجارة إلى الشام، فقال: وإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه، فقيل لي:

....

لا تفعل فإنه لا نصف لك منه، فأدخلني كنيسة فإذا فيها تراب عظيم ملقى، فجاءني بزنبيل ومجرفة، فقال: أنقل ما ههنا، فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال: أثنك على ما أرى ما نقلت شيئا، ثم جمع يده فضرب بها دماغي، فقلت: واثكل أمك يا عمر! أبلغت ما أرى، ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته، فنثرت دماغه، ثم واريته في التراب، وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي ومن الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير، فاستظللت بفنائه، فخرج إلي منه رجل، فقال لي: يا عبد الله ما يقعدك هنا؟ فقلت: أضللت أصحابي، فقال لي: ما أنت على طريق، وإنك لتنظر بعيني خائف، فادخل فأصب من الطعام واسترح، فدخلت فأتاني بطعام وشراب، وألطفني، ثم صعد في النظر وصوبه، وقال: قد علم أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب مني، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت: يا هذا! لقد ذهبت بي في غير مذهب، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبنا، فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إلي صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب في رق، فإن كنت صاحبنا فذلك وإلا لم يضرك شيء، فكتبت له على ديره وما فيه، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إلي، ثم أوكف أتانا، فقال لي: أتراها؟ قلت: نعم، قال: سر عليها فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة، فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلي، قال: فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز، فضربتها مدبرة، وانطلقت معهم، فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاء ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس، فلما رآه عرفه، فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه، فلما فرغ منه أقبل على الراهب، فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين! فوفى له عمر رحمه الله [المجالسة: 2001]. وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلام عليك يا فاروق؛ أنت صاحب إيلياء، والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء [الطبري: 2/ 448]. ومن ذلك أن عمرو بن العاص ﷺ قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى عمان واليا عليها، فجاءه يوما يهودي من يهود عمان فقال له: أنشدتك بالله من أرسلك إلينا؟ فقال له: رسول الله ﷺ. قال اليهودي: والله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ قال عمرو ﷺ: اللهم نعم، فقال اليهودي: لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم، فلما رأى عمرو ﷺ ذلك جمع أصحابه، وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي أن النبي ﷺ مات فيه ثم خرج، فأخبر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق، ووجده قد مات في ذلك اليوم ﷺ وعلى آله وأصحابه وبارك وشرف وكرم. [الطبقات: 5/ 58]. ومن ذلك أن وفد غسان

يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

قدموا على رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر الصديق ﷺ فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه، فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم ائتوا رسول الله ﷺ فكلموه، فقالوا: وهل نقدر على كلامه كلما أردنا؟ فتبسم أبو بكر ﷺ وقال: إنه ليطوف في الأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه، ويرغب من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ قال: أبو بكر بن أبي قحافة، فقالوا: أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم: كيف تخدعون عن الإسلام، وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا. ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي ﷺ في التوراة، فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في "يجدونه"، أو تفسير لما كتب من ذكره، أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مذهب مالك؛ أن "الطيبات" هي الحلال، وأن "الخبائث" هي الحرام، ومذهب الشافعي؛ أن "الطيبات" هي "المستلذات" إلا ما حرم الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن "الخبائث" هي المستقذرات؛ كالخنافس والعقارب ونحوها. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات كقتل الأنفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، وكذلك ﴿الْأَغْلَالَ﴾ عبارة عما منعت منه شريعتهم؛ كتحريم الشحوم، وتحريم العمل يوم السبت، وشبه ذلك. ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو. ﴿النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ هو القرآن أو الشرع كله، ومعنى "معه": مع بعثه ورسالته. ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ تفسيره قوله ﷺ: «**كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة**» [البخاري: 427]. فإعراب "جميعا" حال من الضمير في "إليكم". ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعت "لله"، أو منصوب على المدح بإضمار فعل، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء. ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى،

وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره. ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ أي: فرقناهم. ﴿أَسْبَاطًا﴾ السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب، وانتصابه على البدل من "اثنتي عشرة" لا على التمييز؛ فإن تمييز اثني عشر لا يكون إلا بمفرد، وقال الزمخشري: على التمييز؛ لأن كل قبيلة أسباطا لا سبط. ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ أي: انفجرت؛ إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار، وقال القزويني: الانبجاس أول الانفجار. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ وما بعده إلى قوله ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ مذكور في البقرة. تنبيه: وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة كقوله ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ و"انبجست"، وقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ﴾ و﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ﴾، وقوله ﴿وَكُلُواْ﴾ و﴿فَكُلُواْ﴾ بالفاء؛ فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض، وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرة بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها. ﴿وسْئَلْهُمْ﴾ أي: اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ. ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ قيل: هي إيلياء، وقيل: طبرية، وقيل: مدين. ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه أو على شاطئه. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حد الله فيه، وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نهوا عنه، وموضع "إذ" بدل من "القرية"، والمراد أهلها وهو بدل اشتمال، أو منصوب بـ"كانت" أو بـ"حاضرة". ﴿إِذْ تَاتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم، ابتلاء لهم؛ إذ كان صيدها محرما عليهم يوم السبت وتغيب عنهم في سائر الأيام، و"سبتهم" مصدر من قولك: سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى "شرعا" ظاهرة قريبة منهم، يقال: شرع منا فلان إذا دنا، و"إذ" في قوله "إذ تاتيهم" منصوب بـ"يعدون"، أو بدل من "إذ يعدون".

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ الآية، افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق؛ فرقة عصت بالصيد يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم، وفرقة سكتت واعتزلت فلم تنه ولم تعص، وأن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية، قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم فقالت الناهية: ننهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون؛ فهلكت الفرقة العاصية ونجت الناهية، واختلف في الثالثة: هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان؟. ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد، وقرئ بالهمز وتركه، وقرئ على وزن فعيل وفيعل، وكلها من معنى البؤس. ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ أي: لما تكبروا عن ما نهوا عنه. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذكر في البقرة، والمعنى: أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد، فعتوا بذلك، فمسخوا قردة. وقيل: "فلما عتوا" تكرار لقوله "فلما نسوا"، والعذاب البئيس هو المسخ. ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عزم، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام. ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، أي يسلط عليهم، ومن ذلك أخذ الجزية وهو أنهم في جميع البلاد. ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: فرقناهم في البلاد، ففي كل بلد فرقة منهم وليس لهم إقليم يملكونه. ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ هم من أسلم كعبد الله بن سلام ﷺ أو من كان صالحا من المتقدمين منهم. ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالنعم والنقم. ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: حدث بعدهم قوم سوء ،وال"خلف" بسكون اللام ذم، وبفتحها مدح، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل: المراد النصارى. ﴿يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الادْنَى﴾ أي: عرض الدنيا. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترار منهم وكذب. ﴿وَإِن يَاتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَاخُذُوهُ﴾ الواو للحال، أي: يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم. ﴿مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة. ﴿أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم

وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾

"سيغفر لنا"، وإعراب "أن لا يقولوا" عطف بيان على "ميثاق الكتاب" أو تفسير له، أو تكون "أن" حرف عبارة وتفسير. ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف وهما بمعنى واحد، وإعراب "الذين" عطف على "الذين يتقون"، أو مبتدأ وخبره ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، وقام ذكر "المصلحين" مقام الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب. ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: اقتلعنا الجبل، ورفعناه فوق بني إسرائيل، وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها، وقد تقدم في البقرة تفسير الـ ﴿ظُلَّة﴾ و ﴿خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية، في معناها قولان؛ الأول: أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم، فأقروا بذلك والتزموه، روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم، والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما إشهادهم؛ فمعناه أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم: "ألست بربكم"؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا؛ والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر، وإنما تطابقه بتأويل، وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم، والجمع بينهما أنه ذكر "بني آدم" في الآية والمراد آدم كقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ الآية، على تأويل: لقد خلقنا أباكم آدم من صورته، وقال الزمخشري: إن المراد بـ"بني آدم" أسلاف اليهود، والمراد بـ"ذريتهم" من كان في عصر النبي ﷺ منهم، والصحيح المشهور أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكرنا. ﴿قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ قولهم "بلى" إقرار منهم بأن الله ربهم، فإن تقديره: أنت ربنا، فإن "بلى" بعد التقرير تقتضي الإثبات بخلاف نعم؛ فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس ﷺ في هذه الآية: لو قالوا نعم لكفروا، وأما قولهم "شهدنا" فمعناه: شهدنا بربوبيتك، فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله، وقيل: إن "شهدنا" من قول الله والملائكة، أي: شهدنا على بني آدم باعترافهم. ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله، أي: فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا، فهو من قول الله لا من قولهم، وقرئ بالتاء على الخطاب لبني آدم،

أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

وبالياء على الإخبار عنهم. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود ﷺ: هو رجل من بني إسرائيل، بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه؛ ففعل وأضل الناس بذلك. وقال ابن عباس ﷺ: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعام كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون، سألوا من بلعام أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا موسى عليه، فالآيات التي أعطيها على هذا القول هي اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود ﷺ هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: هو أمية بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علما وحكمة، وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ثم رجع عن ذلك ومات كافرا، وفيه قال رسول الله ﷺ: «**كاد أمية ابن أبي الصلت أن يسلم**» [البخاري: 3629]. فالآية على هذا ما كان عنده من العلم، والانسلاخ عبارة عن البعد، والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي: لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده. ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ عبارة عن فعله لمّا سقطت به منزلته عند الله. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي: صفته كصفة الكلب، وذلك غاية في الخسة والرذالة. ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ اللهث: هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك للحيوانات مع الحر والتعب، وهي حالة دائمة للكلب، ومعنى "إن تحمل عليه" إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره، "او تتركه" دون أن تحمل عليه فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به؛ أنه إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال؛ فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال، وقيل: إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقة. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ أي: صفة المكذبين كصفة الكلب في لهثه أو كصفة الرجل المشبه به؛ لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات. ﴿سَآءَ مَثَلاً﴾ أي: مثل القوم. ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾ قدم هذا

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

المفعول للاختصاص والحصر. ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء قوله: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي» [الحاكم: 84]. ﴿لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفي الفهم والبصر والسمع جملة، وإنما المعنى نفيها عما ينفع في الدين. ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» [البخاري: 2585]. وسبب نزول الآية: أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرة والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد، وها هو يعبد آلهة كثيرة، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد، و"الحسنى" مصدر وصف به أو تأنيث أحسن، وحُسن أسماء الله في أنها صفات مدح وتعظيم وتحميد. ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: سموه بأسمائه، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث فيجوز إطلاقه على الله إجماعا، وأما ما لم يرد وفيه مدح، ولا تتعلق به شبهة، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله، ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث، وقد ورد في كتاب الترمذي [3507] عدتها؛ أعني تعيين التسعة والتسعين، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على أبي هريرة ﷺ، وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين. ﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ قيل: معنى "ذروا" اتركوهم لا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم؛ فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل: معنى "ذروا" الوعيد والتهديد كقوله ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ وهو الأظهر لما بعده، وإلحادهم في أسماء الله تعالى هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه، وقيل: تسميته بما لا يليق به، وقيل: تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ الآية، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هذه الآية لكم» [أبو يعلى: 3668] وقد تقدم مثلها لقوم موسى. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج: استفعال من الدرجة، أي: نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شيء وهم لا يشعرون، والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمى فعله بهم كيدا؛ لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم النبي ﷺ فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون، ويحتمل أن يكون قوله "ما بصاحبهم من جنة" معمولا لقوله "أوَلَم يتفكروا" فيوصل به، والمعنى: أولم يتفكروا فيعلموا أن ما بصاحبهم من جنة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم عند قوله "أو لم يتفكروا"، ثم ابتدأ إخبارا مستأنفا بقوله "ما بصاحبهم من جنة" والأول أحسن. ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ يعني نظر استدلال. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطف على الـ"ملكوت"، ويعني بقوله ﴿مِن شَيْءٍ﴾ يعني جميع المخلوقات، إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها. ﴿وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ "أن" الأولى مخففة من الثقيلة وهي عطف على الـ"ملكوت"، و"أن" الثانية مصدرية في موضع رفع بـ"عسى"، و"أجلهم" يعني يوم موتهم، والمعنى: لعلهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ السائلون اليهود أو قريش، وسميت القيامة ساعة؛ لسرعة حسابها كقوله ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾. ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ معنى "أيان" متى، و"مرساها" وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: استأثر الله بعلم وقت وقوعها ولم يطلع عليه أحد. ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ﴾ معنى "يجليها" يظهرها فهو من الجلا ضد الخفا، واللام في "لوقتها" ظرفية أي عند وقتها، والمعنى: لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله. ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ الأول: ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها، والثاني: ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض، والثالث: معنى "ثقلت" أي: ثقل علمها، أي: خفي. ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفي بالشيء هو المهتبل به المعتني به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفي بعلمها، وقيل: المعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقرابتك منهم، فـ"عنها" على هذين القولين يتعلق بـ"يسئلونك"، وقيل: المعنى يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها. ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ براءة من علم الغيب واستدلال على عدم علمه.

وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ عطف على "لاستكثرت من الخير" أي: لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير واحترست من السوء، ولكن لا أعلمه فيصيبني ما قدر لي من الخير والشر، وقيل: إن قوله "وما مسني السوء" استئناف إخبار، و"السوء" على هذا هو الجنون، واتصاله بما قبله أحسن. ﴿لِقَوْمٍ يُؤمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلق بـ"بشير ونذير" معا، أي: أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخص بهم البشارة والنذارة؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ويكون المتعلق بـ"نذير" محذوفا أي: نذير للكافرين؛ والأول أحسن. ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم. ﴿زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها. ﴿تَغَشَّاهَا﴾ كناية عن الجماع. ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ أي: خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبال من حملهن من الأذى والكرب، وقيل: الحمل الخفيف المني في فرجها. ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قيل: معناه استمرت إلى حين ميلاده، وقيل: معناه قامت وقعدت. ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: ثقل حملها وصارت به ثقيلة. ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً﴾ أي: ولدا سالما صالحا في بدنه. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شِرْكًا فِيمَآ ءَاتَاهُمَا﴾ أي: لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا جعل أولادهما له شركا، فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك "فيما آتاهما" أي: فيما آتى أولادهما وذريتهما، وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها: إن أطعتيني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلصه لك، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتيني في ذلك قتلته، فأخبرت بذلك آدم، فقال لها: إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى، فقال لها إبليس مثل ذلك فعصته، فمات الولد فحملت مرة ثالثة، فسمياه عبد الحارث طمعا في حياته، فقوله "جعلا له شركا فيما اتاهما" أي: في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله؛ والقول الأول أصح لثلاثة أوجه؛ أحدها: أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني: أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته قوله ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع، والثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح وهو غير موجود في تلك القصة، وقيل "من نفس واحدة" هو قصي بن كلاب وزوجته، و"جعلا له شركا" أي: سميا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف، وهذا القول بعيد لوجهين؛ أحدهما: أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم، والآخر: قوله "وجعل منها زوجها" فإن هذا يصح في حق حواء؛ لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي.

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ هذه الآية رد على المشركين من بني آدم، والمراد بقوله "ما لا يخلق شيئا" الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده. ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ المعنى: أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم، ولا ينصرون أنفسهم؛ فهم في غاية العجز والذلة فكيف يكونون آلهة. ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ المعنى: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهتدي أو إلى أن تهدي لأنها جمادات. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ تأكيد وبيان لما قبلها، فإن قيل: لم قال "أم انتم صامتون" فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية، وهلا قال أو صمتم؟ فالجواب: أن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبر عنها بجملة اسمية لتقتضي الاستمرار على ذلك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ رد على المشركين بأن آلهتهم عباد فكيف يعبد العبد مع ربه. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ أمر على وجه التعجيز. ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ وما بعده معناه: أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة وما كان كذلك لا يكون إلها، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة، وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع فلزمتهم الحجة، والهمزة في قوله "ألهم" للاستفهام مع التوبيخ، و﴿أَمْ﴾ في المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة ومعنى بل، وليست عاطفة. ﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾ المعنى: استنجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد علي ولا تؤخروني، فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرتي، ومقصود الآية: الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ﴾ الآية، أي هو ناصري وحافظي منكم، فلا تضرونني ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتي، ثم وصف الله بأنه ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾، وبأنه ﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، وفي هذين الوصفين استدلال على صدق النبي ﷺ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه؛ ومن يتولى الله حفظه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقا في قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله.

وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآية، رد على المشركين وقد تقدم معناه. ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُواْ﴾ يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيرا لها وردا على من عبدها، فإنها جمادات لا تسمع شيئا، فيكون المعنى كالذي تقدم، أو يريد الكفار ووصفهم بأنهم لا يسمعون؛ يعني سمعا ينتفعون به، لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم. ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام فقوله "ينظرون" مجاز وقوله "لا يبصرون" حقيقة؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فـ"ينظرون" حقيقة، "ولا يبصرون" مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بـ"أنهم لا يسمعون". ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن المعنى خذ من الناس في أقوالهم وأخلاقهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم لئلا ينفروا، فـ"العفو" على هذا بمعنى السهل والسمح عنهم، وهو ضد الجهل والتكليف، كقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

والآخر: أن المعنى خذ من الصدقات ما سهل على الناس من أموالهم أو ما فضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فـ"العفو" على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة. ﴿وَامُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف وهو أفعال الخير، وقيل: العرف الجاري بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ عنها جبريل فقال: «لا أدري حتى أسأل؟» ثم رجع فقال: «**يا محمد! إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**» [الطبري: 15548]. وعن جعفر الصادق: أمر الله النبي ﷺ فيها بمكارم الأخلاق، وهي على هذا ثابتة الحكم، وهو الصحيح، وقيل: كانت مداراة للكفار ثم نسخت بالقتال. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نزغ الشيطان: وسوسته بالتشكيك في الحق، والأمر بالمعاصي، أو تحريك الغضب، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث: أن رجلا اشتد غضبه، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» [البخاري: 3108]. ﴿طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ معناه: لمة منه كما جاء: «**إن للشيطان لمة وللملك لمة**» [ابن حبان: 997]. ومن قرأ "طائف" بالألف فهو اسم فاعل، ومن قرأ "طيف" بياء ساكنة فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد كميت وميت. ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ حذف مفعوله ليعم كل ما يتذكر؛ من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه،

فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

أو النظر والاعتبار أو غير ذلك. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب. ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ الضمير في "إخوانهم" للشياطين، وأريد في قوله "طائف من الشيطان" الجنس، فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، "وإخوانهم" هم الكفار، ومعنى "يمدونهم" يكونون مدادا لهم، أي: يعضدونهم، وضمير المفعول في "يمدونهم" للكفار وضمير الفاعل لـ"الشيطان"، ويحتمل أن يريد بالإخوان الشياطين، ويكون الضمير في "إخوانهم" للكفار، والمعنى على الوجهين: أن الكفار يمدهم الشياطين، وقرئ "يمدونهم" بضم الياء وفتحها والمعنى واحد، وفي الغي يتعلق بـ"يمدونهم"، وقيل: يتعلق بـ"إخوانهم" كما تقول إخوة في الله أو في الشيطان. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار، أو لا يقصر الكفار عن غيهم، وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم لالتزام الصاد قبل الراء في "مبصرون" و"لا يقصرون". ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ الضمير في "لم تاتهم" للكفار، و"لولا" هنا عرض، وفي معنى "اجتبيتها" قولان؛ أحدهما: اخترعتها من قبل نفسك، فالآية على هذا من القرآن، وكان النبي ﷺ يتأخر عنه الوحي أحيانا فيقول الكفار: هلا جئت بقرآن من قولك؟ والآخر: أن معناها طلبتها من الله وتخيرتها عليه، فالآية على هذا معجزة، أي: يقولون اطلب المعجزة من الله. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ معناه: لا أخترع القرآن على القول الأول، ولا أطلب آية من الله على القول الثاني. ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أي: علامات هدى، والإشارة إلى القرآن. ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ فيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني: أنه الإنصات للخطبة، والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الراجح لوجهين؛ أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه، والثاني: أن الآية مكية والخطبة إنما شرعت بالمدينة. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية. ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان، أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ عطفا مغايرا أي: حالة أخرى، وعلى الثاني: يكون بيانا وتفسيرا للأول. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ أي: في الصباح والعشي، "والاصال" جمع أصل، والأصل جمع أصيل، قيل: المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل: صلاة المسلمين قبل فرض الخمس؛ والأظهر الإطلاق. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض بالكفار. ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ قدم المجرور لمعنى الحصر، أي: لا يسجدون إلا له وحده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والسائلون هم الصحابة، و"الانفال" هي الغنائم، وذلك أن الصحابة كانوا يوم بدر ثلاث فرق؛ فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه وتؤنسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم فنزلت الآية، ومعناها: يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل "الانفال" هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه. وقد اختلف الفقهاء هل يكون هذا التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس. ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: الحكم فيها لله وللرسول لا لكم. ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: اتفقوا وائتلفوا ولا تنازعوا، و"ذات" هنا بمعنى الأحوال قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته، وقال الزبيري: إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب. ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ﷺ، فقسمها على السواء [أحمد: 22805]. فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، أي: الكاملون الإيمان، فـ"إنما" هنا للتأكيد والمبالغة والحصر. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت، وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه "فزعت". ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: قوي تصديقهم ويقينهم، خلافا لمن قال إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل. ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ يعني في الجنة. ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذه الحال كحال إخراجك؛ يعني أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة خروجك للحرب. والثاني: أن يكون موضع الكاف نصبا على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر

مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾

في قوله "الانفال لله والرسول"، أي: استقرت الأنفال لله والرسول استقرارا مثل استقرار خروجك. والثالث: أن تتعلق الكاف بقوله "يجادلونك". ﴿مِن بَيْتِكَ﴾ يعني مسكنه بالمدينة، إذ أخرجه الله منه لغزوة بدر. ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُومِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ أي: كرهوا قتال العدو، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة، ومعها أربعون راكبا، فأخبر بذلك جبريل رسول الله ﷺ، فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة، فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير ليمنعوا عيرهم، فنزل جبريل عليه السلام فقال: «**يا محمد! إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريش**» فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا: العير أحب إلينا من لقاء العدو، فقال: «**إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل**» فقال له سعد بن عبادة: امض لما شئت فإنا متبعوك، وقال سعد بن معاذ: والذي بعثك بالحق لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله. ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالا وأقل رجالا، وتبين الحق: هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش. ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني قريشا أو عيرهم، والعامل في "إذ" محذوف تقديره: اذكروا. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من "إحدى الطائفتين". ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ "الشوكة" عبارة عن السلاح سميت بذلك لحدتها، والمعنى: تحبون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها وهي العير. ﴿أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يعني يظهر الإسلام بقتل الكفار وهلاكهم يوم بدر. ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، وليس تكرارا للأول؛ لأن الأول مفعول "يريد" وهذا تعليل لفعل الله تعالى، ويحتمل أن يريد بـ"الحق" الأول الوعد بالنصرة وبـ"الحق" الثاني الإسلام؛ فيكون المعنى: أنه نصرهم ليظهر الإسلام، ويؤيد هذا قوله: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي: يبطل الكفر. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ "إذ" بدل من "إذ يعدكم"، وقيل: تتعلق بقوله "ليحق الحق" أو بفعل مضمر، واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر. ﴿مُمِدُّكُم﴾ أي: مكثركم. ﴿مُرْدَفِينَ﴾ من قولك: ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه، والمعنى: يتبع بعضهم بعضا، فمن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول، ومن قرأه بالكسر فهو اسم فاعل، وصح معنى القراءتين؛ لأن الملائكة المنزَّلين تبع بعضهم بعضا فمنهم تابعون ومتبوعون.

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد على الوعد، أو على الإمداد بالملائكة. ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ "إذ" بدل من "إذ يعدكم"، أو منصوب بـ"النصر"، أو بما في عند الله من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر، ومن قرأ "يغشيكم" بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشي المشدد، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين، فينصب "النعاس" على أنه المفعول الثاني، والمعنى: يغطيكم به فهو استعارة من الغشا، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدي إلى واحد أي: ينزل عليكم النعاس. ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: أمنا، والضمير المجرور يعود على "الله" تعالى، وانتصاب "أمنة" على أنه مفعول من أجله، قال ابن مسعود ﷺ: النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تعديد لنعمة أخرى؛ وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر، وقيل: بعد وصولهم، فأنزل الله المطر حتى سالت الأودية. ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهر به، وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهور ولا للوضوء. ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسته بسبب عدمهم للماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء؟ فأنزل الله عليهم المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان، وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ الضمير في "به" عائد على الـ"ماء"؛ وذلك أنهم كانوا في رملة دهسة لا يثبت بها قدم، فلما نزل المطر تلبدت وتدمث الطريق وسهل المشي والوقوف، وروي أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين، فتبين أن ذلك من لطف الله. ﴿إِذْ يُوحِي﴾ يحتمل أن يكون بدلا من "إذ" المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها، أو يكون العامل فيها "يثبت". ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يحتمل أن يكون هذا التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين، أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذ تصوروا في صور بني آدم، أو بإلقاء في نفوس المؤمنين. ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين، أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل. ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين، ومعنى "فوق الاعناق" أي: أعالي الأعناق حيث المفصل بين الرأس والعنق؛ لأنه مذبح، والضرب فيها يطير الرأس، وقيل: المراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وقيل: المراد الأعناق، و"فوق" زائدة. ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل: هي المفاصل،

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟

وقيل: الأصابع وهو أشهر في اللغة، وفائدة ذلك: أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال، فأمكن أسره وقتله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإشارة إلى ما أصاب الكفار يوم بدر، والباء للتعليل، و"شاقوا" من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة. ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب هنا للكفار، و"ذلكم" مرفوع تقديره: ذلكم العقاب أو العذاب، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله "فذوقوه" كقولك: زيدا فاضربه. ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على "ذلكم" على تقدير رفعه أو نصبه أو مفعول معه، والواو بمعنى مع. ﴿زَحْفاً﴾ حال من "الذين كفروا"، أو من الفاعل في "لقيتم"، ومعناه: متقابلي الصفوف والأشخاص، وأصل الزحف الاندفاع. ﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثلي المسلمين حسبما نذكره في موضعه. ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم اللقاء في أي عصر كان. ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾ هو الكر بعد الفر ليري عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه؛ وذلك من الخداع في الحرب. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾ أي: منحازا إلى جماعة من المسلمين، فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب فالتحيز إليها جائز باتفاق، واختلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيء من ذلك حاضرا، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أنا فئة لكل مسلم [ابن أبي حاتم: 8898]. وهذا إباحة لذلك، والفرار من الذنوب الكبائر، وانتصب قوله "متحرفا" على الاستثناء من قوله "ومن يولهم"، وقال الزمخشري: انتصب على الحال وإلا لغو، ووزن "متحيز" متفيعل، ولو كان على مفتعل لقال متحوز لأنه من حاز يحوز. ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لم يكن قتلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم بالملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله ﷺ قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب أو حصى ورمى بها في وجوه الكفار فانهزموا [الطبري: 9/ 205] فمعنى الآية: أن ذلك من الله في الحقيقة. ﴿بَلاَءً حَسَناً﴾ يعني الأجر والنصر والغنيمة. ﴿مُوهِنُ﴾ من الوهن وهو الضعف، وقرئ بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد. ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ الآية، خطاب لكفار قريش؛ وذلك أنهم كانوا قد دعوا إلى الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه، وروي: أن الذي دعا بذلك أبو جهل، فنصر الله المؤمنين وفتح لهم، ومعنى "إن تستفتحوا"

فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

تطلبوا الفتح، ويحتمل الفتح الذي طلبوه أن يكون بمعنى النصر أو بمعنى الحكم، وقيل: إن الخطاب للمؤمنين. ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار فـ"الفتح" هنا بمعنى الحكم، أي: قد جاءكم الحكم الذي حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر، وإن كان الخطاب للمؤمنين فـ"الفتح" هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم لأن الله حكم لهم، أو بمعنى النصر. ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي: ترجعوا عن الكفر، وهذا يدل على أن الخطاب للكفار. ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ أي: إن تعودوا للاستفتاح أو للقتال نعد لقتلكم والنصر عليكم. ﴿وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ الضمير لرسول الله ﷺ، أو للأمر بالطاعة. ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تسمعون القرآن والمواعظ. ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ هم الكفار، أي: سمعوا بآذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ﴾ أي: كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار، فإنهم جدوا في القتال مع المشركين. ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: للطاعة، وقيل: للجهاد لأنه يحيا بالنصر. ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: يميته، وقيل: يصرف قلبه كيف يشاء، فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك. ﴿فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ أي: لا تصيب الظالمين وحدهم؛ بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم وإن كان لم يَظلم، وحكى الطبري: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وطلحة والزبير ، وأن الـ"فتنة" ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في "تصيبن"؛ لأنه بمعنى النهي. ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية، أي: حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة وأيدكم بنصره في بدر وغيرها. ﴿لاَ تَخُونُواْ﴾ نزلت في قصة

وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ

أبي لبابة ﷺ حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح [سعيد بن منصور: 987]. وقيل: المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم، ولفظها عام. ﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾ عطف على "لا تخونوا"، أو منصوب. ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ أي: تفرقة بين الحق والباطل، وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب وتشرح الصدر وتزيد في العلم والمعرفة. ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عطف على "إذ انتم قليل" أو استئناف، وهو إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي، الحديث بطوله. ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ أي: يسجنوك. ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل: هي في سائر قريش. ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: أخبارهم المسطورة. ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ الآية، قالها النضر بن الحارث، أو سائر قريش لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل، رواه البخاري [4371] ومسلم [2796] في كتابيهما، وانتصب ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ لأنه خبر "كان"، وقال الزمخشري: معنى كلامهم جحود، أي: إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ إكرام للنبي ﷺ. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ أي: لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب، قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبي ﷺ والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد وبقي الآخر، وقيل: الضمير في "يعذبهم" للكفار، وفي "وهم يستغفرون" للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم. ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: أي شيء يمنع من عذابهم. ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ أي: يمنعون المؤمنين من ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ والجملة في موضع الحال، وذلك هو الموجب لعذابهم.

وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ

﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾ الضمير لـ"لمسجد الحرام" أو "لله" تعالى. ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾ الـ"مكاء" التصفير بالفم، والـ"تصدية" التصفيق باليد، وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم. ﴿يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ الآية، نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد، وقيل: إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، فإنه استأجر العير من الأحابيش فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد. ﴿تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ﴾ أي: يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة. ﴿ثُمَّ يُغۡلَبُونَ﴾ إخبار بالغيب. ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ معنى "يميز" يفرق بين الخبيث والطيب، و"الخبيث" هنا الكفار و"الطيب" المؤمنون، وقيل: "الخبيث" ما أنفقه الكفار و"الطيب" ما أنفقه المؤمنون، واللام في "ليميز" على هذا تتعلق بـ"يغلبون"، وعلى الأول بـ"يحشرون". ﴿فَيَرۡكُمَهُۥ﴾ أي: يضمه ويجعل بعضه فوق بعض. ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ يعني عن الكفر؛ لأن الإسلام يجب ما قبله ولا تصح المغفرة إلا به. ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ يعني إلى القتال ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ تهديد بما جرى لهم يوم بدر أو بما جرى للأمم السالفة. ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ الـ"فتنة" هنا الكفر، فالمعنى: قاتلوهم حتى لا يبقى كفر، وهو كقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» [البخاري: 25]. ﴿مَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ لفظه عام يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها ما يخمس؛ وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال، ومنها ما لا يخمس؛ بل يكون جميعه لمن أخذه وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف وما طرحه العدو خوف الغرق، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ويصرف سائره في مصالح المسلمين؛ وهي الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية، اختلف في قسم الخمس

إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

على هذه الأصناف، فقال قوم: يصرف على ستة أسهم؛ سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي ﷺ في مصالح المسلمين، وقيل: للوالي بعده، وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وقال الشافعي: على خمسة أسهم ولا يجعل لله سهما مختصا وإنما بدأ عنده بالله لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة. وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح. ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ﴾ راجع إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه. ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني النبي ﷺ، والذي أنزل عليه القرآن أو النصر. ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي: التفرقة بين الحق والباطل؛ وهو يوم بدر. ﴿الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ يعني المسلمين والكفار. ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ العامل في "اذ" "التقى"، و"العدوة" شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان، و"الدنيا" القريبة من المدينة، و﴿الْقُصْوَىٰ﴾ البعيدة. ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي ﷺ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾ أي: يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة حجة، ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل: "ليهلك" يكفر. ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن، وقرئ ﴿مَنْ حَيِيَ﴾ بالإظهار والإدغام وهما لغتان. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية، كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت نفوسهم. ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: جبنتم عن اللقاء. ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الآية، معناها: أن الله أظهر

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾

كل طائفة قليلة في عين الأخرى، ليقع التجاسر على القتال. ﴿رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة. ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم﴾ يعني: قريشا الكفار حين خرجوا لبدر. ﴿بَطَرًا﴾ أي: اعتداء وتكبرا. ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية، لما خرجت قريش إلى بدر تصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: إني جار لكم من قومي، وكانوا قد خافوا من قومه، ووعدهم النصر. ﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع إلى وراء. ﴿إِنِّيَ أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ رأى الملائكة تقاتل. ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة، وقيل: الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن ربيعة بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبه بن الحجاج، وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة. ﴿غَرَّ هَؤُلآءِ دِينُهُمْ﴾ أي: اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به. ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ﴾ ذلك فيمن قتل يوم بدر. ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي: إستاههم، وقيل: ظهورهم. ﴿وَذُوقُواْ﴾ هذا من قول الملائكة لهم؛ تقديره: ويقولون لهم ذوقوا، والقول المحذوف ومعموله معطوف على "يضربون"، ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة أو يكون مستأنفا. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ﴾ تقديره عند سيبويه: الأمر ذلك، والباء سببية،

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

والمعنى: أن الله لا يغير نعمة على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي. ﴿كَدَأْبِ﴾ ذكر في آل عمران. ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ يريد بني قريظة. ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي: نقضا للعهد. ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: رد العهد الذي بينك وبينهم، والمفعول محذوف تقديره: فانبذ إليهم عهدهم. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: على معادلة، وقيل: معناه أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ أي: لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون في الدنيا ولا في الآخرة. ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ الضمير للذين ينبذ لهم العهد، أو للذين لا يعجزون، وحكمه عام في جميع الكفار. ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي**» [مسلم: 1917]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ الزمخشري: الـ"رباط" اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ابن عطية: "رباط" جمع ربط، أو مصدر. ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ يعني: المنافقين، وقيل: بني قريظة، وقيل: الجن؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل، وقيل: فارس؛ والأول أرجح لقوله: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾. قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ فكيف يعلمهم أحد؟ وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: "لا تعلمونهم": لا تعرفونهم، أي: لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يعرف صنفهم بين الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين! ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ "السلم" هنا المهادنة، والآية منسوخة بآية القتال في براءة؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن تَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قيل: بين قلوب الأوس والخزرج، إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام، واللفظ عام. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ عطف على اسم الله، وقال الزمخشري: مفعول معه، والواو بمعنى مع، أي: حسبك وحسب من اتبعك الله. ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ الآية، إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجوب ثبوت الواحد للعشرة، ثم نسخ بوجوب ثبوت الواحد للاثنين. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون. ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ الآية، لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر الصديق ﷺ بحياتهم وأشار عمر ﷺ بقتلهم، فنزلت الآية عتابا على استبقائهم [مسلم: 1763]. ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في القتال. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ عتاب لمن رغب في فداء الأسرى. ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الـ"كتاب" ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل: ما قضاه من تحليل الغنائم لهم. ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ يراد به الأسرى وفداؤهم، لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر» [ابن أبي حاتم: 10019]. ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ إباحة للغنائم ولفداء الأسارى. ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي: إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية، قال العباس ﷺ: فيَّ نزلت، وكان افتديي يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال

وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

ما لم يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرا مما أخذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي [الحاكم 5409]. ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ الآية، تهديد لهم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ إلى آخر السورة مقصودها: بيان منازل المهاجرين والأنصار، والذين آمنوا ولم يهاجروا، والذين هاجروا بعد الحديبية؛ فبدأ أولا بالمهاجرين، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا، وأثبتَ الولاية بينهم، وهي ولاية التعاون والتناصر، وقيل: هي ولاية الميراث، ثم نسخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا، أمر بنصرهم إذا استنصروا بالمؤمنين إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ﴾ "إلا" هنا مركبة من إن الشرطية ولا النافية، والضمير في "تفعلوه" لولاية المؤمنين ومعاونتهم، أو لحفظ الميثاق الذي في قوله" "إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق"، أو للنصر الذي في قوله: "فعليكم النصر"، والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض. ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ الآية، ثناء على المهاجرين والأنصار ووعد لهم، والرزق الكريم في الجنة. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِن بَعْدُ﴾ يعني الذين هاجروا من بعد الحديبية وبيعة الرضوان. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار، وقال مالك: ليست في الميراث، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام. ﴿فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: في القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ

سورة براءة

وتسمى سورة التوبة، وتسمى أيضا الفاضحة؛ لأنها كشفت أسرار المنافقين، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها، واختلف في سبب ذلك؟ فقال عثمان بن عفان ﷺ: أشبهت معانيها معاني الأنفال، وكانت تدعى القرينتين في زمان رسول الله ﷺ، فلذلك قرنت بينهما، ووضعتهما في السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتركت البسملة بينهما لذلك. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف؛ فلذلك لم تبدأ بالأمان. ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ المراد بالـ"براءة" التبرؤ من المشركين، وارتفاع "براءة" على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ. ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فـ"من" و"إلى" يتعلقان بمحذوف لا بـ"براءة"، وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله "عاهدتم"؛ لأن فعل النبي ﷺ لازم للمسلمين فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة، فمنهم من وفى فأمره الله أن يتم عهده إلى مدته، ومنهم من نقض أو قارب النقض، فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد. ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: سيروا آمنين أربعة أشهر، هي الأجل الذي جعل لهم، واختلف في وقتها، فقيل: هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ لأن السورة نزلت حينئذ، وذلك عام تسعة. وقيل: هي من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر؛ لأنهم إنما أعلموا بذلك حينئذ، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق ﷺ فحج بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب ﷺ فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة، وقيل: يوم النحر. ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾ أي: لا تفوتونه. ﴿وَأَذَانٌ﴾ أي: إعلام بتبرئ الله تعالى ورسوله من المشركين. ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس، من عاهد ومن لم يعاهد، وللمشركين وغيرهم. ﴿الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة أو يوم النحر، وقيل: أيام الموسم كلها، وعبر عنها بـ"يوم" كقولك: يوم صفين والجمل، وكانت أياما كثيرة. ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء، وحذفت الباء تخفيفا، وقرئ "إن الله" بالكسر؛ لأن الأذان في معنى القول. ﴿وَرَسُولُهُ﴾ ارتفع بالعطف على الضمير في "بريء"، أو بالعطف على موضع اسم "أن"، أو بالابتداء وخبره محذوف، وقرئ بالنصب عطفا على اسم "أن"، وأما الخفض فلا يجوز فيه بالعطف على "المشركين"؛ لأنه معنى فاسد، ويجوز على الجوار

فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ

أو على القسم؛ وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يعني التوبة من الكفر. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ يريد الذين لم ينقضوا العهد. ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ هي الأشهر الأربعة التي جعلت لهم، فمن قال: إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، فهي الحرم المعروفة، زاد فيها شوال ونقص منها رجب، وسميت حرما تغليبا للأكثر، ومن قال: إنها إلى ربيع الثاني، فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ. ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ناسخة لكل موادعة في القرآن، وقيل: إنها نسخت أيضا: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ وقيل: بل نسختها هي، فيجوز المن والفداء. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ معناه الأسر، والأخيذ: هو الأسير. ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل طريق، ونصبه على الظرفية. ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ يريد من الكفر ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ، والآية في معنى قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله"، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**» [البخاري: 25]. ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ تأمين لهم. ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ هو من الجوار، أي: استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا؟ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي: إن لم يسلم فرده إلى موضعه، وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم: نسخ بالقتال، وقيل: بقي مدة الأشهر الأربعة. ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه استفهام، ومعناه إنكار واستبعاد. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: المراد قريش، وقيل: قبائل بني بكر. ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ﴾ "ما" ظرفية. ﴿كَيْفَ﴾ تأكيد للأولى، وحذف الفعل بعدها للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد؟

وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ
سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُومِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ
وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى
دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا
تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ
بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّومِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا
يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُومِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ

﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ أي: لا يراعوا. ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الإل: القرابة، وقيل: الحلف، والذمة: العهد. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ استثنى من قضى له منهم بالإيمان. ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: رؤساء أهله، قيل: إنهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة ابن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، حكى ذلك الطبري وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة؛ والأحسن أنها على العموم. ﴿لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي: لا أيمان لهم يوفون بها، وقرئ "لا إيمان" بكسر الهمزة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ يتعلق "بقاتلوا". ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قيل "يعني إخراجه من المدينة حين قاتلوه بأحد والخندق، وقيل: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه. ﴿وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: إذايتهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة. ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد بالقتل والأسر، وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر. ﴿قَوْمٍ مُّومِنِينَ﴾ قيل: إنهم خزاعة، والإطلاق أحسن. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئناف إخبار بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية، معناها: أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر به الطيب من الخبيث، و"أم" هنا بمعنى: بل والهمزة. و﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: يعلم ذلك موجودا لتقوم به الحجة. ﴿وَلِيجَةً﴾ أي: بطانة. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لهم ذلك بالحق

شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟
ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ
إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ

والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغلبا وظلما، ومن قرأ "مساجد" بالجمع أراد جميع المساجد، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام. ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ أي: أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر، وقيل: الإشارة إلى قولهم في التلبية: لا شريك لك إلا شريك هو لك. ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية، سببها: أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج وبعمارة المسجد الحرام، فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك. ونزلت الآية في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة ﷺ افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت وعندي مفاتحه، وقال العباس ﷺ: أنا صاحب السقاية، وقال علي ﷺ: لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله ﷺ. ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ﴾ الآية، قيل: نزلت فيمن ثبط عن الهجرة، ولفظها عام، وكذلك حكمها. ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قيل: هو فتح مكة، وقيل: هو إشارة إلى عذاب أو عقوبة. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطف على "مواطن"، أو منصوب بفعل

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

مضمر، وهو أحسن لوجهين؛ أحدهما: أن قوله "إذ أعجبتكم كثرتكم" مختص بحنين، ولا يصح في غيره من المواطن، فيضعف عطف "يوم حنين" على الـ"مواطن" للاختلاف الذي بينهما في ذلك. والآخر: أن الـ"مواطن" ظرف مكان، و"يوم حنين" ظرف زمان، فيضعف عطف أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالـ"مواطن" الأوقات. و"حنين" اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكر. ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثني عشر ألفا، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»، ونادى أصحابه فرجعوا إليه وهزم الله الكفار [مسلم: 1777]. وقصة حنين مذكورة في السير. ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت على كثرة اتساعها، و"ما" هنا مصدرية. ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة. ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين. ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك، وقاس مالك على المشركين سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد، وجعلها الشافعي عامة في الكفار، خاصة بالمسجد الحرام، فمنع جميع الكفار من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره، وقصرها أبو حنيفة على موضع النص، فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره. ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ يريد عام تسعة من الهجرة، حين حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس، وقرأ عليهم علي رضي الله عنه سورة براءة. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقرا، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذ منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة، ثم فتح الله للمسلمين سائر الأمصار.

قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾

﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أمر بقتال أهل الكتاب، ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد الجسماني. ﴿وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك. ﴿وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في دين الإسلام. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك لقتال النصارى. ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس؛ لقوله ﷺ «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**» [الموطأ: 616]. واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين، ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين. وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهما على أهل الورق، ويؤخذ ذلك من كل رأس. ﴿عَن يَدٍ﴾ فيه تأويلان؛ أحدهما: دفع الذمي لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها، كقولك: يدا بيد، الثاني: عن انقياد واستسلام كقولك: ألقى فلان بيده. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: أذلاء. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود؛ وهم سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف. وقيل: لم يقلها إلا فنحاص؛ ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها؛ والظاهر أن جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم. وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة، فحفظها الله عزيرا وحده، فعلمها لهم، فقالوا: ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه، و"عزير" مبتدأ و"ابن الله" خبره، ومنع "عزير" التنوين لأنه أعجمي لا ينصرف، وقيل: بل هو منصرف، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين؛ وهو ضعيف، وأما من نونه فجعله عربيا. ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله، وذلك كفر شنيع. ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يتضمن معنيين؛ أحدهما: إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك، والثاني: أنهم لا حجة لهم عليه، وإنما هو مجرد دعوى، كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك. ﴿يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ معنى "يضاهون" يشابهون، فإن كان الضمير لليهود والنصارى فالإشارة بقوله "الذين كفروا من قبل" للمشركين من العرب إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر، أو للصابئين، أو لأمم متقدمة. وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى فـ"الذين كفروا من قبل" هم أسلافهم المتقدمون. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وقيل: معناه لعنهم الله. ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب.

ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي: أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم. ﴿وَالْمَسِيحَ﴾ معطوف على الأحبار والرهبان. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي: أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليهما. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبطلوا نبوة محمد ﷺ، وما جاء به من عبادة الله وتوحيده. ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ إشارة إلى أقوالهم كقولهم: ساحر وشاعر، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا. ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الضمير للرسول ﷺ أو للدين، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق والمغارب، وقيل: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى دين إلا دين الإسلام. ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ هي الرشوة على الأحكام وغير ذلك. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ ورد في الحديث: «أن كل ما أديت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز» [سنن البيهقي: 7023]. وقال أبو ذر رضي الله عنه وجماعة من الزهاد: كل ما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى، وقيل: هي الفضة واكتفى بذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد. ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ العامل في الظرف "اليم"، أو محذوف. ﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير "ينفقونها". ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة؛ أولها المحرم وآخرها ذو الحجة، وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن؛ والأول أرجح لقوله ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يعني أن تحريم الأشهر

فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا

الحرم هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم. ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الضمير في قوله "فيهن" للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها، وإن كان الظلم ممنوعا في غيرها، وقيل: الضمير للإثنى عشر شهرا وهي الزمان كله؛ والأول أظهر. ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوهم في الأشهر الحرم، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها، و"كافة" حال من الفاعل أو المفعول. ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ هو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت محرمة عليهم في الأشهر الحرم، فيشق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام، ويحرمون شهرا آخر بدلا منه، فربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى يكملوا في العام أربعة أشهر محرمة. ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي: تارة يحلونه وتارة يحرمونه، ولم يرد العام حقيقة. ﴿لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهي الأربعة. ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يعني إحلالهم القتال في الأشهر الحرم. ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ﴾ عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك. ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ عبارة عن تخلفهم، وأصل "اثاقلتم" تثاقلتم. ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ شرط وجزاء، وهذا العذاب في الدنيا أو في الآخرة. ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ شرط وجواب، والضمير لرسول الله ﷺ. فإن قيل: كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه؟ فالجواب: أن المعنى إن لم تنصروه أنتم، فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدل بقوله "فقد نصره الله" على نصره في المستقبل. ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة وأسند إخراجه إلى الكفار؛ لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه. ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ﴾ يعني أبا بكر رضي الله عنه. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني

فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾

بالنصر واللطف. ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير للرسول ﷺ، وقيل: لأبي بكر ﷺ؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة يوم بدر وغيره. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى﴾ يريد بإذلالها ودحضها. ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ قيل: هي "لا إله إلا الله"، وقيل: الدين كله. ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ أمر بالنفير إلى الغزو، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة، والثقل من يمكنه بصعوبة، وقال بعض العلماء: الخفيف الغني والثقيل الفقير، وقيل: الخفيف الشاب والثقيل الشيخ، وقيل: الخفيف النشيط والثقيل الكسلان؛ وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى﴾ الآية. ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية، نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا أو إلى مسافة قريبة لفعلوه. ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: الطريق والمسافة. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب أو بتخلفهم عن الغزو. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآية، كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك، فأذن لهم فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم، وقدم العفو على العتاب إكراما له ﷺ، وقيل: إن قوله "عفا الله عنك" ليس لذنب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام كما تقول: أصلحك الله. ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا نستأذنه في القعود، فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم، فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع. ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية، أي: لا يستأذنك في التخلف عن الغزو لغير عذر

إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ

من يؤمن بالله واليوم الآخر. ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكّت. ونزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس. ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ﴾ الآية، أي لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه. ﴿انبِعَاثَهُمْ﴾ أي خروجهم. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: كسر عزمهم، وجعل في قلوبهم الكسل. ﴿وَقِيلَ اقْعُدُواْ﴾ يحتمل أن يكون القائل لهم "اقعدوا" هو الله تعالى؛ وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض. ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أي: مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذم لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء. ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ أي: شرا وفسادا. ﴿ولأَوْضَعُواْ﴾ أي: أسرعوا السير، والإيضاع سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون بالفساد والنميمة. ﴿خِلاَلَكُمْ﴾ أي: بينكم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: يحاولون أن يفتنوكم. ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم، وقيل: يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم. ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: طلبوا الفساد، وروي: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين. ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ﴾ أي: دبروها من كل وجه فأبطل الله سعيهم. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين: ائذن لي في القعود ولا تفتني برؤية بنات الأصفر؛ فإني لا أصبر عن النساء. ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ أي: وقعوا في الفتنة التي فروا منها. ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الـ"حسنة" هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك. ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: حذرنا وتأهبنا من قبل. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما قدر وقضى، وهذا رد على المنافقين. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ أي: هل تنتظرون بنا إلا أحد أمرين؛ إما الظفر والنصر،

وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ

وإما الموت في سبيل الله، وكل واحد من الخصلتين حسن. ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ المصائب وما ينزل من السماء، أو عذاب الآخرة. ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني القتل. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد. ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ تضمن الأمر هنا معنى الشرط فاحتاج إلى الجواب، والمعنى: لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها، والطوع والكره عموم في الإنفاق، أي: لن يتقبل على كل حال. ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ الآية، تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم، ويحتمل أن يكون "أنهم كفروا" فاعل "ما منعهم"، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ قيل: عذابهم في الدنيا بالمصائب، وقيل: بها ألزموا من أداء الزكاة. ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ إخبار بأنهم يموتون على الكفر. ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين. ﴿يَفْرَقُونَ﴾ أي: يخافون. ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي: ما يلجؤون إليه من المواضع. ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ هي الغيران في الجبال. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وزنه مفتعل من الدخول، ومعناه: نفق أو سرب في الأرض. ﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسارعون. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك على قسمتها، والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها، وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل!. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ الآية، ترغيب لهم فيما هو خير لهم، وجواب "لو" محذوف تقديره: لكان ذلك خيرا لهم. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الآية، "إنما" هنا تقتضي حصر "الصدقات"، وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية؛

وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم، ومذهب مالك أن تفريقها في هذه الأصناف إلى اجتهاد الإمام، فله أن يجعلها في بعضهم دون بعض، ومذهب الشافعي أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء. واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس؟ وقيل: هما سواء. وقيل: الفقير الذي يسأل الناس ويُعلم حاله، والمسكين ليس كذلك. ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ الذين يقبضونها ويفرقونها. ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كفار يعطون ترغيبا في الإسلام. وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم، واختلف هل بقي حكمهم، أو سقط للاستغناء عنهم؟ ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يعني العبيد يشترون ويعتقون. ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ يعني من كان عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف. ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني الجهاد، فيعطى منها المجاهدون، ويشترى منها الآلات للحرب، واختلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟ ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج. ﴿فَرِيضَةً﴾ أي: حقا محدودا، ونصبه على المصدر، فإن قيل: لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين؟ فالجواب: أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها، فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله "ومنهم من يلمزك في الصدقات" الآية. ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ يعني من المنافقين، وإذايتهم له ﷺ بالأقوال والأفعال. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كل ما يقال له ويصدقه، وروي أن قائل هذه المقالة هو نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين، وقيل: عتاب بن قيس. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ أي: هو يسمع الخير والحق. ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدقهم، يقال: آمنت لك إذا صدقتك، ولذلك تعدى الفعل هنا باللام، وتعدى "يومن بالله" بالباء. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطف على "أذن خير لكم"، وبالخفض عطف على "خير". ﴿يَحْلِفُونَ﴾ يعني: المنافقين. ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك؛ فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليه، وقيل: إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد. ﴿يُحَادِدِ﴾ يعني: يعادي ويخالف. ﴿فَأَنَّ لَهُ﴾ "أن" هنا مكررة تأكيدا للأولى، وقيل: هي بدل منها، وقيل: التقدير فواجب أن له، فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف.

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن يُعْفَ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: تنزل في شأنهم سورة على النبي ﷺ، والضمائر في "عليهم" و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ و﴿قُلُوبِهِم﴾ تعود على المنافقين، وقال الزمخشري: الضمير في "عليهم" و"تنبئهم" للمؤمنين، و"في قلوبهم" للمنافقين؛ والأول أظهر. ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوٓا﴾ تهديد. ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ صنع ذلك بهم في هذه السورة لأنها فضحتهم. ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في وديعة بن ثابت، بلغ النبي ﷺ أنه قال: هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات! فسأله عن ذلك، فقال: إنما كنا نخوض ونلعب. ﴿إِن يُعْفَ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ كان رجل منهم اسمه مخشن بن حمير تاب ومات شهيدا. ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ نفي لأن يكونوا من المؤمنين. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن البخل. ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: غفلوا عن ذكره. ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ الأصل في الشر أن يقال: أوعد، وإنما يقال فيه: وعد إذا صرح بالشر. ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ يعني: المجاهرين بالكفر. ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين والكاف في موضع نصب والتقدير: فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم، أو في موضع خبر مبتدأ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: خلطتم، وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يقال إلا في الباطل من الكلام. ﴿كَالَّذِي خَاضُوٓا﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا، وقيل: كالذين خاضوا، فـ"الذي" هنا على هذا بمعنى الجميع. ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الآية،

وَٱلْمُوتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُومِنُونَ وَٱلْمُومِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَامُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُوتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىٓءُ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ

تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ يعني: مدائن قوم لوط. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: المعجزات. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله في المنافقين "بعضهم من بعض"؛ ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية. ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قيل "عدن" هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري: هو اسم علم. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوان الله أكبر من كل ما ذكر، وذلك معنى ما ورد في الحديث: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: أتريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا، وأي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدا**» [البخاري: 6183]. ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ جاهد الكفار بالسيف، وجاهد المنافقين باللسان، ما لم يظهر ما يدل على كفرهم؛ فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا؟ ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الغلظة ضد الرحمة والرأفة، وقد تكون بالفعل والقول وغير ذلك. ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ نزلت في الجلاس بن سويد، فإنه قال: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقرره عليه، فحلف أنه ما قاله. [عبد الرزاق: 18303]. ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ يعني ما تقدم من قول الجلاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب. ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ لم يقل بعد إيمانهم؛ لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ همَّ الجلاس بقتل من بلَّغ تلك المقالة عنه، وقيل: همَّ بقتل النبي ﷺ، وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، وكلمة الكفر التي قالها قوله: سمن كلبك يأكلك، وهمه بما لم ينله قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾. ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: ما عابوا إلا الغنى الذي كان حقه أن يشكروا عليه، وذلك في الجلاس أو في عبد الله بن أبي. ﴿فَإِن يَتُوبُوا﴾ فتح الله لهم باب التوبة؛ فتاب الجلاس وحسن حاله.

وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ الآية، نزلت في ثعلبة بن حاطب؛ وذلك أنه قال: يا رسول الله! ادع الله أن يكثر مالي. فقال له ﷺ: «قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه» فأعاد عليه حتى دعا له، فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية، فجاء بزكاته إلى النبي ﷺ، فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: «إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك» ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان رضي الله عنهم [الطبراني: 7873]. ﴿بَخِلُواْ بِهِ﴾ إشارة إلى منعه الزكاة. ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ ذلك عقوبة على العصيان بما هو أشد منه. ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ حكم بوفاته على النفاق. ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ نزلت في المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا: ما هذا إلا رياء. وأصل المطوعين: المتطوعين، والمراد به هنا من تصدق بكثير. ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به، نزلت في أبي عقيل رضي الله عنه تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخفون بهم. ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون لفظ أمر ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين، والآخر: أن يكون تخييرا، كأنه قال: إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم؛ وهذا أرجح لقوله ﷺ: «إن الله خيرني فاخترت»، وذلك حين قال له عمر رضي الله عنه: أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه!؟ [البخاري: 4393] ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير. ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ أي: الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم. ﴿خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أي: بعده حين خرج

وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ

إلى تبوك فـ"خلاف" على هذا ظرف، وقيل: هو مصدر من خالف، فهو على هذا مفعول من أجله. ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾ قال هذه المقالة رجل من بني سلمة ممن صعب عليه السفر في الحر إلى تبوك. ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ أمر بمعنى الخبر؛ فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير في الآخرة، وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا في الدنيا لما وقعوا فيه. ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ إنما لم يقل إليهم؛ لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف. ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ. ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ يعني في غزوة تبوك. ﴿مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ أي: مع القاعدين وهم النساء والصبيان. ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات، فروي أنه صلى عليه فنزلت الآية بعد ذلك [البخاري: 4393]. وروي أنه ﷺ لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ بثوبه وتلا عليه "ولا تصل على أحد منهم مات أبدا" الآية، فانصرف رسول الله ﷺ ولم يصل عليه [أبو يعلى: 3622]. ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ قيل: يعني براءة؛ والأرجح أنه على الإطلاق. ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ﴾ "أن" هنا مفسرة. ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ أي: أولوا الغنى والمال الكثير. ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية، أي إن تخلف هؤلاء، فقد جاهد الرسول ومن معه. ﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُ﴾ تعم منافع الدارين، وقيل: هي الحور العين؛ لقوله ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾. ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ أصله المعتذرون، ثم

وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

أدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين، واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه ولم يجد، فوزنه على هذا المفعلون، وروي أنها نزلت في قوم من غفار. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا في دعواهم الإيمان. ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: من المعتذرين. ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى﴾ الآية، هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو، وقيل: إن "الضعفاء" هنا هم النساء والصبيان؛ وهذا بعيد. ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ قيل: نزلت في بني مقرن، وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ، وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني. ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ﴾ يعني بنياتهم وأقوالهم، وإن لم يخرجوا للغزو. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين؛ لأنهم نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم. ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قيل: هم بنو مقرن، وقيل: ابن مغفل، وقيل: سبعة نفر من بطون شتى؛ وهم البكاؤون، ومعنى "لتحملهم" على الإبل، وجواب "إذا" يحتمل أن يكون ﴿قُلْتَ لاَ أَجِدُ﴾، أو ﴿تَوَلَّواْ﴾. ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني من غزوة تبوك. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم. ﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني، تقديره: قد نبأنا الله جملة

ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

من أخباركم. ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾ هم أهل البوادي من العرب. ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم. ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا﴾ أي: يثقل عليه الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا. ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ خبر أو دعاء. ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: دعواته لهم، وهو عطف على "قربات" أي: يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم، وقيل: نزلت في بني مقرن. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ قيل: هم من صلى للقبلتين، وقيل: من شهد بدرا، وقيل: من حضر بيعة الرضوان. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ سائر الصحابة، ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان. ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي: اجترؤوا عليه، وقيل: أقاموا عليه. ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ العذاب العظيم هو عذاب النار، وأما المرتان قبله؛ فالثانية منهما عذاب القبر، والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم، وقيل: بفضيحتهم في النفاق. ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ الآية، قيل: إنها في أبي لبابة؛ فعمله الصالح الجهاد، وعمله السيء نصيحته لبني قريظة. وقيل: هي فيمن تخلف عن تبوك من المؤمنين؛ فعملهم الصالح ما سبق لهم، وعملهم السيء تخلفهم عن تبوك. وروي أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد وقالوا: لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله ﷺ. وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة،

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوَٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَاخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُومِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُومِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ

قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه. ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ قيل: نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم، قالوا: يا رسول الله! إنا نريد أن نتصدق بأموالنا، فنزلت هذه الآية، فأخذ ثلث أموالهم، وقيل: هي في الزكاة المفروضة، فالضمير على العموم لجميع المسلمين. ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ في موضع صفة لـ"صدقة"، أو حال من الضمير في "خذ". ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: ادع لهم. ﴿سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾ أي: تسكن بها نفوسهم، فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم. ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ﴾ الضمير في "يعلموا" للتائبين من التخلف، وقيل: للذين تخلفوا ولم يتوبوا، وقيل: عام؛ وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره. ﴿وَيَاخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ قيل: معناه يأمر بها، وقيل: يقبلها من عباده. ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم، وقيل: هم الذين بنوا مسجد الضرار، وقرئ "مرجئون" بالهمز وتركه، وهما لغتان، ومعناه التأخير. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا﴾ قرئ "الذين" بغير واو، صفة لقوله "وءاخرون مرجون"، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ"مرجون لأمر الله": هم أهل مسجد الضرار، وقرئ "والذين" بالواو عطف على "ءاخرون مرجون"، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ"مرجون": إنهم الثلاثة الذين خلفوا. ﴿ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا﴾ كان بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم ابن عوف وبنو سالم بن عوف، فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا، وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه ويصلي لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية. ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُومِنِينَ﴾ أرادوا أن يفترق المؤمنون عن مسجد قباء. ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ أي: انتظارا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ: الفاسق، وكان من أهل المدينة، فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزب الأحزاب من المشركين،

وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أُسِّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك، وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد، والإشارة بقوله "من قبل" إلى ما فعل مع الأحزاب. ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا الْحُسْنَى﴾ أي: الخصلة الحسنى، وهي الصلاة وذكر الله، فأكذبهم الله في ذلك. ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي عن إتيانه والصلاة فيه، وكان رسول الله ﷺ لا يمر بطريقه. ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ قيل: هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال: إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة على قول من قال: إنه مسجد قباء. ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الآية، استفهام بمعنى التقرير، والذي أسس على التقوى والرضوان مسجد المدينة، أو مسجد قباء، والذي أسس على شفا جرف هار هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البارع، ومعنى "شفا جرف" طرف حفرة، ومعنى "هار" ساقط أو واهي، بحيث أشفى على السقوط، وأصل "هار" هاير، فهو من المقلوب؛ لأن لامه جعلت في موضع العين. ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: طاح في نار جهنم، وهذا ترشيح للمجاز؛ فإنه لما شبهه بالجرف وصفه بالانهيار الذي هو من شأن الجرف، وقيل: إن ذلك حقيقة، وإنه سقط في جهنم وخرج الدخان من موضعه؛ والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهدم. ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه، أي: شك في الإسلام بسبب بنيانه، لاعتقادهم صواب فعلهم، أو غيظ بسبب هدمه. ﴿إِلَّآ أَن تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إلا أن يموتوا. ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة، وحكمها عام في كل مؤمن يجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم: ما أكرم الله!

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي؛ فإنها لصفقة رابحة. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة في موضع الحال، بيان للشراء. ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ قال بعضهم: ناهيك عن بيع البائعُ فيه ربُّ العلا، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ. ﴿التَّائِبُونَ﴾ وما بعده أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم تقديره هم التائبون. ﴿السَّائِحُونَ﴾ قيل: معناه الصائمون، ويقال: ساح في الأرض أي: ذهب. ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في شأن أبي طالب، فإنه لما امتنع أن يقول: "لا إله إلا الله" عند موته، قال له رسول الله ﷺ: «**والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**» فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية. [البخاري: 1294]. وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية [دلائل النبوة: 1/ 190]. وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت [الطبري: 11/ 43]. ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ المعنى: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا لوعد تقدم، وهو قوله ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قيل: تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر، وقيل: لأنه نُهي عن الاستغفار له. ﴿أَوَّاهٌ﴾ قيل: كثير الدعاء، وقيل: موقن، وقيل: فقيه، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: كثير التأوه من خوف الله. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية، نزلت في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

تأنيسا لهم، أي: ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يتبين لكم المنع من ذلك. ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني حين محاولة غزوة تبوك، وال"ساعة" هنا بمعنى الحين والوقت وإن كانت مدة، و"العسرة" الشدة وضيق الحال. ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني تزيغ عن الثبات على الإيمان، أو عن الخروج في تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقة، وفي "كاد" ضمير الأمر والشأن، أو ترتفع بها القلوب. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على هذا الفريق، أي: رجع بهم عما كادوا يقعون فيه. ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ﷺ تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصد للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم، وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد وقع حديثهم في البخاري [4156] ومسلم [2769] والسير. ومعنى "خلفوا" هنا عن الغزو، وقال كعب بن مالك ﷺ: معناه: خلفوا عن قبول العذر وليس بالتخلف عن الغزو، ويقوي ذلك كونه جعل "إذا ضاقت" غاية للتخلف. ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي: رجع بهم ليستقيموا على التوبة. ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم. والمراد بـ"الصادقين" المهاجرون لقول الله في الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وقد احتج بها أبو بكر الصديق ﷺ على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، قد أمركم الله أن تكونوا معنا؛ أي: تابعين لنا. ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية، عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحملها هو ﷺ. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل لما يجب من عدم التخلف. ﴿ظَمَأٌ﴾ أي: عطش. ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب. ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع.

وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وَلاَ يَطَـؤُونَ﴾ يعني: بأرجلهم أو بدوابهم. ﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْـلاً﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار. ﴿وَمَـا كَانَ الْمُومِنُـونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ قـال ابن عباس ﷺ: هذه الآية في البعـوث إلى الغزو والسرايا؛ أي: لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمـة على التخلف عنه. فالآيـة الأولى في الخروج معه ﷺ، وهذه في السرايـا التي كان يبعثها، وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع، فهي دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، وقيل: هي في طلـب العلم، ومعناها: أنها لا تجـب الرحلة في طلب العلم على الجميع بل على البعض؛ لأنه فرض كفاية. ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ تحضيض على نفور بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم. ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّيـنِ﴾ إن قلنـا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم فالضمير في "يتفقهـوا" للفرقة التي تنفر؛ أي: ترحل، وكذلـك الضمـير في "ينذروا"، وفي "رجعوا"؛ أي: يعلمون قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة. وإن قلنا: إن الآية في السرايا فالضمير في "يتفقهوا" للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وكذلك الضمير في "ينـذروا"، وأمـا الضمـير في "رجعـوا" فهو للفرقـة التي خرجت مـع السرايا، وقيـل: إن التفقه يكون حين خروجهـم مع السرايا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم. ﴿قَاتِلُـواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّـنَ الْكُفَّارِ﴾ أمر بقتال الأقرب فالأقرب على التدريج، وقيل: إنها إشـارة إلى قتال الروم بالشـام؛ لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدة. ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن، كأنهم يقولون: أي عجب في هذا، وأي دليل في هذا؟ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وذلك لما

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ المرض عبارة عن الشك والنفاق، ومعنى "زادتهم رجسا الى رجسهم": زادتهم كفرا إلى كفرهم ونفاقهم. ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: يفتنون؛ أي: يختبرون بالأمراض والجوع، وقيل: بالأمر بالجهاد؛ واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم. ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض: "هل يراكم من احد" فينقل عنكم هذا الاستخفاف، فقولهم: "هل يراكم من احد" كان بسبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك، وقيل: معنى "نظر بعضهم إلى بعض" على وجه التعجب مما ينزل في القرآن من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: "هل يراكم من احد" أي: هل رأى أحد أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل، فهذا أيضا على وجه التعجب. ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاء أو خبر. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ تعليل لصرف قلوبهم. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ، والخطاب للعرب، أو لقريش خاصة، أي: من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته، أو لبني آدم كلهم أي: من جنسكم. وقرئ "من أنفَسكم" بفتح الفاء؛ أي: من أشرفكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه عنتكم، والعنت هو ما يضركم في دينكم أو دنياكم، و"عزيز" صفة لـ"رسول"، و"ما عنتم" فاعل بـ"عزيز" و"ما" مصدرية، أو "ما عنتم" مبتدأ و"عزيز" خبر مقدم، والجملة في موضع الصفة. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: حريص على إيمانكم وسعادتكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه، وقيل: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمُۥٓ أَنَ اَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ اِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلَارْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلَامْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ اِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ اِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ اَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ

سورة يونس عليه السلام

﴿الـر﴾ تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور. ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، و"الكتاب" هنا القرآن. ﴿الْحَكِيمِ﴾ من الحكمة، أو من الحكم، أو من الإحكام للأمر؛ أي: أحكمه الله. ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمُۥٓ أَنَ اَنذِرِ النَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و"عجبا" خبر "كان"، و"أنَ اوحينا" اسمها، و"أنَ انذر" تفسير للوحي، والمراد بـ"الناس" هنا كفار قريش وغيرهم، والـ "رجل" هنا رسول الله ﷺ، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة، أو تعجب من أن يبعث الله رجلا. ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي: عمل صالح قدموه، وقال ابن عباس رضي الله عنه: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ. ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون ما جاء به من القرآن، وقرئ "لساحر" يعنون النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيرا لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، أو يكون خبرا مستأنفا. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول: إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السماوات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟! ﴿مَا مِن شَفِيعٍ اِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: لا يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ نصب "وعد" على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى "الله"، ونصب "حقا" على المصدر المؤكد لـ"وعد الله". ﴿يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يبدؤه في الدنيا ويعيده بعد الموت في الآخرة، والبدءة دليل على العودة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليل للعودة وهي البعث. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل في جزائهم، أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وصف أفعال الله وحكمته وقدرته، والضياء أعظم من النور. ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ الضمير لـ"القمر"، والمعنى: قدر سيره في المنازل. ﴿وَالْحِسَابَ﴾ يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي.

مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أي: ما خلقه عبثا، والإشارة بـ"ذلك" إلى ما تقدم من المخلوقات. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معنى "يرجون" هنا يخافون، وقيل: لا يرجون حسن لقاءنا؛ فالرجاء على أصله، وقيل: لا يرجون: لا يتوقعونه أصلا ولا يخطر ببالهم. ﴿وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ أي: قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم. ﴿وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي: سكنت نفوسهم عن ذكر الانتقال عنها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ـايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى فيكون من عطف الصفات أو تكون غيرها. ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي: يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة، أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة؛ وهذا أرجح لما بعده. ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم. ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي: لو عجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا، ونزلت الآية عند قوم في دعاء إنسان على نفسه وماله وولده، وقيل: نزلت في الذين قالوا: ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾. ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتاب في ضمنه نهي لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه حين العافية. ﴿لِجَنبِهِ﴾ أي: مضطجعا، وروي أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض كان به. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ إخبار في ضمنه وعيد للكفار. ﴿لِنَنظُرَ﴾ معناه ليظهر في

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

الوجود لتقوم الحجة عليكم. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ يعني على قريش. ﴿قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما تلوته إلا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده وما هو من عندي. ﴿وَلَآ أَدْرَاكُم بِهِ﴾ أي: ولا أعلمكم به. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصل من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بيان لظلمهم في تكذيب رسول الله ﷺ. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ الضمير في "يعبدون" لكفار العرب، و"ما لا يضرهم ولا ينفعهم" هي الأصنام. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَآءِ شُفَعَآؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾ رد عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السماوات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء، فقوله: "أتنبئون" تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم؛ أي: كيف تعلمون الله بما لا يعلم؟. ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدم في البقرة في قوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القضاء. ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوها، ولقد نزلت عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم. ﴿فَقُلِ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، ولا يطلع على ذلك أحد. ﴿فَانْتَظِرُواْ﴾ أي: فانتظروا نزول ما اقترحتموه. ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ أي: منتظر لعقابكم على كفركم.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ هذه الآية في الكفار، وتتضمن النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم؛ سماه مكرا مشاكلة لفعلهم وتسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ الضمير المؤنث في "جرين" لـ"الفلك"، والضمير في "بهم" للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات، وجواب "إذا كنتم" قوله ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾. وقوله: ﴿دَعَوُاْ اللَّهَ﴾ قال الزمخشري: هو بدل من "ظنوا"، ومعناه: دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه. ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: ذلك متاع، أو يكون خبر "إنما بغيكم"، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب. ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ﴾ معنى الآية: تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها، فشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله. ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالزرع والفواكه. ﴿وَالأَنْعَامُ﴾ يعني المرعى التي ترعاه من العشب وغيرها. ﴿أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعروس إذا تزينت بالثياب والحلي. ﴿قَادِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: متمكنون من الانتفاع بها. ﴿أَتَاهَآ أَمْرُنَا﴾ أي: بعض الجوائح كالريح والصر وغير ذلك. ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: جعلنا زرعها كالذي حصد وإن كان لم يحصد. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ أي: كأن لم تنعم. ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾ أي: إلى الجنة؛ وسميت دار السلام أي: دار السلامة من الفناء والتعب، وقيل "السلام" هنا اسم الله، أي: يدعو إلى داره. ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامة

لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

مطلقة، والهداية خاصة بمن يشاء. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ "الحسنى" الجنة، والـ"زيادة" النظر إلى وجه الله، وقيل "الحسنى" جزاء الحسنة بعشر أمثالها، والـ"زيادة" التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة؛ والأول أصح لوروده في الحديث وكثرة القائلين به. ﴿قَتَرٌ﴾ أي: غبار يغبر الوجه. ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ على حذف مضاف تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، أو على تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوف على "الذين أحسنوا"، ويكون "جزاء سيئة" مبتدأ، وخبره "بمثلها". ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من عذاب الله. ﴿قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ من قرأ "قطعا" بفتح الطاء فهو جمع قطعة، وإعراب "مظلما" على هذه القراءة حال "من الَّيل"، ومن قرأ "قطعا" بإسكان الطاء فـ"مظلما" صفة له أو حال "من الليل". ﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزموا مكانكم؛ أي: لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرقنا. ﴿تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: تختبر بما قدمت من الأعمال، وقرئ "تتلو" بتاءين بمعنى تتبع، أو تقرؤه في المصاحف. ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ الآية، احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة لا محيص لهم عن الإقرار بها. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مذكور في آل عمران. ﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ أي: عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحق فيها في طرف واحد بخلاف مسائل الفروع. ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ المعنى كما حق الحق في الاعتقادات

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾

كذلك حقت كلمات ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون، والـ"كلمة" يراد بها القدر والقضاء.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآية، احتجاج أيضا على الكفار، فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب: أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة؛ ففي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة هنا موضع المتفق عليه لظهور برهانها. ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾ بتشديد الدال، معناه: لا يهتدي في نفسه فكيف يهدي غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدي غيره؛ والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج. ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ "ما" استفهامية معناها تقرير وتوبيخ، و"لكم" خبرها، ويوقف عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا﴾ أي: غير تحقيق؛ لأنه لا يستند إلى برهان. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ذلك في الاعتقادات؛ إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع. ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في البقرة. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ "أم" هنا بمعنى بل والهمزة. ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم. ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ يعني: شركاءهم وغيرهم من الجن والإنس. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله. ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ أي: سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: علم تأويله، أو يعني بـ"تأويله" الوعيد الذي لهم فيه. ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية، فيها قولان؛ أحدهما: إخبار بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر، والآخر: أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه ومنهم من هو مكذب. ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ الآية،

وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾

موادعة منسوخة بالقتال. ﴿مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمل على معنى "من". ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المعنى: أتريد أن تسمع الصم؟ وذلك لا يكون، لا سيما إذا انضاف إلى الصمم عدم العقل. ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ المعنى: أتريد أن تهدي العمي؟ وذلك لا يكون، لا سيما إذا انضاف إلى عمى البصر عمى البصيرة، والصم والعمي عبارة عن قلة فهمهم. ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليل لمدة بقائهم في الدنيا أو في القبور. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يوم الحشر، فهو على هذا عامل في "يوم نحشرهم"، أو حال من الضمير في "يلبثوا". ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرط جوابه ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾؛ والمعنى: إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت "ثم" لترتيب الأخبار لا لترتيب الأمر، قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب. فالترتيب على هذا صحيح. ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل: مجيئه في الآخرة للفصل، وقيل: مجيئه في الدنيا وهو بعثه. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ كلام فيه استبعاد واستخفاف. ﴿بَيَاتًا﴾ أي: بالليل. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى: أي شيء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به، وقوله "ماذا" جواب "إن أتاكم"، والجملة متعلقة بـ"أرأيتم". ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ دخلت همزة التقرير على "ثم" العاطفة، والمعنى: إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن، وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلون به مكذبين به.

وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: يسألونك هل الوعيد حق؟ أو هل الشرع والدين حق؟ والأول أرجح لقوله ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تفوتون من الوعيد. ﴿قُلْ إِي﴾ أي: نعم. ﴿ظَلَمَتْ﴾ صفة لـ"نفس"؛ أي: لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة. ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها. ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يشفي ما فيها من الجهل والشك. ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ يتعلق "بفضل الله" بقوله "فليفرحوا"، وكرر الباء في قوله "بذلك" تأكيدا، والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله ورحمته لا بغيرهما، والـ"فضل" والـ"رحمة" عموم، وقد قيل: الـ"فضل" الإسلام والـ"رحمة" القرآن. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ الآية، مخاطبة لكفار العرب الذين حرّموا البحيرة والسائبة وغير ذلك. ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بـ"أرأيتم"، وكرر "قل" للتأكيد، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم أو افترائهم ثبت افتراؤهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك. ﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيد للذين يفترون. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف منصوب بالـ"ظن"، والمعنى: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟. ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ الـ"شأن" الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وجميع الخلق، ولذلك قال في آخرها ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء. ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الضمير عائد على الـ"قرءان"، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه، كأنه قال: ما تتلوا شيئا من القرآن، وقيل: يعود على الـ"شأن"، والأول أرجح؛ لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء. ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ

يقال: أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجد. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ ما يغيب. ﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، والـ"ذرة" صغار النمل، قال الزمخشري: إن قلت: لم قدمت ﴿الأَرْضِ﴾ على ﴿السَّمَاء﴾ بخلاف سورة سبأ؟ فالجواب: أن "السماء" قدمت في سبأ لأن حقها التقديم، وقدمت "الأرض" هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض. ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ "مثقال"، ومن قرأهما بالرفع عطف على موضعه أو رفع بالابتداء. ﴿أَوْلِيَآءَ اللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافا كثيرا؛ والحق فيه ما فسره الله بعد هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي، وإعراب "الذين ءامنوا" صفة لـ"أولياء"، أو منصوب على التخصيص، أو رفع بإضمار: هم الذين، ولا يكون ابتداء مستأنفا لئلا ينقطع مما قبله. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقا، وأما بشرى الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ، وقيل: محبة الناس للرجل الصالح، وقيل: ما بشر به في القرآن من الثواب. ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده، وقد استدل بها ابن عمر رضي الله عنه على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله. ﴿وَلَآ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني ما يقوله الكفار من التكذيب. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر وتسلية له. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ فيها وجهان؛ أحدهما: أن تكون "ما" نافية، وأوجبت بقوله "إلا الظن" وكرر "إن يتبعون" توكيدا، والمعنى: ما يتبع الكفار إلا الظن. والوجه الثاني: أن تكون "ما" استفهامية ويتم الكلام عند قوله "شركاء"، والمعنى: أي شيء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه، ثم ابتدأ الإخبار بقوله "إن يتبعون إلا الظن"، والعامل في "شركاء" على الوجهين "يدعون". ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ من السكون وهو ضد الحركة. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئا تبصرون فيه الأشياء. ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير للنصارى، ولمن قال إن الملائكة بنات الله. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ وصف يقتضي نفي الولد،

لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا

والرد على من نسبه لله؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بيان وتأكيد لـ"الغني"، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم. ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ تقديره: لهم متاع في الدنيا. ﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه عبد الغفار، وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله. ﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ أي: صعب وشق. ﴿مَقَامِي﴾ أي: قيامي لوعظكم والكلام معكم، وقيل: معناه مكاني؛ يعني نفسه، كقولك: فعلت ذلك لمكان فلان. ﴿فَأَجْمِعُواْ﴾ بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه، وقرئ بألف وصل من الجمع. ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: ما تعبدون من دون الله، وإعرابه: مفعول معه، أو مفعول بفعل مضمر تقديره: ادعوا شركاءكم؛ هذا على القراءة بقطع الهمزة، وأما على الوصل فهو معطوف. ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لم يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا، ولكن مكشوفا تجاهرونني به، وهو من قولك: غم الهلال إذا لم يظهر، والمراد بقوله "أمركم" في الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام؛ أي: لا تقصروا في إهلاكي إن قدرتم على ذلك. ﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ﴾ أي: انفذوا فيما تريدون، ومعنى الآية: أن نوحا عليه السلام قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون، فإني لا أبالي بكم لتوكلي على الله وثقتي به سبحانه. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ أي: يخلفون من هلك بالغرق. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً﴾ يعني هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم. ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول "أتقولون"

وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾

فهو من كلام قوم فرعون؛ وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر، لقولهم "إن هذا لسحر مبين"، فكيف يستفهمون عنه؟ وقيل: إنه من كلام موسى تقريرا وتوبيخا لهم، فيوقف على قوله "أتقولون للحق لما جاءكم"، ويكون معمول "أتقولون" محذوفا تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر، ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم "إن هذا لسحر مبين"، فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله. ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي: لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا. ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: الملك، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام. ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ "ما" موصولة مرفوعة بالابتداء، و"السحر" الخبر، وقرئ "آلسحر" بالاستفهام؛ فـ"ما" على هذا استفهامية، و"آلسحر" خبر ابتداء مضمر. ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى، أو إخبار من الله تعالى. ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير عائد على "موسى"، ومعنى الـ"ذرية": شبان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون، وقيل: إن الضمير عائد على "فرعون"، فالـ"ذرية" على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا: أنها امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور. ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ الضمير يعود على الـ"ذرية"؛ أي: آمنت ذرية من بني إسرائيل على خوف من فرعون وملإ بني إسرائيل؛ لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون، وقيل: يعود على "فرعون" بمعنى آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بدل من "فرعون". ﴿لَعَالٍ فِي الأَرْضِ﴾ أي: متكبر قاهر. ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تمكنهم من عذابنا

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم؛ فيُفتنون بذلك. ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: اتخذ لهم بيوتا للصلاة والعبادة، وقيل: إنه أراد الإسكندرية. ﴿وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مساجد، وقيل: موجهة إلى جهة القبلة، فإن قيل: لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله "أن تبوءا"، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله "واجعلوا"؟ فالجواب: أن قوله "أن تبوءا" من الأمور التي تختص بها الأنبياء وأولوا الأمر. ﴿وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ﴾ أمر لموسى، وقيل: لمحمد صلى الله عليهما. ﴿رَبَّنَا لِيَضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاء بلفظ الأمر، وقيل: اللام لام كي، ويتعلق بقوله "آتيت". ﴿اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: أهلكها. ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اجعلها شديدة القسوة. ﴿فَلاَ يُومِنُواْ﴾ جواب للدعاء الذي هو "اشدد"، ودعاء بلفظ النهي. ﴿قَدَ اُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده، لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ أي: اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي: لحقهم، يقال: تبعه حتى أتبعه، هكذا قال الزمخشري، وقال ابن عطية: أتبع بمعنى تبع، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك. ﴿لآ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَآئِيلَ﴾ يعني: الله عز وجل، وفي لفظ فرعون مجهلة وتعلثم لكونه لم يصرح باسم الله. ﴿ءَآلاَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: قيل له أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار، وذلك لا يقبل منك. ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي: نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل: نلقيك على نجوة من الأرض، أي: على موضع مرتفع. ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك جسدا دون روح، وقيل: بدرعك، وكان له درع من ذهب يعرف بها، والمجرور في موضع الحال، والباء للمصاحبة. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي: لمن وراءك؛ وهم بنو إسرائيل.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلا حسنا وهو مصر والشام. ﴿فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم، وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ. ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني؛ مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل، وقال الزمخشري: إن ذلك على وجه الفرَضِ والتقدير أي: إن فرضت أن تقع في شك فاسأل. ﴿مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني القرآن والشرع بجملته؛ وهذا أظهر، وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق. ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني الذين يقرؤون التوراة والإنجيل، قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام ومخيرق ومن أسلم من الأحبار؛ وهذا بعيد، لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل الآية على الإطلاق أولى. ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ﴾ خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره. ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: قضى أنهم لا يؤمنون. ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ "لولا" هنا للتحضيض بمعنى هلا، وقرئ في الشاذ "هلا"، والمعنى: هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها، إذ لا ينفع بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون. ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء من "القرى"؛ لأن المراد أهلها، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ويجوز أن يكون متصلا، والجملة في معنى النفي كأنه قال: ما آمنت قرية إلا قوم يونس، وروي في قصصهم: أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم، فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى؛ فرفعه عنهم. ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.

اَفأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُومِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَن تُومِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلُ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلَارْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُومِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُومِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَ اَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنَ اَكُونَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنَ اَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿اَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُومِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: أتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرهم إلى ذلك؛ وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله؟ وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتل حتى يؤمنوا؟ أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نسخت بالسيف. ﴿انظُرُواْ﴾ أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله. ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُومِنُونَ﴾ يعني من قضى الله عليه أنه لا يؤمن، و"ما" نافية، أو استفهامية يراد بها النفي. ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الآية، تهديد. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض بين العامل ومعموله؛ وهما ﴿كَذَٰلِكَ﴾ و﴿نُنجِ الْمُومِنِينَ﴾. ﴿وَأَنَ اَقِمْ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنى القصد والدين. ﴿وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ منسوخ بالقتال، وكذلك قوله ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ وعد بالنصر والظهور على الكفار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا

سورة هود عليه السلام

﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ يعني القرآن، وهو خبر ابتداء مضمر. ﴿أُحْكِمَتْ﴾ أي: أتقنت؛ فهو من الإحكام للشيء. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قيل: معناه بينت، وقيل: قطعت سورة سورة، و"ثم" هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال كقولك: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ "أن" مفسرة، وقيل: مصدرية في موضع مفعول من أجله، أو بدل من الـ"آيات"، أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله ﷺ؛ ويدل على ذلك قوله ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾. ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه لما تقدم من الشرك والمعاصي ثم ارجعوا إليه بالطاعة والإستقامة عليها. ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ أي: ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات، وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأن الكافر قد يمتع في الدنيا بالأرزاق. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني الموت. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي: يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله، والضمير يحتمل أن يعود على "الله" تعالى أو على "ذي فضل". ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ خطاب للناس، وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردون إليه ظهورهم؛ لئلا يرونه من شدة البغضة والعداوة، والضمير في "منه" على هذا يعود على رسول الله ﷺ، وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغل، وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن من أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف، والضمير في "منه" على هذا يعود على "الله" تعالى، أي: يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ما في قلوبهم. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل في "حين" ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، وقيل: المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون "يعلم" استئنافا. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال "على الله" بلفظ الوجوب، وإنما هو

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ

تفضل لأن الله لا يجب عليه شيء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيدا في الضمان؛ لأنه لما وعد به صار واقعا لا محالة، لأنه لا يخلف الميعاد. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ المستقر: صلب الأب، والمستودع: بطن الأم، وقيل: المستقر المكان في الدنيا، والمستودع القبر. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم؛ لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم، ويتعلق "ليبلوكم" بـ"خلق". ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يشيروا إلى القرآن، أو إلى القول بالبعث، يعنون أنه باطل كبطلان السحر. ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة. ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت محدود. ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: أي شيء يمنع هذا العذاب الموعود به؟! وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف. ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا﴾ الآية، ذم لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفخر ويتكبر عند النعم، والـ﴿رَحْمَةً﴾ هنا والـ﴿نَعْمَاءَ﴾ يراد بهما الخيرات الدنيوية، و﴿الْإِنسَانَ﴾ عام يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل. وقيل: المراد بـ"الانسان" الكافر، فالاستثناء على هذا منقطع. ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الآية، كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ أن يأتي بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزؤون بالقرآن، فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تلقي إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك. والمقصود بالآية: تسلية النبي ﷺ عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ولا يبالي بهم، وإنما قال ﴿ضَائِقٌ﴾ ولم يقل ضيق؛ ليدل على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه. ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ،

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٖ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٖ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ

والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ "أم" هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة، والضمير في "افتراه" لما يوحى إليه. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ تحداهم أولا بعشر سور، فلما بان عجزهم عنها تحداهم بسورة واحدة فقال ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، والمماثلة المطلوبة في فصاحته وعلومه. ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ صفة لـ"عشر سور"، وذلك مقابلة لقولهم "افتراه" وليست المماثلة في الافتراء. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ أي: استعينوا بمن شئتم. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيها وجهان؛ أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين؛ أي: إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على أعمالكم بذلك أو زيدوا يقينا به، والثاني: أن يكون خطابا من النبي ﷺ للكفار؛ أي: إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليها، فاعلموا أنه من عند الله؛ وهذا أقوى من الأول لقوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ومعنى "بعلم الله" بإذنه أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب، وقوله "فهل أنتم مسلمون" لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الإسلام وإلزام الكفار أن يسلموا؛ لما قام الدليل على صحة الإسلام بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن. ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية، نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدقون بها، وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسبما ورد في الحديث في القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال ذلك؛ إنهم أول من تُسَعَّر بهم النار؛ والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك. ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ أي: نوف إليهم أجور أعمالهم بما نعطيهم في الدنيا من الصحة والرزق، والضمير في "فيها" يعود على "الدنيا"، والمجرور يتعلق بقوله "نوف" أو بـ"أعمالهم". ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الضمير في "فيها" هنا يعود على "الآخرة" إن تعلق المجرور بـ"حبط"، ويعود على "الدنيا" إن تعلق بـ"صنعوا". ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية، معادلة لما تقدم، والمعنى: أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه، والمراد بـ"من كان على بينة من ربه" النبي ﷺ

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ

والمؤمنون؛ لقوله بعد ذلك ﴿أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ﴾، ومعنى الـ"بينة" البرهان العقلي والأمر الجلي. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في "يتلوه" للبرهان وهو البينة، أو لمن كان على بينة من ربه، والضمير في "منه" للرب تعالى، "ويتلوه" هنا بمعنى يتبع، والـ"شاهد" يراد به القرآن؛ فالمعنى: يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن فيزيد وضوحه وتعظم دلالته، وقيل: إن الـ"شاهد" المذكور هنا هو علي بن أبي طالب ﷺ. ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ أي: ومن قبل ذلك الشاهد كتاب موسى، وهو أيضا دليل آخر متقدم، وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية، وأرجحها ما ذكرنا. ﴿مِنَ الأَحْزَابِ﴾ أي: من أهل مكة. ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد كأصحاب، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء، أو من الشهود بمعنى الحضور فيراد به كل من حضر الموقف. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون اعوجاجها، أو يصفونها بالاعوجاج. ﴿لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ أي: لا يفلتون. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إخبار عن تشديد عذابهم، وليس بصفة لـ"أولياء". ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الآية، "ما" نافية والضمير للكفار، والمعنى: وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وقيل غير ذلك وهو بعيد. ﴿لاَ جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا شك. ﴿أَخْبَتُواْ﴾ أي: خشعوا، وقيل: أنابوا. ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني المؤمنين والكافرين. ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ شبه الكافر بالأعمى والأصم، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع؛ فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ

وتمثيل للكافرين بمثالين، وقيل: التقدير كالأعمى الأصم والبصير السميع؛ فالواو لعطف الصفات. فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد وهو من جمع بين البصر والسمع، وتمثيل للكافر بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ وصف الـ"يوم" بالـ"أليم" على وجه المجاز لوقوع الألم فيه. ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ جمع أرذل، وهم سفلة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم، واعتقادا أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا؛ بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا، وقيل: إنهم كانوا حاكة وحجامين، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل في أفعالهم لقول نوح ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ أي: أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، و"بادي" منصوب على الظرفية، أصله وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه "اتبعك" على أصح الأقوال، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت، وقيل: هو صفة لـ"بشرا مثلنا"؛ أي: غير مثبت في الرأي. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ أي: زيادة شرف، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على برهان وأمر جلي، وكذلك في قصة صالح وشعيب. ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ﴾ يعني النبوة. ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: خفيت، والفاعل الـ"بينة" أو الـ"رحمة". ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنكرهكم على قبولها قهرا، وهذا هو جواب "أرايتم"، ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه: أرأيتم إن هداني الله وأضلكم، أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون؟. ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًا﴾ الضمير في "عليه" عائد على التبليغ. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء. ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ المعنى: أنه يجازيهم على إيمانهم. ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡ﴾ أي: من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآية، أي لا أدعي ما ليس لي فتنكرون قولي. ﴿تَزۡدَرِيٓ﴾ أي: تحتقر، من قولك: زريت على الرجل إذا قصرت به، والمراد

إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ

بالذين تزدري أعينهم؛ ضعفاء المؤمنين. ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن قلت للمؤمنين ﴿لَن يُؤتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾، والـ"خير" هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا أو الآخرة. ﴿جَادَلْتَنَا﴾ الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي: بالعذاب. ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ﴾ الآية، جزاء قوله ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ هو ما دل عليه قوله "نصحي"، وجزاء قوله ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ هو ما دل عليه قوله "لا ينفعكم نصحي"؛ فتقديرها: إن أراد الله أن يغويكم لم ينفعكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، ولا يجوز أن يكون "هو ربكم" جواب الشرط. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ الآية، الضمير في "يقولون" لكفار قريش، وفي "افتراه" لمحمد ﷺ؛ هذا قول جميع المفسرين، واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام، فيكون الضمير في "يقولون" لـ"قوم نوح"، وفي افتراه لـ"نوح"؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها؛ وهذا بعيد. ﴿إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي. ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ أي: فلا تحزن. ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت نظرنا وحفظنا. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي: تعليمنا لك كيف تصنع الفلك. ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: لا تشفع لي فيهم فإني قد قضيت عليهم بالغرق. ﴿وَكُلَّمَا﴾ يحتمل أن يكون جوابها ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾، أو ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد. و﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ منصوب بـ"تعلمون". ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الغرق، والـ"عذاب" الـ"مقيم" عذاب النار. ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله "يصنع الفلك". ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي: فار بالماء، وجعل الله تلك علامة لنوح ليركب حينئذ في السفينة. والمراد بـ"التنور" الذي يوقد فيه، عند ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. وروي أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح، وقيل: "التنور" وجه الأرض. ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالـ"زوجين" الذكر والأنثى من الحيوان، وقرئ "من كل" بغير تنوين فعمل "احمل" في "اثنين"،

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ

وقرئ بالتنوين؛ فعمل "احمل" في "زوجين"، وجعل "اثنين" توكيدا. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: قرابتك، وهو معطوف على ما عمل فيه "احمل". ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: من قضى عليه بالعذاب، فهو مستثنى من أهله، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معطوف على "أهلك" أي: احمل أهلك ومن آمن من غيرهم. ﴿وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية. ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ﴾ الضمير في "قال" لـ"نوح"، والخطاب لمن كان معه، والضمير في ﴿فِيهَا﴾ للسفينة، وروي أنهم ركبوا فيها في أول يوم من رجب، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء. ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ اشتقاق "مجراها" من الجري، واشتقاق "مرساها" من الإرساء وهو الثبوت؛ أي: وقوف السفينة، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو للمكان أو مصدرين، ويحتمل الإعراب وجهين؛ أحدهما: أن يكون "بسم الله" في موضع الحال من الضمير في "اركبوا"؛ والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله، أو قائلين بسم الله، فيكونُ "مجراها ومرساها" على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيهما ما في قوله "بسم الله" من معنى الفعل، ويكون قوله "بسم الله" متصلا مع ما قبله، والجملة كلام واحد. والوجه الثاني: أن يكون كلامين؛ فيوقف على "اركبوا فيها"، ويكون "بسم الله" في موضع خبر، و"مجراها ومرساها" مبتدأ بمعنى المصدر، أي: إجراؤها وإرساؤها، ويكون "بسم الله" على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله، ولكنه من كلام نوح حسبما رُوي أن نوحا كان إذا أراد أن يُجْري السفينة قال: بسم الله؛ فتجري، وإذا أراد وقوفها قال: بسم الله؛ فتقف. ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ روي: أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل كالبحر، قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ وأين كان الموج كالجبال على هذا؟ وصوبه الزمخشري وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماءُ الجبال. ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ اسمه كنعان، وقيل: يام، وكان له ثلاثة بنين سواه وهم؛ سام وحام ويافث، ومنهم تناسل الخلق. ﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ أي: في ناحية. ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ يحتمل أربعة أوجه؛ أحدها: أن يكون "عاصم" اسم فاعل، و"من رحم" كذلك بمعنى الراحم؛ فالمعنى لا عاصم إلا الراحمُ وهو الله تعالى، والثاني: أن يكون "عاصم" بمعنى ذي عصمة؛ أي: معصوم، و"من رحم" بمعنى مفعول؛ أي: من رحمه الله، فالمعنى: لا معصوم إلا من رحمه الله، والاستثناء على هذين الوجهين متصل،

ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ

والثالث: أن يكون "عاصم" اسم فاعل، و"من رحم" بمعنى المفعول، والمعنى: لا عاصم من أمر الله، لكن مَن رحمه الله فهو المعصوم، والرابع: عكسه، والاستثناء على هذين منقطع. ﴿ابْلَعِي مَآءَكِ﴾ عبارة عن جفوف الأرض من الماء. ﴿أَقْلِعِي﴾ أي: أمسكي عن المطر، وروي أنها أمطرت من كل موضع منها. ﴿وَغِيضَ الْمَآءُ﴾ أي: نقص. ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ أي: تم وكمل. ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي: استقرت السفينة على الجودي، وهو جبل بالموصل. ﴿وَقِيلَ بُعْداً﴾ أي: هلاكا، وانتصب على المصدر. ﴿وَنَادَى نُوحُ رَّبَّهُ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق، فيكون العطف من غير ترتيب أو يكون بعده. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنَ أَهْلِي﴾ أي: وقد وعدتني أن تنجي أهلي. ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم لأنه كافر، وقال الحسن: لم يكن ابنَه ولكن خانته أمه وكان لغير رشده؛ وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم، ولقوله "ونادى نوح ابنه". ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور؛ أحدها: أن يكون الضمير في "إنه" لسؤال نوح نجاة ابنه، والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح وحُذف مضاف من الكلام تقديره: إنه ذو عمل غير صالح، والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، و"عمل" مصدر وصف به مبالغة؛ كقولك: رجل صوم، وقرأ الكسائي "عَمِلَ" بفعل ماض "غيرَ صالحٍ" بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال. ﴿فَلاَ تَسْئَلَنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا تطلب مني أمرا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه، فإن قيل: لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه؟ فالجواب: أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به. ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ "أن" في موضع مفعول من أجله تقديره: أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام. ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ أي: اهبط من السفينة بسلامة. ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: ممن معك في السفينة، واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذرية من معك، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة، فـ"من" على هذا لابتداء الغاية، والتقدير: على أمم ناشئة ممن معك، وعلى الأول تكون "من" لبيان الجنس.

وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ

﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ يعني نمتعهم متاع الدنيا، وهم الكفار إلى يوم القيامة. ﴿تِلْكَ مِنَ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى القصة، وفي الآية دليل على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي. ﴿إِنَ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ يعني في عبادتكم لغير الله. ﴿يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ "السماء" هنا المطر، و"مدرارا" بناء تكثير من الدر؛ يقال: در المطر واللبن وغير ذلك، وفي الآية دليل على أن التوبة والاستغفار سبب لنزول الأمطار، وروي أن عادا كان المطر قد حُبس عنهم ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان. ﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود، أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية. ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بسبب قولك. ﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ معناه: ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون؛ لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها. ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ هذا أمر بمعنى التعجيز، أي: لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية. ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يريد أن أفعال الله جميلة، وقوله صدق ووعده حق؛ فالاستقامة تامة. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدَ أَبْلَغْتُكُم﴾ أصل "تولوا" هنا تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة، فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط، وقد كان الإبلاغ

وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾

قبل التولي؟ فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتب علي؛ لأني قد أبلغتكم رسالة ربي. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ أي: لا تنقصونه شيئًا إذا أهلككم واستخلف غيركم. ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب "ولما" بالواو، وقال في قصة صالح ولوط "فلما" بالفاء؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد، فجيء بالفاء التي تقتضي التسبيب، كما تقول: وعدتك فلما جاء الميعاد، بخلاف قصة هود وشعيب، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو. ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثاني أيضا الريح، وكرره إعلاما بأنه "عذاب غليظ"، وتعديدا للنعمة في نجاتهم. ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان؛ أحدهما: أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده، والثاني: أن يريد الجنس؛ كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يكن يركب إلا فرسا واحدا. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم، وتهويل بحرف التنبيه، وبتكرار اسم "عاد". ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكا، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هَلكوا؟ فالجواب: أن المراد أنهم أهل لذلك. ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان لأن عادا اثنان إحداهما قوم هود والأخرى إرم. ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لأن آدم خُلق من تراب. ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم تعمُرونها فهو من العمران للأرض، وقيل: هو من العمْر، نحو: استبقَاكم من البقاء. ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي: كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت، وقيل: معناه كنا نرجو أن تدخل في ديننا.

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي: بلدكم. ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء وأخذهم العذاب يوم الأحد. ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ معطوف على "نجينا" أي: نجيناهم من خزي يومئذ. ﴿جَاثِمِينَ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ كأن لم يقيموا فيها، والضمير لـ"الديار"، وكذلك في قصة شعيب. ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ الـ"رسل" هنا الملائكة. ﴿بِالْبُشْرَى﴾ بشروه بالولد. ﴿قَالُواْ سَلاَمًا﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: سلمنا عليكم سلاما. ﴿قَالَ سَلاَمٌ﴾ تقديره: عليكم سلام أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه في معنى الطلب، ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ﴾ أي: ما لبث مجيئه بل عجل، و"ما" نافية، و"أن جاء" فاعل بـ"لبث". ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: مشوي، وفعيل هنا بمعنى مفعول. ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم ولم يعرفهم، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد. ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قيل: إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل: عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف، فأمنوه بقولهم ﴿لاَ تَخَفْ﴾. ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ﴾ قيل: قائمة خلف ستر، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة. ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: معناه حاضت؛ وهو ضعيف، وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، واختلفوا من أي شيء ضحكت؟ فقيل: سرورا بالولد الذي بشرت به، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورا بالأمن من بعد الخوف، وقيل: سرورا بهلاك قوم لوط. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى لأنها كانت بأمره. ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ﴾ أي: من بعده وهو ولده، وقيل: الوراء ولد الولد، و"يعقوب" بالرفع مبتدأ وبالفتح معطوف على "إسحاق".

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك في يا لهفا ويا أسفا ويا عجبا، ومعناه: التعجب من الولادة، وروي أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة. ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل الدعاء والخبر. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى. ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود. ﴿مَّجِيدٌ﴾ من المجد؛ وهو العلو والشرف. ﴿يُجَادِلُنَا﴾ هذا جواب "لما" على أن يكون المضارع موضع الماضي، أو على تقدير: ظل أو أخذ يجادلنا، أو يكون "يجادلنا" مستأنفا والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر في اللغات. ﴿حَلِيمٌ﴾ وفي براءة ﴿لأَوَّاهٌ﴾. ﴿يَآ إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا، يعني عن المجادلة فيهم، فقد نفذ القضاء بعذابهم. ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ الرسل هنا الملائكة، ومعنى "سيء بهم" أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم، وخاف عليهم من قومه. ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: شديد. ﴿وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث. ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: كانت عادتهم إتيان الفواحش في الرجال. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ المعنى: فتزوجوهن؛ وإنما قال ذلك ليقي أضيافه ببناته، وقيل: إن اسم بنته الواحدة ريثا والأخرى غوثا، وإن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والغة. ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: مالنا فيهن أرب. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يعنون نكاح الذكور. ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت، ويحتمل أن تكون "لو" للتمني. ﴿أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى

قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ

"اوي" ألجأ، والمراد بالركن الشديد ما يُلجأ إليه من عشيرة أو أنصار يحمونه من قومه، وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد» [البخاري: 3192] يعني إلى الله وملائكته. ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في "قالوا" للملائكة، والضمير في ﴿لَن يَصِلُواْ﴾ لقوم لوط؛ وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ. ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: اخرج بهم بالليل، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن، وقرئ "فأسر" بوصل الألف وقطعها وهما لغتان، يقال: سرى وأسرى. ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ﴾ أي: قطعة منه. ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ نهوا عن الالتفات؛ لئلا تتفطر أكبادهم مما جرى على قريتهم، وقيل: "يلتفت" معناه: يتلوى. ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع؛ فالنصب استثناء من قوله "فاسر بأهلك"، فيقتضي هذا أنه لم يخرجها مع أهله، والرفع بدل من "لا يلتفت منكم أحد"، وروي على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتت وقالت: يا قوماه! فأصابها حجر فقتلها. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ أي: وقت عذابهم. ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذُكر أنهم لما قالوا "إن موعدهم الصبح"، قال لهم لوط: هلا عذبوا الآن؟ فقالوا له "أليس الصبح بقريب". ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن، روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي: على المدائن، والمراد أهلها، وروي أن من كان منهم خارج المدائن أصابته الحجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلك لما قلبت. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنها كانت من الآجر المطبوخ، وقيل: هو من سَجَلَه إذا أرسله، وقيل: هو لفظ أعجمي. ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: مضموم بعضه فوق بعض. ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معناه معلمة بعلامة؛ روي أنها كان فيها بياض وحمرة، وقيل: كان في كل حجر اسم صاحبه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الضمير للـ"حجارة"، والمراد بـ"الظالمين" كفار قريش، فهذا تهديد لهم؛ أي: ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم، وقيل الضمير للمدائن، والمعنى: ليست ببعيد منهم أفلا يعتبرون بها؟ كقوله ﴿وَلَقَدَ اَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾، وقيل: إن "الظالمين" على العموم.

إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾

﴿إِنِّيٓ أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ يعني رخص الأسعار وكثرة الأرزاق. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يوم القيامة، أو يوم عذابهم في الدنيا. ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته. ﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلاة هي المعروفة، ونسب الأمر إليها مجازا كقوله ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾، والمعنى: أصلواتك تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان؟ وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء. ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان، و"ان نفعل" عطف على "أن نترك". ﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء والتهكم، وقيل: معناه الحليم الرشيد في نفسه. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم، وجواب "أرايتم" محذوف يدل عليه المعنى؛ وتقديره: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أيصلح لي ترك تبليغ رسالته. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده. ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: لا تُكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، و"شقاقي" فاعل، و"أن يصيبكم" مفعول. ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني في الزمان؛ لأنهم كانوا أقرب الأمم المهلكين إليهم، ويحتمل أن يريد في البلاد. ﴿مَا نَفْقَهُ﴾ أي: ما نفهم. ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: ناحل البدن، وقيل: أعمى. ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ الرهط: القرابة،

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾

والرجم بالحجارة أو بالسب. ﴿أَرَهْطِيَ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ هذا توبيخ لهم، فإن قيل: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه، وأنهم هم الأعزة دونه، فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب: أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله، فلذلك قال ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَاتَّخَذتُّمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا﴾، الضمير في "اتخذتموه" لله تعالى أو لدينه وأمره، والظهري ما يطرح وراء الظهر ولا يعبأ به، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب. ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد، ومعنى: "مكانتكم" تمكنكم في الدنيا وعزتكم فيها. ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة. ﴿وَارْتَقِبُواْ﴾ تهديد. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ أي: بالمعجزات. ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: برهان بين. ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ أي: يتقدم قدامهم للنار كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ الورود هنا بمعنى الدخول، وذُكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عطف على "في هذه"، فإن المراد به الدنيا. ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ أي: العطية المعطاة. ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي: باق وداثر. ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءالِهَتُهُمُ﴾ حجة على التوحيد ونفي للشرك. ﴿تَتْبِيبٍ﴾ أي: تخسير. ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ أي: يُجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ "مجموع" أبلغ من لفظ يُجمَع. ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي:

وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ

يحضره الأولون والآخِرون. ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف "لا تكلم" أو فعل مضمر، وفاعل "ياتى" ضمير يعود على "يوم مشهود"، وقال الزمخشري: يعود على "الله" تعالى كقوله ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾، ويعضده عود الضمير عليه في قوله ﴿بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله "لا تكلم نفس". ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الـ"زفير" هو إخراج النفس، والـ"شهيق" رده، وقيل: الزفير صوت المحزون، والشهيق صوت الباكي، وقيل الزفير من الحلق والشـهيق من الصدر. ﴿مَا دَامَتِ السَّـمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يراد به سماوات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدا، والآخر: أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب: ما لاح كوكب وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام. ﴿إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال؛ قيل: إنه على طريق التأدب مع الله كقولك: إن شـاء الله، وإن كان الأمر واجبا، وقيل: المراد به زمان إخراج المذنبين من النار، ويكون "الذين شقوا" على هذا يعم الكفار والمذنبين، وقيل: استثناء مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وأما الاستثناء في أهل الجنة، فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثاني. ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع. ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَآءِ﴾ الـ"مرية" الشك، والإشارة إلى عبدة الأصنام، أي لا تشك في فساد دين هؤلاء. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَآؤُهُم﴾ أي: هـم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُـمْ نَصِيبَهُمْ﴾ يعني من العذاب. ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر، وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة، فلا يفصل بينهم في الدنيا. ﴿وَإِن كُلاًّ﴾ قرئ بتشـديد "إن" وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة، والتنوين في "كل" عوضا من المضاف إليه، يعني كلهم واللام في ﴿لَّمَا﴾ موطئة للقسـم و"ما" زائـدة، و﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ خبر "إن"، وقرئ "لما" بالتشـديد على أن تكون "إن" نافية و"لمـا" بمعنى إلا. ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني جزاء أعمالهم. ﴿وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني الكفار،

وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

وقيل: إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما ذكره بـ"ثم" لبعد النصر. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآية، يراد بها الصلوات المفروضة؛ فالطرف الأول الصبح، والطرف الثاني الظهر والعصر، والزُّلَفُ من الليل المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ لفظ عام، وخصصه أهل التأويل بأن "الحسنات" الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، روي أن رجلا قبل امرأة ثم ندم، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: «أين السائل؟» قال: ها أنا ذا! قال: «قد غُفر لك» فقال الرجل: لي خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل للمسلمين عامة» [البخاري: 503]. والآية على هذا مدنية، وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك، وذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلا بها؛ والآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تُذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد. ﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى هلا. ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أي: أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع معناه: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ وقيل: هو متصل؛ فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلا، على أن الوجه في مثل هذا البدلُ ويجوز فيه النصب. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني الذين لم ينهوا عن الفساد. ﴿بِظُلْمٍ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من "ربك"، والمعنى: أنه لا يُهلك أهلَ القرى ظالما لهم، تعالى عن ذلك. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني مؤمنة لا خلاف بينهم في الإيمان. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني في الأديان والملل والمذاهب. ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلى الاختلاف، وقيل: إلى الرحمة، وقيل: إليهما. ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب "كلا" بـ"نقص"، و"ما" بدل من "كلا". ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الإشارة إلى السورة. ﴿اعْمَلُوا﴾ ﴿وَانتَظِرُوا﴾ تهديد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

سورة يوسف عليه السلام

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن، و"المبين" يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق؛ أي: أظهره. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بـ"أنزلناه"، أو بـ"عربيا". ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، و"القصص" يكون مصدراً واسم مفعول بمعنى المقصوص؛ فإن أريد به هنا المصدر فمفعول "نقص" محذوف؛ لأن ذكر القرآن يدل عليه. ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الضمير في "قبله" لـ"القصص"؛ أي: من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله؛ لكونه جاء به من غير تعليم. ﴿إِذْ قَالَ﴾ العامل فيه اذكر المضمر، أو "القصص". ﴿يَآ أَبتِ﴾ أي: يا أبي؛ والتاء للمبالغة، وقيل: للتأنيث وكسرت لأجل ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ كرر الفعل لطول الكلام، وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة، لما وصفها بفعل من يعقل وهو السجود، وتأويل الكواكب في المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه، وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك. ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته، فخاف عليه من الحسد. ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَاوِيلِ الاَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني ذريته. ﴿ءَايَاتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لمن سأل عنها، روي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها؛ فهم السائلون على هذا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب. ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين، والـ"عصبة" العَشَرَةُ فما فوقها إلى الأربعين. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خطأ

ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾

وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه. ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: لا يشاركم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم. ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: بالتوبة والاستقامة، وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل. ﴿غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾ غوره وما غاب منه. ﴿السَّيَّارَةِ﴾ جمع سيار، وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة وغيرها. ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: هذا هو الرأي إن فعلتموه. ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي: لِمَ تخاف عليه منا؟ وقرأ السبعة بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولى. ﴿يَرْتَعِ﴾ من قرأ بكسر العين فهو من الرعي؛ أي: من رعي الإبل، أو من رعي بعضهم لبعض وحراسته، ومن قرأه بالإسكان فهو من الرتع؛ وهو الإقامة في الخصب والتنعم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل يفعل، ووزنه على الأول يفتعل، ومن قرأ "يرتع" و﴿يَلْعَبْ﴾ بالياء، فالضمير لـ"يوسف"، ومن قرأه بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته، وإنما قالوا "نلعب" لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، وكان اللعب من المباح لتعلم القتال كالمسابقة بالخيل. ﴿وَأَجْمَعُواْ﴾ أي: عزموا، وجواب "لما" محذوف، وقيل: إنه "أجمعوا" أو "أوحينا" على زيادة الواو. ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك أو بإلهام، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ لـ"يوسف"، وقيل: لـ"يعقوب"؛ والأول هو الصحيح. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال من "لتنبئنهم" أي: لا يشعرون حين تنبئهم، فيكون خطابا لـ"يوسف" عليه السلام، أو من "أوحينا"، أي: لا يشعرون حين أوحينا إليه؛ فيكون خطابا لمحمد ﷺ. ﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي: نجري على أقدامنا لننظر أينا يسبق. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدق لمقالتنا. ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾

الصدق، فكيف وأنت تتهمنا؟ وقيل: معناه لا تصدقنا، وإن كنا صادقين في هذه المقالة، فذلك على وجه المغالطة منهم؛ والأول أظهر. ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، وروي أنهم لطخوا قميصه بدم جدي، وقالوا ليعقوب: هذا دمه في قميصه! فقال لهم: ما بال الذئب أكله ولم يخرق قميصه؛ فاستدل بذلك على كذبهم. ﴿سَوَّلَتْ﴾ أي: زينت. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره: فصبر جميل أمثل، أو خبر مبتدأ تقديره: شأني صبر جميل. ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ روي أن هؤلاء السيارة من مدين، وقيل: هم أعراب. ﴿وَارِدَهُمْ﴾ الوارد هو الذي يستقي الماء لجماعة، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد مالك بن ذعر من العرب العاربة، ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد، فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا أعقب كل واحد منهم قبيلة. ﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾ أي: نادى بالبشرى كقولك: يا حسرة، وأضافها إلى نفسه، وقرئ "يا بشرى" بحذف ياء المتكلم، والمعنى كذلك، وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى؛ وهذا بعيد، ولما أدلى الوارد الحبل في الجب تعلق به يوسف، فحينئذ قال: يا بشرى هذا غلام. ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ الضمير الفاعل لـ"سيارة"، والضمير المفعول لـ"يوسف" أي: أخفوه من الرفقة، وقالوا لهم: دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر. ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، والضمير أيضا للذين أخذوه، وقيل: الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه، فقالوا للسيارة هذا عبدنا. ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: ناقص عن قيمته، وقيل الـ"بخس" هنا الظلم. ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن قلتها. ﴿وَكَانُواْ﴾ الضمير للذين أخذوه أو لإخوته. ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ يعني العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه، وقال السهيلي: اسمه قطفير. ﴿مِن مِّصْرَ﴾ هو البلد المعروف؛ ولذلك لم ينصرف، وكان يوسف قد سيق إلى مصر، فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهبًا وقيل: فضة، فاشتراه العزيز. ﴿تَاوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ قد تقدم. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ في عودة الضمير وجهان؛ أحدهما: أن يعود على "الله"؛ فالمعنى: أنه يفعل ما يشاء لا راد لأمره، والثاني: أن يعود على "يوسف" أي: يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل في الأشد: البلوغ، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون، وقيل: أربعون. ﴿حُكْمًا﴾ هو الحكمة والنبوة. ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة، وهي زليخا امرأة العزيز. ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ روي: أنها كانت سبعة أبواب. ﴿هَيتَ لَكَ﴾ اسم فعل معناه: تعال وأقبل، وقرئ بفتح الهاء وكسرها، وبفتح التاء وكسرها وضمها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركات التاء للبناء؛ وأما من قرأه بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت. ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى أعوذ بالله. ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون الضمير "لله" تعالى، أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له رب؛ فالمعنى لا ينبغي لي أن أخونه. ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأول. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التواليف، فمنهم مفرط ومفرط؛ وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به؛ لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه، وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها عن نفسه؛ وهذا بعيد يرده قوله ﴿لَوْلآ أَن رَّءا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، ومنهم من جعل همهما به حيث مرادها وهمه بها ليدفعها؛ وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام؛ والصواب إن شاء الله؛ أنها همت به من حيث مرادها، وهم بها كذلك؛ لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها، بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يقدح هذا في عصمة الأنبياء؛ لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك؛ فإنه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة. ﴿لَوْلآ أَن رَّءا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جوابه محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف لأن قوله "هم بها" يدل عليه، وقد قيل: إن "هم بها" هو الجواب؛ وهو ضعيف؛ لأن جواب لولا لا يتقدم عليها، واختلف في البرهان الذي رأى؟ فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف! تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء؟ وقيل: رأى يعقوب ينهاه، وقيل: تفكر فاستبصر، وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه، فقال: أنا أولى أن أستحي من الله. ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف في موضع نصب متعلقة بفعل مضمر؛ التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت، أو في موضع رفع تقديره: الأمر مثل ذلك. ﴿السُّوءَ وَالْفَحْشَآءَ﴾ خيانة سيده، والوقوع في الزنا. ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ قرئ بفتح اللام حيث وقع،

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

أي: الذين أخلصهم الله لطاعته، وبالكسر أي: الذين أخلصوا دينهم لله. ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، فقصد هو الخروج والهروب عنها، وقصدت هي أن ترده، فإن قيل: كيف قال هنـا "الباب" بالإفراد، وقد قال "وغلقت الابواب" بالجمـع؟ فالجواب: أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخـرج مـن الدار. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ أي: قطعته مـن وراء، وذلك أنها قبضت في قميصه من خلفه لـترده فتخرق القميص، والقد القطـع بالطول، والقط بالعرض. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي: وجدا زوجها عند الباب. ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها، فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها، و"ما جزاء" يحتمل أن تكون "ما" نافية أو استفهامية. ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ برأ نفسـه من دعواها. ﴿وَشَـهِدَ شَـاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: هو ابن عمها، وقيل: كان طفـلا في المهـد فتكلم؛ وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق في براءة يوسـف، وكونه لم يتكلم قط ثم تكلم بذلك كرامة ليوسـف عليه السلام، والتقدير: شهد شـاهد فقال، وضمنت الشهادة معنى القول. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُـهُ قُـدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قُبـل. ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَـتْ﴾ لأنها جبذته إلى نفسـها حين فـر منها فقدت قميصه من دبـر. ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَـهُ﴾ فاعل "رأى" زوجها أو الشاهد. ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر، أو لقولها "ما جزاء". ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: اكتمه ولا تحدث به، و"يوسف" منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته. ﴿وَاسْـتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ خطاب لها، وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشـاهد. ﴿الْخَاطِئِينَ﴾ جاء بلفظ التذكير، ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور. ﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في مصر، وروي أنهن خمس نسـوة؛ امرأة السـاقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الـدواب، وامرأة صاحب السـجن، وامرأة الحاجب. ﴿فَتَاهَا﴾ أي: خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم. ﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافه،

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ

وقيل: السويداء منه، وقيل: الشغاف داء يصل إلى القلب. ﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن؛ وسماه مكرا؛ لأنه كان في خفية، وقيل: كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أي: أعتدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها، وقيل: الـ"متكأ" طعام، وقرئ في الشاذ "متكا" بسكون التاء وتنوين الكاف وهو الأترج، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحما.

﴿وَقَالَتُ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أمر ليوسف؛ وإنما أطاعها لأنه كان مملوكا لزوجها. ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أي: عظمن شأنه وجماله، وقيل: معنى "أكبرن" حضن، والهاء للسكت؛ وهذا بعيد جدا. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي: اشتغلن بالنظر إليه، وبُهتن من جماله حتى قطعن أيديهن وهنَّ لا يشعرن كما يقطع الطعام. ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ معناه: براءة وتنزيه، أي: تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله، وحاش في باب الاستثناء تخفض على أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا، وأما هنا فقال أبو علي الفارسي: إنها فعل، والدليل على ذلك من وجهين؛ أحدهما: أنها دخلت على لام الجر وهو اللام في قوله "لله"، ولا يدخل الحرف على حرف، والآخر: أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأ هنا أبو عمرو بالألف على الأصل، وإنما تحذف من الأفعال كقولك: لم يك، ولا أدر، والفاعل بـ"حاش" ضمير يعود على "يوسف" تقديره: بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله، وقال الزمخشري: إن "حاش" وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها، ثم قال "الله" ليبين من ينزه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاة لأصله من الحرفية. ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة في وصفه بالحسن. ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ توبيخ لهن على اللوم. ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي: طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه. ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أميل، وكلامه هذا تضرع إلى الله. ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهر، والفاعل محذوف تقديره: رأي، والضمير في "لهم" لزوجها وأهله، أو من تشاور معه في ذلك. ﴿رَأَوُا الآيَاتِ﴾ أي: الأدلة على براءته. ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي: شابان، وقيل: هنا محذوف لا بد منه وهو: فسجنوه،

قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا

وكان يوسف قد قال لأهل السجن: إني أعبر الرؤيا، فلذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل: إنهما استعملاها ليجرباه، وقيل: رأيا ذلك حقا. ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ قيل: فيه سمى العنب خمرا بما يؤول إليه، وقيل: هي لغة. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ قيل: معناه في تأويل الرؤيا، وقيل: إحسانه إلى أهل السجن. ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦ﴾ الآية، تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم؛ ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيها وجهان؛ أحدهما: أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما؛ وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة للأنبياء، والآخر: أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ روي: أنهما قالا له: من أين لك هذا العلم، وأنت لست بكاهن ولا منجم؟ فقال: ذلكما مما علمني ربي. ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله "علمني ربي"، أو يكون استئنافا. ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ نسبهما إلى السجن؛ إما لأنهما سكناه أو لأنهما صحباه في السجن، كأنه قال: يا صاحبي في السجن. ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ﴾ الآية، دعاهما إلى توحيد الله، وأقام عليهما الحجة رغبة في إيمانهما. ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ﴾ أوقع الأسماء هنا موقع المسميات؛ والمعنى: سميتم آلهة ما لا يستحق الإلهية ثم عبدتموها. ﴿مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: حجة وبرهان. ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾ يعني الملك. ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ الـ"ظن" هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين؛

ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

لأن قوله "قضي الامر" يقتضي ذلك، أو يكون على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظن. ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الملك. ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ قيل: الضمير ليوسف، أي: نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله ورجا غيره، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن، وقيل الضمير "للذي نجا منهما"، وهو الساقي أي: نسي ذكر يوسف عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب على هذا التأويل الملك. ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضع من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة، وقيل: إلى السبعة، وروي: أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولا، ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين. ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادما له، واسمه الريان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الريان وكان من الفراعنة، وقيل: إنه فرعون موسى عمر أربعمائة سنة حتى أدرك موسى؛ وذلك بعيد. ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾ يعني في المنام. ﴿عِجَافٌ﴾ أي: ضعاف في غاية الهزال. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ خطاب لجلسائه وأهل دولته. ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: تعرفون تأويلها، يقال: عبرت الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب، ودخلت اللام على المفعول به لما تقدم على الفعل. ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر، وأصل الـ"أضغاث" ما جمع من أخلاط النبات، واحده ضغث، فإن قيل: لم قالوا "أضغاث أحلام" بالجمع وإنما كانت رؤيا واحدة؟ فالجواب: أن هذا كقولك: فلان يركب الخيل، وإن ركب فرسا واحدا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام على الإطلاق؛ وهو الأظهر. ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقي الملك. ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد حين. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يقدر قبله محذوف لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال يا يوسف، وسماه صديقا؛ لأنه كان قد جرب صدقه في تأويل الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة في الصدق. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ أي: فيمن رأى سبع بقرات، وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فتعجب كيف غلبتهن، وكيف وسعت في بطونهن، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها.

قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾

﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبير الرؤيا، وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة، وعبر العجاف بسبع سنين مجدبة، وكذلك السنبلات الخضر واليابسة. ﴿دَأَبٗا﴾ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب على العمل إذا دام عليه، وهو مصدر في موضع الحال. ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ هذا رأي أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين، فعلمهم حيلة يبقى فيها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: لا تدرسوا منه إلا ما يُحتاج للأكل خاصة. ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ يعني: سبع سنين ذات شدة وجوع. ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ أي: تأكلون فيهن ما أخزنتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلى السنين مجازا. ﴿تُحۡصِنُونَ﴾ أي: تخزنون وتخبؤون. ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ﴾ هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن. ﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يحتمل أن يكون من الغيث أي: يمطرون، أو من الغوث أي: يفرج الله عنهم. ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ أي: يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر. ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ قيل: هنا محذوف؛ وهو: فرجع الرسول إلى الملك، فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله، فقال: ائتوني به. ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه، أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما، فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر، وكان هذا الأمر من يوسف صبرا وحلما، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعي إلى ذلك بعد طول المدة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيا لذمام زوجها وسترا لها، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن. ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ الآية، جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن، فسألهن عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهن؛ لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها. ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تبرئة ليوسف، أو تبرئة لأنفسهن من مراودته، وتكون تبرئة يوسف بقولهن ﴿مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾. ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: تبين وظهر ثم اعترفت على

ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ

نفسها بالحق. ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله، والضمير في "يعلم" و"أخنه" على هذا ليوسف عليه السلام؛ أي: ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها، وقيل: إنه من كلام يوسف عليه السلام، والضمير للعزيز أي: لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها، والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته. ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيَ﴾ اختلف أيضا؛ هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف؟ فإن كان من كلامها فهو اعتراف بعد الاعتراف، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد، أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ "النفس" هنا للجنس، والنفوس ثلاثة أنواع؛ أمارة بالسوء، ولوامة وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة. ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ استثناء من "النفس" إذ هي بمعنى النفوس، أي الأنفس المرحومة وهي المطمئنة؛ فـ"ما" على هذا بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون ظرفية، أي: إلا حين رحمة الله. ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خاصتي وخلاصتي، قال أولا: "ائتوني به" فلما تبين له حاله، قال: "ائتوني به أستخلصه لنفسي". ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: لما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه، قال له: "إنك اليوم لدينا مكين امين" والمكين من التمكين، والأمين من الأمانة. ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرا، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال، وقيل: إن الملك أسلم، وأراد بقوله "خزائن الارض" أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعم وجوه المعرفة والضبط للخزائن، وقيل "حفيظ" للحساب "عليم" بالألسن؛ واللفظ أعم من ذلك، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره، وإذا كان في ذلك فائدة. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ الإشارة بـ"ذلك" إلى ما تقدم من جميل صنع الله به، وروي أن الملك ولاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت، فتزوجها يوسف ودعا الله فرد

نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى، حتى لم يبق لهم شيء منها، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا، ثم أعتقهم ورد عليهم أملاكهم. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾ الرحمة هنا يراد بها في الدنيا، وكذلك الأجر في قوله ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بدليل قوله بعد ذلك ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بد له من أجره في الدنيا؛ فالأول في المشيئة، والثاني واقع لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة. ﴿وَجَاءَ اخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم؛ أنهم أصابتهم مجاعة ببلادهم، فخرجوا إلى مصر ليشتروا منها من الطعام الذي ادخره يوسف. ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغير سنه، أو لأنه كان متلثما، وروي أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك، وأنه سألهم عن أحوالهم وأخبروه أنهم تركوا أخًا لهم عند أبيهم، فحينئذ قال لهم: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنَ أَبِيكُمْ﴾ وهو بنيامين شقيق يوسف. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ الْجَهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره، والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم. ﴿خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ أي: المضيفين. ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ أي: نفعل ذلك لا محالة. ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ﴾ جمع فتى، وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا. ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ أي: لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع، وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم. ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ إشارة إلى قوله "فإن لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي"، فهو خوف من المنع في المستقبل. ﴿نَكْتَلْ﴾ وزنه نفتعل

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ

من الكيل. ﴿مَا نَبْغِي﴾ "ما" استفهامية، و"نبغي" بمعنى نطلب، والمعنى: أي شيء نطلب بعد هذه الكرامة؟ وهي رد البضاعة مع الطعام، ويحتمل أن تكون "ما" نافية، و"نبغي" من البغي؛ أي: لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نسوق لهم الطعام. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بعير أخيهم، إذ كان يوسف لا يعطي إلا كيل بعير من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة، ومنع الحادي عشر لغيبة صاحبه حتى يأتي، والبعير الجمل. ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال، فالمعنى: أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير، وإن كانت الإشارة إلى "كيل بعير"، فالمعنى: أنه يسير على يوسف، أي: قليل عنده أو سهل عليه فلا يمنعهم منه. ﴿تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، و﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ جواب اليمين. ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به. ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾ خاف عليهم العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جمال وهيئة. ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ جواب "لما"، والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضاه الله. ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع، والـ"حاجة" هنا هي شفقته عليهم ووصيته لهم. ﴿ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمه. ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه واستكتمه ذلك. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن، وهو من البؤس. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف؛ يعني ما فعلوه ليوسف وأخيه، ويحتمل أن يكون لفتيانه؛

جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ

أي: لا تبالي بما تراه من تحيلي في أخذك. ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ "السقاية" هي الصواع؛ وهو إناء يشرب به الملك ويكال به الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب، وقصد بجعله في رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه، إذ كان شرع يعقوب: أن من سرق استعبده المسروق له. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادى مناد. ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أي: أيتها الرفقة. ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ خطاب لإخوة يوسف، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة، لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه، وقيل: إن حافظ السقاية نادى إنكم لسارقون بغير أمر يوسف؛ وهذا بعيد لتفتيش الأوعية. ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل. ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع، وهذا من كلام المنادي. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استشهدوا بعلمهم، لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم، حتى كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس. ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: قال فتيان يوسف: ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم "ما كنا سارقين"؟، فالضمير في قوله "جزاؤه" يعود على الأخذ المفهوم من الكلام. ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ المعنى: أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه، فقالوا: جزاء السارق أن يستعبد ويؤخذ في السرقة، وأما الإعراب فيحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون "جزاؤه" الأول مبتدأ، و"من" مبتدأ وهي شرطية أو موصولة، وخبرها "فهو جزاؤه"، والجملة خبر "جزاؤه" الأول. والوجه الثاني: أن يكون "من" خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أخذ من وجد في رحله، وتم الكلام، ثم قال "فهو جزاؤه" أي: هذا الحكم جزاؤه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ من كلام إخوة يوسف، أي: هذا حكمنا في السارق، وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام ثم نسخ بقطع الأيدي. ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة. ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ليصح له بذلك إمساكه معه، وإنما أنث الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية أو لأن الصواع يذكر ويؤنث. ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: صنعنا له هذا الصنع. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: في شرعه أو عادته؛ لأنه

نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ

إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم، ولكن حكم في هذه القضية بحكم آل يعقوب. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَآءُ﴾ يعني الرفعة بالعلم بدليل ما بعده. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر أو الله عز وجل. ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ الضمير في "قالوا" لإخوة يوسف وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم: إن يسرق بنيامين، فقد سرق أخوه يوسف من قبل، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل لا منا، وقصدوا بذلك دفع المعرة عن أنفسهم، ورموا بذلك يوسف وشقيقه، واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال؛ الأول: أن عمته ربته فأراد والده أن يأخذه منها، وكانت تحبه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه منطقة له، ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك، وبقي عندها إلى أن ماتت، والثاني: أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره، والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملة التي بعد ذلك وهي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا، وقال ابن عطية: الضمير للحزازة التي وجد في نفسه من قولهم: "فقد سرق أخ له من قبل"، أسر كراهة مقالتهم، ثم جاهرهم بقوله "أنتم شر مكانا" أي: لسوء أفعالكم. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة. ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطاف، وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ على وجه الضمان، أو الاسترهان، أو الاستعباد؛ وهذا هو الأظهر لقوله ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾. ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أحسنت إلينا فيما فعلت معنا قبل، أو على الإطلاق. ﴿اسْتَيْئَسُواْ﴾ أي: يئسوا. ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ أي: انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضا، والنجي يكون بمعنى المناجي ومصدرا. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قيل: كبيرهم في السن وهو روبيل، وقيل: كبيرهم في الرأي وهو شمعون، وقيل: يهوذا. ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ تحتمل "ما" وجوها؛ الأول: أن تكون زائدة، والثاني: أن تكون مصدرية، ومحلها الرفع بالابتداء تقديره؛ تفريطكم في يوسف وقع من قبل، والثالث: أن تكون موصولة، ومحلها أيضا الرفع

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ

كذلك؛ والأول أظهر. ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يريد الموضع الذي وقعت فيه القصة. ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم، وقيل: من قول يوسف؛ وهو بعيد. ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح السين والراء، وروي عن الكسائي "سُرِّق" بضم السين وكسر الراء وتشديدها، أي: نسبت له السرقة. ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: قولنا لك "إن ابنك سرق"، إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: ولا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر أم لا؟ إذ يمكن أن دس الصواع في رحله من غير علمه، وقال الزمخشري: المعنى "ما شهدنا إلا بما علمنا" من سرقته وتيقناه؛ لأن الصواع استخرج من وعائه، "وما كنا للغيب حافظين" أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق، وقراءة "سرق" بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد الأول. ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك اسأل أهل العير؛ يعنون الرفقة، هذا قول الجمهور، وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها؛ ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي؛ والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز، و"القرية" هنا هي مصر. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال "بل سولت" الآية. ﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني يوسف وأخاه بنيامين وأخاه الكبير الذي قال: "لن ابرح الارض". ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدقهم أعرض عنهم ورجع إلى التأسف. ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث الذاهبين؛ لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته فيه، ولأن قضيته كانت السابقة. ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي: من البكاء الذي هو ثمرة الحزن، فقيل: إنه عمي، وقيل: إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا، وروي عن النبي ﷺ: **«أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى، وأعطي أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله قط»** [ابن جرير: 19719]. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل، أي: كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ولا يشكو إلا الله، وقيل: بمعنى مفعول كقوله ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء القلب بالحزن، أو بالغيظ على أولاده، وقيل: الكظيم الشديد الحزن. ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا﴾ أي: لا تفتؤا، والمعنى: لا تزال، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتا

حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ

لكان مؤكدا باللام والنون. ﴿حَرَضًا﴾ أي: مشرفا على الهلاك. ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ رد عليهم في تفنيدهم له، أي: إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم، والبث أشد الحزن. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من لطفه ورحمته ورأفته ما يوجب حسن ظني به، وقوة رجائي فيه. ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ﴾ يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم. ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: تعرفوا خبرهما، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر، وإنما لم يذكر الولد الثالث؛ لأنه بقي هناك اختيارا منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه. ﴿وَلاَ تَايْئَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ أي: من رحمة الله. ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكفار؛ لأن سببه تكذيب بالربوبية، أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته. ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي: على يوسف، وقبل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر. ﴿الضُّرُّ﴾ يريدون به المجاعة، والهم على إخوتهم. ﴿بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام، والـ"مزجاة" القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة، وقيل: إن بضاعتهم كانت عروضا، فلذلك قالوا هذا. ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ قيل: يعنون بها بين الدراهم الجياد وبين دراهمهم، وقيل: أوف لنا الكيل الذي هو حقنا وزدنا على حقنا، وسموا الزيادة صدقة؛ ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد ﷺ، وقيل: "تصدق علينا" برد أخينا إلينا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعاريض؛ وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر؛ لأنهم لم يعرفوه، فظنوا أنه على دين أهل مصر، فلو قالوا: إن الله يجزيك بصدقتك؛ كذبوا، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه. ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكوا إليه رَقّ لهم وعرّفهم بنفسه، وروي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ثم أزال اللثام ليعرفوه، وأراد بقوله "ما فعلتم بيوسف وأخيه" التفريق بينهما في الصغر، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ اعتذار عنهم، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوا أو جَهْلَ الشباب. ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرئ بالاستفهام والخبر؛ فالخبر على أنهم عرفوه، والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو

قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ

ولم يحققوه. ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قيل: أراد من يتق في ترك المعصية ويصبر على السجن؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: فضلك. ﴿لَخَاطِئِينَ﴾ أي: عاصين، وفي كلامهم استعطاف واعتراف. ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ عفو جميل، والتثريب التعنيف أو العقوبة، وقوله ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ راجع إلى ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلق بالـ"تثريب"، أو بالمقدر في "عليكم" من معنى الاستقرار، وقيل: إنه يتعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾ وذلك بعيد لأنه تحكم على الله، وإنما "يغفر" دعاء، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله "لا تثريب عليكم اليوم"، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه. ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِي﴾ روي أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف؛ وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد. ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ الظاهر أنه علم ذلك بوحي من الله. ﴿فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب ببيت المقدس، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة. ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تلومونني أو تردون على قولي، وقيل: معناه تقولون ذهب عقلك، لأن الفند هو الخرف. ﴿لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: في ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك في يوسف قديما. ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ روي أن "البشير" كان يهوذا؛ لأنه كان جاء بقميص الدم، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص الترحة، فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة. ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ وعدهم بالاستغفار لهم، فقيل سوفهم إلى السحر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ هنا محذوفات يدل عليها الكلام، وهي: فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف. ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي: ضمهما

وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَاوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدَ اَحْسَنَ بِيَ إِذَ اَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدَ -اتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَاوِيلِ ٱلَاحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلَارْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنَ اَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمُۥٓ إِذَ اَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُومِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ ۚ اِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

وأراد بالأبوين أباه وأمه، وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وسمى الخالة على هذا أما. ﴿إِن شَآءَ اللَّهُ﴾ راجع إلى الأمن الذي في قوله ﴿ءَامِنِينَ﴾. ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: على سرير الملك. ﴿وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾ كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة. ﴿وَقَالَ يَآ أَبَتِ هَذَا تَاوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ يعني حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما، وقيل: أربعون. ﴿اَحْسَنَ بِي﴾ يقال: أحسن به وإليه. ﴿اَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجب لوجهين؛ أحدهما: أن في ذكر الجب خزي إخوته وتعريفهم بما فعلوا، فترك ذكره توقيرا لهم، والآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فالنعمة به أكثر. ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ أي: من البادية، وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعدَّ منت النعم مجيئهم للحاضرة. ﴿نَّزَغَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: أفسد وأغوى. ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: لطيف التدبير لما يشاء من الأمور. ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ "من" للتبعيض؛ لأنه لم يعطه الله إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لما عدد النعم التي أنعم الله عليه، اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم فدعا بالموت، وقيل: ليس ذلك دعاء بالموت، وإنما دعا أن يتم الله عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله. ﴿ذَلِكَ مِنَ اَنبَآءِ الْغَيْبِ﴾ احتجاج على صحة نبوة محمد ﷺ بإخباره بالغيوب. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ تأكيدا لحجته، والضمير لإخوة يوسف. ﴿إِذَ اَجْمَعُواْ﴾ أي: عزموا. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يعني فعلهم بيوسف. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عموم؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين، وقيل: أراد أهل مكة. ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراض؛ أي: لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم. ﴿وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ﴾ أي: لست تسألهم أجرا على الإيمان، فيثقل عليهم بسبب ذلك، وهذا معناه حيث وقع.

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يعني المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ نزلت في كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره، وقيل: في أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله. ﴿غَاشِيَةٌ﴾ هي ما يغشى ويعم. ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة. ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ "أنا" تأكيد للضمير في "أدعو"، "ومن اتبعني" معطوف عليه، و"على بصيرة" في موضع الحال، وقيل: "أنا" مبتدأ و"على بصيرة" خبره؛ وهذا ضعيف، فعلى هذا يوقف على قوله "أدعو إلى الله". ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تقديره وأقول سبحان الله. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل: فيه إشارة أنه لم يبعث رسول من النساء. ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ متصل في المعنى بقوله "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا" إلى قوله "عاقبة الذين من قبلهم"، ويأسهم يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر؛ والأول أحسن. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرئ بتشديد الذال وتخفيفها؛ فأما التشديد فالضمير في "ظنوا" و"كذبوا" للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين؛ أي: علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم، أي: ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوا من الرسالة، أو من النصرة عليهم. ﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾ الضمير لـ"الرسل" على الإطلاق، أو لـ"يوسف وإخوته". ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يعني القرآن. ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدم معناه في البقرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ

سورة الرعد

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي: آيات هذه السورة، ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق، ويحتمل أن يريد القرآن؛ وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك. ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ﴾ يعني القرآن، وإعرابه مبتدأ، وخبره ﴿الْحَقُّ﴾. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي: بغير شيء تقف عليه إلا قدرة الله. ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الضمير لـ"السموات"؛ فـ"ترونها" على هذا في موضع الحال أو استئناف، وقيل: الضمير لـ"عمد"؛ أي: ليس لها عمد مرئية، فيقتضي المفهوم أن لها عمدا لا ترى، وقيل: إن عمدها هو جبل قاف المحيط بالدنيا، وقال الجمهور: لا عمد لها ألبتة، فالمراد نفي العمد ونفي رؤيتها. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ "ثم" هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر، فإن العرش كان قبل خلق السماوات، وتقدم الكلام على الاستواء في الأعراف. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يعني أمر الملكوت. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يعني آيات كتابه. ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ يقتضي أنها بسيطة لا مكورة، وهو ظاهر الشريعة، وقد يترتب لفظ المد والبسط مع التكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها، وإنما التكوير لجملة الأرض. ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال الثابتة. ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني صنفين من الثمر كالأسود والأبيض، والحلو والحامض، فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافا كثيرة؟ فالجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فَذَكَر الاثنين لأن دلالة غيرهما من باب أولى، وقيل: إن الكلام تم في قوله "ومن كل الثمرات"، ثم ابتدأ بقوله "جعل فيها زوجين اثنين" يعني الذكر والأنثى؛ والأول أحسن. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يلبسه إياه فيصير له كالغشاء وذلك تشبيه. ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ يعني قرى متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء، وصلب ورخو، وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر. ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ الـ"صنوان" هي

تُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا إِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾

النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحدا، وغير الصنوان: المفترق فردا فردا، وواحد الصنوان: صنو. ﴿تُسْقَى بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قادر ومريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تسقى به دليل على القدرة والإرادة، وفي ذلك رد على القائلين بالطبيعة. ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد، فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه، فإن الذي قدر على إنشاء ما ذكرنا من السماوات والأرض والثمرات وغير ذلك؛ قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم. ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث، واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعا؛ أولها هذا، وفي الإسراء موضعان، وفي المؤمنين موضع، وفي النمل موضع، وفي العنكبوت موضع، وفي الم السجدة موضع، وفي الصافات موضعان، وفي الواقعة موضع، وفي النازعات موضع؛ فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط وهو نافع، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا؛ فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في الأول فإنما القصد بالاستفهام الثاني، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد. ﴿وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد "الاغلال" في الآخرة فيكون حقيقة، أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً﴾، فيكون مجازا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالنقمة قبل العافية، والمعنى: أنهم يطلبون العذاب على وجه الاستخفاف. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ﴾ جمع مَثُلَة على وزن سمرة، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلا، والمعنى: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم، أفلا يخافون من مثل ذلك؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة، وقيل: يريد مغفرته لمن تاب؛

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ

والأول أظهر هنا. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ من نزول ملك معه أو شبه ذلك، ولم يعتدوا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندة. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي: إنما عليك إنذارهم وليس عليك أن تأتيهم بآية؛ إنما ذلك إلى الله. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن يراد بالهادي الله تعالى؛ فالمعنى: إنما عليك الإنذار، والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء، والوجه الثاني: أن يراد بالهادي النبي ﷺ؛ فالمعنى: إنما أنت نبي منذر، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببدع ولا مستنكر، الثالث: روي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر، وأنت يا علي الهادي» [الطبري: 20161].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾ كقوله ﴿يَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ وهي الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أم أنثى، أو تام أو مخدج، أو حسن أو قبيح، أو غير ذلك. ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى "تغيض" تنقص، ومعنى "تزداد" من الزيادة، فقيل: إن الإشارة لدم الحيض فإنه يقل ويكثر، وقيل: للولد فالغيض السقط، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة البقاء أكثر من تسعة أشهر، ويحتمل أن تكون "ما" في قوله "ما تحمل"، و"ما تغيض"، "وما تزداد" موصولة أو مصدرية. ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ المعنى: أن الله يسمع كل شيء؛ فالجهر والإسرار عنده سواء، وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضا مطابقة. ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل؛ وهو في غاية الاختفاء، مع السارب بالنهار؛ وهو في غاية الظهور، ومعنى الـ"سارب": المتصرف في سربه بالفتح أي: في طريقه ووجهه، والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما، وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار؛ ويعضد هذا كونه قال: "وسارب" فعطفه عطف الصفات، ولم يقل ومن هو سارب بتكرار "من"، كما قال "من اسر القول ومن جهر به"، إلا أنّ جعلهما اثنين أرجح؛ ليقابل "من اسر القول ومن جهر به"، فيكمل التقسيم إلى أربعة، وعلى هذا يكون قوله "وسارب" عطفا على قوله "ومن هو مستخف" لا على "مستخف" وحده. ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ الـ"معقبات" هنا جماعات الملائكة، وسميت "معقبات"؛ لأن بعضهم يَعقب بعضا، والضمير في "له" يعود على "من" المتقدمة، كأنه قال: لمن أسر ولمن جهر، ولمن استخفى ولمن ظهر

يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ۝١٣ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ۝١٤

معقبات، وقيل: يعود على "الله"، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق. ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ صفة لـ"معقبات"، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله، أو حفظه وحراسته من الآفات. ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ صفة لـ"معقبات"، أي: معقبات من أجل أمر الله إذ أمرهم بحفظه، وقرئ "بأمر الله" وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق "من امر الله" على هذا بـ"يحفظونه"، وقيل: يتعلق به على معنى أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ المعنى أن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا ينزل النقم إلا بالذنوب. ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ الخوف مما يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه. ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ وصفها بالثقل لأنها تحمل الماء. ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ "الرعد" اسم ملك وصوته المسموع تسبيح، وقد جاء في الأثر: أن صوته زجر للسحاب. فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك. ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ قيل: إنها إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد الكافر، وقتلته حين همّ بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل [الطبري: 13/ 126]، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ يعني الكفار، والواو للاستئناف أو للحال. ﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ أي: شديد القوة، و"المحال" مشتق من الحيلة، فالميم زائدة ووزنه مفعل، وقيل: معناه شديد المكر من قولك مَحَل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي وردت في القرآن. ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ قيل: هي "لا إله إلا الله"، والمعنى: أن دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ يعني بالذين يدعون من دون الله الأصنام وغيرها، والضمير في "يدعون" للكفار، والمعنى: أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم. ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ شَبَّه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه، وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمه على هذا أبدا؛ لأن الماء جماد لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام، والضمير في قوله "وما هو" للماء، وفي قوله "ببالغه" للفم.

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ "من" لا تقع إلا على من يعقل فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن، فإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه، فهو عام في الجميع من شاء منهم ومن أبى، ويكون "طوعا" لمن أسلم ورضي، "وكرها" لمن كره وسخط، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون سجود الملائكة والمؤمنين من الجن والإنس طوعا، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر. ﴿وَظِلَالُهُم﴾ معطوف على "من"، والمعنى: أن الظلال تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله، وقيل: سجودها فيئها بالعشي. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدم وهو "من رب السماوات والارض"، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ "الاعمى" تمثيل للكافر، و"البصير" تمثيل للمؤمن. و﴿الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر. ﴿وَالنُّورُ﴾ الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل. ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ "أم" هنا بمعنى بل والهمزة، و"خلقوا" صفة لـ"شركاء"، والمعنى: أن الله وقفهم، هل خلق شركاؤهم خلقا كخلق الله، فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلها غير الله؟ ثم أبطل ذلك بقوله ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فحصل الرد عليهم. ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه؛ فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية وتنتفع به الأرض، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرمي به السيل، وبزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيبت، وليس في الزبد منفعة وليس له دوام. ﴿بِقَدَرِهَا﴾ يحتمل أن يريد ما قدر لها من الماء، ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها. ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ الزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه، والرابي: المنتفخ الذي ربى، ومنه الربوة. ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي: ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل. ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الذي يوقد عليه ابتغاء

كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

الحلي هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر وشبه ذلك، ومعنى المتاع: ما يستمتع الناس به في مرافقهم وحوائجهم. ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: يضرب الله أمثال الحق والباطل. ﴿جُفَآءً﴾ أي: يجفاه السيل، أي: يرمي به. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ الذين استجابوا هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، و"الحسنى" الجنة، وإعرابها مبتدأ، وخبرها "للذين استجابوا". ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، فيوقف على "الامثال" وعلى "الحسنى"، وقيل: "للذين استجابوا" يتعلق بـ"يضرب"، و"الحسنى" مصدر من معنى "استجابوا" أي: استجابوا الاستجابة الحسنى. "والذين لم يستجيبوا" معطوف على "الذين استجابوا"، والمعنى: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على "والذين لم يستجيبوا له". ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي: المناقشة والاستقصاء. ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ تقرير، والمعنى: أسواء من آمن ومن لم يؤمن؟ والـ﴿أَعْمَى﴾ هنا من لم يؤمن بالنبي ﷺ، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ وأبي جهل لعنه الله. ﴿يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ القربات وغيرها. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله، وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن؛ والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات كقوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار؛ ثم هي عامة في كل من اتصف بهذه الصفات. ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني الجنة، ويحتمل أن يريد بـ"الدار" الآخرة، وأضاف الـ"عقبى" إليها لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بـ"الدار" الدنيا، وأضاف الـ"عقبى" إليها لأنها عاقبتها. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من "عقبى الدار"، أو خبر ابتداء مضمر تفسيرا لـ"عقبى الدار".

وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ

﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: من كان صالحا. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ أي: يقولون لهم سلام عليكم. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم، ويجوز أن يتعلق بـ"سلام" أي: نسلم عليكم بما صبرتم. ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، أوصاف مضادة لما تقدم، وقيل: إنها في الخوارج؛ والأظهر أنها في الكفار. ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها الدنيا أو الآخرة. ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع. ﴿وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخبار في ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا؛ ولذلك حقرها بقوله ﴿إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ أي: قليل بالنظر إلى الآخرة. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ خرج مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية، أي: قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر؛ لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ بدل من "من أناب"، أو خبر ابتداء مضمر، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ بدل ثان أو مبتدأ. ﴿طُوبَى﴾ مصدر من طاب كبشرى، ومعناها أصبت خيرا وطيبا، وقيل: هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ. ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله "يضل من يشاء ويهدي إليه من اناب". ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل، وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن [ابن حبان: 4870] وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك،

قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

ولأن القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية: أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم. ﴿مَتَابِ﴾ مفعل من التوبة وهو اسم مصدر. ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية، جواب "لو" محذوف تقديره: لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال به وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ وقيل: تقديره: لو أن قرآنا على هذه الصفة؛ لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ونهاية في الإنذار، كقوله ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾، وقيل: هو متعلق بما قبله؛ والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرآنا سيرت به الجبال. ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ معناه: أفلم يعلم، وهي لغة هوازن، وقرئ "أو لم يتبين". ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني كفار قريش والعرب. ﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين إليهم. ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير الـ"قارعة"، والمعنى: أنها إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم، وقيل: التاء للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ؛ والأول أظهر. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ هو فتح مكة، وقيل قيام الساعة. ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية، مقصودها تأنيس وتسلية للنبي ﷺ، وهكذا حيث وقع. ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أي: أمهلتهم. ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالى، أي: حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره؟ ويدل على ذلك قوله ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: اذكروا أسماءهم. ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى: أن الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم وتعبدون الباطل، وذلك كقولك: قل لي من زيد، أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم. ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك

لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾

حقيقة كقوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾. ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك. ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هنا وفي القتال؛ أي: صفتها، وليس بضرب مثل لها، والخبر عند سيبويه محذوف متقدم تقديره: فيما يتلى عليكم صفة الجنة، وقال الفراء: الخبر متأخر وهو ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ يعني ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها، والأكل بضم الهمزة المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة المصدر. ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام، والنجاشي، وأصحابه ﷺ، وقيل: يعني المؤمنين، و"الكتاب" على هذا القرآن. ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية، وبنو المغيرة من قريش؛ والأظهر أنها في سائر كفار العرب، وقيل: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم لا ينكرون القصص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرفوه. ﴿قُلِ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله أنه جواب للمنكرين ورد عليهم، كأنه قال إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده فكيف تنكرون هذا!. ﴿مَآبِ﴾ مفعل من الأوب وهو الرجوع، أي: مرجعي في الآخرة، أو مرجعي بالتوبة. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يحتاج إلى مثل ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية، فالمعنى لست ببدع في ذلك؛ بل أنت كمن تقدم من الرسل. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رد على الذين اقترحوا الآيات. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: المعنى لكل كتاب أجل بالعكس؛ وهذا لا يلزم؛ بل المعنى صحيح من غير عكس؛ أي: لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ. ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قيل: المعنى

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويثبت منها ما يشاء، وقيل: هي في آجال بني آدم؛ وذلك أن الله في ليلة القدر، وقيل: في ليلة النصف من شعبان، يكتب آجال من يموت في ذلك العام فيمحى من ديوان الأحياء، ويثبت من لا يموت في ذلك العام، وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء؛ وهذا ترده القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يتبدل وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء إلا في السعادة والشقاوة الأخروية والآجال. ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب؛ وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها. ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ "إن" شرطية دخلت عليها "ما" المؤكدة وجوابها ﴿فَإِنَّمَا﴾. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الاتيان هنا بالقدرة والأمر، و"الارض" أرض الكفار، ونقصها هو بما فتح الله على المسلمين منها، والمعنى: أولم يروا ذلك فيخافون أن نمكنك منهم، وقيل: "الأرض" جنس، ونقصها بموت الناس وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك. ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ المعقب الذي يكر على الشيء فيبطله. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ تهديد، والمراد بـ"الكافر" الجنس بدليل قراءة "الكفار" بالجمع، و﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ الدنيا والآخرة. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أمره الله أن يستشهد بالله على صحة نبوته، وشهادة الله له هي علمه بذلك وإظهاره للآيات الدالة على ذلك. ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به، فقيل: المراد عبد الله بن سلام، ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل، وقيل: المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوة، وقيل: المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا؛ لأنه عطف صفة على موصوف، ويقويه قراءة "ومِنْ عندِه علمُ الكتاب" بـ"مِن" الجارة وخفض "عنده".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

سورة إبراهيم عليه السلام

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، و"الظلمات" الكفر والجهل، و"النور" الإيمان والعلم. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمره وهو إرساله. ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ بدل من "إلى النور". ﴿اللَّهِ﴾ قرئ بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر، وبالخفض بدل. ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي: يؤثرون. ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ قد ذكر. ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ أي: بلغتهم وكلامهم. ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ "أن" مفسرة، أو مصدرية على تقدير بأن. ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أي: عقوبات الأمم المتقدمة، وقيل: إنعامه على بني إسرائيل؛ واللفظ يعم النعم والنقم، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها كقولهم: يوم كذا ويوم كذا. ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ذكر هنا بالواو ليدل أن "سوء العذاب" غير الذبح أو أعم من ذلك، ثم جرد الذبح كقوله ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾، وذكر في البقرة بغير واو تفسيرا للعذاب. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ من كلام موسى عليه السلام، و"تأذن" بمعنى أذن؛ أي: أعلم كقولك: توعد وأوعد، وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به. ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمول "تأذن"؛ لأنه يتضمن معنى قال، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا، أو من الثواب في الآخرة، أو منهما. ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ يحتمل أن يريد كفر النعم، أو كفر الإيمان؛

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

والأول أرجح لمقابلته بالشكر. ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارة عن كثرتهم كقوله ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾.

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل؛ والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظا على الرسل كقوله ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أو استهزاء وضحكا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه، والثاني: أن الضمائر لهم؛ والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة إلى الأنبياء بالسكوت، والثالث: أنهم ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ودفعا لقولهم. ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أفي وجود الله شك أو في إلاهيته، وقيل: في وحدانيته، والهمزة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة، ولذلك وصفه بعد بقوله ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ﴿مِن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن "من" زائدة، ومنع سيبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبعيض، ومعناه: أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنوبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة، فوقعت المغفرة للبعض، ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكفار كهذا الموضع والذي في الأحقاف وسورة نوح، وجاء للمؤمنين بغير "من" كالذي في الصف. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه يؤخركم إن آمنتم إلى أجلكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت؛ وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يأبون هذا، فإن الأجل عندهم واحد محتوم. ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة، أو يكون إحالة لنبوة البشر؛ والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ولقول الرسل ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: بالتفضيل بالنبوة.

وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّاَ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله؟. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل لم كرر الأمر بالتوكل؟ فالجواب عندي: أن قوله "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار لـ"سلطان مبين"؛ أي: حجة ظاهرة، فتوكل الرسل في ورودها على الله، وأما قوله "وعلى الله فليتوكل المتوكلون"، فهو راجع إلى قولهم "ولنصبرن على ما ءاذيتمونا" أي: نتوكل على الله في دفع أذاكم، وقال الزمخشري: إن هذا الثاني بمعنى الثبوت على التوكل. ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ "أو" هنا بمعنى: إلا أن، أو على أصلها لوقوع أحد الشيئين، والعود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملة الكفار قبل ذلك. ﴿خَافَ مَقَامِي﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا، وفي قوله ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ في الرحمن؛ الأول: أن معناه مقام الحساب في القيامة، والثاني: أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم، والثالث: أن معناه خافني وخاف ربه، على إفخام المقام، أو على التعبير به عن الذات. ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ الضمير للرسل، أي: استنصروا بالله، وأصله طلب الفتح وهو الحكم. ﴿جَبَّارٍ﴾ أي: قاهر أو متكبر. ﴿عَنِيدٍ﴾ مخالف لا ينقاد. ﴿من وَرَآئِهِ﴾ في الموضعين الوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل: معناه هنا أمامه؛ وهو بعيد. ﴿وَيُسْقَى﴾ معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشد عذابها. ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: يكلف جرعه وتصعب عليه إساغته، ونفي كاد يقتضي وقوع الإساغة بعد جهد، ومعنى "يسيغه" يبتلعه. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي: يجد ألما مثل ألم الموت وكرباته من جميع الجهات. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يراح بالموت. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ في الرعد والقتال؛ فالخبر عند سيبويه محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم، والخبر عند الفراء الجملة التي بعد، والـ"مثل" هنا بمعنى التشبيه. ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها. ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: شديد الريح، والعصوف في الحقيقة من صفة الريح.

لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ

﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: لا يرون له منفعة. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي: ظهروا، ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور، وقيل: معناه صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة. ﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف بـه مبالغة، أو على حذف مضاف. ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ "من" الأولى للبيان والثانية للتبعيض، ويجوز أن تكونـا للتبعيض معا قاله الزمخشري؛ والأظهـر أن الأولى للبيان والثانية زائدة، والمعنى: هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله؟. ﴿مَّحِيصٍ﴾ أي: مهرب، حيث وقع، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان. ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ يعني إبليس الأقدم، روي أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة، أو في النار يقوله لأهلها. ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة، فمعنى "قضي الامر" تبين قوم للنار وقوم للجنة، وإن كان في النـار، فمعنـى "قضي الامر" حصـل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنـة. ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استـثناء منقطـع. ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَـا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: ما أنا بمغيثكـم، وما أنتم بمغيثين لي. ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ "ما" مصدرية، أي: بإشراككم لي مع الله في الطاعة. ﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلق بـ"أشركتمون"، ويحتمل أن يتعلق بـ"كفرت"؛ والأول أظهر وأرجح. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ استئناف من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون حكايـة عن إبليس. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِـمْ﴾ يتعلق بـ"أدخل"، أو بـ"خالدين"؛ والأول أحسـن. ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: هي لا إله إلا الله، وقيل: كل كلمة حسنة. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور،

أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ

واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة، إلا أنها كل ما اتصف بتلك الصفات. ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الهواء، وذلك عبارة عن طولها. ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ الـ"حين" في اللغة وقت غير محدود، وقد تقترن به قرينة تحده، فقيل: في كل حين كل سنة؛ لأن النخلة تطعم كل سنة، وقيل: غير ذلك. ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة. ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية أنها غير معينة. ﴿اجْتُثَّتْ﴾ أي: اقتلعت، وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة، وهذا في مقابلة قوله "اصلها ثابت". ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو: لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوة. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إذا فتنوا لم يزلوا. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور. ﴿بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ "نعمة الله" هنا هو محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش، فكفروا بالنعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدلوا شكر نعمة الله كفرا. ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: من أطاعهم واتبعهم. ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ فسرها بقوله ﴿جَهَنَّمَ﴾. ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا﴾ هو جواب شرط مقدر يتضمنه قوله "قل" تقديره: إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف، وقيل: جزم بإضمار لام الأمر تقديره: ليقيموا. ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ من الخلة وهي المودة.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾

﴿إِنَّ الإِنسَانَ﴾ يريد الجنس. ﴿الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ أي: امنعني، والماضي منه جنَب، يقال: جنَب وجنَّب بالتشديد وأجنب بمعنى واحد. ﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني بنيه من صلبه، وفيهم أجيبت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام. ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد من عصاه بغير الكفر، أو عصاه بالكفر ثم تاب منه؛ فهو الذي يصح منه أن يدعو له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما فيه عليه السلام من الرحمة للخلق وحسن الخلق. ﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر غارتْ منها سارة زوجة إبراهيم فحمله مع أمه من الشام إلى مكة. ﴿بِوَادٍ﴾ يعني مكة، والوادي ما بين جبلين، وإن لم يكن فيه ماء. ﴿بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة؛ فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبنى هناك بيتا. ﴿لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ اللام يحتمل؛ أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء، أو لام كي تتعلق بـ"أسكنت"، وجمع الضمير يدل على أنه كان قد علم أن ابنه يعقب هناك نسلا. ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسير بجد وإسراع، ولهذه الدعوة حبب الله حج البيت إلى الناس، على أنه قال "من الناس" بالتبعيض. قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس لحجته فارس والروم. ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع، وأجاب الله دعوته فجعل مكة تجبى إليها ثمرات كل شيء. ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ﴾ الآية، يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، أو حكاية عن إبراهيم. ﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾ روي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاما، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسن من إسحاق. ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ إن أراد بالـ"دعاء"

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

الطلب والرغبة، فمعنى القبول الاستجابة، وإن أراد بالـ"دعاء" العبادة، فالقبول على حقيقته. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما؛ والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أنه عدو لله حسبما ورد في براءة. ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً﴾ هذا وعيد للظالمين وهم الكفار هنا على الأظهر، فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا، وفي قوله ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾؟ فالجواب: أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ أو لغيره؛ فإن كان لغيره فلا إشكال، وإن كان له فهو مشكل؛ لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافلا! وتأويل ذلك بوجهين؛ أحدهما: أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده، والآخر: أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فمقصد الكلام الوعيد لهم. ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ أي: تحد النظر من الخوف. ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع الإسراع، وقيل: شدة النظر من غير أن يطرَف. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس، وقيل: خفضه من الذلة. ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يطرفون بعيونهم من الحذر والجزع. ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: منخرقة لا تعي شيئا من شدة الجزع، فشبهها بالهواء في تفرغه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم. ﴿يَوْمَ يَاتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني يوم القيامة، وانتصاب "يوم" على أنه مفعول ثان لـ"أنذر"، ولا يجوز أن يكون ظرفا. ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوآ﴾ تقديره: يقال لهم أولم تكونوا، الآية. ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ هو المقسم عليه، ومعنى "من زوال" أي: من الأرض بعد الموت، أي: حلفتم أنكم لا تبعثون. ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: جزاء مكرهم. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ "إن" هنا نافية، واللام لام الجحود، و"الجبال" يراد بها الشرائع والنبوات، شبهت بالجبال في ثبوتها؛ والمعنى: تحقير مكرهم؛ لأنه لا تزول منه

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

تلك الجبال الثابتة الراسخة، وقرأ الكسائي "لَتزولُ" بفتح اللام، ورفع "تزول"، و"إن" على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى: تعظيم مكرهم؛ أي: إن مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال؛ ولكن الله عصم ووقى منه. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ يعني الوعد بالنصر على الكفار، فإن قيل: هلا قال مخلف رسله وعده؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ فالجواب: أنه قدم الوعد؛ ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق، ثم قال "رسله"؛ ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه! فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص. ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ العامل في الظرف "ذو انتقام" أو محذوف، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي هكذا ورد في الحديث الصحيح [البخاري: 6156]. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها وخسوف شمسها وقمرها، وقيل: تبدل أرضا من فضة وسماء من ذهب؛ وهذا ضعيف. ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفار. ﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: مربوطين في الأغلال. ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي: قمصهم؛ والسربال القميص. ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ هو الذي تهنأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه. ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلق بمحذوف، أي: فعل الله ذلك ليجزي. ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ﴾ إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة. ﴿وَلِيُنذَرُوا۟﴾ معطوف على محذوف تقديره: ليُنصحوا به وليُنذروا. ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي هذا الذكر لأولي العقول، وهم أهل العلم رضي الله عنهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

سورة الحجر

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يريد بـ"الكتاب" الكتب المتقدمة، وعطف الـ"قرآن" عليها؛ والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات. ﴿رُّبَمَا﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف وهما لغتان، و"ما" حرف كافة لـ"رُب"، ومعنى "رُب" التقليل وقد تكون للتكثير، وقيل: إن هذه منه، وقيل: إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، وقوله ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، وقيل: إن معنى التقليل في هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة! ولا تدخل إلا على الماضي، وإنما دخلت هنا على المستقبل لأنه في التحقيق كالماضي.

﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ قيل: إن ذلك عند الموت، وقيل: في القيامة، وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار؛ وهذا هو الأرجح لحديث روي في ذلك. ﴿ذَرْهُمْ﴾ وما بعده تهديد. ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وقت محدود. ﴿وَقَالُوا۟ يَآ أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الضمير في "قالوا" لكفار قريش، وقولهم "نزل عليه الذكر" على وجه الاستخفاف؛ أي: بزعمك ودعواك. ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَآئِكَةِ﴾ "لو ما" عرض وتحضيض، والمعنى: أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه. ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَآئِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تتنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله، لا باقتراح مقترح واختيار كافر معترض، وقيل: "الحق" هنا العذاب. ﴿وَمَا كَانُوٓا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ "إذا" حرف جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزلت الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن عادة الله أنه من اقترح آية فرآها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب، وقد علم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ "الذكر" هنا هو القرآن، وفي قوله "إنا نحن نزلنا الذكر" رد لإنكارهم واستخفافهم في قولهم "يا أيها الذي نزل عليه الذكر"؛ ولذلك أكده بـ"نحن"

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

واحتج عليه بحفظه، ومعنى حفظه: حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾. ﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الـ"شيع" جمع شيعة؛ وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل. ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى "نسلكه" ندخله، والضمير في "نسلكه" يحتمل أن يكون للاستهزاء الذي دل عليه قوله "به يستهزءون"، أو يكون لـ"القرآن" أي: نسلكه في قلوبهم مستهزءا به، ويكون قوله "كذلك" تشبيها للاستهزاء المتقدم. و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تفسير لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في "به" لـ"لقرءان". ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى أهلكوا بسبب ذلك، ففي الكلام تهديد لقريش. ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر، وقيل: الضمير في "ظلوا" و"يعرجون" للملائكة، وفي "قالوا" للكفار، ومعنى "يعرجون" يصعدون، والمعنى: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخيل أو سحر، وقرئ ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر، فيكون معناه: حيرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السكر وهو السد، فيكون معناه: منعت أبصارنا من النظر. ﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني عشر. ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استثناء من حفظ السماوات، فهو في موضع نصب. ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: مقدر بقصد وإرادة، فالوزن على هذا مستعار، وقيل: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة؛ والأول أعم وأحسن. ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يعني البهائم والحيوانات، "ومن" معطوف على "معايش"،

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

وقيل: على الضمير في "لكم"؛ وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قوي في المعنى، أي: جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر؛ واللفظ أعم من ذلك، والخزائن المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت، وقيل: إن ذلك تمثيل، والمعنى: إن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه. ﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: بمقدار محدود. ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ يقال: لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهي لاقحة، وألْقَحت الريح الشجر فهي مُلقِحة، و"لواقح" جمع لاقحة؛ لأنها تحمل الماء، أو جمع ملحقة على حذف الميم الزائدة. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية، يعني الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه إذا أحاط بهم علما لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم، وقيل: يعني من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر، وقيل: من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الانسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾ "الانسان" هنا آدم عليه السلام، والـ"صلصال" الطين اليابس الذي يصلصل؛ أي: يصوت وهو غير مطبوخ، فإذا طبخ فهو فخار. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الـ"حمأ" الطين الأسود، والـ"مسنون" المتغير المنتن، وقيل: إنه من أسن الماء إذا تغير؛ والتصريف يرد هذا القول، وموضع "من حمإ" صفة لـ"صلصال" أي: من صلصال كائن من حمأ. ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ﴾ يراد به جنس الشياطين، وقيل: إبليس الأول؛ وهذا أرجح لقوله ﴿مِن قَبْلُ﴾ وتناسلت الجن من إبليس؛ وهو للجن كآدم للناس. ﴿السَّمُومِ﴾ شدة الحر. ﴿خَالِقٌ بَشَرًا﴾ يعني آدم عليه السلام. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يعني الروح الذي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك، أي: الروح الذي هو لي وخلق من خلقي، وتقدم الكلام على سجود الملائكة في البقرة.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾

﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة أو من السماء. ﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية، وأن كفره كان بوجه غير الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم. ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة، و"يوم الوقت المعلوم" الذي أنظر إليه هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى حين يموت من في السماوات ومن في الأرض، وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة؛ إذ سأل ما لا سبيل إليه، لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدا؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه، وأعطاه الانتظار إلى يوم النفخة الأولى. ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء سببية، أي: لأغوينهم بسبب إغوائك لي، وقيل: للقسم كأنه قال: بقدرتك على إغوائي لأغوينهم، والضمير لذرية آدم. ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بـ"هذا" إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم، أو إلى تقسيم الناس إلى غوي ومخلص. ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ﴾ يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس، فيكون قوله ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ استثناء متصلا، أو يريد بالعباد "المخلصين"، فيكون الاستثناء منقطعا. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير لـ"الغاوين". ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ روي: أنها سبعة أطباق في كل طبقة باب، فأعلاها للمذنبين من المسلمين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. ﴿ادْخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم ادخلوها، والسلام هنا يحتمل أن يكون التحية أو السلامة. ﴿إِخْوَانًا﴾ يعني أخوة المودة والإيمان. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: يقابل بعضهم بعضا في الأسرة. ﴿نَصَبٌ﴾ أي: تعب.

نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾

﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ الآية، أعلمهم، والآية آية ترجية وتخويف. ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ "ضيف" هنا واقع على جماعة، وهم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم بالبشرى. ﴿وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، والوجل الخوف. ﴿لاَ تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق. ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ المعنى: أبشرتموني بالولد مع أني قد كبر سني، وكان حينئذ ابن مائة سنة، وقيل: أكثر. ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قال ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره، أو على وجه الاستبعاد لذلك، وقرئ "تبشرون" بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية، وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين، وبالفتح وهو نون الجمع. ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه. ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ دليل على تحريم القنوط، وقرئ "يقنط" بفتح النون وكسرها وهما لغتان. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم؟ وبأي شيء جئتم؟ ﴿إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط. ﴿إِلآَّ آلَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون استثناء من "قوم"، فيكون منقطعا لوصف القوم بالإجرام ولم يكن آل لوط مجرمين، ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في "مجرمين"، فيكون متصلا كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا. ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ استثناء من "آل لوط" فهو استثناء من استثناء، وقال الزمخشري: إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله "لمنجوهم"؛ وذلك هو الذي يقتضيه المعنى. ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الغابر يقال بمعنى الباقي، وبمعنى الذاهب، وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو لله وحده؛ لما لهم من القرب والاختصاص بالله لا سيما في هذه القضية، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا، ويحتمل أن يكون حكاية عن الله. ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: لا يعرفهم. ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: جئناك بالعذاب لقومك، ومعنى "يمترون" يشكون.

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي: كن خلفهم وفي ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد، وليكونوا قدامه فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم. ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ تقدم في هود. ﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤمَرُونَ﴾ قيل: هو مصر، وقيل: "حيث" هنا للزمان إذ لم يُذكر مكان. ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بإلى؛ لأنه ضمن معنى أوحينا، وقيل: معناه أعلمناه بذلك الأمر. ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلآءِ مَقْطُوعٌ﴾ هذا هو تفسير لـ"ذلك الامر"، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ في الموضعين، أي: إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح. ﴿وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ "المدينة" هي سدوم، واستبشار أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة. ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ كانوا قد نهوه أن يضيف أحدا. ﴿قَالَ هَؤُلآءِ بَنَاتِي﴾ دعاهم إلى تزويج بناته ليقي بذلك أضيافه. ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم، والعمر الحياة، ففي ذلك كرامة للنبي ﷺ؛ لأن الله أقسم بحياته، وقيل: هو من قول الملائكة للوط، وارتفاعه بالابتداء، وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي، واللام للتوطئة. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط، و"سكرتهم" ضلالهم وجهلهم، و"يعمهون" أي: يتحيرون. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل، وهي أخذه لهم. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي: داخلين في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس، وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في هود. ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: للمتفرسين، ومنه فراسة المؤمن، وقيل: للمعتبرين، وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة. ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: بطريق ثابت يراه الناس، والضمير للمدينة المهلكة. ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ "أصحاب الايكة" قوم شعيب، و"الايكة" الغيضة من الشجر، لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا. ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الضمير في "إنهما"،

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب؛ فالإمام على هذا الطريق، أي: إنها بطريق واضح يراه الناس، وقيل: الضمير للوط وشعيب؛ أي: إنهما على طريق من الشرع واضح؛ والأول أظهر. ﴿أَصْحَابُ الحِجْرِ﴾ هم ثمود قوم صالح، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع، وإنما كذبوا واحدا، وفي ذلك تأويلان؛ أحدهما: أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع؛ لأنهم جاؤوا بأمر متفق من التوحيد، والثاني: أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا. ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا﴾ يعني الناقة، وما كان فيها من العجائب. ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النحت النقر بالمعاول وشبهها في الحجر والعود وشبهه، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال. ﴿ءَامِنِينَ﴾ قيل: آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله. ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ يعني أنها لم تخلق عبثا. ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ قيل: إن "الصفح الجميل" هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب، وفي الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قيل: يعني أم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل: يعني السور السبع الطوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة، والأول أرجح لوروده في الحديث. و"المثاني" مشتق من التثنية؛ وهو التكرير؛ لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها، وقيل: هو مشتق من الثناء؛ لأن فيها ثناء على الله، و"من" يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس، وعطف ﴿الْقُرْءَانَ﴾ على السبع المثاني؛ لأنه يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص. ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا، ومعنى الآية تزهيد في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها. ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني أصنافا من الكفار. ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي: تواضع ولن ﴿لِلْمُومِنِينَ﴾، والجناح هنا استعارة.

وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الكاف من "كما" متعلقة بقوله "أنا النذير" أي: أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذي أُنزل على المقتسمين، وقيل: تتعلق بقوله "ولقد اتيناك" أي: أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين، واختلف في "المقتسمين"؛ فقيل: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه فاقتسموه إلى قسمين، وقيل: هم قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب يقول أحدهم: هو شاعر، ويقول الآخر: ساحر، وغير ذلك. ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: أجزاء وقالوا فيه أقوالا مختلفة، وواحد "عضين" عضة، وقيل: هو من العضة وهو السحر، والعاضة الساحر، والمعنى على هذا قالوا إنه سحر، والكلمة محذوفة اللام، ولامها على القول الأول واو، وعلى الثاني هاء. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فإن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها. ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ﴾ أي: صرح به وأنفذه. ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع من المهالك من غير سعي النبي ﷺ؛ وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود ابن عبد يغوث، والحارث بن غيطلة، وقصة إهلاكهم مذكورة في السير، وقيل: هم الذين قتلوا ببدر كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم؛ والأول أرجح؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسلية للنبي ﷺ وتأنيس. ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سورة النحل

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل: يعني القيامة، وقيل: النصر على الكفار، وقيل: عذاب الكفار في الدنيا، ووضع الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه، وروي أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائما فلما قال ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن [البغوي: 5/ 7]. ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ أي: بالنبوة، وقيل: بالوحي. ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من نطفة المني، والمراد جنس الإنسان. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه، والثاني: يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار؛ والأول أعم. ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ما يتدفأ به، يعني ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله "لكم" متعلقا بما قبله أو بما بعده، ويختلف الوقوف باختلاف ذلك. ﴿وَمَنَافِعُ﴾ يعني شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يريد بالـ"منافع" ما عدا الأكل، فيكون الأكل أمرا زائدا عليها، أو يريد بالـ"منافع" الأكل وغيره، ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الـ"جمال" حسن المنظر، و"حين تريحون" يعني حين تردونها بالعشي إلى المنازل، و"حين تسرحون" حين تردونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قدم "تريحون" على "تسرحون"؛ لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة. ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ يعني الأمتعة وغيرها، وقيل: أجساد بني آدم. ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي: إلى أي بلد توجهتم، وقيل: يعني مكة. ﴿بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ أي: بمشقة. ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير؛ لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل، ونصب "وزينة" على أنه مفعول من أجله، وهو معطوف على موضع "لتركبوها". ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارة على العموم؛ أي: إن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل من ذكر في هذه الآية شيئا

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

مخصوصا فهو على وجه المثال. ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل، والمراد بـ"السبيل" هنا الجنس، ومعنى الـ"قصد" القاصد الموصل، وإضافته إلى "السبيل" من إضافة الصفة إلى الموصوف. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في "منها" يعود على "السَّبيل" إذ المراد به الجنس، ومعنى الـ"جائر" الخارج عن الصواب، أي: ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿مَاءً لَكُم﴾ يحتمل أن يتعلق "لكم" بـ"أنزل"، أو يكون في موضع خبر لـ﴿شَرَابٌ﴾، أو صفة لـ"ماء". ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني ما ينبت بالمطر من الشجر. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون أنعامكم. ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ يعني الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أصنافه وأشكاله. ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجوهر والمرجان. ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مخرت السفينة والمخر شق الماء، وقيل: صوت جري الفلك بالرياح. ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ يعني التجارة، وهو معطوف على "لتاكلوا". ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الـ"رواسي" الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، و"أن تميد" في موضع مفعول من أجله، والمعنى: أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض، وروي أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: لا يستقر على ظهر هذه أحد، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال. ﴿وَأَنْهَارًا﴾ قال ابن عطية: "أنهارا" منصوب بفعل مضمر تقديره: وجعل أو خلق أنهارا، قال: وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن "ألقى" أخص من جعل وخلق، ولو كانت "ألقى" بمعنى خلق لم يحتج إلى هذا الإضمار. ﴿وَسُبُلاً﴾ يعني الطرق.

وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَعَلامَاتٍ﴾ يعني ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على "أنهارا وسبلا"، وقال ابن عطية: هو نصب على المصدر، أي: لعلكم تعتبرون، وعلامات أي: عبرة وأعلاما. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني الاهتداء بالليل في الطرق، و"النجم" هنا جنس، وقيل: المراد الثريا والفرقدان، فإن قيل: قوله "بالنجم هم يهتدون" مخرج عن سنن الخطاب، وقدم فيه "النجم" كأنه قال: وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم؟ فالجواب: أنه أراد قريشا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجم في سيرهم علم لم يكن لغيرهم، فكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا قال ذلك الزمخشري. ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ تقرير يقتضي الرد على من عبد غير الله، وإنما عبر عنهم بـ"من"؛ لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل أو مشاكلة لقوله "أفمن يخلق". ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته؛ ولذلك أعقبها بقوله "أفمن يخلق كمن لا يخلق"، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه؛ ولذلك أعقبها بقوله "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"، ثم أعقب ذلك بقوله ﴿إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لكم التقصير في شكر نعمه. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها؛ وهي أنهم مخلوقون غير خالقين وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده، فقال: "إلهكم إله واحد". ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء﴾ أي: لم تكن لهم حياة قط ولا تكون؛ وذلك أغرق في موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ثم يعقب موته حياة. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في "يشعرون" للأصنام، وفي "يبعثون" للكفار الذين عبدوهم، وقيل: إن الضميرين للكفار. ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي: تنكر وحدانية الله تعالى وجل. ﴿لاَ جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا شك، وقيل: إن "لا" نفي لما تقدم، و"جرم" معناه: وجب أو حق، و"أن" فاعلة بـ"جرم". ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون، وكان النضر ابن الحارث قد اتخذ كتب تواريخ، وكان يقول: إنما يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه، و﴿مَاذَا﴾ يجوز أن تكون اسما واحدا مركبا من "ما" و"ذا"، ويكون منصوبا بـ﴿أَنزَلَ﴾، أو أن تكون "ما" استفهامية

لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ

في موضع رفع بالابتداء، و"ذا" بمعنى الذي، وفي "أنزل" ضمير محذوف. ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة، أي: قالوا أساطير الأولين؛ فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم، ويحتمل أن تكون للأمر. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول في "يضلونهم" أو من الفاعل. ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الآية، قيل: المراد بـ"الذين من قبلهم" نمرود؛ فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه، وقيل: المراد بـ"الذين من قبلهم" كل من كفر من الأمم المتقدمة ونزلت به عقوبة الله؛ فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخ للمشركين، وأضاف الشركاء إلى نفسه، أي: على زعمكم ودعواكم؛ وفيه تهكم بهم. ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: تعادون من أجلهم؛ فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حال من الضمير المفعول في "تتوفاهم". ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلموا للموت. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ أي: قالوا ذلك، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ولكنه كذب في نفس الأمر. ﴿بَلَىٰٓ﴾ من قول الملائكة للكفار، أي: قد كنتم تعملون السوء. ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين قابل ذلك بمقالة المؤمنين، فإن قيل: لم نصب جواب المؤمنين وهو

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾

قولهم "خيرا"، ورفع جواب الكافرين وهو "أساطير الاولين"؟ فالجواب: أن قولهم "خيرا" منصوب بفعل مضمر تقديره: أنزل خيرا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما "أساطير الاولين" فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا؛ لأن قولهم "أساطير الاولين" يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله لأن تقديره أنزل، فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره هو أساطير الأولين فهو غير مطابق للسؤال الذي هو "ماذا أنزل ربكم"؟ فالجواب: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا هو أساطير الأولين ولم ينزله الله. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع "حسنة" بالابتداء، و"للذين" خبره، والجملة بدل من "خيرا"، وتفسير للخير الذي قالوه، وقيل: هي استئناف كلام الله تعالى لا من كلام الذين قالوا خيرا. ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بـ"نعم" فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله، أو خبر ابتداء مضمر، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو مضمر تقديره لهم جنات عدن. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون والضمير للكفار. ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني لقبض أرواحهم. ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يعني قيام الساعة أو العذاب في الدنيا. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: أصابهم جزاء سيئات ما عملوا. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤون، وهذا تفسيره حيث وقع. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم، أي: أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه،

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾

والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك، ولكنه قضاه على من شاء من عباده، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني، فإن "لو" تكون للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غير الله، ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُهْدَى مَن يُضِلُّ﴾ قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول، أي: لا يهدي غير الله من يضله الله، وقرئ "يَهدي" بفتح الياء وكسر الدال، والمعنى على هذا: لا يهدي الله من قضى بإضلاله. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ الضمير عائد على "من يضل" لأنه في معنى الجمع. ﴿بَلَى﴾ رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت، أي: أنه يبعث. ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه "بلى" أي: يبعثهم ليبين لهم، وهذا برهان على البعث؛ فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه. ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية، برهان أيضا على البعث؛ لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ يعني الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا، وقيل: إنها نزلت في أبي جندل بن سهيل ﷺ وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية؛ وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعد أن ينزلهم بقعة حسنة، وهي المدينة التي استقروا بها، وقيل: إن "حسنة" صفة لمصدر، أي: لنبوئنهم تبوئة حسنة، وقرئ "لنثوينهم" بالثاء من الثواء. ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ وصف للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتا، أو على تقدير هم الذين، أو أمدح الذين. ﴿إِلاَّ رِجَالاً﴾ رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر. ﴿فَسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أحبار اليهود والنصارى؛ لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر.

بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ يتعلق بـ"أرسلنا" الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام، أو بأرسلنا مضمرا، أو بـ"يوحى"، أو بـ"تعلمون". ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن. ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة. ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ يعني كفار قريش عند جمهور المفسرين، و"السيئات" تحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد بها الأعمال السيئات؛ أي: المعاصي فيكون "مكروا" يتضمن معنى عملوا، والآخر: أن يريد: المكرات السيئات، أي: مكرهم بالنبي ﷺ فيكون المكر على بابه. ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ يعني في أسفارهم. ﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: بمفلتين، حيث وقع. ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه على تنقص؛ أي: ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهذا أشار بقوله ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخف من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشكل عليه معنى الـ"تخوف" في الآية حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا، والوجه الثاني: أنه من الخوف، أي: يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ ﴾ معنى الآية: اعتبار بانتقال الظل، ويعني بقوله "ما خلق الله من شيء"، الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس، وقوله "يتفيؤا" من الفيء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة، وقال رؤبة بن العجاج: يقال بعد الزوال ظل وفيء، ولا يقال قبله إلا ظل، ففي لفظ "يتفيؤا" هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم، لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع "يتفيؤا" موضع ينتقل أو يميل، والضمير في "ظلاله" يعود على "ما" أو على "شيء". ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ يعني عن الجانبين أي: يرجع الظل من جانب إلى جانب، و"اليمين" بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان و"الشمائل"

سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

للأجرام؛ فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة للإنسان. ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال من الظلال، وقال الزمخشري: حال من الضمير في "ظلاله"، إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله "من شيء"، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام، واختلف في معنى هذا السجود، فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد، وقيل: هو سجود حقيقة. ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: صاغرون، وجمع بالواو؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ يحتمل أن يكون "من دابة" بيان لـ"ما في السماوات وما في الارض" معا؛ لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب، ويحتمل أن يكون بيانا لـ"ما في الارض" خاصة، وإنما قال "ما في السماوات وما في الارض" ليعم العقلاء وغيرهم، ولو قال: من في السماوات، لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري. ﴿وَالْمَلآئِكَةُ﴾ إن كان قوله "من دابة" بيانا لـ"ما في السماوات وما في الارض"، فقد دخل "الملائكة" في ذلك وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا، وإن كان "من دابة" لـ"ما في الارض" خاصة، فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان لنفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم. ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى، وقيل: إن "اثنين" مفعول أول و"إلهين" مفعول ثان، فلا يكون في الكلام تأكيد. ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم لأن الغائب هو المتكلم، و"إياي" مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه "فارهبون" لأنه قد أخذ معموله. ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: واجبا وثابتا، وقيل: دائما، وانتصابه على الحال من "الدين". ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون الواو للاستئناف أو للحال، فيكون الكلام متصلا بما قبله، أي: كيف تتقون غير الله! وما بكم من نعمة فمنه وحده. ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع. ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعدها ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فعلى هذا يبتدئ بها،

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ

وقيل هي لام العاقبة، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي؛ وذلك بعيد في المعنى، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله "بما ءاتيناهم"، أو كفر الجحود والشرك لقوله ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ يريد التمتع في الدنيا، وذلك أمر على وجه التهديد. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الضمير في "يجعلون" لكفار العرب، فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها، والمراد بقوله "لما لا يعلمون" الأصنام، والضمير في "لا يعلمون" للكفار، أي: "لا يعلمون" ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة، وقيل: الضمير في "لا يعلمون" للأصنام، أي: الأشياء غير عالمة؛ وهذا بعيد. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول الكفار: إن الملائكة بنات الله؛ ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله ﴿سُبْحَانَهُ﴾. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون، يعني بذلك الذكور من الأولاد، وأما الإعراب فيجوز أن يكون "ما يشتهون" مبتدأ وخبره المجرور قبله، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، وأن يكون معطوفا على "البنات" على أن هذا يمنعه البصريون؛ لأنه من باب ضربتُني، وكان يلزم عندهم أن يقال: لأنفسهم. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ إخبار عن حال العرب في كراهتهم للبنات، و"ظل" هنا يحتمل أن تكون على بابها أو بمعنى صار، والسواد عبارة عن العبوس والغم، وقد يكون معه سواد حقيقة، و﴿كَظِيمٌ﴾ قد ذكر في يوسف. ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يستخفي من أجل سوء ما بشر به. ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ المعنى: يدبر وينظر، هل يمسك الأنثى التي بشر بها على هوان وذل لها أو يدفنها في التراب حية، وهي الموؤودة، وهذا معنى "يدسه في التراب". ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد، وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص. ﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى من الغنى عن كل شيء والنزاهة عن صفات المخلوقين. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾ يعني لو يعاقبهم في الدنيا. ﴿بِظُلْمِهِم﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم. ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير لـ"لأرض". ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يعني بني آدم وغيرهم، وهذا يقتضي أن

فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر، وقيل: يعني بني آدم خاصة. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات. ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ "أن" بدل من "الكذب"، و"الحسنى" هنا قيل: هي الجنة، وقيل: هي ذكور الأولاد. ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء والتخفيف من الإفراط، أي: متجاوزون الحد في المعاصي، وبفتح الراء والتخفيف من الفرط، أي: معجلون إلى النار، وبكسر الراء والتشديد من التفريط. ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ يحتمل أن يريد بـ"اليوم" وقت نزول الآية أو يوم القيامة. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع "لتبين"، وانتصبا على أنهما مفعول من أجلهما، أي: لأجل البيان والهدى والرحمة. ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها لغتان، يقال: سقى وأسقى. ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الضمير لـ"لأنعام"، وإنما ذُكر لأنه مفرد بمعنى الجمع، كقولهم ثوبٌ أخلاقٌ، أو لأنه اسم جنس، وإذا أنث فهو جمع نعم. ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الـ"فرث" هو ما في الكرش من القذر، والمعنى: أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة، و"من" في قوله "مما في بطونه" للتبعيض، وفي قوله "من بين فرث" لابتداء الغاية. ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ يعني سهلا للشرب حتى قيل: لم يغص أحد قط باللبن. ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرها، ويدل عليه "نسقيكم" الأول، أو يكون "من ثمرات" معطوفا على "مما في بطونها"، أو يتعلق "من ثمرات" بـ"تتخذون"، وكرر "منه" توكيدا، أو يكون "تتخذون" صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون. ﴿سَكَرًا﴾ يعني الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة بالتحريم، وقيل: إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم فلا نسخ، وقيل: السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب، والرزق الحسن

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ

العنب والتمر والزبيب. ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام؛ فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي إلهام. ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ "أن" مفسرة للوحي الذي أوحي إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع؛ إما في الجبال وكواها، وإما في متجوف الأشجار، وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح والحيطان ونحوها، و"من" في المواضع الثلاثة للتبعيض؛ لأن النحل إنما تتخذ بيوتها في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن، وعرش معناه: هيأ أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب. ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ عطف "كلي" على "اتخذي"، و"من" للتبعيض وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار، وقيل: المعنى من كل الثمرات التي تشتهيها. ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني الطرق في الطيران، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه. ﴿ذُلُلاً﴾ أي: مطيعة منقادة، ويحتمل أن يكون حالا من الـ"سبل"، قال مجاهد: لم يتوعر قط على النحل طريق، أو حالا من "النحل" أي منقادة لما أمرها الله به. ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني العسل. ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أي: منه أبيض وأصفر وأحمر. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر ﷺ يتداوى به من كل شيء، فكأنه أخذه على العموم، وعلى ذلك يدل الحديث عن النبي ﷺ أن رجلا جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: **«اسقه عسلا»**، فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع. قال: **«فاذهب فاسقه عسلا؛ فقد صدق الله وكذب بطن أخيك»** فسقاه فشفاه الله عز وجل [البخاري: 5360]. ﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: إلى أخسه وأحقره؛ وهو الهرم، وقيل: حده خمسة وسبعون عاما، وقيل: ثمانون؛ والصحيح أنه لا ينحصر في مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس. ﴿لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ اللام لام الصيرورة، أي: يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان، وقيل: المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا. ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الآية، في معناها قولان؛ أحدهما: أنها احتجاج على الوحدانية، كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق، ولا تجعلونهم

فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟ والآخر: أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه، حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث: «**أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون**» [مسلم: 3007]؛ والأول أرجح. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله وعبادة غيره، وعلى المعنى الثاني إشارة إلى جنس المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الزوجات، و"من انفسكم" يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريتها. ﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم أولاد البنين، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم، وقيل: البنات؛ لأن لفظ الـ"بنين" المذكر لا يدل عليهن، والحفدة في اللغة الخدمة. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، توبيخ للكفار ورد عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقا، وانتصب ﴿رِزْقًا﴾ لأنه مفعول بـ"يملك"، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق، فإن كان مصدرا فإعراب ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به، لأن المصدر ينصب المفعول، وإن كان اسما فإعراب "شيئا" بدل منه. ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على "ما" لأن المراد به الآلهة، ونفي الاستطاعة بعد نفي الملك لأن نفيها أبلغ في الذم. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ الآية، مثل لله تعالى وللأصنام؛ فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف شاء، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام؟ وإنما قال ﴿لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور، كالمكاتب والمأذون له. ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ﴾ "من" هنا نكرة موصوفة، والمراد بها: من هو حر قادر؛ كأنه قال: وحرا "رزقناه" ليطابق "عبدا"، ويحتمل أن تكون موصولة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: هل يستوي العبيد والأحرار الذين ضرب بهم المثل؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرا لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ الآية: مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله، والمقصود بها إبطال مذاهب المشركين وإثبات الوحدانية لله تعالى، وقيل: إن الرجل الأبكم أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر ﷺ؛ والأظهر عدم التعيين. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾ الـ"كل" الثقيل؛ يعني أنه عيال على وليه أو سيده، وهو مثل للأصنام، والذي ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هو الله تعالى. ﴿وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيان لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه كقوله ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وقيل: المراد سرعة إتيانها. ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأمهات جمع أم، زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل، وقرئ بضم الهمزة وكسرها إتباعا للكسرة قبلها. ﴿فِي جَوِّ السَّمَآءِ﴾ أي: في الهواء البعيد من الأرض. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السكن مصدر يوصف به، وقيل: هو فعل بمعنى مفعول، ومعناه: ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ يعني الأدم من القباب وغيرها. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفة. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني في السفر والحضر، والـ"يوم" هنا بمعنى الوقت، ويقال ظعن الرجل إذا رحل، وقرئ "ظعَنكم" بفتح العين وإسكانها تخفيفا. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز والبقر. ﴿أَثَاثًا﴾ الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: جعل. ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: إلى وقت غير معين، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموتوا. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً﴾ نعمة عددها الله

وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

عليهم بالظل، لأن الظل في بلادهم مطلوب محبوب لشدة حرها، ويعني بـ"ما خلق" الشجر وغيرها. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ الأكنان جمع كُن؛ وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ الـ"سرابيل" هي الثياب من القمص وغيرها، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم، وقيل: لأن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني دروع الحديد. ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا، والضمير في "يعرفون" للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل: نعمة الله هنا نبوة محمد ﷺ. ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد عليهم بإيمانهم أو كفرهم. ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار. ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يسترضون، وهو من العتبى بمعنى الرضى. ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر؛ أي: لا ينظر الله إليهم. ﴿فَأَلْقَوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في "ألقوا" للمعبودين، والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم: إنهم كانوا يعبدونهم كقولهم ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله لا في العبادة. ﴿وَأَلْقَواْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا له وانقادوا. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ روي أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ يعني "بالعدل" فعل الواجبات وبـ"الاحسان" المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود ﷺ: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى. ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان ولكنه جرده بالذكر اهتماما به. ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قيل: يعني الزنا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي. ﴿وَالْبَغْيِ﴾ يعني الظلم. ﴿وَلَا تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى «فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» كما جاء في الحديث [مسلم: 1650]، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره أو معاهدة لغيره. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ أي: رقيبا ومتكفلا بوفائكم بالعهد، وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ، وقيل: فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية. ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبه الله من يحلف ولا يفي بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلا قويا ثم تنقضه، ويروى أنه كانت بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد كانت تفعل ذلك، وبها وقع التشبيه، وقيل: إنما شبه بامرأة غير معينة. ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نكث وهو ما ينكث؛ أي: ينقض، وانتصابه على الحال. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ "أن" في موضع المفعول من أجله، أي: بسبب أن تكون أمة، ومعنى "أربى" أكثر عددا أو أقوى، ونزلت الآية في العرب الذي كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية، وقيل: الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير للأمر بالوفاء، أو لكون أمة هي أربى من أمة، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا. ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة في الرجوع

وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَيَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد الـ"قدم" ونكرها لاستعظام الزلل في قدم واحد، فكيف في أقدام كثيرة. ﴿وَتَذُوقُواْ السُّوءَ﴾ يعني في الدنيا. ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يدل على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة. ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ الثمن القليل عرض الدنيا، وهذا نهي لمن بايع النبي ﷺ أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار، ورجائه الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: يفنى. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ يعني في الدنيا، فقال ابن عباس رضي الله عنه: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة، وقيل: هي حياة الآخرة. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، أو إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ بالله. ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم. ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ أي: يتخذونه وليا. ﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية. ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ التبديل هنا النسخ، كان الكفار إذا نسخت آية قالوا: هذا افتراء، ولو كان من عند الله لم يبدل. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها رد على الكفار، أي: الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبريل. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره،

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾

ويحتمل أن يكون قوله "بالحق" بمعنى حقا أو بمعنى أنه واجب النزول. ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش، وقيل: كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلمان محمدا [شعب الإيمان: 136]. ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ الـ"لسان" هنا بمعنى اللغة والكلام، و"يلحدون" من ألحد إذا مال، وقرئ بفتح الياء من لحد وهما بمعنى واحد، وهذا رد عليهم، فإن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللهُ﴾ هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، فاللفظ عام يراد به الخصوص كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، وقال ابن عطية: المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر تهمما بتقبيح أفعالهم. ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ رد على قولهم "إنما أنت مفتر" يعني إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه. ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله، أي: هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم "إنما أنت مفتر". ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ﴾ الآية، "من" شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك "من" في قوله ﴿مَّن شَرَحَ﴾؛ لأنه تخصيص من الأول، وقوله ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ جواب عن الأولى والثانية لأنهما بمعنى واحد، أو يكون جوابا للثانية، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية، وقيل "من كفر" بدل من "الذين لا يومنون"، أو "من" المبتدأ في قوله "أولئك هم الكاذبون"، أو من الخبر. ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ استثناء من قوله "من كفر"، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر وصهيب وبلال رضي الله عنهم فعذرهم الله، روي أن عمار ابن ياسر رضي الله عنه شكى إلى رسول الله ﷺ ما صنع به من العذاب، وما سامح به من القول، فقال له رسول الله ﷺ: «**كيف تجد قلبك**»؟ قال: أجده مطمئنا بالإيمان قال: «**فأجبهم بلسانك؛ فإنه لا يضرك**» [المستدرك: 3362].

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ

وهذا الحكم في من أكره على النطق بالكفر، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم، فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور ومنعه قوم، وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره يمين، ولا طلاق، ولا عتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى العذاب، والباء للتعليل، فعلل عذابهم بعلتين؛ أحدهما: إيثارهم الحياة الدنيا، والأخرى: أن الله لا يهديهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ قرأه الجمهور "فتنوا" بضم الفاء، أي: عذبوا، فالآية على هذا في عمار ﷺ وشبهه من المعذبين على الإسلام، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء، أي: عذبوا المسلمين، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين، ثم هاجر وجاهد كالحضرمي ﷺ وأشباهه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كرر "إن ربك" تأكيدا، والضمير في "بعدها" يعود على الأفعال المذكورة، وهي الهجرة والجهاد والصبر. ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يحتمل أن يتعلق بـ"غفور رحيم"، أو بمحذوف تقديره: اذكر؛ وهذا أظهر. ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ الـ"نفس" هنا بمعنى الجملة كقولك: إنسان، والنفس في قوله "عن نفسها" بمعنى الذات المعينة التي نقيضها الغير، أي: تجادل عن ذاتها لا عن غيرها فهي كقولك: جاء زيد نفسه وعينه. ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي: تحتج وتعتذر، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾؟ فالجواب: أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص. ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية، قيل إن الـ"قرية" المذكورة مكة، كانت بهذه الصفة التي ذكر الله. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾ يعني بنبوة محمد ﷺ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ إليهم، وقيل: إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك، فضرب الله بها مثلا لمكة؛ وهذا أظهر؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم، والضمائر في قوله "فكفرت" و"أذاقها" يراد بها

فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

أهل القرية بدليل قوله ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ الإذاقة واللباس هنا مستعارتان؛ أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللابس ومباشرتها له كمباشرة الثوب. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالـ"قرية" مكة، فالـ"رسول" هنا محمد ﷺ، والعذاب الذي أخذهم القحط وغيره، وإن كانت الـ"قرية" غير معينة، فالـ"رسول" من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب ما أصابهم من الهلاك. ﴿فَكُلُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ هذه الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء، كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال: هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب "الكذب" بـ"لا تقولوا"، أو يكون قوله "هذا حلال وهذا حرام" بدل من "الكذب"، و"ما" في قوله "لما تصف" موصولة، ويجوز أن ينتصب "الكذب" بقوله "تصف" وتكون "ما" على هذا مصدرية، ويكون قوله "هذا حلال وهذا حرام" معمولَ "لا تقولوا". ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني عيشهم في الدنيا وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوله في الأنعام ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ إلى آخر الآية؛ فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ هذه الآية تأنيس لجميع الناس، وفتح باب التوبة. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان؛

شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ

أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

والآخر: أن يكون "أمة" بمعنى إمام؛ كقوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ابن مسعود ﷺ: الأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل: يعني المال والأولاد. ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك؛ لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه. ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم: بل يكون يوم السبت؛ فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه هو ما ذكر، و"السبت" على هذا هو اليوم، وقيل: اختلافهم فيه هو أن منهم من حرم الصيد فيه ومنهم من أحله، فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، و"السبت" على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت قاله الزمخشري، وتقتضي الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بالـ"سبيل" هنا الإسلام، و"الحكمة" هي الكلام الذي يظهر صوابه، و"الموعظة" هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدل، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف، وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار، وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ المعنى: إن صنع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ، ويحتمل أن يكون "عاقبتم" بمعنى أصبتم عقبى؛

وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

كقوله في الممتحنة ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ بمعنى غنمتم فيكون في الكلام تجنيس، وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ﷺ لما بقر المشركون بطنه يوم أحد، قال النبي ﷺ: «**والله لئن أظفرني الله بهم، لأمثلن بسبعين منهم**»، فنزلت الآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وترك ما أراد من المثلة [المستدرك: 4894]. ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك ويقتضي ذلك أنها مدنية، ويحتمل أن تكون الآية عامة ويكون ذكرهم لحمزة ﷺ على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة، واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال، ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية، ومنعه مالك لقوله ﷺ: «**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**» [أبو داود: 3534]. ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك، فإن العقوبة مباحة وتركها أفضل، والضمير راجع إلى الصبر، ويحتمل أن يراد بـ"الصابرين" هنا العموم أو يراد به المخاطبون؛ كأنه قال: خير لكم. ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ هذا عزم على النبي ﷺ في خاصته على الصبر، ويروى أنه قال لأصحابه: «**أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟**» قالوا: نصبر كما ندبنا. ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله، وقد قيل: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف؛ وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة ﷺ فذلك غير منسوخ. ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم. ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت، وقرئ بالكسر وهو مصدر، ويجوز أن يكون الضَيق والضيق مصدرين. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره. ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات، أو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**» [البخاري: 48] وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبة فوق التقوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ معنى "سبحان" تنزيه، وهو مصدر غير منصرف، و"أسرى" وسرى لغتان، وهو فعل غير متعد، واختار ابن عطية أن يكون "أسرى" هنا متعديا؛ أي: أسرى الملائكة بعبده؛ وهذا بعيد، والعبد هنا هو نبينا محمد ﷺ؛ وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا. ﴿لَيْلاً﴾ إن قيل: ما فائدة قوله "ليلا" مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله "ليلا" بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة. ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ يعني بـ"المسجد الحرام" مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال: «**بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل**» [الطبري: 14/ 414]، وقيل: كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، فـ"المسجد الحرام" على هذا مكة أي: بلد المسجد الحرام، وأما "المسجد الأقصا" فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسمي "الأقصا" لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ويحتمل أن يريد بـ"الأقصا" الأبعد، فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة، واختلف العلماء في كيفية الإسراء؟ فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه، وقال قوم: كان بروحه خاصة، وكانت رؤيا نوم حق، فحجة الجمهور أنه لو كان مناما لم تنكره قريش ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار، ألا ترى قول أم هانيء له: لا تخبر بذلك فيكذبك قومك، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما: قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ وإنما يقال: الرؤيا في المنام، ويقال: فيما يرى بالعين: رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**بينما أنا بين النائم واليقظان**» وذكر الإسراء، وقال في آخر الحديث: «**فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام**» [البخاري: 3207]، وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال: إن الإسراء كان مرتين أحدهما بالجسد والآخر بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس؛ وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السماوات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقي الأنبياء في السماوات. ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين؛ أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء، والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام. ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءايَاتِنَا﴾ أي: لنري محمدا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السماوات، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة، والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء وهي في مصنفات الحديث، فأغنى ذلك عن ذكرها هنا. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ يحتمل أن يعود الضمير على "الكتاب" أو على "موسى". ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ أي: ربا

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ

تكلون إليه أمركم، و"أن" يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة. ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادى، وفي ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله، وقيل: هو مفعول "تتخذوا" ويتعين ذلك على قراءة من قرأ "يتخذوا" بالياء، ويعني بـ"من حملنا مع نوح" أولاده الثلاثة؛ وهم سام وحام ويافث ونساؤهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: كثير الشكر، كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم، أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح. ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ قيل: إن "قضينا" هنا بمعنى أعلمنا وأخبرنا، كما قيل في ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾، و"الكتاب" على هذا التوراة، وقيل: "قضينا" من القضاء والقدر، و"الكتاب" على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء، و"إلى" بمعنى على. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيان للمقضي، وهي في موضع جواب "قضينا" إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول "قضينا"، والمرتان المشار إليهما؛ إحداهما: قتل زكريا، والأخرى: قتل يحيى عليهما السلام. ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ من العلو وهو الكبر والتجبر. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ المعنى: أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم على أيديهم، واختلف في هؤلاء العبيد؟ قيل: يعني جالوت وجنوده، وقيل: بختنصر ملك بابل. ﴿فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي: ترددوا بينها بالفساد، روي أنهم قتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وخربوا المساجد، وسبوا منهم سبعين ألفا. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بُعثوا عليكم، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل، واستنقاذ أسراهم وقتل بختنصر، وقيل: قتل داود لجالوت. ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عددا، وهو مصدر من قولك: نفر الرجل إذا خرج مسرعا، أو جمع نفر. ﴿إِنَ اَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ "أحسنتم" الأولى بمعنى فعل الحسنات، والثاني بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنت إلى فلان، ففيه تجنيس، واللام فيه بمعنى إلى، وكذلك اللام في قوله ﴿وَإِنَ اَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ يعني إذا أفسدوا في المرة الآخرة

وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٠﴾ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ

بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم؛ فـ"الاخرة" صفة للمرة، ومعنى "ليسوؤوا وجوهكم" يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء، كقوله ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واللام لام كي، وهي تتعلق بـ"بعثنا" المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل: هي لام الأمر. ﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ﴾ يعني بيت المقدس. ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ من التبار وهو الإهلاك وشدة الفساد. ﴿مَا عَلَوْاْ﴾ "ما" مفعول "ليتبروا" أي: ليهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد، وقيل: إن "ما" ظرفية أي: يفسدوا مدة علوهم. ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطاب أيضا لبني إسرائيل، ومعناه: ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد المرة الثانية. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب أيضا لبني إسرائيل، أي: إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة. ﴿حَصِيرًا﴾ أي: سجنا، وهو من الحصر، وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف. ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة والحالة التي هي أقوم، وقيل: يعني لا إله إلا الله؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ المعنى: ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبت، وقيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية. وقد تقدم أن الصحيح في قائلها هو أبو جهل. ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ "الانسان" هنا وفي الذي قبله اسم جنس، وقيل: يعني هنا آدم؛ وهو بعيد. ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في "ءاية الليل" و"ءاية النهار" كقولك: مسجد الجامع، أي: الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار، ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما، والوجه الثاني: أن يراد بـ"آية الليل" القمر، وبـ"آية النهار" الشمس، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس. ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس، ومعنى "مبصرة" تبصر فيها الأشياء. ﴿لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتتوصلوا

وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾

بضوء النهار إلى التصرف في معايشكم. ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ﴾ باختلاف الليل والنهار، أو بمسير الشمس والقمر. ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالۡحِسَابَ﴾ الأشهر والأيام. ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَاهُ تَفۡصِيلاً﴾ انتصب "كل" بفعل مضمر، والتفصيل البيان. ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلۡزَمۡنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ انتصب "كل" بفعل مضمر، والطائر هنا العمل، والمعنى أن عمله لازم له، وقيل: "طائره" ما قدر عليه وله من خير وشر، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير، وقوله "في عنقه" أي: هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه. ﴿كِتَابًا يَلۡقَاهُ مَنشُورًا﴾ يعني صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات. ﴿اقۡرَأۡ كِتَابَكَ﴾ تقديره: يقال له اقرأ. ﴿حَسِيبًا﴾ أي: محاسبا، أو من الحساب بمعنى العدد. ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَى﴾ معناه حيث وقع: لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، والوزر في اللغة: هو الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، ومعنى "تزر" تحمل وزر أخرى، أي: وزر نفس أخرى. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبۡعَثَ رَسُولاً﴾ قيل: إن هذا في حكم الدنيا، أي: أن الله لا يُهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم، وقيل: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب في الآخرة قوما إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه، ويدل على هذا قوله ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ قَالُواْ بَلَىٰ﴾، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل. ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ في تأويل "امرنا" هنا ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون في الكلام حذف تقديره: أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا، والثاني: أن يكون "امرنا" عبارة عن القضاء عليهم بالفسق، أي: قضينا عليهم بالفسق ففسقوا، والثالث: أن يكون "امرنا" بمعنى كثرنا؛ واختاره أبو علي الفارسي، وأما على قراءة "آمرنا" بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا، وأما على قراءة "أمّرنا" بتشديد الميم فهو من الإمارة، أي: جعلناهم أمراء ففسقوا، والمترف: الغني المتنعم بالدنيا. ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا الۡقَوۡلُ﴾ أي: القضاء الذي قضاه الله. ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ الۡقُرُونِ﴾ القرن مائة سنة، وقيل: أربعون.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعم من ذلك، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين؛ أحدهما: تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله، والآخر: تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله، و ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من "له"، وهو بدل بعض من كل. ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي: مبعدا ومهانا. ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها عملها. ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ﴾ انتصب "كلا" بـ"نمد" وهو من المدد، ومعناه: نزيدهم من عطائنا. ﴿هَؤُلَآءِ وَهَؤُلَآءِ﴾ بدل من "كلا"، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين. ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يعني رزق الدنيا، وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصي لمن أراد الدنيا؛ والأول أظهر. ﴿مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعا. ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني في رزق الدنيا. ﴿لا تَجْعَلْ﴾ خطاب لواحد والمراد جميع الخلق؛ لأن المخاطب غير معين. ﴿مَذْمُومًا﴾ أي: يذمه الله وخيار عباده. ﴿مَّخْذُولاً﴾ أي: غير منصور. ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أي: حكم وألزم وأوجب، أو أمر؛ ويدل على ذلك ما في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه "ووصى ربك". ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ﴾ "أن" مفسرة أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ هي "إن" الشرطية دخلت عليها "ما" المؤكدة وجوابها. ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ والمعنى: الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بمؤنتهما لضعفهما، ومعنى "عندك" أي: في بيتك وتحت كنفك. ﴿أُفٍّ﴾ حيث وقع: اسم فعل معناها قول مكروه، يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين؛ فأولى وأحرى أن لا يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في "أف" الفتح والكسر والضم وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير. ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ من الانتهار، وهو الإغلاظ في القول. ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة في معنى التواضع لهما

إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾

والرفق بهما، فهو كقوله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤمِنِينَ﴾، وأضافه إلى "الذل" مبالغة في المعنى، كأنه قال الجناح الذليل، و"من" في قوله: "من الرحمة" للتعليل؛ أي: من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما. ﴿لِلأَوَّابِينَ﴾ قيل: معناه الصالحين، وقيل: المسبحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع، فحقيقته: الراجعين إلى الله. ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقهم من بيت المال؛ والأول أرجح. ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية، معناها: إن أعرضت عن ذوي القربى، والمساكين، وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم، فقل لهم كلاما حسنا، وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد، فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه حياء منه، فأمر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله، أو أعطاكم الله، أو شبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر. ﴿ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله "وإما تعرضن عنهم"، والمعنى على هذا: أنه يُعرض عنهم انتظارا لرزق يأتيه فيعطيه إياهم، فالـ"رحمة" على هذا هو ما يرتجيه من الرزق، أو يتعلق بقوله ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ أي: ابتغ رحمة ربك بالقول الميسور، والـ"رحمة" على هذا هي الأجر والثواب. ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى غاية البخل، كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه. ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ استعارة في معنى غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما كقوله ﴿إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتِرُوا﴾. ﴿مَلُومًا﴾ أي: يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء؛ لأنك لم تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء. ﴿مَّحْسُورًا﴾ أي: منقطعا بك لا شيء عندك، وهو من قولهم: حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، فلا تهتم بما تراه من ذلك فإن الله أعلم بمصالح عباده. ﴿وَلاَ تَقْتُلُوآ أَوْلاَدَكُمْ﴾ ذكر

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا

في الأنعام. ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ﴾ الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث؛ كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى» [البخاري: 6484]، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها في معناها كالحرابة، وترك الصلاة، ومنع الزكاة. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ المظلوم هنا من قتل بغير حق، والولي هو ولي المقتول وسائر العصبة، وليس النساء من الأولياء عند مالك، والسلطان الذي جعله الله هو القصاص، أو تخيير بين العفو والقصاص. ﴿فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف ولي المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، وغير ذلك من وجوه التعدي، وقرئ "فلا تسرف" بالتاء خطابا للقاتل أو لولي المقتول. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الضمير للمقتول أو لوليه، ونصره هو القصاص. ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ﴾ ذكر في الأنعام، قال بعضهم "لا تقربوا" "ولا تقتلوا" معطوفان على "ألا تعبدوا"؛ والظاهر أنهما مجزومان بالنهي بدليل قوله بعدها "ولا تقف" "ولا تمش"، ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا "تعبدوا" مجزوما على النهي، وأن مفسرة. ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ﴾ عام في العهود مع الله ومع الناس. ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون في معنى الطلب أي: يُطلب الوفاء بالعهد، والثاني: أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة هل وفى به أم لا؟. ﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل، وقرئ بكسر القاف وهي لغة. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي: أحسن عاقبة ومآلا، وهو من آل إذا رجع. ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من: قفوته إذا تبعته. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ "أولئك" إشارة إلى "السمع والبصر والفؤاد"، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بـ"أولئك" لأنها حواس لها إدراك، والضمير في "عنه" يعود على "كل"، ويتعلق "عنه" بـ"مسئولا"، والمعنى: أن الإنسان يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل: الضمير يعود على "ما ليس لك به علم"، والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عما ليس لها به علم؛ وهذا بعيد. ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ المرح الخيلاء والكبر في المشية، وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا، وإعرابه مصدر في موضع

إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾

الحال. ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها، والخرق هو القطع، وقيل: معناه لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي، والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء؛ أي: إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض، ولا على مطاولة الجبال، فكيف تتكبر وتختال في مشيك؟ وإنما الواجب عليك التواضع. ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا بمعنى الحرام لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام، وإعراب "مكروها" نعت لـ"سيئة"، أو بدل منها، أو خبر ثان لـ"كان". ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات؟، ومعنى أصفاكم: خصكم. ﴿قَوْلاً عَظِيمًا﴾ أي: عظيم النكر والشناعة. ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان؛ أحدهما: أن المعنى لو كان مع الله آلهة لا بتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكونون من جملة عباده، والآخر: لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ﴾ الآية، اختلف في كيفية هذا التسبيح، فقيل: هو تسبيح بلسان الحال؛ أي بما تدل عليه صنعتها من قدرته وحكمته، وقيل: إنه تسبيح حقيقة؛ وهذا أرجح لقوله ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أن الله أخبر نبيه ﷺ أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شرا ويحجبه منهم، والآخر: أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن؛ وهذا أرجح لما بعده، والمستور هنا قيل: معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات، وقيل: معناه ساتر.

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كنان وهو الغطاء، و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله تقديره: كراهة أن يفقهوه، وهذه كلها استعارات في إضلالهم. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ الآية، معناها: إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون عن ذلك؛ لما فيه من رفض آلهتهم وذمها، و﴿نُفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال. ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في "به" عائد على "ما"، أي: نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء. ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أي: جماعة يتناجون، أو هم ذووا نجوى، والنجوى: كلام السر. ﴿رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ قيل: معناه جن فسحر، وقيل: معناه ساحر، وقيل: هو من السَحر بفتح السين وهي الرئة، أي: بشرا ذا سحر مثلكم؛ وهذا بعيد. ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ﴾ أي: مثلوك بالشاعر، والساحر، والمجنون. ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الحق. ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إلى الهدى، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة وأصحابه من الكفار. ﴿وَقَالُواْ أَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ الآية، معناها: إنكارهم البعث واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم، والرفات الذي بلي حتى صار غبارا أو فُتاتا، وقد ذكر في الرعد اختلاف القراء في الاستفهاميين.

﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة، فأولى وأحرى أن نبعث أجسادكم ونحيي عظامكم البالية، فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما، ومعنى قوله "كونوا" أي: كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك. ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: يعني السماوات والأرض والجبال، وقيل: بل أحال على فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم، أي: لو كنتم حجارة أو حديدا، أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها تحريك المستبعد للشيء أو المستهزئ. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي: متى يكون البعث؟.

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور، والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين، و"بحمده" في موضع الحال؛ أي: حامدين له، وقيل: معنى "بحمده" بأمره. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور. ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا طيبا، وقيل: أن يقولوه للمشركين ثم نسخ ذلك بالسيف، وإعراب "يقولوا" كقوله ﴿يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ في إبراهيم، وقد ذكر. ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ قيل: يعني الملائكة، وقيل: يعني عيسى وأمه وعزير، وقيل: نفر من الجن كان العرب يعبدونهم؛ والمعنى: أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم فكيف تعبدونهم. ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ المعنى: أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله، يبتغون القربة إلى الله ويرجونه ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه؟ وإعراب "أولئك" مبتدأ، و"الذين يدعون" صفة له، و"يبتغون" خبره، والفاعل في "يدعون" ضمير للكفار، وفي "يبتغون" للآلهة المعبودين، وقيل: الضمير في "يدعون" و"يبتغون" للأنبياء المذكورين قبل في قوله ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾، و"الوسيلة" هي ما يتوسل به ويتقرب. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من الضمير في "يبتغون" أي: يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم فكيف بغيره؟ أو ضُمن "يبتغون" معنى يحرصون، فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالاجتهاد في طاعته، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله. ﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر وهو الخوف. ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يحتمل هذا الهلاك وجهين؛ أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بد منه، والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة واحدة فيهلكها؛ وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم

كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ

لا يفتقر إلى الإخبار به، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هو في الحقيقة لأهل القرى، أي: مهلكوا أهلها أم معذبوهم، وروي أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالترك، والأندلس بالخيل، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة؟ فقال: أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها في ثورة ابن هود، وأما هلاك قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغيرها بأخذ الروم لها. ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني اللوح المحفوظ. ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ "الآيات" هنا يراد بها التي يقترحها الكفار، فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله، وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا بها فيهلكوا، وعبر بالمنع عن ترك ذلك، و"أن نرسل" في موضع نصب، و"أن كذب" في موضع رفع، ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم، ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة واضحة الدلالة. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ إن أراد "بالايات" هنا المقترحة، فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك، وإن أراد المعجزات غير المقترحة، فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن، وقيل: المراد "بالايات" هنا الزلازل والرعد والكسوف وغير ذلك من المخاوف. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المعنى: اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط قريش؛ يعني بشرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، وإنما قال "أحاط" بلفظ الماضي وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد، وقيل: المعنى أحاط بالناس في منعك وحياطتك منهم كقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ اختلف في هذه الرؤيا، فقيل: إنها الإسراء؛ فمن قال إنه كان في اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومن قال إنه كان في المنام فالرؤيا منامة، والـ"فتنة" على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ، وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر، والـ"فتنة" على هذا تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به، وقيل: رؤياه أنه يدخل مكة، فعجل في سنة الحديبية فرد عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك، وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ يعني شجرة الزقوم، وهي معطوفة على الرؤيا، أي: جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك، وقالوا: كيف تكون شجرة في النار، والنار تحرق الشجر؟ وقال

وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ

أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، فإن قيل: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ فالجواب: أن المراد لعنة آكلها، وقيل: إن اللعنة بمعنى الإبعاد والكراهة لأنها في أصل الجحيم. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش. ﴿طِينًا﴾ تمييز أو حال من "مَنْ"، أو من مفعول "خلقتَ". ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من "أرايتك" للخطاب لا موضع لها من الإعراب، وهذا مفعول بـ"أرايت"؛ والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كرمته علي؛ أي: فضلته، لم فضلته وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك، وقال ابن عطية: "أرايتك" هنا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني. ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ معناه: لأميلنهم وأقودهم، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة؛ وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد. ﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ قال ابن عطية: "اذهب" وما بعده من الأوامر صيغة أمر على وجه التهديد، وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء، إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته خذلانا له وتخلية، ويحتمل عندي أن يكون معناه الطرد والإبعاد. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ليرجع إلى "من تبعك"، ولكنه ذكره بلفظ الخطاب تغليبا للمخاطب على الغائب وليدخل إبليس معهم. ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال، والموفور المكمل. ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ أي: اخدع واستخف. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير، وقيل: الدعاء إلى المعاصي. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي: هول، وهو من الجلبة وهو الصياح. ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل، والرجل جمع راجل وهو الذي على رجليه، فقيل: هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك، وقيل: إن له من الشياطين خيلا ورجلا، وقيل: المراد فرسان الناس ورجالهم المتصرفون في الشر. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ مشاركته في الأموال هي بكسبها بالربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاد بالزنا، وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك. ﴿وَعِدْهُمْ﴾ يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك. ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ

بعد ذلك ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾، ونحوه ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ أي: يجريها ويسيرها، و"الفلك" هنا جمع، وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها. ﴿الْضُّرُ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني خوف الغرق. ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ "ضل" هنا بمعنى تلف وفقد، أي: تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده، فلجأتم حينئذ إليه دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه؟ ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي: كفورا بالنعم، و"الانسان" هنا جنس. ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف، أي: أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف في البر؟. ﴿حَاصِبًا﴾ يعني حجارة أو ريحا شديدة ترمي بالحصباء. ﴿وَكِيلاً﴾ أي: قائما بأموركم وناصرا لكم. ﴿قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني الذي يقصف ما يلقى؛ أي: يكسره. ﴿تَبِيعًا﴾ أي: مطالبا بثأركم، أي: لا تجدون من ينتصر لكم منا كقوله ﴿فَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ يعني فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة، ولذلك قال ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾، وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة؛ وهذه أمثلة. ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ قيل: يعني نبيهم؛ يقال: يا أُمَّة فلان، وقيل: يعني كتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم. ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى: أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر. ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ الإشارة بـ"هذه" إلى الدنيا، والعمى يراد به عمى القلب، أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى والصواب، فهو في يوم القيامة أعمى، أي:

وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ

حيران يئس من الخير، ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة عمى البصر كقوله ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلا؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء، ويجوز في "أعمى" الثاني أن يكون صفة كالأول، وأن يكون من أفعل التي للتفضيل؛ وهذا أقوى لقوله ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ فعطف "أضل" الذي هو من أفعل من كذا على ما هو شبيهه، وقال سيبويه: لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا، ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر لا عمى القلب. ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية، سببها أن قريشا قالوا للنبي ﷺ: اقبل على بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك، وقيل: إن ثقيفا طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى، والآية على هذا القول مدنية. ﴿لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ الافتراء هنا يراد به مخالفة ما أوحي إليه في القرآن أو في غيره. ﴿وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ أي: لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلا. ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ "لولا" تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته، و"كدت" تقتضي أيضا نفي الركون إليهم، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أنه لم يفعله، فانتفى الركون إليهم ومقاربته، فليس في ذلك غض من جانب النبي ﷺ؛ لأن التثبيت منعه من مقاربة الركون إليهم، ولو لم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ولا قارب ذلك. ﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ أي: ضعف عذابهما لو فعل ذلك. ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ الضمير لقريش، كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة وذلك قبل الهجرة، فـ"الارض" هنا يراد به مكة لأنه بلده. ﴿وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ أي: لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلا قليلا، فلما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة من أجل إذاية قريش له ولأصحابه، لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا وقتلوا يوم بدر. ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ انتصب "سنة" على المصدر، ومعناه: العادة؛ أي: هذه عادة الله مع رسله. ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ هذه الآية

إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ

إشارة إلى الصلوات المفروضة؛ فـ"دلوك الشمس" زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر، و"غسق الليل" ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، "وقرءان الفجر" صلاة الصبح، وانتصب "قرءان الفجر" بالعطف على موضع اللام في قوله "لدلوك الشمس" فإن اللام فيه ظرفية بمعنى عند، وقيل: هو عطف على الصلاة، وقيل: مفعول بفعل مضمر تقديره: اقرأ قرآن الفجر، وإنما عبر عن صلاة الصبح بـ"قرءان الفجر"؛ لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين. ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه، إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل، و"من" للتبعيض، والضمير في "به" لـ"القرآن"، والتهجد السهر وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود النوم، فالتفعل هنا للخروج عن الشيء كالتحرج والتأثم في الخروج عن الإثم والحرج. ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يعني الشفاعة يوم القيامة، وانتصب "مقاما" على الظرف. ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، المدخل دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة، وقيل: المدخل في القبر والمخرج إلى البعث؛ واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور. ﴿سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قيل: معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي، وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء؛ وهذا أظهر. ﴿وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ "الحق" الإيمان و"الباطل" الكفر. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ "من" للتبعيض أو لبيان الجنس، والمراد بالـ"شفاء" أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويذ. ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ﴾ الآية، المراد بـ"الانسان" هنا الجنس؛ لأن ذلك من سجية الإنسان، وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يعرض عن الله. ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أي: بعد؛ وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرئ "ناء" وهما بمعنى واحد. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكله. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ السائلون هم اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود، و"الروح" هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه النفس، وقيل "الروح" هنا جبريل، وقيل: القرآن؛

قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾

والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك. ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنَ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من الأمور التي استأثر الله بها ولم يطلع خلقه عليها، وكانت اليهود قد قالت لقريش: اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبي، وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله، وقيل: خطاب لليهود خاصة؛ والأول أرجح؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح. ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف، وهذه الآية متصلة المعنى بقوله "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" أي: في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا إليك، فلا يبقى عندك شيء من العلم. ﴿وَكِيلاً﴾ أي: من يتوكل برده وإعادته بعد ذهابه. ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون استثناء متصلا، بمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب، أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب. ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ عجز الخلق عن الاتيان بمثله؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها ولا يصلون إليها، ثم جاءت به على الكمال، وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه، ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجها. ﴿ظَهِيرًا﴾ أي: معينا. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة والبراهين القائمة والحجج الواضحة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا. ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ الكُفور الجحود، وانتصب بقوله "أبى" لأنه في معنى النفي. ﴿وَقَالُواْ لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّى تُفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ الذين قالوا

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

هذا القول هم أشراف قريش طلبوا من النبي ﷺ أنواعا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في هذه الآية، وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبي ﷺ ثم أسلم بعد ذلك، والينبوع العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففجر لنا عينا من ماء. ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ "كسفا" بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة، وقرئ بالإسكان أي: قطعا واحدا. ﴿قَبِيلاً﴾ قيل: معناه مقابلة ومعاينة، وقيل: ضامنا شاهدا بصدقك، والقبالة في اللغة الضمان. ﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: من ذهب. ﴿تَرْقَى﴾ في سلم ونحن نراك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب من اقتراحاتهم، وتنزيه لله عن قولهم "تاتي بالله"، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار؛ لأن ذلك سوء أدب. ﴿هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ أي: إنما أنا بشر فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنا رسول فليس علي إلا التبليغ. ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ المعنى أن الذي منع الناس من الإيمان هو إنكارهم لبعث الرسول من البشر. ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ﴾ الآية، معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكة، لكان الرسول إليهم ملكا، ولكنهم بشر فالرسول إليهم بشر من جنسهم، ومعنى ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين في الأرض. و﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ قيل: هي استعارات بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى، وقيل: هي حقائق وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ معناه في اللغة: سكن لهبها، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت. ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ استبعاد للحشر،

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

وقد تقدم معنى الرفات، والكلام في الاستفهاميين. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية، احتجاج على الحشر بأن السماوات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه، والرؤية في الآية رؤية قلب. ﴿أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ القيامة أو أجل الموت. ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ "لو" حرف امتناع ولا يليها إلا الفعل ظاهرا، أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره: لو تملكون، ثم فسره بـ"تملكون" الظاهر، و"أنتم" تأكيد للضمير الذي في تملكون المضمر. ﴿خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ أي: الأموال والأرزاق. ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الاِنفَاقِ﴾ أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن العطاء خشية الفقر، فالمراد بـ"الانفاق" عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول "أمسكتم" محذوف، وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك، ومعنى الآية: وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى. ﴿تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، وحل العقدة من لسانه، وفلق البحر، وقد عد فيها رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الأخر، وقد عد فيها أيضا السنون والنقص من الثمرات، وروي أن بعض اليهود سألوا النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**هي ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت**» [الترمذي: 2733]. ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا، والآية على هذا خطاب لمحمد ﷺ، وقال الزمخشري: المعنى قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون؛ أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله ﴿فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾. فالأمر في قوله "اسأل" لموسى على إضمار القول، وقال أيضا: يحتمل أن يكون المعنى: اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى؛ والأول أظهر. ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمراد آباؤهم الأقدمون، والعامل في "إذ" على القول الأول "آتينا موسى" أو فعل مضمر، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف. ﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي الفرقان، أي: سحرت فاختلط عقلك، وقيل: معناه ساحر.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء خطاب لفرعون، والمعنى: أنه علم أن الله أنزل الآيات، ولكنه كفر بها عنادا، كقوله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾، والإشارة بـ﴿هَٰؤُلَآءِ﴾ إلى الآيات. ﴿مَثْبُورًا﴾ أي: مُهلكا، وقيل: مغلوبا، وقيل: مصروفا عن الخير، قابل موسى قول فرعون "إني لأظنك يا موسى مسحورا" بقوله "وإني لأظنك يا فرعون مثبورا". ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني أرض مصر. ﴿اسْكُنُواْ الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الشام. ﴿لَفِيفًا﴾ أي: جميعا مختلطين. ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الضمير للقرآن، و"بالحق" معناه في الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد، وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني ضد الباطل، أي: بالحق في إخباره وأوامره ونواهيه. ﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَاهُ﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه "فرقناه"، ومعناه: بيناه وأوضحناه. ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهل وترتيل في قراءته، وقيل: على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته؛ وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون. ﴿قُلْ ءامِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤمِنُواْ﴾ أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء آمنتم أو لم تؤمنوا لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله وهم المؤمنون من أهل الكتاب. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل؛ والأول أظهر، وهذه الجملة تعليل لما تقدم؛ والمعنى إن لم تؤمنوا أنتم به، فقد آمن به من هو أعلم منكم. ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ أي: لناحية الأذقان كقولهم: خر لليدين وللفم، و"الاذقان" جمع ذقن وهو أسفل الوجه حيث اللحية، وإنما كرر "يخرون للاذقان" لأن الأول للسجود والثاني للبكاء. ﴿قُلْ ادْعُواْ اللَّهَ أَوْ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ﴾ سببها أن الكفار

أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

سمعوا النبي ﷺ يدعو: «يا الله، يا رحمن»، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إلهين [ابن جرير: 15/ 182]، فنزلت الآية مبينة أن قوله "الله" أو "الرحمن" اسمان لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأي الاسمين شاء، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك: دعوت ولدي زيدا، لا بمعنى النداء. ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَآءَ الْحُسْنَى﴾ "أيا" اسم شرط منصوب بـ"تدعوا"، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه، و"ما" زائدة للتأكيد، والضمير في "له" لله تعالى وهو المسمى بالاسم، والمعنى: أي هذين الاسمين تدعو فحسن لأن الله له الأسماء الحسنى، فوضع قوله "فله الأسماء الحسنى" موضع الجواب، وهو في المعنى تعليل للجواب؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان. ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافتة هي الإسرار، وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الجهر والإسرار؛ ليُسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركين، وقيل: المعنى لا تجهر بصلواتك كلها، ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة، وقيل: الصلاة هنا الدعاء. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ أي: ليس له ناصر يمنعه من الذل؛ لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غني عنها، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، وحكى الطبري أن قوله ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ رد على النصارى واليهود الذين نسبوا الله ولدا، وقوله ﴿وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾ رد على المشركين، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ رد على الصابئين في قولهم: لولا أولياء الله لذل الله؛ تعالى عن قولهم علوا كبيرا. ﴿وَكَبِّرْهُ﴾ معطوف على "قل"، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم، أو باللسان وهو أن يقول: الله أكبر مع قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾

سورة الكهف

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ العبد هنا هو النبي ﷺ، وصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما باختصاصه وقربه، و"الكتاب" القرآن. ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ العِوج بكسر العين في المعاني التي لا تحس، وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها، ومعناه عدم الاستقامة، وقيل: فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل فيه، وقيل: لم يجعله مخلوقا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيما، وقيل: قيما على الخلق بأمر الله تعالى، وقيل: قيما على سائر الكتب بتصديقها، وانتصابه على الحال من "الكتاب" والعامل فيه "أنزل"، ومنع الزمخشري ذلك للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره: جعله قيما. ﴿لِيُنذِرَ﴾ متعلق بـ"أنزل" أو بـ"قيما"، والفاعل به ضمير "الكتاب" أو النبي ﷺ، والبأس العذاب، وحذف المفعول الثاني وهو الناس، كما حذف المفعول الآخر من قوله "وينذر الذين" لدلالة المعنى على المحذوف. ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد على الله تعالى. ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني الجنة. ﴿مَاكِثِينَ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في "لهم". ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هم النصارى لقولهم في عيسى، واليهود في عزير، وبعض العرب في الملائكة. ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد على قولهم أو على الولد. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التمييز، وقيل: على الحال، ويعني بالـ"كلمة" قولهم "اتخذ الله ولدا"، وعلى هذا يعود الضمير في "كبرت". ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم. ﴿عَلَى ءَاثَارِهِمْ﴾ استعارة فصيحة، كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم، وانتصب ﴿أَسَفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه "باخع نفسك". ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني ما يصلح للتزين كالملابس، والمطاعم، والأشجار، والأنهار وغير ذلك. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي: لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا. ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها،

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

والصعيد هو التراب، والجرز الأرض التي لا نبات فيها، أي: سنفني ما على الأرض من الزينة حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء بهجة. ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ "أم" هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب، و"الكهف" الغار الواسع، و"الرقيم" اسم كلبهم، وقيل: هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف، وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم، وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف، وقيل: الجبل الذي فيه الكهف، وقال ابن عباس ﷺ: لا أدري ما الرقيم. ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده وأمر بالدخول إليهم فهاب الرجال ذلك، وقالوا له: دعهم يموتوا جوعا وعطشا! وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا، فبقوا كذلك مدة طويلة، ثم أيقظهم الله وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما بدراهم كانت لهم، فعجب منها البياع وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان؛ فمن أين جاءتك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف! فقال الناس: هؤلاء هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى، وأما موضع كهفهم، فقيل: إنه بمقربة من فلسطين، وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جدرانه، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم. ومما يبعد ذلك ما روي أن معاوية ﷺ مر عليهم وأراد الدخول إليهم، ولم يدخل معاوية ﷺ الأندلس قط، وأيضا فإن الموتى الذين في غار لوشة يراهم الناس ولم يدرك أحد منهم الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف. ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ عبارة عن إلقاء النوم عليهم، وقال الزمخشري: المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول. ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: كثيرة. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم. ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: لنعلم علما يظهر في الوجود، لأن الله قد كان علم ذلك، والمراد بـ"الحزبين" الذين اختلفوا

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ

في مدة لبثهم؛ فالحزب الواحد أصحاب الكهف، والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أهل الكهف في مدتهم، وقيل: إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ قال بعضهم: لبثنا يوما أو بعض يوم، وقال بعضهم: ربكم أعلم بما لبثتم، و"أحصى" فعل ماض، و"أمدا" مفعول به، وقيل: "أحصى" اسم للتفضيل و"أمدا" تمييز؛ وهذا ضعيف؛ لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ. ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر. ﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد قيامهم من النوم، أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به. ﴿لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا، والشطط الجور والتعدي. ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله. ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطف على المفعول في "اعتزلتموهم" أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون. ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و"إلا" هنا بمعنى غير، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله، وفي مصحف ابن مسعود ﷺ "وما يعبدون من دون الله". ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في "إذ اعتزلتموهم"، والمعنى أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى، ونتوكل على الله فإنه يرحمنا ويرفق بنا. ﴿مِّرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها، ما يرتفق به وينتفع. ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قيل: هنا كلام محذوف تقديره: فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم، ومعنى "تزاور" تميل وتروغ، ومعنى "تقرضهم" تقطعهم أي: تبعد عنهم، وهو من القرض بمعنى القطع، و"ذات اليمين" و"الشمال" أي: جهته، ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها، فقيل: إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة، وقيل: كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش فلذلك لا تصيبهم الشمس؛ والأول أظهر لقوله "ذلك من ءايات الله".

وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مفتح لإصابة الشمس ومع ذلك حجبها الله عنهم. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته. ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ "أيقاظا" جمع يقظ وهو المنتبه؛ كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أيقاظا، وفي قوله "أيقاظا" و"رقود" مطابقة وهي من أدوات البيان. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: نقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم، وروي أنهم كانوا يقلبون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها. ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبا لأحدهم يصيد به، وقيل: كان كلبا لراع، فمروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه، وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لأنه حكاية حال. ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، وقيل: عتبته، وقيل: الفناء. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم، وعن معاوية ﷺ أنه غزا الروم فمر بالكهف فأراد الدخول إليه، فقال له ابن عباس ﷺ: لا تستطيع ذلك فقد قال الله لمن هو خير منك ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فبعث ناسا إليهم فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا، واللام في "ليتساءلوا" لام الصيرورة. ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله. ﴿فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق الفضة، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة، فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟ فالجواب: أنهم كانوا قالوا "ربكم أعلم بما لبثتم" ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، "فابعثوا أحدكم" ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنها طرسوس. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قيل: أكثر، وقيل: أحل، وروي أنه أراد شراء

وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ

زبيب، وقيل: تمر. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: في اختفائه وتحيله. ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: إن أظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة، وقيل: معنى "يرجموكم" بالقول؛ والأول أظهر. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم. ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف، أي: أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور. ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في "إذ" "أعثرنا"، أو مضمر تقديره: اذكر، والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء، وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد؟ فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر. ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أي: على باب كهفهم؛ إما ليطمس أثرهم وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذ تربتهم تبركا، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة، وقيل: يعني المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله. ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف. ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي. ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال بعضهم: إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا، وفي قوله ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي قوله في أهل الجنة ﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، وفي قوله في براءة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقولك جاء زيد وفي يده سيف، وقال الزمخشري: فائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا "سبعة وثامنهم كلبهم" صدقوا وأخبروا بحق بخلاف الذين قالوا "ثلاثة رابعهم كلبهم"، والذين قالوا "خمسة سادسهم كلبهم". وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم لتدل أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام، وكذلك دخلت السين في قوله "سيقولون" الأول ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول. ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس؛ وهم من أهل الكتاب، وقال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من ذلك القليل؛

فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾

وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم، لأنه قال في الثلاثة والخمسة "رجما بالغيب" ولم يقل ذلك في "سبعة وثامنهم كلبهم". ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا﴾ "لا تمار" من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج، ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف "إلا مراء ظاهرا" أي: غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ﴾ سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين، وعن الروح، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه، فقال: "غدا أخبركم" ولم يقل: إن شاء الله، فأمسك الله عنه الوحي خمسة عشر يوما، فأرجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وأنزل عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل، وقوله "غدا" يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي بعد يومه خاصة، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة، وقيل: إن قوله "إلا أن يشاء الله" يتعلق بقوله "لا تقولن"، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل؛ ومعناها إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري وحكاه أيضا ابن عطية وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكي. ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس ﷺ: الإشارة بذلك إلى الاستثناء أي: استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلا إذا كان متصلا باليمين، وقيل: معنى الآية: اذكر ربك إذا غضبت، وقيل: اذكره إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت؛ والظاهر أن المعنى: اذكر ربك إذا نسيت ذكره، أي: ارجع إلى الذكر متى غفلت عنه، واذكره في كل حال؛ ولذلك قالت عائشة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه [مسلم: 373]. ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ هذا الكلام أمر النبي ﷺ أن يقوله، والإشارة بـ"هذا" إلى خبر أصحاب الكهف أي: عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم

وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ

في الدلالة على نبوتي من خبر أصحاب الكهف، واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفقني الله من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب الكهف وأقرب إلى الله، وقيل: الإشارة بـ"هذا" إلى المنسي أي: إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهديني الله لشيء آخر هو أرشد من المنسي. ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ في هذا قولان؛ أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود ﷺ: "وقالوا لبثوا في كهفهم" وهو معطوف على "سيقولون ثلاثة"، فقوله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ رد عليهم في هذا العدد المحكي عنهم، والقول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيان لما أجمل في قوله "فضربنا على ءاذانهم في الكهف سنين عددا"، ومعنى قوله "قل الله أعلم بما لبثوا" على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس، وكان قوله "قل الله أعلم" احتجاجا على صحة ذلك الإخبار، وانتصب "سنين" على البدل من "ثلاثمائة" أو عطف بيان أو على التمييز؛ وذلك على قراءة التنوين في "ثلاثمائة"، وقرئ بغير تنوين على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه؛ لأنه تعالى يدرك الخفيات كما يدرك الجليات. ﴿مَا لَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق أو للمعاصرين للنبي ﷺ. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ هو خبر على القراءة بالياء والرفع، وقرئ بالتاء والجزم على النهي. ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يحتمل أن يراد بـ"الكلمات" هنا القرآن؛ فالمعنى: لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره، ويحتمل أن يريد بـ"الكلمات" القضاء والقدر. ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأ تميل إليه. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسها صابرا. ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هم فقراء المسلمين كبلال وصهيب وخباب ﷺ، وكان الكفار قد قالوا له: اطرد هؤلاء نجالسك نحن؛ فنزلت الآية. ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: المراد الصلوات الخمس، وقيل: الدعاء على الإطلاق. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا، قال الزمخشري: يقال عداه إذا جاوزه فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بـ"عن" لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقرته. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليل الفعل المنهي عنه في قوله "ولا تعد عيناك عنهم" أي: لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا.

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ أي: جعلناه غافلا أو وجدناه غافلا، وقيل: إنه يعني عيينة بن حصين الفزاري؛ والأظهر أنها مطلقة من غير تعيين. ﴿فُرُطًا﴾ من التفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ﴾ أي: هذا هو الحق. ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾ لفظه أمر وتخيير، ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه إما الحق الذي ينجيه وإما الباطل الذي يهلكه؛ ففي ضمن ذلك تهديد. ﴿سُرَادِقُهَا﴾ السرادق في اللغة ما أحاط بالشيء كالسور والجدار، وأما سرادق جهنم! فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو دردي الزيت إذا انتهى حره، روي ذلك عن النبي ﷺ، وقيل: ما أذيب من الرصاص وشبهه. ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي شيء يرتفق به فهو من الرفق، وقيل: يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء. ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ﴾ خبر "إن"، و"إنا لا نضيع" اعتراض، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون "إنا لا نضيع" الخبر و"أولئك" كلام مستأنف، ويقوم العموم في قوله "من احسن" مقام الضمير الرابط، أو يقدر: من أحسن عملا منهم، وروي أن النبي ﷺ قال: «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي» [معاني القرآن: 4/ 235]. ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسوار أو سوار وهو ما يجعل في الذراع، وقيل: أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار. ﴿من سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس هو رقيق الديباج، والاستبرق الغليظ منه. ﴿الأَرَائِكِ﴾ الأسرة والفرش. ﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير للكفار الذين قالوا: اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر، وَرِثَا مالا عن أبيهما فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيره الكافر بفقره؛ فأهلك الله مال الكافر، وروي أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فوطس، وقيل: كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله.

كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ

﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الهمزة اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها. ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾ أي: لم تنقص. ﴿وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ﴾ بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك قاله ابن عباس رضي الله عنه وقتادة، وقيل: هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح الثاء والميم فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر. ﴿يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني الأنصار والخدم. ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ أفرد الـ"جنة" هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخولهما معا في دفعة واحدة. ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه. ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يحتمل: أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافرا بالآخرة، أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا في الاغترار وقلة التحصيل. ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي﴾ إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي لأجدن في الآخرة خيرا من جنتي في الدنيا، وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة. ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: مرجعا. ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرا بالله لشكه في البعث. ﴿سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ كما تقول: سواك إنسانا، ويحتمل أن قصد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى. ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا: لكن أنا، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفت ثم أدغمت النون في النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك بأن تكون "لكن" لحقتها نون الجماعة التي في "خرجنا" و"ضربنا" ثم أدغمت النون في النون. ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية، وصية من المؤمن للكافر، "ولولا" تحضيض. ﴿فَعَسَى رَبِّيَ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمرا مهلكا كالصر والبرد ونحو ذلك. ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد وجه الأرض، والزلق الذي لا يثبت فيه قدم؛ يعني أنه تذهب أشجاره ونباته. ﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرا ذاهبا، وهو مصدر وصف به. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ عبارة عن هلاكها. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يريد أن السُّقُف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها فالحيطان على العروش، وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عن عروشها ثم سقطت الكروم عليها. ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك على وجه التمني لما هلك بستانه أو على وجه التوبة من الشرك. ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه "منتصرا"، أو يكون في موضع خبر "الولاية". ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك وبفتحها من الموالاة والمودة. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة. ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ الباء سببية، والمعنى صار به النبات مختلطا؛ أي: ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: متفتتا، و"أصبح" هنا بمعنى صار. ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ أي: تفرقه، ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآية: هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان، وقرئ "زينتا" بالتثنية لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر. ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» [أحمد: 18379] هـذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ، وقيل: الصلـوات الخمس، وقيل: الأعمال الصالحات على الإطلاق. ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي: نحملها ومنه قوله ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ وبعد ذلك تصير هباء. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرة لزوال الجبال عنها. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما جاء "حشرناهم" بلفظ الماضي بعد قوله "نسير" للدلالة على أن "حشرناهم" قبل تسيير الجبال؛ ليعاينوا تلك الأهوال. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: لم نترك.

وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفا؛ فهو إفراد تنزل منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث: «**إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا**» [الطبراني: 19/ 419]. ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال: هذا للكفار على وجه التوبيخ، و﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: حفاة عراة غرلا. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني صحائف الأعمال، فـ"الكتاب" اسم جنس. ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة وأن استثناءه منهم استثناء منقطع، فإن الجن صنف غير الملائكة، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن "كان" هنا بمعنى صار؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن، و بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن ما أمره به، والفسق في اللغة الخروج. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس هم الشياطين، واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به. ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الضمير للشياطين على وجه التحقير لهم أو للكفار أو لجميع الخلق؛ فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة. ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: معينا، ومعنى "المضلين" الذين يضلون العباد، وذلك يقوي أن المراد الشياطين. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف فعل الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بين هذا بقوله ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾. ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي: مهلكا وهو اسم موضع، أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك، وقد قيل: إنه واد من أودية جهنم، والضمير في "بينهم" للمشركين وشركائهم. ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين. ﴿مَصْرِفًا﴾ أي: معدلا ينصرفون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذم الجدل، وسببها فيما قيل: مجادلة النضر ابن الحارث، على أن "الإنسان" هنا يراد به الجنس. ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ الآية، معناها: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة وهي الإهلاك في الدنيا. ﴿أَوْ يَاتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني عذاب الآخرة، ومعنى ﴿قِبَلًا﴾ معاينة، وقرئ بضمتين وهو جمع قبيل؛ أي: أنواعا من العذاب. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا. ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ يعني العذاب، و"ما" موصولة والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو مصدرية. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم أو تعليل له، والأكنة جمع كنان وهو الغطاء، والوقر الصمم؛ وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان. ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ يراد به من قضى الله أنه لا يؤمن. ﴿لَوْ يُوَاخِذُهُم﴾ الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس كقوله ﴿وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ والجملة خبر المبتدأ، و ﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون "الغفور" هو الخبر، بيان لمغفرته ورحمته؛ والأول أظهر. ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر. ﴿مَوْئِلًا﴾ أي: منجا، يقال: وَأَلَ الرجل إذا نجا. ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يعني عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد أهل القرى؛ ولذلك قال ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش. ﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلَكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك؛

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾

فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدي، وقرئ بفتح الميم من هلك؛ فالمصدر على هذا مضاف للفاعل. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى بن عمران نبي الله، وقال قوم: هو موسى آخر؛ وذلك باطل رده ابن عباس رضي الله عنهما وغيره؛ ويدل الحديث على بطلانه، وفتاه هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا بمعنى الخديم، وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**أن موسى عليه السلام خطب يوما في بني إسرائيل، فقيل له هل: تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إليه: بلى عبدنا خضر، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكتل، ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هنالك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه**» [البخاري: 122]. ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر، أي: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر "لا أبرح" اختصاراً لدلالة المعنى عليه، ومعنى "لا أبرح" هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة لا أبرح تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة، و"مجمع البحرين" عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس، وقيل: هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة، وقيل: زمان غير محدود، وقيل: هو جمع حقبة وهي السنة. ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الضمير في "بلغا" لموسى وفتاه، والضمير في "بينهما" للبحرين. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول: فعل بنو فلان كذا؛ إذا فعله واحد منهم، وقيل: نسي الفتى أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء. ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل "اتخذ" الحوت، والمعنى أنه سار في البحر، فقيل: إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما حيي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي، وفي الحديث: «**إن الله أمسك جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق**» [مسلم: 2380] أي: بقي موضع سلوكه في الماء فارغا من الماء، فصار مثل السرب وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عليه السلام، وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة؛ ويرد هذا ما ورد في الحديث. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزا الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها، فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائما، وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه: آتنا غداءنا. ﴿نَصَبًا﴾ أي: تعبا.

قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: "أرأيت" هنا بمعنى أخبرني، ثم قال: فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام، فإن كل واحد من "أرايت"، و"إذ اوينا"، و"فإني نسيت الحرث" لا متعلق له؟ فالجواب: أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه فدهش، فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، فحذف بعض الكلام. ﴿نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ أي: نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، فتقديره: نسيت ذكر الحوت. ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الهاء في "أنسانيه" وهو بدل اشتمال. ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، أو يكون إخبارا من الله تعالى، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا، أي: تعجب هو منه، وإعراب "عجبا" مفعول ثان لـ"اتخذ" مثل "سربا"، وقيل: إن الكلام تم عند قوله "في البحر" ثم ابتدأ التعجب فقال "عجبا"؛ وذلك بعيد. ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل. ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق. ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر. ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي، وقيل: إنه ليس بنبي ولكنه ولي؛ وتظهر نبوته من هذه القصة لأنه فعل أشياء لا يعلمها إلا بوحي، واختلف أيضا هل مات أو هو حي إلى الآن؟ ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: **«أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنى بأرضك السلام؟! ثم قال له: من أنت؟ فقال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك، قال: إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا»** [البخاري: 122]. ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية، مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه. ﴿رُشْدًا﴾ قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد،

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ

وانتصب على أنه مفعول ثان بـ"تعلمنِ" أو حال من الضمير في "اتبعك". ﴿فَانطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر، وفي الحديث: «**أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر، فحملا فيها بغير نول**» [البخاري: 122]؛ أي: بغير أجرة. ﴿خَرَقَهَا﴾ روي: أن الخضر أزال لَوْحَيْنِ من ألواحها. ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيما، وقيل: منكرا. ﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني بعد نزولهما من السفينة، فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل: ذبحه، وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه؛ والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح، وروي: أن اسم الغلام جيسورا بالجيم، وقيل: بالحاء المهملة، قال الزمخشري: إن قلت لم قال "خرقها" بغير فاء، وقال ﴿فَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟ فالجواب: أن "خرقها" جواب الشرط، و"قتله" من جملة الشرط معطوف عليه والجزاء ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾. فإن قيل: لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام. ﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى "زاكية" ليس له ذنب، وقيل: إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا. ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا؛ فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا. ﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكرا وهو أبلغ من قوله "إمرا"، ويجوز ضم الكاف وإسكانها. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة "لك" فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولا "ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا". ﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر، ولكن سياق الكلام يدل عليها. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرت إلي فأنت معذور عندي، وفي الحديث: «**كانت الأولى من موسى نسيانا**». ﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكية، وقيل: برقة، وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة. ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي: طلبا منهم طعاما. ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ﴾ أي: يسقط، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز،

فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ

ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته أنه قارب أن ينقض، ووزن "ينقض" ينفعل، وقيل: يفعل بالتشديد كيحمر. ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسحه بيده وأقامه فقام. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قال موسى للخضر: لو شئت لاتخذت عليه أجرا؛ أي: طعاما نأكله. ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا لأجل شرطه في قوله "إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني" على أن قوله "لو شئت لاتخذت عليه أجرا" ليس بسؤال، ولكن في ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام، والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشري: الأصل: هذا فراقٌ بيني وبينك؛ بتنوين "فراق" ونصب "بيني" على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف، والإشارة بقوله "هذا" إلى السؤال الثالث الذي أوجب الفراق. ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: إنهم تجار، ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم، أو لكونهم في لجج البحر، وقيل: كانوا عشرة إخوة منهم خمسة عاملون بالسفينة وخمسة ذو عاهات لا قدرة لهم، وقرئ "مسّاكين" بتشديد السين أي: يمسكون السفينة. ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ قيل: معناه قدامهم، وقرأ ابن عباس ﷺ "أمامهم"، وقال ابن عطية: إن "وراءهم" على بابه ولكن روعي به الزمان، فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضي. ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود ﷺ "يأخذ كل سفينة صالحة" وقيل: إن اسم هذا الملك هدهد بن بدد؛ وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخر في المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قدم للعناية به. ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ روي: أنه كان كافرا، وروي: أنه كان يفسد في الأرض. ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر، وقيل: إنه من كلام الله، وتأويله على هذا: فكرهنا، وقال ابن عطية: إنه من نحو ما وقع في القرآن من عسى ولعل، وإنما هو في حق المخاطبين، ومعنى ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ يكلفهما ذلك، والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعه أو يضر بهما بمخالطته مع مخالفته لهما. ﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ أي: غلاما آخر خيرا من الغلام المقتول. ﴿زَكَوٰةً﴾ أي: طهارة وفضيلة في دينه. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة وشفقة، فقيل: المعنى أن يرحمها، وقيل: يرحمانه. ﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم من فقد أباه قبل البلوغ، وروي: أن اسم الغلامين أصرم وصريم واسم أبيهما كاشح؛ وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: مال عظيم، وقيل: كان علما في صحف مدفونة؛ والأول أظهر. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قيل: إنه الأب السابع؛ وظاهر اللفظ أنه الأقرب. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسندها الخضر إلى نفسه في قوله "فأردت أن اعيبها"؛ لأنها لفظة عيب فتأدب بأن لا يسندها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا، واختلف في قوله "أردنا أن يبدلها" هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ هذا دليل على نبوءة الخضر، لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله أو بوحيه؟.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون اليهود أو قريش بإشارة اليهود، وذو القرنين هو الإسكندر الملك، وهو يوناني، وقيل: رومي، وكان رجلا صالحا، وقيل: كان نبيا، وقيل: كان ملَكا بفتح اللام؛ والصحيح أنه كان ملِكا بكسر اللام، واختلف لم سمي ذا القرنين؟ فقيل: كان له ضفيرتان من شعرٍ هما قرناه فسمي بذلك، وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا. ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ التمكين له هو أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي: علما وفهما يتوصل به إلى معرفة الأشياء، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك. ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقا يوصله. ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرئ بالهمز على وزن فعلة؛ أي: ذات حمأة، وقرئ بالياء على وزن فاعلة، وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس ﵄، فقال ابن عباس ﵄: "حمئة"، وقال معاوية ﵁: "حامية"، فبعثا إلى كعب الأحبار ﵁ ليخبرهما بالأمر، فقال: أما العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكن أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق ذلك قراءة ابن عباس ﵄، ومعنى "حامية" حارة، ويحتمل أن يكون بمعنى "حمية"، ولكن سهلت همزته فيتفق معنى القراءتين، وقد قيل: يمكن أن تكون فيها حمأة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين، ويجتمع معنى القراءتين. ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي، ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوته. ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارا

قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ

فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام فيُحسن إليهم، وقيل: الحسن هنا هو الأسر، وجعله حسنا بالنظر إلى القتل. ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام؛ فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه، والظلم هنا الكفر، والعذاب القتل، وأراد بقوله ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عذاب الآخرة. ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ المراد بـ"الحسنى" الجنة أو الأعمال الحسنة. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعدهم بأن ييسر عليهم. ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج، وهم أهل الهند ومن وراءهم، ومعنى "لم نجعل" الآية: أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب تحت الأرض، وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم، وقيل: الستر اللباس، فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيما لأمره، وقيل: إن "كذلك" راجع لما قبله، أي: لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب، وقيل: المعنى وجد عندها قوما كذلك أي: مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله. ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي: بين الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض، وقرئ بالضم والفتح وهما بمعنى، وقيل: ما كان من خلقة الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح. ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم الترك. ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة ونحوها. ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر. ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ إفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل: كانوا يأكلون بني آدم. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية، ويقال فيه خراج، وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا يقيم بها السد. ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسط الله لي من

فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

الملك خير من خرجكم فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي. ﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزا حصينا، والردم أعظم من السد. ﴿سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين. ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ يريد نفخ الكير، أي: أوقدوا النار على الحديد. ﴿قِطْرًا﴾ أي: نحاسا مذابا، وقيل: هو الرصاص، وروي: أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب. ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل "اسطاعوا" استطاعوا حذفت التاء تخفيفا، والضمير في "يظهروه" للسد، ومعنى "يظهروه" يعلوه ويصعدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه، ولا ينقبوه لقوته. ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني يوم القيامة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي: مبسوطا مسوى بالأرض. ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في "تركنا" لله عز وجل، و"يومئذ" يحتمل أن يريد به يوم القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره، فالضمير في قوله "بعضهم" على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله "يومئذ" يوم كمال السد، والضمير في قوله "بعضهم" على هذا ليأجوج ومأجوج؛ والأول أرجح لقوله بعد ذلك "ونفخ في الصور" فيتصل الكلام، و"يموج" عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ "الصور" هو القرن الذي ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث: «**ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور**». ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها. ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ عبارة عن عمي بصائرهم وقلوبهم، وكذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾. ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكي عنهم أنهم يقولون ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ والعباد هنا من عُبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى بن مريم. ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي: يسرنا. ﴿نُزُلًا﴾ ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله،

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

والمعنى: أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل في قوله ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾، ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الآية، نزلت في كفار العرب لقوله ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾، وقيل: في الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تُقبل منهم، وفي قوله ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس الخط وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم أعمال توزن لأن أعمالهم قد حبطت. ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسبما ورد في الحديث، ولفظ الفردوس أعجمي معرب. ﴿حِوَلًا﴾ أي تحولا وانتقالا. ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآية، إخبار عن اتساع علم الله تعالى، والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفذ البحر ولم ينفذ علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله، وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه. ﴿بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر. ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه. ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره، فيكون راجعا إلى قوله ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر؛ واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾

سورة مريم عليها السلام

﴿ كهيعص ﴾ قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا: إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في دعائه: يا كهيعص! فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف. ﴿ ذِكْرُ ﴾ تقديره: هذا ذكر. ﴿ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآءَ ﴾ وصفه بالعبودية تشريفا له، وإعلاما باختصاصه وتقريبه، ونصب "عبده" على أنه مفعول لـ"رحمة" فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل: هو مفعول بفعل مضمر تقديره: رحم عبده، وعلى هذا يوقف على ما قبله. وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له. ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ يعني دعاه. ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ أخفاه، لأن الله يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد. ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ ﴾ أي: ضعف. ﴿ وَاشْتَعَلَ ﴾ استعارة للشيب من اشتعال النار. ﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم فاستجب لي في هذا، فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه. ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ يعني الأقارب، قيل: خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل: خاف أن يضيعوا الدين من بعده. ﴿ مِن وَرَآءِي ﴾ أي: من بعدي. ﴿ عَاقِرًا ﴾ أي: عقيما. ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ يعني وارثا يرثني، قيل: يعني وراثة المال، وقيل: وراثة العلم والنبوة؛ وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**» [فوائد تمام: 1174]. وكذلك ﴿ وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ العلم والنبوة، وقيل: الملك، و"يعقوب" هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح. ﴿ رَضِيًّا ﴾ أي: مرضيا، فهو فعيل بمعنى مفعول. ﴿ سَمِيًّا ﴾ يعني من سمي باسمه، وقيل: مثيلا ونظيرا؛ والأول أحسن هنا. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه وتعجب منه؛ لأنه نادر في العادة، وقيل: سأله وهو في سن من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ. ﴿ عُتِيًّا ﴾ قيل: يبس في الأعضاء والمفاصل،

قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

وقيل: مبالغة في الكبر. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع أي: الأمر كذلك تصديقا له فيما ذكر من كبره وعقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله "كذلك" ثم يبتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، وقيل: إن الكاف في موضع نصب بـ"قال"؛ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾. ﴿اجْعَل لِّي ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأته. ﴿سَوِيًّا﴾ أي: سليما غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في "تكلم"، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس، وقيل: إن "سويا" يرجع إلى الـ"ليالي" أي: مستويات. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار، وقيل: كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام. ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ قيل: معناه صلوا، والسبحة في اللغة الصلاة، وقيل: قولوا: سبحان الله. ﴿يَا يَحْيَىٰ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته "يا يحيى" ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: في العلم به والعمل به. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: "الحكم" معرفة الأحكام، وقيل: الحكمة، وقيل: النبوة. ﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه رحمة، وقال ابن عباس ﷺ: لا أدري ما الحنان. ﴿وَزَكَاةً﴾ أي: طهارة، وقيل: ثناء كما يزكى الشاهد. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، و"الكتاب" القرآن. ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت. ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: إلى جهة الشرق، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق. ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبريل، وقيل: عيسى؛ والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق. ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ لما رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها، خافت أن يكون من بني آدم فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني فإني أعوذ بالله منك، وقيل: إن "تقيا" اسم رجل معروف بالشر عندهم؛ وهذا ضعيف بعيد. ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ الغلام الزكي هو عيسى عليه السلام، وقرئ "ليهب" بالياء،

قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا

والفاعل فيه ضمير الرب سبحانه، وقرئ بهمزة التكلم وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه؛ لأنه هو الذي أرسله الله بها، أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى. ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ البغي هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغي فعول. ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للولد، واللام تتعلق بمحذوف تقديره: لنجعله آية فعلنا ذلك. ﴿فَحَمَلَتۡهُ﴾ يعني في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانية أشهر، وقال ابن عباس ﵁: حملته وولدته من ساعته. ﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ أي: بعيدا، وإنما بعدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشر. ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ معناه ألجأها، وهو منقول من جاء بهمزة التعدية. ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ أي: النفاس. ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ روي: أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس. ﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ إنما تمنت الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر، ووقوعهم في ذمها، وتمني الموت جائز في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهي عنه. ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾ النسي: الشيء الحقير الذي لا يؤبه به، ويقال بفتح النون وبكسرها. ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ قرئ "من" بفتح الميم وكسرها، وقد اختلف على كلتا القراءتين هل هو جبريل أو عيسى؟ وعلى أنه جبريل؛ قيل: إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل: كان في مكان أسفل من مكانها. ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ تفسير للنداء فـ"أن" مفسرة. ﴿سَرِيّٗا﴾ يعني جدولا، وهو ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسره بذلك [المعجم الصغير: 685]، وقيل: يعني عيسى: فإن السري الرجل الكريم. ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهز النخلة، والباء في "بجذع" زائدة كقوله ﴿لَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾. ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ الفاعل بـ"تساقط" "النخلة"، وقرئ بالياء، والفاعل على ذلك الجذع، و"رطبا" تمييز، والجني معناه: الذي طاب وصلح لأن يجتنى. ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب واشربي من ماء الجدول، وهو السري. ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ أي: طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد،

فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ

و"ترين" فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد. ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتا عن الكلام، وقيل: تعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها، ولأن عيسى تكلم عنها، فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام، وقيل: بالإشارة، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت. ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت به من المكان القصي إلى قومها. ﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعا، وهو من الفرية. ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ كان هارون عابدا في بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة، فقيل لها أخته بمعنى أنها تشبهه، وقيل: كان أخاها من أبيها وكان رجلا صالحا، وقيل: هو هارون النبي أخو موسى، وكانت من ذريته، فـ"أخت" على هذا كقولك: أخو بني فلان أي: واحد منهم، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة، فإن بين زمانهما دهرا طويلا. ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ولدها ليتكلم وصمتت هي كما أمرت. ﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ "كان" بمعنى يكون، و"المهد" هو المعروف، وقيل: "المهد" هنا حجرها. ﴿ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ يعني الإنجيل أو التوراة والإنجيل. ﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة، وقيل: نفاع، وقيل: معلم للخير؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ هما المشروعتان، وقيل: "الصلاة" هنا الدعاء، و"الزكاة" التطهير من العيوب. ﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على "مباركا"، روي: أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر، وفي كلامه هذا رد على النصارى لأنه اعترف أنه عبد الله، ورد على اليهود لقوله "وجعلني نبيا". ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى فهو كقولك: رأيت رجلا فأكرمت الرجل، وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلعنة من اتهم مريم كأنه قال: السلام كله علي لا عليكم بل عليكم ضده. ﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر، وبالنصب منصوب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم.

ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون فهو من المراء، أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارى. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى، وقرئ بفتح الهمزة تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه، وبكسرها لابتداء الكلام، وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنى: يا محمد! قل لهم: ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربي وربكم؛ والأول أظهر. ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار، و"الاحزاب" اليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافا شديدا؛ فكذبه اليهود وعبده النصارى؛ والحق خلاف أقوالهم كلها. ﴿مِن بَيْنِهِمْ﴾ معناه من تلقائهم ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم. ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة. ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في الدنيا في ضلال مبين. ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت، وقيل: هو يوم القيامة، وانتصاب "يوم" على المفعولية لا على الظرفية. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني في الدنيا، فهو متعلق بقوله في "ضلال مبين" أو بـ"أنذرهم". ﴿صِدِّيقًا﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبي بعده، ويحتمل أن جمع الوصفين. ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني الأصنام. ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ أي: قويما. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني الرجم بالحجارة، وقيل: الشتم. ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: حينا طويلا، وعطف "اهجرني" على محذوف تقديره: احذر رجمي لك.

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداع مفارقة، وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعد وهو الذي أشير إليه بقوله ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ قال ابن عطية: معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوي هذا القول قوله ﴿وَاغْفِرْ لأَبِيَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ﴾ ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» [البخاري: 1294]. ﴿حَفِيًّا﴾ أي: بارا متلطفا. ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون. ﴿إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه، وهبهما الله عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم. ﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوة، وقيل: المال والولد، واللفظ أعم من ذلك. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر. ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام أي: أخلص نفسه وأعماله لله، وبفتحها أي: أخلصه الله للنبوة والتقريب. ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله إليه، ولا يكون رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ هو تكليم الله له. ﴿الطُّورِ﴾ وهو الجبل المشهور بالشام. ﴿الأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه، ويحتمل أن يكون من اليمن. ﴿نَجِيًّا﴾ النجي فعيل؛ وهو المنفرد بالمناجاة، وقيل: هو من النجاة؛ والأول أصح. ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ "من" سببية أو للتبعيض، و﴿أَخَاهُ﴾ على الأول مفعول، وعلى الثاني بدل. ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ روي: أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وهذا على قول من قال إن الذبيح هو إسماعيل. ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم

وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ

النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفي حديث الإسراء: «**وإنه في السماء الرابعة**» [البخاري: 3035]، وقيل: يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته؛ والأول أشهر ويرجحه الحديث. ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكرياء إلى إدريس. ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ "من" هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض. ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني نوحا وإدريس. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني إبراهيم. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب. ﴿وَإِسْرَآءِيلَ﴾ يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكرياء ويحيى. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على "من" الأولى أو الثانية. ﴿بُكِيًّا﴾ جمع باك، ووزنه فعول. ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عقب الخير: خلَف بفتح اللام، وفي عقب الشر: خلْف بالسكون، وهو المعنى هنا، واختلف فيمن المراد بذلك؟ فقيل: النصارى لأنهم خلفوا اليهود، وقيل: كل من كفر وعصى بعد بني إسرائيل. ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها. ﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغي الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال، فيكون على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاء غي. ﴿إِلاَّ مَن تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم. ﴿مَاتِيًّا﴾ وزنه مفعول، فقيل: إنه بمعنى فاعل؛ لأن الوعد هو الذي يأتي، وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها. ﴿لَغْوًا﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿إِلاَّ سَلاَمًا﴾ استثناء منقطع. ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل، وقيل: المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي على عادة الناس في أكلهم. ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له: «**أبطأت عني واشتقت إليك، فقال إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست**» [ابن أبي حاتم: 14232]،

لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ

ونزلت هذه الآية. ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: له ما قدامنا وما خلفنا، وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل: "ما بين أيدينا" الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، "وما خلفنا" الآخرة، "وما بين ذلك" ما بين النفختين، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها؛ والأول أكثر مناسبة لسبب الآية. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول، وقيل: بمعنى الترك؛ والأول أظهر. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلا ونظيرا، فهو من المسامي والمضاهي، وقيل: من يتسمى باسمه لأنه لم يتسم بالله غيره تعالى. ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور، و"الانسان" هنا جنس يراد به الكفار، وقيل: إن القائل بذلك أبي بن خلف، وقيل: أمية بن خلف، والهمزة التي دخلت على "أئذا ما مت" للإنكار والاستبعاد، واللام في قوله "لسوف" سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى، والإخراج يراد به البعث. ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليل على الثانية. ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم، والواو للعطف أو بمعنى مع؛ فيكون "الشياطين" مفعولا معه. ﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاث، ووزنه فعول من قولك: جثا الرجل؛ إذا جلس جلسة الذليل الخائف. ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار، وقال بعضهم: المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما. ﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه؟ فقال سيبويه: هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكأن التقدير: أيهم هو أشد، فوجب البناء، وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية تقديره: الذي يقال له أشد، وقال يونس: عُلق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء. ﴿أَوْلَى بِهَا صُلِيًّا﴾ الصلي: مصدر صلي النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب. ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور: فأما المؤمنون فيدخلونها ولكنها تخمد فلا تضرهم،

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾

فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ و﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾، وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها كقوله ﴿وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾، والمراد بذلك جواز الصراط، وقيل: الخطاب للكفار فلا إشكال. ﴿حَتْمًا﴾ أي: أمرا لا بد منه. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول، فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما ثم بالخروج منها، وإن كان بمعنى المرور على الصراط، فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها. ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان هم المؤمنون والكفار، والمقام اسم مكان من قام، وقرئ بالضم من أقام، والندي: المجلس، ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين نحن خير منكم مقاما أي: أحسن حالا في الدنيا وأجل مجلسا، فنحن أكرم على الله منكم. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ "كم" مفعول بـ"اهلكنا"، ومعنى الآية: رد على الكفار في قولهم المذكور، أي: ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا. ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفةٌ لـ"كم". ﴿أَثَاثًا﴾ أي: متاع البيت، وقال ابن عطية: هو اسم عام في المال: العين والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل: هو جمع واحده أثاثة. ﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرئي اسم المرئي، وقرئ بتشديد الياء من غير همز وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق، وقيل: هو من ري الشارب، أي: التنعم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس ﷺ: "زيا" بالزاي. ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: يمهله ويملي له، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا؟. ﴿حَتَّى﴾ هنا غاية للمد في الإضلال. ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يعني عذاب الدنيا. ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم "خير مقاما وأحسن نديا". ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ ذكر في الكهف. ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مرجعا وعاقبة. ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل. ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بعثت كما يزعم محمد

أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾

ليكونن لي هناك مال وولد. ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله. ﴿كَلاَّ﴾ ردع له عن كلامه. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلا؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل. ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه. ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة وهي المال والولد، ووراثتها هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو ﷺ. ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير. ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في "يكفرون" للكفار، وفي "عبادتهم" للمعبودين، فالمعنى كقولهم ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقيل: إن الضمير في "يكفرون" للمعبودين، وفي "عبادتهم" للكفار، فالمعنى كقولهم ﴿ما كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أملوه منهم، فيصير العز الذي أملوه ذلة، وقيل: معناه أعداء. ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تضمن معنى سلطنا ولذلك تعدى بـ"على". ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعجهم إلى الكفر والمعاصي. ﴿فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: نعد مدة بقائهم في الدنيا، وقيل: نعد أنفاسهم. ﴿وَفْدًا﴾ قيل: معناه ركبانا، ومعنى الوفد لغة: القادمون، وعادتهم الركوب، فلذلك قيل ذلك، وقيل: مكرمون، لأن العادة إكرام الوفود. ﴿وِرْدًا﴾ معناه عطاشا، لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش. ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ الضمير يحتمل أن يكون للكفار، والمعنى لا يملكون أن يشفع لهم، ويكون ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ﴾ استثناء منقطعا بمعنى لكن، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا، أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك، فالاستثناء أيضا متصل، و"من اتخذ" يحتمل أن يراد به الشافع أو المشفوع له. ﴿عَهْدًا﴾ يريد به الإيمان والأعمال الصالحة، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة؛ وهذا أرجح لقوله ﴿لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنَ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾،

لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ يَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: نفسي نفسي. ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ أي: شنيعا صعبا. ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يتشققن من قول الكفار "اتخذ الله ولدا". ﴿هَدًّا﴾ أي: انهداما. ﴿أَن دَعَوْا﴾ أي: من أجل أن دعوا. ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ وقرئ "وُلْدا" بضم الواو وإسكان اللام وهي لغة. ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ رد على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل عبيده فكيف يكون أحد منهم ولدا له؟ و"إن" نافية، و"كل" مبتدأ، وخبره ﴿ءَاتِي الرَّحْمَنِ﴾. ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ هي المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده، وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ. ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك. ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع ألد؛ وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك قريش، وقيل: معناه فجارا. ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

سورة طه

قيل في ﴿طه﴾ إنه اسم من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا رجل، وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول البقرة. ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورمت قدماه، فنزلت الآية تخفيفا عنه [الدر المنثور: 5/ 549]، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة، وقيل: المراد به التأسف على كفر الكفار؛ واللفظ أعم من ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو سبب السعادة. ﴿إِلاَّ تَذْكِرَةً﴾ نصب على الاستثناء المنقطع، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع "لتشقى"؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنسين، ويصح أن ينتصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكرة. ﴿تَنزِيلاً﴾ نصب على المصدرية، والعامل فيه مضمر أو "ما أنزلنا"، وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله "ما أنزلنا"، ثم رجع إلى الغيبة في قوله ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ﴾ الآية؛ وذلك هو الالتفات. ﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع عليا. ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ تكلمنا عليه في الأعراف. ﴿الثَّرَى﴾ هو في اللغة التراب الندي، والمراد به هنا الأرض. ﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ مطابقة هذا الشرط بجوابه، كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر الكلام الخفي، والأخفى ما في النفس، وقيل: السر ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه. ﴿الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى﴾ تكلمنا عليها في الأعراف. ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ لفظه استفهام والمراد به التنبيه. ﴿إِذْ رَءَا﴾ العامل في "إذ" "حديث" لأن فيه معنى الفعل، وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدحه بزنده فلم ينقدح، فرأى نارا فقصد إليها فناداه الله وأرسله إلى فرعون. ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: رأيت. ﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود أو القصبة ونحوها. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعها؛ ليتأدب، ويعظم البقعة المباركة، ويتواضع في مقام مناجاة الله؛ وهذا أحسن. ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر. ﴿طُوًى﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثاني: أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر؛ أي: قدس الوادي مرة بعد مرة أو نودي موسى مرة بعد مرة. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قيل: المعنى لتذكرني فيها، وقيل: لأذكرك بها، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول، وعلى الثاني مضاف للفاعل، وقيل: معنى "لذكري" عند ذكري كقوله ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: عند دلوك الشمس؛ وهذا أرجح لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها [البخاري: 572]. ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه؛ فقيل: "أخفيها" بمعنى أظهرها، وأخفيت على هذا من الأضداد، قال ابن عطية: هذا قول مختل، وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف من الإخفاء، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك في الشاذ، وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، وقيل: أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها، وقيل: المعنى "إن الساعة ءاتية أكاد"، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: "أخفيها"، وقيل: المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؛ وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه؛ وهذا المعنى هو اختيار المحققين. ﴿لِتُجْزَى﴾ يتعلق بـ"ءاتية". ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ أي: بما تعمل. ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة، أي: لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل: الضمير للصلاة؛ وهو بعيد. والخطاب لموسى عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ؛ وذلك بعيد. ﴿فَتَرْدَى﴾ معناه تهلك، والردى هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب "لا يصدنك". ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ إنما سأله

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ (١٨) قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ (٢١) وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى (٢٣) ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (٢٥) وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (٢٦) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي (٢٨) وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢) كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا (٣٣) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا (٣٥) قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧) إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ

ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية، فمعنى السؤال تقرير على أنها عصا، ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها، وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام. ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ معناه: أضرب بها الشجر لينتثر الورق للغنم. ﴿مَآرِبُ﴾ أي: حوائج. ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ أي: تمشي. ﴿سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ يعني أنها لما أخذها عادت عصا كما كانت أول مرة، وانتصب "سيرتها" على أنه ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر. ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا الجنب، أي: تحت الإبط؛ وهو استعارة من جناح الطائر. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ روي: أن يده خرجت وهي بيضاء تضيء كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة. ﴿لِنُرِيَكَ مِنَ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ يحتمل أن تكون "الكبرى" مفعول "لنريك"، وأن تكون صفة للآيات، ويختلف المعنى على ذلك. ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إن قيل: لم قال "اشرح لي"، ﴿وَيَسِّرْ لِي﴾ مع أن المعنى يصح دون قوله "لي"؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة. ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فمه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجربه، وإنما قال "عقدة" بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة. ﴿وَزِيرًا﴾ أي: معينا، وإعراب ﴿هَارُونَ﴾ بدل أو مفعول أول. ﴿أَزْرِي﴾ أي: ظهري، والمراد القوة، ومنه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: قواه. ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة. ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّكَ﴾ يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك أو وحي إلهام كقوله ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾. ﴿مَا يُوحَى﴾ إبهام يراد به تعظيم الأمر. ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الضمير الأول لموسى، والثاني للتابوت أو لموسى، و"اليم" البحر،

يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ

والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقي التابوت في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه، وامرأته معه ففتح فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ هو فرعون. ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: أحببتك، وقيل: أراد محبة الناس فيه، إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل: أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله "مني" يحتمل أن يتعلق بقوله "ألقيت"، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيَ﴾ أي: تربى ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ، والعامل في "لتصنع" محذوف. ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ العامل في "إذ" "تصنع"، أو "ألقيت"، أو فعل مضمر تقديره: ومننا عليك. ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني القبطي الذي وكزه فقضى عليه. ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي: اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة، وقيل: خلصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل. والفتون يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب. ﴿جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قدره الله لنبوتك. ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب، أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني. ﴿وَلاَ تَنِيَا﴾ أي: لا تَضعُفا ولا تُقصرا، والوني هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها. ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي: يعجل بالشر. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وبتسريح بني إسرائيل. ﴿وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته وإذلالهم.

قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ يعني قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدها وهما اثنان؛ لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ يحتمل أن يريد التحية أو السلامة. ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه؛ لأنه الأصل في النبوة وأخوه تابع له. ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، فـ"خلقه" على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، و"كل شيء" مفعول ثان، وقيل: المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته، أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى الخلقة، وإعرابه مفعول ثان، و"كل شيء" مفعول أول؛ والمعنى الأول أحسن. ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي: هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم، وعلمهم كيف ينتفعون به. ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى، أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى، أو ما بالها لم تكن على دين موسى، أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب، كما يزعم موسى في قوله "أن العذاب على من كذب وتولى"، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعا للكلام الأول وروغانا عنه وحيدة لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها فقال ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾، ثم عاد إلى وصف الله رجوعا إلى الكلام الأول. ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: فراشا، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له هو القادر أو الرازق أو شبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعي ذلك لنفسه. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ أي: نهج لكم فيها طرقا تمشون فيها. ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير: يقول الله عز وجل فأخرجنا، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله "وأنزل من السماء ماء" ثم ابتدأ كلام الله. ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافا مختلفة. ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به. ﴿لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ أي: العقول، واحدها نهية.

مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد خلقة آدم من تراب. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني بالدفن عند الموت. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني عند البعث. ﴿أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم، فالإضافة في قوله "ءَاياتنا" تجري مجرى التعريف بالعهد، أي: آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا لها. ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر، أو اسم زمان، أو اسم مكان، ويدل على أنه اسم مكان قوله "مكانا سوى"، ولكن يضعف بقوله "موعدكم يوم الزينة" لأنه أجاب بظرف الزمان، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله "يوم الزينة"، ولكن يضعف بقوله "مكانا سوى"، ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله ﴿لا نُخْلِفُهُ﴾؛ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان؛ ولكن يضعف ذلك بقوله "مكانا"، وبقوله "يوم الزينة" فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار، ويختلف إعراب قوله "مكانا" باختلاف تلك الوجوه؛ فأما إن كان الموعد اسم مكان، فيكون قوله "موعدا" و"مكانا" مفعولين لقوله "اجعل"، ويطابقه قوله "يوم الزينة" من طريق المعنى لا من اللفظ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله "مكانا" على أنه ظرف زمان، والتقدير: موعدا كائنا في مكان، وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب "مكانا" على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله "يوم الزينة" على حذف مضاف تقديره: موعدكم وعد يوم الزينة، وقرأ الحسن "يومَ الزينة" بالنصب؛ وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقديرِ محذوف. ﴿مَكَانًا سِوًى﴾ معناه: مُستوٍ في القرب منا ومنكم، وقيل: معناه مستو في الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع، وقرئ بكسر السين وضمها، والمعنى متفق. ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم، وقيل: يوم عاشوراء. ﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ عطف على "الزينة" فهو في موضع خفض أو على الـ"يوم" فهو في موضع رفع، وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبين الحق للناس. ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ معناه: يهلككم، ويقال: سحت وأسحت، وقد قرئ بفتح الياء وضمها؛ والمعنى متفق.

قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ قرئ "إن هذين" بالياء ولا إشكال في ذلك، وقرئ بتخفيف "إن" وهي مخففة من الثقيلة، وارتفع بعدها "هذان" بالابتداء، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد "إن" ورفع "هذان"، فقيل: "إن" هنا بمعنى نعم فلا تنصب، ومنه ما روي في الحديث: «إن الحمدُ لله» بالرفع، وقيل: اسم "إن" ضمير الأمر والشأن تقديره: إن الأمر، و"هذان لساحران" مبتدأ وخبر في موضع خبر إن، وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض، وقالت عائشة ﵂: هذا مما لحن فيه كتاب المصحف. ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ أي: يذهبا بسيرتكم الحسنة. ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ أي: اعزموا وأنفذوه. ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة، وقال بعضهم: إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق، وأوقدوا تحتها نارا، وغطوا النار لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم، وقيل: جعلوها للشمس فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال؛ وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعتها. ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖ﴾ "ما" هنا موصولة؛ وهي اسم إن، و"كيد" خبرها. ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هنا هارون لتعتدل رؤوس الآي وتكون على الألف. ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى. ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوف على "ما جاءنا من البينات"، وقيل: هي واو القسم. ﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ﴾

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾

نصب على الظرفية، أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا. ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة، وقيل: هو من كلام الله. ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني ببني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف. ﴿يَبَسًا﴾ أي: يابسا، وهو مصدر وصف به. ﴿لا تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر. ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهام لقصد التهويل. ﴿وَمَا هَدَى﴾ إن قيل: إن قوله "وأضل فرعون قومه" يغني عن قوله "وما هدى"؟ فالجواب: أنه مبالغة وتأكيد، وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. ﴿يَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون، وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ؛ والأول أظهر. ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه، و"الطور" هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوته أو هو غيره؟. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ذكر في البقرة. ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أي: هلك، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة، وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب. ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي: استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحا. ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ قصص هذه الآية أن موسى عليه

قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ

السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله وطلبا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: "ما أعجلك عن قومك"، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل، وقيل: إنما سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين؛ أحدهما: أن قومه على أثره؛ أي: قريب منه فلم يتقدم عليهم بكثير يوجب العتاب، والثاني: أنه إنما تقدم طلبا لرضا الله. ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري رجلا من بني إسرائيل، يقال: إنه ابن خال موسى، وقيل: لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة، وكان منافقا ساحرا. ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ يعني رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التي كلمه الله فيها. ﴿أَسِفًا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني ما وعدهم من الوصول إلى الطور. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ يعني المدة، وهذا الكلام توبيخ لهم. ﴿بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر، ومعناه: ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد السامري، فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، أو اعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر. ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا الأحمال؛ سميت أوزارا لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب، و"زينة القوم" هي حلي القبط قوم فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري: اجمعوا هذا الحلي في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك وأوقد السامري نارا على الحلي وصاغ منه عجلا، وقيل: بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسى "قد فتنا قومك من بعدك". ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحلي في الحفرة. ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء موات صار حيوانا، فألقاها على العجل فخار العجل؛ أي: صاح صياح

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ

العجول، فالمعنى: أنهم قالوا كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب. ﴿جَسَدًا﴾ أي: جسما بلا روح، والخوار صوت البقر. ﴿فَقَالُوا هَذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض. ﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل موسى؛ أي: نسي موسى إلهه هنا وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول، والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل السامري؛ أي: نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا بمعنى الترك. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ معناه: لا يرد عليهم كلاما إذا كلموه، وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية له، وقرئ "يرجع" بالرفع و"أن" مخففة من الثقيلة، وبالنصب وهي مصدرية. ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوآ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ "لا" زائدة للتأكيد، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبده. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه؛ لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله "تتبعني" في الزجر والقتال، ولو اتبعتك في المشي إلى الطور لاتبعني بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى "تتبعني" في المشي إلى الطور. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني قوله له ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ أي: قال موسى: ما شأنك؟ ولفظ الخطب يقتضي انتهارا؛ لأنه مستعمل في المكاره. ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه؛ يعني جبريل عليه السلام وفرسه. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ اثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول؛ وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه "من أثر فرس الرسول"، وإنما سمي جبريل بالرسول

فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾

لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، ويقال: قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي فصار عجلا، أو على العجل فصار له خوار. ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسة ولا إذاية، وروي: أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني العذاب في الآخرة، وذلك تهديد ووعيد. ﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظللت حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل أقام بالنهار، ثم استعمل في الدؤوب على الشيء ليلا ونهارا. ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾ من الإحراق بالنار، وقرئ بفتح النون وضم الراء، بمعنى نبرده بالمِبْرَد، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى، لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار؛ والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك. ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي: نلقيه في البحر، والنسف تفريق الغبار ونحوه. ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، من كلام موسى لبني إسرائيل. ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد ﷺ، و﴿أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أخبار المتقدمين. ﴿ذِكْرًا﴾ يعني القرآن. ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني إعراض تكذيب به. ﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾، أو الذنوب لأنها سبب العذاب. ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحمل لثقله، قال الزمخشري: "ساء" تجري مجرى بئس، ففاعلها مضمر يفسره "حملا"، وقال غيره: فاعلها مضمر يعود على الوزر. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: ينفخ الملك في القرن، وقرئ "ننفخ" بالنون؛ أي: بأمرنا. ﴿زُرْقًا﴾ قيل: زرق الألوان كالسواد، وقيل: زرق العيون من العمى. ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: يقول

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

بعضهم لبعض في السر: إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا، وقيل: يعنون لبثهم في القبور. ﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر؛ فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا، فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره. ﴿يَنسِفُهَا﴾ أي: يجعلها كالغبار ثم يفرقها. ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ الضمير في "يذرها" للجبال، والمراد مواضعها من الأرض، والقاع الصفصف المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه. ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه. ﴿وَلاَ أَمْتًا﴾ الأمت هو الارتفاع اليسير. ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر. ﴿لاَ عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يعوج أحد عن اتباعه والمشي نحو صوته، أو لا عوج لدعوته لأنها حق. ﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفي. ﴿لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا، و"من" في موضع نصب بـ"تنفع" وهي واقعة على المشفوع له؛ فالمعنى: لا تنفع الشفاعة أحدا إلا من أذن الرحمن في أن يشفع له، أو يكون الاستثناء منقطعا و"من" واقعة على الشافع، والمعنى: لكن من أذن له الرحمن يشفع. ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ إن أريد بـ"من أذن له الرحمن" المشفوع فيه فاللام في "له" بمعنى لأجله؛ أي: رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه، وإن أريد الشافع، فالمعنى: رضي قوله في الشفاعة. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق، والمعنى ذكر في آية الكرسي. ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ قيل: المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾، والصحيح عندي أن المعنى: لا يحيطون بمعرفة ذاته، إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثني "إلا بما شاء" هناك ولم يستثن هنا. ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي: ذلت يوم القيامة. ﴿وَلاَ هَضْمًا﴾ أي: بخسا ونقصا لحسناته.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكرا، وقيل: شرفا؛ وهو هنا بعيد. ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: إذا أقرأك جبريل فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرأه أنت؛ فالآية كقوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأمر أن يتأنى حتى تفسر له المعاني؛ والأول أشهر. ﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: وصيناه أن لا يأكل من الشجرة. ﴿فَنَسِىَ﴾ يحتمل أن يريد النسيان الذي هو ضد الذكر، فيكون ذلك عذرا لآدم، أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره لأن الناسي لا عقاب عليه، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة. ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة؛ فجعل المسبب موضع السبب، وخص آدم بقوله "فتشقى" لأنه كان المخاطب أولا والمقصود بالكلام، وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال. ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ الظمأ هو العطش، والضحى هو البروز للشمس. ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في الأعراف، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة. ﴿ٱهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: ضيقة، فقيل: إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة

وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾

حرصه وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه، وقيل: ذلك في البرزخ، وقيل: في جهنم يأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة. ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ يعني أعمى البصر. ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ من الترك لا من الذهول. ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أي: عذاب جهنم أشد وأبقى من المعيشة الضنك ومن الحشر أعمى. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: أو لم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ"يهد" مقدر تقديره: ألم يهد لهم الهدي أو الأمر، وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده، وقيل: الفاعل ضمير الله عز وجل، ويدل عليه قراءة "أفلم نهد" بالنون، وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود ويعاينون آثار هلاكهم. ﴿لأُوْلِي النُّهَى﴾ أي: ذوي العقول. ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الـ"كلمة" هنا القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما؛ أي: واقعا بهم. ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ معطوف على "كلمة"؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري، وقيل: المراد به أجل الموت، وقيل: القيامة. ﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة، أو قول "سبحان الله"؛ وهو ظاهر اللفظ. ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك، فيكون أمرا بالجمع بين قول: "سبحان الله"، وقول: "الحمد لله"، وقد قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السماء والأرض» [مسلم: 223]. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى "وسبح" الصلاة؛ والتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ العشاء الآخرة. ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المغرب والصبح،

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

وكرر الصبح في ذلك تأكيدا للأمر بها، وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين؛ إما على نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وإما أن يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف، و"آناء الليل" ساعاته؛ واحدها أناء. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في الحجر، ومد العينين هو تطويل النظر، ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار؛ لأن الزهر له منظر حسن ثم يذبل ويضمحل، وفي نصب "زهرة" خمسة أوجه؛ أن ينتصب بفعل مضمر على الذم، أو يضمن "متعنا" معنى أعطينا ويكون "زهرة" مفعولا ثانيا له، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور، أو يكون بدلا من "أزواجا" على تقدير: ذوي زهرة، أو ينتصب على الحال. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: نختبرهم. ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية. ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ الـ"بينة" هنا البرهان، و"الصحف الاولى" هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، والضمير في "قالوا" وفي "أولم تاتهم" لقريش؛ لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت أجابهم الله بهذا الجواب، ومعناه: قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ فلأي شيء تطلبون آية أخرى؟ ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله. ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية، معناها: لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و"لولا" هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ. ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد. ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قُل رَّبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ

سورة الأنبياء

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الناس لفظ عام، وقال ابن عباس رضي الله عنه: أراد به هنا المشركين من قريش، بدليل ما بعد ذلك فإنه من صفاتهم، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آت قريب. ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ يعني بالـ"ذكر" القرآن، و"محدث" أي: محدث النزول. ﴿ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ الواو في "أسروا" ضمير فاعل يعود على ما قبله، و"الذين ظلموا" بدل من الضمير، وقيل: إن الفاعل هو "الذين ظلموا"، وجاء ذلك على لغة من قال: أكلوني البراغيث، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيبويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن، ويحتمل أن يكون "الذين ظلموا" منصوبا بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر؛ والأول أحسن. ﴿ هَلْ هَذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ هذا الكلام في موضع نصب بدل من "النجوى"؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والـ"بشر" المذكور في الآية هو محمد ﷺ. ﴿ قُل رَّبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ ﴾ إخبار بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه، فإن قيل: هلا قال: يعلم السر، مناسبة لقوله "أسروا النجوى"؟ فالجواب: أن القول يشمل السر والجهر فحصل في ذكره السر وزيادة. ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ ﴾ أي: أخلاط منامات، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم. ﴿ كَمَآ أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ أي: كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية؛ فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات. ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ ﴾ لما قالوا "فليأتنا بآية" أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ثم قال ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم، ويحتمل أن يكون المعنى أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك، ولا يكون على هذا جوابا لقولهم "فلياتنا بآية"؛ بل يكون إخبارا مستأنفا على وجه التهديد، و"أهلكناها" في موضع الصفة لـ"قرية" والمراد أهل القرية. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً ﴾ رد على قولهم "هل هذا إلا بشر مثلكم"، والمعنى: أن الرسل

فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ

المتقدمين رجال من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا؟. ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أحبار أهل الكتاب. ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي: ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، و"لا يأكلون الطعام" صفة لجسد، وفي الآية رد على قولهم ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾. ﴿وَمَن نَّشَاءُ﴾ يعني المؤمنين. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم، وقيل: تذكيركم. ﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله من قصم الظهر أي: كسره. ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ يريد أهل القرية، قال ابن عباس ﷺ: هي قرية باليمن يقال لها حضور، بعث الله إليهم رسولا فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل، فأهلكهم بالقتل؛ وظاهر اللفظ على العموم، لأن "كم" للتكثير فلا يريد قرية معينة. ﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجري، أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة. ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي: قيل لهم لا تركضوا، والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم، أو رجال بختنصر إن كانت في القرية المعينة، قالوا لهم ذلك خداعا ليرجعوا فيقتلوهم. ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾ أي: نعمتم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ تهكم بهم وتوبيخ، أي: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم، ويحتمل أن يكون "تسألون" بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضا تهكم. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الآية، اعتراف وندم حين لم ينفعهم. ﴿حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ شبهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى "خامدين" موتى وهو تشبيه بخمود النار. ﴿لَاعِبِينَ﴾ حال منفية، أي: ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب؛ بل للاعتبار بها والاستدلال على صانعها. ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل: المرأة، و"من لدنا" أي: من الملائكة؛ فالمعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم، فهو رد على من قال: المسيح ابن الله،

إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

وعزير ابن الله؛ والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله "لاعبين"، وقال الزمخشري: المعنى لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا؛ ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة؛ وفي كلا القولين نظر. ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يحتمل أن تكون "إن" شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية؛ والأول أظهر. ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ "الحق" عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، و"الباطل" عام في أضداد ذلك. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ. ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ يعني الملائكة. ﴿وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يعيون ولا يملون. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ "أم" هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها، و"من الارض" يتعلق بـ"ينشرون"، والمعنى: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض؛ فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله "فيهما" للسماوات والأرض، و"إلا الله" صفة لآلهة، و"الا" بمعنى غير، فاقتضى الكلام أمرين؛ أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحدا، والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله "إلا الله"، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة. وقال كثير من الناس في معنى الآية :إنها دليل التمانع الذي أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئا وأراد الآخر نقيضه؛ فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما وذلك أيضا محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معا، ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي نفذت إرادته هو الإله والذي لم تنفذ إرادته ليس بإله؛ فالإله واحد، وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ولا وليان لخطة واحدة. ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم فأفعاله كلها جارية على الحكمة. ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لفقد العلتين.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك ومبالغة في تقبيحه، لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، ولينـاط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز لهم، وقد تكلمنا على "هاتوا" في البقرة. ﴿هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِي وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ رد على المشركين، والمعنى: هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله؛ بل كلها متفقة على التوحيد. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ الآية، رد على المشركين، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بـ"لا إله إلا الله". ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذين قال فيهم بعض الكفار إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض البنوة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غر الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا. ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه. ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي: لمن ارتضى أن يشفع له، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا؛ وهي استغفارهم لمن في الأرض. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية، على فرض أن لو قالوا ذلك ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين، وقيل: إن الذي قال ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾ هو إبليس لعنه الله. ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الرتق مصدر وصف به، ومعناه: الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق الفتح، فقيل: كانت السماوات ملتصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء، وقيل: كانت السماوات ملتصقة بعضها ببعض، والأرضون كذلك ففتقها الله سبعا سبعا، والرؤية في قوله "أولم ير" على هذا رؤية قلب، وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، والرؤية على هذا رؤية عين. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان، ويعني بـ"الماء" المني، وقيل: الماء الذي يشرب لأنه سبب

وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ

لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة. ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره: كراهة أن تميد. ﴿فِجَاجًا﴾ يعني الطرق الكبار، وإعرابه عند الزمخشري حال من الـ"سبل"؛ لأنه صفة تقدمت على النكرة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني في طرقهم وتصرفاتهم. ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي: حفظ من السقوط ومن الشياطين. ﴿عَنْ ءَايَاتِهَا﴾ يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك. ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في "كل" عوض عن الإضافة، أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني "الشمس والقمر" دون "الليل والنهار" إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك، فالجملة في موضع حال من "الشمس والقمر" أو مستأنفة، فإن قيل: لفظ "كل" و"يسبحون" جمع، فكيف يعني "الشمس والقمر" وهما اثنان؟ فالجواب: أنه أراد جنس مطالعهما كل يوم وليلة وهي كثيرة قاله الزمخشري، وقال الغزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنها بضمير الجماعة العقلاء في قوله "يسبحون"؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال "في فلك" وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب: أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه، وذلك كقوله: كساهم الأمير حلة؛ أي: كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الـ"فلك" جسم مستدير، وقال بعض المفسرين: إنه من موج؛ وذلك بعيد، والحق أنه لا تعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود، ومعنى "يسبحون" يجْرون أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله "كل في فلك" من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين. ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سببها أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت، وقيل: إنهم تمنوا موته ليشمتوا به؛ وهذا أنسب لما بعده. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة "فهم الخالدون"، وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة. ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنى والمرض والصحة وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير أو خلاف ذلك. ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من معنى "نبلوكم". ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، دلت

وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ

على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذم أو مدح، والجملة تفسير للـ"هزء" أي: يقولون أهذا الذي. ﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال، أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن؟ فهم أحق بالملامة، وقيل: معنى "بذكر الرحمن" تسميته بهذا الاسم لأنهم أنكروها؛ والأول أغرق في ضلالهم. ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ خُلقَ شديد الاستعجال، وجاءت هذه العبارة للمبالغة كقولك: خلق حاتم من جود، و"الانسان" هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذاب الذي طلبوه فذكر الله هذا توطئة لقوله ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾، وقيل: المراد هنا آدم؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم؛ وهذا ضعيف، وقيل: "من عجل" أي: من طين؛ وهذا أضعف. ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَاتِي﴾ وعيد، وجواب على ما طلبوا من التعجيل. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية، تفسير لاستعجالهم. ﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة أو نزول العذاب بهم. ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب "لو" محذوف. ﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ"يعلم" أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا. ﴿بَلْ تَاتِيهِم﴾ ضمير الفاعل للنار، وقيل: للساعة. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم. ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب. ﴿وَلَقَدُ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ بالتأسي. ﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط. ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله، و"من" استفهامية، والمعنى: تهديد وإقامة حجة، لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنى أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة إن أجابوا ولكنهم يعرضون عن ذكر الله، أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله، وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه. ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و"أم" هنا للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم، أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فإن من لا ينصر نفسه

وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾

أولى أن لا ينصر غيره. ﴿وَلاَ هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار، أي: لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ. ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَآءِ وَءَابَاءهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله، والإضراب بـ"بل" عن معنى الكلام المتقدم، أي: لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ؛ بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم. ﴿نَنقُصُهَا مِنَ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في الرعد. ﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ﴾ إشارة إلى الكفار، و"الصم" استعارة في إفراط إعراضهم. ﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطرة وفيها تقليل العذاب، والمعنى: أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدل، وإنما أفرد "القسط" وهو صفة للجمع لأنه مصدر وصف به كعدل ورضى، أو على تقدير ذوات القسط، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال، والخفة والثقل متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال أو ما شاء الله، وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء. ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة أو لحكمة، فهو على حذف مضاف، وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لست خلون من الشهر. ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي: وزنها، والرفع على أن "كان" تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر. ﴿الْفُرْقَانَ﴾ هنا التوراة، وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة. ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن. ﴿رُشْدَهُ﴾ يعني إرشاده إلى توحيد الله، وكسر الأصنام وغير ذلك. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى وهارون، وقيل: آتيناه رشده قبل النبوة. ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: علمنا أنه يستحق ذلك.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿التَّمَاثِيلُ﴾ يعني الأصنام، وكانت على صور بني آدم. ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل. ﴿قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: هل هذا الذي تقول جد أم مزاح؟ وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل، وعن اللعب بالجملة الاسمية لأنه أثبت عندهم. ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن، والضمير للسماوات والأرض والتماثيل؛ وهذا أليق بالرد عليهم. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ يعني خروجهم إلى عيدهم. ﴿جُذَاذًا﴾ أي: فتاتا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذ بمعنى القطع. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم من يده. ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير، أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء، وقيل: الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، أي: يرجعون إليه فيبين لهم الحق. ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فقالوا: من فعل هذا؟. ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم وبقوله "لأكيدن أصنامكم". ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب "إبراهيم" منادى، وقيل: خبر ابتداء مضمر، وقال الأعلم: رفع على الإهمال؛ والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله بـ"يقال"؛ لأن المراد الاسم لا المسمى، وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له. ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض لأنه كذب، فإن قيل: فقد جاء في الحديث: «**إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات أحدها: فعله كبيرهم**» [البخاري: 3179]؛ فالجواب: أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنى آخر؛ ويدل على ذلك قوله ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم.

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ

﴿فَرَجَعُوآ إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إليها بالفكرة والنظر أو رجعوا إليها بالملامة. ﴿فَقَالُوآ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الظالمون لأنفسكم في عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شيء، أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه "إنه لمن الظالمين"، وفي تعنيفه على أعين الناس. ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم، ويحتمل أن يكون "نكسوا على رءوسهم" بمعنى رجوعهم عن المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم "لقد علمت ما هؤلاء ينطقون" اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة، ويحتمل على هذا أن يكون "نكسوا على رءوسهم" حقيقة؛ أي: أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة. ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقدم الكلام على "أف" في الإسراء. ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم. ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة، واختلف كيف بردت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحر والإحراق، وقيل: دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل: خلق بينه وبينها حائلا، ومعنى السلام هنا السلامة، وقد روي: أنه لو لم يقل "سلاما" لهلك إبراهيم من البرد، وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه. ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها. ﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل العطاء، وقيل: سماه نافلة لأنه عطاء بغير سؤال فكأنه تبرع، وقيل: الهبة إسحاق، والنافلة يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فأعطي يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على هذا الوقف على "إسحاق" لبيان المعنى؛ وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول. ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذننا.

وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ

﴿وَلُوطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿ءَاتَيْنَاهُ﴾؛ والأظهر أنه انتصب بالعطف على "موسى وهارون" أو "إبراهيم"، وانتصب "نوحا" و"داود وسليمان" وما بعدهم بالعطف أيضا، وقيل: بفعل مضمر تقديره: اذكر. ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي: حكما بين الناس أو حكمة. ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم من أرض الشام. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في الجنة أو في أهل رحمتنا. ﴿نَادَى مِن قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط. ﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني الغرق. ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدى "نصرناه" بـ"من"؛ لأنه مطاوع انتصر المتعدي بمن، أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه. ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ كان داود نبيا ملكا، وكان ابنه سليمان حينئذ ابن أحد عشر عاما. ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كرم؛ والحرث يقال فيهما. ﴿نَفَشَتْ﴾ رعت فيه بالليل. ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لـ"داود وسليمان" والمتخاصمين، وقيل لـ"داود وسليمان" خاصة على أن يكون أقل الجمع اثنان. ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم؛ ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع، قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها والأرض بزرعها إلى ربها، فقال له داود: وفقت يا بني، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما، واختلف الناس هل كان حكمهما اجتهادا أو بوحي؟ فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء، ورأى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختلف هل وقع أم لا؟ وظاهر

وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

قوله "ففهمناها سليمان" أنه كان باجتهاد خص الله سليمان فيه بفهم القضية، ومن قال كان بوحي جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود، وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا! فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك [الموطأ: 1440]، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان، لأن النفش لا يكون إلا بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار لقوله ﷺ: «**العجماء جرحها جبار**» [البخاري: 6514]. ﴿وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْماً﴾ قيل: يعني في هذه النازلة، وأن داود لم يخطئ فيها ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب، وقيل: بل يعني "حكما وعلما" في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: سبحان الله، وقيل: الصلاة معه إذا صلى، وقدم "الجبال" على "الطير"؛ لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا، وقال ابن عطية: معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك منا. ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني دروع الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، قال ابن عطية: اللبوس في اللغة السلاح، وقال الزمخشري: اللبوس اللباس. ﴿لِيُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتقيكم في القتال، وقرئ بالياء والتاء والنون؛ فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو للبوس. ﴿فَهَلَ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الشكر. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف "الريح" على "الجبال" والعاصفة هي الشديدة، فإن قيل: كيف قال "عاصفة"، وقال في ص ﴿رُخَاءً﴾ أي: لينة، فالجواب: أنها كانت في نفسها لينة طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجمعت الوصفين، وقيل: كانت رخاء في ذهابه وعاصفة في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع، وقيل: كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته. ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، وكانت مسكنه وأرض ملكه، فخص في الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها. ﴿يَغُوصُونَ﴾ أي: يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجوهرة من البحار. ﴿عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: أقل من الغوص كالبنيان والخدمة. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره أو نحفظهم من إفساد

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

ما صنعوه، وقيل: معناه عالمين بعددهم. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلط البلاء على جسمه فصبر إلى أن مر به قوم فشمتوا به، فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحا بالدعاء ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب. ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه، واغتسل فبرئ من المرض والبلاء. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ روي: أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقه مثلهم معهم في الدنيا، وقيل: في الآخرة، وقيل: ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله. ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: رحمة لأيوب. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين. ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: نبي بعث إلى رجل واحد، وقيل: رجل صالح غير نبي، وسمي "ذا الكفل" أي: ذا الحظ من الله، وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده. ﴿وَذَا النُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، و"النون" هو الحوت نُسب إليه لأنه التقمه. ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ أي: مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾، وقيل: هو من القدر والقضاء، أي: ظن أن لن نقدر عليه بعقوبة؛ ولا يصح قول من قال إنه من القدرة. ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قيل: هذا الكلام محذوف لبيانه في غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمي في البحر فالتقمه الحوت، "فنادى في الظلمات" وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت، ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾. ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ "أن" مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذي

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾

اعترف به هو كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني من بطن الحوت وأخرجه إلى البر. ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُومِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقا أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له» [المستدرك: 3444]. ﴿لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ إن لم ترزقني وارثا فأنت خير الوارثين فهو استسلام لله. ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني ولدت بعد أن كانت عقيما، واسم زوجته أشياع قاله السهيلي. ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين. ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرغب الرجاء، والرهب الخوف، وقيل: الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورهما. ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم ابنت عمران، ومعنى "أحصنت" من العفة؛ أي: أعفته عن الحرام والحلال كقولها ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره، والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك. ﴿ءَايَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يثن. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة أو للمعاصرين لمحمد ﷺ، أي: إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد. ﴿وَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارة من جعل الشيء قطعا، والضمير للمخاطبين قبل، فالأصل تقطعتم. ﴿فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا إبطال لثواب عمله. ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: يكتب عمله في صحيفته. ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قرئ "حِرم" بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل: "حرام" بمعنى ممتنع؛ أي: ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ

بالتوبة، أو ممتنع على قرية قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، و"لا" زائدة في الوجهين، وقيل: "حرام" بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصور فيه الوجهان، وتكون "لا" نافية فيهما، أي: حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا، وقيل: المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، و"لا" على هذا نافية أيضا؛ ففيه رد على من أنكر البعث. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ "حتى" هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بـ"يرجعون"، وجواب "إذا" "فإذا هي شاخصة"، وقيل: الجواب "يا ويلنا" لأن تقديره: يقولون يا ويلنا، و"فتحت ياجوج وماجوج" أي: فتح سدها فحذف المضاف. ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ الحدب المرتفع من الأرض، و"ينسلون" أي: يسرعون، والضمير لياجوج وماجوج، أي: يخرجون من كل طريق لكثرتهم، وقيل: لجميع الناس. ﴿ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ يعني القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾ "إذا" هنا للمفاجأة، والضمير عند سيبويه ضمير القصة، وعند الفراء للأبصار، و"شاخصة" من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف. ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركين، والحصب ما توقد به النار كالحطب، وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ "حطب جهنم"، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخا لمن عبدها. ﴿وَٰرِدُونَ﴾ الورود هنا الدخول. ﴿زَفِيرٞ﴾ ذكر في هود. ﴿لَا يَسۡمَعُونَ﴾ قيل: يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئا، وقيل: يصمهم الله كما يعميهم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ "سبقت" أي: قضيت في الأزل، و"الحسنى" السعادة، ونزلت هذه الآية لما اعترض ابن الزبعري على قوله "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"، فقال: إن عيسى وعزير والملائكة قد عُبدوا، فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل من سبقت له السعادة. ﴿حَسِيسَهَا﴾ أي: صوتها. ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة،

وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

وقيل: ذبح الموت، وقيل: النفخة الأولى في الصور لقوله ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾. ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ "السجل" الصحيفة، و"الكتاب" مصدر، أي: كما يطوى السجل ليكتب فيه أو ليصان الكتاب الذي فيه، وقيل: "السجل" رجل كاتب؛ وهذا ضعيف، وقيل: هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال؛ وهذا أيضا ضعيف. ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ أي: كما قدرنا على البدءة نقدر على الإعادة فهو كقوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقيل: المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناها، كما جاء في الحديث: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا**» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [البخاري: 3171]، والكاف متعلقة بقوله "نعيده". ﴿فَاعِلِينَ﴾ تأكيد لوقوع البعث. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ "في الزبور" هنا قولان؛ أحدهما: أنه كتاب داود و"الذكر" على هذا التوراة التي أنزل الله على موسى، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى، والقول الآخر: أن "الزبور" جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، و"الذكر" على هذا هو اللوح المحفوظ، أي: كتب الله هذا في الكتب التي أنزلت بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها؛ والأول أرجح لأن إطلاق "الزبور" على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا، ولأن "الزبور" مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النص قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون. ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ "الارض" هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل: الأرض المقدسة، وقيل: أرض الجنة؛ والأول أظهر، والعباد الصالحون أمة محمد ﷺ؛ ففي الآية ثناء عليهم وإخبار بغيب ظهر مصداقه في الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب لمحمد ﷺ وفيه تشريف عظيم، وانتصب "رحمة" على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولا من أجله، والمعنى على كل وجه أن الله رحم العالمين بإرسال محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: "رحمة للعالمين" عموم والكفار لم يرحموا به، فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر: أنهم رُحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك. ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام، وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر. ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ "إن" هنا وفي الموضع الآخر نافية، و"أدري" فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب، وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه، والهمزة في قوله "أقريب" للتسوية لا لمجرد الاستفهام، وقيل: يوقف على "إن أدري" في الموضعين ويبتدأ بما بعده؛ وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده. ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت أو القيامة. ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

سورة الحج

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ تكلمنا على التقوى في أول البقرة. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: شدتها وهولها كقوله ﴿وَزُلْزِلُوا﴾، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، والجملة تعليل للأمر بالتقوى، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة؟ والأرجح أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ العامل في الظرف "تذهل"، والضمير للـ"زلزلة"، وقيل: لـ"الساعة"؛ وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها. ﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة. ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ إنما لم يقل: مرضع؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبي، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: "مرضعة" ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ. ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ تشبيه بالسكارى من شدة الغم. ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ نفي لحقيقة السكر، وقرئ "سَكرى"، والمعنى متفق. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل؛ وهي تتناول كل من اتصف بذلك. ﴿شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: شديد الإغواء، ويحتمل أن يريد شيطان الجن والإنس. ﴿كُتِبَ﴾ تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أنه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله، و﴿فَأَنَّهُ﴾ عطف عليه، وقيل: تأكيد. ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه أو اتخذه وليا، والضمير في "عليه"، وفي "أنه" في الموضعين، وفي "تولاه" للشيطان، وفي ﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ للمتولي له، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولا لـ"من يجادل". ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ الآية، معناها إن شككتم في البعث الأخروي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقتكم، فتعلموا أن الذي قدر على خلقتكم أول مرة قادر على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها قادر على أن يخرجكم من قبوركم. ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس

ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾

لأنهم من ذريته وهو أصلهم. ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾ العلقة قطعة من دم جامدة. ﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾ أي: قطعة من لحم. ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة غير التامة كالسقط، وقيل: المخلقة المسواة السالمة من النقصان. ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اللام تتعلق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث. ﴿وَنُقِرُّ﴾ فعل مستأنف. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني وقت وضع الحمل، وهو مختلف؛ أقله ستة أشهر إلى ما فوق ذلك. ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أفرده لأنه أراد الجنس، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا. ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ هو كمال القوة والعقل والتمييز، وقد اختلف فيه من ثماني عشرة سنة إلى خمس وأربعين. ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ ذكر في النحل. ﴿هَامِدَةً﴾ يعني لا نبات فيها. ﴿اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء. ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت. ﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: صنف عجيب. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل بأن الله هو الحق، هكذا قدره الزمخشري، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضا فسره ابن عطية، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ معطوفا على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذكر، فقال ابن عطية: قوله "أن الساعة" ليس بسبب لما ذكر، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة؛ وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان؛ أما قوله: أن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف والعطف لا يصح، وأما قوله على تقدير: الأمر أن الساعة، فذلك استئناف وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة، فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله؟ والذي يظهر لي أن الباء ليست بسببية، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى؛ وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق، وبأنه يحي الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف "وأن الساعة" على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله "ذلك" مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت

ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

فيمن نزلت فيه الأولى، وقيل: في الأخنس بن شريق. ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ كناية عن المتكبر المعرض. ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث؛ فالخزي أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي يقال له: ذلك بما فعلت وبعدل الله لأنه لا يظلم العباد. ﴿مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام، فال"حرف" هنا كناية عن المقصد، وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف؛ أي: أنه في طرف من الدين لا في وسطه. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده. ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ يعني الأصنام، و"يدعو" بمعنى يعبد في الموضعين. ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ فيها إشكالان؛ الأول: في المعنى؛ وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرها أكثر من نفعها، فنفى الضر ثم أثبته، فالجواب: أن الضر المنفي أولا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئا، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره، والإشكال الثاني: دخول اللام على "من" وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه؛ أحدها: أن اللام مقدمة على موضعها، كأن الأصل أن يقال: يدعو من لضره أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ، وثانيها: أن "يدعو" هنا كرر تأكيدا لـ"يدعو" الأول وتم الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله "لمن ضره"، فـ"من" مبتدأ وخبره ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ﴾، وثالثها: أن معنى "يدعو" يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام. ﴿الْمَوْلَىٰ﴾ هنا بمعنى الولي. ﴿الْعَشِيرُ﴾ الصاحب فهو من العشيرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع وهو دخول الجنة.

مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ الـ"سبب" هنا الحبل، و"السماء" هنا سقف البيت، وشبهه من الأشياء التي يعلق منها الحبال، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل، يقال: قطع الرجل إذا اختنق، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق وربطه في السقف، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته، أو طمع فيما لا يصل إليه كقوله للحسود: مت كمدا أو اختنق فإنك لا تقدر على غير ذلك، وفي معنى الآية قولان؛ الأول: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل؛ فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة محمد ﷺ، والقول الثاني: أن الضمير في "ينصره" عائد على "من"، والمعنى على هذا: من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك، فموجب الاختناق على هذا القنوط والتسخط من القضاء، وسوء الظن بالله حتى ييأس من نصره، ولذلك فسر بعضهم ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ﴾ بمعنى أن لن يرزقه؛ وهذا القول أرجح من الأول لوجهين؛ أحدهما: أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لا ينصره، فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله، ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية "إن الله يفعل ما يريد" أي: الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة، والوجه الثاني: أن الضمير في "ينصره" على هذا القول يعود على ما تقدمه، وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله؛ لأن النبي ﷺ لم يُذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به اختناقه، وسمي كيدا لأنه وضعه موضع الكيد إذ هو غاية حيلته، والمعنى: إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر، أي ليس يذهبه؟ ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، أي: مثل هذا أنزلنا القرآن كله. ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية: "أن" في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله؛ وهذا ضعيف؛ لأن فيه تكلف إضمار وقطع الكلام عن المعنى الذي قبله، وقال الزمخشري: التقدير: لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات، فجعل "أن" تعليلا للإنزال؛ وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو؛ والصحيح عندي أن قوله "وأن الله" معطوف على "ءايات بينات"؛ لأنه مقدر بالمصدر فالتقدير: أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه. ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ ذكر في البقرة، وكذلك ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشر من الظلمة.

وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر "إن الذين ءَامنوا والذين هادوا" الآية، وكررت مع الخبر للتأكيد، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار. ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ دخل في هذا من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الملائكة والجن، ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في آخر الآية، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به الانقياد؛ ثم إن الانقياد يكون على وجهين؛ أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعا، والآخر: الانقياد لما يجري الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره شاؤوا أو أبوا. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة، فيكون "كثير من الناس" معطوفا على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون قوله ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويوقف على قوله "وكثير من الناس"؛ وهذا القول هو الصحيح، وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره، فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد، لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى، وقيل: إن قوله "كثير من الناس" معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه "كثير حق عليه العذاب"، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله "حق عليه العذاب" يقتضي ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود، وتأوله الزمخشري على هذا المعنى بأن إعراب "كثير من الناس" فاعل بفعل مضمر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره: مثاب؛ وهذا تكلف بعيد. ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس ﷺ، وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث ﷺ حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة؛ فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا الجماعة، والإشارة بهذين إلى الفريقين. ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في "اختصموا" لجماعة الفريقين.

فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، حَكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا. ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصلت على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب. ﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار. ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: يذاب، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤوسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها، وقيل: معنى "يصهر" ينضج. ﴿مَقَامِعُ﴾ جمع مقمعة، أي: مقرعة. ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها، وقيل: هي السياط. ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من المجرور قبله. ﴿وَذُوقُوا﴾ التقدير: يقال لهم ذوقوا. ﴿مِنَ أَسَاوِرَ﴾ "من" لبيان الجنس، أو للتبعيض، وفسرنا الأساور في الكهف. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب مفعول بفعل مضمر، أي: يعطون لؤلؤا، أو معطوف على موضع "من اساور" إذ هو مفعول، وبالخفض معطوف على "اساور"، أو على "ذهب". ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قيل: هو "لا إله إلا الله"؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله؛ فـ"الحميد" اسم الله، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك: مسجد الجامع. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبره محذوف يدل عليه قوله ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقيل: الخبر ﴿يَصُدُّونَ﴾ على زيادة الواو؛ وهذا ضعيف، وإنما قال "يصدون" بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل. ﴿سَوَآءً﴾ بالرفع مبتدأ، أو خبر مقدم، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ"جعلنا"، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثاني، و"العاكف" فاعل به. ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ "العاكف" المقيم في البلد، والبادي القادم عليه من غيره، والمعنى: أن الناس سواء في المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد، وذلك إجماع، وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة، وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد بل هي متملكة. ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ الإلحاد الميل عن الصواب، والظلم هنا عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ لأن الذنوب بمكة أشد منها في غيرها، وقيل: هو استحلال الحرام، ومفعول ﴿يُرِدْ﴾ محذوف

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ

تقديره: من يرد أحدا، أو من يرد شيئا، و"بإلحاد بظلم" حالان مترادفان، وقيل: المفعول قوله "بإلحاد" على زيادة الباء. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في "إذ" مضمر تقديره: اذكر، و"بوأنا" أصله باء بمعنى رجع ثم ضوعف ليتعدى، واستعمل بمعنى أنزلنا في الموضع كقوله ﴿تُبَوِّىءُ الْمُومِنِينَ﴾، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله "لإبراهيم"، فتعدى الفعل باللام وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة، وقيل: معناه هيأنا، وقيل: جعلنا، و"البيت" هنا الكعبة، وروي: أنه كان آدم يعبد الله فيه ثم دَرَس بالطوفان، فدل الله إبراهيم على مكانه وأمره ببنيانه. ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ "أن" مفسرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما فسرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك والأمر بالتطهير؛ لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ عام في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك. ﴿وَالْقَآئِمِينَ﴾ يعني المصلين. ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ خطاب لإبراهيم، وقيل لمحمد ﷺ، والأول هو الصحيح، وروي: أنه لما أمر بالأذان بالحج صعد على جبل أبي قبيس ونادى: أيها الناس! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره: لبيك اللهم لبيك، فجرت التلبية على ذلك. ﴿يَاتُوكَ رِجَالاً﴾ جمع راجل، أي: ماشيا على رجليه. ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به ما يُركب من فرس وناقة وغير ذلك، ووصفه بالضمور؛ لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره، وقوله "وعلى كل ضامر" حال معطوف على حال كأنه قال: رجالا وركبانا، واستدل بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشي إلى الحج أفضل من الركوب، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر. ﴿يَاتِينَ﴾ صفة لـ"كل ضامر" لأنه في معنى الجمع. ﴿فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد. ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ التجارة، وقيل: أعمال الحج وثوابه؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق، وإنما قال "اسم الله" لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله "في أيام"، وقيل: الأيام المعلومات عشر ذي الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده، وقيل: عشر ذي الحجة خاصة، وأما الأيام المعدودات فهي الثلاثة بعد يوم النحر؛ فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات،

فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ

واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ندب أو إباحة، ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر. ﴿الْبَآئِسَ﴾ الذي أصابه البؤس، وقيل: هو المتكفف، وقيل: الذي يظهر عليه أثر الجوع. ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ التفث في اللغة الوسخ، فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار، والاستحداد، وسائر خصال الفطرة، والتنظف بعد أن يحلوا من الحج، وقيل: التفث أعمال الحج، وقرئ بكسر اللام وإسكانها وهي لام الأمر، وكذلك "وليوفوا" "وليطوفوا". ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو الطواف الواجب. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس، وقيل: "العتيق" الكريم، كقولهم: فرس عتيق، وقيل: أُعتق من الجبابرة؛ أي: منع منهم، وقيل: "العتيق" أي: لم يملكه أحد قط. ﴿ذَلِكَ﴾ هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير: الأمر ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ثم يقول هذا وقد كان كذا، وأجاز بعضهم الوقف على قوله "ذلك" في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي هذا و﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾، وذلك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ لأنها جملة مستقلة إذ هو خبر ابتداء مضمر؛ والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر بن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلاما أجنبيا، ومثلها ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾، و﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ في الأنفال، و﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ في ص. ﴿حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ جمع حرمة، وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة، فيحتمل أن يكون هنا على العموم، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي: التعظيم للحرمات خير. ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يعني ما حرمه في غير هذا الموضع كالميتة. ﴿الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ "من" لبيان الجنس، كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان، والمراد النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقربا إليها كما كانت العرب تفعل. ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الكذب، وقيل: شهادة الزور. ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ﴾ الآية، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك. ﴿سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد. ﴿شَعَآئِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج؛ وتعظيمها بأن تُختار سمانا عظاما غالية الأثمان، وقيل: هي مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة؛ وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد إليها، وقيل: الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ وتعظيمها القيام بها وإجلالها.

فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام، وهي مصدر "يعظم"، وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات. ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من قال: إن "شعائر الله" هي الهدايا؛ فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى نحرها، ومن قال: إن "شعائر الله" مواضع الحج؛ فالمنافع التجارة فيها أو الأجر، والأجل المسمى الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة. ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا؛ فمحلها موضع نحرها، وهي منى ومكة، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدي، و"ثم" على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل، ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج؛ فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعني طواف الإفاضة؛ إذ به يحل المحرم من إحرامه، ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق، فذلك لا يستقيم مع قوله "محلها إلى البيت". ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: لكل أمة مؤمنة، والمنسك اسم مكان، أي: موضعا لعبادتهم، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة، والمراد بذلك الذبائح لقوله ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام. ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان؛ أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله "فإلهكم إله واحد" أي: هو الذي شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم، والثاني: أنه إشارة إلى الذبائح، أي: إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقربا لغيره. ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين، وقيل: المتواضعين، وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكذلك قوله بعد ذلك ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، واللفظ فيهما أعم من ذلك. ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت. ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة، وهي ما أشعر من الإبل، واختلف هل يقال للبقرة بدنة؟ وانتصابه بفعل مضمر. ﴿مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، و"من" للتبعيض، وبذلك استدل من قال: إن "شعائر الله" المذكورة أولا على العموم في أمور الدين. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: الـ"خير" هنا المنافع المذكورة قبل، وقيل: الثواب؛ والصواب العموم في خير الدنيا والآخرة. ﴿صَوَآفَّ﴾ معناه: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وهو منصوب على الحال من

فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحده صافة. ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال: وجب الحائط وغيره إذا سقط. ﴿الْقَانِعَ﴾ معناه السائل، وهو من قولك: قنَع الرجل، بفتح النون إذا سأل، وقيل: معناه المتعفف عن السؤال، فهو على هذا من قولك: قنع بالكسر إذا رضي بالقليل. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مفتعل يقال: اعتررت بالقوم إذا تعرضت لهم، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله، أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ومن تعرض للعطاء. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم، وقال الزمخشري: التقدير: مثل التسخير الذي علمتم سخرناها لكم. ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ "ينال" مبالغة وتأكيدا كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم، فإن ذلك هو الذي طلب منكم وعليه يحصل لكم الثواب، وقيل: كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك، فنهوا عنه ونزلت الآية. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرر تأكيدا. ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل: يعني قول الذابح: بسم الله والله أكبر؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوآ﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم، وحذف مفعول "يدافع" ليكون أعظم وأعم، وقرئ "يدافع" بالألف و"يدْفع" بسكون الدال من غير الألف؛ وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل كقولك: عاقبت اللص، وقال الزمخشري: "يدافع" معناه يبالغ في الدفع عنهم لأنه للمبالغة، وفعل المغالبة أقوى. ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الـ"خوان" مبالغة في خائن، والـ"كفور" مبالغة في كافر، قال الزمخشري: هذه الآية عِلة لما قبلها. ﴿اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونسخت الموادعة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة، وقرئ "أُذن" بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة "يقاتلون" عليه، وقرئ "يقاتلون" بفتح التاء وكسرها. ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ يعني الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونُسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم. ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه، وقال الزمخشري: "أن يقولوا" في محل الجر على الإبدال من "حق".

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ الآية، تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه؛ كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين، وقيل: المعنى لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة؛ والأول أليق بسياق الآية، وقرئ "دفاع" بالألف مصدر دافع، وبغير ألف مصدر دفع. ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة. ﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة، بفتح الميم وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان. ﴿وَبِيَعٌ﴾ جمع بيعة، بكسر الباء وهي كنائس النصارى. ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ شنائع اليهود، وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها مواضع الصلاة. والـ﴿مَسَاجِدُ﴾ للمسلمين؛ فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عبادتهم. ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات، وقيل لـ"مساجد" خاصة. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي: من ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمن الحض على القتال. ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ﴾ الآية، قيل: يعني أمة محمد ﷺ، وقيل: الصحابة، وقيل: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية، ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له والوعيد لهم. ﴿نَكِيرِ﴾ مصدر بمعنى الإنكار. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العرش السقُف، فإن تعلق الجار بـ"خاوية"؛ فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال؛ فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها.

وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾

﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ أي: لا يستقى الماء منها لهلاك أهلها، وروي: أن هذه البئر هي الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود؛ والأظهر أنه لم يرد التعيين لقوله "كأين من قرية" وهذا اللفظ يراد به التكثير. ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ أي: مبني بالشيد وهو الجص، وقيل: الـ"مشيد" المرفوع البنيان. ﴿قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ دليل على أن العقل في القلب، خلافا للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: لا تعمى الأبصار عمى يعتد به، وإنما العمى الذي يعتد به عمى القلوب، أو أن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم، فالمعنى الأول لقصد المبالغة، والثاني خاص بهؤلاء القوم. ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مبالغة كقوله ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾. ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش. ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب، وسماه وعدا لأن المراد به مفهوم. ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى: أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة**» [أبو داود: 3666]، وقيل: المعنى إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب، فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب؛ إلا أن الأول أرجح لأن الألف سنة فيه حقيقة، وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ ذكر أولا القرى التي أهلكها بغير إملاء، وذكر هنا التي أهلكها بعد الإملاء، والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولى "فكأين" لأنه بدل من قوله "فكيف كان نكير". ﴿سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالطعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بالألف أي: مغالبين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم فصارت مفاعلة، وقرئ بالتشديد من غير ألف، ومعناه: أنهم يعجزون الناس عن الإسلام؛

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

أي: يثبطونهم عنه. ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ النبي أعم من الرسول؛ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فقدم الـ"رسول" لمناسبته لقوله "أرسلنا" وأخر الـ"نبي" لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على "رسول" لم يدخل في ذلك من كان نبيا غير رسول. ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ ألقى الشيطان: تلك الغرانقة العلى منها الشفاعة ترتجى، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد [الطبراني: 8316]، واختلف في كيفية إلقاء الشيطان، فقيل: إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر، وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد؛ والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة؛ والقول الأول أرجح لأن النبي ﷺ معصوم في التبليغ، فمعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان، واختلف في معنى "تمنى" و"أمنيته" في هذه الآية، فقيل: "تمنى" بمعنى تلا، والأمنية التلاوة، أي: إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته، وقيل: هو من التمني بمعنى حب الشيء، وهذا المعنى أشهر في اللفظة، أي: تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستئلافهم فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك. ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يبطله كقولك: نسخت الشمس الظل. ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله "ينسخ" و"يحكم". ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: أهل الشك. ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذبون، وقيل: "الذين في قلوبهم مرض" عامة الكفار، و"القاسية قلوبهم" أشدهم كفرا وعتوا كأبي جهل. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يعني بـ"الظالمين" المذكورين قبل، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ليقضي عليهم بالظلم، والـ"شقاق" العداوة، ووصفه بـ"بعيد"؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قيل: يعني الصحابة؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن، قال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء. ﴿فَتُخْبِتَ﴾ أي: تخشع.

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

﴿فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ﴾ الضمير للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان. ﴿يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني يوم بدر، ووصفه بالـ"عقيم"؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم لأنهم يقتلون فيه، وقيل: هو يوم القيامة والساعة مقدماته؛ ويقوي ذلك قوله ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾، ثم تقسيم الناس إلى أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم. ﴿قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾ روي: أن قوما قالوا: يا رسول الله! قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل من الخيرات، فما لمن مات معك؟ فنزلت الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معا، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت. ﴿رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ؛ والأول أرجح؛ لأنه يعم الشهداء والموتى. ﴿مُّدۡخَلٗا﴾ يعني الجنة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك كما يقول الكاتب: هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر. ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ سمى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضا باسم الذنب، ووعد بالنصر لمن بغي عليه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ إن قيل: ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟ فالجواب: من وجهين؛ أحدهما: أن في ذكر هذين الوصفين إشعارا بأن العفو أفضل من العقوبة؛ فكأنه حض على العفو، والثاني: أن في ذكرهما إعلاما بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ أي: ذلك النصر بسبب أن الله قادر؛ ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ومعنى الإيلاج هنا أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل: الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ذلك الوصف الذي وصف الله به هو بسبب أنه الحق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ "تصبح" هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر فقال: لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد، والفاء للعطف وليست بجواب، ولو كانت جوابا لقوله "ألم تر" لنصبت الفعل وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود، وإنما قال "تصبح" بلفظ المضارع ليفيد بقاءها كذلك مدة. ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك. ﴿أَن تَقَعَ﴾ في موضع مفعول على تقدير: عن أن تقع، وقال الزمخشري: كراهة أن تقع، فهو مفعول من أجله. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طي السماء كوقوعها أو يريد "بإذنه" لو شاء متى شاء. ﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة؛ لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح ثم أحياه بنفخ الروح. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني الموت المعروف. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني البعث. ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحود للنعم. ﴿مَنسَكًا﴾ هنا اسم مصدر لقوله ﴿نَاسِكُوهُ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: ناسكون فيه. ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يَسَع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل: إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ. ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح. ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة ربك. ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ الآية، تقتضي موادعة منسوخة بالقتال. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى كتب المعلومات

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

في الكتاب أو إلى الحكم في الاختلاف؛ والأول أظهر. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني الأصنام، والسلطان هنا الحجة والبرهان. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني ما ليس لهم به علم ضروري، فنفى أولا البرهان النظري ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى؛ بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معا. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون؛ فـ"المنكر" مصدر كالمكرم بمعنى الإكرام، ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها. ﴿يَسْطُونَ﴾ من السطوة وهي سرعة البطش. ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يحتمل أن تكون "النار" مبتدأ و"وعدها الله" خبره، أو يكون "النار" خبر ابتداء كأن قائلا قال: ما هو؟ فقيل: هو النار، ويكون "وعدها الله" استئنافا وهذا أظهر. ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين. ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى، والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شيء؟ ثم أوضح عجزهم بقوله ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه. ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ بيان أيضا لعجز الأصنام، بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه، وقد قيل: إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ المراد بـ"الطالب" الأصنام، وبـ"المطلوب" الذباب؛ لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها، وقيل: "الطالب" الكفار، و"المطلوب" الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم. ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه. ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافا للمالكية. ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات. ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية: هي في الندب فيما عدا الواجبات؛ واللفظ أعم من ذلك كله. ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد جهاد الكفار، أو جهاد النفس والشيطان والهوى، أو العموم في ذلك. ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قيل: إنه منسوخ كنسخ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ بقوله ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ وفي ذلك نظر، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله. ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ أي: اختاركم من بين الأمم. ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: مشقة، وأصل الحرج الضيق. ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب "ملة" بفعل مضمر تقديره: أعني بالدين ملة إبراهيم أو التزموا ملة إبراهيم، وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال: كملة، وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدم كأنه قال: وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبا للمسلمين كلهم؟ فالجواب: أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أبا لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده، ولذلك قرئ "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"، وأيضا فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم. ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: في القرآن، وقيل: الضمير لإبراهيم، والإشارة إلى قوله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، ومعنى "من قبل" على هذا من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول، ويكون قوله "وفي هذا" مستأنفا، أي: وفي هذا بلاغ؛ والقول الأول أرجح وأقل تكلفا، ويدل عليه قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه "الله سماكم المسلمين". ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدم معنى هذه الشهادة في البقرة. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة لاقترانها مع الزكاة. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا: وليكم وناصركم، بدلالة ما بعد ذلك.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾

سورة المؤمنين

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون، والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع، وقد عد بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «**لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها**»؛ والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع. ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ "اللغو" هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا، ومعنى الإعراض عنه عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى. ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي: مؤدون، فإن قيل: لم قال "فاعلون" ولم يقل: مؤدون؟ فالجواب: أن الزكاة لها معنيان؛ أحدهما: الفعل الذي يفعله المزكي، أي: أداء ما يجب على المال، والآخر: المقدار المخرج من المال كقولك: هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله "فاعلون"، ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون. ﴿عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: لا يلامون على أزواجهم، ويمكن أن يتعلق بقوله "حافظون" على أن يكون "على" بمعنى عن. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني النساء المملوكات، قال الزمخشري: إنما قال "ما ملكت" ولم يقل: من؛ لأن الإناث تجري مجرى غير العقلاء. ﴿وَرَآءَ ذَلِكَ﴾ يعني ما سوى الزوجات والمملوكات. ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد أمانات الناس وعهدهم، أو أمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم. ﴿رَاعُونَ﴾ أي: حافظون لها قائمون بها. ﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار؛ لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها فهما مختلفان، وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها. ﴿الْوَارِثُونَ﴾ أي: المخلصون للجنة، فالميراث استعارة، وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار

ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾

فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة. ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعناب، وأعاد الضمير عليها مؤنثا على معنى الجنة. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾ اختلف هل يعني آدم أو جنس بني آدم؟. ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السلالة هي ما يسل من الشيء، أي: يستخرج منه، ولذلك قيل: إنها الخلاصة، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم، فإن أراد بـ"الانسان" آدم فالمعنى: أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ لا بد أن يراد به بنو آدم، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا، ولكن يفسره سياق الكلام، وإن أراد بـ"الانسان" ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين، أي: خلق أصله وهو أبوه آدم، ويحتمل عندي أن يراد بـ"الانسان" الجنس الذي يعم آدم وذريته، فأجمل ذكر "الانسان" أولا ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم وهي من طين، وإلى الخلقة المختصة بذريته وهي النطفة، فإن قيل: ما الفرق بين "مِن" و"مِن"؟ فالجواب: على ما قال الزمخشري أن الأولى للابتداء والثانية للبيان كقوله ﴿مِنَ الأَوْثَانِ﴾. ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم الأم، ومعنى "مكين" متمكن؛ وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرة لا من صفة المحل المستقر فيه، ولكنه كقولك: طريق سائر، أي: يسير الناس فيه، وقد تقدم تفسير ﴿النُّطْفَةَ﴾ و﴿الْمُضْغَةَ﴾ و﴿الْعَلَقَةَ﴾ في أول الحج. ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلى الدنيا، وقيل: استواء الشباب، وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتق من البركة، وقيل: معناه تقدس. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه، وفسر بعضهم "الخالقين" بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفي عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾، وإنما الذي يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم فهذا هو الذي انفرد الله به. ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل، وقيل: يعني الأفلاك، لأنها طرق للكواكب. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بـ"الخلق" المخلوقين أو المصدر. ﴿مَآءً بِقَدَرٍ﴾ يعني المطر الذي

فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ

ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل: يعني أربعة أنهار: وهي النيل والفرات ودجلة وسيحان؛ ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى "بقدر" بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه. ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ يعني الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، و"طور سيناء" جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ونسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة، و"سيناء" اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل: معناه مبارك، وقيل: ذو شجر؛ ويلزم على ذلك صرفه. ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ يعني الزيت، وقرئ "تنبت" بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال كقولك: جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء وفيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن أنبت بمعنى نبت، والثاني: حذف المفعول تقديره: تنبت ثمرتها بالدهن، والثالث: زيادة الباء. ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ الصبغ الغمس في الإدام. ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذكر الإبل لقوله ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر، فيا عجبا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر. ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم. ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة. ﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، فانظر اختلاف قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة وتارة إلى الجنون. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم أو وقت موته. ﴿ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ تضمن هذا دعاء عليهم؛ لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم، وقد تقدم في هود تفسير ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾.

فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

﴿اسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخل فيها، وقد تقدم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾. ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ "إن" مخففة من الثقيلة، و"مبتلين" اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار أو إنزال البلاء. ﴿قَرْنًا ءاخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد ورسولهم هود لأنهم الذين يلون قوم نوح، وقيل: إنهم ثمود ورسولهم صالح؛ وهذا أصح لقوله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ وثمود هم الذين هلكوا بالصيحة، وأما عاد فهلكوا بالريح. ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ قدم هذا المجرور على قوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لئلا يوهم أنه متصل بقوله ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بخلاف قوله ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ في غير هذا الموضع. ﴿أَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي: نعمناهم. ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يحتمل أن قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبيا من البشر أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم، وكذلك قال قوم نوح. ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد. ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ كرر "أن" تأكيدا للأولى، و"مخرجون" خبر عن الأولى. ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم، و"هيهات" اسم فعل بمعنى بعد، وقال الغزنوي: هي للتأسف والتأوه، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان، وتارة يجيء فاعله دون لام كقوله:

فهيهات هيهات العقيق وأهله

وتارة يجيء باللام كهذه الآية، قال الزجاج في تفسيره: البعد لما توعدون، فنزله منزلة المصدر، قال الزمخشري: وفيه وجه آخر: وهو أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في

إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿هِيتَ لَكَ﴾ لبيان الهيت به. ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع "هي" موضع الحياة لدلالة الخبر عليها. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر؛ ومرادهم إنكار البعث. ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ "ما" زائدة، وقيل: صفة للزمان، والتقدير: عن زمان قليل يندمون. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً﴾ يعني هالكين كالغثاء، والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود، فشبه به الهالكين. ﴿فَبُعْدًا﴾ مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعِدوا، أي: هلكوا، والعامل فيه مضمر لا يظهر. ﴿تَتْرَا﴾ مصدر ووزنه فعلى، ومعناه: التواتر والتتابع، وهو موضوع موضع الحال، أي: متواترين واحدا بعد واحد، فمن قرأه بالتنوين فألفه للإلحاق، ومن قرأه بغير تنوين فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه؛ لأن الرسل جماعة، والتاء الأولى فيه بدل من واو وهي فاء الكلمة. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدث الناس بما جرى عليهم، ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحدوثة؛ وهذا أليق لأنها تقال في الشر. ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين. ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي: خادمون متذللون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة. ﴿وَءَاوَيْنَاهُمَآ إِلَى رُبْوَةٍ﴾ الربوة الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الراء وضمها وكسرها، واختلف في موضع هذه الربوة، فقيل: بيت المقدس، وقيل: بغُوطة دمشق، وقيل: بفلسطين. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار: المستوي من الأرض،

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾

فمعناه: أنها بسيطة يتمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل: القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري، فقيل: إنه مشتق من قولك: معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعيل، وقيل: إنه مشتق من العين، فالميم زائدة ووزنه مفعول. ﴿يَآ أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ وأقامه مقام الجماعة؛ وهذا بعيد. ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر للإباحة. ﴿وَأَنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قرئ "إن" بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على معنى لأن، وهي متعلقة بقوله آخرا ﴿فَاتَّقُونِ﴾، وقيل: تتعلق بفعل مضمر تقديره: واعلموا، والأمة هنا الدين؛ وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره. ﴿فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم﴾ أي: افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور وهو الكتاب، والمعنى: أنهم افترقوا في اتباع الكتب؛ فاتبعت طائفة التوراة وطائفة الإنجيل وغير ذلك، أو وضعوا كتبا من عند أنفسهم. ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا يوم بدر أو يوم موتهم. ﴿أَيَحْسِبُونَ﴾ الآية، رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم، وأنها بسبب رضا الله عنهم. ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر "أن"، والضمير الرابط محذوف تقديره: نسارع به. ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم؛ ففيه معنى التهديد. ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا﴾ قيل: معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وقيل: إنه عام في جميع أعمال البر، أي: يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي ﷺ [الترمذي: 3175] إلا أنها قرأت "يأتون ما أتوا" بالقصر، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيرا لهذه القراءة، وقيل: إنه عام في الحسنات والسيئات، أي: يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله. ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ "أن" في موضع المفعول من أجله، أو في موضع المفعول بـ"وجلت" إذ هو في معنى خائفة.

أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا

﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه معنيان؛ أحدهما: أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات، والآخر: أنهم يتعجلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدمة لأنه أثبت فيه ما نفى عن الكفار من المسارعة. ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في "يسارعون للخيرات"، وقيل: معناه سبقت لهم السعادة في الأزل. ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج عن الوسع والطاقة، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ يعني صحائف الأعمال؛ ففي الكلام تهديد، وتأمين من الظلم والحيف. ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجملته، وقيل: من القرآن، وقيل: من الكتاب المذكور، وقيل: من الأعمال التي وصف بها المؤمنين. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ"ذلك" على هذا إلى الـ"غمرة"، وإنما أشار إليها بالتذكير لأنها في معنى الكفر، وقيل: الإشارة إلى قوله "من هذا"؛ أي: لهم أعمال سيئة غير ذلك المعنى المشار إليه حسبما اختلف فيه. ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل: عن الاستقبال، وقيل: المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل ﴿حَتَّى إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ غاية لقوله "عاملون". ﴿مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياؤهم وكبراؤهم. ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون، فإن أراد "بالعذاب" قتل المترفين يوم بدر؛ فالضمير في "يجأرون" لسائر قريش، أي: ناحوا وصاحوا على القتلى، وإن أراد "بالعذاب" شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة؛ فالضمير لجميعهم. ﴿لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا، ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة وأن يكون بلسان الحال، ولفظه نهي ومعناه أن الجؤار لا ينفعهم. ﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجعون إلى وراء، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهي القرآن. ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل: إن الضمير عائد على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يذكر ولكنه يفهم من سياق الكلام، والمعنى: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام؛ لأنهم أهله وولاته، وقيل: إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى على هذا: أن القرآن يحدث لهم عتوا وكبرا، وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ وهو على هذا متعلق بـ"سامرا". ﴿سَامِرًا﴾ مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد يتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي ﷺ، و"سامرا" مفرد بمعنى الجمع وهو

تُهۡجِرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾

منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في "به" للنبي ﷺ فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه. ﴿تُهْجِرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهُجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهَجر بفتح الهاء، أي: تهجرون الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين، أو من قولك: هجر المريض إذا هذى أي: تقولون اللغو من القول. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني القرآن، وهذا توبيخ لهم. ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَاتِ ءَابَآءَهُمُ الاَوَّلِينَ﴾ معناه: أن النبوة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباءهم الأولين؛ فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ المعنى: ألم يعرفوا محمدا ﷺ ويعلموا أنه أشرفهم حسبا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأرجحهم عقلا، فكيف ينسبونه إلى الكذب، أو إلى الجنون، أو غير ذلك من النقائص؟ مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم وأنه عين الصواب. ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالاَرْضُ﴾ الاتباع هنا استعارة، و"الحق" هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله، واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ اِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وقيل: إن "الحق" في الآية هو الله تعالى؛ وهذا بعيد في المعنى وإنما حمله عليه أن جعل الإتباع حقيقة، ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما "الحق" هنا هو المذكور في قوله ﴿بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾. ﴿بَلَ اتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم؛ وهذا أظهر. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ الخرج هو الأجرة، ويقال فيه خراج والمعنى واحد، وقد قرئ بالوجهين في الموضعين فهو كقوله ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمُ أَجْرًا﴾ أي: لست تسألهم أجرا فيثقل عليهم اتباعك. ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزق ربك خير من أموالهم، فهو يرزقك ويغنيك عنهم. ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ أي: عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الآية، قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى:

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

لو رحمناهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر القحط والجوع لتمادوا على طغيانهم؛ وفي هذا عندي نظر فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسبما ورد في الحديث، وقيل: المعنى لو رحمناهم بالرد إلى الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه؛ وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر ولكنه خارج عن معنى الآية. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل: إن هذا "العذاب" هو الجوع بالقحط، وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر؛ وهذا مردود بأن القحط الذي أصابهم إنما كان بعد بدر، وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعد به هو القحط، وقيل: الباب ذو العذاب الشديد عذاب الآخرة؛ وهذا أرجح ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إنهم فيه ﴿مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آل عمران. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلا قال: فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟ فالجواب: أن "ما استكانوا" عند العذاب الذي أصابهم، "وما يتضرعون" حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد، فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرع في الحال والاستقبال. ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ "ما" زائدة و"قليلا" صفة لمصدر محذوف تقديره: شكرا قليلا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة؛ وهي القلوب لعظم المنافع التي فيها فيجب شكر خالقها، ومن شكره توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة. ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: نشركم فيها. ﴿وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: هو فاعله ومختص به، فاللام للاختصاص، وقد ذكر في البقرة معنى "اختلاف اليل والنهار". ﴿قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾ أي: قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾، وقد ذكر الاستفهامان في الرعد و﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ في الأنعام. ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ هذه الآيات

سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾

توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلا الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول "لله" باللام بإجماع جوابا لقوله "لمن الارض"، وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله "من رب السماوات" في معنى لمن هي، وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ. ﴿مَلَكُوتُ﴾ مصدر في بنائه مبالغة. ﴿يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة المنع من الإنسان، يقال: أجرت فلانا على فلان إذا منعته من مضرته وإهانته، فالمعنى: أن الله تعالى يغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحد منه أحدا. ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أي: تُخدعون عن الحق، والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل، ورتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج؛ فقال أولا "أفلا تذكرون" ثم قال ثانيا "أفلا تتقون" وذلك أبلغ؛ لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثا "فأنى تسحرون"، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك رد عليهم بنفي ذلك. ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوحدانية وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إله آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبد كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر، والعلو عليه كما ترى حال ملوك الدنيا؛ ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كان العالم كله كرة واحدة، علمنا أن مالكه ومدبره واحد لا إله غيره، وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره بل هو دليل آخر، فإن قيل: "اذا" لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟ فالجواب: أن الشرط محذوف تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله "وما كان معه من اله" وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع خبر ابتداء وبالخفض صفة لله. ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآية، معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضي أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار، و"إن" شرطية و"ما" زائدة وجواب الشرط. ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ وكرر قوله "رب" مبالغة في

ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾

الدعاء والتضرع. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: "التي هي أحسن" لا إله إلا الله، و"السيئة" الشرك؛ والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق؛ فهو محكم غير منسوخ وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار. ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني نزغاته ووساوسه، وقيل: يعني الجنون؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه: أن يكونوا معه، وقيل: يعني حضورهم عند الموت. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: "حتى" هنا حرف ابتداء، أي: ليست غاية لما قبلها، وقال الزمخشري: "حتى" تتعلق بـ"يصفون"، أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ يعني الرجوع إلى الدنيا، وخاطب ربه مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري وغيره ومثله قول الشاعر: ألا فارحموني يا إله محمد

وقيل: إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة. ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال، وقيل: فيما تركت من الإيمان، فهو كقوله ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة. ﴿كَلَّا﴾ ردع له عما طلب. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني قوله "رب ارجعون لعلي أعمل صالحا" فسمى هذا الكلام كلمة، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرته فهو إخبار بقوله، والثاني: أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئا، والثالث: أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحا. ﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾ أي: فيما يستقبلون من الزمان، والضمير للجماعة المذكورين في قوله "جاء احدهم". ﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني المدة التي بين الموت والقيامة وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا، وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين. ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى: أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة؛ لاشتغال كل أحد بنفسه كقوله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ فتكون الأنساب كأنها معدومة. ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد بنفسه، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ فالجواب: أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك، فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة.

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي: تصيبهم بالإحراق. ﴿كَالِحُونَ﴾ الكلوح انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري للكباش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث: «**إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه**» [الترمذي: 2587]، وفي ذلك عذاب وتشويه. ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: ما قدر عليهم من الشقاء، وقرئ "شَقَاوَتُنا" والمعنى واحد. ﴿قَالَ اخْسَؤُوا﴾ كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد. ﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تكلمون في رفع العذاب، فحينئذ ييأسون؛ أعاذنا الله من ذلك برحمته. ﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين من السخرة بمعنى التخديم، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾. ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ يعني في جوف الأرض أمواتا، وقيل: أحياء في الدنيا، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة، ولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا. ﴿فَاسْأَلْ الْعَآدِّينَ﴾ أي: اسأل من يقدر على أن يعد، وهو من عوفي مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ معناه: أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدا. ﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلا، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب. ﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله "إلها اخر" وجواب الشرط ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين ليبين الفرق بين الفريقين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ الـ"سورة" خبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أنزل عليكم سورة و"أنزلناها" صفة للـ"سورة". ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها، وقرئ بالتشديد للمبالغة.

﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال، وقيل: معنى "بينات" هنا ليس فيها مشكل.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ "الزانية والزاني" يراد بهما الجنس، وقدم "الزانية"؛ لأن الزنا حينئذ كان في النساء أكثر، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك، وإعراب "الزانية والزاني" كإعراب ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ وقد ذكر في المائدة، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة النساء من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ومن الأذى في الأخرى، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه؛ فإن جلد المائة إنما هو حد الزانية والزاني: إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين؛ فيخرج منها الكفار فيردون إلى أهل دينهم، ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة؛ فأما العبد والأمة فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب فاعلم! أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء منها باتفاق ومنها باختلاف؛ فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا أخذا بعموم الآية، ورأى الشافعي أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا، والرجم إن أحصنوا أخذا بالآية وبرجم النبي ﷺ اليهودي واليهودية إذ زنيا [البخاري: 3436]، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى في سورة النساء ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ولكن بقيت في محلها، وأما العبد والأمة فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية، وقال غيرهم: يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة إذ لا فرق بينهما، وأما المحصن فقال الجمهور: حكمه الرجم فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخا ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ؟ فقيل: الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها وهي قوله: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم**» [المستدرك: 8068]، وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم [البخاري: 6427]، وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يجلد المحصن بالآية ثم يرجم بالسنة، فجمعوا عليه الحدين ولم يجعلوا الآية منسوخة بالرجم ولا مخصصة،

وَلَا تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُومِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُومِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً اَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾

وقال الخوارج: لا رجم أصلا؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله، ولا يعتد بقولهم، وظاهر الآية الجلد دون تغريب وبذلك قال أبو حنيفة، وقال مالك: بالجلد والتغريب سنة؛ للحديث وهو قوله ﷺ: «**البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام**» [مسلم: 1690]، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس، وقال الشافعي: يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب، ويجرد الرجل عند مالك، وقال قوم: يجلد على قميص. ﴿وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل: يعني في إسقاط الحد، أي: أقيموه ولا بد، وقيل: في تخفيف الضرب، وقيل: في الوجهين؛ فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح وهو مذهب مالك والشافعي، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشد، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط ويضرب بها ضربة واحدة؟ فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد في قصة أيوب عليه السلام، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث [ابن ماجه: 2574]. ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُومِنِينَ﴾ المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم، واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة، فقيل: أربعة اعتبارا بشهادة الزنا، وهو قول ابن أبي زيد، وقيل: عشرة، وقيل: اثنين؛ وهو مشهور مذهب مالك، وقيل: واحد. ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، معناها: ذم الزناة وتشنيع الزنا وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك، ولا يوافقه عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، و"ينكح" على هذا بمعنى يجامع، وقيل: معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانيا أو مشركا، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوج ممن شاؤوا؛ والأول هو الصحيح. ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُومِنِينَ﴾ الإشارة بـ"ذلك" إلى الزنا، أي: حرم الزنا على المؤمنين، وقيل: الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني لزانية؛ فإن قوما منعوا أن يتزوجها وهذا على القول الثاني في الآية قبلها؛ وهو بعيد، وأجاز تزويجها مالك وغيره وروي عنه كراهته. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حد القذف، وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي، و"المحصنات" هنا يراد بهن العفائف من النساء، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء رضي الله عنهم على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد،

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾

وقيل: إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعم اللفظ على هذا الرجال والنساء، ويُحتاج هنا إلى الكلام في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك؛ فأما القذف: فهو الرمي بالزنا اتفاقا، أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية خلافا لأبي حنيفة، أو النفي من النسب؛ ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافا للشافعي وأبي حنيفة، وأما القاذف: فيحد سواء كان مسلما أو كافرا لعموم الآية، وسواء كان حرا أو عبدا إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور، فنصفوا حدهما قياسا على تنصيفه في الزنا خلافا للظاهرية، ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين، وأما المقذوف: فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رمي به، والتمكن من الوطء تحرزا من المجبوب وشبهه، فلا يحد عنده من قذف صبيا أو كافرا أو مجنونا أو عبدا أو من لا يمكنه الوطء، وقد قيل: يحد من قذف واحدا منهم لعموم الآية، واتفق على اشتراط البراءة مما رمي به، وأما الشهادة التي تسقط حد القذف: فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدا أو كافرا، ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به، كالمرود في المكحلة ويؤدون الشهادة مجتمعين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام؛ وهي الحد ورد شهادة القاذف وتفسيقه، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا؟ فقال مالك: إذا تاب قبلت شهادته خلافا لأبي حنيفة، وتوبته هو صلاح حاله في دينه، وقيل: إكذاب نفسه. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك، وسببها أن رجلا قال: يا رسول الله! الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فسكت عنه نبي الله ﷺ ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أنزل فيك وفي صاحبتك فأتني بها**» فتلاعنا وفرق رسول الله ﷺ بينهما [البخاري: 4468]. وموجب اللعان عند مالك شيئان؛ أحدهما: أن يدعي الزوج أنه رأى امرأته تزني، والآخر: أن ينفي حملها ويدعي الاستبراء قبله، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام: نفي حد القذف عنه، وانتفاء نسب الولد منه، ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعنت سقط الحد عنها، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر والمماليك والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم، وبذلك أخذ مالك، واشترط مالك في الزوج الإسلام، واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين. ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: يقول الزوج أربع

وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ

مرات: أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني، أو أشهد بالله ما هذا الحمل مني ولقد زنت وإني في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة: لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين، وزاد أشهب أن يقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو، وانتصب "أربع شهادات" على المصدرية والعامل فيه "شهادة أحدهم"، وقرئ بالرفع وهو خبر "فشهادة أحدهم"، وقوله "بالله" و"إنه لمن الصادقين" من صلة "أربع شهادات" أو من صلة "شهادة أحدهم". ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قرئ بنصب "الخامسة" هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب بفعل مضمر تقديره: ويشهد الشهادة الخامسة أو بالعطف على "أربع شهادات" على قراءة النصب، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على "أربع شهادات" بقراءة الرفع، وقرئ "أن لعنة" و"أن غضب" بتشديد "أن" ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء. ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ "العذاب" هنا حد الزنا، أي: يدفعه التعان المرأة، وهي أن تقول أربع مرات: أشهد بالله ما زنيت وإنه في ذلك لمن الكاذبين، ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام: دفع الحد عنها، والتفريق بينها وبين زوجها، وتأبيد التحريم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب "لولا" محذوف هنا، وفي الموضع الآخر تقديره: لولا فضل الله عليكم لآخذكم أو نحو هذا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الإفك أشد الكذب، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشر آية في شأن عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة: برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها، وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها، وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها، ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها، وقد خرج حديث الإفك البخاري [3910] ومسلم [2770] وغيرهما واختصاره: أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له: صفوان بن المعطل رضي الله عنه، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة رضي الله عنها وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«ما بال رجال رموا أهلي! والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا»**، وسأل جارية عائشة فقالت: والله ما أعلم عليها إلا ما يعلمه الصائغ على تبر الذهب الأحمر، والعصبة الجماعة

لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَاتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

من العشرة إلى الأربعين، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة وهم: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وحمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وقيل: إن حسانا لم يكن منهم، وارتفاع "عصبة" لأنه خبر "إن"، واختار ابن عطية أن يكون "عصبة" بدلا من الضمير في "جاءو"، وأن يكون الخبر ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك؛ والأول أظهر. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، وقيل: الذي بدأ بهذه الفرية وهو غير معين، والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة. ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ "لولا" هنا عرض، والمعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة رضي الله عنها أبعد لفضلها، وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم، فإن قيل: لم قال "سمعتموه" بلفظ الخطاب ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ﴿ظَنَّ الْمُومِنُونَ﴾ ولم يقل: ظننتم؟ فالجواب: أن ذلك التفات قصد به المبالغة، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا. ﴿لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ "لولا" هنا عرض، والضمير في "جاءو" لأهل الإفك ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء. ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ العامل في "إذ" قوله "مسكم" أو "أفضتم"، ومعنى "تلقونه" يأخذه بعضكم من بعض، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك وإن كانوا لم يصدقوه، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء: وهي تلقيه بالألسنة، أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول، والثاني: قولهم ذلك، والثالث: أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله "بألسنتكم" و﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ الإشارة

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم. ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم له، "ولولا" أيضا في هذه الآية عرض، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ولكنه فصل بينهما بقوله "إذ سمعتموه"؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقت سمعوه، ومعنى "ما يكون لنا" ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيه لله تعالى عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإفك، وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبّح الله عند رؤية العجائب. ﴿بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يقال ما فيه. ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره: يعظكم كراهة أن تعودوا، ثم عظم الأمر وأكده بقوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف بصفتهم، والعذاب في الدنيا الحد، وأما عذاب الآخرة فقد ورد في الحديث: «**أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة**» [البخاري: 18] فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيحتمل أن يكون القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود، أو يكون هذا مختصا بمن قذف عائشة رضي الله عنها، فإنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة. أو يكون لمن مات مصرا غير تائب، أو يكون للمنافقين. ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾ ذكر في النحل. ﴿زَكَىٰ﴾ أي: تطهر من الذنوب وصلح دينه.

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ

﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى﴾ معنى "يأتل" يحلف فهو من قولك: آليت إذا حلفت، وقيل: معناه يقصر فهو من قولك: ألوت، أي: قصرت، ومنه ﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾، و"الفضل" هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال، وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، و"السعة" هي اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق ﷺ حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكنته ولأنه قريبه وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان وكفر عن يمينه، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن؛ لأن الله تعالى أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح. ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر ﷺ: إني لأحب أن يغفر الله لي ثم رد النفقة إلى مسطح. ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾ معنى "المحصنات" هنا العفائف ذوات الصون، ومعنى "الغافلات" السليمات الصدور فهو من الغفلة عن الشر. ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ﷺ ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس ﷺ: كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة ﷺ، وقيل: الوعيد لكل قاذف والعذاب العظيم؛ يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾، وكرر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيدا، وقيل العامل فيه "عذاب" أو فعل مضمر. ﴿دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي: جزاؤهم الواجب لهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى "المبين" الظاهر الذي لا شك فيه. ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية، معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك رد على أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو أطيب الطيبين فزوجته هي أطيب الطيبات، وقيل: المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس؛ ففيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل: إن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك

أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

إلى أهـل الإفـك أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشـارة بـ"أولئك" إلى "الطيبين" و"الطيبات"، والضمير في "يقولون" "للخبيثات" و"الخبيثين"، والمراد تبرئة عائشة ﵂ مما رميت به. ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعم ذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة [الموطأ: 1729]. ومعنى "تستانسـوا" تسـتأذنوا وهو مأخوذ من قولك: آنسـت الشيء إذا علمته، فالاسـتئناس أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل: هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة، وقرأ ابن عباس ﵁ "حتى تستأذنوا" والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب، واختلف أيها يقدم؟ فقيل: يقدم السـلام ثم يستأذن فيقول: السـلام عليكم ثم يقول: أأدخل؟ وقيل: يقدم الاستئذان لتقديمه في الآية، وليس في الآية عدد الاسـتئذان وجاء في الحديث: «**أن يسـتأذن ثلاث مرات**» [البخاري 5891]، وهو تفسـير للآية. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاسـتئذان تعمق قوم وكانوا يأتون المواضع غير المسـكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير اسـتئذان، واختلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية، فقيل: هي الفنادق التي في الطرق لا يسكنها أحد بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل، والـ"متاع" على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل: هي الخرب التي تدخل للبول والغائط، والـ"متاع" على هذا حاجة الإنسان، وقيل: هي حوانيت القيسارية، والـ"متاع" على هذا الثياب والبسط وشبهها؛ وهذا القول خطأ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع. ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في إبراهيم وقد ذكر، و"من ابصارهم" للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل، وقيل:

وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ اَبْنَآئِهِنَّ أَوْ اَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ اِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيَ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيَ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُهُنَّ

معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج بها ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش أن تكون "من" زائدة، وقيل: هي لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورات، أو إلى ما لا يحل من النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يستر، وحفظ الفروج المأمور به هو عن الزنا، وقيل: أراد ستر العورة؛ والأظهر أن الجميع مراد. ﴿وَقُل لِّلْمُومِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصَارِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا؟ فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال. ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهى عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقيل: "إلا ما ظهر منها" يعني الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل: الثياب والوجه والكفان؛ وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة، وزاد أبو حنيفة القدمين. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق، وسببها أن النساء كن في ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعة الجيوب يظهر منها صدورهن، وكن إذا غطين رؤسهن بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهن الله بلي الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك. ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ﴾ الآية، المراد بالزينة هنا الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة ذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذوي المحارم من الزينة الباطنة، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ثم ثنى بذوي المحارم، وسوى بينهم في إبداء الزينة ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب، والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجد، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد، ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم العم والخال، ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة لأنهما من ذوي المحارم، وكره ذلك قوم، وقال الشعبي: إنما لم يذكر العم والخال لئلا يصفا زينة المرأة لأولادهما. ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني جميع المؤمنات، فكأنه قال: أو صنفهن، ويخرج عن ذلك نساء الكفار. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتَ اَيْمَانُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك الإماء المسلمات والكتابيات، وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعي، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة ﵄، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا وهو مذهب مالك، وإنما أخذ جوازه من قوله

أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُومِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ

"أو التابعين غير أولي الاربة"، واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا؟ على قولين. ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الاِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين؛ أحدهما: أن يكونا تابعين ومعناه: أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرف؛ ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهمته بطنه، والآخر: أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصي والمخنث والشيخ الهرم والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين، وقيل: بأحدهما ومعنى "الاربة" الحاجة إلى الوطء. ﴿أَوِ الطِّفْلِ الذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَآءِ﴾ أراد بالطفل الجنس ولذلك وصفه بالجمع، ويقال: طفل ما لم يراهق الحلم، و"يظهروا" معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه الذين لم يطؤ النساء، وقيل: الذين لا يدرون ما عورات النساء؛ وهذا أحسن. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأة كان لها خلخالان فكانت تضرب بها فيسمعها الرجال، فنهى الله عز وجل عن ذلك، قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها. ﴿وَتُوبُوآ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُومِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، **وفرائضها ثلاثة**: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليها أبدا، ومهما قضي عليه بالعود أحدث عزما مجددا، **وآدابها ثلاثة**: الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات، **ومراتبها سبع**: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب والكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات، **والبواعث على التوبة سبعة**: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام. ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ "الايامى" جمع أيم، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكارا أو ثيبا، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة. ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم، وقال الزمخشري: "الصالحين" بمعنى الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ

إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ

عليهم صلاحهم، والمخاطبون هنا سادتهم، ومذهب الشافعي أن السيد يُجبر على تزويج عبيده لهذه الآية خلافا لمالك، ومذهب مالك أن السيد يَجبر عبده وأمته على النكاح خلافا للشافعي. ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود ﷺ: التمسوا الغنى في النكاح. ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج، فقوله "لا يجدون نكاحا" معناه: لا يجدون استطاعة على التزوج بأي وجه تعذر التزوج، وقيل: معناه لا يجدون صداقا للنكاح؛ والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله "حتى يغنيهم الله من فضله". ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ "الكتاب" هنا مصدر بمعنى الكتابة؛ وهي مقاطعة العبد على مال منجم، فإذا أداه خرج حرا وإن عجز بقي رقيقا، وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم: على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب ﷺ لأنس بن مالك ﷺ حين سأله مملوكه سيرين الكتابة، فتلكأ أنس ﷺ فقال له عمر ﷺ: لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدرة، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع؛ فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأي وجه كان، وقيل: هو المال الذي يؤدي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل: هو الصلاح في الدين. ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته، واختلف فيمن المخاطب بذلك؟ فقيل: هو خطاب للناس أجمعين، وقيل: للولاة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل: هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول ندب عند مالك ووجوب عند الشافعي، فإن كان الأمر للناس فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة، وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالحط من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط، فقيل: الربع وروي ذلك عن رسول الله ﷺ [المستدرك: 3501]، وقيل: الثلث، وقال مالك والشافعي: لا حد في ذلك بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك ولا يجبره مالك، وزمان الحط عنه في آخر الكتابة عند مالك، وقيل: في أول نجم. ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ معنى "البغاء" الزنا نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك، وسبب الآية أن عبد الله بن أبي ابن سلول

انَ اَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدَ اَنزَلْنَآ إِلَيْكُمُۥ ءَايَٰتٍ مُّبَيَّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

المنافق كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ [مسلم: 3029] فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف، وقيل: هو راجع إلى قوله "وأنكحوا الأيامى"؛ وذلك بعيد. ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني ما تكسبه الأمة بفرجها وما تلده من الزنا، ويتعلق "لتبتغوا" بقوله "لا تكرهوا". ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المعنى: غفور لهن رحيم بهن لا يؤاخذهن بالزنا لأنهن أكرهن عليه، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك. ﴿ءَايَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء، أي: بينها الله، وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام. ﴿وَمَثَلاً﴾ يعني ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حراما في كل ملة أو في براءة عائشة ﵂ كما برأ يوسف ومريم. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية: الله ذو نور السماوات والأرض ووصف نفسه بأنه نور كما تقول: زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار، فمعنى "نور السماوات والارض" أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ علي ابن أبي طالب ﵁ "الله نَوَّر السماوات والأرض" بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو، أي: جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى "نور السماوات والأرض" جاعل النور في قلوب أهل السماوات والأرض، ولهذا قال ابن عباس ﵄: معناه هادي أهل السماوات والأرض. ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة، وقيل: المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه؛ والأول أصح وأشهر، والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه، وقيل: الضمير في "نوره" عائد على محمد ﷺ، وقيل: على القرآن، وقيل: على المؤمن؛ وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير، فإن قيل: كيف يصح أن يقال "الله نور السماوات والارض"، فأخبر أنه هو النور ثم أضاف النور إليه في قوله "مثل نوره" والمضاف غير المضاف إليه؟ فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه، أي: الله ذو نور

ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

السماوات والأرض، أو كما تقول: زيد كرم، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ "المصباح" هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر لأنه جسم شفاف. ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها؛ وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدري أحد الدراري المضيئة كالمشتري والزهرة وسهيل ونحوها، وقيل: أراد الزهرة؛ ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع "دري" بضم الدال وبشد الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه أو يكون مسهلا من الهمز، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ "يوقد" بالياء أو "توقد" بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ "توقد" بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل: إنها في وسط دوحة فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل: إنها من شجرة الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحسنه. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثل به. ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يوفق الله من يشاء لإصابة الحق. ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني المساجد، وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن؛ والأول أصح، والجار يتعلق بما قبله، أي: كمشكاة في بيوت أو توقد في بيوت، وقيل: بما بعده وهو "يسبح" وكرر الجار بعد ذلك تأكيدا، وقيل: بمحذوف؛ أي: سبحوا في بيوت. ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ المراد بالإذن الأمر، ورفعها بناؤها، وقيل: تعظيمها. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: غدوة وعشية، وقيل: أراد الصبح والعصر، وقيل: صلاة الضحى والعصر.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ

﴿رِجَالٌ﴾ فاعل "يسبح" على القراءة بكسر الباء، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول. ﴿لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تشغلهم، ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة ولكنه خصه بالذكر تجريدا كقوله ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، أو أراد بالتجارة الشراء. ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ أي: تضطرب من شدة الهول والخوف، وقيل: تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ؛ والأول أصح كقوله ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ وفي قوله "تتقلب فيه القلوب" تجنيس. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ متعلق بما قبله أو بفعل "من" معنى ما قبله. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ تقديره: جزاء أحسن ما عملوا. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ يعني زيادة على ثواب أعمالهم. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين؛ الأول: يقتضي حال أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعهم بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب، والثاني: يقتضي حال أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض، والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض، والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض، وقيل: القيعة بمعنى القاع، وليس بجمع. ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً﴾ "الظمآن" العطشان، أي: يظن العطشان أن السراب ماء فيأتيه ليشربه، فإذا جاءه خاب ما أمل وبطل ما ظن، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب. ﴿حَتَّى إِذَا جَآءَهُ﴾ ضمير الفاعل للظمآن، وضمير المفعول للسراب، أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله. ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ أي: شيئا ينتفع به أو شيئا موجودا على العموم لأنه معدوم، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله. ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ ضمير الفاعل في "وجد" للكافر والضمير في "عنده" لعمله، والمعنى: وجد الله عنده بالجزاء أو وجد زبانية الله. ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ هذا هو المثال الثاني، وهو عطف على قوله "كسراب" والمشبه بالظلمات أعمال الكفار، أي: هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب. ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ منسوب إلى اللج

ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ

وهو معظم الماء، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثل به فالظلمات أعمال الكافر، والبحر اللجي صدره، والموج جهله، والسحاب الغطاء الذي على قلبه، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة، وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَاهَا﴾ المعنى: مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في "أخرج" وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة، واختلف في تأويل الكلام، فقيل: المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها؛ فنفى الرؤية ومقاربتها، وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإيجاب وإذا أوجبت تقتضي النفي، وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله "لم يكد" فإنه يحتمل النفي والإيجاب. ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كناية عن الهدى والإيمان في الدنيا، وقيل: أراد في الآخرة، أي: من لم يرحمه الله فلا رحمة له؛ والأول أليق بما قبله. ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم، والتسبيح التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل، فقال الجمهور: إنه حقيقي؛ ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء، وقيل: تسبيحه ظهور الحكمة فيه. ﴿صَآفَّاتٍ﴾ أي: يصففن أجنحتهن في الهواء. ﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ﴾ الضمير في "علم" لله أو لكل، والضمير في ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ﴾ لـ"كل". ﴿يُزۡجِي﴾ معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل كالسحاب. ﴿رُكَامٗا﴾ أي: متكاثف بعضه فوق بعض ﴿ٱلۡوَدۡقَ﴾ المطر. ﴿مِنۡ خِلَالِهِۦ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ قيل: إن الجبال هنا حقيقة، وإن الله جعل في السماء جبالا من برد، وقيل: إنه مجاز كقولك: عند فلان جبال من مال أو علم؛ أي: هي في الكثرة كالجبال، و"من" في قوله "من السماء" لابتداء الغاية، وفي قوله "من جبال" كذلك وهي بدل من الأولى، أو تكون للتبعيض فتكون مفعول "ينزل"، و"من" في قوله "من برد" لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول "ينزل"،

يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

وقال الأخفش: هي زائدة؛ وذلك ضعيف، وقوله "فيها" صفة للجبال والضمير يعود على "السماء". ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ السنا بالقصر الضوء، وبالمد المجد والشرف. ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا. ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ يعني بني آدم والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب. ﴿مِن مَّآءٍ﴾ يعني المني، وقيل: الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره. ﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والحوت. ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ الآية، نزلت في المنافقين، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه ودعاه إلى كعب بن الأشرف. ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم. ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده. ﴿أَن يَحِيفَ﴾ معناه أن يجور، والحيف الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُومِنِينَ﴾ الآية، معناها: إنما الواجب أن يقول المؤمنون: سمعنا وأطعنا، إذا دعوا إلى الله ورسوله، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنه: معناها من يطع الله في فرائضه، ورسوله في سنته، ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل.

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين. ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكدوها. ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ يعني إلى الغزو. ﴿قُل لاَّ تُقْسِمُوا﴾ نهي عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل. ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف، أي: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم أو خبر مبتدأ محذوف، أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها. ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني تبليغ الرسالة. ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني السمع والطاعة واتباع الشريعة. ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾ وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل: إن المراد بالآية خلافة أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي ﷺ؛ لقول رسول الله ﷺ: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**» [ابن حبان: 6943] وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علي ﷺ، فإن قيل: أين القسم الذي جاء قوله "ليستخلفنهم" جوابا له؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه. ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل: المراد بـ"الذين ملكت ايمانكم" الرجال خاصة، وقيل: النساء خاصة؛ لأن الرجال يستأذنون في كل وقت، وقيل: الرجال والنساء. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني الأطفال غير البالغين. ﴿ثَلاثَ مَرَّاتٍ﴾ نصب على الظرفية؛ لأنهم أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فمعنى الآية: أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة، وقال ابن عباس ﷺ: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على الندب.

مِن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ يعني تتجردون. ﴿الظَّهِيرَةِ﴾ وسط النهار. ﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ﴾ جمع عورة من الانكشاف، كقوله ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ ومن رفع "ثلاث" فهو خبر ابتداء مضمر تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، أي: تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من "ثلاث مرات". ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة، أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة. ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم، فلأجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان في كل وقت. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدل من "طوافون"، أي: بعضكم يطوف على بعض، وقال الزمخشري: هو مبتدأ، أي: بعضكم طائف على بعض أو فاعل بفعل مضمر. ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها، أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال. ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَآءِ﴾ جمع قاعد وهي العجوز، فقيل: هي التي قعدت عن الولد، وقيل: التي قعدت عن التصرف، وقيل: التي إذا رأيتها استقذرتها. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهن من وضع الثياب، قال ابن مسعود ﷺ: إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة، والتبرج هو الظهور. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى: أن استعفافهن عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها، والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر. ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية، اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية، فقيل: هو في الغزو، أي: لا حرج عليهم في تأخرهم عنه، وقوله ﴿وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ مقطوع من الذي قبله على هذا القول، كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو ولا عليكم حرج في الأكل، وقيل: الآية كلها في

وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾

معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك، فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب فنزلت الآية في ذلك، وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا فنزلت الآية؛ وهذا ضعيف لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم، وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم منه أعذارهم من الجهاد وغيره. ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ أباح الله تعالى للإنسان الأكل من هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله "من بيوتكم" لأن بيت ابن الرجل بيته لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنت ومالك لأبيك**» [ابن حبان: 410]، واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة، فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه**» [الدارقطني: 91]، وقيل: الآية محكمة ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك، وقيل: بإذن وبغير إذن. ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم، فأباح لهم الأكل منها، وقيل: المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه؛ وهذا ضعيف. ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة كالعدو، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله "آبائكم وأمهاتكم" وغير ذلك، وقرن الله الصديق بالقرابة لقرب مودته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الصديق أوكد من القرابة. ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗا﴾ إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد؛ لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلا خيفة من البخل فأباح لهم الله ذلك. ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: إذا دخلتم بيوتا مسكونة فسلموا على من فيها من الناس، وإنما قال "على أنفسكم" بمعنى صنفكم كقوله ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، وقيل: المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل: يعني بالبيوت المساجد وأمر بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحد فليسلم

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين. ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية، الأمر الجامع هو ما يجمع له الناس للمشورة فيه أو للتعاون عليه، ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان. ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم. ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ في معناها ثلاثة أقوال؛ الأول: أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي ﷺ إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال وشبه ذلك، فالمعنى: أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا فهو كقوله تعالى ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾، ويقوي هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع، والقول الثاني: أن المعنى لا تدعوا الرسول عليه الصلاة والسلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه بل قولوا: يا رسول الله! أو يا نبي الله! تعظيما له ودعاء بأشرف أسمائه، وقيل: المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، أي: دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه؛ ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني الذين ينصرفون عن حفر الخندق، واللواذ الروغان والمخالفة، وقيل: الانصراف في خفية. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله ولرسوله ﷺ، واختلف في "عن" هنا، فقيل: إنها زائدة؛ وذلك ضعيف، وقال ابن عطية: معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول: كان المطر عن ريح، وقال الزمخشري: يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه، فمعنى "يخالفون عن أمره" يصدون الناس عنه فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف. ﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل، وبالعذاب في الآخرة. ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت "قد" للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد، وقيل: معناها التقليل على وجه التهكم، والخطاب لجميع الخلق أو للمنافقين خاصة. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني المنافقين، والعامل في الظرف ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾

سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع. ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ يعني محمدا ﷺ، وذلك على وجه التشريف له والاختصاص. ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير لمحمد ﷺ أو للفرقان؛ والأول أظهر، وقوله "للعالمين" عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد والرد على من خالف في ذلك. ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ "خلق" عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره، وصفته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله وغير ذلك. ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى. ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنون قوما من العبيد منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي. ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث. ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي: كتبها له كاتب ثم صارت تملى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار، وقال الحسن: إنه من قول الله على وجه الرد عليهم، ولو كان كذلك لقال: أَكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا، وينبغي على قول الحسن أن يوقف على "أساطير الاولين". ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ رد على الكفار في قولهم، ويعني بـ"السر" ما أسره الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على معنى التنصل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء، أي: أن الله يعلم سري فهو العالم بأني ما افتريت عليه بل هو أنزله علي، فإن قيل: ما مناسبة قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ لما قبله؟ فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار أعقبها بذلك ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ

أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم. ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية، قال هذا الكلام قريش طعنا على النبي ﷺ، وقد رد الله عليهم بقوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾، وقولهم "هذا الرسول" على وجه التهكم كقول فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى ﴿مَّسْحُورًا﴾ في سبحان. ﴿ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ أي: لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم. ﴿خَيْرًا مِّن ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ يعني جنات الآخرة وقصورها، وقيل: يعني جنات وقصورا في الدنيا ولذلك قال "إن شاء". ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة، أو مجازا بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ التغيظ لا يسمع وإنما المسموع أصوات دالة عليه، ففي لفظه تجوز، والزفير صوت ممدود كصوت الحمار. ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تضيق عليهم زيادة في عذابهم. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: مربوط بعضهم إلى بعض، وروي أن ذلك بسلاسل من النار. ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور الويل، وقيل: الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورا أنهم يقولون: يا ثبوراه! كقول القائل: واحسرتا! واأسفى!. ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين. ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان

كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

الكلام خبرا. ﴿وَعْدًا مَّسْؤُولاً﴾ أي: سأله المؤمنين أو الملائكة في قولهم ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾، وقيل: معناه وعدا واجب الوقوع لأنه قد حتمه. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَآء﴾ القائل لذلك هو الله عز وجل، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل: الأصنام خاصة؛ والأول أرجح؛ لقوله ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلآئِكَةِ أَهَؤُلَآء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، وقوله ﴿ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ "ام" هنا معادلة لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم؟ ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله "هم" ليحقق إسناد الضلال إليهم، وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنَ أَوْلِيَآءَ﴾ القائل لهذا هم المعبودون، قالوه على وجه التبري ممن عبدهم كقولهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ وإقامة الحجة عليهم. ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين وهو من البوار بمعنى الهلاك، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به؟ ولذلك يقع على الواحد والجماعة. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة، أي: قد كذبكم آلهتكم التي عبدتم من دون الله وتبرؤوا منكم، وقيل: هو خطاب للمعبودين، أي: كذبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا، وقيل: هو خطاب للمسلمين، أي: قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة، وقرئ "بما يقولون" بالياء من أسفل، والباء في قوله "بما تقولون" على القراءة بالتاء بدل من الضمير في "كذبوكم" وعلى القراءة بالياء كقولك: كتبت بالقلم، أي: كذبوكم بقولهم. ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلاَ نَصْرًا﴾ قرئ "فما تستطيعون" بالتاء من فوق، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين، والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم أو يكون الخطاب للمسلمين، والصرف على هذا رد التكذيب عنهم، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين، والصرف صرف العذاب. ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ خطاب للكفار، وقيل: للمؤمنين، وقيل: على العموم.

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلا أو رجالا قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، وهذه الآية رد على الكفار في استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لننظر هل تصبرون؟. ﴿لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ قيل: معناه لا يخافون؛ والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف. ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلآئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله وحينئذ يؤمنون، فرد الله عليهم بقوله ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية، أي: طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه، وقوله ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي: عند نفسه، أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم. ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلآئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في "يوم" معنى "لا بشرى" و"يومئذ" بدل. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في "يقولون" إن كان للملائكة، فالمعنى: أنهم يقولون للمجرمين حجرا محجورا، أي: حراما عليكم الجنة أو البشرى، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى: أنهم يقولون حجرا بمعنى عوذا، لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو: معاذ الله. ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ أي: قصدنا إلى أعمالهم، فلفظ القدوم مجاز، وقيل: هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره. ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، والهباء هي الأجرام الدقيقة من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوة، والمنثور المتفرق. ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقر وهذا مستقر. ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ هو مفعل من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة، وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار؛

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء انفطارها، ومعنى "بالغمام" أي: يخرج منها الغمام وهو سحاب رقيق أبيض، وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عض اليدين كناية عن الندم والحسرة، و"الظالم" هنا عقبة بن أبي معيط، وقيل: كل ظالم؛ والظلم هنا بمعنى الكفر. ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ أو اسم جنس على العموم. ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾ روي أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أبي بن خلف وأمية بن خلف، فهو "فلان"، وقيل: إن عقبة نهى أبي بن خلف عن الإسلام، فـ"الظالم" على هذا أبي، و"فلان" عقبة، وإن كان "الظالم" على العموم فـ"فلانا" على العموم، أي: خليل كل كافر. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بـ"الشيطان" إبليس أو الخليل المذكور. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا، وقيل: في الآخرة ﴿مَهْجُورًا﴾ من الهجر بمعنى البعد والترك، وقيل: من الهجر بضم الهاء، أي: قالوا فيه الهجر حين قالوا: إنه شعر وسحر؛ والأول أظهر. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع، والمراد تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعد لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش، فإنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل. ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جواب لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد ﷺ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أمي لا يقرأ، فحفظ المفرق عليه أسهل، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ أي: فرقناه تفريقا، فإنه نزل بطول عشرين سنة، وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذي يتعلق

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾

به "كذلك" و"به" يتعلق "لنثبت". ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآية، معناها: لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا أتيناك في جوابه بالحق، والتفسير الحسن الذي يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم. ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني الكفار، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء في الحديث: قيل: يا رسول الله! كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادرا على أن يمشيه في الآخرة على وجهه» [البخاري: 4482]. ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف، أو الدار والمسكن في الآخرة. ﴿وَزِيرًا﴾ أي: معينا. ﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾ يعني فرعون وقومه، وفي الكلام حذف تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾. ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ تأويله كما ذكر في قوله في هود ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد بـ"الظالمين" من تقدم، ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد "الظالمين" على العموم. ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ معنى "الرس" في اللغة البئر، واختلف في أصحاب الرس، فقيل: هم من بقية ثمود، وقيل: من أهل اليمامة، وقيل: من أهل أنطاكية وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم؟ فقيل: بعث إليهم نبي فرموه في بئر؛ فأهلكهم الله، وقيل: كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا. ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثير والإبهام، والإشارة بـ"ذلك" إلى المذكور قبل من الأمم. ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: بينا له. ﴿تَبَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا. ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ الضمير في "اتوا" لقريش وغيرهم من الكفار، و"القرية" قرية قوم لوط، و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور، و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقد ذكر. ﴿أَهَٰذَا الَّذِي﴾ حكاية قولهم على وجه الاستهزاء؛ فالجملة في موضع معمول لقول محذوف يدل عليه ﴿هُزُوًا﴾، وقولهم

إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ استئناف جملة أخرى، وتم كلامهم واستأنف كلام الله تعالى في قوله ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية، على وجه التهديد لهم. ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار له كأنه إله. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته. ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ قيل: مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها، واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظل بالليل، واختار أن مد الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل: معنى "مد الظل" أي: جعله يمتد وينبسط. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتا غير زائل، لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل: معنى ساكن غير منبسط على الأرض بل ملتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ قيل: معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه، وقيل: معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شيء؛ لأن الأشياء إنما تعرف إلا بأضدادها. ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قبضه نسخه وزواله بالشمس، ومعنى "يسيرا" شيئا بعد شيء لا دفعة واحدة، فإن قيل: ما معنى "ثم" في هذه المواضع الثلاثة؟ فالجواب: أنه يحتمل أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وإن كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من الثاني. ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس. ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قيل: راحة، وقيل: موتا لقوله ﴿يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، ويدل عليه مقابلته بالنشور. ﴿الرِّيَاحَ نُشْرًا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ مبالغة في طاهر، وقيل: معناه مطهر للناس في الوضوء وغيره،

لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

وبهذا المعنى يقول الفقهاء ماء طهورا؛ أي: مطهر، وكل مطهر طاهر وليس كل طاهر مطهرا. ﴿أَنَاسِيَّ﴾ جمع إنسي، وقيل: جمع إنسان؛ والأول أصح. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: للمطر؛ وهو بعيد. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل ولكنا خصصناك بها كرامة لك فاصبر عليها. ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ الضمير للقرآن أو لما دل عليه الكلام المتقدم. ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب، وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح، فقال ابن عباس ﷺ: أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض، وبالبحر العذب الفرات بحر السحاب. وقيل: البحر الملح البحر المعروف، والبحر العذب مياه الأرض. وقيل: البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون. ومعنى الـ"فرات" البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والـ"أجاج" نقيضه، واختلف في معنى مرجها، فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين، وقيل: أسال أحدهما في الآخر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أي: فاصلا يفصل بينهما، وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان، وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر. ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم فالمراد بـ"الماء" الماء الذي خلط مع التراب فصار طينا، وإن أراد بالبشر بني آدم فالمراد بـ"الماء" المني الذي يخلقون منه. ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يعمان كل قربى، فالنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعد، والصهر هو الاختلاط بالتناكح، وقيل: أراد بالنسب الذكور، أي: ذوي نسب ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث، أي: ذوات صهر يصاهر بهن فهو كقوله ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾. ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ "الكافر" هنا الجنس، وقيل: المراد به أبو جهل، والظهير المعين، أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله ﴿وَالْمَلَآئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. ﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة لنفسي. ﴿إِلاَّ مَن شَآءَ اَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ معناه: إنما أسألكم

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته؛ فالاستثناء منقطع، وقيل: المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة؛ فالاستثناء على هذا متصل؛ والأول أظهر، وفي الكلام محذوف تقديره: إلا سؤال من شاء أو ما أشبه ذلك. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به، ومعنى "بحمده" أي: بحمده أقول ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى سبحه متلبسا بحمده، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد. ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم، أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر ابتداء مضمر أو بدل من الضمير في "استوى". ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ فيه معنيان؛ أحدهما: وهو الأظهر أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به، فانتصب "خبيرا" على المفعولية، وهذا الخبير المسؤول هو جبريل والعلماء وأهل الكتاب، والباء في قوله "به" يحتمل أن تتعلق بـ"خبيرا"، أو تتعلق بالسؤال ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى الثاني: أن المراد اسأل بسؤاله خبيرا، أي: إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شيء، فانتصب "خبيرا" على الحال، وهو كقولك: لو رأيت فلانا رأيت به أسدا، أي: رأيت برؤيته أسدا. ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لما ذكر "الرحمن" في القرآن أنكرته قريش وقالوا: لا نعرف الرحمن، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة. ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له. ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير الفاعل في "زادهم" يعود على المقول وهو "اسجدوا للرحمن". ﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني عشر، وقيل: الكواكب العظام. ﴿سِرَاجًا﴾ يعني الشمس، وقرئ بضم السين والراء على الجمع يعني جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا له. ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا، وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم للهيئة كالركبة والجلسة، فالأصل جعلهما ذوي خلفة. ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾ قيل: معناه يعتبر في المصنوعات، وقيل: يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم.

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي: عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، "وعباد" مبتدأ وخبره "الذين يمشون"، أو قوله في آخر السورة "أولئك يجزون الغرفة". ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قالوا قولا سديدا ليُدفع الجاهل برفق، وقيل: معناه قالوا للجاهل: سلاما، أي: هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم، قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعدها يحتمل أن يكون من كلامهم، أو من كلام الله عز وجل. ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكا وخسرانا، وقيل: ملازما. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإقتار هو التضييق في النفقة والشح، وضده الإسراف، فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف وإن قل. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقابا، وقيل: الأثام الإثم، فمعناه يلق جزاءَ أثام، وقيل: الأثام واد في جهنم، والإشارة بقوله "ذلك" إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا. ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ قيل: نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا، وقيل: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة. ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ إن قلنا: إن الآية في الكفار فلا إشكال فيها، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا، وإن قلنا: إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟ ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل: يوفقهم لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات، وقيل: إن هذا

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

التبديل في الآخرة، أي: يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات. ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: متابا مقبولا مرضيا عند الله، كما تقول: لقد قلت يا فلان قولا، أي: قولا حسنا. ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون بالزور، وهو الكذب فهو من الشهادة، وقيل: معناه لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من الشهادة والحضور؛ والأول أظهر. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ "اللغو" هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه، ومعنى "مروا كراما" أي: أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك. ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصمم والعمى لا للخرور عليها. ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل: معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لله، وقيل: أدخلهم معنا الجنة؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوة يقتدي بنا المتقون، فـ"إمام" مفرد يراد به الجنس، وقيل: هو جمع آم، أي: متبع. ﴿الْغُرْفَةَ﴾ يعني غرفة الجنة، فهو اسم جنس. ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون "ما" نافية أو استفهامية، وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال؛ الأول: أن المعنى لا يبالي الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة؛ وهذا قريب من معنى قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالي الله بكم ولكنه يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه، ويكون على هذين القولين خطابا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه، أو خطابا للمؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يعبدون الله ويدعونه، ولكن يضعف هذا بقوله "فقد كذبتم"، الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أنه يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: سوف يكون العذاب لزاما، أي: لازما ثابتا، وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر أو عذاب الآخرة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾

سورة الشعراء

﴿طسم﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في أول البقرة، ويخص هذا أنه قيل: الطاء من ذي الطول، والسين من السميع أو السلام، والميم من الرحيم أو المنعم. ﴿بَاخِعٌ﴾ ذكر في الكهف. ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الأعناق جمع عنق، وهي الجارحة المعروفة، وإنما جمع "خاضعين" جمع العقلاء؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء، وقيل: الأعناق الرؤساء من الناس؛ شبهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوس وصدور، وقيل: هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع "خاضعين" إلى تأويل. ﴿مُحْدَثٍ﴾ يعني محدث الإتيان. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآية، تهديد. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: من كل صنف من النبات، فيعم ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن والمنافع. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد؛ لأنه أراد أن في كل واحد آية، أو إشارة إلى مصدر قوله "أنبتنا". ﴿وَيَضِيقُ﴾ بالرفع عطف على "أخاف" أو استئناف، وقرئ بالنصب عطفا على "يكذبون". ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي: اجعله معي رسولا أستعين به. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ يعني قتله للقبطي. ﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: لا تخف أن يقتلوك. ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ خطاب لموسى وأخيه ومن كان معهما، أو على جعل الاثنين جماعة. ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمع وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع؛ والأول أحسن، وتأويله أن في الاستماع اعتناء واهتماما بالأمر ليست في صفة سامعون، والخطاب في قوله "معكم" لموسى وهارون وفرعون وقومه، وقيل: لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّا رَسُولُ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: أن التقدير: كل واحد منا رسول، الثاني: أنهما جُعلا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد، الثالث: أن "رسول" هنا مصدر وصف به، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسول بمعنى رسالة بخلاف قوله ﴿إِنَّا رَسُولَا﴾ فإنه بمعنى المرسل. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: أطلقهم. ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام، ويعني بالفعلة قتله القبطي، والواو في قوله "وأنت" إن كانت للحال فقوله "من الكافرين" معناه: كافر بهذا الدين الذي جئت به؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ولم يعلم بذلك فرعون، وقيل: معناه "من الكافرين" بنعمتي، وإن كانت الواو للاستئناف؛ فيحتمل أن يريد "من الكافرين" بديني، أو "من الكافرين" بنعمتي. ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّآلِّينَ﴾ القائل هنا هو موسى عليه السلام، والضمير في قوله "فعلتها" لقتله القبطي، واختلف في معنى قوله "من الضالين"؟ فقيل: معناه من الجاهلين بأن وكزتي تقتله، وقيل: معناه من الناسين فهو كقوله ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾، وقوله "إذا" صلة في الكلام وكأنها بمعنى حينئذ، قال ذلك ابن عطية. ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله "تمنها علي أن عبدت". ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ معنى "عبدت" ذللت واتخذتهم عبيدا، فمعنى هذا الكلام أنك عددت نعمة عليّ تعبيد بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نقمة لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلت أنا إليك فربيتني، فالإشارة بقوله "تلك" إلى التربية، و"أن عبدت" في موضع رفع عطف بيان على "تلك"، أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله، وقيل: معنى الكلام تربيتك نعمة عليّ لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني؛ فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها. ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أجابه موسى بقوله:

قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، فقال ﴿ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ ﴾ تعجبا من جوابه؟ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾؛ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر دلالة عند العقلاء وأعظم البراهين، فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه، وأبدى الازدراء والتهكم في قوله ﴿ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ﴾، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحدا جحدها ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطف طمعا في إيمانه فقال ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟ وقد تقدم في الأعراف ذكر العصا واليد و﴿ مَاذَا تَامُرُونَ ﴾، و﴿ أَرْجِهِ ﴾، و﴿ حَاشِرِينَ ﴾، فإن قيل: كيف قال أولا ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾، ثم قال آخرا ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾؟ فالجواب: أنه لاين أولا طمعا في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبخهم بقوله "إن كنتم تعقلون"، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: إن رسولكم لمجنون. ﴿ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ هو يوم الزينة. ﴿ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ ﴾ أي: نتبعهم

فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ

في نصرة ديننا لا في عمل السحر. ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسم أقسموا به، وقد تقدم في الأعراف تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ وما بعد ذلك. ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضرنا ذلك؛ لأننا ننقلب إلى الله. ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبار باتباع فرعون. ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشرذمة الطائفة من الناس، وفي هذا احتقار لهم، على أنه روي أنهم كانوا ستمائة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير. ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني التي بمصر، والعيون الخلجان الخارجة من النيل، وكانت ثمَّ عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة؛ وهو بعيد. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكام، وقيل: المنابر، وقيل: المساكن الحسان. ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع خفض صفة لـ"مقام"، أو في موضع نصب على تقدير: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره: الأمر كذلك. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: أورثهم الله مواضع فرعون بمصر، على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام، فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام. ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل. ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس، وقيل: معناه نحو المشرق، وانتصابه على الحال. ﴿تَرَآءَا الْجَمْعَانِ﴾ وزن "تراءا" تفاعل؛ وهو مشتق من الرؤية،

فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

و"الجمعان" جمع موسى وجمع فرعون، أي: رأى بعضهم بعضا. ﴿فَانفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: فضرب موسى البحر فانفلق. ﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء منه، والطود الجبل، وروي أنه صار في البحر اثني عشر طريقا لكل سبط من بني إسرائيل طريق. ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ يعني بـ"الاخرين" فرعون وقومه، ومعنى "أزلفنا" قربناهم من البحر ليغرقوا، و"ثم" ظرف يراد به هنا حيث انفلق البحر وهو بحر القلزوم. ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء ويقيم عليهم الحجة. ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرحوا بقولهم "نعبد"، مع أن السؤال وهو قوله "ما تعبدون" يغني عن التصريح بذلك، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾؟ فالجواب: أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ مبالغة في ذلك. ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد المحض. ﴿إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع، وقيل: متصل؛ لأن في آبائهم من عبد الله تعالى. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تأدبا مع الله. ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ قيل: أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث: وهي قوله في سارة زوجته: هي أختي، وقوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم [البخاري: 3179]، وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلا.

وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ﴾ وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضا من كلام إبراهيم. ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي، وقيل: الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره، وقيل: بقلب لذيغ من خشية الله، والسليم هو اللذيغ لغة، وقال الزمخشري: هذا من بدع التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا، فيكون "من اتى الله" مفعولا بقوله "لا ينفع"، والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق، ويحتمل أيضا أن يكون متصلا، ويكون قوله "من أتى الله" بدلا من قوله "مال" و"بنون" على حذف مضاف تقديره: إلا مال من أتى الله وبنوه، ويحتمل أن يكون منقطعا بمعنى لكن. ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قربت. ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ يعني المشركين بدلالة ما بعده. ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ "كبكبوا" مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه؛ أي: كبهم الله في النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام. ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم المشركون، وقيل: الضمير للمشركين، "والغاوون" هم الشياطين. ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: نجعلكم سواء معه. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني كبراءهم وأهل الجرم والجراءة منهم. ﴿حَمِيمٍ﴾ أي: خالص الود، قال الزمخشري: جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الأصدقاء. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ أسند الفعل إلى القوم وفيه علامة التأنيث؛ لأن القوم في معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف

قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

قال "المرسلين" بالجمع، وإنما كذبوا نوحا وحده؟ فالجواب: من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا، والآخر: أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الأنبياء؛ لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء، وكذلك الجواب في ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ وغيره. ﴿وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذل، وقد تقدم الكلام عليه في قوله ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ في هود. ﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ الْمُومِنِينَ﴾ يعني الذين سموهم أرذلين، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم، كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد عمار بن ياسر، وصهيبا، وبلالا ﵃، وأشباههم من الضعفاء. ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة، أو بالقول وهو الشتم. ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: احكم بيننا. ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوء. ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الريع المكان المرتفع، وقيل: الطريق. ﴿ءَايَةً﴾ يعني المباني الطوال، وقيل: أبراج الحمام. ﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مصنع، وهو ما أتقن صنعه من المباني، وقيل: مأخذ الماء. ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾ الآية: تفسير لقوله ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأبهم أولا ثم فسره. ﴿خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام، أي: عادتهم،

وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾

والمعنى أنهم قالوا: ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا إلا عادة الناس الأولين، وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويحتمل على هذا وجهين؛ أحدهما: أنه بمعنى الخلقة، والمعنى: ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلا خلقة الأولين، والآخر: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى: ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين. ﴿أَتُتۡرَكُونَ﴾ تخويف لهم، معناه: أتطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم. ﴿وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ الطلع عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكُم، والهضيم اللين الرطب، فالمعنى: أن طلعها يتم ويرطب، وقيل: هو الرخص أول ما يخرج، وقيل: الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله ﴿فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾، ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل. ﴿وَتَنۡحِتُونَ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿فَٰرِهِينَ﴾ قرئ بألف وبغير ألف، وهو منصوب على الحال من الفاعل في "تنحتون"، وهو مشتق من الفراهة؛ وهي النشاط والكيس، وقيل: معناه أقوياء، وقيل: أشرين بطرين. ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل: من السحر بفتح السين وهي الرؤية، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر. ﴿لَّهَا شِرۡبٞ﴾ أي: حظ من الماء. ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام، ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ المذكور هنا.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾

﴿مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين، وفي قوله "قال" و"من القالين" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجّني من عقوبة عملهم أو اعصمني من عملهم؛ والأول أرجح. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني امرأة لوط. ﴿فِي ٱلْغَابِرِينَ﴾ ذكر في الأعراف وكذلك ﴿أَمْطَرْنَا﴾. ﴿أَصْحَابُ لَيْكَةَ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحجر و"ق"، ومعناه: الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفي ص بفتح اللام والتاء، فقيل: إنه مسهل من الهمزة، وقيل: إنه اسم بلدهم؛ ويقوي هذا القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعف ذلك الزمخشري وقال: إن "الأيكة" اسم لا يعرف. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا "أخوهم" كما قال في قصة نوح وغيره، فقيل: إن شعيبا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم فلذلك قيل ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل إنه "أخوهم"، فكان شعيب على هذا مبعوثا إلى القبيلتين، وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل "أخوهم" حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها. ﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن. ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾

﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾ يعني القرون والأمم المتقدمة. ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة، فإن قيل: لم كرر قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار وأشد تنبيها للقلوب، وأيضا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه فختمت بما ختمت به صاحبتها. ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الضمير للقرآن. ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني جبريل عليه السلام. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، لأن القلب هو الذي يحفظ. ﴿بِلِسَانٍ﴾ يعني كلام العرب، وهو متعلق بـ"نزل" أو بـ"المنذرين". ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى أن القرآن مذكور في كتب المتقدمين؛ ففي ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، والمعنى: أن عِلمَ بني إسرائيل بأنه من عند الله آية لكم وبرهان، والمراد من أسلم من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام ﷺ، وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الآية: "الاعجمين" جمع أعجم وهو الذي لا يتكلم سواء كان إنسانا أو جمادا، والأعجمي منسوب إلى العجم، وقيل: هو بمعنى الأعجم، ومعنى الآية أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا لإفراط عنادهم، ففي ذلك تسلية للنبي ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه. ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى "سلكناه" أدخلناه، والضمير للتكذيب الذي دل عليه ما تقدم من الكلام أو للقرآن أي: سلكناه في قلوبهم مكذَّبا به، وتقدير قوله "كذلك": مثل هذا السلك سلكناه، و"المجرمين" يحتمل أن يريد به قريشا أو الكفار المتقدمين،

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾

و ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفسير للسلك الذي سلك في قلوبهم. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ تمنوا أن يؤخروا حين لم ينفعهم التمني. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وشبه ذلك. ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ يعني مدة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدة سنين؛ لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم "سنين" يريد به عمر الدنيا. ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ المعنى: أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأنذرهم فكذبوه. ﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوب على المصدر من معنى الإنذار، أو على الحال من الضمير في "منذرون"، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر. ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الضمير للقرآن، وهذا رد على من قال: إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد. ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه، ولفظ "ما ينبغي" تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة، لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ وقد كان أمر الكهان كثيرا منتشرا قبل ذلك. ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «**يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار**» ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية [مسلم: 204]، قال الزمخشري: في معناها قولان؛ أحدهما: أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر: أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه وأن لا يحافيهم بالإنذار. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق عن التواضع. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ معطوف

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢١٩﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢٠﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢١﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٢﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٦﴾

على ضمير المفعول في قوله "يراك"، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل: معناه يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل: يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره [البخاري: 408]. ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ والأفاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم؛ ثم يعني بذلك الكهان، وفي هذا رد على من قال: إن الشياطين تنزلت على محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تتنزل إلا على أفاك أثيم، وكان ﷺ في غاية الصدق والبر. ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه: يستمعون، والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل: "يلقون" بمعنى يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان، أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يعني الشياطين أو الكهان، لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين. ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ لما ذكر الكهان ذكر الشعراء؛ ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا بشعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة، وأراد "الشعراء" الذين يقولون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل: أراد شعراء الجاهلية، وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم، و"الغاوون" قيل: هم رواة الشعر، وقيل: هم سفهاء الناس الذين تُعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل، وقيل: هم الشياطين. ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل، أي: يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية: استثناء من "الشعراء"، يعني به شعراء المسلمين كحسان بن ثابت ﷺ وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف، وقيل: إن هذه الآية مدنية. ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قيل: معناه ذكروا الله في أشعارهم، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق. ﴿وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت ﷺ وغيره من الشعراء في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعيد للذين ظلموا، والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله "من بعد ما ظلموا"، وعمل "ينقلبون" في "أي" لتأخره، وقيل: إن العامل في "أي" "سيعلم".

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ

سورة النمل

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحدا. ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾ في موضع نصب على المصدر، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر. ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة "الذين"، أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها؛ ورجح الزمخشري هذا. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون. ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ يعني في الدنيا؛ وهو القتل يوم بدر، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة؛ والأول أرجح؛ لأنه ذكر الآخرة بعد. ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ﴾ أي: تعطاه. ﴿ءَانَسْتُ﴾ ذكر في طه، وكذلك ﴿قَبَسٍ﴾، والشهاب النجم شبه القبس به، وقرئ بإضافة "شهاب" إلى "قبس"، وبالتنوين على البدل أو الصفة، فإن قيل: كيف قال هنا ﴿سَآتِيكُم﴾ وفي الموضع الآخر ﴿لَعَلِّي ءَاتِيكُم﴾ والفرق بين الترجي والتسويف؛ أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجي؟ فالجواب: أنه قد يقول الراجي سيكون كذا إذا قوي رجاؤه. ﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعلون، وهو مشتق من صلى بالنار، والطاء فيه بدل من التاء. ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ "أن" مفسرة، و"بورك" من البركة، و"من في النار" يعني من في مكان النار. "ومن حولها" من حول مكانها، يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام، قال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام، أو يكون مستأنفا؛ وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله تعالى مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، أو في قوله "بورك من في النار"؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه. ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله "بورك من في النار"؛ لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك، وكلاهما

فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

تفسير للنداء. ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ الـ"جان" الحية، وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾، والجواب: أنها ثعبان في جرمها جان في سرعة حركتها. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع أو لم يلتفت. ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع تقديره: لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين، وقيل: إنه متصل على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء؛ وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضا فإن تسميتهم ظالمين ممتنع على القول بتجويز الذنوب عليهم. ﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: عمل صالحا. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في طه. ﴿فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ﴾ متصل بقوله "ألق" و"أدخل"، تقديره: نيسر لك ذلك في جملة تسع آيات، وقد ذكرت الآيات التسع في الإسراء. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون. ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرة واضحة الدلالة، أسند الإبصار لها مجازا، وهو في الحقيقة لمتأملها. ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ يعني أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد؛ ولذلك قال فيه ﴿ظُلْمًا﴾ والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها قد. ﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني تكبرا. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك. ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها. ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير كقولك: فلان يقصده كل أحد، وقوله "علمنا" و"أوتينا" يحتمل أن يريد نفسه وأباه، أو نفسه خاصة على وجه التعظيم لأنه كان ملكا. ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يكفون، ويرد أولهم إلى آخرهم، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض، أو ركبانا حتى خافت منهم النمل، ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح وأحست النملة بنزولهم في وادي النمل. ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ النمل حيوان فطن قوي الحس، يدخر قوته، ويقسم الحبة بقسمين لئلا تنبت، ويقسم حبة الكزبر بأربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت على اثنين، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول، وروي أن سليمان سمعه وكان بينه وبينها ثلاثة أميال؛ وذلك لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك. ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء. ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون جوابا للأمر، أو نهيا بدلا من الأمر لتقارب المعنى. ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى: اعتذار عنهم لو حطموا النمل؛ أي: لو شعروا بهم لم يحطموهم. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا﴾ تبسم لأحد أمرين؛ أحدهما: سروره بما أعطاه الله، والآخر: ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها "وهم لا يشعرون" وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان. ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير، فقيل: ذلك عناية بأمور ملكه، وقيل: لأن الطير كانت تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه. ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ "أم" منقطعة، فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره. ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ أي: لا أراه، ولعله حاضر وستره ساتر ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك. ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ روي: أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه. ﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: حجة بينة. ﴿فَمَكَثَ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم، والفعل يحتمل أن يكون مسندا إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد؛ وهو أظهر. ﴿غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ يعني زمان قريب. ﴿أَحَطتُ﴾ أي: أحطت علما بما لم تعلمه. ﴿مِن سَبَإِۭ﴾ يعني قبيلة من العرب، جدهم الذي يعرفون به سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن صرفه أراد الحي أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة، وقرئ بالتسكين لتوالي الحركات، وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله ﴿مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ﴾ ضرب من أدوات البيان، وهو التسجيع.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾

﴿وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة بلقيس بنت شراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك، والضمير في "تملكهم" يعود على "سبإ" وهم قومها. ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني سرير ملكها، ووقف بعضهم على "عرش" ثم ابتدأ "عظيم وجدتها" على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وهذا خطأ وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة. ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدهد أو من كلام الله، وقرأه الجمهور بالتشديد، و"أن" في موضع نصب على البدل "من أعمالهم"، أو في موضع خفض على البدل من "السبيل"، أو يكون التقدير: لا يهتدون لأن يسجدوا فحذف اللام وزاد لا، وقرئ بالتخفيف على أن تكون "ألا" حرف تنبيه، وأن تكون "يا" النداء فيوقف عليها بالألف على تقدير: يا قوم؛ ثم يبتدأ "اسجدوا". ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ "الخبء" في اللغة الخفي، فقيل: معناه هنا الغيب، وقيل: يخرج النبات من الأرض؛ واللفظ يعم كل خفي وبه فسره ابن عباس ﷺ. ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنح عنهم إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة، وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب؛ والأول أحسن. ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾. ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا﴾ قبل هذا الكلام محذوف تقديره: فألقى الهدهد الكتاب إليها فقرأته، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ. ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم كما جاء في الحديث: «**كرم الكتاب ختمه**» [المعجم الأوسط: 3872]. ﴿مِن سُلَيْمَانَ﴾ يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان، وأن يكون من كلامها أخبرتهم أن الكتاب من سليمان. ﴿وَاتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى

قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ

مستسلمين من الانقياد، أو يكون من الدخول في الإسلام. ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد. ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته، أو تعني: كذلك يفعل هؤلاء بنا. ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ قالت لقومها: إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال؛ فإن كان ملكا دنيويا أرضاه المال، وإن كان نبيا لم يرضه المال وإنما يرضيه دخولنا في دينه، فبعثت إليه هدية عظيمة، وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته. ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ إنكار للهدية؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه. ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ أي: أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست كذلك. ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ خطاب للرسول، وقيل: للهدهد؛ والأول أرجح؛ لأن قوله "فلما جاء سليمان" مسند إلى الرسول. ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها. ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ القائل سليمان، و"الملؤا" جمعه من الجن والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وصف له بعظمة فأراد أخذه قبل أن يسلموا، فيمنع إسلامُهم من أخذ أموالهم، فـ"مسلمين" على هذا من الدخول في دين الإسلام، وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه ليظهر لهم قوته؛ فـ"مسلمين" على هذا بمعنى منقادين. ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن. ﴿قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غدوة إلى الظهر، وقيل: معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائما. ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هو آصف وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل: هو الخضر، وقيل: هو جبريل؛ والأول أشهر، وقيل: سليمان؛ وهذا بعيد. ﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ في الموضعين يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل. ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ الطرف العين؛

فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ

فالمعنى: قبل أن تغمض بصرك إذا نظرت إلى شيء، وقيل: الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت. ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾ قبل هذا محذوف تقديره: فجاء الذي عنده علم من الكتاب بعرشها، ومعنى "مستقرا عنده" حاصلا عنده، وليس هذا بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك. ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: منفعة الشكر لنفسه. ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل: الزيادة فيه والنقص منه؛ وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها. ﴿أَتَهْتَدِي﴾ يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلتْ أو للإيمان. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان قبلها فأمر بتنكيره، وأن يقال لها "أهكذا عرشك" أي: أمثل هذا عرشك؟ ولم يقل لها أهذا عرشك؟ لئلا تفطن أنه هو، فأجابت بقولها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ جوابا على نحو السؤال، ولم تقل: هو، تحرزا من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال. ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها قد آمنت، قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة، وأوتينا نحن العلم قبلها. ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه أو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون "ما كانت تعبد" فاعلا أو مفعولا، فإن كان فاعلا فالمعنى: صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت، وإن كان مفعولا فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى: صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في الإسلام. ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ "الصرح" في اللغة القصر، وقيل: صحن الدار، وروي أن سليمان أمر قبل قدومها أن يُبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، "فلما رأته حسبته لجة" واللجة الماء المجتمع كالبحر، و"كشفت عن ساقيها" لتدخله لما أُمرت بدخوله، وروي أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مخبول وإن رجلها كحافر الحمار، فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقيها بالصرح، فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقا، فتزوجها

قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾

وأقرها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل: أسكنها معه بالشام. ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء، قال لها سليمان "إنه صرح"، والممرد الأملس، وقيل: الطويل، والـ"قوارير" جمع قارورة؛ وهي الزجاجة. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني بكفرها فيما تقدم. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ هذا ضرب من ضروب التجنيس. ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان من آمن ومن كفر، واختصامهم اختلافهم وجدالهم في الدين. ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لم تطلبون العذاب قبل الرحمة أو المعصية قبل الطاعة. ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ أي: تشاءمنا بك، وكانوا قد أصابهم القحط. ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم هو عند الله؛ وهو قضاؤه وقدره، وذلك رد عليهم في تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام. ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني مدينة ثمود. ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم؛ ولفظ الفساد أعم من ذلك. ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: حلفوا به، وقيل: إنه فعل ماض، وذلك ضعيف؛ والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه. ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لنقتلنه وأهله بالليل، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه. ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي: نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه، و"مهلك" يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان، فإن قيل: إن قولهم "ما شهدنا مهلك أهله" يقتضي التبري من دم أهله دون التبري من دمه؛ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه لدلالة قولهم "النبيتنه وأهله"، والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني فرعون وقومه، الثالث: أنهم قالوا "مهلك أهله" خاصة ليكونوا صادقين، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا، وأرادوا التعريض في كلامهم لئلا يكذبوا. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يحتمل أن يكون قولهم "وإنا لصادقون" مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون،

وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ

ويحتمل أنهم قصدوا وجها من التعريض ليخرجوا به من الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن "مهلك أهله"، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحا وأهله معا ثم يقولوا: ما شهدنا مهلك أهله؛ أي: ما شهدنا مهلك أهله وحدهم وإنا لصادقون في ذلك، يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا، وعلى هذا حمله الزمخشري.

﴿إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي: أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا في غار قريبا من داره؛ ليخرجوا منه إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرة أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به. ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية، وقيل: تبصرون بأبصاركم؛ لأنهم كانوا ينكشفون لفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض، وقيل: تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب. ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ و﴿الْغَابِرِينَ﴾ و﴿أَمْطَرْنَا﴾ قد ذكر. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا؛ لأنها براهين على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسلام على من اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيامنا بذكر الله، قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني بـ"عباده الذين اصطفى" الصحابة؛ واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين. ﴿ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الرد على المشركين، فدخلت "خير" التي يراد بها التفضيل؛ لتبكيتهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوه أصلا، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله ﴿أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله

بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ

وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضا نعم يجب شكرها فقامت الحجة عليهم بذلك أيضا، و"أم" في قوله "خير أما تشركون" متصلة عاطفة، و"أم" في المواضع التي بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة. ﴿قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب، أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عديلا ومثيلا. ﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ ذكر في الفرقان. ﴿يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود، وقيل: هو الذي لا حول له ولا قوة، واللفظ مشتق من الضرر أي: الذي أصابه الضر، أو من الضرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء. ﴿خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خلفاء فيها تتوارثون سكناها. ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ﴾ يعني الهداية بالنجوم والطرقات. ﴿نُشۡرَۢا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الرزق من السماء المطر، ومن الأرض النبات. ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ تعجيز للمشركين. ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمدا يعلم الغيب، فقد أعظم الفرية على الله، ثم قرأت هذه الآية [البخاري: 7380]، فإن قيل: فقد كان رسول الله ﷺ يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته، فالجواب: أنه ﷺ قال: «إني لا أعلم إلا ما علمني الله» [دلائل النبوة: 1981] فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهان، والمنجمين، وأشباههم بالأمور المغيبة؟ فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف، أو عن وهم لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفي العلم، وقد قيل: إن "الغيب" في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ فعلى هذا يندفع السؤال الأول والثاني، لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى لقوله تعالى ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة [البخاري: 4351]. فإن قيل: كيف قال "إلا الله" بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلا ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها،

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

والله تعالى ليس ممن في السماوات والأرض باتفاق، فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون: إنه فوق السماوات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا عنهما، فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبا؟ فالجواب: من أربعة أوجه؛ الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل وإن كان منقطعا كقولهم: ما في الدار أحد إلا حمار، بالرفع والحمار ليس من الأحدين؛ وهذا ضعيف لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم، والثاني: أن الله في السماوات والأرض بعلمه كما قال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني بعلمه فجاء البدل على هذا المعنى؛ وهذا ضعيف لأن قوله "في السماوات والارض" وقعت فيه لفظة في الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله تعالى على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين، الجواب الثالث: أن قوله "من في السموات والارض" يراد به كل موجود، فكأنه قال: من في الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلا فيصح الرفع على البدل، وإنما قال "من في السموات والارض" جريا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه، الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلا على أن يتأول "من في السموات" في حق الله ،كما يتأول قوله ﴿ءَامِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ﴾ وحديث السوداء وشبه ذلك. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعرون من في السموات والأرض متى يبعثون؛ لأن علم الساعة مما انفرد الله به ، وروي أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟ ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ وزن "ادارك" تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت في الدال واجتلبت ألف الوصل، والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها، وقرئ "أدرك" بهمزة قطع على وزن أفعل، والمعنى على هذا: يدرك علمهم في الآخرة؛ أي: يعلمون فيها الحق لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق، فقوله "في الآخرة" على هذا ظرف، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء. ﴿عَمُونَ﴾ جمع عم؛ وهو من عمى القلوب. ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أي: تبعكم، واللام زائدة، أو ضمن معنى قرب فتعدى باللام، ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾،

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ

فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون؛ وهو قتلهم يوم بدر. ﴿غَآئِبَةٍ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيء في غاية الخفاء إلا وهو عند الله في كتاب. ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصم وبالعمي وإن كانوا صحاح الحواس، وأكد عدم سماعهم بقوله ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية. ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا حان وقت عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله في ذلك؛ وهو قضاؤه، والمعنى إذا قربت الساعة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الأَرْضِ﴾، وخروج الدابة من أشراط الساعة، وروي أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا وأن طولها ستون ذراعا، وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث. ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: إنها تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقيل: إنها تقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وروي أنها تسم الكافر وتحطم أنفه وتسود وجهه، وتبيض وجه المؤمن. ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام، ومن قرأ بالفتح فهو مفعول "تكلمهم"؛ أي: تقول لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾، أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام، ويحتمل قوله "لا يوقنون"؛ أي: لا يوقنون بخروج الدابة، أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين؛ وهذا أظهر. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ "أم" استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي: حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم.

فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿فَهُمْ لا يَنطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم، وهذا في بعض مواطن القيامة، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن أخر. ﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس. ﴿يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ذكر في الكهف. ﴿إِلاَّ مَن شَآءَ اللَّهُ﴾ قيل: هم الشهداء، وقيل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين متذللين. ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: قائمة ثابتة. ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال القيامة ثم ينسفها الله في خلال ذلك، فتكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا. ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر والعامل فيه محذوف، وقيل: هو منصوب على الإغراء؛ أي: انظروا صنع الله. ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قيل: إن "الحسنة" لا إله إلا الله؛ واللفظ عام، ومعنى "خير منها" أن له بالحسنة الواحدة عشرا. ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ مَنْ نَون "فزع" فتح الميم من "يومئذ"، ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب. ﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ "السيئة" هنا الكفر والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها. ﴿هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ يعني مكة. ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرما آمنا لا يقاتلها أحد ولا تُنْهَتك حرمتُها، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بقضائه وأمره، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «**إن إبراهيم حرم مكة**»[البخاري: 2022]؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها فليس بين الآية والحديث تعارض، وقد جاء في حديث آخر: «**أن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض**»[البخاري: 104]. ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: إنما علي الإنذار والتبليغ. ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما في الدنيا وإما في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ

سورة القصص

﴿عَلَا فِي الأَرْضِ﴾ أي: تكبر وطغى. ﴿شِيَعًا﴾ أي: فرقا مختلفين، فجعل فرعون القبط ملوكا وبني إسرائيل خداما لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: ولاة ﴿فِي الأَرْضِ﴾ ويورثهم أرض فرعون وقومه. ﴿وَهَامَانَ﴾ هو وزير فرعون. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام، أو منام، أو كلام بواسطة الملك؟ وهذا أظهر لثقتها بما أوحي إليها وامتثالها ما أمرت به. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: خفت أن يذبحه فرعون؛ لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم. ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط اللقاء من غير قصد، روي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر وهو النيل، فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فأحبته، وقالت لفرعون: هذا قرة عين لي ولك. ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللام لام العاقبة، وتسمى أيضا لام الصيرورة. ﴿لاَ تَقْتُلُوهُ﴾ روي أن فرعون هم بذبحه إذ توهم أنه من بني إسرائيل، فقالت امرأته: لا تقتلوه. ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه، والضمير الفاعل لفرعون وقومه. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ أي: ذاهلا لا عقل معها، وقيل: فارغا من الصبر، وقيل: فارغا من كل شيء إلا من هم موسى، وقيل: فارغا من وعد الله؛ أي: نسيت ما

إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ

أوحي إليها، وقيل: فارغا من الحزن؛ إذ لم يغرق؛ وهذا بعيد لما بعده، وقرئ "فزعا" بالزاي من الفزع. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي: تظهر أمره، وفي الحديث: «**كادت أم موسى أن تقول وابناه، وتخرج صائحة على وجهها**». ﴿رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ أي: رزقناها الصبر. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ﴾ أي: من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعيه، والقص طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفية. ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ أي: رأته من بعيد لم تقرب منه؛ لئلا يعلموا أنها أخته، وقيل: معنى "عن جنب" عن شوق إليه، وقيل: معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أنها أخته. ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي: منع منها بأن بغضها الله له، و"المراضع" جمع مرضع وهي المرأة التي تُرضع، أو جمع مَرضَع بفتح الميم والضاد؛ وهو موضع الرضاع يعني الثدي. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من أول مرة. ﴿فَقَالَتْ هَلَ اَدُلُّكُمْ﴾ القائلة أخته تخاطب آل فرعون. ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ لما منعه الله من المراضع، وقالت أخته: ﴿هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآية، جاءت بأمه فقبل ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه فما قبل ثدي امرأة إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها، وقرت عينها بذلك، وعلمت ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ في قوله "إنا رادوه إليك". ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في يوسف. ﴿وَاسْتَوَى﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة. ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني مصر، وقيل: قرية حولها؛ والأول أشهر. ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾ قيل: في القائلة، وقيل: بين العشاءين، وقيل: يوم عيد، وقيل: كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه، فدخل مختفيا متخوفا. ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ﴾ الذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من عدوه من القبط. ﴿فَوَكَزَهُ﴾ أي: ضربه، والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجميع الكف. ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: قتله ولم يرد أن يقتله، ولكن وافقت وكزته الأجل، فندم

قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

وقال ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له، فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرا؟ فالجواب: أنه لم يؤذن له في قتله؛ ولذلك يقول يوم القيامة: «**إني قتلت نفسا لم أومر بقتلها**» [البخاري: 4435]. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الظهير المعين، والباء سببية، والمعنى: بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيرا للمجرمين، فهي معاهدة عاهد عليها موسى ربه، وقيل: الباء باء القسم؛ وهذا ضعيف؛ لأن قوله "فلن اكون" لا يصلح لجواب القسم، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين، وقيل: الباء للتحليف؛ أي: اعصمني بحق نعمتك علي، فلن أكون ظهيرا للمجرمين، ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في الموضعين، أي: يتحسس هل يطلبه أحد. ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: يستغيث به، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس، فعظم ذلك على موسى، وقال له ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾. ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ الضمير في "أراد"، وفي "يبطش" لموسى، وفي ﴿قَالَ﴾ للإسرائيلي، والمعنى: لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له "إنك لغوي مبين"، فقال الإسرائيلي لموسى ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾ وقيل: الضمير في "اراد" للإسرائيلي، والمعنى: فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي، ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس، فضحه الإسرائيلي، فقال له "أتريد أن تقتلني"، فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون. ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ قيل: إنه مؤمن من آل فرعون، وقيل: غيره. ﴿يَسْعَى﴾ أي: يسرع في مشيه ليدرك موسى فينصحه. ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي:

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿٢٢﴾ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

يتشاورون، وقيل: يأمر بعضهم بعضا بقتلك كما قتلت القبطي. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصد بوجهه ناحية مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام. ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق، يعني طريق مدين إذ كان قد خرج فارا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام، وقيل: أراد سبيل الهدى؛ وهذا أظهر، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفا بالله قبل نبوته. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئرا. ﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيهم. ﴿امْرَأَتَيْنِ﴾ روي أن اسمهما ليا وصفوريا، وقيل: صفرا وصفيرا. ﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما، وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس؛ وهذا أظهر لقولهما ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس. ﴿يُصْدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال، فعل متعد، والمفعول محذوف تقديره: يصدر الرعاء مواشيهم، وقرئ بفتح الياء وضم الدال؛ أي: ينصرفون عن الماء. ﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور، وقيل: ابن أخيه، وقيل: رجل صالح ليس من شعيب بنسب. ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما، وروي أنه كان على فم البير صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده. ﴿تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظل سمرة. ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتد عليه الجوع. ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ قبل هذا كلام محذوف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فأخبرتاه بما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى؟ ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ روي أنها سترت وجهها بكم درعها، والمجرور يتعلق بما قبله، وقيل: بما بعده؛ وهو ضعيف. ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذكر له قصته. ﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم تكن من ملك فرعون.

قَالَتِ إِحۡدَيٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ اِسۡتَاجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ اِسۡتَاجَرۡتَ اَلۡقَوِيُّ اُلَامِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيَ
أُرِيدُ أَنُ انكِحَكَ إِحۡدَى اَبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَاجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنَ اَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا
فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنَ اَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ اَللَّهُ مِنَ اَلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا اَلَاجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَاَللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى اَلَاجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ اِلطُّورِ نَارٗا
قَالَ لِأَهۡلِهِ اِمۡكُثُوٓاْ إِنِّيَ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ اَوۡ جِذۡوَةٖ مِّنَ اَلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ
تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَيٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ اِلۡوَادِ اِلَايۡمَنِ فِي اِلۡبُقۡعَةِ اِلۡمُبَٰرَكَةِ

﴿اسْتَاجِرْهُ﴾ أي: اجعله أجيرا لك ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَاجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، وروي أن أباها قال لها: من أين عرفت قوته وأمانته؟ فقالت: أما قوته فمن رفعه الحجر من فم البير، وأما أمانته فإنه لم ينظر إليها. ﴿قَالَ إِنِّيَ أُرِيدُ أَنُ انكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زوجه التي دعته، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى؟ واسم التي زوجه صفورة، وقيل: صفوريا، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: أنكحه إياها، أكثر من أن يقال: أنكحها إياه. ﴿عَلَىٰ أَن تَاجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ أي: أزوجك بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام، قال مكي: في هذه الآية خصائص في النكاح؛ منها أنه لم يعين الزوجة، ولا حَدَّ أَوَّلَ الأمد، وجعل المهر إجارة، قلت: فأما التعيين، فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة، وأما ذكر أول الأمد، فالظاهر أنه من حين العقد، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «**قد زوجتكها على ما معك من القرآن**» [البخاري: 4741] أي: على أن تعلمها ما عندك من القرآن، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي، وابن حنبل، وابن حبيب للآية والحديث، ومنعه مالك. ﴿فَإِنَ اَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطا ووكل العامين إلى مروءة موسى، فوفى له العشر، وقيل: وفى العشرة وعشرا بعدها؛ وهذا ضعيف لقوله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْاَجَلَ﴾ أي: الأجل المذكور. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر. ﴿جِذْوَةٍ﴾ أي: قطعة، ويجوز كسر الجيم وضمها، وقد ذكر ﴿ءَانَسَ﴾، و﴿الطُّورِ﴾، و﴿تَصْطَلُونَ﴾. ﴿شَاطِئِ الْوَادِ﴾ جانبه، و﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للشاطئ وهو جانبه اليمين، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادي.

مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ
ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ
جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾
وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ
بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا
هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ
بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى
ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عوسجة. ﴿جَانٌّ﴾ ذكر في النمل. ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: أدخلها فيه، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه. ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح اليد، أو الإبط، أو العضد، أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه، فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك وقت فزعه أن يخف خوفه، وقيل: ذلك على وجه المجاز، وأن المعنى: أنه أمر بالعزم على ما أمر به كقولهم: اشدد حيازيمك واربط جأشك. ﴿مِنَ الرَّهَبِ﴾ أي: من أجل الرهب، وهو الخوف، وفيه ثلاث لغات فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء. ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾ أي: حجتان، والإشارة إلى العصا واليد. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام. ﴿رِدْأً﴾ أي: معينا، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز، أو يكون من أرديت؛ أي: زدت. ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله ﴿نَجْعَلُ﴾، أو ﴿لَا يَصِلُونَ﴾، أو بـ﴿الْغَالِبُونَ﴾. ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ أي: اصنع الآجر لبنيان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء، وروي أنه أول من عمل الآجر،

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

وكان هامان وزير فرعون؛ وانظر ضعف عقولها وعقول قومها، وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح، وقد روي أنه عمله، وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء، فرجع إليه مخضبا بدم، وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم، ثم قال ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين. ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار. ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين، وقيل: قبحت وجوههم، وقيل: قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والمراد به إقامة حجته لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره، و"الغربي" المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلم الله فيه موسى، والأمر المقضي إلى موسى هو النبوة، و﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ معناه: من الحاضرين هنالك. ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ المعنى: لم تحضر يا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك، وقيل: المعنى لكنا أنشأنا قرونا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة، فأرسلناك على فترة من الرسل. ﴿ثَاوِيًا﴾ أي: مقيما. ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني تكليم موسى، والمراد بذلك إقامة حجة محمد ﷺ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ. ﴿وَلَكِن رَّحْمَةً﴾ انتصب على المصدر، أو على أنه مفعول من أجله،

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

والتقدير: ولكن أرسلناك رحمة منا لك، أو رحمة للخلق بك. ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ "لو" هنا حرف امتناع، و"لولا" الثانية عرض وتحضيض، والمعنى: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم وإقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن ونبوة محمد ﷺ. ﴿قَالُوا لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَى﴾ يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة، وقلب العصا حية، وفلق البحر، وشبه ذلك. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ هذا رد عليهم فيما طلبوا، والمعنى: أنهم قد كفروا بما أوتي موسى، فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به، و"من قبل" على هذا يتعلق بقوله "أوتي موسى"، ويحتمل أن يتعلق بقوله "أولم يكفروا" إن كانت الآية في بني إسرائيل؛ والأول أحسن. ﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يعنون موسى وهارون، أو موسى ومحمدا ﷺ، والضمير في "أولم يكفروا" وفي "قالوا" لكفار قريش، وقيل: لآبائهم، وقيل: لليهود؛ والأول أصح؛ لأنهم المقصودون بالرد عليهم. ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾ أمر على وجه التعجيز لهم. ﴿أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا، ولكنه ذكره بحرف "إن" مبالغة في إقامة الحجة عليهم كقوله ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾. ﴿فَاعْلَمَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المعنى: إن لم يأتوا بكتاب، فاعلم أن كفرهم عناد واتباع لأهوائهم لا بحجة ولا برهان. ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الضمير لقريش، وقيل: لليهود؛ والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم، و"القول" هنا القرآن، و"وصلنا لهم" أبلغناه لهم ليتذكروا به، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض. ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني من أسلم من اليهود، وقيل: النجاشي وقومه،

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

وقيل: نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلا فآمنوا به، والضمير في "قبله" للقرآن، وقولهم ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ تعليل لإيمانهم، وقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيان؛ لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وجدوا ذكر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يبعث. ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها**» [البخاري: 2849]. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يعني صبرهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا، أو غير ذلك من أنواع الصبر. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون، ويحتمل أن يريد بـ"السيئة" ما يقال لهم من الكلام القبيح، و"بالحسنة" ما يجاوبون به من الكلام الحسن، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها؛ كقوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ . ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ هذا على وجه التبري والبعد من القائلين للغو. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية، أو كأنه سلام الانصراف والبعد. ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام. ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب إذ دعاه النبي ﷺ إلى أن يقول عند موته: «لا إله إلا الله»، فقال: لولا أن يعيرني بها قريش لأقررت بها عينك [مسلم: 25]، ومات على الكفر؛ ولفظ الآية مع ذلك على عمومه. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ لفظ عام، وقيل: أراد به العباس بن عبد المطلب. ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ القائلون لذلك قريش، وروي أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل، و"الهدى" هو الإسلام، ومعناه: الهدى على زعمك، وقيل: إنهم قالوا: قد علمنا أن الذي تقول حق، ولكن إن اتبعناك تخطفتنا العرب، أي: يهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم. ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم، والمعنى: أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال، ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله، فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك. ﴿تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذي زرع.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ

﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى "بطرت" طغت وسفهت، و"معيشتها" نصب على التفسير، مثل ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، أو على إسقاط حرف الجر تقديره: بطرت في معيشتها، أو يتضمن "بطرت" معنى كفرت. ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يعني قليلا من السكنى، أو قليلا من الساكنين؛ أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلا مارا على الطريق ساعة. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ أم القرى مكة؛ لأنها أول ما خلق الله من الأرض، ولأن فيها بيت الله، والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث محمدا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم. ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية، تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة. ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ﴾ الآية، إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة، والمراد بمن "وعدناه" المؤمنون، وبمن ﴿مَتَّعْنَاهُ﴾ الكافرون، وقيل: محمد ﷺ وأبو جهل، وقيل: حمزة رضي الله عنه وأبو جهل؛ والعموم أحسن لفظا، ومعنى ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمر، وفاعل "ينادي" الله تعالى، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة، والمفعول به المشركون. ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ توبيخ للمشركين، ونسبهم إلى نفسه على زعمهم، ولذلك قال ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، فحذف المفعول تقديره: تزعمون أنهم شركاء لي، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم. ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَـؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى "حق عليهم القول" وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم، والإشارة بقولهم "هؤلاء الذين أغوينا" إلى أتباعهم من الضعفاء، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ وبين قولهم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾، فإنهم اعترفوا بإغوائهم وتبرؤوا مع ذلك منهم؟ فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى: أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، فتبرأنا

لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ

إليك من عبادتهم لنا، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء، وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلف بعيد. ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه؛ الأول: أن المعنى "لو انهم كانوا يهتدون" في الدنيا لم يعبدوا الأصنام، والثاني: "لو انهم كانوا يهتدون" لم يعذبوا، والثالث: "لو انهم كانوا يهتدون" في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوها؛ فـ"لو" على هذه الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف، والرابع: أن يكون "لو" للتمني؛ أي: تمنوا لو كانوا مهتدين. ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ أي: أهل صدقتم المرسلين، أو كذبتموهم. ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾ "عميت" عبارة عن حيرتهم، و"الانباء" الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون. ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب. ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ قيل: سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء ويختار لرسالته من يشاء من عباده؛ ولفظها أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومه، أي: يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ويفعل ما يريد. ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ "ما" نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله "ويختار"، وقيل: إن "ما" "مفعولة بـ"يختار"، ومعنى "الخيرة" على هذا الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة؛ وذلك ضعيف لرفع "الخيرة" على أنها اسم "كان"، ولو كانت "ما" مفعولة لكان اسم "كان" مضمرا يعود على "ما" وكانت "الخيرة" منصوبة على أنها خبر "كان"، وقد اعتذر عن هذا من قال إن "ما" مفعولة بأن قال تقدير الكلام: يختار ما كان لهم الخيرة فيه ثم حذف الجار والمجرور؛ وهذا ضعيف، وقال ابن عطية: يتجه أن تكون "ما" مفعولة إذا قدرنا "كان" تامة، ويوقف على قوله "ما كان"؛ أي: يختار كل كائن، ويكون "لهم الخيرة" جملة مستأنفة؛ وهذا بعيد جدا. ﴿يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبر عن القلب بالصدر لأنه يحتوي عليه. ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قيل: إن "الحمد" في "الاخرة" قولهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾، أو قولهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾، وفي ذكر "الاخرة" مع "الاولى" مطابقة. ﴿سَرۡمَدًا﴾ أي: دائما، والمراد بهذه الآيات إثبات

يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ

الوحدانية وإبطال الشرك، فإن قيل: كيف قال ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، وهلا قال: يأتيكم بنهار في مقابلة قوله ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾؟ فالجواب: أنه ذكر الضياء لكثرة ما فيه من المنافع والعبر. ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: في الليل. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ في النهار؛ ففي الآية لف ونشر. ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم، وهو نبيهم لأن كل نبي يشهد على أمته. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى، وقيل: ابن عمته، وقيل: ابن خالته. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ المفاتح هي التي يفتح بها، وقيل: هي الخزائن؛ والأول أظهر، و"العصبة" جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين، و"تنوء" معناه: تثقل، يقال: ناء به الحمل إذا أثقله، وقيل: معنى "تنوء" تنهض بتحامل وتكلف، والوجه على هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قُلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول. ﴿لا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا هو الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان، ولذلك قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وقيل: إنه السرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة، ويدل على هذا قوله ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَاكُمْ﴾. ﴿وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ أي: اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات. ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة، وقيل: معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات؛ فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يفعل فيها من الخير؛ فالكلام على هذا وعظ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا؛ لئلا ينفر عن قبول الموعظة. ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى.

وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة، والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبته به، واختلف في هذا العلم، فقيل: إنه علم الكيمياء، وقيل: التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب، وقيل: حفظه التوراة؛ وهذا بعيد لأنه كان كافرا، وقيل: المعنى إنما أوتيته على علم من الله، وتخصيص خصني به، ثم جعل قوله "عندي" كما تقول: في ظني واعتقادي. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا. ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني جمعا للمال، أو جمعا للخدم؛ والأول أظهر. ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه متصل بما قبله، والضمير في "ذنوبهم" يعود على القرون المتقدمة، و"المجرمون" من بعدهم؛ أي: لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل واحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة، والثاني: أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يسألون فيها عن ذنوبهم؛ لأنهم يدخلون النار من غير حساب؛ والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها لقوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وإنما هذا السؤال المنفي السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ، وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه الاستخبار والتعريف، ومنه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾. ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قيل: في ثياب حمر، وقيل: في عبيده وحاشيته؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَيْلَكُمْ﴾ زجر للذين تمنوا مثل حال قارون. ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ الضمير عائد على الخصال التي دل عليها الكلام المتقدم وهي: الإيمان والعمل الصالح، وقيل: على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم، أي: لا تصدر هذه الكلمة إلا عن الصابرين، والصبر هنا هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها. ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ روي: أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وآذى موسى دعا موسى عليه، فأوحى الله إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه،

وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

فقال موسى: يا أرض خذيهم! فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى، فقال: يا أرض خذيهم! فأخذتهم حتى تم بهم الخسف. ﴿مَكَانَهُ﴾ أي: منزلته في المال والعزة. ﴿بِالْأَمْسِ﴾ يحتمل أن يراد به اليوم الذي قبل ذلك اليوم، أو ما تقدم من الزمان القريب. ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه أن "وي" حرف تنبيه ثم ذكرت بعدها "كأن"، والمعنى على هذا: أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم "يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون"، ثم قالوا ﴿كَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ أي: ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون: "ويك" هي ويلك حذفت منها اللام لكثرة الاستعمال ثم ذكرت بعدها "أن"، والمعنى: ألم تعلموا أن الله، وقيل: "ويكأن" كلمة واحدة معناها ألم تعلم. ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبرا وطغيانا لا رفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة. ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبته، وقيل: المعنى أعطاك القرآن؛ والمعنى متقارب، وقيل: فرض عليك أحكام القرآن فهو على حذف مضاف. ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ المعاد الموضع الذي يعاد إليه، فقيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها، وقيل: يعني الآخرة، ففيها إعلام بالحشر، وقيل: يعني الجنة. ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تنال النبوة ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوتك، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع، ويحتمل أن يكون متصلا، والمعنى: ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك أو للناس، و﴿رَحْمَةً﴾ على هذا مفعول من أجله، أو حال، وعلى الأول منصوب على الاستثناء. ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ فالمفعول محذوف على هذا تقديره: ادع الناس. ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: ولا تعبد مع الله إلها آخر. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلا إياه، والوجه هنا عبارة عن الذات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾

سورة العنكبوت

﴿الم﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ الآية، نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين؛ منهم عمار بن ياسر وغيره ﷺ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك فآنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان، فأعلمهم تعالى أن تلك سيرته في عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، ولفظها مع ذلك عام؛ فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة، أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك، ومعنى "حسب" ظن، و"أن يتركوا" مفعولها، والهمزة للإنكار. ﴿وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ في موضع الحال من الضمير في "يتركوا"، تقديره: غير مفتونين، و﴿أَن يَقُولُوا﴾ تعليل في موضع المفعول من أجله. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود، وقد كان علمه في الأزل، والصدق والكذب في الآية يعني بهما صحة الإيمان والثبوت عليه، أو ضد ذلك. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ "أم" معادلة لقوله "أحسب الناس"، والمراد بـ"الذين يعملون السيئات" الكفار الذين يعذبون المؤمنين؛ ولفظها مع ذلك عام في كل كافر وعاص، ومعنى "يسبقونا" يفوتون عقابنا ويعجزوننا؛ فمعنى الكلام نفي سبقهم، كما أن معنى الآية قبلها نفي ترك المؤمنين بغير فتنة. ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ اللَّهِ﴾ الآية، تسلية للمؤمنين ووعد لهم بالخير في الآخرة، والرجاء هنا على بابه، وقيل: هو بمعنى الخوف، و﴿أَجَلَ اللَّهِ﴾ الموت، ومعنى ﴿لَآتٍ﴾ قريب الإتيان؛ فإن كل ما هو آت قريب، ومعنى الآية، من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقى الله فيجازيه؛ فإن لقاء الله قريب. ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن الله لا ينفعه طاعة العباد، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال أو جهاد النفس. ﴿حُسْنًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: وصينا الإنسان يفعل بوالديه حسنا، أو مصدرا من معنى "وصينا"؛ أي: وصية حسنة.

وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ﷺ؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر، وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وألا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، فمعنى ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أوذي بسبب إيمانه بالله، و﴿فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ تعذيبهم، وقيل: إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه. ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا ونحمل عنكم الإثم والعقاب إن كان، وروي أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة، حكاه المهدوي، وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ جزاء قولهم "اتبعوا سبيلنا"، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صح تكذيبهم فيه، أخبره الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار. ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته، وروي أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عمَّر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فإن قيل: لم قال "ألف سنة"، ثم قال "خمسين عاما"، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب: أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل. ﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً﴾

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

يحتمل أن يعود الضمير على السفينة، أو على النجاة، أو على القصة بكمالها. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من الخلقة يريد به نحت الأصنام؛ فسماه خلقة على وجه التجوز، وقيل: هو من اختلاق الكذب. ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية، احتجاج على الوحدانية ونفي الشركاء، فإن قيل: لم نكَّر الرزق أولا ثم عرفه في قوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾؟ فالجواب: أنه نكره في قوله "لا يملكون لكم رزقا" لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله؛ لأنه لا يقتضي العموم في سياق الإثبات إلا مع التعريف، فكأنه قال: ابتغوا الرزق كله عند الله. ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾ الآية، يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يقال: بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى: أولم ير الكفار أن الله خلق الخلق، فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر، فقوله ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على "يبدئ"؛ لأن المعنى فيهما مختلف؛ لأن رؤية البداءة بالمشاهدة بخلاف الإعادة، فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها، وقد قيل: إنه يريد إعادة النبات وإبدائه، وعلى هذا يكون "ثم يعيده" عطفا على "يبدئ" لاتفاق المعنى؛ والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني إعادة الخلق وهي حشرهم، ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون. ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تفوتون من عذاب الله، وليس لكم مهرب في

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ

الأرض ولا في السماء. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل أن ييأسوا في الآخرة، أو يكون وصفا لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يائس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله "أولم يروا" إلى هنا يحتمل أن يكون خطابا لمحمد ﷺ معترضا بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطابا لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له. ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصب "مودة" على أنها مفعول من أجله، أو مفعول ثان "لاتخذتم"، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر أو خبر "إن"، وتكون "ما" موصولة، ونصب "بينكم" على الظرفية وخفضه بالإضافة. ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ تضمن "آمن" معنى انقاد، ولذلك تعدى باللام. ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ القائل لذلك إبراهيم، وقيل: لوط، وهاجرا من بلادهما من أرض بابل إلى الشام. ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطريق للسلب والقتل، وقيل: أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال. ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ النادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس، و"المنكر" فعلهم بالرجال، وقيل: إذايتهم للناس. ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ الرسل هنا الملائكة، و"البشرى" بشارة إبراهيم بالولد، وهو قوله ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، أو بشارته بنصر لوط؛ والأول أظهر.

قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ

﴿أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ هي قرية لوط. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارا بأنه فيها، وإنما قصد نجاة لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذي وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيهم لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟. ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قد ذكر، وكذلك ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾.

﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذابا. ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف، وقيل: هو على بابه. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني نقصهم المكيال والميزان. ﴿الرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة. ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ أي: إن آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم. ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قيل: معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا، وقيل: معنى "مستبصرين" عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا. ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: لم يفوتوا. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، فيحتمل عندي أنه أراد به المعنيين؛ لأن قوم لوط أهلكوا بالحجارة، وعادا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، ويقوى ذلك هنا؛ لأن المقصود ذكر عموم أخذ أصناف الكفار. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني ثمود ومدين.

وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قوم نوح، وفرعون وقومه. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ شبه الله الكفار في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشيء، كذلك ما اعتمد عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون. ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أي: أضعفها. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ "ما" موصولة بمعنى الذي، مفعولة للفعل الذي قبلها، وقيل: هي نافية والفعل معلق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئا له بال، فيصلح أن يسمى شيئا. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، لا على وجه العبث واللعب. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعا في صلاته متذكرا العظمة من وقف بين يديه، حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر؛ فكأن الصلاة ناهية عن ذلك. ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل: فيه ثلاثة معان؛ الأول: أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بـ"ذكر الله"؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر، لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر. الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون بعض. الثالث: أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟**» قالوا: بلى! قال: «**ذكر الله**» [الترمذي: 3377]. ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ثم نسخ بالسيف. ومعنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الذين ظلموكم، أو صرحوا بإذاية نبيكم ﷺ،

وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِےٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُومِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُومِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُومِنُونَ ﴿٥١﴾

وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى "إلا الذين ظلموا" على هذا: من بقي منهم على كفره؛ والمعنى الأول أظهر. ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذا وما بعده يقتضي موادعة ومسالمة، وهي منسوخة بالسيف، ويقتضي أيضا الإعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾» [البخاري: 4215]؛ فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلناه عليك. ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ﴾ يعني عبد الله بن سلام ﷺ، وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُومِنُ بِهِ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله "ومن هؤلاء من يومن به" كفار قريش، وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ"هؤلاء" المعاصرين لمحمد ﷺ كعبد الله بن سلام ﷺ. ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب ثم جاء بالقرآن، فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد للكلام وتصوير للمعنى المراد. ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار، وكانوا يقولون: لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه، وقيل: وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التي وصفه الله بها عندهم؛ والمذهب الصحيح: أن النبي ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب، وقال الباجي وغيره: إنه كتب لظاهر حديث الحديبية؛ وهذا القول ضعيف. ﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ"بل" عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حسب المبطلون والظالمون. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المعنى:

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة، فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات؟.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ ذكر معناه في الرعد والأنعام. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني قولهم ﴿ائتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، وقولهم ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وشبه ذلك. ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لعاجلهم به حين طلبوه. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم يوم بدر، أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة؛ وهذا أظهر لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي يحيط بهم، والعامل في الظرف محذوف أو "محيطة".

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيبا في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي: ننزلهم، وقرئ "لنثوينهم" بالثاء المثلثة من الثوى؛ وهو الإقامة في المنزل. ﴿وَكَأَيِّن مِن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها، والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة، كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلادكم. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ في الموضعين: إقامة الحجة عليهم. ﴿فَأَنَّى يُوفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد لله على ظهور الحجة، أو يكون المعنى: إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ إضراب عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون. ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ "الحيوان" مصدر كالحياة. ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ الآية، إقامة الحجة عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء. ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمر على وجه التهديد، أو على وجه الخذلان والتخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: اعمل ما شئت. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ الضمير لقريش، والحرم الآمن مكة؛ لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا ينتهك أحد حرمتها. ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني: جهاد الأنفس في الصبر على إذاية الكفار، واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل: يعني القتال؛ وذلك ضعيف؛ لأن القتال لم يكن مأمورا به حين نزول الآية. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لسبيل الخير. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى: أنه معهم بإعانته ونصرته.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِم

سورة الروم

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ أي: هَزَم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسميت الروم باسم جدهم؛ وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قيل: هي الجزيرة؛ وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل: في أدنى أرض العرب منهم؛ وهي أطراف الشام. ﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس بعد أن غلبهم الفرس. ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ البضع ما بين الثلاث إلى التسع. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ روي أن غلب الروم لفارس وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش، وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش، وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق ﷺ، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «**زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل**»، فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ، فقال له: «**تصدق بها**». ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد كقولك: له علي ألف درهم عرفا؛ لأن معناه أعترف له بها اعترافا. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل: معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم، وقيل: الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالدليل والنظر، وقيل: هو من الظهور بمعنى العلو في الدنيا، وقيل: ظاهر بمعنى زائل ذاهب؛ والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى عنهم العلم أولا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة، وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلة منفعته، فهو على هذا بيان للنفي. ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ يحتمل معنيين؛

مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

أحدهما: أن تكون النفس ظرفا للفكرة في خلق السماوات والأرض؛ كأنه قال: أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق، والثاني: أن يكون المعنى أولم يتفكروا في ذواتهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق، ويكون قوله: ﴿مَّا خَلَقَ﴾ الآية، استئناف كلام؛ والمعنى الأول أظهر.

﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾ أي: حرثوها. ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَآؤُوا السُّوأَى﴾ معنى "السوأى": إهلاك الكفار، ولفظ "السوأى" تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، وقرئ "عاقبة" بالرفع على أنه اسم كان و"السوأى" خبرها، وقرئ بنصب "عاقبة" على أنها خبر كان و"السوأى" اسمها، و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون "السوأى" مصدر أساؤوا. ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الإبلاس الكون في شر مع اليأس من الخير. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه: في المنازل والجزاء. ﴿يُحْبَرُونَ﴾ ينعمون من الحبور، وهو السرور والنعيم، وقيل: يكرمون. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ هذا تعليم للعباد، أي: قولوا: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة؛ وهو وسط النهار، وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ اعتراض بين المعطوفات، وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس؛ فـ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء، و﴿حِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الصبح، و﴿عَشِيًّا﴾ العصر، و﴿حِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهر.

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ ذكر في آل عمران. ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ﴾ أي: ينبت فيها النبات. ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: كما يُخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة. ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي: تنصرفون في الدنيا. ﴿مِنَ انفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم، وقيل: أراد خلقة حواء من ضلع آدم، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم. ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة الجماع، والرحمة الولد؛ والعموم أحسن وأبلغ. ﴿وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم. ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ يعني البياض والسواد، وقيل: يعني أصنافكم؛ والأول أظهر. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر في الرعد. ﴿أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ معناه: تثبت، أو يقوم تدبيرها. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ "إذا" الأولى شرطية، والثانية فجائية وهي جواب الأولى، والدعوة في هذه الآية قوله للموتى: قوموا! أو النفخة الثانية في الصور، و"من الارض" يتعلق بقوله "تخرجون"، أو بقوله "دعاكم" على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو، كقولك: دعوتك من الجبل؛ إذا كان المدعو في الجبل. ﴿قَانِتُونَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث؛ فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله، فإن كل شيء على الله يسير. ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ

أهل السماوات والأرض. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشاركُكم عبيدكم في أموالكم ولا يستوون معكم في أحوالكم؛ فكذلك الله تعالى لا يشاركه عبيده في ملكه ولا يماثله أحد في ربوبيته؛ فذكر حرف الاستفهام، ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك. ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ الإضراب بـ"بل" عما تضمنه معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام، وإقامة الوجه في الموضعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه، وفي قوله: "أقم" و﴿الْقَيِّمُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس. ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر كقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، أو مفعولا بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، ومعناه: خلقة الله، والمراد به دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته، كما قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه**»[البخاري: 1319]. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يعني بـ"خلق الله" الفطرة التي فطر الناس عليها من الإيمان، ومعنى أن الله لا يبدلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها؛ ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى، أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها؛ فالنفي على هذا حكم لا خبر، وقيل: إنه خصوص في المؤمنين؛ أي: لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه، وقيل: إنه نهى عن تبديل خلقة الله؛ كخصاء الفحول من الحيوان، وقطع آذانها وشبه ذلك. ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوب على الحال من قوله "أقم وجهك"؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله "منيبين"، وقيل: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في الزموا فطرة الله، وقيل: هو حال من قوله "فطر الناس"؛ وهذا بعيد. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وما

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ

بعده معطوف على "أقم وجهك"، أو على العامل في "فطرة الله"، وهو: الزموا، المضمر. ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدل من المجرور قبله، ومعنى "فرقوا دينهم" جعلوه فرقا؛ أي: اختلفوا فيه، وقرئ "فارقوا" من المفارقة؛ أي: تركوه، والمراد بـ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ هنا أصناف الكفار، وقيل: هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة، ففي لفظ "المشركين" على هذا تجوز بعيد، ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله تعالى في الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾، فإنه ليس هناك ذكر المشركين. ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية، إنحاء على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد، ويشركون به في الرخاء. ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ "أَم" هنا منقطعة، بمعنى بل والهمزة، والسلطان الحجة، وكلامه مجاز، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم. ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر، وانظر كيف قال هنا "إذا"، وقال في الشر: ﴿إِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن "إذا" للقطع بوقوع الشرط، بخلاف "إن"؛ فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب العباد من المصائب، فإنه بسبب ذنوبهم. ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ يعني صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة، ولو بالكلام الطيب. ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُواْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية، معناها كقوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات؛ فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به، وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل، أو يهدي له ليعوضه أكثر من ذلك؛ فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه، وقرئ "وما ءاتيتم من ربا" بالمد بمعنى أعطيتم، وبالقصر بمعنى جئتم به؛ أي: فعلتموه،

فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ

وقرئ "لتربوا" بالتاء المضمومة، و"ليربوا" بالياء مفتوحة ونصب الواو. ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعف ذو الإضعاف من الحسنات، وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون، وفيها أيضا حذف؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى "ما"، وتقديره: المضعفون به، أو فمؤتوه هم المضعفون. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل: "البر" البلاد البعيدة من البحر، و"البحر" هو البلاد التي على ساحل البحر، وقيل: "البر" اللسان، و"البحر" القلب؛ وهذا بعيد؛ والصحيح أن "البر والبحر" هما المعروفان، وظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر بالغرق، وقلة الصيد، وكساد التجارات وشبه ذلك؛ وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان. ﴿لا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله "ياتي"، أو بقوله "لا مرد له"؛ أي: لا يرده الله. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ من الصدع وهو الفرقة، أي: يتفرقون؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير. ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه، والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ"يمهدون"، أو "يصدعون"، أو بمحذوف. ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي: تبشر بالمطر. ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ عطف على "مبشرات"، كأنه قال: ليبشركم وليذيقكم،

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ أَثَرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ

ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره: ليذيقكم من رحمته أرسلها. ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ انتصب "حقا"؛ لأنه خبر "كان"، واسمها ﴿نَصْرُ الْمُؤمِنِينَ﴾، وقيل: اسمها مضمر يعود على مصدر "انتقمنا"؛ أي: وكان الانتقام حقا، فعلى هذا يوقف على "حقا"، ويكون "نصر المؤمنين" مبتدأ؛ وهذا ضعيف. ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تحركها وتُنشرها. ﴿كِسَفًا﴾ أي: قطعا، وقرئ بإسكان السين، وهما بناءان للجمع، وقيل: معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة. ﴿الْوَدْقَ﴾ هو المطر. ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ الخلال الشقاق التي بين بعضه وبعض؛ لأنه متخلل الأجزاء، والضمير يعود على السحاب. ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ كرر للتأكيد، وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي: قانطين، كقوله: ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾. ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر، والمعنى: لئن أرسل الله الريح فاصفر بها النبات، لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله، وقيل: الضمير للريح، وقيل: للسحاب؛ والأول أحسن في المعنى. ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ الآية، استعارة في عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم. ﴿خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ﴾ الضعف الأول كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفا في حال الطفولية، والضعف الأخير هو الهرم، وقرئ بضم الضاد وفتحها وهما لغتان. ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، والمعنى: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة،

كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

أو ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة؛ وذلك لاستقصارهم تلك المدة. ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثل هذا الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على غير ما هي عليه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله "لبثتم"، وقيل: يعني القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله "أوتوا العلم"، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله، وقولهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ خطاب للكفار، وقولهم ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ تقرير لهم، وهو في المعنى جواب لشرط مقدر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبى بمعنى الرضا، أي: لا يرضون، وليست استفعل هنا للطلب. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني ما وعده من النصر على الكفار. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ من الخفة، أي: لا تضطرب لكلامهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ

سورة لقمان

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذكر في يونس. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام»، وقرأ هذه الآية [الترمذي: 3195]، وقيل: نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ؛ فالشراء على هذا على حقيقته، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث. وشراء لهو الحديث استحبابه وقوله وسماعه؛ فالشراء على هذا مجاز، وقيل: "لهو الحديث" الطبل، وقيل: الشرك؛ ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى كفر واستخفاف بالدين؛ لقوله ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ذكر في الرعد. ﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي: لئلا تميد. ﴿لُقْمَانَ﴾ رجل ينطق بالحكمة، واختلف هل هو نبي أم لا؟ وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبيا، ولكن كان عبدا حسن اليقين، أحب الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة» [ابن عساكر: 17/ 85]، وروي أنه كان ابن أخت أيوب، أو ابن خالته، وروي أنه كان قاضي بني إسرائيل، واختلف في صناعته؛ فقيل: نجار، وقيل: خياط، وقيل: راعي غنم، وكان ابنه كافرا،

إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ

فما زال يوصيه حتى أسلم، وروي أن اسم ابنه ثاران. ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد، لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله، ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه حسبما ذكرنا في العنكبوت. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي: ضعفا على ضعف؛ لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضُعفا، وانتصاب "وهنا" بفعل مضمر تقديره: تهن وهناً. ﴿وَفِصَالُهُ﴾ أي: فطامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع. ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ تفسير للوصية، واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب. ﴿يَا بُنَيَّ﴾ الآية: رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان: يا بني. ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزنها، والمراد بذلك أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر. ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: أراد الصخرة التي عليها الأرض؛ وهذا ضعيف، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء، ولو كانت في أخفى موضع كجوف صخرة؛ فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾. ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أمر بالصبر على المصائب عموما، وقيل: يعني ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر. ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب، أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجد، ولفظ الـ"عزم" مصدر يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور. ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصعر في اللغة الميل، أي: لا تول الناس خدك وتعرض عنهم تكبرا عليهم. ﴿مَرَحًا﴾ ذكر في الإسراء. ﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تسرع إسراعا يدل على الطيش والخفة، ولا تبطئ إبطاء يدل على النخوة والكبر.

إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾

﴿نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها ستر قبيح الأعمال، وقيل: الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى؛ واللفظ أعم من ذلك كله. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله. ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار. ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ "يسلم" يخلص، أو يستسلم وينقاد، والوجه هنا عبارة عن المقصد. ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ذكر في البقرة. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ الآية، إخبار بكثرة كلمات الله، والمراد اتساع علمه، ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاما، والبحر لو كان مدادا تصب فيه سبعة أبحر صبا دائما، وكتب بذلك كلمات الله، لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية وكلمات الله غير متناهية، فإن قيل: لم لم يقل: والبحر مدادا كما قال في الكهف ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله ﴿يَمُدُّهُ﴾؛ لأنه من قولك: مد الدواة وأمدها، فإن قيل: لم قال "من شجرة"، ولم يقل: من شجر باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟ فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة، فإن قيل: لم قال ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾، ولم يقل: كلم الله، بجمع الكثرة؟ فالجواب: أن هذا أبلغ؛ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير، وروي أن سبب الآية أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله، فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية، وقيل: إن سببها أن قريشا قالوا:

مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

إن القرآن سينفد. ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس، ورد على من استبعد ذلك. ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: يدخل كل واحد منهما في الآخر بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر، أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى ذلك شاهد بأن الله هو الحق. ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات، فتكون الباء للإلصاق أو للمصاحبة، أو يريد الريح، فتكون الباء سببية. ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغة في صابر وشاكر. ﴿كَالظُّلَلِ﴾ جمع ظلة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان. ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ الـ"مقتصد" المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد كافرا متوسطا في كفره لم يسرف فيه، أو مؤمنا متوسطا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه، وقيل: معنى "مقتصد" مؤمن ثبت في البر على ما عاهد الله عليه في البحر. ﴿خَتَّارٍ﴾ أي: غدار شديد الغدر، وذلك أنَّ جحد نعم الله غدر. ﴿لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ أي: لا يقضي عنه شيئا، والمعنى: أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة. ﴿وَلا مَوْلُودٌ﴾ أي: ولد، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء كذلك لا يقدر الوالد لولده على شيء. ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: الأمل والتسويف. ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «**مفاتح الغيب خمس**» وتلا هذه الآية [البخاري: 4351]. ﴿ماذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني من خير أو شر، أو مال أو ولد، أو غير ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾

سورة السجدة

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ يعني القرآن. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله عز وجل، ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على اعتقاد أهل الباطل. ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بـ"تنزيل". ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ الضمير لقريش، و"أم" بمعنى بل والهمزة. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بما قبله، أو بمحذوف. ﴿مَآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني في الفترة من زمان عيسى، وقد جاء الرسل قبل ذلك كإبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في الأعراف. ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفي الشفاعة على وجهين؛ أحدهما: الشفاعة للكفار؛ وهي معدومة على الإطلاق، والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾.
﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: واحد الأمور، وقيل: المأمور به من الطاعات؛ والأول أصح. ﴿مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ينزل ما دبره وقضاه من السماء إلى الأرض. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس ﷺ: المعنى ينفذ الله قضاءه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء، وقيل: إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها؛ فالمعنى: أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ثم تصير إليه أخرى؛ لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ "الغيب" ما غاب عن المخلوقين، "والشهادة" ما شاهدوه. ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: أتقن جميع المخلوقات، وقرئ "خلْقه" بإسكان اللام على البدل. ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم عليه السلام.

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

﴿نَسْلَهُ﴾ يعني ذريته. ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المني، والسلالة مشتقة من سل يسل؛ فكأن الماء يسل من الإنسان، والمهين الضعيف. ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: قومه. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وإضافة الروح إلى الله إضافة مُلك إلى مَالك، وقد يراد بها الاختصاص؛ لأن الروح لا يعلم كنهه إلا الله. ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تلفنا وصرنا ترابا، ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار استبعاد البعث، والعامل في "إذا" معنى قولهم ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تقديره: نُبعث. ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ اسمه عزرائيل، وتحت يده ملائكة. ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يحتمل أن تكون "لو" للتمني، وتأويله في حق الله تعالى كتأويل الترجي، وقد ذكر، أو تكون للامتناع، وجوابها محذوف تقديره: ولو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرا مهولا. ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم. ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد علمنا الحقائق. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ يعني أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلق لفعل، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان في قلوبهم، ويدفع عنهم الشيطان والشهوات؛ ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم ذوقوا، والنسيان هنا بمعنى الترك. ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم للنوافل، ومن صلى العشاء

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُومِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدَ اٰتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ ﴿٢٣﴾

والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه من هذا. ﴿فلا تعلم نفس مّآ أُخفي لهم مّن قرّة أعين﴾ يعني أنه لا يعلم أحد مقدار ما يعطيهم الله من النعيم، وقرئ "أخفي" بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم؛ وهو الله تعالى. ﴿أفمن كان مومنا﴾ الآية، يعني المؤمنين والفاسقين على العموم، وقيل: يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعقبة بن أبي معيط. ﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذّبون﴾ "الذي" نعت لـ"عذاب"؛ ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور في قوله "به"، فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في سبأ النار وأعاد عليها الضمير، فقال ﴿عذاب النار التي كنتم بها تكذّبون﴾؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه خص العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره في قوله: ﴿ولنذيقنّهم مّن العذاب الادنى دون العذاب الاكبر﴾، الثاني: أنه تقدم في السجدة ذكر النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر، فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، فوصف العذاب ولم يصف النار، الثالث: وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة وصف النار فوصف العذاب، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئا ثم كررت ذكره لم يجز وصفه؛ كقولك: رأيت رجلا فأكرمت الرجل، فلا يجوز وصفه لئلا يفهم أنه غيره. ﴿ولنذيقنّهم من العذاب الادنى﴾ يعني الجوع ومصائب الدنيا، وقيل: القتل يوم بدر، وقيل: عذاب القبر؛ وهذا بعيد لقوله: ﴿لعلّهم يرجعون﴾. ﴿إنّا من المجرمين منتقمون﴾ هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وكان الأصل أن يقول: إنا منه منتقمون، ولكنه وضع "المجرمين" موضع المضمر ليصفهم بالإجرام، وقدم المجرور على "منتقمون" للمبالغة. ﴿فلا تكن في مرية مّن لّقائه﴾

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

الـ"مرية" الشك، والضمير لـ"موسى"؛ أي: لا تشك في لقائك موسى ليلة الإسراء، وقيل: المعنى لا تشك في لقاء موسى للكتاب الذي أنزل عليه، و"الكتاب" على هذا التوراة، وقيل "الكتاب" هنا جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ﴾. ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق، وقيل: لبني إسرائيل خاصة. ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في طه. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ الضمير في "يمشون" لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين كقوله: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾، وقيل: الضمير للمهلكين، أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم؛ والأول أحسن؛ لأن فيه حجة على أهل مكة. ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني التي لا نبات فيها من شدة العطش. ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة، وقيل: يعني فتح مكة؛ وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة؛ لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون هلاكك، وهذا تهديد لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ

سورة الأحزاب

﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيءُ﴾ نداء فيه تكريم له؛ لأنه ناداه بالنبوة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم. ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: دم على التقوى وزد منه. ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تقبل أقوالهم، وإن أظهروا أنها نصيحة، ويعني بـ"الكافرين" المظهرين للكفر، وبـ"المنافقين" الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، وروي أن "الكافرين" هنا أبي بن خلف، و"المنافقين" هنا عبد الله بن أبي ابن سلول؛ والعموم أظهر. ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس ﵁: كان في قريش رجل يقال له: ذو القلبين؛ لشدة فهمه، فنزلت الآية نفيا لذلك، ويقال إنه ابن خطل، وقيل: جميل بن معمر، وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي، أي: كما لم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم، ولا أدعياءكم أبناءكم. ﴿اللائِي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، وسيأتي حكمه في المجادلة، وإنما تعدى هذا الفعل بـ"من"؛ لأنه تضمن معنى يتباعدون منهن. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع دعي؛ وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده، وسببها أمر زيد بن حارثة ﵁؛ وذلك أنه كان فتى من كلب، فسباه بعض العرب وباعه من خديجة ﵂، فوهبته للنبي ﷺ فتبناه، فكان يقال له: زيد بن محمد، حتى أنزلت هذه الآية. ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات، وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول. ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء، أي: انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم. ﴿النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بِالْمُومِنِينَ مِنَ انفُسِهِمْ﴾ يقتضي أن يحبوه ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم. ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي ﷺ حرمة الأمهات

وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ

في تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال. ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخ لما كان في أول الإسلام من التوارث بأخوة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في الأنفال. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد القرآن، أو اللوح المحفوظ. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون بيانا لـ"أولي الأرحام"، أو يتعلق بـ"أولي"؛ أي: أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام. ﴿إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يريد الإحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة، ونفعهم في الحياة والوصية لهم عند الموت؛ فذلك جائز ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة، واختلف هل يعني بالأولياء المؤمنين خاصة، أو المؤمنين والكافرين. ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني القرآن، أو اللوح المحفوظ. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل: هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذر؛ والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء. ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيين، ولكنه خصهم بالذكر تشريفا لهم، وقدم محمدا ﷺ تفضيلا له. ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يعني الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيدا وليصفه بأنه غليظ، أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به. ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لام كي، أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق في الأقوال، أو الصدق في الأفعال والعزائم، ويحتمل أن يريد بـ"الصادقين" الأنبياء وغيرهم من المؤمنين. ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق، والـ"جنود" المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها ليمنعهم من دخولها. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصبا، فأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم، ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين. ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة. ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها،

وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُومِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىٓءَ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنَ اَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

وقيل: معنى "من فوقكم" أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة، "ومن أسفل منكم" أهل مكة وسائر تهامة. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الَابْصَارُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارة عن شدة الخوف. ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ "الحناجر" جمع حنجرة وهي الحلق، وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل: بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو، ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أي: تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم؛ فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خواطر مما لا يمكن للبشر دفعها، ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع "الظنونا"، و"الرسولا"، و"السبيلا" بالألف في الوصل وفي الوقف، وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل؛ فأما إسقاطها فهو الأصل، وأما إثباتها فلتعديل رؤوس الآي لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة، وأما من أثبتها في الحالين فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف. ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُومِنُونَ﴾ أي: اختبروا، أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف "ابتلي"، وقيل: ما قبله. ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أصل الزلزلة شدة التحريك، وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب. ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ روي أنه معتب ابن قشير. ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ﴾ قال السهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوق، والمراد هنا أوس بن قبطي. ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ "يثرب" اسم المدينة، وقيل: اسم البقعة التي المدينة في طرف منها، و"مقام" اسم موضع من القيام، أي: لا قرار لكم هنا؛ يعني موضع القتال، وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الإقامة، وقولهم "فارجعوا"؛ أي: إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال. ﴿وَيَسْتَاذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيءَ﴾ أي: يستأذنوه في الانصراف، والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته، وقيل: بنو حارثة. ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: منكشفة للعدو، وقيل: خالية للسراق؛ فكذبهم الله في ذلك. ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنَ اَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دُخلت عليهم المدينة من جهاتها. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يريد بـ"الفتنة" الكفر، أو قتال المسلمين. ﴿لَأَتَوْهَا﴾ قرئ بالقصر بمعنى جاؤوا إليها، وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ﴾ الضمير للمدينة.

وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دخلت "قد" على الفعل المضارع لمعنى التهديد، وقيل: للتعليل على وجه التهكم. ﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: الذين يعوقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم. ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، وكانوا يقولون لقرابتهم، أو للمنافقين مثلهم: هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر "هلم" في الأنعام. ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ "البأس" القتال، و"قليلا" صفة لمصدر محذوف تقديره: إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل "ياتون"؛ أي: إلا قليلا منهم. ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ "أشحة" جمع شحيح، فقيل: معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون، وقيل: يشحون بأموالهم، وقيل: معناه أشحة عليكم وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أن تقتلوا، ونصب "اشحة" على الحال من "القائلين" أو "المعوقين"، أو من الضمير في "ياتون"، أو نصب على الذم. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: إذا اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة، ولاذوا بك من شدة خوفهم. ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ عبارة عن شدة خوفهم. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره، ومعنى "حداد" فصحاء قادرين على الكلام، أي: إذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسب وتنقص الشريعة، وقيل: إذا غنمتم طلبوا من الغنائم. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: يشحون بفعل الخير، وقيل: يشحون بالمغانم، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في "سلقوكم". ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى أنها لم تقبل؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا؛ فالإحباط على هذا حقيقة. ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ "الأحزاب" هنا هم كفار قريش ومن معهم؛ والمعنى: أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم

وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ

ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا. ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى "يودوا": يتمنوا، و"بادون" خارجون في البادية، و"الأعراب" هم أهل البوادي من العرب؛ فمعنى الآية: أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها. ﴿يَسْأَلُونَ﴾ من ورد عليهم ﴿عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل، وقرئ "أسوة" بضم الهمزة، والمعنى واحد. ﴿قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد هو ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين، وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ الآية، فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني من قتل شهيدا، قال أنس بن مالك ﷺ: يعني عمي أنس بن النضر ﷺ، وقيل: يعني حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس ﷺ وغيره، وقيل "قضى نحبه" وفى العهد الذي عاهد الله عليه، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «**طلحة ممن قضى نحبه**» [الترمذي: 3202] وهو لم يقتل حينئذ. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ المفعول محذوف، أي: ينتظر أن يقضي نحبه؛ أي: ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس ﷺ، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر. ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ الصياصي هي الحصون، ونزلت الآية في يهود بني قريظة،

فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ، فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ﷺ، فحكم بأن تقتل رجالهم، وتسبى نساؤهم وذريتهم [البخاري: 3896]. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني الرجال، وقتل منهم يومئذ كل من أنبت، وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة. ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني النساء والذرية. ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني أرض بني قريظة، قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين. ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤوها حينئذ، وهي: مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة؛ لأنه قال "أورثكم" بالفعل الماضي، وهي التي كانوا أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأرضين، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: يورثكم، وإنما كررها بالعطف ليصفها بقوله "لم تطئوها"؛ أي: لم تدخلوها قبل ذلك. ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية، سببها أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك، وقيل: طلبن منه ملابس ونفقات كثيرة، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش؛ وهن: عائشة ابنت أبي بكر الصديق ﷺ، وحفصة ابنت عمر بن الخطاب ﷺ، وسودة ابنت زمعة، وأم حبيبة ابنت أبي سفيان، وأم سلمة ابنت أبي أمية، وأربع من غير قريش؛ وهن: ميمونة ابنت الحارث الهلالية، وصفية ابنت حيي من بني إسرائيل، وزينب ابنت جحش الأسدية، وجويرية ابنت الحارث من بني المصطلق رضي الله عنهن. ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ أصل تعال أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن كان في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة، و"أمتعكن" من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت، والسراح الطلاق؛ فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردن زينة الحياة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردن الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة ﷺ فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهن في ذلك، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة ﷺ: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعد ذلك طلاقا [مسلم: 1477]. وإذا اختارت المخيرة الطلاق؛ فمذهب مالك أنه ثلاث، وقيل: طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية. ووصف السراح بالجميل، يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث، وجماله حسن الرعي، والثناء، وحفظ العهد. ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ "من" للبيان لا للتبعيض؛ لأن

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

جميعهن محسنات. ﴿بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: يعني الزنا، وقيل: عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام، أو تكليفه ما يشق عليه، وقيل: عموم في المعاصي. ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن؛ لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرئ "يضاعف" بالياء، ورفع "العذاب" على البناء للمفعول، وبالنون ونصب "العذاب" على البناء للفاعل. ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرئ بالياء حملا على لفظ "من"، وبالتاء حملا على المعنى، وكذلك ﴿وَتَعْمَلْ﴾، والقنوت هنا بمعنى الطاعة. ﴿نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: نضاعف لهن ثواب الحسنات. ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني في الجنة، وقيل: في الدنيا؛ والأول هو الصحيح. ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ فضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى؛ فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه قد يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم ابنت عمران، وآسية امرأة فرعون، لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نهى عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء. ﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: فجور وميل للنساء، وقيل: هو النفاق؛ وهذا بعيد في هذا الموضع. ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ هو الصواب من الكلام، أو الذي ليس فيه شيء مما نهي عنه. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف، ويحتمل وجهين؛ أن يكون من الوقار، أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت، وأما القراءة بالفتح، فمن القرار في الموضع على لغة من يقول: قررت بالكسر أقرر بالفتح، والمشهور في اللغة عكس ذلك، وقيل: هي من قار يقار إذا اجتمع، ومعنى القرار أرجح؛ لأن سودة ﵂ قيل لها: لم لا تخرجين؟ فقالت: أمرنا الله أن نقر في بيوتنا، وكانت عائشة ﵂ إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار ﵁: إن الله أمرك أن تقري في بيتك. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج: هو إظهار الزينة. ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أي: مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف، والتعرض للنظر، وجَعْلَها "أولى" بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل "الجاهلية الأولى" ما بين آدم ونوح، وقيل: ما بين موسى وعيسى. ﴿الرِّجْسَ﴾ أصله النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منادى،

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰئِمِينَ وَٱلصَّٰئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلَا مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا اَن تَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنَ اَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبي ﷺ: هم أزواجه وذريته، وأقاربه كالعباس وعلي ﷺ، وكل من حرمت عليه الصدقة، وقيل: المراد هنا أزواجه خاصة، و"البيت" على هذا: المسكن؛ وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال: عنكن، وروي أن النبي ﷺ قال: «**نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ، وفي علي، وفاطمة، والحسن، والحسين**» [الطبري: 20/ 266]. ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ خطاب لأزواج النبي ﷺ خصصهن به بعد دخولهن مع أهل البيت، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكر بالقلب، و﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ هي القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ هي السنة. ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية، سببها أن بعض النساء قلن: ذكر الله الرجال ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء. ﴿وَالْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ﴾ الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه: باختلاف المعنى كقوله: ﴿لَمْ تُومِنُوا وَلَكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾، وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُومِنِينَ﴾ الآية، وبالعموم فيكون الإسلام أعم؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص؛ لأنه بالقلب خاصة؛ وهذا هو الأظهر في هذا الموضع. ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة. ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ يحتمل أن يكون من صدق القول، أو من صدق العزم، أو العهد. ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ﴾ الآية، معناها: أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله، والضمير في قوله ﴿مِنَ اَمْرِهِمْ﴾ راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله "لمومن ولا مومنة"؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها، وقيل: سببها أن رسول الله ﷺ خطب امرأة؛ ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية، قالوا: رضينا يا رسول الله! [الطبري: 19/ 113]، واختلف هل هذه المخطوبة زينب ابنت جحش أو غيرها؟ وقد قيل: إنها أم كلثوم ابنت عقبة بن أبي معيط.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي ﷺ، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ بالعتق، وكانت عند زيد زينب بنت جحش ﷺ؛ وهي بنت أميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد ﷺ إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك، واتق الله» [البخاري: 6984]؛ يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة، أو اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أبغض المباح إلى الله الطلاق» [أبو داود: 2178]. ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب، ولكنه خاف أن يسلط الناس عليه ألسنتهم؛ وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه ﷺ كان حريصا على أن يطلق زيد زينب؛ ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه، ولحسبها، فقال: «أمسك عليك زوجك»، وهو يخفي الحرص عليها، خوفا من كلام الناس؛ لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزويجها، فقالت عائشة ﷺ: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي، لكتم هذه الآية لشدتها عليه، وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ ما أعلمه الله به من ذلك.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ﷺ، والوطر الحاجة، قال ابن عطية: يراد به هنا الجماع؛ والأحسن أن يكون أعم من ذلك، أي: لما لم يبق لزيد ﷺ فيها حاجة، زوجها الله من نبيه ﷺ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سماوات. واستدل بعضهم بقوله "زوجناكها" على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق: أنكحه إياها، بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليعلم المؤمنون أن تزويج نساء أدعيائهم حلال لهم؛ فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء في الحقيقة.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ المعنى: أن تزوج النبي ﷺ زينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين، و"فرض" هنا بمعنى قسم الله له.

سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ أي: عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم، وقيل: الإشارة بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى؛ والعموم أحسن، ونصب "سنة" على المصدر، أو على إضمار فعل، أو على الإغراء. ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ صفة لـ"الذين خلوا من قبل" وهم الأنبياء، أو رفع على إضمار مبتدأ، أو نصب بإضمار فعل. ﴿ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ هذا رد على من قال في زيد بن حارثة: زيد ابن محمد، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زيد، وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ﵄؛ لأنه ﷺ ليس أبا لهما في الحقيقة؛ لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارا، فليسوا من الرجال. ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: آخرهم، فلا نبي بعده ﷺ، وقرئ بكسر التاء، بمعنى أنه ختمهم، فهو خاتم، وبالفتح بمعنى أنهم ختموا به؛ فهو كالخاتم والطابع لهم، فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان، فيكون بعده عليه الصلاة والسلام، فالجواب: أن النبوة أوتيت عيسى قبله ﷺ، وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام؛ فكأنه واحد من أمته. ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذكر أسماء الله تعالى. ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر؛ والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية: أراد في كل الأوقات فحد النهار بطرفيه. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَآئِكَتُهُ﴾ هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ "يصلي" في المعنيين على اختلافهما، وقيل: إنه على حذف تقديره: وملائكته يصلون. ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني يوم القيامة، وقيل: في الجنة؛ وهو الأرجح لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض، أو قول الملائكة لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي: يشهد على أمته.

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُومِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره وإرساله. ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ استعارة للنور الذي تضمنه الدين. ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف، والآخر: احتمل إذايتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل. ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُومِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، معناها: سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول، فالنكاح في الآية هو العقد، والمس هو الجماع. و﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ من العدد. ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول سواء فُرض لها أو لم يفرض لها صداق، وقوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها، يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها، وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة، أو منسوخة بها؟ ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه ومخصصة لعمومها. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر: أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها؛ وهذا أوسع من الأول. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين. ويعني بقوله: ﴿أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ الغنائم. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ يعني قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه، وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون: نحن أخوال رسول الله ﷺ، فمن قال: إن المراد بقوله "أحللنا لك أزواجك" من كان في عصمته، فهذا عطف عليهن وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته، ومن قال: إن المراد جميع النساء، فهذا تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم. ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيص تحرز به ممن لم

وَٱمْرَأَةً مُّومِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيٓءِ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيٓءُ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُومِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُوْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ

يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة. ﴿وَامْرَأَةً مُّومِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيٓءِ﴾ أباح الله له ﷺ من وهبت له نفسها من النساء، واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس ﷺ: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بنكاح، أو ملك يمين لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا قراءة الجمهور "إن وهبت" بكسر الهمزة؛ أي: إن وقع، وقيل: قد وقع ذلك، وهو على هذا القول قرئ "أن وهبت" بفتح الهمزة، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟ فقيل: ميمونة بنت الحارث ﷺ، وقيل: زينب بنت خزيمة ﷺ أم المساكين، وقيل: أم شريك الأنصارية ﷺ، وقيل: أم شريك العامرية ﷺ. ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُومِنِينَ﴾ أي: هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي ﷺ دون غيره، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده، وقيل: إن "خالصة" يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له ﷺ؛ لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد خلافا لأبي حنيفة، وإعراب "خالصة" مصدر، أو حال، أو صفة لـ"امرأة". ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعني أحكام النكاح من الصداق والولي والاقتصار على أربع وغير ذلك. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلق بالآية التي قبله، أي: قد بينا أحكام النكاح؛ لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز، وقال الزمخشري: يتعلق بقوله "خالصة لك". ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ معنى "ترجي" تؤخر وتبعد، ومعنى "تؤوي" تضم وتُقرب، واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء، فقيل: إن ذلك في القسمة بينهن؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقلل لمن شئت، وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك من شئت، وتطلق من شئت، وقيل: معناه تتزوج من شئت، وتترك من شئت؛ والمعنى على كل قول توسعة على النبي ﷺ وإباحة له أن يفعل ما يشاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه، أخذا منه بأفضل الأخلاق مع ما أباحه الله له، والضمير في قوله "منهن" يعود على أزواج النبي ﷺ خاصة، أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم. ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: من كنت عزلته من نسائك، فلا جناح عليك في رده بعد عزله، والآخر: من ابتغيت ومن عزلت سواء في إباحة ذلك، فـ"من" للتبعيض على القول الأول، وأما على الثاني فنحو قولك: من لقيك ممن لم يلقك سواء.

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: إذا علمن أن هذا حكم الله قرت بـه أعينهن، ورضين به، وزال ما كان بهن من الغيرة؛ فإن سبب نزول هذه الآية؛ ما وقع بين أزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض. ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن، قال ابن عباس ﷺ: لما خيرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله، جازاهن الله على ذلك بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن، والقول الثاني: لا يحل لك النساء غير الأصناف التي سميت، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ أي: لا يحل لك غير من ذكر حسبما تقدم، وقيل: معنى "لا يحل لك النساء" لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات؛ وهذا بعيد. واختلف في حكم هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بقوله "إنا أحللنا لك أزواجك" على القول بأن المراد جميع النساء، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته؛ وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ﷺ، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها، وقيل: معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء؛ بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته؛ وهذا ضعيف. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإماء، والاستثناء في موضع رفع على البدل من "النساء"، أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حسنهن. ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية: على ما رواه أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش ﷺ، أولم عليها فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، فمر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف فخرجوا عند ذلك، وقال ابن عباس ﷺ نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام، فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأُمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا، قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس ﷺ أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعل قول ابن عباس ﷺ في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم،

غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ

والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمنت الحكمين. ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإنى: هو الوقت، وقيل: إنَا الطعام نضجه وإدراكه، يقال: أنى يأني إناء. ﴿وَلَكِنِ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها. ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدب أدب الله به الثقلاء، وقالت عائشة رضي الله عنها: حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم. ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوف على "غير ناظرين"، أو تقديره: ولا تدخلوا مستانسين، ومعناه: النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستانسوا حديث أهل البيت؛ واستئناسه تسمعه وتجسسه. ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يعني جلوسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن. ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ تقديره: فيستحيي من إخراجكم بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حق لا يتركه الله. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع الحاجة من أثاث وغيره، وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ؛ وسببها ما رواه أنس رضي الله عنه من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب، وقيل: سببها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشار على رسول الله ﷺ بأن يحجب نساءه، فنزلت الآية موافقة لقول عمر رضي الله عنه، وقال بعضهم: لما نزلت في أمهات المؤمنين. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كن لا يجوز للنساء كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يراهن متنقبات ولا غير متنقبات، فخصصن بذلك دون سائر النساء. ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال. ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ﴾ سببها أن بعض الناس قالوا: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجتُ عائشة رضي الله عنها، فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له ﷺ. ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية، لما أوجب الله الحجاب، أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة؛ وهم الآباء، والأبناء، والإخوة وأولادهم، وأولاد الأخوات.

وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

﴿وَلا نِسَآئِهِنَّ﴾ قيل: يريد بالنساء القرابة والمتصرفات لهن، وقيل: يريد جميع نساء المؤمنات؛ ويقوي الأول تخصيص النساء بالإضافة إليهن، ويقوي الثاني أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ اختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين؟ فقيل: الإماء دون العبيد، وقيل: الإماء والعبيد؛ وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى هذا، فقال قوم: من ملكته من العبيد دون من ملكه غيرهن؛ وهذا هو الظاهر من لفظ الآية، وقال قوم: بل جميع العبيد كان في ملكهن أو في ملك غيرهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَآئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ﴾ هذه الآية تشريف للنبي ﷺ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَآئِكَتُهُ﴾. ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرض إسلامي؛ فالأمر به محمول على الوجوب وأقله مرة في العمر، وأما حكمها في الصلاة؛ فمذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه، ومذهب مالك أنها سنة، وصفتها ما ورد في الحديث الصحيح: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد**» [مسلم: 934] وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا، أما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة، أو السلام عليه حين لقائه؛ وأما السلام عليه بعد موته، فقد قال ﷺ: «**من سلم علي قريبا سمعته، ومن سلم علي بعيدا بلغته، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**». ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذاية الله هي بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه، وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله؛ والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «**يقول الله تعالى: يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني**» [البخاري: 3193]، وأما إذاية رسول الله ﷺ؛ فهي التعرض له بما يكره من الأقوال والأفعال، وقال ابن عباس ﷺ: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي ﷺ. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الآية في البهتان؛ وهو ذكر

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ

الإنسان بما ليس فيه، وهو أشد من الغيبة مع أن الغيبة محرمة؛ وهي ذكره بما فيه مما يكره. ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب؛ ليسترن بذلك وجوههن، ويقع الفرق بين الحرائر والإماء، والجلابيب جمع جلباب؛ وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل: هو الرداء، وصورة إدنائه عند ابن عباس ﷺ أن تلويه على وجهها؛ حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقيل: تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل: أن تغطي نصف وجهها. ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤذَيْنَ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء؛ فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي، إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء، وربما تعرض لهن السفهاء. ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآية، تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا، وقيل: إنهم لم ينتهوا ولم ينفذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة، وقيل: إنهم انتهوا وستروا أمرهم فكف عنهم إنفاذ الوعيد، والمنافقون هم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر. ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبوت عليه، وقيل: هم الزناة كقوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف مفترقة، أو تكون داخلة في جملة المنافقين ثم جردها بالذكر. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلطك عليهم، وهذا هو الوعيد. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور لـ"المدينة". ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا، أو وقتا قليلا، أو عددا قليلا منهم، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات فـ"قليلا" على الاحتمال الأول مصدر، وعلى الثاني ظرف، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء. ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ منصوب على الذم، أو بدل من "قليلا" على الوجه الثالث، أو حال من ضمير الفاعل في "يجاورونك" تقديره: سينفون ملعونين. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوآ أُخِذُوا﴾ أي: حيث ما ظفر بهم أسروا، والأخذ الأسر. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته، ونصبه على المصدر.

فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ يعني المنافقين من الأمم المتقدمة، وقيل: يعني كفار بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا. ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال "قريبا" بالتذكير والساعة مؤنثة على تقدير: شيئا قريبا، أو زمانا قريبا، أو لأن تأنيثها غير حقيقي. ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ العامل في "يوم" قوله ﴿يَقُولُونَ﴾، أو ﴿لا يَجِدُونَ﴾، أو محذوف، و"تقليب وجوههم" تصريفها في جهات النار، كما تدور البضعة في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة، أو تغييرها عن أحوالها. ﴿لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذايتهم له ما ورد في الحديث: «**أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آدر، فاغتسل موسى يوما وحده، وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه، واتبعه موسى وهو يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، فمر في أتباعه على ملأ من بني إسرائيل، فرأوه سليما مما قالوا، فذلك قوله "فبرأه الله مما قالوا"**» [البخاري: 3404]. وقيل: إذايتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر، فبرأ الله موسى، وروي أنه حيي فأخبرهم ببراءة موسى؛ والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح. ﴿قَوْلاً سَدِيدًا﴾ قيل: يعني لا إله إلا الله؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ "الامانة" هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات

وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُومِنِينَ وَٱلۡمُومِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غسل الجنابة؛ والصحيح العموم في التكاليف، وعرضها على السماوات والأرض والجبال يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت عليها الأمانة حقيقة، فأشفقت منها وامتنعت من حملها، والثاني: أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثقل بحيث أنها لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين من حملها وأشفقن منها، فهذا ضرب من المجاز، كقولهم: عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله.

﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ أي: التزم الإنسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول، و"الإنسان" هنا جنس، وقيل: يعني آدم، وقيل: قابيل الذي قتل أخاه. ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة، فإن حمل الأمانة كان سبب تعذيب المنافقين والمشركين، ورحمة للمؤمنين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾

سورة سبأ

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ يحتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة، وعلى هذا حمله الزمخشري، ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق فيجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه الحمد في الآخرة كقوله: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس، أو يريد به قوله ﴿وَءاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾. ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب. ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى. ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ معطوف على "مثقال"، وقال الزمخشري: هو مبتدأ، لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف، ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع "أصغر" و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا الموضع، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة، وإنما الخلاف في يونس. ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ. ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ يتعلق بقوله "لتاتينكم"، أو بقوله "لا يعزب"، أو بمعنى قوله "في كتاب مبين". ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مبتدأ وخبره الجملة بعده، وقال ابن عطية: هو معطوف على "الذين" الأول، وقد ذُكر في الحج معنى: ﴿سَعَوْا﴾ و﴿مُعَاجِزِينَ﴾. ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع صفة لـ"عذاب"، وبالخفض صفة لـ"رجز". ﴿وَيَرَى﴾ معطوف على "ليجزي" أو مستأنف؛ وهذا أظهر. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الصحابة، أو من أسلم من أهل الكتاب، أو على العموم. ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول ثان لـ"يرى" لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصل.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل؛ يعنون محمدا ﷺ. ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى "مزقتم"؛ أي: بليتم في القبور وتقطعت أوصالكم، و"كل ممزق" مصدر، والخلق الجديد هو الحشر في القيامة، والعامل في "إذا" معنى "إنكم لفي خلق جديد"؛ لأن معناه تبعثون إذا مزقتم، وقيل: العامل فيها فعل مضمر مقدر قبلها؛ وذلك ضعيف، و"إنكم لفي خلق جديد" معمول "ينبئكم"، وكسرت "إن" للام التي في خبرها، ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم في الأرض، ومرادهم استبعاد الحشر. ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة. ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ هذا رد عليهم، أي: أنه لم يفتر على الله كذبا، وليس به جنة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب، ويحتمل أن يريد بـ"العذاب" عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق ومحاولة ظهور الباطل. ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الضمير في "يروا" للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم لأنهما محيطتان بهم، والمعنى: أولم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديدا لهم، ثم فسره بقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: أفلم يروا إلى السماء والأرض وأنهما محيطتان بهم فيعلموا أنهم لا مهرب لهم من الله. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى إحاطة السماء والأرض بهم، أو إلى عظمة خلقة السماء والأرض فإن فيهما آية تدل على البعث. ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل، ومعنى "أوبي" سبحي، وأصله من التأويب وهو الترجيع؛ لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه، وقيل: هو من التأويب بمعنى السير بالنهار، وقيل: كان ينوح فتساعده الجبال بصداها والطير بأصواتها. ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطف على موضع "يا جبال"، وقيل: مفعول معه، وقيل: عطف على "فضلا"، وقرئ بالرفع عطفا على لفظ "يا جبال".

وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين، وقيل: لان له الحديد لشدة قوته. ﴿سَابِغَاتٍ﴾ هي الدروع الكاسية. ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل: لا تجعل المسمار رقيقا ولا غليظا. ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ خطاب لداود وأهله. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ بالنصب على تقدير: سخرنا، وقرئ بالرفع على الابتداء. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيما رُوي أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس ﵄: كانت تسيل له باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب، و"القطر" النحاس، وقيل: "القطر" الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون، وقيل: المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني نار الآخرة، وقيل: كان معه ملك يضربهم بسوط من نار. ﴿مَحَارِيبَ﴾ هي القصور، وقيل: المساجد. ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ قيل: إنها كانت على غير صور الحيوان، وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزا عندهم. ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية؛ وهي البركة التي يجتمع فيها الماء. ﴿راسِيَاتٍ﴾ أي: ثابتات في مواضعها لا يستطيع أحد أن ينقلها لعظمها. ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب "شكرا" على أنه مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال تقديره: شاكرين، أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره: اشكروا شكرا، أو مفعول به. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يحتمل أن تكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد ﷺ. ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ المنسأة هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز، و"دابة الأرض" هي الأرضة، وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره، وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلي متكئا على عصاه، فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا،

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً

فخر إلى الأرض، واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحته. ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر، و﴿أَن﴾ وما بعدها بدل من "الجن"، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، وقيل: "تبينت" بمعنى علمت، و"أن" وما بعدها مفعول به على هذا، والمعنى: علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحققوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب وأنهم كاذبون في دعوى ذلك. ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان. ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ ءايَةٌ﴾ سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وقيل: باسم أمها، وقيل: باسم موضعها؛ والأول أشهر لأنه ورد في الحديث، وكانت مساكنهم بين الشام واليمن. ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم واد وكانت الجنات عن يمينه وشماله، و"جنتان" بدل من "ءاية"، أو مبتدأ، أو خبر مبتدأ محذوف. ﴿كُلُوا﴾ تقديره: قيل لهم كلوا من رزق ربكم، قالت لهم ذلك الأنبياء، وروي أنهم بعث إليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام. ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنات، فأرسل الله على السد الجرذ وهي دويبة خربته فيبست الجنات، وقيل: لما خرب السد حمل السيل الجنات وكثيرا من الناس، واختلف في معنى "العرم" فقيل: هو السد، وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل: معناه الشديد فكأنه صفة للسيل من العرامة، وقيل: هو الجرذ الذي خرب السد، وقيل: المطر الشديد. ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل بضم الهمزة المأكول، والخمط شجر الأراك، وقيل: كل شجر ذات شوك، والأثل شجر يشبه الطرفا، والسدر شجر معروف، وإعراب "خمط" بدل من "أكل" أو عطف بيان، وقرئ بالإضافة، و"أثل" عطف على الأكل لا على "خمط"؛ لأن الأثل لا أكل له، والمعنى: أنهم لما هلكت الجنتان المذكورتان قيل: أبدلهم الله منهما جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق. ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ معناه: لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور؛ لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾

وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ

هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم، ويعني بـ"القرى" التي باركنا فيها الشام، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام، ومعنى "ظاهرة" يظهر بعضها من بعض لاتصالها، وقيل: مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية: معناه خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة؛ أي: خارجها.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى، ولا يخاف جوعا ولا عطشا، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا يخاف من أحد. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ "باعد" و"بعد" بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب، والمعنى: أنهم بطروا النعمة وملوا العافية وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجل الله إجابتهم، وقرئ "باعد" بفتح العين على الخبر، والمعنى أنهم قالوا: إن الله باعد بين قراهم؛ وذلك كذب وجحد للنعم.

﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ يعني بقولهم "باعد بين أسفارنا"، أو بذنوبهم على الإطلاق. ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفُرقتهم، فقيل: تفرقوا أيدي سبا، وفي الحديث: «**إن سبا أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلدهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة**» [الترمذي: 3222]. ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: وجد ظنه فيهم صادقا؛ يعني قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾. ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ تعجيز للمشركين وإقامة الحجة عليهم، ويعني بـ"الذين زعمتم" آلهتهم، ومفعول "زعمتم" محذوف، أي: زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء، وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشا. ﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي: نصيب، والـ ﴿ظَهِيرٍ﴾ المعين. ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له أن يشفع؛ فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، وقيل: المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله أن يُشفع فيه، والمراد أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله؛

حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ

ففي ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون ﴿هَؤُلَآءِ شُفَعَآؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام، فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق، ومعنى "فزع عن قلوبهم" زال عنها الفزع، والضمير في "قلوبهم" وفي "قالوا" للملائكة، فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه؟ فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له"؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة، فإن قيل: بم اتصل قوله "حتى إذا فزع عن قلوبهم"، ولأي شيء وقعت "حتى" غاية؟ فالجواب: أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَآئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾، ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى "فزع عن قلوبهم" رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق، فيقرون حين لا ينفعهم الإقرار؛ والصحيح أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الرد على الكفار الذين عبدوا الملائكة، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له. ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة. ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل، ولا تعين بالتصريح أحدهما، ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل، والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى وأن الكفار في ضلال مبين. ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ إخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف. ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، والفتاح الحاكم. ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَآءَ﴾ إقامة حجة على المشركين،

كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ

والرؤية هنا رؤية قلب فـ"شركاء" مفعول ثالث، والمعنى: أروني بالحجة والدليل من هم له شركاء عندكم وكيف وجه الشركة، وقيل: هي رؤية بصر، و"شركاء" حال من المفعول في "ألحقتم"، كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟ وفي قوله: "أروني" تحقير للشركاء وازدراء بهم وتعجيز للمشركين، وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن الإشراك، وفي وصف الله بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى: أن الله أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء، وإعراب "كافة" حال من "الناس" قدمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية، وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس، فـ"كافة" صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج: المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والتبشير، فجعله حالا من الكاف، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء في راوية وعلامة. ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ يعني يوم القيامة أو نزول العذاب بهم في الدنيا، وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: متى هذا الوعد؟ ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل، وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ، وقيل: "الذي بين يديه" يوم القيامة؛ وهذا خطأ وعكس، لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدم عليه. ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لرأيت أمرا عظيما. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي: يتكلمون ويجيب بعضهم بعضا. ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كفرتم باختياركم لا بأمرنا. ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا، وإعراب "مكر" مبتدأ وخبره محذوف أو خبر ابتداء مضمر، وأضاف "مكر" إلى "الَّيل والنهار" على وجه الاتساع،

وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلٗا وَأَوْلَٰدٗا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٖ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول، أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم؛ أي: يصام فيه ويقام، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار، فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا؟ فالجواب: أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها فهو من الأضداد، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين. ﴿مُتْرَفُوهَا﴾ يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، والقصد بالآية تسلية النبي ﷺ عن تكذيب أكابر قريش له. ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا﴾ الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين، قاسوا أمر الآخرة على الدنيا، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة. ﴿قُلِ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر والعاصي ويضيق على المؤمن والمطيع وبالعكس، فليس في الدنيا دليل على أمر الآخرة. ﴿زُلْفَى﴾ مصدر بمعنى القرب كأنه قال: تقربكم قربى. ﴿إِلَّا مَنَ ـامَنَ﴾ استثناء من المفعول في "تقربكم"، والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل: الاستثناء منقطع؛ والأول أحسن. ﴿جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك. ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ الآية، كررت هنا لاختلاف القصد؛ فإن القصد بالأول رد على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين في الإنفاق. ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الخلف قد يكون بالمال أو بالثواب.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم. ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل: كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم قد عبدوا الجن لقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ﴾. ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية، معناها يحتمل وجهين؛ أحدهما: ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه، فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها؛ فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر: أنه ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير، فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم فلذلك بعث الله إليهم محمدا ﷺ، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد ﷺ. ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ المعشار العشر، وقيل: عشر العشر؛ والأول أصح، والضمير في "بلغوا" لكفار قريش وفي "آتيناهم" للكفار المتقدمين، أي: أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله للمتقدمين من القوة والأموال، وقيل: الضمير في "بلغوا" للمتقدمين وفي "ءاتيناهم" لقريش، أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة؛ والأول أصح وهو نظير قوله: ﴿كَانُوٓا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، يعني عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: بقضية واحدة تقريبا عليكم. ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير للقضية الواحدة، فـ"أن تقوموا" بدل، أو عطف بيان، أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياما خالصا لله ليس فيه

مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ

اتباع هوى ولا ميل، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه. ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ حال من الضمير في "تقوموا" والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق، وتقوموا واحدا واحدا لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أنه ما به من جنة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومتانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغا عظيما، فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله. ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح، أي: تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة، وقيل: هو استئناف. ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئا فخذه، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾. ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ القذف الرمي، ويستعار للإلقاء؛ فالمعنى يلقي الحق إلى أنبيائه، أو يرمي الباطل بالحق فيذهبه. ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدل من الضمير في "يقذف"، أو من اسم "إن" على الموضع. ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ يعني الإسلام. ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ "الباطل" الكفر، ونفي الابتداء والإعادة عبارة عن أنه لا يفعل شيئا ولا يكون له ظهور، أو عبارة عن ذهابه، كقوله: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ وقيل: "الباطل" الشيطان. ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ يعني قربه تعالى بعلمه وإحاطته. ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لرأيت أمرا عظيما، ومعنى "فزعوا" أسرعوا الهروب، والفعل ماض بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال، ووقت الفزع البعث، وقيل: الموت، وقيل: يوم بدر. ﴿فَلَا فَوۡتَ﴾ أي: لا يفوتون الله إذ هربوا. ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ يعني من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر إلى القليب، والمراد على كل قول سرعة أخذهم. ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم،

وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

والضمير المجرور لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام. ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ "التناوش" بالواو التناول إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحدا أو يكون المهموز بمعنى الطلب، ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم، والمكان البعيد عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون؛ وهو رجوعهم إلى الدنيا وانتفاعهم بالإيمان حينئذ. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه في قولهم "ءامنا به". ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ "يقذفون" فعل ماض في المعنى معطوف على "كفروا"، ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام: إنه ساحر أو شاعر، والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة، وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يعني الكفار المتقدمين، وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم في مذاهبهم، و"من قبل" يحتمل أن يتعلق بـ"فُعل" أو "بأشياعهم" على حسب معنى ما قبله. ﴿فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ هو أقوى الشك وأشده إظلاما.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٞ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٞ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

سورة فاطر

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء ومتصرفين في أمر الله. ﴿مثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ صفات للأجنحة، ولم ينصرف للعدل والوصف، والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قيل: يعني حسن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الخط؛ والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين. ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الفتح عبارة عن العطاء، والإمساك عبارة عن المنع، والإرسال الإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة؛ فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله، فإن قيل: لم أنث الضمير في قوله "فلا ممسك لها"، وذكره في قوله ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ وكلاهما يعود على "ما" الشرطية؟ فالجواب: أنه لما فسر الأولى بقوله "من رحمة" أنثه لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد إمساكه. ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ رفع "غير" على الصفة لخالق على الموضع، وخفضه صفة على اللفظ، ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات؛ والمعنى: تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذبوك فلا تحزن لذلك، فإن الله سينصرك كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله. ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: التسويف.

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ توقيف، وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له، ثم بني على ذلك ما بعده، فالذي زين له سوء عمله هو الذي أضله الله، والذي لم يزين له سوء عمله هو الذي هداه الله. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ تسلية للنبي ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله. ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى. ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الآية، تحتمل ثلاثة معان؛ أحدها وهو الأظهر: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله فإن العزة كلها لله، والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعا فالمغالب له مغلوب، والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل: يعني لا إله إلا الله؛ واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وتعليم العلم، فالعموم أولى. ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن ضمير الفاعل في "يرفعه" الله، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى: أن الله يرفع العمل الصالح أي: يتقبله ويثيب عليه، والثاني: أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا: أنه لا يُقبل عمل صالح إلا ممن له كلم طيب، وهذا يصح إن قلنا إن "الكلم الطيب" لا إله إلا الله، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد، والثالث: أن ضمير الفاعل للعمل الصالح وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح، روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، واستبعده ابن عطية وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يتأول أنه يزيد في رفعه وحسن موقعه. ﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ لا يتعدى مكر، فتأويله يمكرون المكرات السيئات، فتكون "السيئات" مصدرا، أو تضمن "يمكرون" معنى يكتسبون فيكون "السيئات" مفعولا، والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه، أو يحبسوه، أو يخرجوه. ﴿وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار الهلاك أو الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم. ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافا، وقيل: ذكرانا وإناثا؛ وهذا أظهر.

وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير طول العمر، والنقص قصره، والكتاب اللوح المحفوظ؛ فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله "ولا ينقص من عمره" على الشخص المعمر؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: وهو الصحيح: أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، فوضع "من معمر" موضع من أحد وليس المراد شخصا واحدا، وإنما ذلك كقولك: لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق، والثاني: أن المعنى لا يزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب؛ وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «**صلة الرحم تزيد في العمر**» [الطبراني: 8014]، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر رضي الله عنه: لو دعا الله لزاد في أجله، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتج بهذه الآية، والثالث: أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر، والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح وذلك في حق كل شخص. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ قد فسرنا البحرين، والـ﴿فُرَاتٌ﴾، والـ﴿أُجَاجٌ﴾ في الفرقان، و﴿سَائِغٌ﴾ في النحل، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده، وقال الزمخشري: والمعنى: أن الله ضرب البحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر؛ وهذا بعيد. ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجوهر والمرجان، فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب، فكيف قال "ومن كل" أي: من كل واحد منهما؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: أن ذلك تَجَوُّز في العبارة كما قال ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ والرسل إنما هي من الإنس، والثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعا، الثالث: زعم قوم أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب؛ وهذا قول يبطله الحس. ﴿مَوَاخِرَ﴾ ذكر في النحل. ﴿يُولِجُ﴾ ذكر في لقمان. ﴿قِطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر،

وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها. ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم؛ فالمصدر مضاف للفاعل، وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال. ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به، يعني نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم. ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ خطاب لجميع الناس، وإنما عرف "الفقراء" بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقر الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه: ﴿الْغَنِيُّ﴾ في مقابلة وصفهم بالفقر، ووصفه بأنه: ﴿الْحَمِيدُ﴾ ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده. ﴿وَلا تَزِرُ﴾ ذكر في سبحان. ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الحمل عبارة عن الذنوب، والمثقلة الثقيلة الحمل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب، المعنى أنها لو دعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها، وحذف مفعول "إن تدع" لدلالة المعنى وقصد العموم، وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله"ولا تزر وازرة وزر أخرى". ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المعنى: ولو كان المدعو ذا قربى ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل عنه شيئا لأن كل أحد يقول: نفسي! نفسي!. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في "يخشون"؛ أي: يخشون ربهم وهم غائبون عن عذابه أو غائبون عن الناس فخشيتهم حق لا رياء. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ تمثيل للكافر والمؤمن. ﴿وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾ تمثيل للكفر والإيمان. ﴿وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ﴾ تمثيل للثواب والعقاب، وقيل: "الظل" الجنة و"الحرور" النار، والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل، والسموم بالنهار خاصة. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء. ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن

إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم، وقيل: المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء، وقد استدلت عائشة ﵂ بالآية على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب [البخاري 9573]، ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث: بأن الموتى في القبور إذا ردت إليهم أرواحهم سمعوا وإذا لم ترد إلى أجسادهم لم يسمعوا. ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة، ألا ترى أن بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب: أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة، فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾، فالجواب: أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم، وأيضا فإن المراد بقوله "وإن من امة إلا خلا فيها نذير" أن نبوة محمد ﷺ ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله "لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك" أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية، تسلية بالتأسي. ﴿نَكِيرِ﴾ ذكر في سبأ. ﴿مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا﴾ يريد الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان، وقيل: يريد الأنواع؛ والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك، وفي الوجهين دليل على أنه تعالى فاعل مختار يخلق ما يشاء ويختار، وفيه رد على الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد. ﴿جُدَدُۢ﴾ جمع جدة وهي الخطط والطرائق في الجبال. ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غربيب وهو الشديد السواد، وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد؛ ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلفا ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها والثمرات المختلف ألوانها، وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته. ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾

علما يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «**أعلمكم بالله أشدكم له خشية**» [الثعلبي: 4/ 883]؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن، وقيل: معنى "يتلون" يتبعون؛ والأول أظهر، والخبر: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ أو محذوف. ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسد، ويعني بالتجارة طلب الثواب. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور هي ما يستحقه المطيع من الثواب، والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل: الزيادة النظر إلى وجه الله. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني أمة محمد ﷺ، والتوريث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة ﵃ وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ؛ فالظالم لنفسه العاصي، والسابق التقي، والمقتصد بينهما، وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والجميع يدخلون الجنة، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له**» [التدوين: 3/ 331] وقيل: الظالم الكافر، والمقتصد المؤمن العاصي، والسابق التقي، فالضمير في "منهم" على هذا يعود على العباد، وأما على القول الأول فيعود على "الذين اصطفينا"؛ وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث وجلالة القائلين به، فإن قيل: لم قدم الظالم ووسط المقتصد وأخر السابق؟ فالجواب: أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لئلا ييئس وأخر السابق لئلا يعجب بنفسه، وقال الزمخشري: قدم الظالم لكثرة الظالمين وأخر السابق لقلة السابقين. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى الاصطفاء. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الفضل، أو خبر مبتدأ تقديره: ثوابهم جنات عدن، أو مبتدأ تقديره: لهم جنات عدن. ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم والمقتصد والسابق على القول بأن الآية في هذه الأمة، وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة، وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة في الوعيد. ﴿أَسَاوِرَ﴾ ذكر في الحج.

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة، وقيل: الموت، وقيل: هموم الدنيا؛ والصواب العموم في ذلك كله. ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، والمقامة هي الإقامة في الموضع، وإنما سميت الجنة دار المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها ولا يخرجون منها. ﴿نَصَبٌ﴾ النصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن. ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾، وفي قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآية، توبيخ لهم وحجة عليهم، وقيل: إن مدة التذكير ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: البلوغ؛ والأول أرجح لقول رسول الله ﷺ: «**من عمَّره الله ستين سنة، فقد أعذر إليه في العمر**» [ابن حبان: 2979]. ﴿وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يعني النبي ﷺ وقيل: يعني الشيب؛ لأنه نذير بالموت؛ والأول أظهر. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تضمره الصدور وتعتقده، قال الزمخشري: "ذات" هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور. ﴿خَلَآئِفَ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿مَقْتًا﴾ المقت احتقار الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآية، احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيب. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: على أمر جلي، والضمير في "ءاتيناهم" يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين؛ وهذا أظهر في المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر.

إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

﴿أَن تَـزُولَا﴾ في موضع مفعـول من أجله تقديره: كراهة أن تزولا أو مفعول به لـ"أن". ﴿يُمۡسِكُ﴾ بمعنى يمنع. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ أي: لو فرض زوالهما لم يمسـكهما أحد، وقيل: أراد زوالهما يوم القيامة عند طي السماء، وتبديل الأرض، ونسف الجبال. ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ أي: من بعد تركه الإمساك. ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم. ﴿إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِ﴾ يعني اليهود والنصارى. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ يعني محمدا ﷺ. ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ بدل مـن "نفورا" أو مفعـول من أجله. ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك: مسـجد الجامـع وجانـب الغربي، والأصل أن يقال: المكر السيء. ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ أي: لا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس رضي الله عنه: إن في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيهـا، فقـال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا أجد هذا في كتاب الله "ولا يحيق المكر السـيئ إلا بأهلـه". ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ﴾ أي: لا يفوته شيء ولا يصعب عليه. ﴿مَا تَـرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ الضمير لـلأرض والدابة عموم في كل ما يـدب، وقيل: أراد بني آدم خاصة. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يعني يوم القيامة، وباقي الآية وعد ووعيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

سورة يس

قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء، وقيل في ﴿يَس﴾ إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا إنسان!.

﴿تَنزِيلَ﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمر، وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمر. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش، ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الناس. ﴿مَآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ "ما" نافية، والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم، وقيل: المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم؛ فـ"ما" على هذا موصولة بمعنى الذي أو مصدرية؛ والأول أرجح لقوله: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون بمعنى قوله: ﴿مآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم ولا آباؤهم الأقربون. ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً﴾ الآية، فيها ثلاثة أقوال؛ الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى، والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا، والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم؛ والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله بعدها ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ﴾ الذقن هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية، والضمير للأغلال، وذلك أن الغل حلقة في العنق، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تضم يداه في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود "إنا جعلنا في أيديهم أغلالا فهي إلى الأذقان" وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري. ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ يقال قمح البعير إذا رفع رأسه وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك، والمعنى: أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع، وقيل: معنى "مقمحون" ممنوعون من كل خير.

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآية، السد: الحائل بين الشيئين؛ وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان. ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطينا على أبصارهم، وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم. ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، ذكرنا

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾

معناها وإعرابها في البقرة. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن. ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ معناه كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ﴾، وقد ذكرناه في فاطر. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ أي: نبعثهم يوم القيامة، وقيل: إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان؛ والأول أظهر. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ﴾ أي: ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علَّموه أو تحبيس حبسوه، وقيل: الآثار هنا الخطا إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث. ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال. ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً﴾ الضمير لقريش، و"مثلا" و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ"اضرب" على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين؛ وهو الصحيح، و"القرية" أنطاكية. ﴿إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام يدعون الناس إلى عبادة الله، وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا قول قومهم: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا الاثنين برسول ثالث، وقيل: اسمه شمعون. ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جواب للمنكرين بخلاف الموضع الأول فإنه إخبار مجرد. ﴿قَالُوآ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءمنا، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على ما يكون من خير أو شر، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤوا بدين غير دينهم، وقيل: وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل: قحطوا. ﴿قَالُوا طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم، أي: إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا. ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفي الكلام حذف تقديره: أتطيرون أن ذكرتم. ﴿يَسْعَى﴾ أي: يسرع بجده

ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾

ونصيحته، وقيل: اسمه حبيب النجار. ﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرة على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئا من دنياكم، وتربحون معهم الاهتداء في دينكم. ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى: أي شيء يمنعني من عبادة ربي، وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه؛ ولذلك قال ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فخاطبهم ﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة، والمعنى: كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذونني من الضر. ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين. ﴿إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ خطاب لقومه، أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل: خطاب للرسل ليشهدوا له. ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قيل: هنا محذوف يدل عليه الكلام، وروي في الأثر: وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه، فلما مات قيل له: ادخل الجنة! واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء، أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها؟.

﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد في الحديث: «أنه نصح لهم حيا وميتا»، وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه ويحزنهم ذلك.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ المعنى: أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل: المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلا كما قالت قريش ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾، ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك. ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي: ما كنا لننزل جندا من السماء على أحد. ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي: ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون. ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة كأنه قال: يا حسرة! احضري فهذا وقتك، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم؛ لما فعلوا من استهزائهم بالرسل، ويحتمل

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾

أن يكـون من كلام الملائكـة أو المؤمنين من الناس، وقيل: المعنى يا حسرة العباد على أنفسـهم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق، والرؤية هنا بمعنى العلم. ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قرئ "لما" بالتخفيف، وهي لام التأكيد دخلت على "ما" الزائدة، و"إن" على هذا مخففة من الثقيلة، وقرئ بالتشديد، وهـي بمعنـى إلا، و"إن" على هذا نافية. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ "ما" معطوفة على "ثمـره"؛ أي: ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسـة، وقيل: "ما" نافية، وقرئ "وما عملت" بغير هاء و"ما" على هذا معطوفة. ﴿الْأَزْوَاجَ﴾ يعني أصناف المخلوقات؛ ثم فسرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾، وما بعده فـ"من" في المواضع الثلاثة للبيان. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أشـياء لا يعلمها بنو آدم كقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي: نجرده منه، وهي اسـتعارة. ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لحد مؤقت تنتهي إليه من فلكها؛ وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشـتوي والصيفي، وقيل: مسـتقرها وقوفهـا كل يـوم وقت الزوال بدليـل وقوف الظل حينئـذ، وقيل: مسـتقرها يوم القيامة حـين تكور، وفي الحديث: «مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها» [مسلم: 159]؛ وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، وقرئ "لا مستقر لها"؛ أي: لا تسـتقر عن جريها. ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ قـرئ بالرفـع على الابتداء أو عطف عـلى "اللَّيْل"، وبالنصب على إضمار فعل، ولا بـد في "قدرناه" من حذف تقديره: قدرنا سيره منازل؛ ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر في آخر الشهر ليلة أو ليلتين، قال الزمخشري: وهذه المنازل هي مواقع النجوم وهي؛ السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرفا، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوى، السماك، الغفر، الزبنان، الإكليل، القلب، الشـولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سـعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشـا. ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ "العرجون" هو غصن النخلة؛ شبه القمر

لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾

به إذا تناهى في نقصانه، والتشبيه في ثلاثة أوصاف وهي؛ الرقة والانحناء والصفرة، ووصفه بـ"القديم"؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، هكذا قال بعضهم، ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة، وسير القمر سريع فإنه يقطع الفلك في شهر؛ والبطيء لا يدرك السريع. ﴿وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه؛ فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه فيكون المعنى كالذي قيل في قوله "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر"، فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ معنى "المشحون" المملوء، و"الفلك" هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه السلام، وأما الذرية؛ فقيل: يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام، وسمى الآباء ذرية؛ لأن الذرية تناسلت منهم، وأنكر ابن عطية ذلك، وقيل: يعني النساء؛ وذلك بعيد، والأظهر أنه أراد بـ"الفلك" جنس السفن، فيعني جنس بني آدم، وإنما خص ذريتهم بالذكر؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة، وإن أراد بـ"الفلك" سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة، وسماهم ذرية لأنهم ذرية آدم ونوح؛ فالضمير في "ذريتهم" على هذا النوع بني آدم، كأنه يقول: الذرية منهم. ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد بـ"الفلك" سفينة نوح، فيعني بقوله "من مثله" سائر السفن التي يركبها الناس، وإن أراد بـ"الفلك" جنس السفن، فيعني بقوله "من مثله" الإبل وسائر المركوبات؛ فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير؛ والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن. ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ قال الكسائي: نصب "رحمة" على الاستثناء كأنه قال: إلا أن نرحمهم. وقال الزجاج: نصب "رحمة" على المفعول من أجله كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إياهم. ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني آجالهم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش،

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ

وجواب "إذا" محذوف تقديره: أعرضوا، يدل عليه ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم؛ ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة، وقيل: ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم عذاب الآخرة. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضون الناس على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان؛ أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين، لو يشاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمن حرمهم الله نحرمهم نحن ، وهذا كقولهم: كن مع الله على المدبر، والآخر: أن قولهم رد على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: إن الأمور كلها بيد الله، فكان الكفار يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟ ومقصدهم في الوجهين احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات، واستهزاء بمن حضهم على الصدقة. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطابا للمؤمنين، أو يكون من كلام الله خطابا للكافرين. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم. ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة؛ يعني: النفخة الأولى في الصور وهي نفخة الصعق. ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: تأخذهم بغتة وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم، وأصل "يخصمون": يختصمون ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وكسرها واختلاس حركتها. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الأمر. ﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور، و"الأجداث": هي القبور، و"ينسلون" يسرعون المشي، وقيل: يخرجون. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الويل منادى أو مصدر. ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان، قال أبي بن كعب ﷺ ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم "من مرقدنا" أنها استعارة وتشبيه به، يعني أن قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الراقد وإن لم يكن رقاد في الحقيقة.

هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ "هذا" مبتدأ، وما بعده خبر، وقيل: إن "هذا" صفة لـ"مرقدنا"، و"ما وعد" مبتدأ محذوف الخبر؛ وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم، أو يكون من كلام الله تعالى، أو من كلام الملائكة، أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقريع. ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني النفخة الثانية وهي نفخة القيام. ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ قيل: هو افتضاض الأبكار، وقيل: سماع الأوتار؛ والأظهر أنه عام في الاشتغال بالنعيم واللذات. ﴿فَاكِهُونَ﴾ قرئ بالألف، ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور. ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ جمع ظل، وقرئ بالضم جمع ظلة. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير. ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنون، وقيل: معناه أن ما يدعون به يأتيهم. ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ، وقيل: بدل من "ما يدعون". ﴿قَوْلاً﴾ مصدر مؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملائكة أو بغير واسطة. ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة. ﴿جِبِلاًّ كَثِيرًا﴾ الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء؛ وهي لغات بمعنى واحد. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديد لقريش، والطمس على الأعين هو العمى، و﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق، و﴿أَنَّى﴾ استفهام يراد به النفي؛ فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه،

وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾

وقيل: يعني عمي البصائر؛ أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم؛ و"الصراط" على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ هذا تهديد بالمسخ، فقيل: معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة، وقيل: معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفا، وقيل: إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة؛ والأظهر أنه في الدنيا. ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة المكان، والمعنى: لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم في مكانهم. ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: إذا مسخوا في مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا. ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي: نحول خلقته من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً﴾، وإنما قصد بذكر ذلك هنا الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم. ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ الضميران لمحمد ﷺ، وذلك رد على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا ينظم الشعر ولا يزنه وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه، فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**» [البخاري: 2709]، وروي عنه أيضا: «**هل أنتِ إلا أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت**» [البخاري: 2647] وهذا الكلام على وزن الشعر، فالجواب: أنه ليس بشعر، وأنه لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال في ما جاء في القرآن من الكلام الموزون، ويقتضي قوله "وما ينبغي له" تنزيه النبي ﷺ عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز، حتى قيل: إن الشعر أطيبه أكذبه، وليس كل الشعر كذلك فقد قال ﷺ: «**إن من الشعر لحكمة**» [ابن ماجه: 3755]، وقد أكثر الناس في ذم الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلام، والكلام منه حسن ومنه قبيح. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن، أي: أنه ذكر لله، أو تذكير للناس، أو شرف لهم. ﴿لِّتُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: حي القلب والبصيرة. ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجب عليهم العذاب. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ مقصد الآية تعديد نعمة وإقامة حجة، والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة، وعند أهل التسليم من المتشابه الذي يجب الإيمان به وعلمه عند الله. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب بفتح الراء هو المركوب.

وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٌ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ يعني الأكل منها، والحمل عليها، والانتفاع بالجلود والصوف وغيره. ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني الألبان. ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في "يستطيعون" للأصنام، وفي "نصرهم" للمشركين، ويحتمل العكس؛ والأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلهم ينصرون، أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ الضمير الأول للمشركين والثاني للأصنام، يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند، وقيل: بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة؛ والأول أرجح لأنه تقبيح لحال المشركين. ﴿فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسلية للنبي ﷺ معللة بما بعدها. ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة وردّ على من أنكر ذلك، والـ"نطفة" هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدر على أن يخلقه من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية: أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال له: يا محمد! من يحيي هذا؟ وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف، فقال له رسول الله ﷺ: «الله يحييه ويميتك، ثم يحييك ويدخلك جهنم» [الحاكم: 3606]. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: متكلم قادر على الخصوم يبين ما في نفسه بلسانه. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ إشارة إلى قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه، والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك. ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتتة. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلال بالخلقة الأولى على البعث. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها، والـ"خلق" هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

من الكفار والطبائعيين قالوا: طبع الموت يضاد طبع الحياة، فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء مع مضادة طبع الماء للنار، ويعني بـ"الشجر" زناد العرب؛ وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء، فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما، قال ابن عباس ﷺ: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب، ولكنه في المرخ والعفار أكثر. ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلقة السماوات والأرض على عظمتهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، والضمير في "مثلهم" يعود على الناس. ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ في ذكر هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث، وكذلك في قوله ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد. ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلال على البعث، وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث، فإنهم ما قدَروا الله حق قدره، وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾

سورة الصافات

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ تقديره: والجماعات الصافات ثم اختلف فيها، فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله، وقيل: هي من يصف من بني آدم في الصلاة والجهاد؛ والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾. ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها، وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم، وقيل: هي آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصي. ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر، وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم. وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد. ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ يعني مشارق الشمس؛ وهي ثلاثمائة وستون مشرقا، وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب، واستغنى بذكر "المشارق" عن ذكر المغارب؛ لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها. ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قرئ بإضافة الـ"زينة" إلى "الكواكب"، والزينة تكون مصدرا واسما لما يزان به؛ فإن كانت مصدرا فهو مضاف إلى الفاعل تقديره: بأن زينة الكواكب السماء، أو مضاف إلى المفعول تقديره: بأن زينا الكواكب، وإن كانت اسما فالإضافة بيان للزينة، وقرئ بتنوين "زينة" وخفض "الكواكب" على البدل، وبنصب "الكواكب" على أنها مفعول "بزينة" أو بدل من موضع "زينة". ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب على المصدر تقديره: وحفظناها حفظا، أو مفعول من أجله والواو زائدة، أو محمول على المعنى لأن المعنى: إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا. ﴿مَّارِدٍ﴾ أي: شديد الشر. ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ الضمير في "يسمعون" للشياطين، و"الملإ الاعلى" هم الملائكة الذين يسكنون في السماء، والمعنى: أن الشياطين منعت من سمع أحاديث الملائكة، وقرئ "يسّمّعون" بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون، والسمع طلب السماع؛ فنفى السماع على القراءة الأولى، ونفى طلبه على القراءة بالتشديد؛ والأول أرجح لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئا منذ بعث محمد ﷺ لأنهم يرمون بالكواكب. ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: يرجمون يعني بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقض، قال النقاش ومكي: ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا، قال ابن عطية: وفي هذا نظر.

دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾

﴿دُحُورًا﴾ أي: طردا وإبعادا وإهانة؛ لأن الدحر الدفع بعنف، وإعرابه مفعول من أجله، أو مصدر من "يقذفون" على المعنى، أو مصدر في موضع الحال تقديره: مدحورين. ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يرجمون بالنجوم في الدنيا ثم يعذبون بجهنم. ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ "من" في وضع رفع بدل من الضمير في قوله "لا يسمعون"، والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة. ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: شديد الإضاءة. ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء نوع من السؤال، وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل حجة؛ لأن جوابهم عن هذا السؤال مما تقوم عليهم به الحجة، و"من خلقنا" يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسماوات والأرض والمشارق والكواكب، وقيل: يراد به من تقدم من الأمم؛ والأول أرجح لقراءة ابن مسعود ﷺ "أم من عددنا"، ومقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشد خلقا منكم، فكما قدرنا على خلقتهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ اللازب اللازم، أي: يلزم ما جاوره ويلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقة بني آدم. ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ أي: عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق، أو عجبت من قدرة الله تعالى على هذه المخلوقات العظام المذكورة، وقرئ "عجبتُ" بضم التاء، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب مستحيل على الله، فتأولوه بمعنى أنه جعله على حالة يتعجب منها الناس، وقيل: تقديره: قل يا محمد عجبت، وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ: «**يعجب ربك من شاب ليست له صبوة**» [أحمد: 17409]، وهو صفة فعل، وإنما جعلوه مستحيلا على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه؛ والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب؛ بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك أو من البعث. ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا العلامة، كانشقاق القمر ونحوه، وروي أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن، و"يستسخرون" معناه: يسخرون، فيكون فَعَلَ واستفعل بمعنى واحد، وقيل: معناه يستدعي بعضهم بعضا لأن يسخر، وقيل: يبالغون في السخرية. ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية، معناها: استبعادهم البعث، وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في الرعد. ﴿أَوَآبَاؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت

قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾

همزة الإنكار على واو العطف، وقرئ بالإسكان عطفا بـ"أو". ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: قل تُبعثون، والداخر الصاغر الذليل. ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور. ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم. ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله، أو مما يقال لهم مثل الذي بعده. ﴿احْشُرُوا﴾ الآية، خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضا. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني نساءهم المشركات، وقيل: يعني أصنافهم وقرناءهم من الجن والإنس. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك. ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها. ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ يعني أنهم يسألون عن أعمالهم توبيخا لهم، وقيل: يسألون عن قول: لا إله إلا الله؛ والأول أرجح لأنه أعم، ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون "مسئولون" عاملا فيما بعده، والتقدير: يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا، وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع منتصر. ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار. ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في "قالوا" للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم، أو للإنس خاطبوا الجن، و"اليمين" هنا يحتمل ثلاث معان؛ الأول: أن يراد بها طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال، والمعنى: أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه، والثاني: أن يراد بها القوة، والمعنى على هذا: أنكم كنتم تأتوننا بقوّتكم وسلطانكم، فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان، والثالث: أن يراد بها اليمين التي يحلف بها، أي: كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم في ذلك ونتبعكم. ﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في "قالوا" للكبراء من الكفار أو للشياطين، والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم. ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ أي: وجب العذاب علينا

فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾

وعليكم، و"إنا لذائقون" معمول القول، وحذف معمول "لذائقون" تقديره: وجب القول بأنا ذائقون العذاب. ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي: دعوناكم إلى الغي لأنا كنا على غي. ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار. ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ الضمير في "يقولون" لكفار قريش، ويعنون بـ"شاعر مجنون" محمدا ﷺ، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام وهو الحق. ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به، ويحتمل أن يكون المعنى صدقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوءته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن، وقرئ "مخلصين" بفتح اللام وكسرها في كل موضع، وقد تقدم تفسيره. ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ الـ"سرر" جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ الذين يطوفون عليهم الولدان حسبما ورد في الآية الأخرى، والـ"كأس" الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس رضي الله عنه، وقيل: الكأس إناء واسع الفم ليس له مقبض سواء كان فيه خمر أم لا، والـ"معين" الجاري الكثير، ووزنه فعيل والميم فيه أصلية، وقيل: هو مشتق من العين فالميم زائدة ووزنه مفعول. ﴿لَذَّةٍ﴾ أي: ذات لذة فوصفها بالمصدر اتساعا. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الـ"غول" اسم عام في الأذى والضير، ومنه يقال: غاله يغوله إذا أهلكه، وقيل: الـ"غول" وجع في البطن، وقيل: صداع في الرأس، وإنما قدم المجرور هاهنا تعريضا بخمر الدنيا لأن الغول فيها. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: لا يُسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف وهو السكران، و"عن" هنا سببية كقولك: فعلته عن أمرك، أي: لا ينزفون بسبب شربها. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ يعني أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم. ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين في جمال.

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل: شبههن في اللون ببيض النعام؛ لأنه بياض خالطه صفرة حسنة، ولذلك قال امرؤ القيس:

كبكر مقناة البياض بصفرة

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيض الداخلي الرقيق وهو المكنون، أي: المصون تحت القشر الأول، وقيل: أراد الجوهر المصون. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة، قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على "يطاف عليهم"، والمعنى: أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا. ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقرينه من البشر مؤمن وكافر، وقيل: كان قرينه من الجن. ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدين والآخرة. ﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه مفعول، وهو من الدين؛ بمعنى الجزاء والحساب. ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخدامه: هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك القرين فيها؟ وروي أن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار. ﴿فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسطها. ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي: تهلكني بإغوائك، والردى الهلاك، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار. ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: في العذاب. ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ هذا من كلام المؤمن خطابا لقرينه أو خطابا لرفقائه في الجنة، ولذلك قال "نحن" فأخبر عن نفسه وعنهم، ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة، أو من كلام الله تعالى، وكذلك تحتمل هذه الوجوه في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾؛ والأرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به، ولأن الأمر بالعمل إنما يكون حقيقة في الدنيا، ففيه تحضيض على العمل الصالح. ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الإشارة

إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ
رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا
لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾
فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾
وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾

بـ"ذلك" إلى نعيم الجنة وكل ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ والـ"نزل" الضيافة، وقيل: الرزق الكثير، وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك لأن الكلام تقرير وتوبيخ.
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ قيل: سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ فالـ"فتنة" على هذا الابتلاء في الدنيا، وقيل: معناه عذاب الظالمين في الآخرة، والمراد بـ"الظالمين" هنا الكفار. ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها. ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الطلع ثمر النخلة، فاستعير لشجرة الزقوم، وشبه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحه وكراهته؛ لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها، ولذلك يقال للقبيح المنظر: وجه شيطان، وقيل "رءوس الشياطين" شجرة معروفة باليمن، وقيل: هو صنف من الحيات. ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مزاجا من ماء حار، فإن قيل: لم عطف هذه الجملة بـ"ثم"؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان؛ فالمعنى: أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم، وبعد ذلك يشربون الحميم، والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب؛ فالمعنى: أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله.
﴿يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع الإسراع الشديد. ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ أي: دعانا، يعني دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم. ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية نوح؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة تناسل الناس من أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ معناه: أبقينا له ثناء جميلا في الناس إلى يوم القيامة. ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ هذا تسليم من الله على نوح عليه السلام، وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول "تركنا" وهي محكية؛ أي: تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني أن الخلق يسلمون عليه، فيبتدأ بالـ"سلام" على القول الأول

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

لا على الثاني؛ والأول أظهر، ومعنى "في العالمين" على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه من بين العالمين كما تقول: أحب فلانا في الناس، أي: أحبه خصوصا من بين الناس، ومعناه على القول الثاني أن السلام عليه ثابت في العالمين؛ وهذا الخلاف يجري حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة. ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ الشيعة الصنف المتفق، فمعنى "من شيعته" على دينه في التوحيد، والضمير يعود على "نوح"، وقيل: على محمد عليه السلام؛ والأول أظهر. ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُ﴾ عبارة عن إخلاصه وإقباله بكليته على الله تعالى، وليس المراد المجيء بالجسد. ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سليم من الشرك والشك وجميع العيوب. ﴿أَيِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفك الباطل، وإعرابه هنا مفعول من أجله، و"ءالهة" مفعول به، وقيل "أيفكا" مفعول به و"ءالهة" بدل منه، وقيل "أيفكا" مصدر في موضع الحال تقديره: آفكين؛ أي: كاذبين؛ والأول أحسن. ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المعنى: أي شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره، أو أي شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره؟ كما تقول: فما ظنك بفلان؟ إذا قصدت تعظيمه؛ فالمقصد على المعنى الأول تهديد، وعلى الثاني تعظيم لله وتوبيخ لهم. ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فذعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال "إني سقيم" ليمتنع عن الخروج معهم فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم، وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى، والثاني: أن قومه كانوا منجمين، وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم بأنه استدل بالنظر في علم النجوم على أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم، والثالث: أن معنى "نظر في النجوم" أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم وقال "إني سقيم"، و"النجوم" على هذا ما ينجم من حاله معهم وليست هي نجوم السماء؛ وهذا بعيد، وقوله "إني سقيم" على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «**أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات أحدها قوله "إني سقيم"**» [البخاري: 3179]، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال؛ لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض؛ فأراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بد أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم

فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

وتكذيبهم له؛ وهذا التأويل أولى لأن نفي الكذب بالجملة يعارض الحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهي جائزة. ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي: تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل: إنه أراد بالسقم الطاعون؛ وهو داء يعدي فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى. ﴿فَرَاغَ﴾ أي: مال. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام. ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بيمين يديه، وقيل: بالقوة، وقيل: بالحَلْف وهو قوله: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾؛ والأول أظهر وأليق بالضرب، و"ضربا" مصدر في موضع الحال. ﴿يَزِفُّونَ﴾ أي: يسرعون. ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي: تنجرون، والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلى أن "ما" مصدرية؛ والمعنى أن الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وقيل: إنها موصولة بمعنى الذي؛ والمعنى: إن الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها؛ وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل: إنها نافية، وقيل: استفهامية؛ وكلاهما باطل. ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قيل: البنيان في موضع النار، وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رمي عنه. ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني حرقه بالنار. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المغلوبين. ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه "ذاهب" أي: مهاجر إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام، وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يطرح في النار، وأراد أنه "ذاهب" إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه، و"سيهدين" على القول الأول يعني الهدى إلى صلاح الدين والدنيا، وعلى القول الثاني إلى الجنة، قالت المتصوفة: معناه ذاهب إلى ربي بقلبي؛ أي: مقبل على الله بكليته تاركا سواه. ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني ولدا من الصالحين. ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: عاقل، واختلف الناس في هذا الغلام المبشر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال ابن عباس وابن عمر ﷺ وجماعة من التابعين: هو إسماعيل، وحجتهم من ثلاثة أوجه؛ الأول: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين» [الحاكم: 4036] يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (١٠٧)

أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل، والثاني: أن الله قال بعد تمام قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾ فدل ذلك على أن الذبيح غيره، والثالث: أنه روي أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل. وذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود ﷺ وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق، وحجتهم من وجهين؛ الأول: أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق لقوله ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ﴾، والثاني: أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يريد بالسعي هنا العمل والعبادة، وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة. ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أن يكون رأى في المنام الذبح وهو الفعل، أو أمر في المنام أن يذبحه؛ والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿افْعَلْ مَا تُؤمَرُ﴾ ورؤيا الأنبياء وحي فوجب عليه الامتثال على الوجهين. ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ إن قيل: لم شاوره في أمر هو محتم عليه من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب. ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: استسلما وانقادا لأمر الله. ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه بالأرض على جبينه، وللإنسان جبينان حول الجبهة، وجواب "لما" محذوف عند البصريين تقديره: لما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم، وقال الكوفيون: جوابها "تله"، والواو زائدة، وقال بعضهم: جوابها ﴿نَادَيْنَاهُ﴾ والواو زائدة. ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ يحتمل أن يريد بقلبك، أي: كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها، ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك، أي: وفيت حقها من العمل، فإن قيل: إنه أمر بالذبح ولم يذبح فكيف قال له "صدقت الرُّءْيا"؟ فالجواب: أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه، ولكن هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه. ﴿الْبَلَآءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الاختبار البين الذي يظهر به طاعة الله، أو المحنة البينة الصعوبة. ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الذبح اسم لما يذبح، وأراد به هنا الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة، وقيل: إنه الكبش الذي قرب به ولد آدم، ووصفه بـ"عظيم" لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبل، وروي في القصص أن الذبيح قال لإبراهيم: اشدد رباطي لئلا أضطرب، واصرف بصرك عني لئلا ترحمني، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع،

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

فحينئذ جاءه الكبش من عند الله، وقد أكثر الناس في قصص الآية، وتركناه لعدم صحته. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم "كذلك" دون قوله "إنا"، وقال في غيرها "إنا كذلك"؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها "إنا كذلك" فأغنى عن تكرار "إنا". ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ يعني بالنبوة وغير ذلك. ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق، أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم. ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما، وقيل: على موسى وهارون خاصة، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم؛ وهذا ضعيف. ﴿وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ يعني التوراة، ومعنى "المستبين" البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع. ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ "إلياس" من ذرية هارون، وقيل: إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ البعل الرب بلغة اليمن، وقيل: بعل اسم صنم كان لهم يقال له بعلبك. ﴿سَلامٌ عَلَىٰ ءَالِ يَاسِينَ﴾ "ءَال" هنا على هذه القراءة بمعنى أهل، و"ياسين" اسم لإلياس، وقيل: لأبيه، وقيل: اسم لمحمد ﷺ، وقرئ "إِلْ يَاسِينَ" بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة، وهو على هذا جمع إلياس، أي: منسوب لإلياس، حذفت منه

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

الياء كما حذفت من ﴿الَاعْجَمِينَ﴾، وقيل: سمي كل واحد من آل ياسين بإلياس ثم جمعهم، وقيل: لغة في إلياس. ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ قد ذكر. ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء. ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: هرب إلى السفينة، و"الفلك" هنا واحد، و"المشحون" المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأى قومه مخايل العذاب آمنوا فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوا إليه الكذب فهرب. ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ يعني "ساهم" ضرب القرعة، والسهمة هي القرعة، والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة، وسبب قرعته أنه لما ركب السفينة وقفت ولم تجر، فقالوا: إنما وقفت لحدث أحدثه أحدنا فنقرع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر. ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يلام عليه، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج. ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تسبيحه هو قوله: ﴿لَّآ إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حسبما حكى الله عنه في الأنبياء، وقيل: هو قوله: سبحان الله، وقيل: هو الصلاة؛ واختلف على هذا هل يعني صلاته في بطن الحوت أو قبل ذلك، واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت؟ فقيل: ساعة، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعون يوما. ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَآءِ﴾ "العراء" الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظل، وقيل: يعني الساحل. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم. ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أي: أنبتناها حوله لتظله وتقيه حر الشمس، والـ"يقطين" هو القرع، وإنما خصه الله به؛ لأنه يجمع برد الظل، ولين اللمس، وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربه، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب، وقيل: الـ"يقطين" كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ؛ والأول أشهر. ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ يعني رسالته الأولى التي أبق بعدها، وقيل: هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت؛ والأول أشهر. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل "أو" هنا بمعنى بل، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: بل يزيدون، وقيل: هي بمعنى الواو، وقيل: هي

فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

للإبهام، وقيل: المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون، واختلف في عددهم، فقيل: مائة وعشرون ألفا، وقيل: مائة وثلاثون ألفا، وقيل: مائة وأربعون ألفا، وقيل: مائة وسبعون ألفا. ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ روي: أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرقوا بينهم وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، فرفع الله العذاب عنهم، و"إلى حين" يعني إلى آجالهم، وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها. ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: "فاستفتهم" الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما، والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار، أي: اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث، ورد عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور، أي: إنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه، ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات، وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا. ﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل. ﴿مَا لَكُمْ﴾ "ما" استفهامية معناها التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله "مالكم". ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ أي: برهان بين. ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ تعجيز لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به. ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الضمير في "جعلوا" لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان؛ أحدهما: أن "الجنة" هنا الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستترون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذي جعلوا بين الله وبينهم قولهم: إنهم بنات الله، والقول الثاني: أن "الجنة" هنا الشياطين، وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان؛ أحدهما: أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان، تعالى الله عن ذلك، والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكح من الجن فولدت له الملائكة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

فالضمير في قوله "إنهم لمحضرون" يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة إن الكفار محضرون في العذاب، ومن قال: إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم، أي: قد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب. ﴿إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من "المحضرين" أو من الفاعل في "يصفون"، والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب، أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله. ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ هذا خطاب للكفار، والمراد بـ"ما تعبدون" الأصنام وغيرها، و"ما تعبدون" عطف على الضمير في "إنكم"، ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع، ومعنى "فاتنين" مضلين، والضمير في "عليه" يعود على "ما تعبدون"، وعلى سببية معناها التعليل، و"من هو" مفعول بـ"فاتنين"، والمعنى: إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحدا إلا من قضى الله أنه يصلى الجحيم، أي: لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله، وقال الزمخشري: الضمير في "عليه" يعود على الله تعالى. ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، وتقديره: ما منا ملك إلا وله مقام معلوم، فحذف الموصوف لفهم الكلام، والمقام المعلوم يحتمل أن يراد بـه الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم من هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي سائر السموات وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾ أي: الواقفون صفوفا في العبادة، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقتدوا بالملائكة؛ وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفا إلا المسلمون. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ قيل: معناه المصلون؛ لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل: معناه القائلون: سبحان الله، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال: إنهم بنات الله أو شركاء له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له، ويدل هذا الكلام أيضا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة، وقيل: إن هذا كله من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين؛ والأول أشهر. ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الضمير لكفار قريش وسائر العرب، والمعنى: أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون: لو أرسل الله إلينا رسولا أو أنزل علينا كتابا ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير للذكر، أو لمحمد ﷺ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد على كفرهم.

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ المعنى: سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم وأن جند الله غالبون، وهذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال وبالسعادة في الآخرة. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك موادعة منسوخة بالسيف، والـ"حين" هنا يراد به يوم بدر، وقيل: حضور آجالهم، وقيل: يوم القيامة. ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا وعد للنبي ﷺ ووعيد لهم. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إشارة إلى قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾، و﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وشبه ذلك. ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ الساحة الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور وسوء. الصَّباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية: التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم. ﴿وَأَبْصِرْ﴾ كرر الأمر بالتولي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد، وقيل: أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة، فإن قيل: لم قال أولاً "أبصرهم"، وقال هنا "أبصر" فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اختصارا، والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم، كأنه قال: أبصر جميع الكفار بخلاف الأول فإنه في قريش خاصة. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة، و"العزة" إن أراد بها عزة الله، فمعنى "رب العزة" ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين، فمعنى "رب العزة" مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: من حلف بعزة الله؛ فإن أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم الله هذه السورة بالـ﴿سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فأما الـ"سلام على المرسلين" فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلا لقوله: "إنهم لهم المنصورون"، وأما "الحمد" فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ

سورة داود عليه السلام

﴿ص﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة، ويختص بهذا أنه قيل فيه: معناه صدق محمد ﷺ، وقيل: هو حرف من اسم الله صمد، أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات. ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قسم جوابه محذوف تقديره: إن القرآن من عند الله وإن محمدا لصادق وشبه ذلك، وقيل: جوابه في قوله "ص"؛ إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل: جوابه ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ وهذا بعيد، وقيل: جوابه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، وهذا أبعد، ومعنى "ذي الذكر" ذي الشرف، أو الذكرى بمعنى الموعظة، أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ "الذين كفروا" يعني قريشا، و"بل" للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق، والـ"عزة" هي التكبر والـ"شقاق" العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ إخبار يتضمن تهديدا لقريش. ﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هَلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، "ولات" بمعنى ليس وهي لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث كما زيدت في ربت وثمت، ولا تدخل لات إلا على الزمان واسمها مضمر و"حين مناص" خبرها، والتقدير: وليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص، والـ"مناص" المفر والنجاة من قولك: ناص ينوص إذا فر.
﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمنذر محمد ﷺ، أي: استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم. ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان الأصل وقالوا، ولكن وُضع هذا الظاهر موضع المضمر إظهارا للغضب وقصدا لوصفهم بالكفر. ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا، فكلمه أبو طالب في ذلك فقال له ﷺ: «**إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب**» فقالوا: نعم وعشر كلمات معها، فقال: «**قولوا لا إله إلا الله**» فقاموا وأنكروا ذلك، وقالوا: "أجعل الآلهة إلها واحدا" [الترمذي: 3232]. ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبي طالب، وقيل: عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة

إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ۖ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾

وإشاعتهم للكفر، و"أن امشوا" معناه: يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمدا فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده. ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفي معناه وجهان؛ أحدهما: أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد، أي: إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه، والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم، أي: إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به، أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به؛ والأول أرجح؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضا مما حكي من كلامهم، أي: ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة، والمراد بـ"الملة الاخرة" ملة النصارى؛ لأنها بعد ملة موسى وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل: المراد ملة قريش، أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، وقيل: المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يُبعث يكون آخر الأنبياء. ﴿إِنْ هَذَآ إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ هذا أيضا مما حكي من كلامهم، والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الـ"اختلاق" الكذب. ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ هذا رد عليهم، والمعنى: أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بـ"ذكري" القرآن. ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى: أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا إلى للحق. ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة، والمعنى: أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا بل يعطيها الله لمن يشاء، ثم وصف نفسه بـ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا. ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضا رد عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرفوا فيه كيف شاؤوا بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء، و"أم" الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها. ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ هذا تعجيز لهم وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، و"الاسباب" هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل

جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

به إلى العلو، وقيل: هي أبواب السماء، والمعنى: إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبـروا الملك. ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ هذا وعيد بهزيمتهم في القتال، وقد هزموا يوم بدر وغـيره، و"مـا هنا" صفة لـ"جند" وفيها معنى التحقير لهم، والإشـارة بـ"هنالك" إلى حيث وصفوا أنفسـهم من الكفر والاستهزاء، وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب؛ وهذا بعيد، وقيل: الإشارة إلى موضع بدر، و"من الاحزاب" معناه: من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا. ﴿وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: كانت له أوتاد وخشـب يلعب بها وعليها، وقيل: كان له أوتاد يسـمرها في الناس لقتلهم، وقيل: أراد المباني العظام الثابتة؛ ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشري: إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل:

في ظل ملك ثابت الأوتـاد

﴿وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾ قد ذكر. ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ "ينظر" هنا بمعنى ينتظر، و"هؤلاء" يعني قريشا، والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهي نفخة الصعق، وقيل: الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل وشـدائد؛ والأول أظهر، وقد روي تفسـيرها بذلك عن النبي ﷺ. ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: ما لها من رجوع، أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشـتق من الإفاقة، الثاني: ما لها من ترداد، أي: إنما هي واحدة لا ثانية لها، الثالث: ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهو ما بين حلبتي اللبـن؛ وهذا القـول الثالث إنما يجري على قراءة "فواق" بالضم لأن فـواق الناقة بالضم، والقولان الأولان عـلى الفتـح والضم. ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ القـط في اللغة له معنيان؛ أحدهـما: الكتاب، والآخر: النصيب، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال؛ أحدها: نصيبنا من الخير، أي: دعوا أن يعجله الله لهم في الدنيا، والآخر: نصيبهم من العذاب فهو كقولهم: ﴿أَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ والثالث: صحائف أعمالنا. ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ "الايد" القوة، وكان داود جمع قوة البدن والقوة في الدين والملك والجنود، والـ"أواب" الرجاع إلى الله، فإن قيل: ما المناسـبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار، وبين أمره له بذكر داود؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن ذكر بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه

إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾

تسلية للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعد له بالنصر، وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة، وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب فكأنه يقول: يا محمد! كما أنعمنا على داود بهذه النعم، كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن، والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء، والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي ﷺ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمدا ﷺ بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم؛ فالمناسبة في ذلك ظاهرة، وقال ابن عطية: المعنى اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد، وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ اصبر على ما يقولون وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها، فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟ وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار، وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا. ﴿وَالإِشْرَاقِ﴾ يعني وقت الإشراق، وهو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء ويصفوا شعاعها، وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها. ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: مجموعة. ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ أي: كل مسبحٌ لأجل تسبيح داود، ويحتمل أن يكون "أواب" هنا بمعنى رجاع، أي: يرجع إلى أمره. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قيل: يعني النبوة، وقيل: العلم والفهم، وقيل: الزبور. ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ قال ابن عباس ﷺ: هو فصل القضاء بين الناس بالحق، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي، وقيل: أراد قول أما بعد؛ فإنه أول من قالها، وقال الزمخشري: معنى "فصل الخطاب" البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به؛ وهذا المعنى اختاره ابن عطية وجعله من قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾. ﴿وَهَلَ أَتَاكَ نَبَؤُاْ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها للمخاطب، ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقى البال إليها، و"الخصم" يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك: عدل وزور، واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر،

إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾

وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى "تسوروا المحراب" علوا على سوره ودخلوه، و"المحراب" الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسور للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضمائر في "تسوروا" و"دخلوا" و"فزع منهم" على وجه التجوز، والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جاءه مع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة وعلى هذا عول الزمخشري.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في "إذ" هنا "تسوروا"، وقيل: هي بدل من الأولى، وأما "إذ" الأولى فالعامل فيها "اتاك" أو "نبؤا"، ورد الزمخشري ذلك وقال: إن العامل فيها محذوف تقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب، وقيل: إن ذلك كان ليلا. ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى "بغى" تعدى. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ علينا في الحكم، يقال: أشَط الحاكم إذا جار، وقرئ في الشاذ "لا تَشطط" بفتح التاء، أي: لا تبعد عن الحق، ويقال: شط إذا بعد. ﴿سَوَآءِ الصِّرَاطِ﴾ أي: وسط الطريق، ويعني القصد والحق الواضح.

﴿إِنَّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى "أكفلنيها" ملكها لي، وأصله اجعلها في كفالتي، وقيل: اجعلها كفلي؛ أي: نصيبي، ومعنى "عزني في الخطاب" أي غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عز فلان فلانا إذا غلبه، وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا، حتى قال علي بن أبي طالب ﷺ: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: وروي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه الملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهم "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة" إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، "ولي نعجة واحدة" إشارة

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ

إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، "فقال أكفلنيها" إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته، فأجابهم داود عليه السلام بقوله: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه"، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه "فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب"، ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة؛ فوقع العتاب على الاستكثار من النساء وإن كان جائزا، وروي هذا الخبر على وجه آخر؛ وهو: أن داود انفرد يوما في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة، فوقع بين يديه فأعجبه فمد يده ليأخذه فطار على الكوة، فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأُخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يُقدِّم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت، وهو موضع قل ما تخلص منه أحد فتقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا، فتزوج داود امرأته بعده فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها، وقيل: إن داود هم بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك، وروي أن السبب فيما جرى له من ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة، وروي أيضا أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة. ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ "سؤال" مصدر مضاف إلى المفعول، وإنما تعدى بـ"إلى" لأنه تضمن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه، فإن قيل: كيف قال له داود "لقد ظلمك" قبل أن يثبت عنده ذلك؟ فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك وحُذف ذكر اعترافه اختصارا، ويحتمل أن يكون قوله "لقد ظلمك" على تقدير صحة قوله، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين "لقد ظلمك" قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأناب. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ "الخلطاء" هم الشركاء في الأموال، ولكن الخلطة أعم من الشركة، ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها، وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بغى، والتسلية بالتأسي للخصم الذي بُغي عليه. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ "ما" زائدة للتأكيد. ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ "ظن" هنا بمعنى شعر بالأمر، وقيل: بمعنى أيقن،

فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٢٥) يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ (٢٨) كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١)

و"فتناه" معناه اختبرناه. ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى "خر" ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود، فقيل: إن الركوع هنا بمعنى السجود، وقيل: خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع، ومعنى "أناب" تاب، وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما يبكي حتى نبت البقل من دموعه، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعي، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله "وأناب" أو عند قوله "وحسن مآب"؟. ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ الزلفى: القربة والمكانة الرفيعة، والمآب: المرجع في الآخرة. ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله: يا داود، وخلافة داود بالنبوة والملك، قال ابن عطية: لا يقال خليفة الله إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾ أي: عبثا، بل خلقها الله بالحق للاعتبار بها والاستدلال على خالقها. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السماوات والأرض عندهم باطلا لغير الحكمة، فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخروي. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ﴾ "أم" هنا استفهامية يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار بل يجازي كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء، وفيه أيضا وعد ووعيد. ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ "الصافنات" جمع صافن؛ وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى، وقيل: الصافن هو الذي يسوي يديه، والصفن علامة على فراهة الفرس، و"الجياد" السريعة الجري، واختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور: إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه،

فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر وكانت ذوات أجنحة وكانت ألف فرس، وقيل: أكثر، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي، وقيل: العصر، فأسف لذلك، وقال: ردوها علي يعني الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير، فأبدله الله أسرع منها وهو الريح، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية وقال: تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان، وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عليه السلام، وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة؟ فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله، وقال بعضهم: لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل؛ بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها، فلما فرغ من الصلاة قال: ردوها علي فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة، وقيل: إن المسح عليها كان وسما في سوقها وأعناقها بوسم: حبس في سبيل الله. ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة؛ فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن "الخير" هنا يراد به الخيل، وزعموا أن الخيل يقال لها خير، و"أحببت" بمعنى آثرت، أو بمعنى فعل يتعدى بعن، كأنه قال: آثرت حب الخيل فشغلني عن ذكر ربي، والآخر: أن "الخير" هنا يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مال، فهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ أي: مالا، والثالث: أن المفعول محذوف، و"حب الخير" مصدر، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلني عن ذكر ربي، وأما الذين قالوا إنه كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنى أنه قال: إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل. ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذكر العشي يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس، وقيل: الضمير للخيل، ومعنى "توارت بالحجاب" دخلت اصطبلاتها؛ والأول أشهر وأظهر. ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا علي الخيل. ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ "السوق" جمع ساق، ويعني: سوق الخيل وأعناقها، أي: جعل يمسحها مسحا، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم هل هو قطْعها وعقرها، أو مسحها باليد محبة لها، أو وسمها بالتحبيس. ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَانَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال؛ الأول: أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء

قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾

توقيراً لاسم الله تعالى، فنزعه يوما ودفعه إلى جاريته، فتمثل لها جني في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر فقعد على كرسي سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجني قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه؛ ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب ملكه، والجسد الذي ألقي على كرسيه هو الجني الذي قعد عليه، وسماه جسدا لأنه تصور في صورة إنسان، ومعنى "أناب" رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه، والقول الثاني: أن سليمان كانت له امرأة يحبها وكان أبوها ملكا كافرا قد قتله سليمان، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك، فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها وصار صنما معبودا في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما فلما علم به كسره؛ فالفتنة على هذا عمل الصورة، والجسد هو الصورة، والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد وكان يحبه حبا شديدا، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فيبقينا في السخرة أبدا، فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه؛ فالفتنة على هذا حبه في الولد، والجسد هو الولد لما مات، وسمي جسدا لأنه جسد بلا روح، والقول الرابع: أن سليمان قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل واحدة منهن إلا واحدة جاءت بشق إنسان؛ فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله، والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له. فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب الملك عن سليمان وتسليط الشياطين عليه، وأما القول الثاني فضعيف أيضا مع أنه يبعد أن يعبد صنم في بيت نبي أو يأمر نبي بعمل صنم، وأما القول الثالث فضعيف أيضا، وأما القول الرابع فقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيَ﴾ قدم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهم، فإن قيل: لأي شيء قال "لا ينبغي لأحد من بعدي"، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج: إنه كان حسودا؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجني لملكه، فقصد أن لا يسلب عنه ملكه في حياته ويصير إلى غيره، والآخر: أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته. ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ معنى "رخاء" طيبة لينة، وقيل: طيعة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ في الأنبياء، و"حيث أصاب" أي: حيث قصد وأراد. ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ "الشياطين" معطوف على "الريح" و"كل بناء" بدل من "الشياطين"،

وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾

أي: سخرنا له الريح والشياطين من يبني منهم ومن يغوص في البحر. ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ أي: آخرين من الشياطين موثقين في القيود والأغلال. ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت، وقيل: المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود وأمسك من شئت منهم في القيود؛ والأول أحسن، وهو قول ابن عباس ﷺ. ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ يحتمل ثلاثة معان؛ أحدها: أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل، والآخر: بغير تضييق عليك في الملك، والثالث: بغير حساب ولا عدد؛ بل خارج عن الحصر. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ قد ذكر في قصة داود. ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في الأنبياء، والـ"نصب" يقال بضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد وبفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقة، فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟ فالجواب من أربعة أوجه؛ أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره، وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا، والثاني: أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث: أنه روي أن الله سلط عليه الشيطان ليفتنه، فأهلك ماله فصبر، وأهلك أولاده فصبر، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر، فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب فقال لها: ذلك عدو الله الشيطان، وحينئذ دعا. ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ التقدير: قلنا له: اركض برجلك، فضرب الأرض برجله، فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها، فذهب كل مرض كان في داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى. ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط إذا

وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞

برئ من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان وقوله لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به، فأمره الله أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر في يمينه، وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حد رجل زنى وكان مريضا، فأمر رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود [4427] والنسائي [7300]، وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه. ﴿أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ "الايـدي" جمع يد، وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن ذلك بـ"الايدي" لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما "الابصار" فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور، وقيل "الايدي" جمع يد بمعنى النعمة، ومعناه: أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة؛ وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود ﷺ: "أولوا الأيد" بغير ياء فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء، أو يكون الأيد بمعنى القوة كقوله: ﴿دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ . ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ معنى "أخلصناهم" جعلناهم خالصين لنا، أو خصصناهم دون غيرهم، و"خالصة" صفة حُذف موصوفها تقديره: بخصلة خالصة، وأما الباء في قوله "بخالصة"، فإن كان "أخلصناهم" بمعنى جعلناهم خالصين فالباء سببية للتعليل، وإن كان "أخلصناهم" بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل، وقرأ نافع بإضافة "خالصة" إلى "ذكرى" من غير تنوين، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون "ذكرى" بدلا من "خالصة" على وجه البيان والتفسير لها، و"الدار" يحتمل أن يريد بها الآخرة أو الدنيا؛ فإن أراد بها الآخرة ففي المعنى ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن "ذكرى الدار" يعني به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها، والآخر: أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة وترغيبهم للناس فيها عند الله، والثالث: أن معناه ثواب الآخرة، أي: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة؛ والأول أظهر، وإن أراد بـ"الدار" الدنيا؛ فالمعنى: حسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا كقوله ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ . ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بتشديد الياء، أو خير المخفف من خير كميت مخفف من ميت. ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء، وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته؛ والأول أظهر وكأن قوله "هذا ذكر" ختام للكلام المتقدم، ثم شرع

وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول: فهذا باب ثم يشرع في آخر. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني أن أسنانهن سواء، يقال: فلان ترب فلان إذا كان مثله في السن، وقيل: يعني أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء. ﴿مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: ماله من فناء ولا انقضاء. ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ تقديره: الأمر هذا، لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله "هذا" ثم ابتدأ وصف أهل النار، ويعني بـ"الطاغين" الكفار. ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ "هذا" مبتدأ وخبره "حميم"، و"فليذوقوه" اعتراض بينهما، والـ"حميم" الماء الحار، والـ"غساق" قرئ بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار، وقيل: ما يسيل من عيونهم، وقيل: هو عذاب لا يعلمه إلا الله. ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ "ءاخر" معطوف على "حميم وغساق" تقديره: وعذاب آخر، قيل: يعني الزمهرير، ومعنى "من شكله" من مثله ونوعه، أي: من مثل العذاب المذكور، و"أزواج" معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر، والمعنى: أنها أصناف من العذاب، وقال ابن عطية "ءاخر" مبتدأ، واختلف في خبره، فقيل: تقديره ولهم عذاب آخر، وقيل: "أزواج" مبتدأ و"من شكله" خبر "أزواج" والجملة خبر "آخر"، وقيل: "أزواج" خبر الـ"ءاخر" و"من شكله" في موضع الصفة، وقرئ "أُخرُ" في موضع الجمع؛ وهو أليق أن يكون "أزواج" خبره لأنه جمع مثله. ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الـ"فوج" الجماعة من الناس، والـ"مقتحم" الداخل في زحام وشدة، وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولا ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه، وقيل: هو من كلام أهل النار بعضهم لبعض؛ والأول أظهر. ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا يلقون رحبا ولا خيرا، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار، أي: لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم. ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم "لا مرحبا بهم" أجابوهم بقولهم "بل انتم لا مرحبا بكم". ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم "بل انتم لا مرحبا بكم"، والضمير في "قدمتموه" للعذاب، ومعنى "قدمتموه" أوجبتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر. ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾

أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ والضعف زيادة المثل. ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في "قالوا" لرؤساء الكفار، وقيل "للطاغين"، والرجال هم ضعفاء المؤمنين، وقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب ﷺ وأمثالهم؛ واللفظ أعم من ذلك، والمعنى: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرى رجالا كنا في الدنيا نعدهم من الأشرار. ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ "أتخذناهم" بهمزة قطع، ومعناها: توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريا، وقرئ بألف وصل على أن تكون الجملة صفة لـ"رجال"، وقرئ "سخريا" بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة، وبالكسر بمعنى الاستهزاء. ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ هذا يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون معادلا لقولهم "ما لنا لا نرى رجالا"، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا، ومعنى "زاغت عنهم" مالت فلم ترهم، الثاني: أن يكون معادلا لقولهم "أتخذناهم سخريا"، والمعنى: أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا، ومعنى زاغت الأبصار على هذا مالت عن النظر إليهم احتقارا لهم، الثالث: أن تكون "أم" منقطعة بمعنى بل والهمزة فلا تعادل شيئا مما قبلها. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، وإعراب "تخاصم" بدل من "حق" أو خبر مبتدأ مضمر. ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ النبأ الخبر، ويعني به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة، وقيل: يعني القرآن، وقيل: يعني يوم القيامة؛ والأول أعم وأرجح. ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ "الملإ الأعلى" هم الملائكة، ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك، والضمير في "يختصمون" لـ"الملإ الأعلى"، واختصامهم هو في قصة آدم حين قال لهم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: «**يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟**» فقال: «**لا أدري**» فقال: «**في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد**» [الترمذي: 3233] الحديث بطوله، وقيل: الضمير في "يختصمون" للكفار، أي: يختصمون في الملأ الأعلى فيقول بعضهم لبعض: هم بنات الله،

إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

ويقول آخرون: هم آلهة تعبد؛ وهذا بعيد. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ "إذ قال ربك" بدل من "إذ يختصمون"، وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس، وذكرنا في الحجر معنى قوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾. ﴿قَالَ يَآ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ الضمير في "قال" لله عز وجل، و"بيدي" من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة، قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه، وحكى الزمخشري أن معنى "خلقت بيدي" خلقت بغير واسطة. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل، و"أم" هنا معادلة، والمعنى: أستكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر؛ وهذا على وجه التوبيخ له. ﴿رَجِيمٌ﴾ أي: لعين مطرود. ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني يوم القيامة، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسم، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوي بني آدم. ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير في "قال" هنا لله تعالى، و"الحق" الأول مقسم به، وهو منصوب بفعل مضمر كقولك: الله لأفعلن، وجوابه "لأملأن جهنم" وقرئ بالرفع، وهو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر تقديره: الحق يميني، وأما "الحق" الثاني فهو مفعول بـ"أقول"، وقوله "والحق أقول" جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم. ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد، أي: لتعلمن صدق خبره بعد حين، والـ"حين" يوم القيامة، أو موتهم، أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

سورة الزمر

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ "تنزيل" مبتدأ وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هذا تنزيل، و"من الله" على هذا الوجه يتعلق بـ"تنزيل"، أو يكون خبرا بعد خبر، أو خبر مبتدأ آخر محذوف، و"الكتاب" هنا القرآن أو السورة؛ واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة، وأما ﴿الْكِتَابَ﴾ الثاني فهو القرآن باتفاق. ﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون معناه متضمنا للحق، والثاني: أن يكون معناه الاستحقاق والوجوب. ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو الرياء. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل: معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص، ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره، ومعنى "الخالص" الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة: "الدين الخالص" شهادة أن لا إله إلا الله، وقال الحسن: هو الإسلام؛ وهذا أرجح لعمومه. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء الشركاء المعبودين، ويحتمل أن يريد بـ"الذين اتخذوا" الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين؛ والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على "الذين" تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في "اتخذوا" عائدا على غير مذكور، وارتفاع "الذين" على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، أو المحذوف المقدر قبل قوله "ما نعبدهم" لأن تقديره: يقولون ما نعبدهم؛ والأول أرجح لأن المعنى به أكمل. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف، والقول في موضع الحال أو في موضع بدل من صلة "الذين"، وقرأ ابن مسعود "قالوا ما نعبدهم" بإظهار القول، أي: يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة، أو الذين عبدوا الأصنام، أو الذين عبدوا عيسى أو عزير؛ فإن جميعهم قالوا هذه المقالة، ومعنى "زلفى" قربى فهو مصدر من "يقربونا". ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم "ليقربونا إلى الله"، وقوله "لا يهدي" في تأويله وجهان؛ أحدهما: لا يهديه في حال كفره، والثاني: أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر، وهذا تأويل ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، و﴿الْكَافِرِينَ﴾ حيث وقع.

لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الولد يكون على وجهين؛ أحدهما: بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله لا يجوز في العقل، والثاني: التبني بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له، وهذا ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ يعم نفي الوجهين، فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولدا على جهة التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله، وقال الزمخشري: معناها لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك؛ ولكنه يصطفي من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولدا؛ فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثا، فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته. ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى فكيف يكون شريكا له، ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقة السماوات والأرض وغيرهما لتدل على وحدانيته وقدرته وعظمته. ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ التكوير اللف واللي، ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارة ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكأن الذي يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءا فيستره، وكأن الذي يقصر يدخل في الذي يطول فيستتر فيه، ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في ستره له بثوب يلف على الآخر. ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة. ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء خلقها من ضلع آدم، فإن قيل: كيف عطف قوله "ثم جعل" على "خلقكم" بـ"ثم" التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شك أن خلقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله "واحدة" لا على "خلقكم"، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة، ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها، الثاني: أن "ثم" لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود، الثالث: أنه يعني بقوله "خلقكم" إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وكان ذلك قبل خلقه حواء. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾

يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ

يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر، وأما لفظ "أنزل" ففيه ثلاثة أوجه؛ الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض، الثاني: أن معنى "أنزل" قضى وقسم فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه، الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها؛ وهذا بعيد. ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني أن الإنسان يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح. ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾ هي البطن والرحم والمشيمة، وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة؛ والأول أرجح لقوله "في بطون أمهاتكم" ولم يذكر الصلب. ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ أي: لا يضره كفركم. ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين؛ أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ"عباده" من قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه فهو كقوله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ . والآخر: أن الرضا غير الإرادة، والعباد على هذا على العموم، أي: لا يرضى الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينا ولا شرعا وأراده وقوعا ووجودا، وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة، والعباد على العموم جريا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عموم، والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان. ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ذكر في الإسراء. ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية، يراد بـ"الانسان" هنا الكافر بدليل قوله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة؛ فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد، فإن قيل: لم قال هنا "وإذا مس" بالواو، وقال بعدها "فإذا مس" بالفاء؟ فالجواب: أن الذي بالفاء مسبب عن قوله "اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة"، فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري؛ وهو بعيد. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ معنى "خوله" أعطاه، والـ"نعمة" هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أي نعمة كانت. ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ يحتمل أن تكون "ما" مصدرية، أي: نسي دعاءه، أو تكون بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى.

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ

﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على "من"، وقيل: هي همزة النداء؛ والأول أظهر، وقرئ بتشديدها على إدخال "أم" على "من"، و"من" مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره: أم من هو قانت كغيره، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده من قوله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾، والقنوت هنا بمعنى الطاعة أو الصلاة بالليل، و ﴿ءانَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته. ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه ﷺ حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة، ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلق "في هذه الدنيا" بـ"أحسنوا"، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة، أو يتعلق بـ"حسنة" والـ"حسنة" على هذا حسن الحال والعافية في الدنيا؛ والأول أرجح. ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ يراد بها البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها، والمقصد من ذلك حض على الهجرة. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والثاني: أن أجر الصابر بغير حصر بل أكثر من أن يحصر بعدد أو وزن؛ وهذا قول الجمهور. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل، ويكون المفعول على هذا محذوفا، فإن قيل: كيف عطف "أمرت" على "أمرت" والمعنى واحد؟ فالجواب: أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص، والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام، فهما معنيان اثنان، وكذلك قوله ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾ ليس تكرارا لقوله "أمرت أن اعبد الله"؛ لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة، وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده. ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ هذا تهديد

قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ

ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه. ﴿ظُلَلٌ﴾ جمع ظلة بالضم؛ وهو ما غشي من فوق كالسقف فقوله ﴿من فَوْقِهِمْ﴾ بين، وأما ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾ فسماه ظلة لأنه سقف لمن تحتهم، فإن جهنم طبقات، وقيل: سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير ﵃ إذ دعاهم أبو بكر الصديق ﵁ إلى الإيمان فآمنوا، وقيل: نزلت في أبي ذر، وسلمان ﵄ وهذا ضعيف؛ لأن سلمان ﵁ إنما أسلم بالمدينة وهذه السورة مكية؛ والأظهر أنها عامة، و"الطاغوت" هنا كل ما عبد من دون الله، وقيل: الشياطين. ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: معناه يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام، وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك، وقيل: هو الذي يسمع حديثا فيه حسن وقبيح فيحدث بالحسن ويكف عما سواه، وهذا قول ابن عباس ﵄ وهو الأظهر، وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال، والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى. ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ فيها وجهان؛ أحدهما: أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه؟، فموضع "من في النار" موضع المضمر، والهمزة في قوله "أفأنت" هي الهمزة التي في قوله "أفمن" وهي همزة الإنكار كررت للتأكيد، والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه، فحذف الخبر ثم استأنف قوله "أفأنت تنقذ من في النار"، وعلى هذا يوقف على "العذاب"؛ والأول أرجح لعدم الإضمار. ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾ معنى "سلكه" أدخله وأجراه، والـ"ينابيع" جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر.

ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ

﴿مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ أي: أصنافه كالقمح والأرز والفول وغير ذلك، وقيل "الوانه" الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار وردٌّ على أهل الطبائع. ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره للاسلام كالقاسي القلب؟ وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام علي ابن أبي طالب وحمزة ﷺ، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال الزمخشري "من" هنا سببية، أي: قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله؛ وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون "قاسية" تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بـ"من"، والمعنى: أن قلوبهم خالية من ذكر الله. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني القرآن. ﴿كِتَٰبٗا﴾ بدل من "أحسن" أو حال منه. ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ معناه هنا: أنه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والنطق بالحق وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف. ﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مثان، أي: تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لأنه يثنى فيه على الله، فإن قيل "مثاني" جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم: برمة أعشار وثوب أخلاق، أو يكون تمييزا من "متشابها" كقولك حسن شمائل. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ إن قيل: كيف تعدى "تلين" بـ"إلى"؟ فالجواب: أنه تضمن معنى فعل تعدى بـإلى، كأنه قال: تميل، أو تسكن، أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا وحدها، ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولا "تقشعر" ذكر الجلود وحدها؛ لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيا "تلين" ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود، أما لين القلوب فهو ضد قسوتها، وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها؛ فاقشعرت أولا من الخوف ثم لانت بالرجاء. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلد. ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره تقديره: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب

وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

كمن هو آمن من العذاب، ومعنى "يتقي بوجهه" يلقى النار بوجهه ليكفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئا من المخاوف استقبله بيده، وأيدي هؤلاء مغلولة فاتقوا النار بوجوههم. ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح. ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، وقيل: معناه غير مخلوق، وقيل: غير ذي لحن، فإن قيل: لم قال "غير ذي عوج" ولم يقل غير معوج؟ فالجواب: أن قوله "غير ذي عوج" أبلغ في نفي العوج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيء من العوج أصلا. ﴿رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون، وقيل: متشاحون، وأصله من قولك: رجل شكس إذا كان ضيق الصدر، ومعنى ضرب هذا المثال بيان حال من يشرك بالله ومن يوحده؛ فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوأ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد، فمعنى قوله ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصا له، وقرئ "سلما" بغير ألف والمعنى واحد. ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ في هذا وعد للنبي ﷺ ووعيد للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل، وفيه أيضا إخبار بأنه ﷺ سيموت لئلا يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب ﷺ موته، حتى احتج عليه أبو بكر الصديق ﷺ بهذه الآية فرجع إليها [البخاري: 3467]. ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني الاختصام في الدماء، وقيل: في الحقوق؛ والأظهر أنه اختصام النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله، ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى: لا أحد أظلم ممن كذب على الله، ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا له من الشركاء والأولاد. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي: كذب بالإسلام والشريعة.

وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِى ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِى بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّى عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَاۖ

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قيل: "الذي جاء بالصدق" محمد ﷺ وهو الذي "صدق به"، وقيل: "الذي جاء بالصدق" محمد ﷺ والذي "صدق به" أبو بكر الصديق ﵁، وقيل: "الذي جاء بالصدق" جبريل، والذي "صدق به" محمد ﷺ، وقيل: "الذي جاء بالصدق" الأنبياء والذي "صدق به" المؤمنون؛ واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل "الذي" للجنس، كأنه قال: الفريق الذي؛ لأنه في مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ تقوية لقلب محمد ﷺ، وإزالة للخوف الذي كان الكفار يخوفونه. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآية، احتجاج على التوحيد ورد على المشركين. ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الآية، رد على المشركين وبرهان على الوحدانية، وروي أن سببها أن المشركين خوفوا رسول الله ﷺ من آلهتهم، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء، فإن قيل: كيف قال "كاشفات" و﴿مُمْسِكَاتُ﴾ بالتأنيث؟ فالجواب: أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها. ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف. ﴿بِالْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية اعتبار، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين؛ أحدهما: وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا

فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

يبصر ولا يسمع، ومنه قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾، وتقديرها: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت الحقيقي، ومعنى إمساكها أنه لا يردها إلى الدنيا ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس النائمة، وإرسالها هو ردها إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق؛ والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنَ أَمْرِ رَبِّي﴾. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء﴾ "أم" هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار، والشفعاء هم الأصنام وغيرها لقولهم ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَآؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾. ﴿قُلَ أَوَلَوْ كَانُوا﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال، وتقديره: أيشفعون وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون؟. ﴿قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مالكها فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه، وفي هذا رد على الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية، معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، ومعنى ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ انقبضت من شدة الكراهة، وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في الحج فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا. ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة، قال الزمخشري: إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، وقيل: معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

فإذا هي سيئات، وقال الحسن: ويل لأهل الرياء من هذه الآية، وهذا على أنها في المسلمين؛ والظاهر أنها في الكفار. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معنى "حاق" حل ونزل، وقال ابن عطية وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف؛ وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤن؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزؤن إذا خوفوا بعذاب الله، ويقولون متى هذا الوعد. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع، والآخر: على علم الله باستحقاقي لذلك، و"إنما" هنا تحتمل وجهين؛ أحدهما: وهو الأظهر أن تكون "ما" كافة و"على علم" في موضع الحال، والآخر: أن تكون "ما" اسم "إن" و"على علم" خبرها، وإنما قال "أوتيته" بالضمير المذكر؛ وهو عائد على الـ"نعمة" للحمل على المعنى. ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ رد على الذي قال "إنما أوتيته على علم". ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني قارون وغيره. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب وابن مسعود ﵄: هذه أرجى آية في القرآن، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية» [أحمد: 22416]، واختلف في سببها، فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة لما أراد أن يسلم، وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة، وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب ﵁ وقد كتب بها إلى هشام بن العاص لما جرى له ذلك، وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم، ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره، وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار؛ فقد أجمعت الأمة

وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾

على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» [أحمد: 17812]، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار، وإن أراد بهم العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، والمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا، أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة؛ والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا، والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿وَاتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني اتبعوا القرآن، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله، إنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر ويجتنبوا ما فيه من النواهي؛ فالتفضيل الذي يقتضيه "أحسن" إنما هو في الاتباع، وقيل: يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ؛ وهذا بعيد. ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقول نفس، وإنما نكر الـ"نفس" لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفوس الكفار. ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي: في حق الله، وقيل: في أمر الله، وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى. ﴿السَّاخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين. ﴿بَلَىٰ﴾ جواب للنفس التي حكى كلامها، ولا يجاب ببلى إلا النفي، وهي هنا جواب لقوله "لو ان الله هداني لكنت من المتقين"؛ لأنه في معنى النفي فإن "لو" حرف امتناع، وتقدير الجواب: بلى قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب، وقال ابن عطية: هي جواب لقوله "لو ان لي كرة" فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتسع للنظر، فقيل له: بلى على وجه الرد عليه؛ والأول أليق بسياق الكلام؛ لأن قوله "قد جاءتك ءاياتي" تفسير لما تضمنته "بلى". ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب. ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم،

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾

وقيل: معناه بحسناتهم، وقيل: بفضائلهم. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: قائم بتدبير كل شيء. ﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتح، وقيل: خزائن، واحدها مقليد، وقيل: إقليد، وقيل: لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية، وقال عثمان بن عفان ﷺ: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السماوات والأرض، فقال: «**هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**» [أبو يعلى (المطالب العلية: 3701)]، فإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السماوات والأرض؛ لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتح له. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله "وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم" وما بينهما من الكلام اعتراض. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب بـ"أعبد". ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفا وقرئ بنونين على الأصل، وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى. ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليل على إحباط أعمال المرتد مطلقا خلافا للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر، فإن قيل: الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله "لئن اشركت" لواحد؟ فالجواب: أن المعنى أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حدته، فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الإشراك؟ فالجواب: أن ذلك على الفرض والتقدير، أي: لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم، لكنهم لا يقع منهم شرك بسبب العصمة، ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه، ولا وصفوه بما يجب له، ولا نزهوه عما لا يليق به، والضمير في "قدروا" لقريش، وقيل: لليهود. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره، ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات، فقالت المتأولة:

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة، وقال ابن الطيب: إنها صفات زائدة على صفات الذات، وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه ما معناه: إن الأرض في قبضته والسماوات مطويات كل ذلك بيمينه، وقال ابن عمر رضي الله عنه ما معناه: إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسماوات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يميتهم بعد ذلك، وقيل: استثناء الأنبياء، وقيل: الشهداء. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام. ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظر، وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني صحائف الأعمال، وإنما وحدها لأنه أراد الجنس، وقيل: هو اللوح المحفوظ. ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا على قومهم. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله؛ والأول أرجح لأن فيه معنى الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين، والمراد على هذا أمة محمد ﷺ لأنهم يشهدون على الناس، وقيل: يعني الملائكة الحفظة. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق. ﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين جمع زمرة وهي الجماعة من الناس، وقال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»** [البخاري 3074]. ﴿خَزَنَتُهَآ﴾ جمع خازن حيث وقع. ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني القضاء السابق بعذابهم. ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ إنما قال في الجنة، "وفتحت" بالواو، وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

كانت مفتحة قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب "إذا" على هذا محذوف، وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤوها فوقع قوله "فتحت" جواب الشرط فكان بغير واو، وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية، وقيل: الواو زائدة، "وفتحت" هو الجواب. ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾ يعني أرض الجنة، والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة. ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ أي: ننزل من الجنة حيث نشاء ونتخذه مسكنا. ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي: محدقين به دائرين حوله. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة، أو جميع الخلق، أو أهل الجنة لقوله ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ (٦) ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٩)

سورة المؤمن

﴿حم﴾ تقدم الكلام في حروف الهجاء، وتختص "حم" بأنه قيل: معناها حم الأمر، أي: قضي، وقال ابن عباس ﷺ: "الر" و"حم" و"ن" هي حروف الرحمن. ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ذكر في الزمر. ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي: الفضل والإنعام، وقيل "الطول" الغنى والسعة. ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ جعل "لا يغررك" بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبي ﷺ ووعيد للكفار. ﴿وَالْأَحْزَابُ﴾ يراد بهم عاد وثمود وغيرهم. ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا به الحق. ﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه. ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطف على "الذين يحملون". ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إن قيل ما فائدة قوله "ويؤمنون به"، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب: أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدة أخرى؛ وهي أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذا نزعة إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى. ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم، وإنما أسندتا في اللفظ إلى الله تعالى لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء. ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ يحتمل أن يكون

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ

المعنى قهم السيئات نفسها بحيث لا يفعلونها، أو يكون المعنى قهم جزاء السيئات فلا تؤاخذهم بها. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المقت: البغض الذي يوجبه ذنب أو عيب، وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار، فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أي مقت بعضهم بعضا، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم، فقوله "لمقت الله" مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول "مقتكم" عليه، وقوله ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف العامل فيه "مقت الله" من طريق المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن "مقت الله" مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله "أنفسكم" والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى، وقد جعل الزمخشري "مقت الله" عاملا في الظرف ولم يعتبر الفصل. ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام والموتة الثانية الموت المعروف، والحياة الأولى حياة الدنيا والحياة الثانية حياة البعث في القيامة، وقيل: الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة في القبر، والموتة الأولى الموت المعروف والموتة الثانية بعد حياة القبر؛ وهذا قول فاسد لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاث مرات، فإن قيل: كيف اتصال قولهم "أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين" بما قبله؟ فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حينئذ ليرضوا الله حينئذ بإقرارهم، فقولهم "أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين"؛ إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعا منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله، إذ كانوا يدعون إلى الإيمان فيكفرون. ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة ومعناها: التسبب، فإن قيل: كيف يكون قولهم "أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين" سببا لاعترافهم بالذنوب؟ فالجواب: أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على البعث؛ فاعترفوا بذنوبهم وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي؛ فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي. ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ الباء سببية للتعليل، والإشارة بـ"ذلكم" يحتمل أن تكون للعذاب الذي هم فيه، أو إلى مقت الله لهم، أو مقتهم لأنفسهم؛ والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه

فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾

سياق الكلام، وذلك أنهم لما قالوا "فهل إلى خروج من سبيل" كأنهم قيل لهم: لا سبيل إلى الخروج؛ فالإشارة بقولـه "ذلكـم" إلى عدم خروجهم من النـار. ﴿يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ يعني العلامات الدالـة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسـله. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني المطر. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى مرتفـع الدرجـات، فيكون بمعنى العـلي أو رافع درجات عبـاده في الجنة وفي الدنيا. ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ يعني الوحـي. ﴿مِنَ أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريـد الأمر الذي هو واحد الأمور أو الأمر بالخير، فعلى الأول تكون "من" للتبعيض أو لابتداء الغاية، وعلى الثاني تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يعني يوم القيامة، وسـمي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه، وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وقيل: لأنه يلتقي الخلق فيه مع ربهم، والفاعل في "ينذر" ضمير يعود على "من يشاء"، أو على الروح، أو على الله. ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا مـن كلام الله تعالى تقريرا للخلق يوم القيامة فيجيبونه ويقولون ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وقيل: بل هو الذي يجيب نفسـه؛ لأن الخلق يسـكتون هيبة له، وقيل: إن القائل "لمن الملك اليوم" ملك. ﴿يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ يعني القيامة، ومعناها القريبة. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ معناه: أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر؛ فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجازا عبر به عن شدة الخوف، و"الحناجر" جمع حنجـرة وهـي الحلق. ﴿كَاظِمِينَ﴾ أي: محزونين حزنا شـديدا كقوله ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، وقيـل: معناه يكظمون حزنهـم، أي: يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهـم، وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب؛ لأن معناه قلوب الناس، أو من المفعول في "أنذرهم"، أو من "القلوب" وجمعها جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: صديق مشـفق. ﴿وَلَا شَـفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون نفي الشـفاعة وطاعة الشفيع أو نفي طاعة الشفيع خاصة، كقولك: ما جاءني رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك

يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ

رجل غير صالح؛ والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم. ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأعْيُنِ﴾ أي: استراق النظر، والـ"خائنة" مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة، وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله "لينذر يوم التلاق". ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات. ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَآءَ الَّذِينَ ءامَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولا قبل ميلاد موسى. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه ولا يخاف من ذلك إن قتله، ويظهر من قوله "ذروني" أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى، وذلك يدل على أن فرعون قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى. ﴿وَأَن يُظْهِرَ فِي الأرْضِ الْفَسَادَ﴾ يعني فساد أحوالهم في الدنيا، وقرئ "وأن يظهر" بالواو وبـ"أو"، و"يظهر" بفتح الياء ورفع "الفساد" على الفاعلية، وبضم الياء ونصب "الفساد" على المفعولية. ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ﴾ الآية، لما سمع موسى ما هم به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه، وقال ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لفرعون بذلك الوصف القبيح. ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: إن اسم هذا المؤمن حبيب، وقيل: حزقيل،

يَكۡتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَـٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَـٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾

وقيل: شمعان بالشين المعجمة، وروي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله "من آل فرعون" صفة لـ"مؤمن"، وقيل: كان من بني إسرائيل فقوله "من آل فرعون" على هذا يتعلق بقوله ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾؛ والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ولقوله ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ﴾ لأن هذا من كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام. ﴿أَن يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره: أتقتلونه من أجل أن يقول ربي الله. ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: إن كان موسى كاذبا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلأي شيء تقتلونه؟ فإن قيل: كيف قال "وإن يك كاذبا" بعد أن كان قد آمن به؟ فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجة لقومه، فقسم أمر موسى إلى قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجه من القسمين. ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ قيل: إن "بعض" هنا بمعنى كل؛ وذلك بعيد وإنما قال "بعض" ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصب لموسى، ويظهر النصيحة لقومه فيرتجي إجابتهم للحق. ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أولا، وقيل: موسى عليه السلام؛ وهذا بعيد وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولا غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه إذ كان يكتم إيمانه، والجواب أنه كتم إيمانه في أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك وجاهرهم مجاهرة ظاهرة؛ لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه لقومه إلى قوله ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللَّهِ﴾. ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يعني يوم القيامة، وسمي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ﴾، وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضا؛ أي: ينادي أهل الجنة ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾، وينادي أهل النار ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ﴾.

يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار، وقيل: هاربين من النار. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قيل: هو يوسف بن يعقوب، وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، والبينات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؛ لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون. ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعي الرسالة بعد يوسف قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بدل من "مسرف مرتاب"، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع كأنه قال: كل مسرف. ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل "كبر" مصدر "يجادلون"، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير "من هو مسرف". ﴿الأَسْبَابَ﴾ هنا الطرق، وقيل: الأبواب، وكررها للتفخيم وللبيان. ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ بالرفع عطف على "أبلغ"، وبالنصب بإضمار أن في جواب "لعل" لأن الترجي غير واجب فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا تقول إن "لعل" أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة. ﴿تَبَابٍ﴾ أي: خسران. ﴿مَتَاعٌ﴾ أي: يتمتع به قليلا، فإن قيل: لم كرر المؤمن نداء قومه مرارا؟ فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة

وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ

والنصيحة، فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله ﴿وَيَا قَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان للأول وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه. ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وإذا لم يكن إلها لم يصح علم ربوبيته. ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا شك. ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى ليس له قدر ولا حق يجب أن يدعي إليه أحد، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة، أي: لا يدعو أحدا إلى عبادته. ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ دليل على أن من فوض أمره إلى الله كان الله معه. ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ "النار" بدل من "سوء العذاب"، أو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر، وروي أن أرواحهم في أجواف طير سود تروح بهم وتغدو إلى النار. ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه في كل غدوة وعشية من أيام الدنيا، وقيل: المعنى على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية. ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هلا قال الذين في النار لخزنتها فلم صرح باسمها؟ فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلا ليس في ذكر الضمير.

قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلا بقولهم "فادعوا"، أو يكون من كلام الله تعالى استئنافا. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل: إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام؛ لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى؛ والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكروه أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لا نصر الأنبياء كلهم. ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني يوم القيامة، و"الاشهاد" جمع شاهد أو شهيد، ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة في سبيل الله؛ والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ يحتمل أنهم لا يعتذرون أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم؛ والأول أرجح لقوله ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ فنفى الاعتذار والانتفاع به. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه. ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قيل "العشي" صلاة العصر، "والابكار" صلاة الصبح، وقيل "العشي" بعد العصر إلى الغروب، "والابكار" من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني كفار قريش. ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك، وقيل: كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها؛ والأول أظهر لأن إرادة النبوة لأنفسهم حسد، والأول هو الكبر. ﴿مَا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ أي: لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك أو من نيل النبوة. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: استعذ من شرهم لأنهم أعداء لك، واستعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد، أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق. ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ الخلق هنا مصدر مضاف إلى

قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ

المفعول، والمراد بهذا الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها، وقيل: المراد توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم؛ والأول أرجح لوروده في مواضع من القرآن ولأنه قال بعده ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدم الدليل ثم ذكر المدلول. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا الطلب والرغبة، وهذا وعد مقيد بالمشيئة وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له، وقيل: "ادعوني" هنا بمعنى اعبدوني بدليل قوله بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا هذه الآية. [ابن حبان: 890]، و"أستجب لكم" على هذا القول بمعنى أغفر لكم وأعطيكم أجوركم؛ والأول أظهر، ويكون قوله "يستكبرون عن عبادتي" بمعنى يستكبرون عن الرغبة إليّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» [الترمذي: 3733]، وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله. ﴿دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين. ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني المستلذات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا متصل بما قبله قال ذلك ابن عطية والزمخشري، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله رب العالمين، ولذلك

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين، ويحتمل أن يكون الحمد لله استئنافا. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ ذكر الأشد في سورة يوسف عليه السلام، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا، وكذلك ﴿لِتَكُونُوا﴾، وأما ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ فمتعلق بمحذوف آخر تقديره: فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني كفار قريش، وقيل: هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم؛ وهذا مردود بقوله. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ إلا إن جعلناه منقطعا مما قبله؛ وذلك بعيد. ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ﴾ العامل في "إذ" "يعلمون"، وجعل الظرف الماضي من موضع المستقبل لتحقق الأمر. ﴿يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: يجرون، و"الحميم" الماء الشديد الحرارة. ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هو من قولك: سجرت التنور إذا ملأته بالنار؛ فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار. ﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المرح وهو الأشر والبطر، وقيل: الفخر والخيلاء. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: بئس مدخل المتكبرين لأنه تقدم قوله "ادخلوا"، فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل "إما نرينك" إن نريك ودخلت "ما" الزائدة بعد "إن" الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون فننتقم منهم أشد الانتقام. ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف

وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

رسـول»، وفي حديـث آخر: «**أربعـة آلاف**» [الحاكم: 4167]، وفي حديـث أبي ذر ﷺ: «**إن الأنبياء مائـة ألف وأربع وعشرون ألفا، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر**» [الحاكم: 4166]، فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري "أمر الله" القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد الله إرسـال رسـول قضى ذلك، ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ "هنالك" في الموضعين يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان. ﴿الْأَنْعَامَ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز، فقوله ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني اللحوم، والـ﴿مَنَافِعُ﴾ اللبن والصوف وغير ذلك. ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني قطع المسافات البعيدة وحمـل الأثقال عـلى الإبل، و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد الركوب عليها وإنما كـرره بعد قوله "لتركبوا منهـا"؛ لأنه أراد بالركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية. ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ هذا عموم بعد ما تقدم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبخهم بقوله ﴿فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾. ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين، وفي تفسير علمهم وجوه؛ أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها، والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع، وقيل: الضمير يعود على الرسـل؛ أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذبهم، وأما الضمير في ﴿حَاقَ بِهِم﴾ فيعود على الكفار باتفاق؛ وذلك يرجح أن يكون الضمير في "فرحوا" يعود عليهم ليتسـق الكلام. ﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدرية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ

سورة حم السجدة

﴿فُصِّلَتۡ﴾ أي: بينت، وقيل: قطعت إلى سور وآيات. ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ منصوب بفعل مضمر على التخصيص، أو حال، أو مصدر. ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف، وقيل: معناه يعلمون الحق وهو الإيمان؛ فالأول عام وهذا خاص، والأول أولى لقوله ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾؛ لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل: يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم، وقوله "لقوم" يتعلق بـ"تنزيل" أو بـ"فصلت"؛ والأحسن أن يكون صفة لـ"كتاب". ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ أي: لا يقبلون ولا يطيعون، وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة. ﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ جمع كنان وهو الغطاء. ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ عبارة عن بعدهم عن الإسلام. ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ قيل: معناه: اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا؛ فهو متاركة، وقيل: اعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك؛ فهو تهديد. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هي زكاة المال، وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس، ولأنها من أركان الإسلام، وقيل: يعني بـ"الزكاة" التوحيد؛ وهذا بعيد، وإنما حمله على ذلك لأن الآية مكية ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة، والجواب أن المراد النفقة في طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة. ﴿أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ أي: غير مقطوع من قولك: مننت الحبل إذا قطعته، وقيل: غير منقوص، قيل: غير محصور، وقيل: لا يمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان. ﴿أَندَادٗا﴾ أي: أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها. ﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أكثر خيراتها. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومعاشهم، وقيل: يعني أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض؛ والأول أظهر. ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ يريد أن الأربعة كملت باليومين

سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾

الأولين فخلق الأرض في يومين، وجعل فيها ما ذكر في يومين فتلك أربعة أيام، وخلق السموات في يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة. ﴿سَوَآءٗ﴾ بالنصب مصدر تقديره: استوت استواء قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: انتصب على الحال. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ قيل: معناه لمن سأل عن أمرها، وقيل: معناه للطالبين لها ويعني بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره: يبين ذلك لمن سأل عنه، ويتعلق بـ"قدر" على القول الثاني. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد إليها، ويقتضي هذا الترتيب أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾؟ فالجواب: أنها خلقت قبل السماء ثم دحيت بعد ذلك. ﴿وَهِيَ دُخَانٞ﴾ روي: أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء، فأيبس الماء فصار أرضا ثم خلق السماء من الدخان المرتفع. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يده: افعل كذا شئت أو أبيت، أي: لا بد لك من فعله، وقيل: تقديره: ايتيا طوعا وإلا أتيتما كرها، ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التي أرادها الله، وقوله لهما "ايتيا" مجاز وهو عبارة عن تكوينه لها، وكذلك قولهما ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما، وقيل: بل ذلك كلام حقيقة، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما "أتينا طائعين"، وإنما جمع "طائعين" جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي: صنعهن، والضمير للسموات السبع، وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة؛ لأنها لا تعقل فهو كقولك: الجذوع انكسرت، وجمعها جمع المذكر العاقل في قوله "طائعين"؛ لأنه وصفها بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملها معاملتهم فهو كقوله ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾، وأعاد ضمير التثنية في قوله "قالتا" لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى. ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾ أي: أوحى إلى سكانها من الملائكة، وإليها هي نفسها ما شاء من الأمور التي بها قوامها وصلاحها، وأضاف الأمر إليها لأنه فيها. ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم، وهي زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات. ﴿وَحِفۡظٗا﴾ تقديره: وحفظناها حفظا، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظا. ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ الضمير لقريش. ﴿صَٰعِقَةٗ﴾

إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَآءَ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم

يعني وقعة واحدة شديدة، وهي مستعارة من صاعقة النار، وقرئ "صعقة" بإسكان العين وهو الوقعة من قولك: صعق الرجل. ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما "بين أيديهم" المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدم، واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك "من بين أيديهم"، ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك "من خلفهم" قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم، وقيل: أخبروهم بما أصاب من قبلهم، فذلك "ما بين أيديهم"، وأنذروهم ما يجرى عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك "من خلفهم". ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ﴾ "أن" حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا إلا الله. ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة، وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكم. ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل: إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه باردة، وقيل: إنه من قولك: صَرْصَرَ إذا صوت فمعناه لها صوت هائل. ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ معناه: من النحس وهو ضد السعد، وقيل: شديدة البرد، وقيل: متتابعة؛ والأول أرجح، وروي: أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء، وقرئ "نحسات" بإسكان الحاء وكسرها؛ فأما الكسر فجمع نحس وهو صفة، وأما الإسكان فتخفيف من الكسر، أو صفة على وزن فعل، أو وصف بالمصدر. ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: بينا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يدفعون بعنف. ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ هي الجلود المعروفة، وقيل: هي كناية عن الفروج؛ والأول أظهر.

بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية، يحتمل أن يكون من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالى، أو الملائكة، وفي معناه وجهان؛ أحدهما: لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم، والآخر: لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنوا أنها تشهد عليكم وإنما استترتم؛ لأنكم ﴿ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا أرجح لاتساق ما بعده معه، ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع منا شيئا فإنه يسمعه كله، فنزلت الآية [البخاري: 9354]. ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أي: أهلككم من الردي بمعنى الهلاك. ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العتبى بمعنى الرضا، أي: إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطاها. ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس. ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ "ما بين أيديهم" ما تقدم من أعمالهم، "وما خلفهم" ما هم عازمون عليه، أو "ما بين أيديهم" من أمر الدنيا، "وما خلفهم" من أمر الآخرة والتكذيب بها. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء بعذابهم. ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي: في جملة أمم، وقيل: "في" بمعنى مع. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله. ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ المعنى: لا تسمعوا إليه وتشاغلوا عند قراءته برفع

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

الأصوات، وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد، وقيل: معناه قعوا فيه وعيبوه. ﴿أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضي لتحققه، ومعنى "الذين أضلانا" كل من أغوانا من الجن والإنس، وقيل: المراد ولد آدم الذي سن القتل وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان؛ وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاص وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر. ﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي: في أسفل طبقة من النار. ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال أبو بكر الصديق ﷺ: المعنى استقاموا على قولهم ربنا الله فصح إيمانهم ودام توحيدهم، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي؛ وقول عمر ﷺ أكمل وأحوط، وقول أبي بكر ﷺ أرجح؛ لما روى أنس ﷺ أن رسول ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «**قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام**» [الترمذي: 3250]، وقال بعض الصوفية: معنى "استقاموا" أعرضوا عما سوى الله؛ وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيها. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني عند الموت. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة. ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: ما تطلبون. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسن قولا منه، ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم، وقيل المراد محمد ﷺ، وقيل: المؤذنون؛ وهذا بعيد لأنها مكية وإنما شرع الأذان بالمدينة، ولكن المؤذنون يدخلون في العموم. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ الضمير يعود على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله "ادفع بالتي هي أحسن". ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: حظ من العقل والفضل، وقيل: حظ عظيم في الجنة. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ "إن" شرطية دخلت عليها "ما" الزائدة، ونزغ الشيطان

وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

وساوسه وأمره بالسوء. ﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل و النهار والشمس والقمر؛ لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة، وقيل: إنما يعود على الشمس والقمر وجمعَها لأن الاثنين جمع؛ وهذا بعيد. ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة. ﴿لا يَسْأَمُونَ﴾ أي: لا يملون. ﴿الأرْضَ خَاشِعَةً﴾ عبارة عن قلة النبات. ﴿اهْتَزَّتْ﴾ ذكر في الحج. ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءايَاتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب، وقيل: باللغو فيه حسبما تقدم في السورة. ﴿أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ الآية، قيل: إن المراد بالذي "يلقى في النار" أبو جهل، وبالذي ﴿يَأتِي ءَامِنًا﴾ عثمان بن عفان ﷺ، وقيل: عمار بن ياسر ﷺ؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد لا إباحة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ "الذكر" هنا القرآن باتفاق، وخبر "إن" محذوف تقديره: ضلوا أو هلكوا، وقيل: خبرها "اولئك ينادون من مكان بعيد"؛ وذلك بعيد. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ أي: كريم على الله، وقيل: منيع من الشيطان. ﴿لَّا يَاتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أي: ليس فيها تقدمه ما يبطله ولا يأتي بعده ما يبطله، والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات. ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قال الأمم المتقدمون لرسلهم؛ فالمراد على هذا تسلية النبي ﷺ بالتأسي، والمراد على القول الأول بأنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل أن يكون مستأنفا أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة، وذلك على القول الأول، وأما على القول الثاني

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ

فهو مستأنف منقطع مما قبله. ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ الأعجمي الذي لا يفصح ولا يُبيِّن كلامَه سواء كان من العرب أو من العجم، والعجمي الذي ليس من العرب فصيحا كان أو غير فصيح، ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن، فالمعنى: أنه لو كان أعجميا لطعنوا فيه وقالوا: هلا كان مبينا؟ فظهر أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان. ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم، والهمزة للإنكار، والمعنى: أنه لو كان القرآن أعجميا لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي، وقيل: إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية كـ﴿سِجِّينٍ﴾ و﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ فقالوا: قرآن أعجمي وعربي، أي: مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على قراءة "أَعجمي" بفتح العين. ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ عبارة عن إعراضهم عن القرآن، فكأنهم صم لا يسمعونه، وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارة عن قلة فهمهم له. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه عبارة عن قلة فهمهم فشبههم بمن يُنادى من مكان بعيد فهو يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال، والثاني: أنه حقيقة في يوم القيامة، أي: ينادون من مكان بعيد ليسمعَ أهلُ الموقفِ توبيخَهم؛ والأول أليق بالكنايات التي قبلها. ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر. ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحد عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها. ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كِمٍّ بكسر الكاف، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ العامل في "يوم" محذوف والمراد به يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله "أين شركاءى" توبيخ لهم، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين كأنه قال: الشركاء الذين جعلتم لي. ﴿قَالُوٓا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ المعنى: أنهم قالوا أعلمناك ما منا من شهيد اليوم بأن لك شريكا؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لم يروهم حينئذ، فـ"ما" على هذا

وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٧﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٩﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥١﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٣﴾

موصولة، أو ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، فـ"ما" على هذا مصدرية. ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، والمحيص المهرب، أي: علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب، وقيل: يوقف على "ظنوا" ويكون "ما لهم" استئنافا؛ وذلك ضعيف. ﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل: في غيره من الكفار؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا حقي الواجب لي وليس تفضلا من الله؛ ولا يقول هذا إلا كافر ويدل على ذلك قوله ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، وقوله ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ معناه: إن بعثت تكون لي الجنة، وهذا تخرص وتكبر، وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة. ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ ذكر في الإسراء. ﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذم لها. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ الآية، معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم في شقاق بعيد، فموضع قوله ﴿مَنَ أَضَلُّ﴾ موضع الخطاب لهم. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن الآيات "في الافاق" هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات "في أنفسهم" هي فتح مكة، فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور وتهديدا للكفار واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل، والثاني: أن الآيات "في الافاق" هي ما أصاب الأممَ المتقدمين من الهلاك، "وفي أنفسهم" يوم بدر، الثالث: أن الآيات "في الافاق" هي خلقة السماء وما فيها من العبر، والآيات "في أنفسهم" خلقة بني آدم؛ وهذا ضعيف لأنه قال "سنريهم" بسين الاستقبال، وقد كانت خلقة السماء وخلقة بني آدم مرئية؛ والأول هو الراجح. ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن أو للإسلام. ﴿مُحِيطٌ﴾ أي: محيط بعلمه وقدرته وسلطانه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ

سورة الشورى

﴿حم عسق﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم في البقرة، وحكى الطبري: أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن "حم عسق" فأعرض عنه، فقال حذيفة رضي الله عنه: إنما كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبني مدينة على نهر من أنهار المشرق، ثم يخسف الله بها في آخر الزمان. والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد، وقد ورد في الحديث أنها يخسف بها. ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، والإشارة بـ"ذلك" إلى ما تضمنه القرآن أو السورة، وقيل: الإشارة إلى قوله "حم عسق" فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله؛ وفي صحة هذا نظر. ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم الله فاعل بـ"يوحي"، وأما على قراءة "يوحى" بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه "يوحى"، كأن قائلا قال: من الذي أوحى؟ فقيل: الله. ﴿يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي: يتشققن من خوف الله وتعظيم جلاله، وقيل: من قول الكفار ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾؛ فهي كالآية التي في مريم، قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردود؛ لأن الله تعالى لا يوصف به. ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير لـ"لسموات" والمعنى: يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغة في التهويل، وقيل: الضمير للأرضين وهذا بعيد، وقيل: الضمير للكفار؛ كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن؛ وهذا أيضا بعيد. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ هذا عموم يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر للمؤمنين من أهل الأرض فهي كقوله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقيل: إن "يستغفرون للذين آمنوا" نسخ هذه الآية؛ وهذا باطل لأن النسخ لا يدخل في الأخبار، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه الإمهال لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة؛ فيكون عاما، فإن قيل: ما وجه اتصال قوله "والملائكة يسبحون" الآية بما قبلها؟ فالجواب: أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فيكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة. ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ هي مكة والمراد أهلها، ولذلك عطف عليه

وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ

﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني من الناس. ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يعني يوم القيامة، وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ "أم" منقطعة والـ"أولياء" هنا المعبودون من دون الله. ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله؛ بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق، أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ كقوله ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الإناث. ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف. ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ معناه: يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، وقيل: يكثركم، والضمير المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله "جعل لكم" وهذا كما تقول: كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه، وقيل: الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله "أزواجا"، وقال الزمخشري: تقديره يذرؤكم في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا، والضمير في "يذرؤكم" خطاب للناس والأنعام غُلب فيه العقلاء على غيرهم، فإن قيل: لم قال "يذرؤكم فيه" وهلا قال: يذرؤكم به؟ فالجواب أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير، قاله الزمخشري. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، قال كثير من الناس: الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى: ليس مثله شيء، وقال الطبري وغيره: ليست بزائدة ولكن وضع "مثله" موضع هو، والمعنى: ليس كهو شيء، قال الزمخشري: وهذا كما تقول مثلك لا يبخل، والمراد أنت لا تبخل فنفي البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته. ﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ اتفق دين محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا ولذلك فسره بقوله ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته

كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تراد هنا. ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ يحتمل أن يكون في موضع نصب بدلا من قوله "ما وصى"، أو في موضع خفض بدلا من "به"، أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر، أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب. ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صعب الإسلام على المشركين. ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ الضمير في "إليه" يعود على "الله"، وقيل على "الدين". ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني القضاء السابق بأن لا يُفصل بينهم في الدنيا. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى، وقيل: يعني العرب، و"الكتاب" على هذا هو القرآن. ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الضمير لـ"لكتاب"، أو لـ"الدين"، أو لمحمد ﷺ. ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي: إلى ذلك الذي شرع الله ادع الناس؛ فاللام بمعنى إلى، والإشارة بـ"ذلك" إلى قوله "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا"، أو إلى قوله "ما تدعوهم إليه"، وقيل: اللام بمعنى مِن أَجْلِ والإشارة إلى التفرق والاختلاف، أي: لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله، وعلى هذا يكون قوله ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ معطوفا، وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على "فادع". ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الضمير للكفار و"أهواءهم" ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قيل: يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه، ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي: أمرت أن أحملكم على الحق. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون. ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الله ويعني كفار قريش، وقيل: اليهود. ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ الضمير يعود على "الله"، أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه، وقيل: يعود على الدين، وقيل: على محمد ﷺ؛ والأول أحسن وأظهر.

ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: زاهقة باطلة. ﴿أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني جنس الكتاب. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب أو متضمنا للحق. ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: يعني العدل، ومعنى إنزال العدل إنزال الأمر به في الكتب المنزلة، وقيل: يعني الميزان المعروف، فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم. ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء "قريب" بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد وقت الساعة. ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزا للمؤمنين. ﴿يُمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون. ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ أي: ما تقوم به الحياة؛ فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره، والزائد خاص بمن شاء الله. ﴿حَرْثَ الآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحارث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل. ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب. ﴿نُؤتِهِ مِنْهَا﴾ أي: نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم له. ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا للكفار أو لمن كان يريد الدنيا خاصة ولا رغبة له في الآخرة. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء﴾ "أم" منقطعة للإنكار، والـ"شركاء" الأصنام وغيرها، وقيل: الشياطين. ﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الضمير في "شرعوا" لـ"شركاء" وفي "لهم" للكفار، وقيل: بالعكس؛ والأول أظهر و"لم يأذن" بمعنى لم يأمر، والمراد: ما شرعوا من البواطل في الاعتقادات وفي الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك. ﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها. ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ يعني في

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٠﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢١﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾

الآخرة. ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشر به، وحذف الجار والمجرور. ﴿إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيه أربعة أقوال؛ الأول: أن "القربى" بمعنى القرابة و"في" بمعنى من أجل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم؛ فالقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة، الثاني: أن "القربى" بمعنى الأقارب، أي: ذوي القربى، والمعنى: إلا أن تودوا أقاربي وتحفظوني فيهم؛ والقصد على هذا وصية بأهل البيت، الثالث: أن "القربى" قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم؛ والقصد من هذا وصية بصلة الرحم، الرابع: أن "القربى" التقرب إلى الله، والمعنى: إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع لأن "المودة" ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال: لا أسألكم أجرا إلا المودة فجعل المودة كالأجر. ﴿يَقْتَرِفْ﴾ أي: يكتسب. ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني مضاعفة الثواب. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ "أم" منقطعة للإنكار والتوبيخ. ﴿فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ في المقصد بهذا قولان؛ أحدهما: أنه رد على الكفار في قولهم ﴿افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ أي: لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك لكنك لم تفتر عليه كذبا فقد هداك وسددك، والآخر: أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار واحتمال أذاهم.
﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على الذي قبله؛ لأن الذي قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به، وفي المراد به وجهان؛ أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت، والآخر: أنه وعد لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ وهو الإسلام. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ "عن" هنا بمعنى من، وكأنه قال التوبة الصادرة عن عباده، وقبول التوبة على ثلاثة أوجه؛ أحدها: التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعا، والثاني: التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى يرد المظالم أو يستحل منها، والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله؛ فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية، وقيل: هي في المشيئة. ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا، وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام؛ الأول: العفو

وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

عن الكفر وهو لا يكون أصلا، والثاني: العفو عن مظالم العباد وهو كذلك، والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق، الرابع: العفو عن الكبائر؛ فمذهب أهل السنة أنه في المشيئة، ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة. ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءامَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن معنى "يستجيب" يجيب، و"الذين آمنوا" مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يجيبهم فيما يطلبون منه، وقال الزمخشري: أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام، والثاني: أن معناه يجيب و"الذين آمنوا" فاعل، أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه، والثالث: أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم، واستفعل على هذا على بابه من الطلب؛ والأول أرجح لدلالة قوله "ويزيدهم من فضله" ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنه. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادة على الاستجابة فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان [الطبراني: 10462]. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض وطغوا؛ لأن الغنى يوجب الطغيان، وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم: فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قيل: لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس، فقال: الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية، ومنه قوله ﷺ: **«اشتدي أزمة تنفرجي»** [القضاعي: 748]. ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ قيل: يعني المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر، وقيل: يعني الشمس، وقيل: بالعموم. ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾ لا إشكال لأن الدواب في الأرض، وأما في السماء فقيل يعني الملائكة، وقيل: يمكن أن تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن، وقيل: المعنى أنه يبث في أحدهما فذكر الاثنين كما تقول: في بني فلان كذا وإنما هو في بعضهم. ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد جمع الخلق للحشر يوم القيامة. ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى: أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: **«لا يصيب ابن آدم خدش عود، أو عثرة قدم**

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفوا الله عنه أكثر» [شعب الإيمان: 9815]، وقرئ "بما كسبت" بغير فاء على أن يكون "ما أصابكم" بمعنى الذي، وقرئ بالفاء على أن يكون "ما أصابكم" شرطا. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ قد ذكر. ﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السفينة. ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع علم وهو الجبل. ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيَاحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ الضمير في "يظللن" للجواري وفي "ظهره" للبحر، أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر؛ فالمقصد تعديد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ عطف على "يسكن الرياح"، ومعنى "يوبقهن" يهلكهن بالغرق من شدة الريح العاصفة، والضمير فيه للسفن وفي "كسبوا" لركابها من الناس، والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس. ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءايَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله، وقرئ "يعلم" بالرفع على الاستئناف وبالنصب، واختلف في إعرابه على قولين؛ أحدهما: أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب، وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه، والثاني: قول الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف كثير في القرآن، ومنه قوله ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءايَةً لِلنَّاسِ﴾. ﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء، وقيل "كبائر الإثم" هو الشرك. ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ هو الزنا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل: يعني الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان؛ ويظهر لي أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ لأنه بدأ أولا بصفات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم صفات عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك؛ فأما صفات أبي بكر رضي الله عنه فقوله ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وإنما جعلناها صفة أبي بكر رضي الله عنه، وإن كان جميعهم متصفا بها؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله ﷺ: «**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح**» [مسند: 3875]، وقال ﷺ: «**أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها**»، وقال أبو بكر رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان،

وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾

وأما صفات عمر ﷺ فقوله ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾؛ لأن ذلك هو التقوى، وقد قال ﷺ: «أنا مدينة التقوى وعمر بابها»، وقوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ لأن قوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ﴾ نزلت في عمر ﷺ، وأما صفات عثمان ﷺ فقوله ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾؛ لأن عثمان ﷺ لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام تبعه وبادر إلى الإسلام، وقوله ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾؛ لأن عثمان ﷺ كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ الآية، وروي عنه كان يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن عثمان ﷺ ولي الخلافة بالشورى، وقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ لأن عثمان ﷺ كان كثير النفقة في سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة، وأما صفات علي ﷺ فقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق، وانظر كيف سمى رسول الله ﷺ المقاتلين لعلي ﷺ بالفئة الباغية حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر ﷺ: «**تقتلك الفئة الباغية**» [البخاري: 436]؛ فذلك هو البغي الذي أصابه، وقوله ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن علي ﷺ حين بايع معاوية ﷺ، وأسقط حق نفسه ليُصلح أحوال المسلمين ويُحقن دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن ﷺ: «**إن ابني هذا سيد لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» [البخاري: 2557]، وقوله ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ إشارة إلى انتصار الحسين ﷺ بعد موت الحسن ﷺ وطلبه للخلافة والانتصار من بني أمية، وقوله ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم أنهم «**جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا**» [الحاكم: 8475]، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب ﷺ على منابرهم، وقوله ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ إشارة إلى صبر أهل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضر والذل طول مدة بني أمية. ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سمى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثله تحرزا

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾

من الزيادة عليه. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا يدل على أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾، وقيل: إن الانتصار أفضل؛ والأول أصح فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾، والمباح لا مدح فيه ولا ذم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل، والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا ممن بدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم، والثالث: إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسبما ذكرنا فانتصاره محمود؛ لأن قتال أهل البغي واجب لقوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾. ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار. ﴿خَاشِعِينَ﴾ عبارة عن الذل والكآبة. ﴿مِنَ الذُّلِّ﴾ يتعلق بـ"خاشعين" أو بـ"ينظرون" وعلى هذا عول الزمخشري. ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه عبارة عن الذل لأن نظر الذليل بمهانة واستكانة، والآخر: أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم وإنما ينظرون بقلوبهم؛ واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري، والـ"طرف" يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يتعلق بـ"قال" أو بـ"خسروا". ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى. ﴿لا مَرَدَّ لَهُ﴾ ذكر في الروم. ﴿من نَّكِيرٍ﴾ أي: إنكار يعني لا تنكرون أعمالكم. ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له، قال واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: مِنْ يُمن المرأة تبكيرها بأنثى

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٤٧﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٩﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٠﴾

قبل الذكر لأن الله بدأ بالإناث، وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمع بين الإناث والذكور، ويحيى كان عقيما؛ والظاهر أنها على العموم في جميع الناس إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر، وفي الآية من أدوات البيان التقسيم. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا﴾ الآية، بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه؛ أحدها: الوحي المذكور أولا وهو يكون بإلهام أو بمنام، والآخر: بأن يسمعه كلامه من وراء حجاب، والثالث: الوحي بواسطة الملك وهو قوله ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً﴾ يعني ملكا. ﴿فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء﴾ إلى النبي، وهذا خاص بالأنبياء، والثاني خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليهما وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء، وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا، وقد يكون لسائر الخلق ومنه ﴿أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ومنه منامات الناس. ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً﴾ قرئ "يرسل" و"يوحي" بالرفع على تقدير: أو هو يرسل، وبالنصب عطفا على "وحيا"؛ لأن تقديره: أن يوحي بعطف "أن" على أن المقدرة. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا القرآن، والمعنى: مثل هذا الوحي وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآنَ، والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشيء. ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ المقصد بهذا شيئان؛ أحدهما: تعداد النعمة عليه ﷺ بأن علمه الله ما لم يكن يعلم، والآخر: احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل: أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل بعثهم، فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة، وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه، وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك فـ"الإيمان" هنا يعني به كمال المعرفة وهي التي حصلت له بالنبوة. ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

سورة الزخرف

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن، و"المبين" يحتمل أن يكون بمعنى البين أو المُبين لغيره. ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ "أم الكتاب" اللوح المحفوظ، والمعنى: أن القرآن وصف في اللوح المحفوظ بأنه "علي حكيم"، وقيل: المعنى أن القرآن نسخ بجملته في اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله، فوصفه الله بأنه علي حكيم لكونه مكتوبا في اللوح المحفوظ؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنُمسك عنكم الذكر، و"نضرب" من قولك أضربت عن كذا إذا تركته، و"الذكر" يحتمل أن يريد به القرآن أو التذكير والوعظ، و"صفحا" فيه وجهان؛ أحدهما: أنه بمعنى الإعراض تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال: أنترك تذكيركم إعراضا عنكم، وإعراب "صفحا" على هذا مصدر من المعنى، أو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال، والآخر: أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم، وإعراب "صفحا" على هذا مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال. ﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ بكسر الهمزة على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله، وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله. ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله "ان كنتم قوما مسرفين" فإن قيل: كيف قال "ان كنتم" على الشرط بحرف "إن" التي معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟ فالجواب: أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع. ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدم في القرآن ذكر حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآية، احتجاج على قريش؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره، ومقتضى جوابهم أن يقولوا: خلقهن الله، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم، وأما قوله ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله لا من كلامهم. ﴿مِهَادًا﴾ أي: فراشا على وجه التشبيه. ﴿سُبُلاً﴾ أي: طرقا تمشون

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ

فيها. ﴿مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بمقدار ووزن معلوم، وقيل: معناه بقضاء. ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض. ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ يعني أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك. ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ الضمير يعود على "ما تركبون". ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة في تسخير هذا المركوب أو النعمة على الإطلاق، وكان بعض السلف إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام ثم يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين وغالبين. ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اعتراف بالحشر، فإن قيل: ما مناسبة هذا للمركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة، أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة، أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذي قد تَعَرَّضَ له، وقيل: يذكر عند الركوب ركوب الجنازة. ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ الضمير في "جعلوا" لكفار العرب، وفي "له" لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله "ولئن سألتهم" الآية، والمعنى: أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءا من عباده نصيبا له وحظا دون سائر عباده، وقال الزمخشري: معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا منه، وقال بعض اللغويين: الجزء في اللغة الإناث واستشهد على ذلك ببيت شعر، قال الزمخشري: وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع. ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ "أم" للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، ومعنى ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ خصكم، أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى وأصفاكم بالبنين وهم أعلا. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي: إذا بشر بالأنثى، وقد ذكر هذا المعنى في النحل، والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى، تعالى الله عن قولهم. ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ المراد بـ"من ينشؤا في الحلية" النساء، و"الحلية" هي الحلي من الذهب والفضة وشبه ذلك، ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت في استعمالها، وقرئ "ينشؤا" بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها، والمقصد الرد على الذين

وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ

قالـوا الملائكة بنات الله، كأنه قال: أجعلتم لله من ينشـأ في الحلية وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقص أخـرى؛ وهـو قوله ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعنـي أن الأنثى إذا خاصمت وتكلمـت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها، وقل ما تجد امرأة إلا تفسـد الكلام وتخلط المعاني، فكيف ينسـب لله من يتصف بهذه النقائص، وإعراب "من ينشـؤا" مفعول بفعل مضمر تقديره: أجعلتم لله من ينشـأ، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: أو من ينشـأ في الحلية خصصتم به الله. ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ الضمير في "جعلـوا" لكفـار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شـنيعة؛ أحدها: أنهم نسـبوا إلى الله الولد، والآخر: أنهم نسـبوا إليه البنـات دون البنين، والثالث: أنهم جعلـوا الملائكة المكرمين إناثا، وقـرئ "عند الرحمن" بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله ﴿الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾، وقرئ "عباد" بالباء جمع عبد، والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف. ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا رد على العرب في قولهم إن الملائكة إناث، والمعنى: أنهم لم يشـهدوا خلق الملائكة فكيف يقولون ما ليس لهم به علم. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: تكتب شـهادتهم التي شـهدوا بها على الملائكة، ويسـألون عنها يوم القيامة. ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ الضمير في "قالوا" للكفار وفي "عبدناهم" للملائكة، وقال ابن عطية: للأصنام؛ والأول أظهر وأشهر، والمعنى: احتجـاج احتج به الذين عبدوا الملائكة؛ وذلك أنهم قالوا لـو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم رد الله عليهم بقوله ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني أن قولهم بغير دليل ولا حجة، وإنما هو تخرص منهم. ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يتمسكون به، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي: على دين وطريقة، والمعنى أنهم ليس لهم حجة وإنما هم يقلدون آباءهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية، معناها: كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة كذلك اتبع كل من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة؛ بل بمجرد التقليد المذموم. ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى: أتتبعونهم ولو جئتكم

قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم، وقرئ "قال أو لو جئتكم" والفاعل ضمير يعود على الـ"نذير" المتقدم، وأما قراءة "قل" بالأمر فهو خطاب لمحمد ﷺ أمره الله أن يقول ذلك لقريش، وقيل: هو للـ"نذير" المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه؛ والأول أظهر وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين، فإن قوله ﴿قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله ﴿فَانتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ يعني من المتقدمين. ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ أي: بريء، و"براء" في الأصل مصدر ثم استعمل صفة؛ ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة كعدل وشبهه. ﴿إلا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل أن يكون استثناء منقطعا؛ وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل "مما تعبدون" فهو في موضع خفض، أو منصوب على الاستثناء فهو في موضع نصب. ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ قال هنا "سيهدين"، وقال مرة أخرى ﴿فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال. ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ضمير الفاعل في "جعلها" يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل: على الله تعالى؛ والأول أظهر، والضمير المؤنث المفعول يعود على الكلمة التي قالها وهي "إنني براء مما تعبدون"، ومعناها التوحيد؛ ولذلك قيل: يعود على الإسلام لقوله ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، وقيل: يعود على لا إله إلا الله؛ والمعنى متقارب، أي: جعل إبراهيم تلك الكلمة باقية في ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبدا. ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ الإشارة بـ"هؤلاء" إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام؛ فالمعنى: لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله. ﴿حَتَّى جَآءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ وهو محمد ﷺ. ﴿وَقَالُوا لَوۡلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرۡءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في "قالوا" لقريش، والقريتان مكة والطائف، و"من القريتين" معناه: من إحدى القريتين كقوله ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا اللُّؤۡلُؤُ وَالۡمَرۡجَانُ﴾ أي: من أحدهما، وقيل: معناه على رجل من رجلين من القريتين؛ فالرجل الذي من مكة الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، والرجل الذي من الطائف: عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمير؛ ومعنى الآية:

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾

أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد ﷺ واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، ووصفوه بالعظمة يعنون الرئاسة في قومه وكثرة ماله؛ فرد الله عليهم بقوله ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني أن الله يخص بالنبوة من شاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: كما قسمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية. ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التسخير في الخدمة؛ أي: رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا. ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقير للدنيا، والمراد بـ"رحمت ربك" هنا النبوة، وقيل: الجنة. ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية، تحقير أيضا للدنيا، ومعناها: لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار ﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾، وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة ماء»** [الترمذي: 2320]. ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج الأدراج والسلالم، ومعنى "يظهرون" يرتفعون، ومنه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، والـ﴿سُرُرًا﴾ جمع سرير، والـ﴿زُخْرُفَ﴾ الذهب، وقيل: أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك، وقيل: هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾. ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ "يعش" من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة، وقال الزمخشري: يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة في عينيه، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظر الأعشى وليس به آفة، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمي وتعامى؛ فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق، والأظهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر، و"ذكر الرحمن" قال الزمخشري: يريد به القرآن، وقال ابن عطية: يريد به ما ذكر الله به عباده من المواعظ؛ فالمصدر مضاف إلى الفاعل؛ ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله، ومعنى الآية: أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا، فتلك عقوبة على الغفلة

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ

عن ذكر الله بتسليط الشيطان كما أن من تمادى على الذكر ودام عليه تباعد عنه الشيطان. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الضمير في "إنهم" للشياطين، وضمير المفعول في "يصدونهم" لـ"من يعش عن ذكر الرحمن" وجمع الضميرين لأن المراد جمع. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَانَا﴾ قرئ بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو "من يعش"، والضمير في ﴿قَالَ﴾ لـ"من يعش"، وقيل: لشيطانه. ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه يعني المشرق والمغرب وغلَّب أحدهما في التثنية كما قيل القمران، والآخر: أنه يعني المشرقين والمغربين وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه. ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنهم لا ينفعهم إشراكهم في العذاب، ولا يجدون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه، والفاعل بـ"ينفعكم" قوله "أنكم في العذاب مشتركون"، و"إذ ظلمتم" تعليل معناه بسبب ظلمكم، وقيل: الفاعل مضمر؛ وهو التبري الذي يقتضيه قوله "يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين"، و"أنكم" على هذا تعليل؛ والأول أرجح. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ، والمراد بـ"الصم" و ﴿الْعُمْيَ﴾ الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام. ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ "إما" مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، ومقصد الآية وعيد للكفار، والمعنى: إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة، وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة، وقيل: إن الضمير في "منهم منتقمون" للمسلمين، وإن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيه عليه الصلاة السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير في "إنه" للقرآن أو للإسلام، والـ"ذكر" هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ هم قريش ثم سائر العرب، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت فيهم الخلافة والملك،

وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ

وورد عن ابن عباس ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش، ويحتمل أن يريد بالـ"ذكر" التذكير والموعظة، فـ"قومه" على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم. ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ أي: تسئلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه. ﴿وَاسْأَلْ مَنَ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا﴾ إن قيل: كيف أمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم؟ فالجواب أن فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه رآهم ليلة الإسراء، الثاني: أن المعنى فاسأل أمة من أرسلنا قبلك، الثالث: أنه لم يرد سؤالهم حقيقة، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا: هل مع الله ﴿آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد. ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنَ ءايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنُ اخْتِهَا﴾ الآيات هنا المعجزات؛ كقلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وقيل: البراهين والحجج العقلية؛ والأول أظهر، ومعنى "أكبر من اختها" أنها في غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات، إنما المعنى أنها إذا نُظرت وُجِدت كبيرة وإذا نُظِرَ غيرُها وجدت كبيرة، فهو كقول الشاعر:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدَهم

هكذا قال الزمخشري، ويحتمل عندي أن يريد ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها. ﴿وَقَالُوا يَآ أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن قولهم "يا أيه الساحر" يقتضي تكذيبه، وقولهم "ادع لنا ربك" يقتضي تصديقه؟ والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن القائلين لذلك كانوا مكذبين، وقولهم "ادع لنا ربك" يريدون على قولك وزعمك، وقولهم ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ وعد نووا خلافه، والآخر: أنهم كانوا مصدقين، وقولهم "يا أيُّه الساحر" إما أن يكون عندهم غير مذموم؛ لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكأنهم قالوا: يا أيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقادِ معناه. ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر مناديا ينادي فيهم. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصد بذلك الافتخار على موسى، و"مصر" هو

وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾

البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك من نهر الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل. ﴿وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾ يعني الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار نهر الإسكندرية، وتنيس، ودمياط، ونهر طولون. ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مذهب سيبويه أن "أم" هنا متصلة معادلة، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم وضع قوله "انا خير" موضع "تبصرون" ؛لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من وضع السبب موضع المسبب، وقيل: الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ثم اقتصر على "أم" وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله "انا خير" على وجه الإخبار، ويوقف على هذا القول على "أم" وهذا ضعيف، وقيل "أم" بمعنى بل فهي منقطعة. ﴿مَهِينٌ﴾ أي: ضعيف حقير؛ قاله الزمخشري وغيره. ﴿وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارة إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجمرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا أن تُحَل أجيبت دعوته وبقي منها أثر كان معه لكنٌ، وقيل: هي العي في الكلام، وقوله "ولا يكاد يبين" يقتضي أنه كان يبين لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات. ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته، والـ"أساورة" جمع سوار أو أسوار وهو ما يجعل في الذراع من الحلي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة. ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي: طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم. ﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ السلف بفتح السين واللام جمع سالف، وقرئ بضمهما جمع سليف، ومعناه متقدم، أي: تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك. ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره في تفسير هذه الآية: أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه قالت قريش: ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى؟ فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا حكى ذلك ابن عطية، والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن، و"يصدون" بمعنى يعرضون، وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ امتعضوا

وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾

من ذلك فقال عبد الله بن الزبعري: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم» فقال: خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا، وقد علمت أن النصارى عبدوه، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه؟ ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾، ونزلت هذه الآية [الواحدي: 421]. فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبعري عيسى مثلا وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه "إذا" قريش من هذا المثل "يصدون"؛ أي: يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا المعنى إنما يجري على قراءة "يصدون" بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح. ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ يعنون بـ"هو" عيسى، والمعنى: أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى؟ فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكر الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ما ذكر ابن عطية فهو ابتداء معنى آخر، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا: آلهتنا -وهم الملائكة- خير أم عيسى؟ فقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى، وقد قيل: إن قولهم "أم هو" يعنون به محمدا ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو؟ ويريدون تفضيل آلهتهم على محمد؛ والأظهر أن المراد بـ"هو" عيسى وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدم ذكره. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعري وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى "حصب جهنم"، ولكنهم أرادوا المغالطة فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ يعني عيسى، والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك. ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ في معناها قولان؛ أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون في الأرض ويخلفون فيها بني آدم، فقوله "منكم" يتعلق ببدل المحذوف أو بـ"يخلفون"، والآخر: "لو نشاء لجعلنا منكم" أي: لولدْنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم؛ فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير لعيسى، وقيل: لمحمد ﷺ، وقيل: للقرآن؛ فأما على القول بأنه لعيسى أو

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾

لمحمد ﷺ، فالمعنى: أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به، ولذلك قرئ "لعلم" بفتح العين واللام، أي: علامة، وأما على القول بأنه للقرآن فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما يبين البعض دون الكل؛ لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا، وقيل: "بعض" بمعنى كل؛ وهو ضعيف. ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾ ذكر في مريم. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير لقريش أو للأحزاب. ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ "الاخلاء" جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض. ﴿يَا عِبَادِى﴾ الآية، تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة ﴿يَا عِبَادِى لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تنعمون وتسرون. ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير. ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب، وروي أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ أي: دائمون في النار. ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾ الآية، من كلام الله تعالى لأهل النار أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أم أحكموا كيدا للنبي ﷺ فإنا محكمون نصره وحمايته. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآية، روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا فقال الأخنس: أترى الله يسمع سرنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا. ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ السر ما حدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم. ﴿بَلَى﴾ أي: نسمع. ﴿وَرُسُلُنَا﴾ مع ذلك تكتب ما يقولون، والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال. ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال؛ الأول: أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد، كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم أبيه، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلا الله وحده، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم، لأنه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال، ونظير هذا أن يقول المالكي إذا قصد الرد على الحنفي في تحليل النبيذ: إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال لكنه مسكر فهو حرام، القول الثاني: أن المعنى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم في قولكم إن له ولدا، و"العابدين" على هذين القولين بمعنى العبادة، القول الثالث: أن "العابدين" بمعنى المنكرين يقال: عبد الرجل إذا أنف وأنكر الشيء، والمعنى: إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك، و"إن" على هذه الأقوال الثلاثة شرطية، القول الرابع: قال قتادة وابن زيد: "إن" هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ثم ابتدأ قوله "فأنا أول العابدين"؛ والقول الأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة وهو الذي عول عليه الزمخشري، وقال الطبري: هو ملاطفة في الخطاب ونحوه قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ يعني شركائي على قولكم. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ الآية، موادعة منسوخة بالسيف. ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ أي: هو إله أهل الأرض وأهل السماء، والمجرور يتعلق بـ"إله" لأن فيه معنى الوصفية. ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

زمان وقوعها. ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عُبد من دون الله أن يشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فهو المالك للشفاعة وحده. ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني بـ"من شهد بالحق" الشافع أو المشفوع فيه؟ فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع، والمعنى: لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يشفع فيه، ويحتمل على هذا أن يكون "من شهد" مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره: الشفاعة فيمن شهد بالحق، وإن أراد بـ"من شهد" الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا، وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة، والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد منهم بالحق. ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ، وقرئ "وقيله" بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع؛ فأما النصب فقيل: هو معطوف على "سرهم ونجواهم"، وقيل: هو معطوف على موضع "الساعة" لأنها مفعول أضيف إلى المصدر، وقيل: معطوف على مفعول "يكتبون" وهو محذوف تقديره: يكتبون أقوالهم وقيله، وأما الخفض فقيل: إنه معطوف على لفظ "الساعة"، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله "بالحق"، وأما الرفع فقيل: إنه مبتدأ وخبره ما بعده؛ وضعف الزمخشري ذلك كله وقال: إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك: الله لأضربن زيدا، والرفع كقولهم: أيمن الله ولعمرك، وجواب القسم قوله "إن هؤلاء قوم لا يؤمنون"، كأنه قال: أقسم بقيله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ تقديره أمري سلام، أي: مسالمة، وقيل: سلام عليكم على جهة الموادعة؛ وهو منسوخ على الوجهين. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

سورة الدخان

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ذكر في الزخرف، وهو قسم جوابه "إنا أنزلناه"، وقيل ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وهذا بعيد. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ يعني ليلة القدر من رمضان، وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئا بعد شيء، وقيل: معناه أنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، وقيل: يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان؛ وذلك باطل لقوله ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مع قوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾. ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ معنى "يفرق" يفصل ويخلص، والأمر الحكيم: أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام تنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليمتثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة، وقيل: إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان؛ وهو باطل لما قدمنا. ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: نصب على المصدر، وقيل: على الحال. ﴿مُرْسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل عليهم السلام، وقيل: من إرسال الرحمة؛ والأول أظهر. ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: قول علي بن أبي طالب وابن عباس ﷺ: إن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**إن أول آيات الساعة الدخان**» [مسلم: 2901]. والثاني: قول ابن مسعود ﷺ: إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب، فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع، قال ابن مسعود ﷺ: خمس قد مضين؛ الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم. ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون من قول الله أو من قول الناس لما أصابهم الدخان؛ وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا. ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾ هذا من كلام الله تعالى، ومعناه: استبعاد تذكير الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ، والواو في قوله ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ واو الحال. ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يعني محمدا ﷺ.

ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾

﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي: يعلمه بشر. ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قال ابن عباس ﷺ: هي يوم القيامة، وقال ابن مسعود ﷺ: هي يوم بدر. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ فعلنا معهم فعل المختبر ليظهرَ منهم ما سبق في علمنا. ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني موسى عليه السلام. ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ "أن" هنا مفسرة نائب مناب القول، و"أدوا" فعل أمر من الأداء، و"عباد الله" مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى: أرسلوا بني إسرائيل كما قال في طه ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وقيل: "عباد الله" منادى، والمعنى: أدوا إلي الطاعة والإيمان يا عباد الله؛ والأول أظهر. ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ أي: لا تتكبروا. ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ أي: حجة وبرهان. ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب؟ والأول أظهر. ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي: اتركوني وخلوا سبيلي. ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ هذا أمر من الله لموسى عليه السلام، والعباد هنا بنو إسرائيل، أي: اخرج بهم بالليل. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم. ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنا على هيئته، وقيل: يابسا، وروي أن موسى لما جاز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا، وقيل: معنى "رهوا" سهلا، وقيل: منفرجا. ﴿وَعُيُونٍ﴾ يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل أو كانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة؛ وهو بعيد. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان؛ المنابر، والمساكن الحسان. ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التنعم بالأرزاق وغيرها. ﴿فَاكِهِينَ﴾ أي: متنعمين، وقيل: فرحين، وقيل: أصحاب فاكهة. ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع نصب، أي: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم أو في موضع رفع تقديره الأمر كذلك. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل حكاه الزمخشري والماوردي، وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يرو في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان، وقد قال الحسن: إنهم رجعوا إليها، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل

فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

قوله في الشعراء ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه عبارة عن تحقيرهم؛ وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: بكت عليه السماء والأرض، على وجه المجاز والمبالغة؛ فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم، الثاني: قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله؛ فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار ليس لهم عمل صالح، الثالث: أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض؛ والأول أفصح وهو منزع معروف في كلام العرب. ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين. ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من "العذاب". ﴿عَالِيًا﴾ أي: متكبرا. ﴿اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: على أهل زمانهم. ﴿بَلَآءٌ مُّبِينٌ﴾ أي: اختبار. ﴿إِنَّ هَؤُلَآءِ﴾ يعني كفار قريش. ﴿فَاتُوا بِآبَآئِنَا﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز، وروي أنهم طلبوا أن يُحيي لهم قصي بن كلاب ليسألوه عن الآخرة. ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان تبع ملكا من حمير، وكان مؤمنا وقومه كفارا فذم الله قومه ولم يذمه، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي**» [المستدرك: 104]، ومعنى الآية: أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار، وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء؛ فمقصود الكلام تهديد. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على "قوم تبع"، وقيل: هو مبتدأ فيوقف قبله؛ والأول أصح. ﴿لَاعِبِينَ﴾ حال منفية ذكرت في الأنبياء. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ الـ"مولى" هنا يعم الولي والقريب وغير ذلك من الموالي.

إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿إِلا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع إن أراد بقوله "ولا هم ينصرون" الكفار، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس. ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ أي: الفاجر وهو من الإثم، وقيل: يعني أبا جهل؛ فالألف واللام للعهد؛ والأظهر أنها للجنس فتعم أبا جهل وغيره. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دردي الزيت، وقيل: ما يذاب من الرصاص وغيره. ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ أي: سوقوه بتعنيف. ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم، وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازا؛ لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا، وقد جاء الأصل في قوله ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ يقال للكافر هذا على وجه التوبيخ والتهكم به، أي: كنت العزيز الكريم عند نفسك، وروي أن أبا جهل قال: ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم؛ فنزلت الآية. ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تفتعلون من المرية وهي الشك. ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرئ بضم الميم، أي: موضع إقامة، وبفتحها، أي: موضع قيام، والمراد به الجنة، والأمين من الأمن، أي: مأمونٌ فيه، وقيل: من الأمانة وُصِفَ به المكان مجازا. ﴿مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس الرقيق من الديباج، والإستبرق الغليظ منه. ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع رفع؛ أي: الأمر كذلك، أو في موضع نصب، أي: مثل ذلك زوجناهم. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: يدعون خدامهم. ﴿إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ استثناء منقطع، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا قوله "فيها" لكان متصلا لعموم لفظ الموت، وقيل: "إلا" هنا بمعنى بعد؛ وذلك ضعيف. ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو لسان العرب. ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ أي: ارتقب نصرنا لك، "إنهم مرتقبون" ضد ذلك ففيه وعد له ووعيد لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ

سورة الجاثية

﴿تَنزِيلُ﴾ ذكر في الزمر، وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات، وقد ذكر معناه في مواضع. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الـ"أفاك" مبالغة في الإفك وهو الكذب، والـ"أثيم" من الإثم، وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث؛ ولفظها على العموم. ﴿يُصِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر، وإنما عطفه بـ"ثم" لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله، واستبعاد ذلك في العقل والطبع. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: إذا بلغه شيء منها، ولم يرد العلم الحقيقي. ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله ﴿مِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وقد ذكر في إبراهيم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني الشمس والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك. ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كل نعمة فمن الله تعالى، والمجرور في موضع الحال أو خبر مبتدأ مضمر، وقرأ ابن عباس ﵄ "منة". ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار وأن لا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام، فقيل: إنها منسوخة بالسيف، وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

فليس من ذلك، وروي أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ شتمه رجل من الكفار فأراد عمر ﷺ البطش به، و"أيام الله" هي نعمه؛ فـ"يرجون" على أصله، وقيل "أيام الله" عبارة عن عقابه؛ فالرجاء بمعنى الخوف، و"يغفروا" مجزوم في جواب شرط مقدر دل عليه "قل" قال الزمخشري: حذف معمول القول، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فاعل "يجزي" ضمير يعود على الله، وقرئ بنون المتكلم، قال ابن عطية: إن الآية وعيد؛ فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون أيام الله، و"يكسبون" يعني السيئات، وقال الزمخشري: القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: معجزات من أمر الدين. ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملة ودين. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ "أم" هنا للإنكار و"اجترحوا" اكتسبوا، والمراد بـ"الذين اجترحوا السيئات" الكفار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكي طول الليل ويقول لنفسه: من أي الفريقين أنت؟ ومعناها: إنكار ما حسبه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات، وفي تأويلها مع ذلك قولان؛ أحدهما: أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك مماتهم ليس سواء، والقول الآخر: أنهم إن استووا في المحيا، أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون في الممات؛ بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون؛ فالمراد بها إثبات الجزاء

سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

في الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة؛ وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، وكقوله ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدل من الكاف في قوله "كالذين آمنوا" وهي مفسرة للتشبيه، وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار، وقيل: هي كلام مستأنف، والمعنى على هذا: أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء، لأن كل أحد يموت على ما عاش عليه؛ وهذا المعنى بعيد؛ والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذي اخترناه، وأما إعرابها فمن قرأ "سواء" بالرفع فهو مبتدأ وخبره "محياهم ومماتهم"، والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لـ"نجعل"، ومن قرأ "سواء" بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لـ"نجعل"، و"محياهم" فاعل بـ"سواء" لأنه في معنى مستوى. ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين. ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ معطوف على قوله "بالحق"؛ لأن فيه معنى التعليل أو على تعليل محذوف تقديره: خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت. ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أطاعه حتى صار له كالإله. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: على علم من الله سابق، وقيل: على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ولكنه يتبع الضلال معاندة. ﴿وَخَتَمَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عطية: فيه حذف مضاف تقديره: من بعد إضلال الله إياه، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله. ﴿وَقَالُوا﴾ الضمير لـ"من اتخذ إلهه هواه" أو لقريش. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه أربع تأويلات؛ أحدها: أنهم أرادوا: يموت منا قوم ويحيا قوم، والآخر: نموت نحن ويحيا أولادنا، الثالث: نموت حين كنا عدما أو نطفا ونحيا في الدنيا، والرابع: نموت الموت المعروف ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية لقولهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فرد الله عليهم بقوله ﴿مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية. ﴿قَالُوا ايتُوا بِآبَآئِنَآ﴾ ذكر في الدخان.

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الآية، رد على المنكرين للحشر، واستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة. ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: تجثو على الركب؛ وتلك هيئة الخائف الذليل. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها، وقيل: إلى الكتاب المنزل عليها؛ والأول أرجح لقوله ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب: أنه أضافه إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكه وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم، وقيل: إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم فتأتي أعمال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضا الملائكة فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحتج على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلا من أصل. ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك. ﴿وَحَاقَ﴾ ذكر مرارا. ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى الترك، وأما في قوله ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبى وهي الرضا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ

سورة الاحقاف

﴿تَنزِيلُ﴾ ذكر في الزمر. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مرارا. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد ورد على المشركين؛ فالأمر بمعنى التعجيز. ﴿شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي: نصيب. ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد. ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم قديم يدل على ما تقولون، وقيل: معناه "من علم" تثيرونه؛ أي: تستخرجونه، وقيل: هو الإسناد، وقيل: هو الخط في الرمل وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله ﷺ: «**كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل، فمن وافق خطه فذاك**» [مسلم: 537]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية، معناها: لا أحد أضل ممن يدعو إلها لا يستجيب له وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم لأنها لا تسمعه. ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كان الأصنام أعداء للذين عبدوها. ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الضمير في "كانوا" للأصنام، أي: تتبرأ الأصنام من الذين عبدوها، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء من الاستجابة والغفلة والعداوة. ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرون على دفعها ولا تملكون شيئا من ردها، فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله؟ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث إذا خاض فيه واستمر. ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ البدع والبديع من الأشياء ما لم ير مثله، أي: ما كنت أول رسول ولا جئت بأمر

وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾

لم يجيء به أحد قبلي بل جئت بما جاء به قبلي ناس كثيرون، فلأي شيء تنكرون ذلك؟. ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾ فيها أربعة أقوال؛ الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار؛ وهذا بعيد لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله، والثاني: أنها في أمر الدنيا، أي: لا أدري بما يقضي الله علي وعليكم فإن مقادير الله مغيبة؛ وهذا هو الأظهر، الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة، والرابع: أن هذا كان في الهجرة إذ كان النبي ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل، فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية. ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ معنى الآية: أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين؟، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب؛ لأنه دل عليه قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، والمعنى: أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله، فآمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم، ألستم أضل الناس وأظلم الناس؟ واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه عبد الله بن سلام ﷺ، فقيل على هذا إن الآية مدنية لأنه إنما أسلم بالمدينة، وقيل: إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلام ﷺ يقول: في نزلت الآية، الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة، الثالث: أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبري، والضمير في "مثله" للقرآن، أي: شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد، والضمير في "آمن" للشاهد، فإن كان عبد الله بن سلام ﷺ أو الرجل الآخر فإيمانه بين، وإن كان موسى عليه السلام فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب ﷺ، وقيل: بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة، وقيل: بل قالها اليهود حين أسلم عبد الله ابن سلام ﷺ، والأول أرجح؛ لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة، ومعنى "للذين ءامنوا" من أجل الذين آمنوا؛ أي: قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا إليه. ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ أي: لما لم يهتدوا به قالوا هذا إفك قديم، ونحو هذا ما جاء في المثل: من جهل شيئا

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ

عاداه، ووصفُوه بالقدم لأنه قد قيل قديما، فإن قيل: كيف عمل "فسيقولون" في "إذ" وهي للماضي والعامل مستقبل؟ فالجواب: أن العامل في "إذ" محذوف تقديره: إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون، قال ذلك الزمخشري، ويظهر لي أن "إذ" هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه ﴿لَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: بسبب ظلمكم. ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في "قبله" للقرآن، و"كتاب موسى" هو التوراة، و"إماما" حال ومعناه: يقتدى به. ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارة بـ"هذا" إلى القرآن، ومعنى "مصدق"؛ أي: صدق ما قبله من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في البقرة، و"لسانا" حال من الضمير في "مصدق"، وقيل: مفعول بـ"مصدق"؛ أي: صدق ذا لسان عربي وهو محمد ﷺ، واختار هذا ابن عطية. ﴿اسْتَقَامُوا﴾ ذكر في حم السجدة. ﴿حُسْنًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ويقال: كَره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد. ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهرا، وهذا لا يكون إلا أن ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن تكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب ﷺ والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع. ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في يوسف. ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حد كمال العقل والقوة، ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، وقيل: إنها عامة. ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة كما تقول: رأيت فلانا في الناس، أي: مع الناس. ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ قال مروان بن الحكم: نزلت في

أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كفر، وكان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف لكما، وأنكرت عائشة ﵂ ذلك وقالت: والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي، ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ﵁ أسلم، وكان من خيار المسلمين وكان له في الجهاد غناء عظيم، وقال السدي: ما رأيت أعبد منه، وقال ابن عباس ﵄: نزلت الآية في ابن لأبي بكر ولم يسمه، ويرد ذلك ما ذكرنا عن عائشة ﵂، وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى "أولئك الذين حق عليهم القول" بصيغة الجمع ولو أراد أحدا بعينه لقال: ذلك الذي حق عليه القول، وقد ذكرنا "أف" في الإسراء. ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أي: أتعدانني أن أخرج من القبر للبعث. ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ أي: قد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد. ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ الضمير "لوالديه"، أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما ثم يقولان له ﴿وَيۡلَكَ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة. ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم؛ فدرجات أهل الجنة إلى علو ودرجات أهل النار إلى سفل. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره: جُعل جزاؤهم درجات ليوفيهم أعمالهم. ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ﴾ العامل فيه محذوف تقديره: اذكر. ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ تقديره: يقال لهم أذهبتم طيباتكم، والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها، وقرئ "أذهبتم" بهمزة واحدة على الخبر، وبهمزتين على التوبيخ، والآية في الكفار بدليل قوله: "يعرض الذين كفروا" وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله ﵄ وقد رآه اشترى لحما: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية. ﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوان. ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هودا عليه السلام. ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ جمع حقف وهو الكدس من الرمل، واختلف أين كانت؟

وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ

فقيل: بالشام، وقيل: بين عمان ومهرة، وقيل: بين عمان وحضرموت؛ والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن. ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي: تقدمت من قبله ومن بعده، و"النذر" جمع نذير، فإن قيل: كيف يتصور تقدمها من بعده؟ فالجواب: أن هذه الجملة اعتراض؛ وهي إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده، وقيل: معنى "من خلفه" في زمانه. ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: قل إن العذاب الذي قلتم ائتنا به ليس لي علم متى يكون وإنما يعلمه الله، وما علي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ العارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء، والضمير في "رأوه" يعود على "ما تعدنا"، أو على المرئي المبهم الذي فسره قوله "عارضا"، قال الزمخشري: وهذا أعرب وأفصح، وروي أنهم كانوا قد قحطوا مدة، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به، فقال لهم هود عليه السلام ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ من العذاب، وقوله ﴿رِيحٌ﴾ بدل من "ما استعجلتم" أو خبر ابتداء مضمر. ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص. ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، أي: مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك ثم أهلكناهم لما كفروا، و"إن" هنا نافية بمعنى ما، وعُدل عن ما كراهة لاجتماعها مع "ما" التي قبلها، وقيل "إن" شرطية وجوابها محذوف تقديره: إن مكناكم فيه طغيتم، قال ابن عطية: وهذا تنطع في التأويل. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى﴾ يعني من بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها، والمراد إهلاك أهلها. ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ الآية، عرض معناه النفي، أي: لم تنصرهم

قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

آلهتهم التي عبدوها من دون الله. ﴿قُرْبَانًا﴾ أي: تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب "قربانا" على الحال، ولا يصح أن يكون "قربانا" مفعولا ثانيا لـ"اتخذوا" و"آلهة" بدل منه لفساد المعنى قاله الزمخشري، وقد أجازه ابن عطية. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: تلفوا لهم حين احتاجوا إليهم وغابوا عن نُصرتهم. ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: أملناهم نحوك، والنفر في اللغة دون العشرة، وروي أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا لأن النفر الرجال دون النساء، وكانوا من أهل نصيبين، وقيل: من أهل الجزيرة، واختلف هل رآهم رسول الله ﷺ؟ فقيل: إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك، وقيل: بل علم بهم واستعد لهم واجتمع معهم، وقد وردت في ذلك عن عبد الله بن مسعود ﷺ أحاديث مضطربة، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا عن استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا: ما هذا إلا لأمر حدث، فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به. ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود، وقيل: إنهم كانوا لم يعلموا ببعث عيسى. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ "من" هنا للتبعيض على الأصح، أي: يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله، وقيل: معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر، وقيل: إن "من" زائدة. ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: من النار، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة؟ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية، يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى، ومعنى ﴿لَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ لا يفوت. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الآية، احتجاج على بعث الأجساد بخلقة

وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

السماوات والأرض. ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال: عَيِيتَ بالأمر إذا لم تعرفه، فالمعنى: أنه تعالى علم كيف خلق السماوات وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى. ﴿بِقَادِرٍ﴾ في موضع رفع لأنه خبر "أن"، وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على "أن" وخبرها. ﴿بَلَىٰ﴾ جواب لما تقدم، أي: هو قادر على إحياء الموتى. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي: اصبر على تكذيب قومك. و"أولوا العزم" هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام لقوله ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، وقيل: كل من لقي من أمته شدة، وقيل: الرسل كلهم أولوا العزم؛ فـ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ على هذا لبيان الجنس، وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض. ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه، وإنهم إذا هلكوا كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ لاستقصار أعمارهم. ﴿بَلَاغٌ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره: هذا الذي وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية في الموعظة، أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام، أي: بَلِّغْ هذه المواعظ والبراهين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

سورة القتال

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكل كافر، كما أن قوله بعد هذا ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا﴾ يعني الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن. ﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون "صدوا" بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد، أو بمعنى صدوا الناس فيكون متعديا، و"سبيل الله" الإسلام والطاعة. ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلها وأحبطها، وقيل: المراد بـ"أعمالهم" هنا ما أنفقوا في غزوة بدر؛ فإن هذه السورة نزلت بعد بدر؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية وهو قوله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل: معناه أصلح حالهم وشأنهم، وحقيقة البال الخاطر الذي في القلب، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله؛ فالمعنى: إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى. ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حُذف الفعلُ وأقيم المصدر مَقامه، والمراد اقتلوهم، ولكن عبر عنه بضرب الرقاب؛ لأنه الغالب في صفة القتل. ﴿حَتَّى إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: هزمتموهم، والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر. ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ عبارة عن الأسر. ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ المن العتق، والفداء فك الأسير بمال، وهما جائزان؛ فإن مذهب مالك أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء وهي؛ المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية، وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله ﴿اقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فلا يجوز على هذا إلا قتلهم؛ والصحيح أنها محكمة وانتصب "منا" و"فداء" على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران. ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة الأثقال؛ فالمعنى: حتى تذهب وتزول أثقالها وهي آلاتها، وقيل: الأوزار الآثام لأن الحرب لابد أن يكون فيها إثم في أحد الجانبين، واختلف في الغاية المرادة هنا، فقيل: حتى يسلم الجميع وحينئذ تضع الحربُ أوزارها، وقيل: حتى تقتلوهم وتغلبوهم، وقيل: حتى ينزل عيسى ابن مريم، قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدا كما تقول

ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ

أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره الأمر ذلك. ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعذاب من عنده، ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض. ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة، وقيل: معناه طيَّبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة، وقيل: معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي الجبال. ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: عثارا وهلاكا، وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر، وعلى هذا الفعل عطف قوله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.
﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي: لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك. ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءامَنُوا﴾ أي: وليهم وناصرهم وكذلك ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ معناه: لا ناصر لهم، ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾؛ لأن معنى المولى مختلف في الموضعين، فمعنى "مولاهم الحق" ربهم وهذا على العموم في جميع الخلق، بخلاف قوله "مولى الذين ءامنوا" فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولي الناصر. ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم. ﴿مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ يعني مكة وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة، ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج. ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله ﴿كَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وجمعه حملا على المعنى، والمراد أهلكنا أهلها. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: على حجة، ويعني به النبي ﷺ كما

كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

يعني قريشا بقوله ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ واللفظ أعم من ذلك. ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر في الرعد. ﴿غَيْرِ ءاسِنٍ﴾ أي: غير متغير. ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ تقديره: أمثلُ أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار؟ فحذف هذا التقدير المراد به النفي، وإنما حذفه لدلالة التقدير المتقدم عليه وهو قوله "أفمن كان على بينة". ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين، وجاء "يستمعون" بلفظ الجمع رعيا لمعنى "من". ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود ﷺ. ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين؛ إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا أي فائدة فيه، وإما جهلا ونسيانا؛ لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه، و"ءانفا" معناه: الساعة الماضية قريبا، وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته. ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني المؤمنين، والضمير في "زادهم" لله تعالى، أو للكلام الذي قال فيه المنافقون "ماذا قال ءانفا"، وقيل: يعني بـ"الذين اهتدوا" قوما من النصارى آمنوا بمحمد ﷺ فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى، وزيادة هداهم إسلامهم. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين، والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة لأنها قريبة. ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، والذي كان قد جاء من ذلك مبعث محمد ﷺ لأنه قال: **«أنا من أشراط الساعة»**، و**«بعثت أنا والساعة كهاتين»** [البخاري: 4652]. ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ أي: كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة، ففاعل "جاءتهم" "الساعة" و"ذكراهم" مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم، والمراد به الاستبعاد. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: دم على العلم بذلك، واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل؛ لأنه قدم قوله "فاعلم" على قوله ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ قيل "متقلبكم" تصرفكم في الدنيا و"مثواكم" إقامتكم في القبور، وقيل "متقلبكم" تصرفكم في

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ

اليقظة و"مثواكم" منامكم. ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه. ﴿سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالـ"محكمة" ليس فيها منسوخ أو يريد متقنة، وقرأ ابن مسعود "سورة محدثة". ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين، ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتال؛ لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشي عليه. ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه بمعنى أحق، وخبره على هذا ﴿طَاعَةٌ﴾ والمعنى: أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق. والآخر: أن "أولى لهم" كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك: ويل لهم، ومنه قوله ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ فيوقف على "أولى لهم" على هذا القول، ويكون "طاعة" ابتداء كلام تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، أو قولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم. ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازا كقولك: نهاره صائم وليله قائم. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان أو صدق العزم والنية؛ وهو أظهر. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ، والمعنى: هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم، ومعنى "توليتم" صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل إنها نزلت في بني أمية، وقيل: معناه أعرضتم عن الإسلام. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم، وقيل: نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة ثم كفروا به. ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زين لهم ورجاهم أمانيهم. ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أي: مدَّ لهم في الأماني والآمال، والفاعل هو الشيطان، وقيل: الله تعالى؛ والأول أظهر لتناسب الضمير بين الفاعلين في "سول" و"أملى".

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين، و"بعض الأمر" يعنون به مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته. ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَآئِكَةُ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة يعني ملك الموت ومن معه، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله، والمعنى: هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم حين الموت. ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة، وقيل: للكفار؛ أي: يضربون وجوه أنفسهم؛ وذلك ضعيف. ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية، معناها: أظن المنافقون أن لن يفضحهم الله، والضغن الحقد، ويراد به هنا النفاق والبغض في الإسلام وأهله. ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم، ولكن الله ستر عليهم إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين، وروي أن الله لم يذكر له منهم واحدا باسمه. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ معنى "لحن القول" مقصده وطريقته، وقيل: اللحن هو الخفي المعنى، كالكناية والتعريض، والمعنى: أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم وإن لم يعرِّفه الله بهم على التعيين. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم. ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي: نعلمه علما ظاهرا في الوجود تقوم به الحجة عليكم، وقد علم الله الأشياء قبل كونها ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلينا فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا. ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ أي: خالفوه وعادوه، ونزلت الآية في المنافقين، وقيل: في اليهود. ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ يحتمل أربعة معان؛ أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان، والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشري، وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات، والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب، والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقتطعوها قبل تمامها، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية ولذلك يستدلون بها على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها؛ وهذا أبعد هذه المعاني؛ والأول أظهرها لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾،

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

فكأنـه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشـاقتهم الرسـول. ﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك. ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي: لا تضعفوا عـن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بطلـب الصلح فهو كقوله ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم أجور أعمالكم، يقال: وترت الرجل وأترته إذا نقصته شيئا أو أذهبت له متاعا. ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يسـألكم جميعها إنما يسـألكم في الزكاة ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف. ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ معنـى "يحفكم" يلح عليكم، والإحفاء هو أشـد السـؤال و"تبخلـوا" جواب الشرط. ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ الفاعل الله تعالى أو البخل، والمعنى يخرج مـا في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصـوب على التخصيـص أو منادى. ﴿لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني الجهـاد أو الزكاة. ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: إنما ضرر بخله على نفسـه، كأنه بخل على نفسـه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين في الإنفاق في سـبيل الله، فقيـل: إن هذا الخطاب لقريش والقـوم غيرهم الأنصار؛ وهذا ضعيـف؛ لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون، وقيل: الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة و"القوم" هم أهل اليمن وقيل: فارس.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ

سورة الفتح

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون، وقال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه وهما راجعان إلى المدينة: «**لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها**» [البخاري: 3943]. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم، أي: حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أو من فتح البلاد، واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال؛ الأول: أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد، الثاني: أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء، ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة، وتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة، وهذا هو الأرجح؛ لأنه روي أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت؟ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ورغبوا إليكم في الأمان**» [دلائل النبوة 4/ 460]، الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها، الرابع: أنه الهداية إلى الإسلام، ودليل هذا القول قوله ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فجعل الفتح علة للمغفرة؛ ولا حجة في ذلك؛ إذ يتصور في الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل، فيكون المعنى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا، فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك. ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي: السكون والطمأنينة، يعني سكونهم في صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله ﷺ، وقيل: معناه الرحمة. ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ معناه: أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، فقالوا ﴿لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾،

عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ

وقيل: معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به؛ والأول أظهر بدليل ما بعده. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي: تشهد على أمتك. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعظموه، وقيل: تنصروه، وقرئ "تعززوه" بزايين منقوطتين، والضمير في ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ للنبي ﷺ، وفي ﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ لله تعالى، وقيل: الثلاثة لله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشريف للنبي ﷺ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخييل والتمثيل، يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلوا أيدي المبايعين له هي يد الله في المعنى وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام كعقده مع الله كقوله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا، ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد. ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يعني أن ضرر نكثه على نفسه، ويريد بالنكث هنا نقض البيعة. ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية، سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية، و"الاعراب" هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ليعتمر رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه لا يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسول الله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد قولهم ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ لأنهم كذبوا في ذلك، أو قولهم ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ لأنهم قالوا ذلك رياء من

إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥﴾ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ

غير توبة ولا صدق. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين من البوار وهو الهلاك، ويعني به الهلاك في الدين. ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية، أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرج إلى غزوة أخرى؛ وهي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم ﴿لن تَتَّبِعُونا﴾. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم، فأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل، وقيل "كلام الله" قوله ﴿قُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد وعده باختصاص أهل الحديبية بغنائم خيبر. ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة، و"بل" هنا للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله "لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل" فمعناها: رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم، وأما "بل" في قوله تعالى ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل. ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال؛ الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة خيبر، والثاني: أنهم الروم؛ إذ دعا رسول الله ﷺ إلى قتالهم في غزوة تبوك، والثالث: أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ، والرابع: أنهم الفرس؛ ويتقوى القول الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة النبي ﷺ، وقوى المنذر بن سعيد الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية، قال: وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة، قلت: وكذلك هو موجود في كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوي ذلك أنهم هوازن. ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ عطف على "تقاتلونهم"،

وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

قال ابن عطية: هو مستأنف. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الحديبية. ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية، معناها: أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد بسبب أعذارهم. ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها**» [مسلم: 2496]، وفي الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة [البخاري: 3919]، وقيل: ألفا وخمسمائة [3922]، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حربا فلما وصل إليهم عثمان رضي الله عنه حبسه أقاربه كرامة له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد، وقيل: بايعوه على الموت ثم جاء عثمان رضي الله عنه بعد ذلك سالما، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام المقبل، و"الشجرة" المذكورة كانت سمرة هنالك ذهبت بعد سنين، فمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموضع في خلافته فاختلف الصحابة في موضعها. ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه، وقيل: من كراهة البيعة على الموت؛ وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة. ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: فتح مكة؛ والأول أشهر، أي: جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة، وأما المغانم الكثيرة المذكورة أولا فهي مغانم خيبر وهي المعطوفة على الفتح القريب، وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله وهي المذكورة ثانيا فهي كل ما يغنمه المسلمون إلى يوم القيامة، والإشارة بقوله ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ إلى خيبر، وقيل: إن المغانم التي وعدهم مغانم خيبر، والإشارة بـ"هذه" إلى صلح الحديبية. ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: كف أهل مكة عن قتالكم في الحديبية، وقيل: كف اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذريتكم حين خرجتم إلى الحديبية. ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تكون هذه الفعلة وهي كف أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف

وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ

تقديره: فعل الله ذلك لتكون آية للمؤمنين. ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني فتح مكة، وقيل: فتح بلاد فارس والروم، وقيل: مغانم هوازن في حنين؛ والمعنى: لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب "أخرى" معطوف على "عجل لكم هذه" أو مفعول بفعل مضمر تقديره: أعطاكم أخرى أو مبتدأ. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل مكة. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته، والإشارة إلى يوم بدر، وقيل: الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما. ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ روي في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم، فكف أيدي الكفار هو أن هزموا وأسروا، وكف أيدي المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني من بعد ما أخذتموهم أسارى. ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل مكة. ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية. ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ "الهدي" ما يهدى إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مائة بدنة، وقيل: سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس، و"محله" موضع نحره، يعني مكة والبيت، وإعراب "الهدي" عطف على الضمير المفعول في "صدوكم"، و"معكوفا" حال من "الهدي"، و"أن يبلغ" مفعول بالعكف، فالمعنى: صدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي عن أن يبلغ محله، والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين للهدي بينما ينظرون في أمرهم. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية، تعليل بصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم، فلو سلط الله المؤمنين على أهل مكة لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفهم عنهم رحمة بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب "لولا" محذوف تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم. ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ في موضع بدل

فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ

من "رجال" و"نساء"، أو بدل من الضمير المفعول في "لم تعلموهم"، والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره. ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ أي: تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة، واختلف هل يعني الإثم في قتلهم، أو الدية، أو الكفارة، أو الملامة، أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم، أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين؟ وهذا أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب. ﴿لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم، أو رحمة لمن يشاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك، واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره: كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى "تزيلوا" تميزوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان، أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار، فقوله "لعذبنا" جواب "لو" الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا، ويحتمل أن يكون "لعذبنا" جواب "لو" الأولى وكررت "لو" الثانية تأكيدا. ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ يعني أنفة الكفر وهي منعهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم، ومنعهم من أن يكتب: محمد رسول الله وقولهم: لو نعلم أنك رسول الله لا تبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، والعامل في "إذ جعل" محذوف تقديره: اذكر، أو قوله "لعذبنا"، وال ﴿سَكِينَتَهُ﴾ هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال الجمهور: هي لا إله إلا الله، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ [الترمذي: 3265]، وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر؛ وهذه كلها متقاربة، وقيل: هي بسم الله الرحمن الرحيم التي أبى الكفار أن تكتب. ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم، وقيل: أحق بها من اليهود والنصارى. ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروي أنه أتاه ملك في النوم فقال له ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية، فأخبر الناس برؤياه، وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال

إن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ

المنافقون: أين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق"؛ أي: تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عمرة القضية، ثم فتح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه، و"صدق" في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين، و"بالحق" يتعلق بـ"صدق" أو بـ"الرءيا" على أن يكون حالا منها. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر؛ وذلك محال على الله تعالى، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال؛ الأول: أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي ﷺ في المنام، فحكى الله مقالته كما وقعت، الثاني: أنه تأديب من الله لعباده ليقولوا إن شاء الله في كل أمر مستقبل، الثالث: أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته؛ لأنه يمكن أن يتم له الوعد أو يموت أو يمرض فلا يتم له، الرابع: أن الاستثناء راجع إلى قوله ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا لدخول المسجد، الخامس: أن "إن شاء الله" بمعنى إذا شاء الله. ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلاق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلاق أفضل من التقصير لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله المحلقين» ثلاثا، ثم قال في المرة الآخرة: «والمقصرين» [البخاري: 1640].

﴿فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسائة، وقيل: ألف وأربعمائة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: بيعة الرضوان، وقيل: صلح الحديبية؛ وهذا هو الأصح لأن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم» [الطبراني: 5469]، وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله "من دون ذلك" قبل دخول المسجد الحرام؛ وإنما كان فتح مكة بعد ذلك؛ فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة، وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية. ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ذكر في براءة. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ أي: شاهدا بأن محمدا رسول الله، أو شاهدا بإظهار دينه. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يعني جميع أصحابه، وقيل: من شهد معه الحديبية، وإعراب "الذين" معطوف على "محمد" و"رسول الله" صفة، و ﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبر عن الجميع، وقيل: "الذين معه" مبتدأ و"أشداء" خبره و"رسول الله" خبر "محمد" ورجح ابن عطية هذا، والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا

سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحق النبي ﷺ بالوصف بذلك لأن الله قال فيه ﴿بِالْمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال له ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فهذا هو الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين. ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ السيما العلامة، وفيه ستة أقوال؛ الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود، والثاني: أنه أثر التراب في الوجه، الثالث: أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة، والرابع: أنه حسن الوجه لما ورد في الحديث «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»، وهذا الحديث غير صحيح؛ بل وقع فيه غلط من الراوي فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مروي عنه، الخامس: أنه الخشوع، السادس: أن ذلك يكون في الآخرة، فيجعل الله لهم نورا من أثر السجود كما يجعل غرة من الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا فيكون سيماهم في وجوههم كذلك؛ والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من كثرة السجود. ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أي: وصفُهم فيها وتم الكلام هنا ثم ابتدأ قوله ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾، وقيل إن "مثلهم في الانجيل" عطف على "مثلهم في التوراة" ثم ابتدأ قوله "كزرع" وتقديره: هم كزرع، والأول أظهر ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان، وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك، وعلى هذا يكون "مثلهم في الانجيل" بمعنى التشبيه والتمثيل، وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم في التوراة. ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ثم قوي وظهر، وقيل: الزرع مثل للنبي ﷺ؛ لأنه بعث وحده، فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون، فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ويقال بإسكان الطاء وفتحها دون مد وفتحها مع المد وهي لغات. ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة، ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول "شطأه" أو بالعكس، لأن كل واحد منهما يقوي الآخر، وقيل: معناه ساواه طولا، فالفاعل على هذا الشطأ ووزن "آزره" أفعله، وقيل: فاعله، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعَل. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار غليظا. ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ السوق: جمع ساق، أي: قام الزرع على سوقه، وقيل: "كزرع" يعني النبي ﷺ "أخرج شطأه" بأبي بكر ﷺ، "فآزره" بعمر ﷺ، "فاستغلظ" بعثمان ﷺ، "فاستوى على سوقه" بعلي بن أبي طالب ﷺ. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين، فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره: جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار، وقيل: يتعلق بـ ﴿وَعَدَ﴾ وهو بعيد. ﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض؛ لأنه وعدٌ عمَّ جميعهم رضي الله عنهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الحجرات

﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في رأي إلا بنظره، والثاني: لا تقدموا الولاة بمحضره فإنه يقدم من شاء، والثالث: لا تتقدموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب "لا تَقَدموا" بفتح التاء والقاف والدال؛ والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبي ﷺ فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ، وإنما قال "بين يدي الله" لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحي الله. ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب كرامة له وتعظيما، وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم. ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول من أجله تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته، أو جهرتم له بالقول ﷺ، فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو "لا تجهروا"، وعند الكوفيين بالأول وهو "لا ترفعوا أصواتكم" وهذا الإحباط؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات، وإن فعله مؤمن لعظيم ما وقع فيه من ذلك، وقيل: إن الآية خطاب للمنافقين؛ وهذا ضعيف لقوله في أولها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقوله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق، فإنه يفعله جرأة وهو يقصده. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر رضي الله عنه: والله يا رسول الله لا كلمتك إلا سرا، وكان عمر رضي الله عنه يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ، ولفظها مع ذلك على عمومه، ومعنى ﴿امْتَحَنَ﴾ اختبر، فوجدها كما يجب، مثل ما يختبر الذهب بالنار فيوجد طيبا، وقيل: معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف، وقيل: معناه أخلصها الله للتقوى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ "الحجرات" جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر حولها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة، ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد،

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ فوقفوا خارجها ونادوا: يا محمد؛ اخرج إلينا، فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير، فتربص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس: يا محمد! إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله ﷺ: «**ويحك! ذلك الله تعالى**» [أحمد: 1604].

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون فيهم قليل ممن يعقل، ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم، والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضع النفي؛ والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يعني خيرا في الثواب وفي انبساط نفس النبي ﷺ وقضائه لحوائجهم، وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم. ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا﴾ سببها أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ﷺ إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم، فروي أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصدقة وطردوني وارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وهَمَّ بغزوهم ونظر في ذلك، فورد وفدُهم منكرين لذلك، وروي أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه ملتقين له، فرآهم على بعد، ففزع منهم وظن بهم الشر وانصرف، فقال ما قال، وروي أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيه صدقة ولا نطيعه، فانصرف وقال ما قال، فال"فاسق" المشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟ ثم هي باقية في من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر، وقرئ "فتبينوا" من التبيين و"تثبتوا" بالثاء من التثبت، ويقوي هذه القراءة أنها لما نزلت روي أن رسول الله ﷺ قال: «**التثبت من الله، والعجلة من الشيطان**» [ابن جرير 26/ 124]، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، قال المنذر البلوطي: وهذه الآية ترد على من قال: إن المسلمين كلهم عدول؛ لأن الله أمر بالتبيين قبل القبول؛ فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا. ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة، والإشارة إلى قتال بني المصطلق لما ذكر الوليد عنهم ما ذكر. ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لشقيتم، والعنت المشقة، وإنما قال "لو يطيعكم" ولم يقل لو أطاعكم؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ

إليه والرجوع إلى أمره وإلى ذلك الإشارة بقوله ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾ الآية. ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها؛ فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبي بن سلول حين مر به رسول الله ﷺ، وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة ﷺ في مرضه، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد آذاني نتن حمارك، فرد عليه عبد الله بن رواحة ﷺ، وتلاحا الناسُ حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد، ويروى: بالحديد [البخاري: 2545]، وقيل: سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جهد، ثم حكمها باق إلى آخر الدهر، وإنما قال "اقتتلوا" ولم يقل اقتتلا؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس فهي في معنى جمع. ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ أَمَر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية وذلك إذا تبين أنها باغية؛ فأما الفتن التي تقع بين المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين: أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال؛ وهذا مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة ﷺ، وحجتهم قول رسول الله: «**قتال المسلم كفر**» [الترمذي: 2845]، وأمره ﷺ بكسر السيوف في الفتن [الآحاد: 935]. والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ﷺ وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجتهم هذه الآية، فإذا فرعنا على القول الأول فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فعليه دفعه عن نفسه، وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله ﷺ: «**من قتل دون نفسه وماله فهو شهيد**» [الترمذي: 1485]، وإذا فرعنا على القول الثاني فاختلف مع من يكون النهوض في الفتن؟ فقيل: مع السواد الأعظم، وقيل: مع العلماء، وقيل: مع من يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتن أن لا يجهز على جريح ولا يطلب هارب ولا يقتل أسير ولا يقسم فيء. ﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾ أي: ترجع إلى الحق. ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان، وقيل: أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ "بين إخوتكم" بالتاء على الجمع، وقرئ "بين إخوانكم" بالنون على الجمع أيضا. ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نهي

عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا

عن السخرية، وهي الاستهزاء بالناس. ﴿عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: لعل المسخور منه خير من الساخر عند الله؛ وهذا تعليل للنهي. ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلا على الذكران عطف النساء عليهم. ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض، واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهمزة إن شاء الله، و"أنفسكم" هنا بمنزلة قوله ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا يدع أحدُكم أحدا بلقب، والتنابز بالألقاب التداعي بها، وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف. ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بـ"الاسم" أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمي مؤمنا، وفي ذلك ثلاثة أوجه؛ أحدها: استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان؛ فمعنى ذلك أن من فعل شيئا من هذه الأشياء التي نهي عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا، والآخر: بئس ما يقوله الرجل للآخر يا فاسق بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي، الثالث: أن يجعل من فَسَق غيرَ مؤمن؛ وهذا على مذهب المعتزلة. ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن. ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: معنى الإثم هنا الكذب لقوله ﷺ «**الظن أكذب الحديث**» [البخاري: 5143]؛ لأنه قد لا يكون مطابقا للأمر، وقيل: إنما يكون إثما إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة؛ لأنه لا يقدر على دفع الخواطر، واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتناب كثير من الظن وأخبر أن بعضه إثم، فأمر باجتناب أكثر من الإثم احترازا من الوقوع في البعض الذي هو إثم. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبآت الناس، وقرأ الحسن "تحسسوا" بالحاء والتجسس بالجيم في الشر، وبالحاء في الخير، وقيل: التجسس ما كان من وراء، والتحسس بالحاء الدخول والاستعلام. ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه، والغيبة هي ما يكره الإنسان ذكره من خَلقه أو خُلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره**» قيل: يا رسول الله! وإن كان حقا؟ قال: «**إذا قلت باطلا فذلك بهتان**» [مسلم: 6758]، وقد رخص في الغيبة في مواضع منها في التجريح في الشهادة والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ

التحذير من أهل الضلال. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد في تقبيحه أن جعله "ميتا" لأن الجيفة مستقذرة، ويجوز أن يكون "ميتا" حال من الأخ أو من لحمه، وقوله "فكرهتموه" إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قررهم: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ أجابوا فقالوا: لا نحب ذلك، فقال لهم: فكرهتموه، وبعد هذا محذوف تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه، وحُذف هذا لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يعطف قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب؛ لأنه بصير عالم والطبع أعمى جاهل، وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة؛ منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى "أحدكم" والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله "ميتا"، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه حواء، قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى؛ والأول أظهر وأصح لقوله ﷺ: «**الناس من آدم وآدم من التراب**» [أحمد: 8721]، ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله**» [الحارث: 677]، وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوج بناتنا لموالينا؟. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الشعوب جمع شَعْب بفتح الشين، وهو أعظم من القبيلة وتحته القبيلة، ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون؛ فمضر وربيعة وأمثالهما شعوب وقريش قبيلة، وبنو عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة، وبنو عبد المطلب فصيلة، وقيل: الشعب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل، ومعنى "لتعارفوا" ليعرف بعضكم بعضا. ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله في قولهم "ءامنا"، وصدقهم لو قالوا ﴿أَسْلَمْنَا﴾ وهذا على أن الإيمان

وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح؛ فالإيمان والإسلام في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل الإيمان فيه حسبما ورد في مواضع أخر. ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى "لا يلتكم" لا ينقصكم شيئا من أجور أعمالكم، وفيه لغتان؛ يقال: لات وعليه قراءة نافع "يلتكم" بغير همز، ويقال: ألت وعليه قراءة من قرأ "لا يألتكم" بهمزة قبل اللام، فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم، وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يَقبَلُ الأعمالَ إلا من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال؛ فالمعنى: إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة، فإن الله لا ينقصكم منها شيئا. ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين لأنهم في شك، وكذلك قوله في هؤلاء ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا في قولهم "ءامنا"، وإنما عطف "ثم لم يرتابوا" بـ"ثم" إشعارا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة. ﴿وَجَاهَدُوا﴾ يريد جهاد الكفار؛ لأنه دليل على صحة الإيمان، ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضا، فإنهم قالوا للنبي ﷺ: إنا آمنا بك واتبعناك، ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم. ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ أي: هداكم للإيمان على زعمكم، ولذلك قال ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، و"يمن عليكم" يحتمل أن يكون بمعنى يُنعم عليكم، أو بمعنى يذكر إنعامه؛ وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة "يمنون عليك".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ

سورة ق

تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة، ويختص ﴿ق﴾ بأنه قيل فيه: إنه من اسم الله القاهر أو القادر، وقيل: هو اسم للقرآن، وقيل: هو اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا. ﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ من المجد وهو الشرف والكرم، وجواب هذا القسم محذوف تقديره: ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب بـ"بل"، وقيل: الجواب ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾، وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة. ﴿بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير في "عجبوا" لكفار قريش وال"منذر" هو محمد ﷺ، وقيل: الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال: ولذلك قال تعالى ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: الكافرون من الناس؛ والصحيح أنه لقريش، وقوله "فقال الكافرون" وَضعَ الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول: جاءني فلان، فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه، وقوله "منذر منهم" إن كان الضمير لقريش فمعنى "منهم" من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم، وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى "منهم" إنسان مثلهم، وتعجبهم تحيرهم؛ فيحتمل أن يكون من أن يبعث الله بشرا، أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر ويؤيد هذا ما يأتي بعد. ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في "إذا" محذوف تقديره: أنُبعث إذا متنا. ﴿ذَلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾ الرجع مصدر رجَعته، والمراد به البعث بعد الموت، ومعنى "بعيد" أي: بعيد الوقوع عندهم، وقيل: الرجع الجواب، أي: جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون "ذلك رجع بعيد" من كلام الله تعالى، وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار؛ وهو أظهر. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا رد على الكفار في إنكارهم للبعث، ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «**كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب**» [البخاري: 4935]، وقيل: المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم، والأول قول ابن عباس ﵄ والجمهور وهو الأظهر. ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ومعنى "حفيظ" جامع لا يشذ عنه شيء، وقيل: معناه محفوظ من التبديل والتغيير. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم؛ وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة وما تضمنته من الأخبار بالحشر وغير ذلك، وقال ابن عطية:

فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ

هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره: ما أجادوا النظر أو نحو ذلك. ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارة يقولون ساحر، وتارة شاعر، وغير ذلك من أقوالهم، وقيل: معناه منكر، وقيل: ملتبس، وقيل: مختلط. ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ يعني بالنجوم. ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من شقاق؛ وذلك دليل على إتقان الصنعة. ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من كل نوع جميل. ﴿مَآءً مُّبَارَكًا﴾ يعني المطر كله، وقيل: الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله في كل سنة، وليس كل مطر يتصف بالبركة؛ وهذا ضعيف. ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد. ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طويلات. ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان، فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد، فإذا تفرق فليس بنضيد. ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض. ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ قوم كانت لهم بئر عظيمة؛ وهي الرس، بعث إليهم نبي فجعلوه في الرس وردموا عليه فأهلكهم الله. ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني قوم شعيب وقد ذكر. ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر في الدخان. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: حل بهم الهلاك. ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال: عيي بالأمر إذا لم يعرف عمله، و"الخلق الاول" خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة، وقيل: خلق آدم، وقيل: خلق السماوات والأرض، والأول أظهر. ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث، والهمزة للإنكار. ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم في شك من البعث، وإنما نكر الـ"خلق" الـ"جديد"؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف "الخلق الأول" لأنه معروف معهود. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ يعني جنس الناس، ومعنى ﴿تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ تحدثه به نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء، وقيل: يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة؛

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾

والأول أظهر وأشهر. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عرق كبير في العنق؛ وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثل في فرط القرب، والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده، وإضافة الـ"حبل" إلى "الوريد" كقولك: مسجد الجامع أو يراد بالـ"حبل" العاتق. ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال، والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته، والعامل في "إذ" "نحن أقرب"، وقيل: مضمر تقديره: اذكر؛ واختاره ابن عطية. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد، وقيل: مقاعد بمعنى مجالس، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان، وإنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفراء: لفظ "قعيد" يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف. ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ الـ"عتيد" الحاضر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مقعد الملكين على الشفتين، قلمهما اللسان ومدادهما الريق**» [أخبار أصبهان: 40006]، وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة: إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير. ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بلقاء الله أو فراق الدنيا، وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "وجاءت سكرة الحق بالموت"، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإنما قال "جاءت" بالماضي لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفر وتهرب، والخطاب للإنسان. ﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ الـ"سائق" ملك يسوقه، وأما الـ"شهيد" فقيل: ملك آخر يشهد عليه؛ وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان. ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يريد أنه كان غافلا عما لقي في الآخرة، وقيل: هو خطاب لمحمد ﷺ، أي: كنت في غفلة من هذا القصص؛ وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروج عن سياق الكلام. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ يريد بكشف الغطاء معاينةَ أمور الآخرة. ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: يبصر ما لم يكن يبصره قبل، قال رسول الله ﷺ: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**». ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ القرين

ٱلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾

هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل: الملك الذي كان يسوقه، وقيل: الملك الذي يتولى عذابه في جهنم؛ والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، ومعنى قوله "هذا ما لدي عتيد"؛ أي: هذا الإنسان حاضر لدي قد أعتدته ويسرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدي حاضر، ويحتمل أن تكون "ما" في قوله "ما لدي" موصوفة أو موصولة؛ فإن كانت موصوفة فـ"عتيد" وصف لها، وإن كانت موصولة فـ"عتيد" بدل منها، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، و"ما" هي خبر المبتدأ على هذه الوجوه، ويحتمل أن يكون "عتيد" الخبر وتكون "ما" بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمر. ﴿ٱلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ خطاب للملكين السائق والشاهد، وقيل: إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ثم أبدل منها ألف، أو على أن يكون معناه أَلْقِ أَلْقِ فثني مبالغة وتأكيدا، أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين، كقولهم: خليلَيَّ وصاحبَيَّ؛ وهذا كله تكلف بعيد ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قيل: مناع للزكاة المفروضة؛ والصحيح العموم. ﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: شاك في الدين فهو من الريب بمعنى الشك. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره "فألقياه"، وأدخل فيه ألفا لتضمن معنى الشرط، أو يكون بدلا، أو صفة، ويكون "فألقياه" تكرارا للتوكيد. ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ القرين هنا شيطانه الذي وكل به في الدنيا بلا خلاف، ومعنى "ما أطغيته" ما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى باختياره، وإنما حذف الواو هنا؛ لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله "وقال قرينه" قبل هذا فإنه عطف. ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين. ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي: قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك، وقيل: معناه لا يُكْذَبُ أحد لدي لعلمي بجميع الأمور؛ فالإشارة على هذا إلى قول القرين "ما أطغيته". ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الفعل مسند إلى "جهنم"، وقيل: إلى خزنتها من الملائكة؛ والأول أظهر، واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير، ومعنى قولها "هل من مزيد" أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ، وقيل: معناه لا مزيد، أي:

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت؛ والأول أظهر وأرجح لما ورد في الحديث: «**لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه**» [أبو يعلى: المطالب 4687]، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه، والـ"مزيد" يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول؛ فإن كان مصدرا فوزنه مفعل، وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول. ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قربت، ثم أكد ذلك بقوله ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾. ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، فهو من آب يؤوب إذا رجع، وقيل: هو المسبح لله من قوله ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾. ﴿حَفِيظٍ﴾ أي: حافظ لأوامر الله فيفعلها ولنواهيه فيتركها. ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: اتقى الله وهو غائب عن الناس؛ فالمجرور في موضع الحال، و"من خشي" بدل أو مبتدأ، فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة؟ فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه قال ذلك الزمخشري، ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك أن "الرحمن" قد يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة، كقولنا: الله. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: يعني النظر إلى وجه الله كقوله ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقيل: يعني ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» [البخاري: 3072]. ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير في "هم" للقرون المتقدمة، وفي "منهم" لكفار قريش. ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: طافوا فيها، وأصله دخولها من أنقابها، أو من التنقب عن الأمر بمعنى البحث عنه. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: قالوا: هل من مهرب من الله أو عن العذاب؟. ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واع يعقل ويفهم. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع وهو حاضر القلب. ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ اللغوب الإعياء والتعب. ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش وغيرهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد التسبيح باللسان أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري الوجهين، وقال ابن عطية:

قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

معناه صَلِّ بإجماع من المتأولين، وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس؛ فـ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ الصبح، ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ المغرب والعشاء، وقيل: هي النوافل. ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷺ: يعني الركعتين بعد المغرب، وقال ابن عباس ﷺ: هي النوافل بعد الفرائض، وقيل: الوتر. ﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في "يوم يناد" على أنه مفعول به صريح، وقيل: استمع لما نقص عليك من أهوال يوم القيامة، فعلى هذا لا يكون عاملا في "يوم يناد" فيوقف على "استمع"؛ والأول أظهر. ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ "المناد" هنا هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، قيل: إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق، وقيل: الـ"مكان" صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة، وقيل: لقربها من السماء؛ لأنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا؛ وهذا ضعيف. ﴿يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ يعني خروج الناس من القبور. ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ﴾ العامل في هذا الظرف معنى قوله ﴿حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ أو هو بدل مما قبله. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ أي: بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾، وقيل: إنه إخبار بأنه ﷺ رؤوف بهم غير جبار عليهم؛ وهذا أظهر. ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن يخاف.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ هي الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، وانتصب "ذروا" على المصدرية. ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾ هي السحاب تحمل المطر، والوقر الحمل وهو مفعول به. ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ هي السفن تجري في البحر، وإعراب "يسرا" صفة لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة. ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تقسم أمور الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، و"أمرا" مفعول به، وقيل: إن "الحاملات وقرا" السفن، وقيل: جميع الحيوان الحامل، وقيل: إن "الجاريات يسرا" السحاب، وقيل: الجواري من الكواكب؛ والأول أشهر، وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ هذا جواب القسم، ويحتمل "توعدون" أن يكون من الوعد أو من الوعيد؛ والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ "الدين" هنا الجزاء، وقيل: الحساب. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي: ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حُبك الزرع هي الطرائق التي تكون فيه. وقيل: "الحبك" النجوم. وقيل: زينة السماء. وقيل: حسن خلقتها، وواحد "الحبك" حباك أو حبيكة. ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس؛ لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة؛ لأنهم اختلفوا فقال: بعضهم ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: شاعر. ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معنى "يوفك" يصرف، والضمير في "عنه" يحتمل أربعة أوجه؛ أحدها: أن يكون للنبي ﷺ أو للقرآن أو للإسلام، والمعنى: يصرف عن الإيمان به من صرف؛ أي: من سبق في علم الله أنه مصروف. الثاني: أن يكون الضمير "لما توعدون" أو لـ"الدين" المذكور، والمعنى: يصرف عن الإيمان به من صرف. الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلف، والمعنى: يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته؛ وهذا القول أحسن، إلا أن عرف الاستعمال في "أفك" و"يوفك" إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وهذا من شر إلى خير. الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون "عن" سببية، والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان. ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ دعاء عليهم كقولهم: قاتلك الله، وقيل: إن "قتل" بمعنى لعن، قال ابن عطية: واللفظ لا يقتضي ذلك، وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل ثم جرى مجرى لُعِنَ وقُبِحَ، و"الخراصون" الكذابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن.

ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾

والإشارة إلى الكفار، وقيل" إلى الكهان؛ والأول أحسن. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الـ"غمرة" ما يغطي عقل الإنسان، وأصله غمرة الماء، والمراد به هنا الجهالة والغفلة عن النظر. ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف. ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم، ومعنى "يفتنون" يحرقون ويعذبون، ومنه قيل للحرَّة: فتين، كأن الشمس أحرقت حجارتها، ويحتمل أن يكون "يوم هم" معربا والعامل فيه مضمر تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون، وأن يكون مبنيا لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا، أو في موضع رفع، والتقدير: هو يوم هم على النار يفتنون. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذوقوا حرقكم. ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم. وقيل: المعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه؛ والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه. ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع النوم، وفي معنى الآية قولان؛ أحدهما وهو الصحيح: أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء، والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين؛ فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه؛ الأول: أن يكون "قليلا" خبر "كانوا"، و"ما يهجعون" فاعلٌ بـ"قليلا"؛ لأن "قليلا" صفة مشبهة باسم الفاعل، وتكون "ما" مصدرية، والتقدير: كانوا قليلا هجوعهم من الليل. والثاني: مثل هذا إلا أن "ما" موصولة، والتقدير: كانوا قليلا الذي يهجعون فيه من الليل. والثالث: أن تكون "ما" زائدة، و"قليلا" ظرف والعامل فيه "يهجعون"، والتقدير: كانوا يهجعون وقتا قليلا من الليل. والرابع: مثل هذا إلا أن "قليلا" صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون هجوعا قليلا. وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان؛ أحدهما: أن تكون "ما" نافية، و"قليلا" ظرف، والعامل فيه "يهجعون"، والتقدير: كانوا ما يهجعون قليلا من الليل. والآخر: أن تكون "ما" نافية، و"قليلا" خبر "كان"، والمعنى: كانوا قليلا في الناس، ثم ابتدأ بقوله: "من الليل ما يهجعون"؛ وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية؛ لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضُعف هذا المعنى ببطلان إعرابه. ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، و"الاسحار" آخر الليل، وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى

وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ

يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له» [البخاري: 1145]، وقيل: معنى "يستغفرون" يصلون؛ وهذا بعيد من اللفظ. ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الـ"حق" هنا نوافل الصدقات، وقيل: المراد الزكاة؛ وهذا بعيد لأن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة. وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة؛ وهذا لا يحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وإن كان غير واجب، وقال بعض العلماء: في المال حق سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية، واختلف الناس في "المحروم" حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما "المحروم"، وقيل: "المحروم" الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل: الذي أجيحت ثمرته، وقيل: الذي ماتت ماشيته، وقيل: هو الكلب؛ وهذه الأقوال أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن "المحروم" الذي حرَمَه الله المال بأي وجه كان. ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم: الإنسان نسخة مختصرة من العالم كله. ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى "في السماء رزقكم" المطر، وقيل: القضاء والقدر؛ ويحتمل أن يكون "ما توعدون" من الوعد أو الوعيد، والكل في السماء، ولذلك قيل: يعني الجنة والنار، وقيل: الخير والشر. ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير لما تقدم من الآيات والرزق أو لما توعدون. ﴿مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي: حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، و"ما" زائدة، وقرئ "مثلَ" بالنصب والرفع؛ فالرفع صفة "لحق"، والنصب على الحال من "حق"، أو من الضمير المستتر فيه، أو صفة "لحق"، وبني لإضافته إلى مبني، أو لتركيبه مع "ما" فيصير نحو: أينما وكلما. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل، و"ضيف إبراهيم" هم الملائكة الذين جاؤوه ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بـ"المكرمين"؛ لأنهم مكرمون عند الله، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم؛ لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة، والعامل في: ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ على هذا "المكرمين"، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكر. ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نصب هذا لأنه في معنى الطلب، وهو مفعول بفعل مضمر، ورفع الثاني لأنه خبر تقديره: أمري سلام، وهذا على أن يكون الـ"سلام" بمعنى السلامة وإن كان بمعنى التحية، فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه،

قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَاكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾

وينتصب الـ"سلام" الأول على هذا على المصدرية تقديره: سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم. ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: لم يعرفهم. ﴿قَالَ أَلَا تَاكُلُونَ﴾ يحتمل أن يكون "ألا" حضا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية. ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ﴾. ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي: صيحة؛ وذلك قولها: ﴿يَا وَيْلَتَى ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، وهو من صَرَّ القلم وغيره إذا صوت، وقيل: معناه في جماعة من النساء. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربته حيـاء منهم أو تعجبا من ولادتها وهي عجوز. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت أنـا عجـوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلـد عجوز عقيم؟ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شـأنكم وخبركم، والخطب أكثر ما يقال في الشدائد. ﴿قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني قوم لوط، وقد ذكرنا الـ"حجارة" و﴿مُسَوَّمَةً﴾ في هود. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُومِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط، لأن الكلام يـدل عليها وإن لم يتقـدم ذكرها، والمراد بـ"المومنين" لـوط وأهله، أمرهم الله بالخروج مـن القرية لينجُوا من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بـ"المومنين" وبـ ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنهم جمعوا الوصفين، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب. ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف على قوله "وفي الارض ءايات للموقنين"، أو على قوله "وتركنا فيها ءاية". ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ معنى "تولى" أعرض عن الإيمان و"ركنه" سلطانه وقوته. ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: قال إن موسى ساحر أو مجنون؛ و"أو" للشك أو للتقسيم، وقيل: بمعنى الواو؛ وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فَعل ما يلام عليه، يعني فرعون. ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعقم؛ لأنها لا بركة

مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُومِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾

فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر. ﴿كَالرَّمِيمِ﴾ أي: الفاني المنقطع، والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه. ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن الـ"حين" هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة، والآخر: أن الـ"حين" من أول بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا يكون ﴿فَعَتَوْا﴾ مرتبا بعد تمتعهم. وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ما قبله. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني الصيحة التي صاحها جبريل. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها لأنها كانت بالنهار. ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوة، وانتصب "السماء" بفعل مضمر. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة ومنه: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرُهُ﴾ أي: القوي على الإنفاق، والآخر: جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة، والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء. ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ الماهد الموطئ للموضع. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: نوعين مختلفين كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض وغير ذلك. ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة؛ وفي اللفظ تحذير وترهيب. ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ توقيف وتعجيب؛ أي: هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي، وقيل: ليتذللوا لي، فإن جميع الجن والإنس متذلل. ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: لا أريد أن

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾

يطعمـون؛ لأني منزه عـن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غني عن العالمين. وقيل: المعنى ما أريد أن يطعموا عبدي فحذف المضاف تجوزا. وقيل: معناه ما أريد أن ينفعوني لأني غني عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعام؛ والأول أظهر. ﴿الْمَتِينُ﴾ أي: الشـديد القـوة. ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾ الذنـوب النصيب، ويريد به هنا نصيبـا من العذاب، وأصل الذنوب الدَّنُو، والمراد بـ"الذين ظلموا" كفار قريش، وبـ ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ من تقدم من الكفار. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر؛ والأول أرجح لقوله في المعارج: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

سورة الطور

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسـى عليه السلام، وقيل "الطور" كل جبل؛ فكأنه أقسم بجنس الجبـال. ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ قيل: هـو اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيـل: صحائف الأعمال. ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ الـ"رق" في اللغة الصحيفة، وخصصت في العرف بما كان من جلد، والـ"منشـور" خلاف المطوي. ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا، وبهذا هـو عمرانه وهو حيال الكعبة، وقيل: البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين؛ والأول أشـهر، وهو قول علي وابن عباس ﷺ. ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السـماء. ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا، وقيل: بحر في السـماء تحت العرش؛ والأول أظهر وأشهر، ومعنى "المسجور" المملوء ماء، وقيل: الفارغ من المـاء، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، واللغـة تقتضي الوجهين لأن اللفظ من الأضداد، وقيل: معناه الموقد نارا من قولك: سجرت التنور، واللغة أيضا تقتضي هذا، وروي أن جهنم في البحر. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم، ويعني عذاب الآخرة. ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي: تجيء وتذهب، وقيل: تـدور، وقيل: تنشـق، والعامل في الظرف "واقع" أو ﴿دَافِعٍ﴾ أو محذوف. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ الخـوض التخبط في الأباطيل شُـبه بخوض المـاء. ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي: يدفعون بتعنيـف، و"يوم" بدل من

هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ

الظرف المتقدم. ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم، أي: هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حل بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق. ﴿اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس. ﴿فَاكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لَابِن وتَامِر، أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور. ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ معطوف على قوله "في جنات"، أو على "ءَاتاهم ربهم"، أو تكون الواو للحال. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم كلوا واشربوا. ﴿هَنِيئًا﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره: كلوا أكلا هنيئا، ويحتمل أن يكون واقعا موقع فعل تقديره: هنأكم الأكل والشرب. ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء في قوله "بحور"؛ لأنه تضمن قوله "زوجناهم" معنى قرناهم، قاله الزمخشري، وقال "إن الذين ءَامنوا" معطوف على "بحور عين" أي: قرناهم بحور للتلذذ بهن وبـ"الذين ءَامنوا" للأنس معهم؛ والأظهر أن الكلام تم في قوله "بحور عين"، ويكون "الذين ءَامنوا" مبتدأ وخبره "ألحقنا". ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لِتَقَرَّ بهم عينه**» [البزار - الكشف: 2260]، ذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، فقيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارا، وقيل: على الإطلاق في الأولاد المؤمنين، و"بإيمان" في موضع الحال من الذرية، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان، وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بـ"ألحقنا"، والمعنى عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم؛ والأول أظهر، فإن قيل: لمَ قالَ "بإيمان" بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء، فالمراد تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيمانا عظيما؟! ﴿وَمَآ أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما أنقصناهم شيئا من ثواب

كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾

أعمالهم؛ بل وفينا لهم أجورهم، وقيل: المعنى ألحقنا ذريتهم بهم، وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك؛ بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم، والضمير على القولين يعود على "الذين ءامنوا"، وقيل: إنه يعود على الذرية. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهن؛ فإما أن تنجيه حسناته أو تهلكه سيئاته. ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾ الإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة. ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ اللغو الكلام الساقط، والتأثيم الذنب؛ فهي بخلاف خمر الدنيا. ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يعني خدامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه، وقيل: هو الذي لم يخرج من الصَّدف. ﴿قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف. ﴿السَّمُومِ﴾ أشد الحر، وقيل: هو من أسماء جهنم. ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، و"من قبل": يعنون في الدنيا قبل لقاء الله. ﴿أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ "البر" الذي يبر عباده ويُحسن إليهم، وقرئ "أنه" بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها على الاستئناف. ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي: ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون، ومعنى "بنعمت ربك" بسبب إنعام الله عليك. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ "أم" في هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، و"ريب المنون" حوادث الدهر، وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون، فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة. ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمر على وجه التهديد. ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا﴾ الأحلام: العقول، أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟ والإشارة إلى قولهم هو شاعر، أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله: ﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ "أم" هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه، وضمير الفاعل لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول للقرآن. ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ رد عليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز. ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله، الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات، الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾. ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق، وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى: أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته؟ وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا ويمنعون من شاؤوا ويخصون بالنبوة من شاؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون، وقيل: المصيطر المسلط القاهر. ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعني: أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقوله الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم؟ ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة واضحة على دعواهم. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ المعنى: أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك؟ ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ المعنى: أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب؟ وقيل: المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ الإشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: هم المغلوبون في الكيد، و"الذين كفروا" يعني من تقدم الكلام فيهم وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟ وحصر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام،

وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾

ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة. ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء، فالمعنى: أنهم لو رأوا الكسف ساقطا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو "سحاب مركوم"؛ أي: كثيف بعضه فوق بعض. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني يوم القيامة، والصعقة فيه هي النفخة الأولى، وقيل: غير ذلك؛ والصحيح ما ذكرنا؛ لقوله في المعارج عن يوم القيامة: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني قتلهم يوم بدر، وقيل: الجوع بالقحط، وقيل: عذاب القبر. ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نراك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه قول: سبحان الله، ومعنى "حين تقوم" حين تقوم من كل مجلس، وقيل: أراد حين تقوم وتقعد وفي كل حال، وجعل القيام مثالا، الثاني: أنه الصلوات النوافل، والثالث: أنه الصلوات الفرائض، فـ"حين تقوم" الظهر والعصر؛ أي: حين تقوم من نوم القائلة. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء. ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ الصبح، ومن قال هي النوافل جعل "إدبار النجوم" ركعتي الفجر.

سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه الثريا؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى "هوى" غرب أو انتثر يوم القيامة، الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنى "هوى" كما ذكرنا، أو انقضت تَرْجُم الشياطين، الثالث: أنه من نجوم القرآن، وهي الجملة التي تنزل منه، و"هوى" على هذا: نزل. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش، و"صاحبكم" هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغي، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد، والغي بقصد وتكسب. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: ليس يتكلم بهواه وشهوته وإنما يتكلم بما يوحي الله إليه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ هو القرآن. ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ضمير المفعول للقرآن أو للنبي ﷺ، والـ"شديد القوى" هو جبريل عليه السلام، وقيل: هو الله تعالى؛ والأول أرجح

ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾

لقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾، و"القوى" جمع قوة. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة، وقيل: ذو هيئة حسنة؛ والأول هو الصحيح في اللغة. ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي: استوى جبريل عليه السلام في الجو إذ رآه رسول الله ﷺ وهو بحراء، وقيل: معنى "استوى" ظهر في صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ الضمير لجبريل، وقيل: لمحمد ﷺ؛ والأول أصح. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ الضميران لجبريل، أي: دنا من محمد ﷺ فتدلى في الهواء، وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلى فدنا. ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ القاب مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد عليهما السلام في القرب مقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود، وقيل: ليس القوس الذي يرمى بها وإنما هو ذراع تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي وقال: إنه من لغة أهل الحجاز، وتقدير الكلام: فكان مقدار مسافة قُرب جبريل من محمد عليهما السلام مثل قاب قوسين، ثم حذفت هذه المضافات، ومعنى "أدنى" أقرب، و"أو" هنا مثل قوله ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، وقيل: إنها لله تعالى؛ وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل، إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك. ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال؛ الأول: أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى، الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره، فهو كقوله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ﴾ الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، وفي قوله "ما أوحى" إبهام يقتضي التفخيم والتعظيم. ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه، بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق، والذي رأى هو جبريل؛ يعني حين رآه قد ملأ الأفق، وقيل: الذي رأى ملكوت السموات والأرض؛ والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وقيل: الذي رأى هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها، وسئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أنَّى أراه؟**» [مسلم: 461]. ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنى: أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش كذبته لما قال إنه رأى ما رأى. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي: لقد رأى محمد جبريل عليهما السلام مرة أخرى، وهي ليلة الإسراء، وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها وقالت: من زعم أن محمدا رأى

عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾

ربه فقد أعظم الفرية على الله. ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ: «ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة» [مسلم: 429]، وسميت "سدرة المنتهى" لأنها إليها ينتهي علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله، وقيل: سميت بذلك لأن ما نَزل من أمر الله يلتقي عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى. ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ يعني أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ فيه إبهام لقصد التعظيم، قال ابن مسعود ﷺ: غشيها فراش من ذهب، وقيل: كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي» [البخاري: 349] وهذا أولى أن تفسر به الآية. ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رأى من العجائب؛ بل أثبتها وتيقنها. و"ما طغى" أي: ما تجاوز ما رأى إلى غيره. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنَ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني ما رأى ليلة الإسراء من السماوات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن تكون "الكبرى" مفعولا أو نعتا لـ"آيات ربه"، والمعنى يختلف على ذلك. ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ هذه أوثان كانت تعبد من دون الله، فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية؛ فأما "اللات" فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة، وأما "العزى" فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة، فبَعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل، فضربها بالسيف حتى قتلها [أخبار مكة: 146]، وقيل: كانت بيتا تعظمه العرب. وأصل لفظ "العزى" مؤنثة الأعز، وأما "مناة" فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى "الثالثة الاخرى" فأكدها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري "الأخرى" ذم وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضيعة القدر، ومنه: ﴿وَقَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾. ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة؟! وقد ذُكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي: هذه القسمة التي قسمتم جائرة غير عادلة، يعني جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى، ووزن "ضيزى" فعلى بضم الفاء، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ﴾. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني أنهم يقولون أقوالا بغير حجة؛ كقولهم: الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم، وغير ذلك. ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ "أم" هنا للإنكار، و"الإنسان" جنس بني آدم؛ أي: ليس لأحد ما يتمنى؛ بل الأمر بيد الله، وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام، وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾، وقيل: هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا. والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه. ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الآية، رد على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله فكيف أوثانكم؟ ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَى﴾ معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضى عنه. ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَآئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى﴾ يعني قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾. ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي: إلى ذلك انتهى علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: أن الله ملك أمر السماوات والأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وقيل: يتعلق بـ"ضل" و"اهتدى". ﴿كَبَآئِرَ الإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء. ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه أربعة أقوال؛ الأول: أنه صغائر الذنوب، فالاستثناء على هذا منقطع، الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها، الثالث: أنه ما ألموا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي،

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾

الرابع: أنه الهَمُّ بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل. ﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين. ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهيا عن أن يزكي بعض الناس بعضا؛ وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها. ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ الآية، نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في العاصي بن وائل. ﴿وَأَكْدَى﴾ أي: قطع العطاء وأمسك. ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قيل: وفّى طاعة الله في ذبح ولده، وقيل: وفّى تبليغ الرسالة، وقيل: وفّى شرائع الإسلام، وقيل: وفّى الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: وفّى هذه العشر الآيات؛ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ وما بعدها. ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ذكر فيما تقدم، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾، والصحيح أنها محكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ، وفي تأويلها ثلاثة أقوال؛ الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا، الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها، الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق على أنه لا يحمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، كأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه. ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ قيل: معناه يراه الخلق يوم القيامة؛ والأظهر أن صاحبه هو الذي يراه لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾. ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه إلى الله المصير في الآخرة، والآخر: أن معناها أن العلوم تنتهي إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية: «لا فكرة في الرب» [البغوي 7/ 417]. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡانثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ اِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡاخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلُّاولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٍ مِّن قَبۡلُ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمُۥٓ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُوتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡاولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾

قيل: معناه أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار؛ وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل: أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات؛ وهذا مجاز، وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء؛ والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن؛ فالمعنى أنه تعالى أحزن من شاء من عباده وأسر من شاء. ﴿أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾ يعني الحياة المعروفة والموت المعروف، وقيل: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر؛ والأول أرجح لأنه حقيقة. ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ يعني المني. ﴿اِذَا تُمۡنَىٰ﴾ من قولك: أمنى الرجل؛ إذا خرج منه المني. ﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡاخۡرَىٰ﴾ يعني الإعادة للحشر. ﴿وَأَقۡنَىٰ﴾ أي: أكسب عباده المال، وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره، وقيل: معنى "أقنى" أفقر؛ وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل: معناه أرضى، وقيل: قنع عبده. ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ نجم في السماء، وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان؛ الغميصاء والعبور، وخصها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها. ﴿عَادًا ٱلُّاولَىٰ﴾ وصفها بـ"الاولى" لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة، وقيل: إنما سميت أولى لأن ثَمَّ عادا أخرى متأخرة؛ وهذا لا يصح، وقرأ نافع "عادا الاولى"، بإدغام تنوين "عاد" في لام "الاولى" بعد حذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، وضعف المازني والمبرد هذه القراءة، وهمز قالون الواو دون ورش، وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين "عادا" وإسكان لام "الأولى".

﴿وَثَمُودَ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ أي: ما أبقى منهم أحدا، وقيل: ما أبقى عليهم. ﴿وَٱلۡمُوتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ هي مدينة قوم لوط، ومعنى "أهوى": طرحها من علو إلى سفل، وفي قوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تعظيم الأمر. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق، ومعناه: بأي نعم ربك تشك؟ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني القرآن أو النبي ﷺ، ومعنى ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡاولَىٰ﴾ من نوعها وصفتها. ﴿أَزِفَتِ ٱلۡازِفَةُ﴾ أي: قربت القيامة. ﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه؛ أن يكون مصدرا كالعافية؛ أي: ليس لها كشف، وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلّامة، وأن يكون صفة لمحذوف تقديره: نفس كاشفة أو جماعة كاشفة، ويحتمل معناه وجهين؛ أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة؛ أي: ليس لها من يزيلها إذا وقعت، والآخر: أن يكون بمعنى الاطلاع؛ أي: ليس لها من

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

يعلم وقتها إلا الله. ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن، وتعجبهم منه إنكاره. ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ أي: لاعبون لاهون، وقيل: غافلون مفرطون. ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: قرأها رسول الله ﷺ فسجد وسجد كل من كان معه [البخاري: 1070].

سورة القمر

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعه كهاتين**»، وأشار بالسبابة والوسطى [البخاري: 5301]. ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبار عما جرى في زمان رسول الله ﷺ وذلك أن قريشا سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فقال ﷺ: «**اشهدوا**» [البخاري: 3636]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: انشق فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل: معنى "انشق القمر" أنه ينشق يوم القيامة؛ وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك، إلا من لا يعتبر قوله. ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش، والآية المشار إليها انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر محمد القمر، ومعنى "مستمر" دائم، وقيل: معناه ذاهب يزول عن قريب، وقيل: معناه شديد؛ وهو على هذا من المرة بمعنى القوة. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بد له من غاية، فالحق يحق والباطل يبطل. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ "الانباء" يراد بها ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ، و"مزدجر" اسم مصدر بمعنى الازدجار، أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به. ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدل من "ما فيه"، أو خبر ابتداء مضمر. ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ يحتمل أن تكون "ما" نافية، أو استفهامية بمعنى الاستبعاد والإنكار. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ العامل في "يوم" مضمر تقديره: اذكر، أو قوله "يخرجون" بعد ذلك، وليس العامل فيه "تول عنهم"؛ لفساد

خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾

المعنـى، فقد تم الكلام في قوله "تول عنهم" فيوقف عليه، وقيل: المعنى تول عنهم إلى يوم يدع الداع؛ والأول أظهر وأشهر، والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور، والشيء النكُر الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار؛ أي: هو منكور لأنه لم ير قط مثله، والمراد به يوم القيامة. ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ كناية عن الذلة، وانتصب "خشعا" على الحال من الضمير في "يخرجـون". ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شـبههم بالجراد في خروجهم من الأرض، ففيه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات، وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم يموج في بعض. ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين، وقيل: ناظرين إلى الداع. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحا عليه السـلام، ووصفه هنـا بالعبد تشريفا له واختصاصـا. ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: زجروه بالشتم والتخويف وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ أي: قد غلبني الكفار فانتصر لي وانتصر لنفسك، وقالت المتصوفة: معناه قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني؛ وهذا بعيد ضعيف. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ عبارة عن كثرة المطر؛ فكأنه يخرج من أبواب، وقيل: فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة، والـ"منهمر" الكثير. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ يعني ماء السماء وماء الأرض. ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قضي في الأزل، ويحتمل أن يكون المعنى قد قدر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ يعني السفينة، والدسر هي المسـامير، أحدها دسـار، وقيل: هي مقادم السفينة، وقيل: أضلاعها؛ والأول أشـهر. ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعيه لها. ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاء لنوح، وقيل: جزاء لله تعالى؛ والأول أظهر، وانتصب "جزاء" على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال، أي: جعلنـا ذلـك كله جزاء لنـوح، ويحتمل أن يكون قوله "كفـر" من الكفر بالدين، والتقديـر: لمن كُفِرَ به، فحـذف الضمـير، أو يكون من الكفر بالنعمة، لأن نوحا عليه السـلام نعمة من الله كفرها قومه، فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف. ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً﴾ الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة، وروي في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تحضيض على الإدكار،

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده، ووزن "مدكر" مفتعل، وأصله مدتكر، ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توقيف فيه تهديد لقريش، والـ"نذر" جمع نذير. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة؛ فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يُحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن، وقيل: معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة، وإنما كرر هذه الآية وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: مصوتة، فهو من الصرير؛ يعني الصوت، وقيل: معناه باردة؛ فهو من الصر. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ روي: أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحيس، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر**» [تاريخ بغداد 6/ 353]. ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ أي: تقلعهم من مواضعهم. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل هي أصولها، والمنقعر المنقطع، شبه الله عادا لما هلكوا بذلك؛ لأنهم طوال عظام الأجسام كالنخل، وقيل: كانت الريح تقلع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل؛ لأنها دون أغصان، وقيل: كانوا قد حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها، فشبههم الله بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها. ﴿أَبَشَرًا﴾ هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر، والمعنى: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عناء، وقيل: معناه جنون، وقيل: معناه هم وغم، وأصله من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهمّ. ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم؛ وذلك جهل منهم فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. ﴿أَشِرٌ﴾ بطر متكبر.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة، فالضمير في "نبئهم" يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل: الضمير لثمود، والمعنى: أن لا يتعدى بعضهم على بعض. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضور مشهود. ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني عاقر الناقة، واسمه قدار، وهو أحيمر ثمود وأشقاها. ﴿فَتَعَاطَى﴾ أي: اجترأ على أمر عظيم؛ وهو عقر الناقة، وقيل: تعاطى السيف. ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح جبريل صيحة ماتوا منها. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها، و"المحتظر" الرجل الذي يعمل الحظيرة؛ وهي حائط من الأغصان أو القصب أو نحو ذلك، يكون تحليقا للمواشي أو للسكنى؛ فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها، وقيل "المحتظر" المحترق. ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي: تشككوا. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا. ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار، ومعناه: هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين، بحيث هلكوا هم لما كذبوا الرسل، وتنجون أنتم وقد كذبتم رسولكم؛ بل الذي أهلكهم يهلككم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي: نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ هـذا وعد من الله لرسوله بأن يهزم جمع قريش؛ وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بـ"المجرمين" هنا الكفار، وضلالهم في الدنيا، والـ"سعر" لهم في الآخرة؛ وهو الاحتراق، وقيل: أراد بـ"المجرمين" القدرية؛ لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؛ والأول أظهر. ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ أي: يجرون فيها. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنى: أن الله خلق كل شيء بقدر؛ أي: بقضاء معلوم سابق في الأزل، ويحتمل أن يكون معنى "بقدر" بمقدار في هيئته وصفاته وغير ذلك؛ والأول أرجح، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية، وانتصب "كل شيء" بفعل مضمر يفسره "خلقناه". ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله، والـ"واحدة" يراد بها الكلمة؛ وهي قوله: ﴿كُن﴾. ﴿وَلَقَدَ اَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أشباهكم من الكفار. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال. ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب، وهو من السطر، تقول سطرت واستطرت بمعنى واحد؛ والمراد الصغير والكبير من أعمالهم، وقيل: جميع الأشياء. ﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس. ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في مكان مرضي.

سورة الرّحمن جلّ جلاله

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن، وقيل: معنى "علم القرءان": جعله علامة وآية لمحمد ﷺ؛ والأول أظهر، وارتفع "الرحمن" بالابتداء، والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها دون حرف عطف. ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ يعني جنس الإنسان، وقيل: يعني آدم، وقيل: يعني محمدا ﷺ؛

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾

ولا دليل على التخصيص؛ فالأول أصح. ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني النطق والكلام. ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان في الفلك بحساب معلوم وترتيب مقدر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير. ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ "النجم" عند ابن عباس ﷺ هو النبات الذي لا ساق له كالبقول، و"الشجر" النبات الذي له ساق، وقيل "النجم" جنس نجوم السماء، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى، وقيل: سجود النجم غروبها، وسجود الشجر بظله. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره، وكرر ذكره اهتماما به، وقيل: أراد العدل. ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوا إذا وزنتم. ﴿لِلْأَنَامِ﴾ أي: للناس، وقيل: الإنس والجن، وقيل: الحيوان كله. ﴿الْأَكْمَامِ﴾ يحتمل أن يكون جمع كُم بالضم؛ وهو ما يغطي ويلف النخل من الليف، وبه شُبه كم القميص، أو يكون جمع كِم بالكسر؛ وهو غلاف الثمرة. ﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، وقيل: التين. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قيل: هو الريحان المعروف، وقيل: كل مشموم طيب الريح من النبات، وقيل: هو الرزق. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآلاء هي النعم، واحدها: إلي، على وزن معي، وقيل: ألى، على وزن قفى، وقيل: ألى على وزن أمر، وإلي على وزن حصن، والخطاب للثقلين الإنس والجن، بدليل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه ﷺ، فقال: «**جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيء من آلاء ربنا**» [الترمذي: 3602]، وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة، وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ "الإنسان" هنا آدم، والـ"صلصال" الطين اليابس؛ فإذا طبخ فهو فخار. ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ "الجان" الجن؛ يعني إبليس والد الجن، والـ"مارج" اللهيب المضطرب من النار. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر، وقيل: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما. ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في الفرقان. ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا؛ وذلك إذا نزل المطر في البحر، على القول بأن البحر العذب هو المطر،

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر، وأما قول من قال إن "البحرين" بحر فارس والروم، أو بحر القلزوم واليمن؛ فضعيف لقوله في الفرقان: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بـ"البحرين" في هذه السورة ما أراد الله في الفرقان. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز؛ يعني جرم الأرض، أو حاجز من قدرة الله. ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل: لا يبغيان على الناس بالفيض. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ "اللؤلؤ" كبار الجوهر، و"المرجان" صغاره، وقيل: بالعكس، وقيل: "المرجان" حجر أحمر، قال ابن عطية: هذا هو الصواب، وأما قوله "منهما" ولا يخرج إلا من أحدهما فقد تكلمنا عليه في فاطر. ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني السفن، وسماها "منشآت" لأن الناس ينشئونها، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، و"الأعلام" الجبال، شبه السفن بها. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في "عليها" للأرض، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر، ويعني بـ"من عليها" بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء. ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الـ"وجه" هنا عبارة عن الذات، و"ذو الجلال" صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بـ"الاكرام" فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾، أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته. ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: أن كل من في السماوات والأرض يسأل حاجته من الله؛ فمنهم من يسأله بلسان المقال وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى: أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفا يظهر في كل يوم من العطاء والمنع والإماتة والإحياء وغير ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قرأها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين**» [ابن ماجه: 207]، وسئل بعضهم: كيف قال "كل يوم هو في شأن" والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة؟ فقال: هو في شأن يبديه لا في شأن يبتديه. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ معناه: الوعيد؛ كقولك لمن

يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾

تهدده: سأتفرغ لعقوبتك، وليس المعنى التفرغ من شغل، ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة؛ فعبر عن ذلك بالتفرغ، قال جعفر بن محمد: سمَّى الإنس والجن ثقلين لأنهما ثقلا بالذنوب. ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾ هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة، ومعناه: إن استطعتم الهرب والخروج من أقطار السماوات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة، فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالأرض فيرجعون، وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا، والمعنى: إن استطعتم الخروج من قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا، وقوله "فانفذوا" أمر يراد به التعجيز. ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ الـ"شواظ" لهيب النار، والـ"نحاس" الدخان، وقيل: هو الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم، وقرئ "شواظ" بضم الشين وكسرها وهما لغتان، وقرئ "نحاس" بالرفع عطف على "شواظ"، وبالخفض عطف على "نار". ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب "إذا" قوله "فيومئذ"، وقال ابن عطية: جوابها محذوف. ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى" وردة" حمراء كالوردة، وقيل: هو من غرس الورد، قال قتادة: السماء اليوم خضراء وهي يوم القيامة حمراء، و"الدهان" جمع دهن كالزيت وشبهه، شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذوب من شدة الهول، وقيل: شبَّه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل: إن "الدهان" هو الجلد الأحمر. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن المجرمين يعرفون بسيماهم، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وغيره فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين النفي والإثبات، وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن؛ والأول أحسن. ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ يعني بعلامتهم، وهي سواد الوجوه وغير ذلك، و"المجرمون" هنا الكفار؛ بدليل قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قيل: معناه يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه، وقيل: بل يؤخذ كل واحد

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَا ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾

بناصيته وقدميه؛ فيطوى ويطرح في النار. ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ الـ"حميم" الماء السخن، والـ"آن" الشديد الحر، وقيل: الحاضر؛ من قولك: آن الشيء إذا حضر؛ والأول أظهر. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ "مقام ربه" القيام بين يديه للحساب، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقيل: قيام الله عليه بأعماله، ومنه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وقيل: معناه لمن خاف ربه وأقحم المقام؛ كقولك: خفت جانب فلان، واختلف هل الـ"جنتان" لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين، وذلك مبني على قوله "لمن خاف" هل يراد به واحد أو جماعة؟ وقال الزمخشري: إنما قال "جنتان" لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس وجنة للجن. ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات قاله ابن عطية، والـ"أفنان" جمع فنن وهو الغصن، أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها. ﴿مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: نوعان. ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنا هو ما يجتنى من الثمار، و"دان" قريب، وروي أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها، وفي قوله "جنى الجنتين" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ المعنى: أنهن أبكار، و"لم يطمثهن" معناه لم يفتضهن، وقيل: الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال: لم يطمثهن شيء، وقيل: أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذه البشر. ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال، وقد ذكر معنى "المرجان" في أول السورة. ﴿هَلْ جَزَآءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

المعنى: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون "الإحسان" هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [البخاري: 50]، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوي هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك؛ فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين، والمذكورتان بعد ذلك لأهل اليمين، حسبما ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما، فقال هنا: ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وقال في الأخيرين: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾، والجري أشد من النضخ، وقال هنا: ﴿مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ وقال هناك: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، وكذلك صفات الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك، وكذلك صفات البسط، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما**» [البزار: 3078]. ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: تضربان إلى السواد من شدة الخضرة. ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: تفوران بالماء، والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة. ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفا لهما وبيانا لفضلهما على سائر الفواكه، وهذا هو التجريد. ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ "خيرات" جمع خيرة، وقال الزمخشري وغيره: أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كميت، وقد قرئ بالتشديد، قالت أم سلمة ﵂: يا رسول الله أخبرني عن قوله "خيرات حسان"؟ قال: «**خيرات الأخلاق، حسان الوجوه**» [الطبراني: 19313]. ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الـ"حور" جمع حوراء، والـ"مقصورات" المحجوبات، لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج، و"الخيام" هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ الـ"رفرف" البسط، وقيل: الوسائد، وقيل: رياض الجنة. ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الـ"عبقري" الطنافس، وقيل: الزرابي، وقيل: الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقري، وتزعم العرب أنه بلد الجن؛ فإذا أعجبتها شيء نسبته إليه. ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ذكر "تبارك" في الفرقان وغيرها، والـ"اسم" هنا يراد به المسمى على الأظهر، وقرأ الجمهور: ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ بالياء صفة لـ"ربك"، وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم، وقد ذكر معنى: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾

سورة الواقعة

روي عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» [الشعب: 2397]، ولما حضرت ابن مسعود ﷺ الوفاة قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة. ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة؛ فـ"الواقعة" اسم من أسماء القيامة يدل على هولها كـ﴿الطَّامَّةُ﴾ و﴿الصَّاخَّةُ﴾، وقيل "الواقعة" الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل "الواقعة" صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة؛ وهذا بعيد. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه؛ الأول: أن تكون الـ"كاذبة" مصدرا كالعافية، والمعنى ليس لها كذب ولا رد، والثاني: أن تكون "كاذبة" صفة لمحذوف كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول، والثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفس كاذبة؛ أي: تكذب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ. ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى، والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة، وقيل: ذلك عبارة عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تزلزل وتمد، والجبال تنسف، فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها. ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي: زلزلت وحركت تحريكا شديدا، و"اذا" هنا بدل من "إذا وقعت"، ويحتمل أن يكون العامل فيه "خافضة رافعة". ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي: فتتت، وقيل: سيرت. ﴿هَبَآءً مُّنبَثًّا﴾ الـ"هباء" ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كوة، قاله ابن عباس ﷺ. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب، وقيل: ما تطاير من شرر النار، فإذا طفئ لم يوجد شيئا، والمنبث المفترق. ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال؛ فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلا في الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار. ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ هذا ابتداء وخبر فيه معنى التعظيم كقولك: زيد ما زيد، و"الميمنة" يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم وتكون ﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ مشتقة من الشؤم، أو تكون "الميمنة" من ناحية اليمين و"المشأمة" من ناحية الشمال،

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال، أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الأول مبتدأ والثاني خبره على وجه التعظيم كقولك: أنت أنت، أو على معنى أن السابقين إلى الطاعة هم السابقون إلى الجنة، وقيل: إن "السابقون" الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله "أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة"، وعلى هذا يوقف على "السابقون" الثاني ويبتدئ بما بعده.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ الـ"ثلة" الجماعة من الناس؛ فالمعنى: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «**الفرقتان في أمتي**» [الطيالسي: 917]، وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم؛ فكثر السابقون من السلف الصالح وقلوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم**» [البخاري: 2651]، وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي؛ فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها، وقيل: إنَّ "الاولين" هم من كان قبل هذه الأمة و"الاخرين" هم هذه الأمة؛ فيقتضي هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة؛ وهذا بعيد، وقيل: إن السابقين يراد بهم الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره. ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ الـ"سرر" جمع سرير، والـ"موضونة" المنسوجة، وقيل: المشبكة بالدر والياقوت، وقيل: معناه متواصلة قد أدني بعضها من بعض. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض. ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الـ"ولدان" صغار الخدم، والـ"مخلدون" الذين لا يموتون، وقيل: المقرطون بالخادات وهي ضرب من الأقراط؛ والأول أظهر. ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الـ"أكواب" جمع كوب؛ وهو الإناء الذي لا أذن له ولا خرطوم يمسك به، والـ"أباريق" جمع إبريق؛ وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في الصافات. ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يصيب من خمر الدنيا، وقيل: لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة، ومعنى "لا ينزفون" لا يسكرون. ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ قيل: يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها، وقيل: متخيرة؛ أي: مرضية.

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قد ذكرنا معناه، وقرئ بالرفع على تقدير: فيها حور، أو عطف على الضمير في "متكئين"، أو على "ولدان" وبالخفض عطف على المعنى، كأنه قال: ينعمون بهذا كله وبحور عين، وقيل: خفض على الجوار. ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض، ووصفه بـ"المكنون" لأنه أبعد عن تغيير حسنه، وسألت أم سلمة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه؟ فقال: «**صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي**» [المعجم الأوسط: 3259]. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره، والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره. ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ انتصب "سلاما" على أنه بدل من "قيلا" أو صفة له أو مفعول به لـ"قيلا" لأن معناه: قول، ومعنا السلام على هذا التحية، والمعنى: أنهم يفشون السلام، فيسلمون سلاما بعد سلام، ويحتمل أن يكون معناه السلامة فينتصب بفعل مضمر تقديره: أسلموا سلاما. ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبر قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده، ويحتمل أن يكون الخبر "في سدر" ويكون "ما أصحاب اليمين" اعتراضا؛ والأول أحسن، وكذلك إعراب "أصحاب الشمال". ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ الـ"سدر" شجر معروف، قال ابن عطية: وهو الذي يقال له شجر أم غيلان وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض، والـ"مخضود" الذي لا شوك فيه كأنه مخضد شوكه، وذلك أن سدر الدنيا له شوك فوصف سدر الجنة بضد ذلك، وقيل: الـ"مخضود" هو الموقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حمله، فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه. ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ الـ"طلح" شجر عظام كثير الشوك قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: الطلح هو شجر الموز، وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه "وطلع منضود" بالعين فقيل له: إنما هو "وطلح" بالحاء؟ فقال: ما للطلح وللجنة، فقيل له: أنصلحها في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير، والـ"منضود" الذي نضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق. ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ أي: منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم "وظل ممدود"**» [البخاري: 3252]. ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ أي: مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته، وقيل: المعنى أنه جار في غير أخاديد، وقيل: المعنى أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب. ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾

أي: لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا فإن شجر الجنة تثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع. ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسرة، وقد روي أن ارتفاع سرير منها مسيرة خمسمائة عام، وقيل: هي النساء؛ وهذا بعيد. ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة فإن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن قد تقدم ذكر الـ"فرش" وهي تدل على النساء، وأما من قال إن الـ"فرش" هي النساء فالضمير عائد عليها، وقيل: يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا، وذلك بعيد؛ فإن ذلك في وصف جنات السابقين وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين، ومعنى إنشاء النساء: أن الله يخلقهن في الجنة خلقا آخر في غاية الحسن بخلاف خلقة الدنيا؛ فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة. ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ روي أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا. ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته، وعبر عنهن ابن عباس ﵄ بأنهن العواشق لأزواجهن، وقيل: هي الحسنة الكلام. ﴿أَتْرَابًا لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: مستويات في السن مع أزواجهن، وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عاما، ولـ"أصحاب اليمين" يتعلق بقوله "أنشأناهن" على ما قاله الزمخشري، ويحتمل أن يتعلق بـ"أترابا" وهذا هو الذي يقتضيه المعنى أي: أترابا لأزواجهن. ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي» [الطيالسي: 917]، وفي ذلك رد على من قال إنها من غير هذه الأمة، وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين؛ وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها. ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ الـ"سموم" الحر الشديد، والـ"حميم" الماء الحار جدا، والـ"يحموم" هو الأسود، "وظل من يحموم" هو الدخان في قول الجمهور، وقيل: سُرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يُظلهم، وقيل: هو جبل في جهنم. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ معنى "يصرون" يدومون من غير إقلاع، و"الحنث" هو الإثم، وقيل: هو الشرك، وقيل: الحنث في اليمين؛ أي: اليمين الغموس. ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ الآية، معناها: أنهم أنكروا البعث بعد الموت، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في الرعد و﴿ءَابَآؤُنَا﴾ في الصافات.

قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾

﴿أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار. ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول. ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ وزن "الهيم" فُعل بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الياء، وهو جمع أهيم، وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء؛ وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأنثى هيماء، وقيل: جمع هائم وهائمة، وقيل: الهيم الرمال التي لا تروى من الماء، وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء، وقرئ "شرب" بضم الشين، واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب، وقرئ بالفتح وهو مصدر، فإن قيل: كيف عطف قوله "فشاربون" على "شاربون" ومعناهما واحد؟ فالجواب: أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضي الشرب مطلقا، والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم. ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ النزل أول ما يأكله الضيف؛ فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره. ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق؛ إما بالخالق تعالى، وإما بالبعث؛ لأن الخلقة الأولى دليل عليه. ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث، وتتضمن أيضا وعيدا وتعديد نِعَم، ومعنى "تمنون" تقذفون المني في رحم المرأة. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو. ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ أي: جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه، و"نبدل أمثالكم" معناه: نهلككم ونستبدل قوما غيركم، وقيل: نمسخكم قردة وخنازير، "وننشئكم" نبعثكم بعد هلاككم، و"في ما لا تعلمون" معناه: ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه؛ فمعنى الآية: أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيض على التذكير، والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، وفي هذا دليل على صحة القياس. ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المراد

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾

بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسـول الله: «**لا يقولن أحدكـم زرعـت ولكن يقول حرثت**» [ابن حبان: 5723]، والمراد بالحرث قلـب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا زرع، ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾. ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ الحطام اليابس المتفتت، وقيل: معناه تبنـا بلا قمـح. ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تطرحون الفاكهة وهـي المسرة، يقال: رجل فكـه إذا كان مسرورا منبسط النفس، ويقال: تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا؛ لأن صيغة تفعّل تأتي لزوال الشيء كقولهم: تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم؛ فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما، وقد عبر بعضهم عـن "تفكهون" بأن معناه تتفجعون، وقيل: تندمون، وقيل: تعجبون؛ وهذه معان متقاربة والأصل ما ذكرنا. ﴿إِنَّـا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ تقديره: تقولون ذلك لو جعـل الله زرعكم حطاما، والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب، ويحتمل أن يكون من الغرم أي: مثقلون بما غرمنا من النفقة على الزرع، والمحروم الذي حرمه الله الخير. ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السـحاب، والأجاج الشـديد الملوحة، فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله "لو نشـاء لجعلناه حطاما" وسقطت في قوله: ﴿لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أغنى إثباتهـا أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين، والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب دلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل. ﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: تقدحونها من الزناد، والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعفار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شـجر قال الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَـأْتُمْ شَـجَرَتَهَا﴾ أي: الشجرة التي يزند النار منها، وقيل: أراد بالشـجرة نفس النار كأنه يقول: نوعها أو جنسـها؛ فاستعار الشجرة لذلك؛ وهذا بعيد. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: تذكر بنار جهنم. ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ المتاع ما يتمتع به، ويحتمل ا"لمقوين" أن يكـون مـن الأرض القوّاء وهي الفيافي، فمعنى ا"لمقوين" الذين دخلوا في القواء ولذلك عبر ابن عباس ﷺ عنه بالمسافرين، ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزل إذا خلا؛ فمعناه: الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام؛ ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين. ﴿فَلَآ أُقْسِـمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ "لا" في هذا الموضع وأمثاله زئدة،

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام نحو ألا، وقيل: إنها نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار؛ وهذا ضعيف والأول أحسن؛ لأن زيادة "لا" كثيرة معروفة في كلام العرب، و"مواقع النجوم" فيه قولان؛ أحدهما: قول ابن عباس ﷺ: إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي ﷺ قطعا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم، والآخر قول كثير من المفسرين: إن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها، وقيل: مواضعها من السماء، وقيل: انكدارها يوم القيامة. ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه، وقوله "لو تعلمون" اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو "مواقع النجوم"، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال إن "مواقع النجوم" نزول القرآن. ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: مصون، والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التي كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التي بأيدي الملائكة عليهم السلام. ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله؛ إلا أن هذا ضعيف لوجهين؛ أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز والحقيقة أولى من المجاز، والآخر: أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور؛ فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون؛ فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة، فـ"المطهرون" يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب، والآية إخبار أنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم، وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي بأيدي الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين؛ لأنهم مطهرون من الكفر، أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهو الجنابة والحيض؛ فالطهارة على هذا الاغتسال، أو يريد المطهرين من الحدث الأصغر فالطهارة على هذا الوضوء، ويحتمل أن يكون قوله "لا يمسه" خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا، وقال: لو كان نهيا لكان بفتح السين، وقال المحققون: إن النهي يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما واتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير، وإذا كان خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبرا بمعنى النهي، وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون؛ أي: هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك، واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الآية؛ فأجمعوا أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك، وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

ولا المحدث حدثا أصغر وهو قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة؛ وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة، ومن حجتهم أيضا كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه: «**أن لا يمس القرآن إلا طاهر**» [الدارمي: 2321]، الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية، وحملوا "المطهرون" على أنه المسلمون أو الملائكة أو جعلوا "لا يمسه" لمجرد الإخبار، القول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، وحمل صاحب هذا القول المطهرين على أن يراد به الطهارة من الحدث الأكبر، ورخص مالك في مسه على غير وضوء لمعلم الصبيان لأجل المشقة، واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن، فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقا، وأجازه الظاهرية مطلقا، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة، واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن على ظهر قلب، فعن مالك في ذلك روايتان، وفرق بعضهم بين الكثير واليسير. ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه هو القرآن، و"مدهنون" معناه: متهاونون، وأصله من المداهنة وهي لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه مكذبون. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا، فالمعنى: أنكم تجعلون شكر رزقكم التكذيب، فحُذف شكر لدلالة المعنى عليه، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه "وتجعلون شكركم أنكم تكذبون"، وكذلك قرأ ابن عباس رضي الله عنهما إلا أنه قرأ "تكذبون" بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي رضي الله عنه بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يكذبون في قولهم نزل المطر بنوء كذا، ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**» [البخاري: 1038]، والمنهي عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكواكب تأثيرا في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به كقوله ﷺ: «**إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة**» [المعجم الأوسط: 7973]، وقد قال عمر للعباس رضي الله عنهما وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس رضي الله عنه: العلماء يقولون إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتى مطروا، وقيل: إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ، فإنهم كانوا يقولون إن آمنا به حرمنا الله الرزق كقولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، فأنكر الله عليهم ذلك، وإعراب "أنكم" على هذا القول مفعول بـ"تجعلون" على حذف مضاف تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب، ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله تقديره: تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون، وأما على القول الأول فإعراب "أنكم تكذبون" مفعول لا غير.

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ "لولا" هنا عرض، والضمير في "بلغت" للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك، وبلوغها للحلقوم حين الموت، والفعل الذي دخلت عليه "لولا" هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: هلا رددتم النفس حين الموت، ومعنى الآية: احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون. ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه، أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة. ﴿وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ إن أراد بقوله "نحن أقرب" الملائكة فقوله "لا تبصرون" من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب. ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ "لولا" هنا عرض كالأولى، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه "لولا" الأولى والثانية قوله "ترجعونها"؛ أي: هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم "إن كنتم غير مدينين"؛ أي: غير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم، وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوها إن كنتم صادقين. ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الضمير في "كان" للمتوفى، وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف؛ السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال؛ فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الروح الاستراحة، وقيل: الرحمة، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ "فروح" بضم الراء ومعناه الرحمة، وقيل: الخلود، أي: بقاء الروح، وأما الـ"ريحان" فقيل: إنه الرزق، وقيل: الاستراحة، وقيل: الطيب، وقيل" الريحان المعروف في الدنيا يلقاه في الجنة، وفي قوله "روح وريحان" ضرب من التجنيس. ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ معنى هذا على الجملة: نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم، والـ"سلام" هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية، والخطاب في ذلك يحتمل أن يكون للنبي ﷺ أو لأحد أصحاب اليمين؛ فإن كان للنبي ﷺ فالـ"سلام" بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم؛ أي: لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب، وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين فالـ"سلام" بمعنى التحية، والمعنى: سلام لك؛ أي: تحية لك يا صاحب اليمين من

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

إخوانك وهم أصحاب اليمين؛ أي: يسلمون عليك، فهو كقوله: ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾، أو يكون السلام بمعنى السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين، ثم يكون قوله "من اصحاب اليمين" خبر ابتداء مضمر تقديره: أنت من أصحاب اليمين. ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ﴾ يعني الكفار، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة. ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الـ"نزل" أول شيء يقدم للضيف. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة، و"حق اليقين" معناه: الثابت من اليقين، وقيل: إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: مسجد الجامع، واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**»، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «**اجعلوها في سجودكم**» [أبو داود: 869]، فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: سبحان ربي الأعلى، وفي الركوع: سبحان ربي العظيم، وأوجبه الظاهرية، ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا جنس الأسماء، و"العظيم" صفة للرب، أو يكون الاسم هنا واحدا والتعظيم صفة له، فكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها، وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد، وروي أن الدعاء عند قراءتها مستجاب.

سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبحات؛ يحتمل أن يكون حقيقة، وأن يكون بلسان الحال؛ لأن كل ما في السماوات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته؛ والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وذَكَرَ التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام. ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ أي: الذي ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية. ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي: "الظاهر" للعقول بالأدلة والبراهين الدالة عليه،

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ

"الباطن" الذي لا تدركه الأبصار، أو "الباطن" الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته، وقيل: "الظاهر" العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهرت على الشيء إذا علوت عليه، و"الباطن" الذي بطن كل شيء؛ أي: علم باطنه؛ والأول أظهر وأرجح، ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها، وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذُكر، وكذلك ما بعده. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك. ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ ذكر في الحج ولقمان. ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، وروي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا روي أن قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ نزلت في عثمان بن عفان ﷺ فإنه جهز جيش العسرة يومئذ؛ ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس، وقوله "مستخلفين فيه" يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه، ويحتمل أن يعني "جعلكم مستخلفين" ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفِقُوها قبل أن تُخَلِّفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق والتزهيد في الدنيا. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة؟! فقوله: "ما لكم" استفهام يراد به الإنكار، و"لا تؤمنون" في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه "مالكم"، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني

لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

محمدا ﷺ، والعبودية هنا للتشريف والاختصاص، والآيات هنا القرآن. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، والله يرث ما في السماوات والأرض إذا فني أهلها؛ ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا. ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ "الفتح" هنا فتح مكة، وقيل: صلح الحديبية؛ والأول أشهر وأظهر، ومعنى الآية: التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد، ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة الحاجة أعظم أجرا ممن أنفق في حال الرخاء، وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق بعد الفتح وقاتل، ثم حذف هذا لدلالة قوله: ﴿أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾، وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» [البخاري: 3673]، يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة. ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة. ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف "أجر كريم" أو تقدير: اذكر. ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان؛ والصحيح قول الجمهور إنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ، فالمعنى على هذا: أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم، وقيل: يكون أصله في إيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم، وروي أن نور كل واحد على قدر إيمانه؛ فمنهم من يكون نوره كالنخلة السحوق، ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهم بالانطفاء مرة، قال ابن عطية: ومن هذه الآية أخذ الناس مشي المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات. ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ "يوم" بدل من "يوم ترى"، أو متعلق بـ ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، أو بمحذوف تقديره: اذكر، ومعنى الآية: أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا، فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين، فيقول المنافقون للمؤمنين "انظرونا نقتبس من نوركم" أي: نأخذ منه ونستضيء به، ومعنى "انظرونا" انتظرونا؛ وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف، والمنافقون ليسوا كذلك، ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم؛ ولكن يضعف هذا؛ لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بإلى، وقرئ "أنظرونا" بهمزة قطع، ومعناه: أخرونا؛ أي: أمهلونا في مشيكم حتى نلحقكم. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو من قول الملائكة، ومعناه: الطرد للمنافقين والتهكم بهم؛ لأنهم قد علموا أنه ليس وراءهم نور، و"وراءكم" ظرف العامل فيه "ارجعوا"، وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: ارجعوا، ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ أي: ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه، وقيل: إن هذا السور هو الأعراف؛ وهو سور بين الجنة والنار، وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس؛ وهذا بعيد. ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ "باطنه" هو جهة المؤمنين، "وظاهره" هو جهة المنافقين؛ وهي خارجه، كقولك: ظاهر المدينة؛ أي: خارجها، والضمير في "باطنه" و"ظاهره" يحتمل أن يكون للسور أو للباب؛ والأول أظهر. ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؛ يريدون إظهارهم الإيمان. ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم، وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين. ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في الإيمان. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون أو يهزموا، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب. ﴿الْغَرُورُ﴾ هو الشيطان.

فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ

﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى الولي الناصر، فكأن هذا استعارة منه؛ أي: لا ولي لكم تأوون إليه إلا النار. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ معنى "ألم يان": ألم يحن، يقال: أنى الأمر إذا حان وقته، و"ذكر الله" يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ؛ وهذه آية موعظة وتذكير، قال ابن عباس ﷺ: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن، وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكانت سبب رجوعه إلى الله، وروي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضرب به، فنطق بهذه الآية، فكسره ابن المبارك وتاب إلى الله. ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ عطف "لا يكونوا" على "أن تخشع"، ويحتمل أن يكون نهيا، والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة؛ وهم اليهود والنصارى. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي: مدة الحياة، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: انتظار الفتح؛ والأول أظهر. ﴿اعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل: إنه تمثيل للقلوب؛ أي: يحي الله القلوب بالمواعظ كما يحي الأرض بالمطر؛ وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نُدبوا إلى أن تخشع قلوبهم؛ والأول أرجح لأنه الحقيقة. ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بتشديد الصاد من الصدقة، وأصله المتصدقين، وكذلك قرأ أبي بن كعب، وقرئ بالتخفيف من التصديق؛ أي: صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا، وقد ذكرنا معنى "أقرضوا" في قوله ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾. ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ مبالغة من الصدق أو من التصديق؛ وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من فعل رباعي كقولهم: رجل مسيك، من أمسك. ﴿وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون "الشهداء" مبتدأ وخبره ما بعده، أو يكون معطوفا على الصديقين؛ فإن كان مبتدأ ففي المعنى قولان؛ أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم، والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء عليهم السلام؛

لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾

لأنهم يشهدون على قومهم، وإن كان معطوفا ففي المعنى قولان؛ أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء؛ أي: جمعوا الوصفين، وروي في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال: «**مؤمنو أمتي شهداء**» وتلا هذه الآية [ابن جرير 23/ 192]. والآخر: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس، كقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبر عن "الشهداء" خاصة إن كان مبتدأ، وخبر عن المؤمنين إن كان "الشهداء" معطوفا، "ونورهم" هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الآية، معناها: تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره، و"الكفار" هنا يراد به الزراع، فهو من قولهم: كفرت الحب إذا سترته تحت الأرض، وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل: أراد الكفار بالله، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثرُ حرصا عليها. ﴿سَابِقُوٓا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، فقيل: المعنى كونوا في أول صف من القتال، وقيل: احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل: كونوا أول داخل إلى المسجد وآخر خارج منه؛ وهذه أمثلة، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات، وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ "السماء" هنا يراد به جنس السماوات، بدليل قوله في آل عمران: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وقد ذكرنا هناك معنى "عرضها". ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ المعنى: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**» [مسلم: 6919]، والـ"مصيبة" هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر،

لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً

وقيل: أراد به المصيبة في العرف؛ وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس، و"في الارض" يعني القحوط والزلازل وغير ذلك، و"في أنفسكم" يعني الموت والمرض والفقر وغير ذلك، و"نبرأها" معناه: نخلقها، والضمير يعود على الـ"مصيبة" أو على "أنفسكم" أو على "الارض"، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها. ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا، ومعنى "لا تاسوا": لا تحزنوا؛ أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها، وقرأ الجمهور "بما ءاتاكم" بالمد، أي: بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو "بما أتاكم" بالقصر، أي: بما جاءكم من الدنيا؛ فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق ﷺ لما أتي بمال كثير: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا؟ فالجواب: أن النهي إنما هو عن الفرح الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم. ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الـ"مختال" صاحب الخيلاء، والـ"فخور" شديد الفخر على الناس. ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من "كل مختال فخور"، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار: أعني، أو مبتدأ وخبره محذوف. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ "الكتاب" هنا جنس الكتب، "والميزان" العدل، وقيل: الميزان الذي يوزن به، وروي أن جبريل نزل بالميزان، ودفعه إلى نوح وقال له: مر قومك يزنوا به. ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، وقيل: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾، والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء

وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ بأنهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾. ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع ورفض النساء وترك الدنيا، ومعنى "ابتدعوها": أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب "رهبانية" معطوف على "رأفة ورحمة" أي: جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و"ابتدعوها" صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق، والمعتزلة يعربون "رهبانية" مفعولا بفعل مضمر يفسره "ابتدعوها"؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي، وذكر الزمخشري الوجهين. ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ "كتبنا" هنا بمعنى فرضنا وشرعنا، وفي هذا قولان؛ أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله، والآخر: أن الاستثناء متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله؛ والأول أرجح لقوله "ابتدعوها"، ولقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ: "ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها". ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها؛ يعني أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم، والضمير في "رعوها" للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه، وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم. ﴿وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن معنى "آمنوا" دوموا على الإيمان واثبتوا عليه، والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله: ﴿يُؤتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ أي: نصيبين، وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي**» الحديث [البخاري: 3011]. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدى؛ ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه السورة؛ ويؤيد الثاني قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾. ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ "لا" في قوله "لئلا" زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم

قرأ ابن عباس ﷺ، وقرأ ابن مسعود ﷺ: "لكي يعلم"، والمعنى: إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة، لأنهم لم يسلموا فلا ينالوا شيئا من ذلك. وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله للمسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة، وقد روي أن سبب الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين، فنزلت الآية في الرد عليهم، فهذا يقوي هذا القول، وروي أيضا أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين، فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم ﷺ، وقيل: خولة بنت ثعلبة ﷺ، وقيل: خولة بنت خويلد ﷺ، وقيل: اسمها جميلة، وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت ﷺ فظاهر منها، وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا، فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أوسا أكل شبابي ونشرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ما أراك إلا قد حرمت عليه»**، فقالت: يا رسول الله! لا تفعل، فإني وحيدة ليس لي أهل سواه. فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته، فراجعته [سنن البيهقي: 15658]؛ فهذا هو جدالها. ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري، وروي أنها كانت تقول: اللهم إن لي منه صبية صغارا إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا. ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ التحاور: هو المراجعة في الكلام، قالت عائشة ﷺ: سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة، وكان بعض كلام خولة يخفى علي وسمع الله كلامها ونزل القرآن في ذلك [النسائي: 3473]، فبعث رسول الله ﷺ إلى زوجها وقال له: **«أتعتق رقبة»**، فقال: والله ما أملكها، فقال: **«أتصوم شهرين متتابعين»**، فقال: والله ما أقدر، فقال: **«أتطعم ستين مسكينا»**، فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة -يريد الدعاء-، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا [الطبراني: 20101]، وقيل: بثلاثين صاعا ودعا له؛ فكفر بالإطعام وأمسك زوجته. ﴿الَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾ قرئ "يظاهرون" بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، ويجري مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد، كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب

مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سـواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره، كقوله: أنتِ علي كأمي أو كبطن أمي أو يدها أو رجلها، خلافا للشافعي، فإن ذلك كله ليس عنده بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليها لأنـه رأى أن المقصد تشـبيه حلال بحرام. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ رد الله بهذا على مـن كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًّا باطل، فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور؛ فالمنكر: هو الذي لا تعرف حقيقته، والزور هو الكذب، وإنـما جعلـه كذبا لأن المظاهر يصير امرأته كأمه وهي لا تصير كذلك أبـدا، والظهار محرم، ويدل على تحريمه أربعة أشـياء؛ أحدهـا: قوله تعالى "ما هـن أمهاتهم" فإن ذلك تكذيـب للمظاهر، والثاني أنه سـماه "منكرا"، والثالث: أنه سـماه "زورا"، والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب، وهـو مع ذلـك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفـارة. ﴿وَالَّذِينَ يُظَّهَّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف الناس في معنى قوله "ثم يعودون" على ستة أقوال؛ الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسـلام فذلـك عود عليه، هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفـس الظهار بخلاف أقـوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا، الثـاني: أن العود هو وطأ الزوجـة وروي ذلـك عن مالك فلا تجب الكفـارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سـواء أمسـك الزوجة أو طلقها أو ماتت، الثالث: أن العود العزم على الوطء، وروي أيضا هذا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت، الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمسـاك الزوجـة، وهذا أصـح الروايات عند مالك، الخامـس: أنه العزم على الإمسـاك خاصة وهذا مذهب الشـافعي، فإذا ظاهر ولم يطلقهـا بعد الظهار لزمته الكفارة، السـادس: أنه تكرار الظهـار مرة أخرى؛ وهذا مذهـب الظاهريـة؛ وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مـرة وإنما يوجبه في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم، ويختلف معنى "لما قالوا" باختلاف هذه الأقوال؛ فأما على قـول ابن قتيبة والظاهريـة فـ"ما" مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم، وأما على سـائر الأقـوال فـ"ما" بمعنى الـذي، والمعنـى: يعـودون للوطء الـذي حرموه أو للعـزم عليه، أو للإمسـاك الذي تركـوه أو للعزم عليه. ﴿فَتَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني؛ فالأول: تحرير رقبة، والثاني: صيام شهرين متتابعين، والثالث: إطعام

مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

ستين مسكينا؛ فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل اللفظ المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان، وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع، فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتدأه من أوله باتفاق، وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك: يبني على ما كان معه، وقال أبو حنيفة: يبتدئ، وروي القولان عن الشافعي. وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام، واختلف في مد هشام، فقيل: إنه مدان غير ثلث بمد النبي ﷺ، وقيل: إنه مد وثلث، وقيل: إنه مدان، وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدا بمد النبي ﷺ لكل مسكين ولا يجزيه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين، والطعام يكون من غالب قوت البلد. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن والثوري: أراد الوطء خاصة فأباحا ما دونه قبل الكفارة، وذكر الله قوله "من قبل أن يتماسا" في التحرير والصوم ولم يذكره في الإطعام فاختلف العلماء في ذلك، فحمل مالك الإطعام على ما قبله ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس. ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم، وقال الزمخشري: المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا؛ وهذا أظهر لأنه أعم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ أي: يخالفون ويعادون. ﴿كُبِتُوا﴾ أي: هلكوا، وقيل: لعنوا، وقيل: كُبت الرجل إذا بقي خزيانا، ونزلت الآية في المنافقين واليهود. ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ يحتمل أن يكون الـ"نجوى" هنا بمعنى الكلام الخفي فيكون "ثلاثة" مضافا إليه، أو بمعنى الجماعة من الناس، فيكون "ثلاثة" بدلا أو صفة، والأول أحسن. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: بعلمه وإحاطته، وكذلك: ﴿سَادِسُهُمْ﴾،

وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ

و﴿هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُوا﴾. ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجۡوَى﴾ نزلت في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا، وقيل: نزلت في المنافقين، والأول أرجح لقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ لأن هذا من فعل اليهود، والأحسن أن يريد اليهود والمنافقين معا لقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوۡا قَوۡمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ فنزلت في الطائفتين. ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك يا محمد، بدلا من السلام عليكم، والسام الموت وهو ما أرادوا بقولهم، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم: «**وعليكم**»، فسمعتهم عائشة رضي الله عنها يوما فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «**مهلا يا عائشة، إن الله يكره الفحش والتفحش**»، فقالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: «**أما سمعت ما قلتُ لهم إني قلت وعليكم**» [البخاري: 2935]، ويريد بقوله: "ما لم يحيك به الله" قوله: ﴿قُلِ الۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصۡطَفَى﴾. ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيا لعذبنا الله بإذايته، فقال الله: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيهم ذلك عذابا. ﴿إِنَّمَا النَّجۡوَى مِنَ الشَّيۡطَانِ﴾ يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه، وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيَحۡزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُوا فِي الۡمَجۡلِسِ فَافۡسَحُوا﴾ اختلف في سبب الآية، فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال، وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه، وقيل: أقام النبي ﷺ قوما ليُجلس أشياخا من أهل بدر في مواضعهم فنزلت الآية، ثم اختلف هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ

يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ

أو هي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدل على ذلك قراءة "المجلس" بالإفراد، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة "المجالس" بالجمع؛ وهذا هو الأصح، ويكون "المجلس" بالإفراد على هذا للجنس، والتفسح المأمور به هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**لا يقم أحد من مجلسه ثم يُجلس الرجل فيه، لكن تفسحوا وتوسعوا**» [البخاري: 6270]، وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة؟. ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع لكم في جنته ورحمته. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ أي: إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك، واختلف في هذا النشوز المأمور به، فقيل: إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة، وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ لأنه كان يحب الانفراد أحيانا، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، وقيل: المراد القيام في المجلس للتوسع. ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فيها قولان؛ أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله "والذين أوتوا العلم" صفة لـ"لذين آمنوا" كقولك: جاءني العاقل والكريم، وأنت تريد رجلا واحدا، الثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات؛ فـ"الدرجات" على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء، وعلى الثاني: للمؤمنين الذين ليسوا علماء وللعلماء أيضا، ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يؤخذ من موضع آخر، كقوله ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**» [الترمذي: 2898]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا**» [الترمذي: 2901]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**» [ابن ماجه: 4456]، فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين؟. ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس ﷺ: سببها أن قوما من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمحا لا يرد أحدا؛ فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة، وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ، وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عُمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل أحد بها، وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب ﷺ، فإنه روي أنه كان له دينار، فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار،

فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ

ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم به من الصدقة عند المناجاة. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰؤُلَآءِ﴾. ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر منهم ذلك مرارا كثيرة وهي مذكورة في السير وغيرها. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الـ"جنة" ما يستتر به ويتقي به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا استعارة؛ لأنهم كانوا يظهرون الإيمان لتعصم دماؤهم وأموالهم، وقرئ "اتخذوا إيمانهم" بكسر الهمزة. ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب عليهم وتملك نفوسهم. ﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة الأذلين، أي: معهم. ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى وقدر. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية، معناها: لا تجد مؤمنا يحب كافرا، ولو كان

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ

أقرب الناس إليه، وهذه حالة المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة ﷺ يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير ﷺ أخاه عزيز بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق ﷺ ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد، وقيل: إن الآية نزلت في حاطب ﷺ حين كتب للمشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ؛ والأحسن أنها على العموم، وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان؛ وذلك بعيد. ﴿يُوَادُّونَ﴾ هذا مفاعلة من المودة فتقتضي أن المودة من الجهتين. ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه. ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ أي: أثبته فيها كأنه مكتوب. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدى وتوفيق، وقيل: بالقرآن، وقيل: بجبريل. ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذا في مقابلة قوله ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ والـ"حزب" هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.

سورة الحشر

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك، فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد. ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بني النضير. ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال؛ أحدها: أنه حشر القيامة؛ أي: خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره، وروي في هذا المعنى أن النبي ﷺ قال لهم: «**امضوا هذا أول الحشر وأنا على الأثر**» [الطبراني 23 / 263]. الثاني: أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام؛ وذلك لأن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام وقد جاء في الأثر: أن حشر القيامة إلى أرض الشام، وروي في هذا المعنى أن النبي ﷺ قال لبني النضير: «**اخرجوا**»، قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى أرض المحشر**» [ابن أبي حاتم 12 / 297]، الثالث: أن المراد الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر وإخراج أهل خيبر آخره، الرابع: أن معناه

مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ

أخرجهم من ديارهم لأول الحشر لقتالهم؛ لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ، وقال الزمخشري: اللام في قوله "لأول" بمعنى عند كقولك: جئت لوقت كذا. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ يعني لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم. ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله "يخربون" لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد؛ أحدها: حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار، والآخر: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك، والثالث: أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليهم. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ استدل الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية؛ واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها. ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ "الجلاء" هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن الله كتب على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف، كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم مع ذلك عذاب النار. ﴿شَاقُّوا﴾ ذكر في الأنفال. ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ الـ"لينة" هي النخلة، وقيل: هي الكريمة من النخل، وقيل: النخلة التي ليست بعجوة، وقيل: ألوان النخل المختلط، وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه، فقال بنو النضير: ما هذا إلا فساد يا محمد، وأنت تنهى عن الفساد؟! فنزلت الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع وإمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك. ﴿لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ بني النضير، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب؛ فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها، واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم؟ فأجازه الجمهور لهذه الآية ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير، وكرهه قوم لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيش الذي وجهه إلى الشام: أن لا يقطعوا شجرا مثمرا. ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى "أفاء الله":

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ

جعله فيئا لرسوله ﷺ، و"أوجفتم" من الوجيف وهو سرعة السير، والـ"ركاب" هي الإبل، والمعنى: أن ما أعطى الله لرسوله من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال، ولكن حصل بتسليط رسول الله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذه من بني النضير وما أخذه من فدك، فهو فيء خاص بالنبي ﷺ يفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله، وقسم سائرها في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا، غير أن أبا دجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة فأعطاهما رسول الله ﷺ منها، هذا قول جماعة، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله، قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه؛ فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

﴿مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما؛ فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك، ولا يخرج منها خمس ولا تقسم على من حضر الوقيعة؛ وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة، فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال، وهذا خطأ؛ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة، وقال بعضهم: إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض وإن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا: ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين؛ وهذا التخصيص لا دليل عليه، وقيل غير ذلك؛ والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال؛ فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفيء؛ وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي الأنفال لفظ الغنيمة، وقد تقرر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفيء وأن حكمهما مختلف، قال أبو محمد بن الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال، وأما فعل عمر رضي الله عنه في أرض مصر والعراق، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين، فقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا لقوله في الآية قبل هذا

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

"فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب"، فاستغني بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير وبين في هذه الآية حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم؛ لأن الله سوى بينهما في قوله: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وقد ذكرنا ذلك في الأنفال فأغنى عن إعادته، وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله "لله وللرسول" وما بعد ذلك. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ أي: كيلا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين، فإنهم كانوا حينئذ فقراء ولم يعط الأنصار منها شيئا فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء! فأنزل الله هذه الآية، والـ"دولة" بالضم والفتح ما يدول الإنسان، أي: يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة؛ أي: كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور، أي: ما أتاكم الرسول من الفيء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فكأنها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء ونهي للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه، ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود ﷺ على أن المنع من لبس المخيط للمحرم، ولعن الواشمة والواصلة في القرآن لورود ذلك عن رسول الله ﷺ. ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدل من قوله "لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"؛ ليبين أن المراد بذلك المهاجرون، ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها ديارهم وأموالهم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، و"الدار" هي المدينة لأنها كانت بلدهم، والضمير في "قبلهم" للمهاجرين، فإن قيل: كيف قال "تبوؤا الدار والايمان" وإنما تتبوأ الدار؛ أي: تسكن ولا يتبوأ الإيمان؟ فالجواب من وجهين؛ الأول: أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقوله: فعلفتها تبنا وماء باردا، تقديره: علفتها تبنا وسقيتها ماء، الثاني: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك،

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ

فإن قيل: قوله "من قبلهم" يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار، فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد بقوله "من قبلهم" من قبل هجرتهم، والآخر: أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا، أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوئ الدار، فيكون "الايمان" على هذا مفعولا معه؛ وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول فإنه إذا كان "الايمان" مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان "الايمان" معطوفا على "الدار". ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا﴾ قيل إن الـ"حاجة" هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها، والضمير في "يجدون" للأنصار وفي "أوتوا" للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره فلا يجدون في صدورهم شيئا بسبب ذلك. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج، والـ﴿خَصَاصَة﴾ هي الفاقة، وروي أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار، قال للأنصار: «**إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه**»، فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة [تاريخ المدينة: 2/ 489]، وروي أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله، فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان؟ فقال لها: نومي صبيانك وأطفئ السراج وقدمي ما عندك للضيف، ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله ﷺ فقال له: «**عجب الله من فعلكما البارحة**» ونزلت الآية [البخاري: 3798]. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ شح النفس هو البخل والطمع، وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين. ﴿وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوف على "المهاجرين والانصار" المذكورين قبل، فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، ويعني بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة، وقيل: يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك، فقال: إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم

يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإنا معكم كيف ما تقلبت حالكم. ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع فيكم قول قائل، ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم؛ ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها، فإن قيل: كيف قال ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لا يَنصُرُونَهُمْ﴾، فالجواب: أن المعنى على الفرض والتقدير؛ أي: لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار. ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ الـ"رهبة" هي الخوف، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله. ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي: لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم. ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني عداوة بعضهم لبعض. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء. ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي: هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع، فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير فكانوا مثلا لهم، وقيل: يعني أهل بدر الكفار فإنهم قبلهم ومثلا لهم في أن غُلبوا وقُهروا، والأول أرجح؛ لأن قوله "قريبا" يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة، وذلك أوقع على بني قينقاع، وأيضا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق؛ لأنهم يهود مثلهم وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ

و"قريبا" ظرف زمان. ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان؛ فإنه يغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه، والمراد بـ"الشيطان" و"الانسان" هنا الجنس، وقيل: أراد الشيطان الذي أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم: إني جار لكم، وقيل: المراد بـ"الانسان" برصيص العابد، فإنه استودع امرأة، فزين له الشيطان الوقوع عليها، فحملت فخاف الفضيحة، فزين له قتلها، فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل، فتعرض له الشيطان وقال له: اسجد لي وأنجيك! فسجد له فتركه الشيطان، وقال له: إني بريء منك؛ وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح. ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على "الشيطان" و"الانسان"، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود. ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة، ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبر عن يوم القيامة بـ"غد" تقريبا له؛ لأن كل ما هو آت قريب، فإن قيل: لم كرر الأمر بالتقوى؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه تأكيد، والآخر: وهو الأحسن؛ أنه أمر بالتقوى أولا استعدادا ليوم القيامة ثم أمر به ثانيا؛ لأن ﴿اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فلما اختلف الموجبان كرره مع كل واحد منهما. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني الكفار، والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة، أي: نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها. ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ﴾ الآية، توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن؛ فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم! ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه، وقيل: "الغيب" الآخرة، و"الشهادة" الدنيا؛ والعموم أحسن. ﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين عن

ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ

كل نقص وعيب، وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: الذي سلَّم عباده من الجور، والآخر: السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة، ثم وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام. ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه من الأمن، أي: الذي أمن عباده، والآخر: أنه من الإيمان، أي: المصدق لعباده في إيمانهم وشهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله. ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشري: أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء. ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه من الإجبار بمعنى القهر، والآخر: أنه من الجبر، أي: يجبر عباده برحمته؛ والأول أظهر. ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبر حقا. ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن "البارئ" و"الفاطر" يراد بهما الذي برأ الخلق واخترعه. ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور. ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**» [البخاري: 2736]. قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الولي الصالح أبي عبد الله بن الكماد، فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك، فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأني قرأت على القاضي أبي علي بن الأحوص، فلما انتهيت إلى خاتمة سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على النبي ﷺ، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: «**ضع يدك على رأسك**»، قلت: ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال: «**أقرأني جبريل القرآن، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد**» **قلت: ولم ذاك؟ قال: لأن الله تعالى افتتح القرآن فضرب فيه، فلما انتهى إلى خاتمة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا، ولم ذاك؟ قال: لأنه شفاء من كل داء إلا السام**»؛ والسام الموت [أخبار أصبهان: 528].

سورة الممتحنة

﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ العدو يطلق على الواحد والجماعة؛ والمراد به هنا كفار قريش، وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر، فشاع في الناس أنه خارج إلى خيبر، وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم

تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾

حاطب ﷺ، فكتب حاطب ﷺ بذلك إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي ابن أبي طالب والزبير والمقداد ﷺ وقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين**»، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها: أخرجي الكتاب! فقالت: ما معي كتاب! ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئا، فقال بعضهم: ما معها كتاب؟ فقال علي ﷺ: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، قالت: أعرضوا عني فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حجزتها، فجاؤوا به رسـول الله ﷺ فقال لحاطب: «**من كتب هذا؟**»، قال: أنا يا رسـول الله، ولكن لا تعجل علي، فوالله ما فعلت ذلك ارتدادا عن ديني ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكـون لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسـول الله أضرب عنق هذا المنافق! فقال رسول الله ﷺ: «**صدق حاطب إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقـال: اعملوا ما شـئتم فـإني قد غفرت لكـم، لا تقولوا لحاطب إلا خـيرا**» [البخاري: 3007]، فنزلـت الآية عتابا لحاطب ﷺ وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شـهد له بالإيمان في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُـوا ﴾. ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم، وألقى يتعدى بحرف جر وبغير حرف كقوله ﴿ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾، وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله "لا تتخذوا" أو في موضع الصفة لـ"أولياء" أو استئناف. ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا ﴾ حال من الضمير في "لا تتخذوا" أو في "تلقون". ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم يعني إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهـم حتى خرجوا مهاجريـن إلى المدينة، ومنهم من خرج إلى أرض الحبشـة. ﴿ أَن تُؤْمِنُوا ﴾ مفعول من أجلـه، أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم. ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِى سَـبِيلِى ﴾ جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو "لا تتخذوا"، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عـدوي وعدوكم أولياء، و"جهادا" مصـدر في موضع الحال أو مفعول من أجله، وكذلك ﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾. ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ معناه: إن يظفروا بكم. ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم، قال الزمخشري: إنـما قـال "ودوا" بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنه أراد ودوا كفركم قبل كل شيء.

لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ إشـارة إلى ما قصد حاطب ﵁ من رعي قرابته. ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنى التفريق؛ أي: يفرِّق بينكم وبين قرابتكم يـوم القيامـة، وقيل: إن العامل في "يوم القيامة" ما قبله؛ وذلك بعيد. ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ إِسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ الإسوة هو الذي يقتدى به، فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبرئ منهم، ويعني بـ "الذين معه" من آمن به من الناس، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبا من عصره؛ ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد في الحديث: «**أن إبراهيم عليه السـلام قال لزوجته: ما على الأرض مؤمـن بالله غـيري وغيرك**» [البخـاري: 2217]. ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ جمع بريء. ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أي: كذبناكم في أقوالكـم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم. ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا اسـتثناء من قوله "إسـوة حسنة"، فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له. ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء فهو من جملة ما أمر أن يقتدى به. ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم؛ لأنهم يقولون غلبناهم لأنا على الحق وهم على الباطل، والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا لأنه دعاء لأنفسهم، وأما على القول الآخر فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسـهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ﴾

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ

لما أمر الله المسلمين بمعاداة الكفار ومقاطعتهم، امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش، وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة ابنت أبي سفيان بن حرب ﷺ سيد قريش؛ ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة ﷺ كان قبل نزول هذه الآية. ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة من لم يقاتلهم في الدين من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال؛ الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، الثاني: أنهم من كفار قريش من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة؛ والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال، الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ قالت: يا رسول الله! إن أمي قدمت إلي وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «**نعم، صلي أمك**» [البخاري: 2620]، الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُومِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في زوجها، ولا لخوف، ولا غير ذلك من أعراض الدنيا، سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة، والثاني: أن يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والثالث: أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة ﷺ. ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُومِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمون إلى الكفار وكل من جاء مسلما من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية، ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة، وقيل: سبيعة الأسلمية ﷺ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال:

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

يا محمد! ردها علي، فإن ذلك في الشرط لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ، فلم يردها، وأعطى مهرها لزوجها، وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط رضي الله عنها هربت من زوجها إلى المسلمين، واختلف في الرجال، هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم أو تجوز حتى الآن؟ على قولين؛ والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك في النساء. ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا﴾ يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن، ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق. ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ الـ"عِصم" جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر يعني المشركات من عبدة الأوثان؛ فالآية على هذا محكمة، وقيل: يعني كل كافرة؛ فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت كافرة فطلقها. ﴿وَاسْأَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَآ أَنفَقُوا﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم التي هاجرن إلى المسلمين. ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا﴾ معنى "فاتكم شيء من ازواجكم إلى الكفار": هروب نساء المسلمين إلى الكفار، والخطاب في قوله "فعاقبتم فئاتوا الذين ذهبت ازواجهم" للمسلمين، وقوله "عاقبتم" ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى؛ أي: أصبتم عقبى وهي الغنيمة، أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربن إلى الكفار ونساء الكفار يهربن إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء، وسبب الآية: أنه لما قال الله: "واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا" قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صداق من فرت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن فرت زوجته من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من الغنائم على قول من قال: إن معنى "فعاقبتم" غنمتم، وقيل: من مال الفيء،

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُومِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَاتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

وقيل: من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه، وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع المهادنة إذ لا تجوز لنا مهادنة المشركين من العرب إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن الله قال في المشركين ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، وقال في أهل الكتاب: ﴿ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ ﴾، وقال النبي ﷺ في المجوس: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**» [الموطأ: 619]. ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا جَآءَكَ الْمُومِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة، ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها [البخاري: 5288]، وقيل: إنه ﷺ لف على يده ثوبا كثيفا ثم لمس النساء يده كذلك [ابن سعد: 5/10]، وقيل: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه [ابن سعد: 11/10]. ﴿ وَلَا يَاتِينَ بِبُهْتَانٍ ﴾ معناه عند الجمهور: أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها هذا ولدي منك، وإنما قال: ﴿ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾؛ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد به بين رجليها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده، أو تفتري على أحد بالقول، أو تكذب المرأة فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك؛ وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال "بين أيديهن" يراد به اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به الفروج. ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي؛ ومن ذلك النهي عن النياحة وشق الجيوب ووصل الشعر، وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث أن النساء لما بايعن النبي ﷺ هذه المبايعة فقررهن على أن لا يسرقن! قالت هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه؟ فقال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**» [البخاري: 5364]، فلما قررهن على أن لا يزنين، قالت هند رضي الله عنها: يا رسول الله! أتزني الحرة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تزني الحرة**» يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: "ولا يقتلن أولادهن" قالت: نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت ببدر كبارا، فضحك رسول الله ﷺ [الطبري: 21/ 342]، فلما قررهن على "أن لا يعصينه في معروف" قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك [ابن عساكر: 70/ 180].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس على الإمام أن يشترط عليهن هذا؛ فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط؛ لأنها قد تقررت وعلمت من الشريعة بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها. ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود، وكان بعض فقراء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم، وقيل: يعني كفار قريش؛ والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود؛ فمعنى "يئسوا من الآخرة": يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها، ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش؛ فالمعنى: يئسوا من وجود الآخرة وصحتها لأنهم مكذبون بها تكذيبا جازما، وقوله: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله "من أصحاب" يتعلق بـ"يَئِس" وهو على حذف مضاف، والآخر: أن يكون "من اصحاب القبور" لبيان الجنس، أي: كما يئس الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها.

سورة الحواريين

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال؛ أحدها: قول ابن عباس رضي الله عنه: إن جماعة قالوا: وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله؟ ففرض الله الجهاد، فكرهه قوم، فنزلت الآية، والآخر: أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم بالغزو وبما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا وذلك كذب، فنزلت زجرا لهم، والثالث: أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك؛ وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون، ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول: أخاف من مقت الله، والمقت هو البغض لريبة أو نحوها، وانتصب "مقتا" على التمييز، و"أن تقولوا" فاعل "كبر"،

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾

وقيل: الفاعل محذوف تقديره: كبر فعلكم مقتا، و"أن تقولوا" بدل من الفاعل المحذوف أو خبر ابتداء مضمر. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ وورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال، وقال بعض الناس: قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد في القتال. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الـ"مرصوص" هو الذي يضم بعضه إلى بعض، وقيل: هو المعقود بالرصاص؛ ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقيصه، وانظر في الأحزاب: ﴿لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى﴾. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول، ولذلك أدخل "قد" الدالة على التحقيق. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب، وزيغ القلب ميله عن الحق. ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ إنما قال موسى "يا قوم" وقال عيسى "يا بني إسرائيل" لأنه لم يكن له فيهم أب. ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ معناه مذكور في البقرة في قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾. ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ عن كعب ﷺ أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله! هل بَعْدَنَا مِنْ أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد، حكماء علماء أبرار أتقياء. ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي» [البخاري: 3339]، و"أحمد" مشتق من الحمد، ويحتمل أن يكون فعلا سمي به، أو يكون صفة سمي بها كأحمد، ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يحتمل أن يريد عيسى أو محمدا عليه السلام؛ ويؤيد الأول اتصاله بما قبله، ويؤيد الثاني قوله ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلَامِ﴾ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد عليه السلام.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُومِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمُوٓ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارًا لِّلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ ﴾ ذكر في براءة. ﴿ تُومِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية، تفسير للتجارة المذكورة، قال الأخفش: هو عطف بيان عليها، وقال الزمخشري: هو استئناف. ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ جُزم في جواب "تومنون" لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود ﷺ "آمنوا وجاهدوا" على الأمر، وقال الفراء: هو جواب ﴿ هَلَ اَدُلُّكُمْ ﴾ لأنه يقتضي التحضيض. ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ﴾ ارتفع "أخرى" على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكم نعمة أخرى، و انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: ويمنحكم أخرى، وقيل: هو مخفوض بالعطف على "تجارة" وهذا ضعيف. ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ تفسير لـ"أخرى" فهو بدل منها، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هي نصر. ﴿ وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ ﴾ قال الزمخشري: عطف على "تومنون بالله" لأنه في معنى الأمر. ﴿ كُونُوٓا أَنصَارًا لِلَّهِ ﴾ جمع ناصر، وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج وسماهم الله به وليس ذلك المراد هنا. ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره كونوا أنصارا لله كقول عيسى، والمعنى: كونوا أنصارا لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله؟ وقد ذكر في آل عمران معنى "الحواريين" و﴿ أَنصَارِيَ إِلَى اللَّهِ ﴾. ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة، وقيل: بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ
بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾
مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن
زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ
فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ

سورة الجمعة

﴿ ٱلْقُدُّوسِ ﴾ ذكر في الحشر. ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني محمدا ﷺ، و"الاميين" هم العرب، وقد ذكر معنى الأمي في الأعراف. ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ عطفا على "الاميين" وأراد بهؤلاء فارس، سئل رسول الله ﷺ من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سلمان الفارسي ﷺ وقال: «**لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء**» [البخاري: 4615] يعني فارس، وقيل: هم الروم؛ ومنهم على هذين القولين يريد به في البشرية وفي الدين لا في النسب، وقيل: هم أهل اليمن، وقيل: هم التابعون، وقيل: هم سائر المسلمين؛ والأول أرجح لوروده في الحديث الصحيح. ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن "لما" لنفي الماضي القريب من الحال. ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به. ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ ﴾ يعني اليهود، ومعنى "حملوا التوراة" كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها، و ﴿ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها. ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني اليهود الذين كذبوا محمدا ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها؛ لأن التوراة تنطق بنبوة محمد ﷺ فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة. ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ النداء للصلاة هو الأذان لها، و"من" في قوله "من يوم الجمعة" بيان لـ"إذا" وتفسيره، و"ذكر الله" يراد به الخطبة والصلاة، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل؛

وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية؛ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب؟ **الثانية**: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد، وقيل: على باب المسجد، وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بها وبقي بقرطبة زمانا وهو باق بالمشرق إلى الآن، قال أبو محمد بن الفرس قال مالك في المجموعة: إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف، **الثالثة**: كان المؤذن للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء ليُسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟ **الرابعة**: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه "فامضوا إلى ذكر الله" وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «**إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون**» [مسلم: 602]. **الخامسة**: حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق، ولا تجب على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية، وحجة الجمهور قول رسول الله ﷺ: «**الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض**» [المختارة: 121]، وحجتهم في المسافر أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر، واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟ وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟ والمشهور أنها لا تسقط عنها لعموم الآية، **السادسة**: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟ فقيل: إذا زالت الشمس، وقيل: إذا أذن المؤذن؛ وهو ظاهر الآية، **السابعة**: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة؟ فقيل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك، وقيل: ستة أميال، وقيل: تجب على من داخل المصر، وقيل: على من سمع النداء، وقيل: على من آواه الليل إلى أهله، **الثامنة**: اختلف في الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين؟ والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه في الآية. ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب فيقتضي تحريم البيع، واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟ واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد، هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر جوازه؛ لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع. ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس. ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش؛ فالأمر على هذا إباحة، وروي أن النبي ﷺ قال: «**الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جنازة**» [الطبري: 28/ 103]، وقيل: هو طلب العلم؛ وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي ﵁، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها، فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائما على المنبر ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، قال جابر بن عبد الله ﵁: أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة، واختلف في الثاني عشر، فقيل: عبد الله بن مسعود ﵁، وقيل: عمار بن ياسر ﵁، وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية، وروى أن رسول الله ﷺ قال «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت في السماء على المنفضين» [شعب الإيمان: 6495]، وظاهر الآية يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة، فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية، وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون، وقال الشافعي: أربعون، وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام، وقيل: اثنا عشر عدد الذين بقوا مع النبي ﷺ، فإن قيل: لم قال "انفضوا إليها" بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري، والآخر: أنه قال ذلك تهمما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية. ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟ وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟ فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام، ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب، ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين، وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس، وحجة مالك فعل رسول الله ﷺ. ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ إن قيل لم قدم "اللهو" هنا على "التجارة" وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه، وذلك أن العرب تارة يبدؤون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل، كقولك: فلان يخون في الكثير والقليل، فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبدؤون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك: فلان أمين على القليل وعلى الكثير، فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا، فإنك لو قدمت في الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة، وكذلك قوله "إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها" قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله "خير من اللهو ومن التجارة" قدم "اللهو" ليبين أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

سورة المنافقين

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله في قوله. ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي: كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة، وأما قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" إبطال للرسالة فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم ويحقق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله "لرسول الله". ﴿ جُنَّةً ﴾ ذكر في المجادلة. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ الإشارة إلى سوء عملهم أو إلى فضيحتهم وتوبيخهم، وأما قوله "ءَامنوا ثم كفروا" فيحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانا صحيحا ثم نافق بعد ذلك، والآخر: أن يريد "ءَامنوا" في الظاهر كقوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾. ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني أنهم حسان الصور. ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ يعني أنهم فصحاء، والخطاب في قوله "إذا رأيتهم تعجبك"، وفي قوله "تسمع" للنبي ﷺ ولكل مخاطب. ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر، وقال الزمخشري: إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط؛ لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التي تكون في سقف، أو مغروسة في جدار فإن فيها حينئذ منفعة؛ فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة، وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ فشبههم في استنادهم بالخشُب المسندة إلى حائط. ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم. ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ دعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم. ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ أي: أمالوها إعراضا واستكبارا، وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنانا، فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا الجهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبي: والله ما مثلنا ومثل هؤلاء -يعني المهاجرين- إلا كما قال الأولون: سمن كلبك يأكلك، ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وأتباعه ويعني بالأذل رسول الله ﷺ ومن كان معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم رضي الله عنه فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فحلف أنه ما قال شيئا من ذلك، وكذب زيدا رضي الله عنه فنزلت السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زيد رضي الله عنه وقال له: **«لقد صدقك الله يا زيد»** [دلائل النبوة للبيهقي: 1403]، فخُزي عبد الله بن أبي ومقته الناس، فقيل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بزكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد، ثم مات عبد الله بن أبي بعد ذلك بقليل، وأسندت هذه الأقوال التي قالها عبدالله بن أبي إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: **«لأزيدن على السبعين»** [ابن أبي حاتم: 10647]، فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه؛ وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة. ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تشغلكم، و"ذكر الله" هنا على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة، وقيل: يعني الصلاة المكتوبة؛ والعموم أولى. ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك، وقيل: يعني الزكاة المفروضة؛ والعموم أولى. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالجزم عطف على موضع جواب الشرط، وقرأ أبو عمرو "فأكون" بالنصب عطفا على "فأصدق".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

سورة التغابن

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ في تأويل هذه الآية وجهان؛ أحدهما: هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن؛ فالكفر والإيمان على هذا هو اكتساب العبد، والآخر: أن المعنى هو الذي خلقكم على صنفين؛ فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا؛ فالكفر والإيمان على هذا هو ما قضى الله على كل أحد؛ والأول أظهر لأن عطفه على "خلقكم" بالفاء يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا في أصل الخلقة. ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ذكر معناه في مواضع. ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ تعديد نعمة في حسن خلقة بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان، وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر إلى من هو أحسن منه من الناس، وقيل: يعني العقل والإدراك الذي خُص به الإنسان؛ والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تطلق على الشكل. ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار. ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا عن اتباع بشر، والبشر يقع على الواحد والجماعة. ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ﴾ قال عبد الله بن عمر ﷺ: "زعم" كناية عن كَذَب. ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ﴾ العامل في "يوم" ﴿ لَتُنَبَّؤُنَّ ﴾ أو ﴿ خَبِيرٌ ﴾، أو محذوف تقديره: اذكر، ويحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ يعني يوم القيامة، و"التغابن" مستعار

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ

من تغابن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة، فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء، فـ"التغابن" على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين كقولك: تضارب وتقاتل، إنما هي فعل واحد كقولك: تواضع، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: يعني نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، و"التغابن" على هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء. ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بالـ"مصيبة" الرزايا وخصها بالذكر؛ لأنها أهم على الناس، أو يريد جميع الحوادث من خير وشر، و"بإذن الله" عبارة عن قضائه وإرادته تعالى. ﴿وَمَن يُؤمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قيل: معناه من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله؛ وهذا أحسن، إلا أن العموم أحسن منه. ﴿إِنَّ مِنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ سببها: أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك. وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه؛ وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم، فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ الآية، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وروي أنه لما نزل "حق تقاته" شق ذلك على الناس حتى نزل "ما استطعتم"، وقيل: لا نسخ بينهما لأن "حق تقاته" معناه: فيما استطعتم، إذ لا يمكن أحد أن يفعل إلا ما يستطيع، فهذه الآية على هذا مُبينة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من

وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ

الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد، وإعراب "ما" في قوله "ما استطعتم" ظرفيه. ﴿ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه، وقيل: هو مفعول بـ ﴿ أَنفِقُوا ﴾ لأن الخير بمعنى المال، وقيل: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم. ﴿ وَمَن يُوقَ ﴾ ذكر في الحشر. ﴿ إِن تُقْرِضُوا ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ذكر في اللغات.

سورة الطلاق

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ إن قيل لم نودي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل "إذا طلقتم" خطابا له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء أولا تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان! افعلوا، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته، فكأنه قال: يأيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك، وقيل تقديره: يأيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم؛ وهذا ضعيف لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه، وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بـ"طلقتم" تعظيما له كما تقول للرجل المعظم: أنتم فعلتم؛ وهذا أيضا ضعيف لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى "إذا طلقتم" هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟ وأما إن كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكنه يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع. ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنه "فطلقوهن في قبل عدتهن"، وقرأ ابن عمر رضي الله عنه "لقبل عدتهن" ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ ومعنى ذلك كله: أن لا يطلقها وهي حائض فهو منهي عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة أو هو تعبد؟ والصحيح أنه معلل بذلك وينبني على هذا الخلاف فروع منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع والتعبد يقتضي المنع، ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق ثم أمر بالرجعة على وجه الإجبار

وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

عند مالك، ودون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك حسبما ورد في حديث ابن عمر ﷺ حين طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر ﷺ للنبي ﷺ فقال له: «**مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن شاء طلق وإن شاء أمسك**» [البخاري: 1525]، واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه لتعتد بذلك الطهر، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء، فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله. ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك. ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها أن تخرج هي باختيارها فلا يجوز لها المبيت عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة؛ فإن كان المسكن ملكا للزوج أو مكترى عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة، وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق. ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي على خمسة أقوال؟ الأول: أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي، الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنى ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب قاله ابن عباس ﷺ، ويؤيده قراءة أبي بن كعب ﷺ "إلا أن يفحشن عليكم"، الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس ﷺ أيضا وإليه مال الطبري، الرابع: أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قال ابن الفرس: وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة، الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة. ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به الرجعة عند الجمهور؛ أي: أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم، وقيل: المعنى لعل الله يحدث أمرا من نسخ هذه الأحكام؛ وهذا بعيد، وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر ﷺ فأمره الله بمراجعتها. ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يريد آخر العدة، والإمساك بالمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ هذا خطاب للأزواج، والإشهاد المأمور به هو على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب؟ وقال ابن عباس ﷺ هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق، وقد ذكرنا معنى العدالة في البقرة، وقوله "ذوي عدل منكم" يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء في ذلك، وقوله "منكم" يعني من المسلمين، وقيل: من الأحرار، فيؤخذ من ذلك رد شهادة العبيد وهو مذهب مالك. ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ هذا خطاب للشهود، وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد به القيامَ بها، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس، ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري؛ وهو أظهر لقوله "لله"، فهو كقوله: ﴿ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾. ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلقة واحدة حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال لمن طلق ثلاثا: إنك لم تتق الله فبانت عنك امرأتك ولا أرى لك مخرجا، أي: لا رجعة لك، وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي أيضا هذا عن ابن عباس ﷺ وهذا أرجح لخمسة أوجه؛ أحدها: حمل اللفظ على عمومه فيدخل في ذلك الطلاق وغيره، الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ﷺ؛ وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيرا وانطلق ولده ووسع الله رزقه [تاريخ بغداد 8/ 196]، الثالث: أنه روي عن النبي ﷺ أنه قرأها فقال: «**مخرجا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة**» [الثعلبي 9/ 336]، الرابع: روي أنه ﷺ قال: «**إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم** ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾» الآية، فما زال يقرؤها ويعيدها [ابن ماجه: 4360]، الخامس: قوله ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم، قال بعض العلماء: الرزق على نوعين؛ رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره، وقد تكلمنا على التوكل

إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ

في آل عمران. ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهُ ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء، وهذا حض على التوكل وتأكيد له؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه. ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ أي: مقدارا معلوما ووقتا محدودا. ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ قالوا: يا رسول الله! فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقوله "اللائي يئسن من المحيض" يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنها، وقوله: ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض، وهو معطوف على "اللائى يئسن" أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: اللائي لم يحضن كذلك، وقوله ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان؛ أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر، والآخر: إن ارتبتم في حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضتها لكبرها حسبما ذكرنا؛ وهو الصحيح، وهي على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل، والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب ﷺ، والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

﴿ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء في المطلقات والمتوفى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس ﷺ: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين، إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا، فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية ﷺ أنها كانت تحت سعد بن خولة ﷺ، فتوفي في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «**انكحي من شئت**» [البخاري: 3770]، وروي أن ابن عباس ﷺ رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا ﷺ لرجع إليه، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى -يعني سورة الطلاق- نزلت بعد الآية التي في البقرة: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾، فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم ﴾ أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة، فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي، والثاني: أنها يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة، والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة؛ فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس ﵂؛ وهو أن زوجها طلقها البتة فقال لها رسول الله ﷺ: «**ليس لك عليه نفقة**» [مسلم: 1480]، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة، وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة قول عمر بن الخطاب ﵁: لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**لها السكنى والنفقة**» [مسلم: 1480]، وحجة من لم يجعل لها سكنى ولا نفقة أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة [أبو داود: 2288]، وقوله "من حيث سكنتم" معناه: أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم، فـ"من" للتبعيض ويفسر ذلك قول قتادة: ومن لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه. ﴿ مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ الوجد هنا الطاقة والسعة في المال؛ فالمعنى: أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه، وإعرابه عطف بيان لقوله "حيث سكنتم"، ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر. ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا، واتفقوا على أن المطلقة غير الحامل لها النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيا، فإن كان بائنا اختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه، وأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات، وقال قوم: لها النفقة في التركة. ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع؛ وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه. ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان، وقيل: معنى "ائتمروا" تشاوروا ومنه: ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾. ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾ المعنى: إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا، فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق به إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

على إرضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج. ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ الآية، أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلَّف الزوج ما لا يطيق، ولا تضيَّع الزوجة بل يكون الحال معتدلا، وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية، ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب. ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: حاسبنا أهلها، قيل: يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده، وقيل: يعني في الدنيا؛ وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾، ولأن قوله "حاسبناها" و"عذبناها" بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع، فمعنى "حاسبناها" أي: أخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها، والعذاب هو عقابهم في الدنيا، والـ"نكر" هو الشديد الذي لم يعهد مثله. ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولاً ﴾ الذكر هنا هو القرآن، والرسول هو محمد ﷺ، وإعراب "رسولا" مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولا، هذا الذي اختاره ابن عطية؛ وهو أظهر الأقوال، وقيل: إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن، والرسول على هذا بمعنى الرسالة، وقيل: إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره: ذكرا ذا رسول، وقيل: يراد بهما النبي ﷺ والذكر من أسمائه؛ وهو ضعيف، وقيل "رسولا" مفعول بالمصدر الذي هو الذكر، وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل أبدل من الذكر؛ لأنه نزل به أو سمي "ذكرا" لكثرة ذكره لله؛ وهذا كله بعيد. ﴿ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ لا خلاف أن السموات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها، فقيل: إنها سبع أرضين لظاهر

يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ

هذه الآية، ولقوله ﷺ: «**من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**» [مسلم: 1610]، وقيل: إنما هـي واحدة، فقوله: "مثلهن" على القول الأول يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في عظـم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك؛ والأول أرجح. ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله تعالى وتدبيره لخلقه.

سورة التحريم

﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان؛ أحدهما: أن رسول الله ﷺ جاء يوما إلى بيـت زوجه حفصة بنت عمـر بن الخطاب ﷺ، فوجدها قد مرت لزيارة أبيهـا، فبعث في جاريته مارية ﷺ، فقال معها في البيت، فجاءت حفصة ﷺ فقالت: يا رسـول الله! ما كان في نسـائك أهون عليك مني، أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضيا لها: «**أيرضيك أن أحرمها؟**» قالت: نعم. فقال: «**إني قد حرمتها**» [ابن سعد 8/ 186]، والرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش ﷺ فيشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن على أن تقول له من دنا منها: أكلت مغافير -والمغافير صمغ العُرفُط وهو حلو كريه الريح- ففعلن ذلك، فقال رسـول الله ﷺ: «**لا، ولكني شربت عسلا**» فقلن له: جرسَتْ نحلة العرفط، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أشربه أبدا**»، وكان يكره أن توجد منه رائحـة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب ﷺ فقالت: ألا أسـقيك من ذلك العسـل؟ فقـال: «**لا حاجة لي به**» [البخاري: 4628]، فنزلت الآية عتابا له على أن ضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل؛ والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرج الرواية الثانية البخاري وغيره، ولنتكلم على فقه التحريم؛ فأما تحريم الطعام والمال وسـائر الأشـياء ما عدا النساء فلا يلزم ولا شيء عليه فيه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة؛ وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم، وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعـام، وأما تحريـم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة، فقال أبـو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم ﷺ: إنما يلزم فيه كفارة يمين، وقال مالك في المشهور عنه: هي ثلاث تطليقات في المدخول بها، وينوى في غير المدخول بها فيُحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث، وقال ابن الماجشون: هـي ثلاث في الوجهين، وروي عن مالك أنها طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية. ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تطلـب رضـا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ﷺ، وهذا يدل علـى أنهـا نزلـت في تحريم الجاريـة، وأما تحريمه العسـل فلـم يقصد به رضـا أزواجـه وإنما تركـه لرائحته.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في هذا إشـارة إلى أن الله غفر له ما عاتبـه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه الصلاة والسـلام على نفسـه وامتناعه مما كان له فيه أرب، وبئـس ما قال الزمخـشري في أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل الله، وذلـك قلة أدب على منصب النبوة. ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلة هي الكفارة، وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سـورة المائدة من صفتهـا، واختلـف في المراد بها هنا؛ فأما على قول من قال: إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك، فمن قال: إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها، ومن قال: إن التحريم يلزم منه طلاق قال: إن الكفارة هنا إنما هي للحلف؛ لأن رسول الله ﷺ حلف وقال: «**والله لا أطؤها أبدا**»، وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسـل فاختلف أيضا، فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال: هذه الكفارة للتحريم، ومن قال: لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه، وقيل: هي في يمينه عليه الصلاة والسـلام أن لا يدخل على نسـائه شـهرا. ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الولي الناصر أو بمعنى السـيد الأعظم. ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختلف في هذا الحديث عـلى ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال: «**لا تخبري بذلك أحدا**»، والآخر: أنه قال لحفصة: «**إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعدي**» [الطبراني: 12640]، والثالث: أنه قوله: «**شربت عسلا**» والأول أشهر، و"بعض أزواجه" هي حفصة رضي الله عنها. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ كانت حفصة رضي الله عنها قد أخبرت عائشـة رضي الله عنها بما أسر إليها رسـول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسـوله بذلك، فعاتب حفصة رضي الله عنها على إفشـائها لسره وطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها، فقوله "نبأت به" حذف المفعول وهو عائشة رضي الله عنها، وقوله "أظهره الله عليه" أي: أطلعه على إخبارها به، وقيل: معناه أظهر اللهُ عليه الحديث من الظهور، وقوله "عرف بعضه" أي: عاتب حفصة رضي الله عنها على بعضه "وأعرض عن بعض" حياء وتكرما؛ فإن من عادة الفضلاء التغافـل عن الزلات والتقصير في العتاب، وقـرئ "عَرَفَ" بالتخفيف من المعرفة. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها بأنها قد أفشـت سره ظنت أن عائشـة رضي الله عنها هي التي أخبرته به، فقالـت له: من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سـكتت وسـلمت. ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة رضي الله عنهما وتوبتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل،

وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُومِنِينَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٍ مُّومِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ

ومعنى "صغت" مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود ﷺ "زاغت"، والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة. ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾ المعنى: إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك؛ فإن له من ينصره، و"مولاه" هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على "مولاه" ويكون ﴿ جِبْرِيلُ ﴾ مبتدأ و ﴿ ظَهِيرٌ ﴾ خبره وخبر ما عطف عليه، ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر؛ فيكون "جبريل" معطوفا فيوصل مع ما قبله ويوقف على ﴿ صَالِحُ الْمُومِنِينَ ﴾، ويكون ﴿ الْمَلَائِكَةُ ﴾ مبتدأ و"ظهير" خبره؛ وهذا أظهر وأرجح لوجهين؛ أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له، الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية [مسلم: 1479] موافقة لقول عمر ﷺ، فقوله معك يقتضي معنى النصرة، "وصالح المومنين" اختلف هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؛ فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر الصديق ﷺ، وقيل: علي بن أبي طالب ﷺ وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح. ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ الآية، نصرة للنبي ﷺ وروي أن عمر ﷺ قال ذلك ونزل القرآن بموافقته، ولقد قال عمر ﷺ حينئذ للنبي ﷺ: والله يا رسول الله! لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والـ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾ معناه: الصائمات قاله ابن عباس ﷺ وقد روي عن النبي ﷺ، وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله؛ لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض، وقوله: ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة؛ وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثيوبة والبكارة لا تجتمعان، وقد قال الكوفيون: هي واو الثمانية؛ وذلك ضعيف. ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ أي: أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار؛ فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة. ﴿ وَقُودُهَا ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ يعني زبانية النار؛ وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم أو في قساوة قلوبهم.

وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىٓءَ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا
وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىٓءُ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ
يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا

﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله ﴿ لا يَعْصُونَ ﴾، وقيل: إن معنى "لا يعصون" امتثال الأمر، ومعنى "يفعلون ما يومرون" جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس. ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة. ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: التوبة النصوح هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبدا ولا يريد أن يعود، وقيل: معناه توبة خالصة، فهو من قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا، وقال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، وقد تكلمنا على التوبة في قولـه: ﴿ وَتُوبُوآ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ في النور. ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيءَ ﴾ العامل في "يوم" يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوف تقديره: اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك. ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على "النبيء" أو مبتدأ وخبره بعده. ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى ﴾ ذكر في الحديد. ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ذكر في براءة. ﴿ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة؛ وهذا يفتقر إلى صحة النقل. ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ قال ابن عباس ﷺ: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه؛ وكانتا مع ذلك كافرتين، وقيل: خانتا بالزنا؛ وأنكر ابن عباس ﷺ ذلك وقال: ما زنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنـه يقول: لا يغني أحد عـن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نـوح وامرأة لوط من أزواجها، وقيـل: هـو مثل لأزواج النبـي ﷺ فيما ذكر في أول السـورة؛ وهذا باطـل لأن الله إنما ضربـه للذين كفروا،

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

و ﴿ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون، فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في قصصها غير هذا مما يطول؛ وهو غير صحيح. ﴿ مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ تعني كفره وظلمه، وقيل: مضاجعته لها؛ وهذا ضعيف. ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ يعني الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه، وقيل: يعني فرج ذرعها؛ وهذا ضعيف. ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا ﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها فخلق الله فيه عيسى عليه السلام، وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له. ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ ﴾ "كلمات ربها" يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم، "وكتابه" بالتوحيد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب، وقرئ بالجمع يعني جميع كتب الله تعالى. ﴿ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ أي: من العابدين، فإن قيل: لم قال "من القانتين" بجمع المذكر وهي أنثى؟ فالجواب أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور.

سورة الملك

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه، وأنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنها تنجي من عذاب القبر» [الترمذي: 2890]. ﴿ تَبَارَكَ ﴾ فعل مشتق من البركة، وقيل: معناه تعاظم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع. ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة، وقيل: يعني ملك الملوك في الدنيا فهو كقوله: ﴿ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ والأول أعم وأعظم. ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ يعني موت الخلق وحياتهم، وقيل "الموت" الدنيا لأن أهلها يموتون، "والحياة" الآخرة لأنها باقية فهو كقوله ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ وهو على هذا وصف بالمصدر؛ والأول أظهر. ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي: ليختبركم، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله عالما بما يفعلون قبل كونه، والمعنى: ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم. ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلۡنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ

فقال: «أيكم أحسن عقلا وأشدكم لله خوفا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله» [الحارث: 820]. ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق، وقيل: إنه جمع طبقة. ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ أي: من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتقان بحيث ليس فيها ما يعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف، وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات، ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لوروده بعد قوله "خلق سبع سموات طباقا"، فكأن قوله "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" بيان وتكميل لما قبله، والخطاب في قوله "ما ترى" و"ارجع البصر" وما بعده للنبي ﷺ أو لكل مخاطب ليعتبر. ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ الـ"فطور" الشقوق، جمع فطر وهو الشق، ورجع البصر ترديده في النظر، ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتئمة مستوية. ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقيق، وقال الزمخشري: في معنى التثنية في "كرتين" التكثير لا مرتين خاصة كقولهم: لبيك؛ فإن معناه إجابات كثيرة. ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب، فمعنى الآية: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خلالا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك، فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل. ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ "السماء الدنيا" هي القريبة منا، والـ"مصابيح" يراد بها النجوم؛ فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا لأنها ظاهرة فيها لنا، ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة. ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجوما؛ لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به، وقال الزمخشري: معنى كون النجوم رجوما للشياطين أن الشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء؛ فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب بأنفسها لأنها ثابتة في الفلك، قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء؛ زينة السماء ورجوم الشياطين وليهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ يعني للشياطين. ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ الشهيق أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها؛ والأول أظهر. ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها. ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ أي: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية؛ والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا، وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها. ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ أي: كلما ألقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية هل جاءكم "نذير"؟ أي: رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا: ﴿ بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾، وقوله "كلما" يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار. ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ يحتمل أن يكون من قول ملائكة النار أو من قول الكفار للرسل في الدنيا. ﴿ وَقَالُوا ﴾ الضمير للكفار، أي: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾ كلام الرسل أو ﴿ نَعْقِلُ ﴾ الصواب ﴿ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.

﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف، و"ذنبهم" هنا يراد به تكذيب الرسل. ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ انتصب "سحقا" بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم. ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص، والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾. ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ المعنى: سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ هذا برهان على أن الله يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته، ويحتمل أن يكون "من خلق" فاعلا يراد به الخالق، والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه، أو يكون "من خلق" مفعولا، والفاعل مضمر

ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾

تقديره: ألا يعلم الله من خلق؛ والأول أرجح لأن "من خلق" إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل، والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل. ﴿ الأَرْضَ ذَلُولاً ﴾ فعول هنا بمعنى مفعول، أي: مذلولة فهي كركوب وحلوب. ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الجبال، وقيل: الجوانب والنواحي، وقيل: الطرق، والمعنى: تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب. ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ يعني البعث يوم القيامة. ﴿ ءَامِنتُم ﴾ الآية، مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية التي بعدها. ﴿ تَمُورُ ﴾ ذكر في الطور. ﴿ حَاصِبًا ﴾ يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة. ﴿ نَذِيرِ ﴾ بمعنى الإنذار، وكذلك ﴿ نَكِيرِ ﴾ بمعنى الإنكار. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾ تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها، و"صافات" جمع صافة، وهي التي تبسط جناحها للطيران، والقبض ضم الجناحين إلى الجنب، وعطف ﴿ يَقْبِضْنَ ﴾ على "صافات" لأن الفعل في معنى الاسم تقديره: قابضات، فإن قيل: لم لم يقل قابضات على طريقة "صافات"؟ فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران، كما أن مد الأطراف هو الأصل في السباحة، فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبضه الجناحين فإنما يفعله الطير قليلا للاستراحة والاستعانة فذكره بلفظ الفعل لقلته. ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم، ودخلت "أم" التي يراد بها الإنكار على "من" فأدغمت فيها، وكذلك ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ﴾، والضمير في ﴿ أَمْسَكَ ﴾ لله، أي: من يرزقكم إن منع الله رزقه. ﴿ بَل لَّجُّوا ﴾ أي: تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان. ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ﴾ الآية،

قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

توقيف على الحالتين أيها أهدى، والمراد بها توبيخ الكفار، وفي معناها قولان؛ أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا، والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يُحمل إلى جهنم على وجهه؛ فأما على القول الأول فقيل: إن الذي يمشي مكبا أبو جهل والذي يمشي سويا محمد ﷺ، وقيل: حمزة ﷺ، وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر، وقد تمشي هذه الأقوال أيضا على القول الثاني، والمكب هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل وكبه غيره، فالمتعدي دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَـٰذَا الْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار، و"الوعد" يراد به البعث أو عذابهم في الدنيا. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد. ﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريبا، وقيل: عيانا. ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم. ﴿وَقِيلَ هَـٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء، أي: تطلبون وتستعجلون به، والقائلون بذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾ الآية، سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبي ﷺ والمسلمين، فأمره الله أن يقول لهم "إن اهلكني الله" وأهلك ﴿مَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال، والهلاك هنا يحتمل أن يريد به الموت أو غيره، ومعنى ﴿مَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ من يمنعهم من العذاب. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية، احتجاج على المشركين، والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غايرٌ، أي: ذاهب في الأرض، والـ﴿مَّعِينٍ﴾ الكثير، واختلف؛ هل وزنه فعيل أو مفعول؟ فالمعنى: إن غار ماؤكم الذي تشربون فهل يأتيكم إله غير الله بماء معين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

سورة ن والقلم

﴿ن﴾ حرف من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في البقرة، ويختص "ن" بأنه قيل: إنه حرف من الرحمن؛ فإن حروف الرحمن: ﴿الر﴾ و﴿حم﴾ و﴿ن﴾، وقيل: إن نون هنا يراد به الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة؛ وهذا لا يصح، على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة ومنه ذو النون، وقيل: إن نون هنا يراد به الدواة؛ وهذا غير معروف في اللغة، ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة؛ بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ﴿الر﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة. ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين؛ أحدهما: أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ؛ فالضمير في "يسطرون" للملائكة، والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم، والضمير في "يسطرون" على هذا لبني آدم.

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ معناه: نفي ما نسبه الكفار له من الجنون، و"بنعمة ربك" اعتراض بين "ما" وخبرها، كما تقول: أنت بحمد الله فاضل، والمجرور في موضع الحال، وقال الزمخشري: إن العامل فيه "بمجنون". ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في فصلت. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن [مسلم: 746]، تعني التأدب بآدابه وامتثال أوامره، وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن الـ"خلق" بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق، وتفصيل ذلك؛ أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة؛ فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وكثرة العبادة وشدة الحياء والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتؤدة والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة، وغير ذلك حسبما ورد في أخباره وسيره ﷺ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [البيهقي: 20571]، وقال الجنيد: سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى. ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن "المفتون" هنا بمعنى المجنون، ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة، والخطاب في قوله "فستبصر" للنبي ﷺ، وفي قوله "ويبصرون" لكفار قريش، واختلف في الباء التي في قوله "بأييكم" على أربعة أقوال؛ الأول: أنها زائدة، الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة فأوقع "المفتون" موقع الفتنة كقولهم: ماله معقول؛ أي: عقل، الثالث: أن

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

الباء بمعنى في، والمعنى: في أي فريق منكم المفتون؛ واستحسن ابن عطية هذا، الرابع: أن المعنى بأيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية، ولم ينتصب "فيدهنون" في جواب التمني بل رفعه بالعطف على "تدهن" قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهم مدهنون. ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل. ﴿مَّهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل، قال ابن عطية: هو من مهن إذا ضعف؛ فالميم فاء الفعل، وقال الزمخشري: هو من المهانة وهي الذلة والحقارة، وقال ابن عباس رضي الله عنه: الـ"مهين" الكذاب. ﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس. ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» [مسلم: 105]. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: شحيح، لأن "الخير" هنا هو المال، وقيل: معناه مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام والعمل الصالح. ﴿مُعْتَدٍ﴾ من العدوان وهو الظلم. ﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات. ﴿عُتُلٍّ﴾ أي: غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل. ﴿زَنِيمٍ﴾ أي: ولد زنا، وقيل: هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تتعلق في عنقها، وقيل: معناه مريب قبيح الأفعال، وقيل: ظلوم، وقيل: لئيم، وقوله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان، واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة، فقيل: لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها، وقيل: المقصود بها الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين وكان كذلك، وقيل: أبو جهل، وقيل: الأخنس بن شريق، ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة في عنقه، قال ابن عباس رضي الله عنه: عرفناه بزنمته وكان أيضا من ثقيف ويعد في بني زهرة، فيصح وصفه بـ"زنيم" على القولين، وقيل: الأسود بن عبد يغوث. ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله متعلق بقوله "لا تطع" أي: لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه، ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا أنه قال في القرآن أساطير الأولين لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه، والعامل في "ان كان" على هذا فعل من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب "إذ" لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله؛ والأول أظهر وقد تقدم معنى ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أصل "الخرطوم" أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبيحا له، والمعنى: نجعل له سمة وهي العلامة على خرطومه، واختلف في هذه السمة، فقيل:

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾

هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تُجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها. ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكينا منها شيئا وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا فندموا وتابوا إلى الله، ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة؛ فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم، وقيل: شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة ثمرا. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها، والآخر: لا يستثنون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم، والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهوا عنه، أي: لا يرجعون عنه. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ قال الفراء: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل. ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال؛ الأول: أصبحت كالليل لأنها اسودت لِما أصابها، و"الصريم" في اللغة الليل، الثاني: أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد، ويقال: صريم الليل والنهار، الثالث: أن "الصريم" الرماد الأسود بلغة بعض العرب، الرابع: أصبحت كالمصرومة؛ أي: المقطوعة. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي: نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض. ﴿اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: جنتكم. ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ لها؛ أي: حاصدين لثمرها. ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضا في السر، ويقولون ﴿لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾، و"أن" في قوله "أن اغدوا" و"أن لا يدخلنها" حرف عبارة وتفسير. ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ في الـ"حرد" أربعة أقوال؛ الأول: أنه المنع، الثاني: أنه القصد، الثالث: أنه الغضب، الرابع: أن الـ"حرد" اسم علم للجنة، و"قادرين" يحتمل أن يكون من القدرة؛ أي: قادرين في زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق، أي: ضيقوا على المساكين. ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: أخطأنا طريق الجنة،

بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾

قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ أي: حرمنا الله خيرها. ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ أي: خيارا. ﴿لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تقولون سبحان الله، وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، وقيل: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم: إن شاء الله؛ والأول أظهر لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾، والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم قد كان حضهم على التسبيح. ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين، أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله "ألم أقل لكم لولا تسبحون". ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَا﴾ يحتمل أن طلبوا البدل في الدنيا أو في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود ﷺ أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش. ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار، أي: كيف يسوي الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازي كل أحد بعمله، والمراد بـ"المجرمين" هنا الكفار. ﴿مَا لَكُمۡ﴾ توبيخ للكفار، و"ما" مبتدأ و"لكم" خبره وتم الكلام هنا فينبغي أن يوقف عليه. ﴿كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟. ﴿إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدۡرُسُونَ﴾، وكان أصل "إن" الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و"تخيرون" معناه: تختارون لأنفسكم، ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم؟. ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم لما تحكمون، ومعنى "بالغة" ثابتة واصلة إلى يوم القيامة، وقوله "إن لكم" جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان؛ ولذلك أكده بـ"إن" واللام، و"ما تحكمون" هو اسم "إن" دخلت عليه اللام المؤكدة. ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه

أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ

الأمور، والـ"زعيم" هو الضامن للأمر القائم به. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم، واختلف هل قوله فأتوا بهم في الدنيا، أي: أحضروهم حتى يرى حالهم، أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟ والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها، وقال الزمخشري: معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول ويوافقونكم عليه فأتوا بهم، يعني أنهم لا يوافقهم أحد عليه؛ والأول أظهر. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينادي مناد يوم القيامة: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد؛ فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه فيقول: أنا ربكم! فيقولون: نعوذ بالله منك! قال: فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا**» [البخاري: 6204]، وتأويل الحديث كتأويل الآية. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا، فإن قيل: كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود لله في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة. ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي: قد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه. ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن، وإعراب "من يكذب" مفعول معه أو معطوف، وقد ذكرنا في الأعراف: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ وما بعده. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه: أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام، وقد فسرنا هذا وما بعده في الطور. ﴿فَاصْبِرْ﴾ يقتضي مسالمة للكفار نسخت بالسيف. ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضا ذو النون والنون هو الحوت، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصافات، فنهى الله محمدا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال

إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

حتى ذهب مغاضبا، وروي أن هذه الآية نزلت لما هم النبي ﷺ أن يدعو على الكفار. ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وال"مكظوم" الشديد الحزن. ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب "لولا"، والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء فإنه قد قال في الصافات: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾، فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ بالعراء وهو غير مذموم، وقد ذكرنا "العراء" في الصافات. ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم، و"إن" مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام، و"ليزلقونك" معناه: يهلكونك كقولك: نظر فلان إلى عدوه نظرا كاد يصرعه، وأصله من زلق القدم، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان، وقيل: إن المعنى يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك، وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن هو موعظة وتذكير للخلق.

سورة الحاقة

﴿الْحَاقَّةُ﴾ هي القيامة، ووزنها فاعلة، وسميت "الحاقة" لأنها تحق؛ أي: يصح وجودها ولا ريب في وقوعها، أو لأنها حقت لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تبدي حقائق الأمور. ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ "ما" استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر "الحاقة"، وكان الأصل الحاقة ما هي، ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك: ﴿مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ لفظه الاستفهام والمراد به التعظيم والتهويل. ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها. ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة، وقيل "الطاغية" مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية، والباء على هذين القولين سببية، وعلى القول الأول كقولك: قتلت زيدا بالسيف.

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ ذكر في فصلت. ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: شديدة، وسميت بذلك لأنها عتت على عاد، وقيل: عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر. ﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس ﷺ: معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك، وقيل: معناه شؤما ونحسا، وقيل: هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع؛ أي: قطعتهم بالإهلاك، فـ"حسوما" على القولين الأولين مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ جمع صريع وهو المطروح بالأرض، والضمير المجرور يعود على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها، أو على الأيام والليالي، أو على الريح. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل، والخاوية هي التي خلت من طول بلاها وفسادها. ﴿مِّن بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقية، وقيل: من فئة باقية، وقيل: إنها مصدر بمعنى البقاء. ﴿وَمَن قَبْلَهُ﴾ يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادا وثمود قد ذكرا، وقوم لوط هم: ﴿الْمُوتَفِكَاتُ﴾، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله "لما طغى الماء حملناكم في الجارية"، وقرئ "قِبَلَهُ" بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: جنده وأتباعه. ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ إما أن تكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره: بالفعلة الخاطئة. ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على "فرعون وقومه" فالـ"رسول" موسى عليه السلام، وإن عاد على "الموتفكات" فالـ"رسول" لوط عليه السلام، وإن عاد على الجميع فالـ"رسول" اسم جنس أو بمعنى الرسالة. ﴿رَّابِيَةً﴾ أي: عظيمة، وهي من قولك: ربا الشيء إذا كثر. ﴿طَغَى الْمَاءُ﴾ عبارة عن كثرته؛ فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعني وقت طوفان نوح عليه السلام. ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة، فإن أراد سفينة نوح فمعنى "حملناكم": حملنا آباءكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة، وقيل للسفينة، فإن أراد جنس السفن فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها، وإن أراد سفينة نوح فقد قيل: إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أوائلُ هذه الأمة. ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾

الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير "لنجعلها" وهذا يقوي أن يكون للفعلة، والأذن الواعية هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه، يقال: وعيتَ العلمَ إذا حصلتَه، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عَقلت عن الله، وروي أن رسـول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: «إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي» قال علي ﷺ: فما نسيت بعد ذلك شيئا سمعته [المعرفة: 328]، قال الزمخشري: إنما قال "أذن واعية" بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعـاة ولتوبيخ النـاس بقلة من يعي منهم، وللدلالـة على أن الأذن الواحدة إذا عقلـت عن الله تعالى فهي المعتبرة عنـد الله دون غيرهـا. ﴿ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ يعني نفخة الصعـق؛ وهـي الأولى. ﴿ فَدُكَّتَا ﴾ الضمير لـلأرض والجبال، ومعنى "دكتـا" ضُرب بعضها ببعض حتى تندق، قال الزمخشري: والدك أبلغ من الدق، وقيل: معناه بسـطت حتى تسـتوي الأرض والجبال. ﴿ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ أي: قامت القيامة، وقيل: وقعت صخرة بيت المقدس؛ وهذا ضعيف. ﴿ وَاهِيَةٞ ﴾ أي: مسـترخية سـاقطة القوة، ومنه قولهم: دار واهية؛ أي: ضعيفـة الجـدران. ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا ﴾ "الملك" هنا اسـم جنـس، والأرجاء الجوانـب واحدها رجا مقصور، والضمير يعود على "السماء"، والمعنى: أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهت وقفوا على أطرافها، وقيل: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفا على جوانب الأرض؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ قال ابن عباس ﷺ: هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عِدتهم، وقيل: ثمانية أملاك رؤوسهم عند العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة؛ ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم» [الطبري 29/ 59]. ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ ﴾ خطاب لجميع العالم، والعرض: البعث أو الحساب. ﴿ خَافِيَةٞ ﴾ أي: حال خافية من الأعمال والسرائر، ويحتمل أن المعنى لا يخفى من أجسـادكم شيء لأنهم يحشرون حفاة عراة. ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الكتاب هنا صحائف الأعمال. ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ "هاؤم" اسم فعل، قال ابن عطية: معناه تعالوا، وقال الزمخشري: هو صوت يفهـم منه معنى خـذوا، "كتابيه" مفعول يطلبه "هاؤم"، و"اقرءوا" من طريق المعنى تقديره: هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي، ثم حذف لدلالة الآخر عليه، وعمل فيه العامل الثاني وهو "اقرءوا" عند البصريين، والعامل الأول هو "هـاؤم" عند الكوفيين، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو أعمل الأول لقال اقرؤوه، والهاء في "كتابيه"

إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

للوقف، وكذلك في ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾ و"ماليه" و"سلطانيه"، وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم، ومعنى الآية: أن العبد الذي يعطى كتابه بيمينه يقول للناس: اقرأوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه. ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين. ﴿ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي: ذات رضا فهو كقولهم: تامر لصاحب التمر، قال ابن عطية: ليست بناء اسم فاعل، وقال الزمخشري: يجوز أن تكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازا وهو لصاحبها حقيقة. ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود. ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ أي: قريبة، وروي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أي حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع. ﴿ أَسْلَفْتُمْ ﴾ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة. ﴿ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ أي: الماضية، يعني أيام الدنيا. ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتابهم بأيمانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخوله النار أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾؛ لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار. ﴿ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾ أي: يتمنى أنه لا يعطى كتابه، وقال ابن عطية: يتمنى أن يكون معدوما لا يجري عليه شيء؛ والأول أظهر. ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ أي: ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة. ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴾ يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفي. ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ أي: زال عني ملكي وقدرتي، وقيل: ذهبت عني حجتي. ﴿ خُذُوهُ ﴾ خطاب للزبانية يقوله الله تعالى لهم أو الملائكة بأمر الله. ﴿ فَغُلُّوهُ ﴾ أي: اجعلوا غلا في عنقه، وروي أنها نزلت في أبي جهل. ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ معنى "ذرعها" مَبلغُ أَذْرُعِ كَيلها، واختلف في هذا الذراع، فقيل: إنه الذراع المعروف، وقيل: هو بذراع المَلَك، وقيل: في الذراع سبعون باعا كل باع كما بين مكة والكوفة؛ ولله در الحسن البصري في قوله: الله أعلم بأي ذراع هي، وجعلها سبعين ذراعا لإرادة وصفها بالطول؛ فإن السبعين من الأعداد التي تقصد العرب بها التكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبي ذلك. ﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾ أي: أدخلوه، وروي أن هذه

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، "فاسلكوه" على هذا من المقلوب في المعنى كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، وروي أنها تُلوى عليه حتى تغمه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها، وإنما قدم قوله في "سلسلة" على "اسلكوه" لإرادة الحصر؛ أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة وكذلك قدم ﴿الْجَحِيمَ﴾ على ﴿صَلُّوهُ﴾ لإرادة الحصر أيضا. ﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يحتمل أنه أراد إطعام المسكين فوضع الاسم موضع المصدر أو يقدر: لا يحض على بذل طعام المسكين، وأضاف الـ"طعام" إلى "المسكين" لأن له إليه نسبة، ووصفه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وأحرى؛ وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله. ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: ليس له صديق، والآخر: ليس له شراب. ﴿وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ فإن الـ"حميم" الماء الحار، والـ"غسلين" صديد أهل النار عند ابن عباس ﵁، وقيل: شجر يأكله أهل النار، وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غسلت، وهو فعلين من الغسل. ﴿الْخَاطِئُونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا، والمخطئ الذي يفعله من غير تعمد. ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ "لا" زائدة غير نافية. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر؛ كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن، والرسول جبريل، وقيل: لمحمد عليهما السلام. ﴿قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون "ما" نافية فنفى إيمانهم بالجملة أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم، أي: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة. ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الـ"تقول" هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية: لو تقول علينا محمد لعاقبناه؛ ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس ﵁: "اليمين" هنا القوة، ومعناه: لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا، وقيل: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه، وقال الزمخشري: معناه لو تقول علينا لقتلناه ثم صور صورة القتل ليكون أهول وعبر عن ذلك بقوله "لأخذنا منه باليمين"؛ لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنى

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾

ليكون ذلك أشـد عليه لنظره إلى السـيف. ﴿ الْوَتِينَ ﴾ نياط القلب وهو عِرق إذا قطع مات صاحبه؛ فالمعنى: لقتلناه. ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ الحاجز المانع، فالمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه عقابـا، وإنما جمع "حاجزين" لأن أحدا في معنى الجماعـة. ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ؛ والأول أظهر. ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أي: حسرة عليهم في الآخرة لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين. ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري: المعنـى عين اليقـين ومحض اليقين، وقال ابن عطية: ذهـب الحذاق إلى أن الحق مضـاف إلى الأبلغ من وجوهه.

سورة المعارج

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ من قرأ "سأل" بالهمز يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء، أي: دعا داع بعذاب، وتكون الإشارة إلى قول الكفار: ﴿ أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾، وكان الذي قالها النضر بن الحارث، والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار، أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى عن، وتكون الإشـارة إلى قولهم: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ وشبه ذلك، وأما من قرأ "سال" بغير همز فيحتمل وجهين؛ الأول: أن يكون مخففا من المهموز فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني: أن يكون من سال السيل إذا جرى، ويؤيـد ذلك قراءة ابن عباس ﷺ "سـال سـيل"، وتكون البـاء على هذا كقولك: ذهبت بزيـد، وإذا كان من السـيل احتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون شـبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل، وثانيهما: أن يكون حقيقـة، قـال زيد بن ثابت: في جهنم واد يقال له: سـائل، فتلخص من هـذا أن في القراءة بالهمز معنيين وفي القـراءة بغير همز أربعة معـان. ﴿ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ"واقع" وتكـون اللام بمعنى على، أو تكون صفة لـ"عذاب"، أو يتعلق بـ"سال" إذا كانت بمعنى دعا؛ أي: دعا للكافرين بعذاب، أو يكون مستأنفا كأنه قـال هو للكافرين. ﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ"واقع"، أي: واقع من عند الله، أو بـ ﴿ دَافِعٌ ﴾ أي: ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة لـ"عذاب" أو مستأنفا. ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ جمع مَعرج وهو المصعد إلى علو

تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾

كالسلم والمدارج التي يرتقى بها، قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة، وقيل: هي المراقي إلى السماء، وهذا أظهر؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة. ﴿وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه؛ فالعروج هو من الأرض إلى العرش، "والروح" هنا هو جبريل عليه السلام بدليل قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾، وقيل "الروح" ملائكة حفظة على الملائكة؛ وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل، وقيل "الروح" جنس أرواح الناس وغيرهم. ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين؛ أحدهما: أنه يوم القيامة، والآخر: أنه في الدنيا، والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها، إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد**» [مسلم:2337] يعني يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؛ وهذا هو الأظهر، أو هو وُصفَ بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم؟ وإن قلنا إنه في الدنيا فالمعنى: أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة، وقيل: الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة، وهذا كله على أن يكون قوله "في يوم" يتعلق بـ"تعرج"، ويحتمل أن يكون "في يوم" صفة للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم. ﴿فَاصْبِرْ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره، أي: اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب، ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي ﷺ. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان، وكذلك القريب يحتمل أن يراد به قرب الزمان؛ لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت، أو قرب الإمكان لقدرة الله عليه. ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ "يوم" هنا بدل من "يوم كان مقداره خمسين ألف سنة"، أو بدل من الضمير المنصوب في "نراه"، أو منصوب بقوله "قريبا"، أو بقوله "يود المجرم"، أو بفعل مضمر تقديره: اذكر، ويقع العذاب يوم تكون السماء كالمهل، و"المهل" هو دردي الزيت، شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة، وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به في تلونه. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ "العهن" هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتخلل أجزائه، وهو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.

وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الـ"حميم" هنا الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إغاثة لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل: لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال: بصُر الرجل بالرجل إذا رآه، وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه، والضميران يعودان على الحميمين لأنهما في معنى الجمع، والمعنى: أن كل حميم يبْصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكن لا يسأله. ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ يعني امرأته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني قرابة الأقربين. ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ أي: تضمه؛ فيحتمل أن يريد تضمه في الانتماء إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات. ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل يعود على الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾ وهذا الفعل معطوف على "لو يفتدي" وإنما عطفه بـ"ثم" إشعارا ببعد النجاة وامتناعها؛ ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر، و"لظى" اسم علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ "الشوى" أطراف الجسد، وقيل: جلد الرأس فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعاد، و"نزاعة" بالرفع بدل من "لظى"، أو خبر ابتداء مضمر، أو خبر لـ"إنها" إن جعلنا "لظى" منصوبا على التخصيص، أو بدل من الضمير، أو خبر ثان لـ"إنها" إن جعلنا "لظى" خبرا لها و"نزاعة" بالنصب حال. ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام، ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم، وقال ابن عباس ﷺ: تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقيل: معناه تُهلك، حكاه الخليل عن العرب. ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ يقال: أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعاء؛ فالمعنى: جمع المال وجعله في وعاء وهذا إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ "الانسان" هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه، وسئل أحمد بن يحيى مؤلف الفصيح عن الـ"هلوع"؟ فقال: قد فسره الله فلا تفسير أبين من تفسيره وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، وذكر الله ذلك على وجه الذم لهذه الخلق ولذلك استثنى منه ﴿الْمُصَلِّينَ﴾؛ لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر، والمحافظة عليها المذكورة بعد هذا هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في الذاريات معنى "حق" و"السائل" و"المحروم"، ووصفه هنا بالـ"معلوم" إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا، وإن أراد غيرها فمعنى الـ"معلوم" أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده. ﴿غَيْرُ مَأمُونٍ﴾ أي: لا يكون أحد آمنا منه؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام، فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة. ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في المؤمنين وكذلك ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قال ابن عباس ﷺ: يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقال الجمهور: يعني الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها، فقيل: هو التحقيق لها كقوله ﷺ «**على مثل الشمس فاشهد**» [شعب الإيمان: 10359]، وقيل: هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع، فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه، وأما إذا لم يدع إلى الأداء فإن الشهادة على ثلاثة أقسام؛ أحدها: حقوق الناس فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك، والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس فيجب أداء الشهادة بذلك دعي أو لم يدع، والثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره حتى يدعى إليه. ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم، كان رسول الله ﷺ إذا صلى أقبل إليه الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته، ومعنى "قبلك" في جهتك وما يليك. ﴿عِزِينَ﴾ أي: جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاي وأصله عزوة، وقيل: عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة. ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها. ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية عن المني الذي خلق منه الإنسان، وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه؛ الأول: تحقير الإنسان والرد على

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ

المتكبرين كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة، الثاني: الرد على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء في الخلقة، الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ إلى آخر السورة. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ معناه: أقسم، و"لا" زائدة. ﴿الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال قوم خير منهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنى: إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ الـ"نصب" الأصنام، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك، وفيه لغات؛ فتح النون وإسكان الصاد وضمها، وضم النون وإسكان الصاد، و"يوفضون" معناه: يسرعون، والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.

سورة نوح عليه السلام

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ و﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ يحتمل أن تكون "أن" مفسرة أو مصدرية على تقدير: بأن أنذر وبأن اعبدوا؛ والأول أظهر. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ "من" هنا للتبعيض، أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله، وقيل: إن "من" هنا زائدة؛ وذلك باطل؛ لأن "من" لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: لابتداء الغاية؛

وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

وهذان القولان ضعيفان في المعنى؛ والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه. ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخروا إلى أجل مسمى، وإن لم يفعلوا لم يؤخروا؛ وذلك مقتضى القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشري، وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات وتأولها ابن عطية فقال: ليس للمعتزلة في الآية تعلق؛ لأن المعنى أن نوحا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل، ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان، لكن قد سبق في الأزل أنهم؛ إما ممن قضي له بالإيمان والتأخير أو ممن قضي له بالكفر والمعاجلة، فكأن نوحا عليه السلام قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة، فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم. ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضا رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين، ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام، فالألف عام هي التي تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا. ﴿ دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذكر المغفرة التي هي مسبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم. ﴿ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه؛ فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك. ﴿ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ﴾ أي: جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم، ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم. ﴿ وَأَصَرُّوا۟ ﴾ أي: داموا على كفرهم. ﴿ دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ إعراب "جهارا" مصدر من المعنى كقولك: قعد القرفصاء، أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دعاء جهارا، أو مصدر في موضع الحال، أي: مجاهرا.

ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار؛ وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله على نبينا وعليه وسلم، قال ابن عطية: الجهار دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار دعاء كل واحد على حدته. ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب ﷺ إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر، وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له: استغفر الله. ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعة تأويلات؛ أحدها: أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة؛ فالمعنى: مالكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه قال ذلك الزمخشري، وقوله "لله" على هذا بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفة لـ"وقارا"، الثاني: أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت؛ والمعنى: مالكم لا ترجون لله تعالى متثبتين حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم، وقوله "لله" على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك: ضربت لزيد، وإعراب "وقارا" على هذا مصدر في موضع الحال، الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان؛ والمعنى: ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، و"لله" على هذا صفة للوقار في المعنى، الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك: وقر في المكان إذا استقر فيه؛ والمعنى: مالكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: طورا بعد طور يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله، وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة؛ فالمعنى: أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك. ﴿طِبَاقًا﴾ ذكر في الملك. ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ "القمر" إنما هو في السماء الدنيا، وساغ أن يقول "فيهن" لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع كقولك: فلان في الأندلس كذلك إذا كان في بعضها، والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في السابعة، وجعل القمر نورا و﴿ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ لأن ضوء السراج أقوى من النور؛ فإن السراج هو الذي يضيء فيبصر به، والنور قد يكون أقل من ذلك. ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض،

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾

و"نباتا" مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتم نباتا، ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني بالدفن. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني بالبعث من القبور. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها، وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل؛ وفي ذلك نظر. ﴿سُبُلاً فِجَاجًا﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم، وقرئ "ولده" بفتحتين، و"ولده" بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد. ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف، والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير. ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا بذلك. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ هذه أسماء أصنام، كان قوم نوح يعبدونها، وروي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها، وقيل: بل الأسماء فقط إلى قبائل من العرب، فكان "ودا" لكلب بدومة الجندل، وكان "سواع" لهذيل، وكان ﴿يَغُوثَ﴾ لمراد، وكان ﴿يَعُوقَ﴾ لهمذان، وكان ﴿نَسْرًا﴾ لذي الكلاع من حمير، وقرئ "ودا" بفتح الواو وضمها وهما لغتان. ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى: أضلوا كثيرا من أتباعهم، وهذا من كلام نوح عليه السلام وكذلك "لا تزد الظالمين إلا ضلالا" من كلامه وهو دعاء عليهم، وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾، والتقدير قال: رب إنهم عصوني، وقال ﴿لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً﴾. ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم، و"ما" زائدة للتأكيد، وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطيئاتهم وهي الكفر وسائر المعاصي. ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني جهنم، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقق، وقيل: أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُومِنًا وَلِلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَ إِنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

"ديارا" من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار، أي: ما فيها أحد، ووزنه فيعال، وكان أصله دَيْوَارا ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فعال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار، وروي أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم. ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان والدا نوح مؤمنين، قال ابن عباس ﷺ: لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام، واسم والد نوح عليه السلام لمك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أنوش، حكاه الزمخشري. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُومِنًا﴾ قيل: بيته المسجد، وقيل: السفينة، وقيل: شريعته سماها بيتا استعارة؛ وهذا بعيد، وقيل: داره؛ وهذا أرجح لأنه الحقيقة. ﴿وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين: إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم؛ وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة، قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات. ﴿تَبَارًا﴾ أي: هلاكا، والله أعلم.

سورة الجن

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا. ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ قال ذلك بعضهم لبعض، و"عجبا" مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك: عجبت عجبا، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب. ﴿وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جد الله: جلاله وعظمته، وقيل: غناؤه من قولك: فلان مجدود إذا استغنى، وقرئ "إنه" في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله "وإنا منا المسلمون"؛ فأما الكسر فاستئناف أو عطف على "إنا سمعنا"، لكنه كُسِرَ في معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن، وأما الفتح فقيل:

وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ

إنه عَطف على قوله "أنه استمع نفر"؛ وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله "استمع نفر" في موضع معمول "أوحي" فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحي وأن لا يكون من كلام الجن، وهو من كلام الجن، وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله "ءامنا به"؛ وهذا ضعيف؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في "ءامنا به"، كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا، وكذلك ما بعده، ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع؛ وهي "أنه استمع"، و"أن لو استقاموا"، و"أن المساجد لله"؛ لأن ذلك مما أوحي لا من كلام الجن. ﴿ وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ هذا من كلام الجن، وسفيههم أبوهم إبليس، وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية، والتشطط التعدي ومجاوزة الحد. ﴿ وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب؛ لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله. ﴿ وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ تفسير هذا ما روي أن العرب كانوا إذا حل أحدهم بواد صاح بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي! إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك، ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه. ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ضمير الفاعل للجن، وضمير المفعول للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضلالا لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل: ضمير الفاعل للإنس، وضمير المفعول للجن، والمعنى: أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجني يقول: أنا سيد الجن والإنس. ﴿ وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ الضمير في "ظنوا" لكفار الإنس، و"ظننتم" خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعثَ الرسل أو البعث من القبور. ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ هذا إخبار عن ما حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم بالنجوم، واللمس المس واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم بمعنى الخدام ولذلك وصف بشديد وهو مفرد، ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة، وكرر الشهب لاختلاف اللفظ. ﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ الـ"مقاعد" جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا

فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَإِنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَإِنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَإِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة [البخاري: 4424]. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الرصد اسم جمع للراصد كالحرس للحراس، وقال ابن عطية: هو مصدر وصف به ومعناه منتظر، قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ، واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلا ثم زاد بعد البعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية، والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض: «**ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟**» قالوا: كنا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال ﷺ: «**ليس الأمر كذلك**» ثم وصف استراق الجن للسمع [البخاري: 6129]، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم. ﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾ الآية، قال ابن عطية: معناه لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا أو يكفرون به فينزل بهم الشر، وقال الزمخشري: معناه لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق. ﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف، وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح، فإن "دون" قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير. ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ الـ"طرائق" المذاهب والسير وشبهها، والقدد المختلفة وهي جمع قدة، وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف، أي: كنا ذوي طرائق، أو كنا في طرائق.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم، ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم. ﴿سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ يعنون القرآن. ﴿فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ البخس النقص والظلم، والرهق تحميل ما لا يطاق، وقال ابن عباس ﷺ: البخس نقص الحسنات، والرهق الزيادة في السيئات. ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ يعني الظالمين، يقال: قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل، وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن، وأما قوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ فيحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذي اختاره ابن عطية، وأما قوله "وَأَلَّوِ استقاموا" فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم. ﴿تَحَرَّوْا﴾ أي: قصدوا الرشد.

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ الماء الغدق هو الكثير، وذلك استعارة في توسيع الرزق، و"الطريقة" هي طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى: لو استقاموا على ذلك لوسَّع الله أرزاقهم فهو كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ ﴾، وقيل: هي طريقة الكفر، والمعنى على هذا: لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا إملاء لهم واستدراجا، ويؤيد هذا قوله "لنفتنهم فيه"؛ والأول أظهر، والضمير في "استقاموا" يحتمل أن يكون للمسلمين، أو للقاسطين المذكورين، أو لجميع الجن، أو للجن الذين استمعوا للنبي ﷺ، أو لجميع الخلق. ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة فمعنى الفتنة الاختبار هل يشكرون أم لا؟ وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج. ﴿ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ معنى "نسلكه" ندخله، والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصفه بالمصدر للمبالغة يقال: فلان في صعد؛ أي: في مشقة، وقيل: "صعد" جبل في النار. ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ أراد "المساجد" على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، وروي أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة، وقيل: أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم؛ وهذا بعيد، وعطف "أن المساجد" على "أوحي إلي أنه استمع"، وقال الخليل: معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا، أي: لهذا السبب لا تعبدوا غير الله، فالعامل في "أن" "لا تدعوا".

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ عبد الله هنا هو محمد ﷺ، ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا، وقال الزمخشري: إنما سماه هنا "عبد الله" ولم يقل الرسول أو النبي؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه، لأنه مما أوحي إليه فذكر ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل؛ وهذا الذي قاله بعيد مع أنه إنما يتمكن على قراءة "أنه لما قام" بفتح الهمزة فيكون عطفا على "أوحي إلي أنه استمع"، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله. ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ اللبد الجماعات، واحدها لبدة والضمير في "كادوا" يحتمل أن يكون للكفار من الناس، أي: كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره، أو يكون للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن والتبرك به. ﴿ مُلْتَحَدًا ﴾ أي: ملجأ. ﴿ إِلَّا بَلَاغًا ﴾ بدل من "ملتحدا"؛ أي: لا أجد ملجأ إلا بلاغ الرسالة، أو بدل من ﴿ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ أي: لا أملك شيئا إلا بلاغ الرسالة، ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا. ﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور

وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ

ليس بصلة لبلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائنا من الله، ويحتمل عندي أن يكون متعلقا بـ"بلاغا" والمعنى: بلاغ عن الله. ﴿وَرِسَالاتِهِ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على "بلاغا" كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون "ورسالاته" معطوفا على اسم "الله". ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمع "خالدين" على معنى "من يعص" لأنه في معنى الجمع، والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين؛ لأن مذهبهم خلودهم في النار، والدليل على أنها في الكفار وجهان؛ أحدهما: أنها مكية، والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار، والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلقت "حتى" بقوله "يكونون عليه لبدا" وجعلت غاية لذلك، والمعنى: أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون؛ قال ذلك الزمخشري، وقال أيضا: يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل عليه المعنى كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون؛ وهذا أظهر. ﴿قُلِ إِنَ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ "إن" هنا نافية، والمعنى: قل لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد، وعبر عن بعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّىَ أَمَدًا﴾ ويعني بـ"ما توعدون" قتلهم ببدر أو يوم القيامة. ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي: لا يُطلع على علم غيبه أحدا إلا من ارتضى وهم الرسل، فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك، و"من" في قوله "من رسول" لبيان الجنس لا للتبعيض، والـ"رسول" هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية، أو الرسل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفة بالغيوب، فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم، وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل. ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى: أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين، وقد ذكرنا "رصدا" في هذه السورة قال بعضهم: ما بعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه. ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدَ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بـ"يعلم" ثلاثة أقوال؛ الأول: أي: ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم؛ أي: يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ

كونه، الثاني: ليعلم محمد ﷺ أن الملائكة الرصد قد أبلغوا رسالات ربهم، الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة؛ والأول أظهر، وجمع الضمير في "أبلغوا" وفي "ربهم" حملا على المعنى؛ لأن "من ارتضى من رسول" يراد به جماعة. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع، وهذه الجملة معطوفة على قوله "ليعلم" لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال. ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء، و"عددا" منصوب على الحال، أو تمييز، أو مصدر من معنى "أحصى".

سورة المزمل

﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ نداء للنبي ﷺ، ووزن "المزمل" متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي، وفي تسمية النبي ﷺ بـ"المزمل" ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف، والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة ﵂ والجمهور، والثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة، الثالث: أن معناه المتزمل للنبوة، أي: المشمر المجد في أمرها، والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري [3] ومسلم [160] أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ﵂ ترتعد فرائصه، فقال: «زملوني» فنزلت ﴿يَآ أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وعلى هذا نزلت "يأيها المزمل" فالتزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل، وقال الزمخشري: كان نائما في قطيفة فنودي "يأيها المزمل"؛ ليهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفة؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل، وهذا القول بعيد غير سديد، وقال السهيلي: في ندائه بـ"المزمل" فائدتان؛ إحداهما: الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي ﵁: «قم أبا تراب» [البخاري: 430]، والفائدة الأخرى: التنبيه لكل متزمل راقد بالليل لينتبه إلى ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بذلك الصفة. ﴿قُمِ الَّيْلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل، اختلف هل هو واجب أو مندوب؟ فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفي ﷺ، الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله تعالى في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية، وصار تطوعا، هذا قول عائشة ﵂ وهو الصحيح، واختلف كم بقي فرضا؛ فقالت عائشة ﵂: عاما، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام؛ فالآية الناسخة على هذا مدنية، الثالث: أنه فرض عليه وعلى أمته،

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين. ﴿ إِلَّا قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال؛ الأول: وهو الأشـهر والأظهر أن الاستثناء من "الليل"، وقوله "نصفه" بدل من "الليل"، أو من "قليلا" وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في "انقص منه" "أو زد عليه" عائدان على النصف، والمعنى: أن الله خيره بين ثلاثة أحوال؛ وهو أن يقوم نصف الليل، أو ينقص من النصف قليلا، أو يزد عليه، القول الثاني: قال الزمخشري "إلا قليلا" استثناء من النصف كأنه قال: نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين، وهما؛ أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف؛ لأن قوله "أو انقص منه قليلا" قد تضمن النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف، القول الثالث: قال الزمخشري أيضا: يجوز أن يريد بقوله "انقص منه قليلا" نصف النصف وهو الربع، ويكون الضمير في قوله "أو زد عليه" يعود على ذلك؛ أي: زد على الربع فيكون ثلثا فالتخيير على هذا بين قيام النصـف أو الثلـث أو الربع؛ وهذا أيضا بعيد، القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى "إلا قليلا" الليـالي التـي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بـ"الليل" على هذا الليالي فهو جنس، وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بها بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدل ذلك على أن المراد بالقليل المسـتثنى بعض أجـزاء الليل لا بعض الليالي، فإن قيل: لم قيد النقص من النصـف بالقلة فقال "أو انقص منه قليـلا"، وأطلـق في الزيادة فقال "أو زد عليه" ولم يقل قليلا؟ فالجواب: أن الزيادة تحسـن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيدهـا بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثـيرا. ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ الترتيل: هو التمهل والمد وإشـباع الحركات وبيان الحروف؛ وذلك معين على التفكر في معاني القرآن، بخلاف الهـذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول وكان رسـول الله ﷺ يقطع قراءته حرفـا حرفا، ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسـأل ولا يمـر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ[أبو داود: 871- 1466]. ﴿ إِنَّا سَـنُلْقِي عَلَيْكَ قَـوْلاً ثَقِيلاً ﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل، والقول الثقيل هو القرآن، واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال؛ أحدها: أنه سمي ثقيلا لما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه عليه بذلك حتى إنه إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به، وأوحي إليه وفخذه على فخـذ زيـد بن ثابت ﵁ فـكادت أن تُرض فخذ زيـد ﵁، والثقل على هذا حقيقة، الثاني: أنـه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده، الثالث: أنه ثقيل في الميزان، الرابع: أنه كلام له وزن ورجحان، الخامس: أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي؛ وهذا اختيار ابن عطية، وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل لمشقته.

إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ ﴾ في الـ"ناشئة" سبعة أقوال؛ الأول: أنه النفس الناشئة بالليل؛ أي: التي تنشأ من مضجعها وتقوم إلى الصلاة، الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون إلى الصلاة، الثالث: العبادة الناشئة بالليل؛ أي: تحدث فيه، الرابع: الناشئة القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة، الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء، السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء، السابع: ناشئة الليل ساعته كلها. ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ يحتمل معنيين؛ أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي ﷺ: **«اللهم اشدد وطأتك على مضر»** [البخاري: 771]، والأثقل أعظم أجرا؛ فالمعنى: تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر، الثاني: أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى ﴿ أَقْوَمُ قِيلاً ﴾، وقرئ "وطئا" بكسر الواو على وزن فعال، ومعناه: موافقة؛ أي: يوافق القلب اللسان لحضور الذهن. ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا ﴾ السبح هنا عبارة عن التصرف في الأشغال، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك، وتفرغ بالليل لعبادة ربك، وقيل: المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فاخلفه بالنهار فإنه طويل يسع فيه ذلك. ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ قيل: معناه قل "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول صلاتك؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أي: انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده، وقيل: التبتل رفض الدنيا، و"تبتيلا" مصدر على غير المصدر. ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمر بالتوكل على الله. ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف، وقيل: إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله تعالى: ﴿ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت. ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب "المكذبين" على أنه مفعول معه أو معطوف. ﴿ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ أي: التنعم في الدنيا، وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا أغنياء متنعمين في الدنيا. ﴿ أَنكَالاً ﴾ جمع نكل وهو القيد من الحديد، ويروى أنها قيود سود من نار. ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ يعني: شجرة الزقوم، ومعنى "ذا غصة" يغص به؛ أي: يختنق، وقيل: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصعق [الطبري: 29/ 135]. ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ ﴾

وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ

أي: تهتز وتزلزل، والعامل في "يوم" معنى الكلام المتقدم وهو "إن لدينا أنكالا". ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ الكثيب: كدس الرمل، والمهيل: اللين الرخو الذي تهيله الريح؛ أي: تنشره، وزنه مفعول، والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب. ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً ﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة، وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة. ﴿ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يشهد بأعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية، وإنما يشهد على من أدركه لقوله ﷺ: «**أقول كما قال أخي عيسى**: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾» [البخاري: 3263]. ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ يعني موسى عليه السلام، وهو المراد بقوله: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ فاللام للعهد. ﴿ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ أي: غليظا شديدا. ﴿ يَوْمًا ﴾ مفعول به وناصبه: ﴿ تَتَّقُونَ ﴾؛ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم، وقيل: هو مفعول به على أن يكون ﴿ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾ بمعنى جحدتم، وقيل: هو ظرف، أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكر، أو قوله "السماء منفطر به". ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ "الولدان" جمع وليد وهو الطفل الصغير، والشيب بكسر الشين جمع أشيب، ووزنه فُعْل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، و"يجعل" يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى: أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إن ذلك عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله. ﴿ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ الانفطار الانشقاق، والضمير المجرور يعود على اليوم، أي: تتفطر السماء بشدة هوله، ويحتمل أن يعود على الله، أي: تنفطر بأمره وقدرته؛ والأول أظهر، و"السماء" مؤنثة وجاء "منفطر" بالتذكير؛ لأن تأنيثها غير حقيقي، أو على الإضافة تقديره: ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف. ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ الضمير في "وعده" يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله؛ والأول أظهر لأنه ملفوظ به. ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد. ﴿ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ يعني سبيل التقرب إلى الله، ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل،

وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

ومعناها: أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن. ﴿وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ من قرأهما بالخفض فهو عطف على "ثلثي الَّيل"؛ أي: تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه ومن ثلثه، ومن قرأهما بالنصب فهو عطف على "أدنى"؛ أي: تقوم أقل من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة. ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ يعني من المسلمين، وهو معطوف على الضمير الفاعل في "تقوم". ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام، أي: لن تحصوا تقدير الليل، وقيل: معناه لن تطيقوه؛ أي: لن تطيقوا قيام الليل كله. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف كقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي: إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب، وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور، وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر، وقيل: كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل؛ فمنها المرض، ومنها السفر للتجارة؛ وهو الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها الجهاد، ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به أو تأكيدا للتخفيف؛ وهذا أظهر لأنه ذكره بإثر الأعذار. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءاتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني المكتوبتين. ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ معناه: تصدقوا، وقد ذكر في البقرة. ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب "خيرا" لأنه مفعول ثان لـ﴿تَجِدُوهُ﴾ والضمير فصل. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا [مسلم: 591].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾

سورة المدثر

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وزنه متفعل، ومعناه: الذي تدثر في كساء أو ثياب، وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه، وقال السهيلي: في ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد؛ الاثنتان اللتان ذكرتا في المزمل، وفائدة ثالثة وهي أن العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجد والتشمير، والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن؛ والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها. ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: أنذر الناس، وهذه بعثة عامة. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظمه، ويحتمل أن يريد قول الله أكبر، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت "وربك فكبر"، وقوله "وربك فكبر" من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة، واختلف على هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة، أو على الندب فتكون سنة؟ والآخر: أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز، الثالث: أن معناه لا تَلبس الثياب من مكسب خبيث. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أن "الرجز" الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ [الحاكم: 2992]، وهو قول عائشة ﵂، والآخر: أن "الرجز" السخط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فالمعنى: اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه، الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز. ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ يحتمل قوله "تمنن" أن يكون من معنى العطاء، أو معنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه، أو معنى الضعف؛ فإن كان من العطاء ففيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأمته، والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره، فإن الكريم يستقل ما يعطي وإن كان كثيرا، وإن كان من المن بالشيء ففيه وجهان؛ الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه، الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب، وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب أو على إذاية الكفار له أو على العبادة. ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يعني نفخ في الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى أو الثانية. ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق،

وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

وفي معنى "وحيدا" ثلاثة أقوال؛ أحدها: روي أنه كان يلقب الوحيد؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه؛ وكونه "وحيدا" نعمة عددها الله عليه، الثاني: أن معناه خلقته منفردا ذليلا، الثالث: أن معناه خلقته وحدي فـ"وحيدا" على هذا من صفات الله تعالى، وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله "خلقت" وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي: كثيرا، واختلف في مقداره؟ فقيل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف، وقيل: يعني الأرض لأنها مدت. ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حضورا، وروي أنه كان له عشرة من الولد، وقيل: ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة وهم خالد وهشام وعمارة ﷺ. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي: يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله وهذه غاية الحرص. ﴿كَلَّآ﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة. ﴿عَنِيدًا﴾ أي: معاندا مخالفا، والآيات هنا يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل. ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ الـ"صعود" العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها «**عقبة في جهنم كلما صعدها الإنسان ذاب ثم يعود**» [المعجم الأوسط: 5573]، فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها. ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: فكر فيما يقول وقدر في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيأ كلامه، روي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يُسلم، ودخل إلى أبي بكر الصديق ﷺ، فعاتبه أبو جهل وقال له: إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يُخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولا يرضيهم فافتتن، وقال: أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول في القرآن، فقال أقول شعر ما هو شعر، أقول كاهن ما هو بكاهن، أقول إنه سحر وإنه قول البشر، أي: ليس منزلا من عند الله. ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه وذم، وكرره تأكيدا لذمه وتقبيح حاله، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله "قتل" لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: قاتل الله فلانا ما أشجعه! يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه، وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء، أو حكاية لقول قريش تهكما بهم. ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: نظر في قوله وقدر ما يقول. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البسور هو تقطيب الوجه، وهو أشد من العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه عليه الصلاة والسلام، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الإسلام. ﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: ينقل عمن تقدم.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ

﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لها وتهويل. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياه، أو لا تبقي شيئا ألقي فيها إلا أهلكته، وإذا هلك لم تذَره هالكا بل يعود إلى العذاب. ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ معنى "لواحة" مغيرة، يقال: لاحه السفر وغيره إذا غيره، والبشر جمع بشرة وهي الجلدة؛ فالمعنى: أنها تُحرق الجلود وتسودها، وقيل: "لواحة" من لاح إذا ظهر، والبشر الناس؛ أي: تلوح للناس، قال الحسن: تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يعني الزبانية خزنة جهنم، فقيل: هم تسعة عشر ملكا، وقيل: تسعة عشر صفا، وقيل: تسعة عشر صفا من الملائكة؛ والأول أشهر.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَآئِكَةً﴾ سبب الآية: أنه لما نزل "عليها تسعة عشر" قال أبو جهل لقريش: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به فنزلت الآية، ومعناها: أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم، وروي أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولوا ما قالوا. ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم. ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: لا يشك. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُومِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق، فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد فهو تكرار؟ فالجواب: أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال، وقال الزمخشري: في ذلك مبالغة وتأكيد. ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الـ"مرض" الشك وأكثر ما يطلق "الذين في قلوبهم مرض" على المنافقين، فإن قيل: هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن معناه يقول المنافقون إذا حَدَّثوا ففيه إخبار بالغيب، والآخر: أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ استبعاد لأن يكون هذا من عند الله. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يحتمل القصدُ بهذا وجهين؛ أحدهما: وصف جنود الله بالكثرة؛ أي: هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله، والآخر: رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر، أي: لا يعلم

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

أعداد جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله. ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة. ﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم، وقال الزمخشري: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرى. ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي: ولى، وقرئ "دبر" بغير ألف والمعنى واحد، وقيل: معناه دبر الليل والنهار؛ أي جاء في دبره. ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي: أضاء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح. ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة، أي: هي من الأمور العظام، و"الكبر" جمع كبرى، وقال ابن عطية: جمع كبيرة؛ والأول هو الصحيح. ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ تمييز أو حال من "إحدى الكبر" وقيل: النذير هنا الله تعالى، فالعامل فيه على هذا محذوف؛ وهذا ضعيف، وقيل: هو حال من أول السورة، أي: قم فأنذر نذيرا؛ وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من بدع التفاسير. ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التقدم: عبارة عن سلوك طريق الهدى والتأخر ضده، و"لمن شاء" بدل من "البشر" أي: هم متمكنون من التقدم أو التأخر، وقيل: معناه الوعيد كقوله: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وعلى هذا أعرب الزمخشري "أن يتقدم" مبتدأ و"لمن شاء" خبره؛ والأول أظهر. ﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية: الهاء في "رهينة" للمبالغة أو على تأنيث النفس، وقال الزمخشري: ليست بتأنيث رهين؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن؛ أي: كل نفس رهْن عند الله بعملها. ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أي: أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما يفك الراهن رهنه بأداء الحق، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: "أصحاب اليمين" هم الأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها، وقال ابن عباس ﷺ: هم الملائكة. ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار. ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ أي: ما أدخلكم النار، وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة، فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده؛ أي: هذا الذي أوجب دخولهم النار، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له؛ لأنه أكبر جرائمهم. ﴿نَخُوضُ﴾ الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه. ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

هـو الموت عند المفسرين، وقـال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبـون به في الدنيا فيتيقنوه بعد الموت. ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء على أنه لا يشفع أحد في الكفار، وجمع "الشافعين" دليل على كثرتهم كما ورد في الآثار؛ تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون. ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ يعني كفار قريش. ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ الـ"مستنفرة" بفتح الفاء التي استنفرها الفزع، وبالكسر بمعنى النافرة؛ شبه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعني حمير الوحـش. ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ ابن عباس ﷺ: الـ"قسـورة" الرمـاة، وقال أيضا: هو الأسـد، وقيل: أصوات الناس، وقيل: الرجال الشـداد، وقيل: سـواد أول الليل. ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ المعنى: يطمع كل إنسـان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله، ومعنى "منشرة" منشورة غير مطوية؛ أي: هـي طرية كما كتبت لم تطو بعد، وذلك أنهم قالوا للرسـول ﷺ: لم نتَّبِعْك حتـى تأتي كل واحد منا بكتاب من السـماء فيـه: من رب العالمـين إلى فلان بن فلان نؤمـر باتباعك. ﴿ كَلَّا ﴾ ردع عـما أرادوه. ﴿ بَـل لَّا يَخَافُونَ الْآخِـرَةَ ﴾ أي: هذه هي العلة والسـبب في إعراضهم. ﴿ كَلَّا ﴾ تأكيد للـردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة. ﴿ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته. ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ فاعل "شاء" ضمير يعود على "من"، وفي ذلك حض وترغيب، وقيل: الفاعل هو الله، ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله. ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: هو أهل لأن يتقى لشـدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله.

سورة القيامة

﴿ لَا أُقْسِمُ ﴾ في الموضعين معناه: أقسم، و"لا" زائدة لتأكيد القسم، وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة ألا، وقيل: هي نفي لكلام الكفار. ﴿ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع؛ فخيرها النفس المطمئنة، وشرها النفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة، وقيـل "اللوامـة" هي المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد؛ لأن الله لا يقسـم إلا بما يعظم من المخلوقات، ويستقيم

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

إن كان "لا أقسم" نفيا للقسم. ﴿ أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ "الإنسان" هنا للجنس، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث، ومعناه: أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب، وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم. ﴿ بَلَى ﴾ تقديره: نجمعها. ﴿ قَادِرِينَ ﴾ منصوب على الحال من الضمير في "نجمع"، والتقدير: نجمعها ونحن قادرون. ﴿ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ البنان الأصابع، وفي المعنى قولان؛ أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث؛ أي: قادرين على أن نسوي أصابعه؛ أي: نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها، والآخر: أنه تهديد في الدنيا؛ أي: قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخُف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه؛ والأول أليق بسياق الكلام. ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ هذه الجملة معطوفة على "أيحسب الإنسان"، ويجوز أن تكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا، وليست "بل" هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده، و"ليفجر" معناه: يفعل أفعال الفجور، وفي معنى "أمامه" ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان؛ أي: يفجر بقية عمره، الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال: مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شيء يريده، والضمير على هذين القولين يعود على "الإنسان"، الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة. ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ "أيان" معناها: متى، وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد. ﴿ بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل: عن حالة الموت، وهذا خطأ؛ لأن "القمر" لا يخسف عند موت أحد ولا يجمع بينه وبين الشمس، و"برق" بفتح الراء معناه: لمع وصار له بريق، وقرئ بكسر الراء ومعناه: تحير من الفزع، وقيل: معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر. ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾ أي: ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو وخسفه الله، والخسوف للقمر والكسوف للشمس، وقيل: الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه، وقيل: هما بمعنى واحد. ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنهما يجتمعان حيث يطلعهما الله من المغرب، والآخر: أنهما يجمعان يوم القيامة ثم يقذف بهما في النار، وقيل: في البحر فتكون النار الكبرى، الثالث: أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما. ﴿ لا وَزَرَ ﴾ أي: لا ملجأ ولا مغيث. ﴿ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ أي: بجميع أعماله ما قدم

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

منها في أول عمره وما أخر في آخره، وقيل: ما قدم في حياته وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته، وقيل: ما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات، وقيل: ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته. ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة، والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازا؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق؛ والأول أليق بها قبله وما بعده، كأنه قال: ينبؤا الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبؤا بها، وكذلك يلتئم مع قوله "ولو ألقى معاذيره" ويكون هذا جواب "لو" حسبما نذكره. ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن المعاذير الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها، والآخر: أن المعاذير الستور؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح. ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الضمير في "به" يعود على القرآن دلت على ذلك قرينة الحال، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسُه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية؛ والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري [5] وغيره. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله، ويحتمل "قرآنه" هنا وجهين؛ أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء جمعته. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى "اتبع قرآنه" استمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه، فإن قيل: ما مناسبة قوله "لا تحرك به لسانك" الآية لما قبلها؟ فالجواب: أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول. ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا، و"كلا" ردع عن ذلك. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد، أي: ناعمة ومنه ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾. ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة؛ وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا "ناظرة" بأن معناه: منتظرة؛ وهذا

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر تقول: نظرتك؛ أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ"إلى" فهو من نظر العين ومنه قوله ﴿ وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾، وقال بعضهم "إلى" هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم؛ وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري بأن معناه كقولك: فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به؛ وهذا بعيد، وقد جاءت عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهي تفسير للآية. ﴿ بَاسِرَةٌ ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبسور أشد من العبوس. ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر، والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين. ﴿ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ يعني حالة الموت، و"التراقي" جمع ترقوة وهي عظام أعلى الصدر، والفاعل بـ"بلغت" نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام؛ وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت. ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ أي: قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه، وقيل: معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه؛ أي: يصعد بها إلى السماء؛ فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر، والثاني من الرقي إلى العلو. ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ أي: تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله. ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي: التفت ساقه على ساقه الأخرى عند السياق، وقيل: هو مجاز كقولك: كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت، وقيل: معناه ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل "التفت" أي: لفها الكفن إذا كفن، وفي قوله "الساق" و"المساق" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ هذا جواب "إذا بلغت التراقي"، و"المساق" مصدر من السوق كقوله: ﴿ إِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾. ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾ "لا" هنا نافية، و"صدق" يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة، ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل. ﴿ يَتَمَطَّى ﴾ أي: يتبختر في مشيه، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء، وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم. ﴿ أَوْلَى لَكَ ﴾ وعيد وتهديد. ﴿ فَأَوْلَى ﴾ وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيدا، وروي أن رسول الله ﷺ لبب أبا جهل وقال له: «إن الله يقول لك أولى لك فأولى»، فنزل القرآن بموافقة ذلك [الحاكم: 3881]. ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ هذا توبيخ، ومعناه: أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء فهو كقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾، و"الانسان" هنا جنس، وقيل: نزلت في أبي جهل؛ ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عاما.

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ ﴾ النطفة هي النقطة، و"تمنى" من قولك أمنى الرجل، ومعنى الآية: الاستدلال بخلقة الإنسان على بعثه كقوله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، والـ ﴿ عَلَقَة ﴾ الدم؛ لأن المني يصير في الرحم دما. ﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي: خلقه الله بشرا فسوى صورته، أي: أتقنها. ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ هذا تقرير واحتجاج، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: «بلى»، وفي رواية «سبحانك اللهم بلى» [أبو داود: 887].

سورة الإنسان

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ "هل" هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل: هي بمعنى قد، و"الانسان" هنا جنس، والـ"حين" الذي أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق، وقيل: "الإنسان" هنا آدم، والـ"حين" الذي أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح؛ وهذا ضعيف لوجهين؛ أحدهما قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هذا في آدم، والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان. ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أي: أخلاط، واحدها مَشَجٌ بفتح الميم والشين، وقيل: مِشْجٌ بوزن عدل، وقال الزمخشري: ليس "أمشاج" بجمع وإنما هو مفرد كقولهم: برمة أعشار، ولذلك وقع صفة للمفرد، واختلف في معنى الاختلاط هنا، فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ولحمه وشحمه من ماء المرأة، وقيل: معناه ألوان وأطوار، أي: يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة. ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ أي: نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له، وقيل: معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة. ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ هذا معطوف على "خلقنا الانسان"، ومن جعل "نبتليه" بمعنى نصرفه في بطن أمه فهذا عطف عليه، وقيل: إن "نبتليه" مؤخر في المعنى؛ أي: جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه؛ وهذا تكلف بعيد. ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ أي: سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين؛ شاكر وكفور، وهما حالان

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

من الضمير في "هديناه"، والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وهو هبة العقل الذي يميز به بينهما، ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد؛ أي: هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾. ﴿ سَلَاسِلَا ﴾ من قرأ بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الآحاد، ومن قرأ بالتنوين فله ثلاث توجيهات؛ أحدها: أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل، والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق، وأجري الوصل مجرى الوقف، والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف مالا ينصرف فجرى على ذلك. ﴿ الْأَبْرَارَ ﴾ جمع بار أو بر، ومعناه: العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح، حتى قال بعضهم: "الأبرار" هم الذين لا يؤذون الذَّر. ﴿ مِن كَأْسٍ ﴾ ذكر في الصافات معنى الكأس، و"من" هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو لابتداء الغاية. ﴿ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ أي: تمزَج الخمر بالكافور، وقيل: المعنى أنه كافور في طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول: هذا مسك. ﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من "كافور" على القول بأن الخمر تمزج بالكافور، وبدل من موضع "من كأس" على القول الآخر، كأنه قال: أي يشربون خمرا خمر عين، وقيل: هو مفعول بـ"يشربون"، وقيل: منصوب بإضمار فعل. ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها، وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: شربت الماء بالعسل، لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر. ﴿ عِبَادُ اللَّهِ ﴾ وصفُهم بالعبودية فيه معنى التقريب والاختصاص كقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾. ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أي: يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم، وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينا تنفجر إلى قصور الأنبياء والمؤمنين. ﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ أي: منتشرا شائعا، ومنه استطار الفجر إذا انتشر ضوءه. ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فإنهم كانوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين، والآية على هذا مدنية؛ لأن عليا رضي الله عنه إنما تزوج فاطمة رضي الله عنها بالمدينة، وقيل: هي مكية وليست في علي رضي الله عنه. ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ الضمير لـ"لطعام" أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ففي قوله على "حبه" تتميم وهو من أدوات البيان، وقيل: الضمير "لله"، وقيل: للإطعام

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

المفهوم من "يطعمون"؛ والأول أرجح وأظهر. ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين واليتيم، وأما الأسير ففيه خمسة أقوال؛ أحدها: أنه الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطب أجر، وقيل: نسخ ذلك بالسيف، والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من أرض الحرب لطلب الفدية، والثالث: أنه المملوك، والرابع: أنه المسجون، والخامس: أنه المرأة لقوله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم**» [الترمذي: 1163]، وهذا بعيد والأول أرجح؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: «**أحسن إليه**». ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله، ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، والشكور مصدر كالشكر، ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم، أو قالوه في نفوسهم، فهو عبارة عن النية والقصد. ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وصف اليوم بالعبوس مجازا على وجهين؛ أحدهما: أن يصف اليوم بصفة أهله كقولهم: نهاره صائم وليله قائم، وروي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من عينيه مثل القطران، والآخر: أن يشبه في شدته بالأسد العبوس. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال ابن عباس ﷺ: معناه طويل، وقيل: شديد. ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ الـ"نضرة" التنعم، وهذا في مقابلة عبوس الكافر، وقوله: ﴿وَقَاهُمُ﴾ و"لقاهم" من أدوات البيان. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا في قصة علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، وقد ذكرنا ﴿الْأَرَآئِكِ﴾. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها، أي: ليس فيها حر ولا برد، والـ"زمهرير" هو البرد الشديد، وقيل: هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم؛ لأن الشيء المظل إذا بعد فتر ظله، وإعراب "دانية" معطوف على "متكئين"، وقال الزمخشري: هو معطوف على الجملة التي قبلها وهي "لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا"؛ لأن هذه الجملة في حكم المفرد، تقديره: غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم؛ أي: جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل: هو صفة لجنة عطفت بالواو كقولك: فلان عالم وصالح، وقيل: هو معطوف عليها، أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ القطوف جمع

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ

قطف وهو العنقود من النخل والعنب وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروي أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة في موضع الحال من "دانية"؛ أي: دانية في حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها. ﴿ بِآنِيَةٍ ﴾ هي جمع إناء، ووزنها أفعلة، وقد ذكرنا الـ"أكواب" في الواقعة. ﴿ قَوَارِيرَا ﴾ القوارير هي الزجاج، فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله "من فضة"؟ فالجواب أن المراد أنها في أصلها من فضة وهي تشبه الزجاج في صفائها وشفيفها، وقيل: هي من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها، ومن قرأ "قوارير" بغير تنوين فهو على الأصل، ومن نونه فعلى ما ذكرنا في "سلاسل". ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ هذه صفة للـ"قوارير"، والمعنى: قدروها على قدر الأكف، أو على قدر ما يحتاجون إليه من الشراب، قال مجاهد: هي لا تفيض ولا تغيض، وقيل: قدروها على حسب ما يشتهون، والضمير الفاعل في "قدروها" يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها. ﴿ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾ هو كما ذكرنا في "مزاجها كافورا". ﴿ سَلْسَبِيلاً ﴾ معناه: سلسل منقاد الجرية، وقيل: سهل الانحدار في الحلق، يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد، وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية، وقيل: "سل" فعل أمر و"سبيلا" مفعول به؛ وهذا في غاية الضعف. ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ذكر في الواقعة. ﴿ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض، وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور. ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ مفعول "رأيت" محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يُرى فيها، و"ثم" ظرف مكان، وقال الفراء: تقديره: إذا رأيت ما ثم، فما مفعولة ثم حذفت، قال الزمخشري: وهذا خطأ؛ لأن "ثم" صلة لما، ولا يجوز حذف الموصول وإبقاء الصلة. ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى **«إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها»** [البخاري: 6202] حسبما ورد في الحديث، وقيل: أراد أن الملائكة تسلم عليهم وتستأذن عليهم فهم بذلك كالملوك. ﴿ عَالِيهِمْ ﴾ بسكون الياء مبتدأ وخبره: ﴿ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ أي: ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس، وقرئ بالنصب على الحال من الضمير في "يطوف عليهم" أو في "حسبتهم"، وقال ابن عطية: العامل فيه "لقاهم" أو "جزاهم"، وقال أيضا: يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقهم، وقد ذكرنا معنى الـ"سندس" والـ"إستبرق"، وقرئ: ﴿ خُضْرٌ ﴾ بالخفض صفة لـ"سندس" وبالرفع صفة لـ"ثياب". ﴿ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ بالرفع عطف على "ثياب"

وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

وبالخفض عطف على "سندس". ﴿وَحُلُّوا﴾ وزنه فعلوا، ومعناه: جعل لهم حلي. ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الـ"أساور" في الكهف، فإن قيل: كيف قال هنا "أساور من فضة" وفي موضع آخر ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما**» [البخاري: 4597]، فلعل الذهب للمقربين والفضة لأصحاب اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معا. ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل: معناه أنه لم تعصره الأقدام، وقيل: معناه لا يصير بولا. ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: يقال لهم: هذا يقوله الله تعالى أو الملائكة. ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ "أو" هنا للتنويع؛ فالمعنى: لا تطع النوعين فاعلا للإثم ولا كافرا، وقيل: هي بمعنى الواو، أي: جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار، وروي أن الآية نزلت في أبي جهل، وقيل: إن الآثم عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة؛ والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصا. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ هذا أمر بذكر الله في كل وقت، وقيل: هو إشارة إلى الصلوات الخمس؛ فالـ"بكرة" صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ هَـؤُلَآءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلى الكفار، واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته. ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ الأسر الخلقة، وقيل: المفاصل والأوصال، وقيل: القوة. ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم، وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم؛ وهذا تهديد. ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله. ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾

سورة المرسلات

اختلف في معنى ﴿ الْمُرْسَلَاتِ ﴾، و﴿ الْعَاصِفَاتِ ﴾، و﴿ النَّاشِرَاتِ ﴾، و﴿ الْفَارِقَاتِ ﴾ على قولين؛ أحدهما: أنها الملائكة، والآخر: أنها الرياح؛ فعلى القول بأنها الملائكة سماهم "المرسلات" لأنه تعالى يرسلهم بالوحي وغيره، وسماهم "العاصفات" لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسماهم "الناشرات" لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو، أو ينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال، وسماهم "الفارقات" لأنهم يفرقون بين الحق والباطل؛ وعلى القول بأنها الرياح سماها "المرسلات" لقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾، وسماها "العاصفات" من قوله: ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ أي: شديدة، وسماها "الناشرات" لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله ﴿ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾، وسماها "الفارقات" لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله: ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا ﴾. وأما ﴿ الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ فهم الملائكة؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام؛ والأظهر في "المرسلات" و"العاصفات" أنها الرياح؛ لأن وصف الريح بالعصف حقيقة؛ والأظهر في "الناشرات" و"الفارقات" أنها الملائكة لأن الوصف بـ"الفارقات" أليق بهم من الرياح، ولأن "الملقيات" المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح، ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: "والمرسلات" "فالعاصفات"، ثم عطف من ليس من جنسها بالواو فقال "والناشرات" ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء، وقد قيل في "المرسلات" و"الملقيات" إنهم الأنبياء عليهم السلام. ﴿ عُرْفًا ﴾ معناه: فضلا وإنعاما، وانتصابه على أنه مفعول من أجله، وقيل: معناه متتابعة، وهو مصدر في موضع الحال وأما ﴿ عَصْفًا ﴾ و﴿ نَشْرًا ﴾ و﴿ فَرْقًا ﴾ فمصادر، وأما "ذكرا" فمفعول به. ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر، وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار يقال: عذر إذا محا الإساءة، وأما "نذرا" فمن الإنذار وهو التخويف، وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها، ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من "ذكرا"، أو مفعولا من أجله أو مفعولا بـ"ذكر"، و يجوز أن يكون "عذرا" جمع عذير؛ أي: عاذر، و"نذرا" جمع نذير فيكون نصبهما على الحال. ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ يعني البعث والجزاء، وهذا جواب القسم. ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أي: زال ضوؤها، وقيل: محيت. ﴿ وَإِذَا السَّمَاءِ فُرِجَتْ ﴾ أي: انشقت. ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أي: صارت غبارا. ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي: جعل لها وقت معلوم،

لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾

فحان ذلك الوقت، وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة، وقرئ "وقتت" بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو. ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ هو من الأجل كالتوقيت من الوقت، وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله: ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ أي: يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ تكراره في هذه السورة؟ قيل: إنه تأكيد، وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق فجاء ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ راجعا إلى ما قبله في كل موضع منها. ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم. ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ يعني قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره. ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم، يعني الكفار. ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ يعني المني، وال"مهين" الضعيف. ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ يعني رحم المرأة وبطنها. ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ يعني وقت الولادة وهو معلوم عند الله وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر. ﴿ فَقَدَّرْنَا ﴾ بالتشديد من التقدير، وبالتخفيف من القدرة؛ فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله ﴿ فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾، وإذا كان من التقدير فهو تجنيس. ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ الكفات من كفت إذا ضم وجمع؛ فالمعنى: أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها، وانتصب "احياء" و"أمواتا" على أنه مفعول بـ"كفاتا"؛ لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع، فكأنه قال: جامعة أحياء وأمواتا، ويحتمل أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا، فيكون نصبهما على الحال من الضمير، وإنما نكر "احياء" و"أمواتا" للتفخيم ودلالة على كثرتهم. ﴿ رَوَاسِيَ ﴾ يعني الجبال. ﴿ شَامِخَاتٍ ﴾ أي: مرتفعات. ﴿ مَاءً فُرَاتًا ﴾ أي: حلوا. ﴿ انْطَلِقُوا ﴾ خطاب للمكذبين، وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه. ﴿ إِلَىٰ ظِلٍّ ﴾ يعني دخان جهنم، ومنه ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾. ﴿ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ أي: يتفرع من الدخان

لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ
كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾
وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

ثلاث شعب فتظلهم، بينما يكون المؤمنون في ظل العرش، وقيل: إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنه على ثلاث شعب فيقال لهم: انطلقوا إليه. ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نفى عنهم أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين، ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب. ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الضمير في "إنها" لجهنم، و"القصر" واحد القصور وهي الديار العظام، شبه الشرر به في عظمه وفي ارتفاعه في الهواء، وقيل: هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر. ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ في الـ"جمالات" قولان؛ أحدهما: أنه جمع جمال شبه بها الشرر، و"صفر" على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة، وقيل "صفر" هنا بمعنى سود، يقال: جمل أصفر؛ أي: أسود، وهذا أليق بجهنم، الثاني: أن الـ"جمالات" قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة، وقرئ "جمالات" بضم الجيم، وهي قلوس السفن وهي حبالها العظام. ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ هذا في مواطن، وقد يتكلمون في مواطن أخر كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تعجيز لهم وتعريض بكيدهم في الدنيا وتقريع عليه. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال. ﴿هَنِيئًا﴾ نصب على الحال أو على الدعاء. ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا، وذكر الركوع عبارة عن الصلاة، وقيل: معنى "اركعوا" اخشعوا وتواضعوا لله، وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا، لا يقدرون على الركوع، كقوله: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، والأول أشهر وأظهر. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾

سورة النبأ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل "عم" عن ما ثم أدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما؛ لأنها استفهاميه تقديرها: عن أي شيء يتساءلون، وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر، والضمير في "يتساءلون" لكفار قريش أو لجميع الناس، ومعناه: يسأل بعضهم بعضا. ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك، ويتعلق "عن النبإ" بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره: يتساءلون عن النبأ، ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه كأنه لما قال: عم يتساءلون؟ أجاب فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم، وقيل: يتعلق "عن النبأ" بـ"يتساءلون" الظاهر، والمعنى على هذا: لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم؟؛ والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله "عم يتساءلون". ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في "يتساءلون" لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب، ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة، وغير ذلك، وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر. ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث؛ كأنه يقول: إن الإله الذي قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يذكرها حجة على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له. ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: مزدوجين ذكرا وأنثى، وقيل: معناه أنواعا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لكم، وقيل: معناه قطعا للأعمال والتصرف، والسبت القطع، وقيل: معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تلبس لأنه يستر عن العيون. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: تطلب فيه المعيشة فهو على حذف مضاف تقديره: ذا معاش، وقال الزمخشري: معناه يعاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السموات.

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ يعني الشمس، والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهبه. ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ يعني المطر، و"المعصرات" هي السحاب، وهو مأخوذ من العصر؛ لأن السحاب تنعصر فينزل منها الماء، أو من العصرة بمعنى الإغاثة، ومنه: ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾، وقيل: هي السموات، وقيل: الرياح، والثجاج: السريع الاندفاع. ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾ الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب، والنبات هو العشب. ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أي: ملتفة، وهو جمع لفٍّ بضم اللام، وقيل: بالكسر، وقيل: لا واحد له. ﴿ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ أي: في وقت معلوم. ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ يعني نفخة القيام من القبور. ﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ أي: جماعات. ﴿ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ أي: تنفتح فيكون فيها شقاق كالأبواب. ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴾ أي: حملت. ﴿ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها، والسراب في اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما تشبيه به في أنه لا شيء. ﴿ مِرْصَادًا ﴾ أي: موضع الرصد، والرصد هو الارتقاب والانتظار، أي: تنتظر الكفار ليدخلوها، وقيل: معناه طريقا للمؤمنين يجوزون عليها إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم. ﴿ مَآبًا ﴾ أي: مرجعا. ﴿ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ جمع حقبة أو حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل: إنها محدودة ثم اختلف في مقدارها، فروي عن النبي ﷺ: «**أنها ثلاثون ألف سنة**» [ابن أبي حاتم: 19099]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثمانون سنة، وقيل: ثلاثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى: أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية، وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ثم نسخ بقوله: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ وهذا خطأ، لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل: هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار؛ وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب. ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ أي: لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار، وقيل: لا يذوقون ماء باردا، وقيل: البرد هنا النوم؛ والأول أظهر. ﴿ إِلَّا حَمِيمًا ﴾ استثناء من الشراب وهو متصل، والحميم الماء الحار، والغساق صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة داود. ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ أي:

إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

موافقا لأعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، و"وفاقا" مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره: ذو وفاق. ﴿ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ هذا مثل: ﴿ لا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ وقد ذكر. ﴿ كِذَّابًا ﴾ بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب، وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة، وهي تكذيب بعضهم لبعض. ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية**» [ابن أبي حاتم: 19103].

﴿ مَفَازًا ﴾ أي: موضع فوز يعني الجنة. ﴿ حَدَآئِقَ ﴾ أي: بساتين. ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ جمع كاعب، وهي الجارية التي خرج ثديها. ﴿ أَتْرَابًا ﴾ أي: على سن واحد. ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ أي: ملأى، وقيل: صافية؛ والأول أشهر. ﴿ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ أي: كافيا، من أحسبه الشيء إذا كفاه، وقيل: معناه على حسب أعمالهم. ﴿ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ ﴾ بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر، وبالخفض صفة لـ﴿ رَّبِّكَ ﴾، و﴿ الرَّحْمَٰنِ ﴾ بالخفض صفة، وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمر. ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ قال ابن عطية: الضمير للكفار، أي: لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها، ويحتمل أن يكون المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله: ﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾، وقال الزمخشري: الضمير لجميع الخلق، أي: ليس بأيديهم شيء من خطاب الله. ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ قيل: هو جبريل، وقيل: ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا، وقيل: يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس، و"يوم" يتعلق بـ"لا يملكون" أو "لا يتكلمون". ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ الضمير للملائكة والروح، أي: تمنعهم الهيبة من الكلام إلا بعد أن يأذن الله لهم، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا، وقيل: الضمير للناس خاصة، والصواب المشار إليه قول: لا إله إلا الله؛ أي: من قالها في الدنيا. ﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ أي: الحق وجوده ووقوعه. ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾ تحضيض وترغيب. ﴿ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعني عذاب الآخرة، ووصفه بالقرب؛ لأن كل آت قريب، أو لأن الدنيا على آخرها. ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾

وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

"المرء" هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الكافر؛ والعموم أحسن؛ لأن كل واحد يرى ما عمل لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية، و﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابا؛ أي: لم يخلق، وروي أن البهائم تحشر ليُقتص لبعضها من بعض ثم ترد ترابا؛ فيتمنى الكافر أن يكون مثلها، وهذا يقوي الأول، وقيل "الكافر" هنا إبليس يتمنى أن يكون يوم القيامة من تراب مثل آدم وذريته لما رأى من ثوابهم، وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

سورة النازعات

اختلف في معنى ﴿النَّازِعَاتِ﴾ و﴿النَّاشِطَاتِ﴾ و﴿السَّابِحَاتِ﴾ و﴿السَّابِقَاتِ﴾ و﴿الْمُدَبِّرَاتِ﴾؛ فقيل: إنها الملائكة، وقيل: النجوم؛ فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها، وناشطات لأنهم ينشطونها؛ أي: يخرجونها، فهو من قولك: نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها، وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم؛ أي: يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله، وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب، وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج، وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، فتسبق في جريها فتدبر أمرا من علم الحساب، وقال ابن عطية: لا أعلم خلافا أن ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ملائكة، وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا، وقد قيل في "النازعات" و"الناشطات" أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل: في "السابحات" و"السابقات" أنها الخيل، وأنها السفن.

﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا إن "النازعات" الملائكة ففي معنى "غرقا" وجهان؛ أحدهما: أنه من الغرق؛ أي: تُغرق الكفار في جهنم، والآخر: أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه؛ أي: تبالغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاصي الأجساد، وإن قلنا: إن "النازعات" النجوم فهو من الإغراق بمعنى المبالغة؛ أي: تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق؛ أي: تَغرق في الخروج من الجسد، وإعراب "غرقا" مصدر في موضع الحال، و﴿نَشْطًا﴾ و﴿سَبْحًا﴾ و﴿سَبْقًا﴾ مصادر، و"أمرا" مفعول به وجواب القسم محذوف: وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل: الجواب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل: هو ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾،

يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ إِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾

وهذا بعيد لبعده عن القسم؛ ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم. ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتۡبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل "الراجفة" النفخة الأولى في الصور، و"الرادفة" النفخة الثانية لأنها تتبعها، ولذلك سماها "رادفة" من قولك: ردفت الشيء إذا تبعته، وفي الحديث: «**أن بينهما أربعين عاما**» [الطبري: 24/ 191]، وقيل "الراجفة" الموت، و"الرادفة" القيامة؛ وقيل "الراجفة" الأرض، من قوله: ﴿تَرۡجُفُ الأَرۡضُ وَالۡجِبَالُ﴾، و"الرادفة" السماء لأنها تنشق يومئذ، والعامل في "يوم ترجف" محذوف وهو الجواب المقدر تقديره: لتبعثن يوم ترجف الراجفة، وإن جعلنا "يوم ترجف" الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، ويكون ﴿تَتۡبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال، ويحتمل أن يكون العامل فيه "تتبعها". ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنى واحد، وارتفع "قلوب" بالابتداء و"واجفة" خبره، وقال الزمخشري "واجفة" صفة، والخبر "ابصارها خاشعة". ﴿أَبۡصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ كناية عن الذل والخوف، وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوب أصحابها. ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي الۡحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا، ومعناه على الجملة: إنكار البعث، فالهمزة في قوله "أءنا لمردودون" للإنكار، ولذلك اتفق القراء على قراءته بهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من حققها، واختلفوا في "إذا كنا عظاما" فمنهم من قرأه بهمزة واحدة؛ لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيدا للإنكار المتقدم، ثم اختلف في معنى "الحافرة" على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها الحالة الأولى يقال: رجع فلان في حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى؛ فالمعنى: أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت، والآخر: أن "الحافرة" الأرض بمعنى محفورة؛ فالمعنى: أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور، والثالث: أن "الحافرة" النار، والعظام النخرة البالية المتفتتة، وقرئ "ناخرة" بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد، إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فَعِل أبلغ من فاعل، وقيل: معناه العظام المجوفة التي تمر بها الريح فيسمع لها نخير، والعامل في "إذا كنا" محذوف تقديره: إذا كنا عظاما نبعث، ويحتمل أن يكون العامل فيه "مردودون في الحافرة" ولكن إنما يجوز هذا على قراءة "إذا كنا" بهمزة واحدة على الخبر، ولا يجوز على قراءته بهمزتين؛ لأن همزة الاستفهام لا يَعمل ما قبلها فيما بعدها. ﴿قَالُوا تِلۡكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الـ"كرة" الرجعة، والـ"خاسرة" منسوبة إلى الخسران كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها، ومعنى هذا الكلام: أنهم قالوا إن كان البعث حقا فكرَّتنا خاسرة لأنا ندخل النار. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني النفخة في الصور للقيام من القبور،

فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾

وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب على الله بل هو عليه يسير؛ فإنما ينفخ في الصور نفخة واحدة فيقوم الناس من قبورهم. ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ "إذا" هنا فجائية، و"الساهرة" وجه الأرض، والباء ظرفية، والمعنى: إذا نفخ في الصور حصلوا في الأرض أسرع شيء. ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام. ﴿ طُوًى ﴾ ذكر في طه. ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ تفسير للنداء. ﴿ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴾ أي: تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم "تزكى" تُسلم، وقيل: تقول لا إله إلا الله؛ والأول أعم. ﴿ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وجعلهما واحدة لأن الثانية تبع للأولى، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها. ﴿ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾ الإدبار كناية عن إعراضه عن الإيمان، و"يسعى" عبارة عن جده في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام، وقيل: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا. ﴿ فَحَشَرَ ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته. ﴿ فَنَادَى ﴾ أي: نادى قومه وقال لهم ما قال، ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم؛ والأول أظهر، وقد روي أنه قام فيهم خطيبا فقال ما قال. ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ الـ"نكال" مصدر بمعنى التنكيل، والعامل فيه "أخذه الله" لأنه بمعناه، وقيل: العامل فيه محذوف، و"الاخرة" هي دار الآخرة، و"الاولى" الدنيا؛ فالمعنى: نكال الآخرة بالنار ونكال الدنيا بالغرق، وقيل "الاخرة" قوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾، و"الاولى" قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾، وقيل: بالعكس؛ فالمعنى: أخذه الله وعاقبه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى. ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾ هذا توقيف قُصد به الاستدلال على البعث؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها. ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ السمك غلظ السماء؛ وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، ومعنى رفعِه: أنه جعله مسيرة خمسمائة عام، وقيل: السمك السقف. ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أي: أتقن خلقتها، وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض. ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي: جعله مظلما، يقال: غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله. ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي: أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى،

وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث هما ظاهران منها وفيها. ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَآ﴾ أي: بسطها، واستدل بهذا من قال: إن الأرض بسيطة غير كروية، وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ﴾. ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها، فإن قيل: لما قال "أخرج" بغير حرف العطف؛ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال أو تفسير لما قبلها قاله الزمخشري. ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي: أثبتها، ونُصب "الجبال" بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، وكذلك "الارض". ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكل ما ذكر. ﴿الطَّامَّةُ﴾ هي القيامة، وقيل: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طم الأمر إذا علا وغلب. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ أي: أُظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد. ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ذكر في سورة الرحمن. ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي: ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة. قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه، وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين. ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَآ﴾ أي: من ذكر زمانها، والمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة كثيرا، فلما نزلت هذه الآية انتهى [المستدرك: 7]. ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾ أي: منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ أي: إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها، وخص الإنذار بـ"من يخشاها" لأنه هو الذي ينفعه الإنذار. ﴿لَمْ يَلْبَثُوآ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم، وأضاف الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما في يوم واحد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة؛ أن رسول الله ﷺ كان حريصا على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو يوما مع رجل من عظمائهم، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس رضي الله عنه: كانوا جماعة، إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم لتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى لكلامه فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ فنزلت الآية، فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه بعد ذلك يقول: «**مرحبا بمن عاتبني فيه ربي**»، ويبسط له رداءه [الفردوس: 6510]، وقد استخلفه على المدينة مرتين [المختارة: 2501]. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي: عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه، قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض، وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار، وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب؛ وهذا أحسن. ﴿أَن جَآءَهُ الأَعْمَى﴾ في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ"تولى" أو "عبس"، وذكر ابن أم مكتوم رضي الله عنه بلفظ "الاعمى" ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره، وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو شهر صاحبها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وشبه ذلك. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يطلعك على حال هذا الأعمى. ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ أي: يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك. ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أي: تتعرض للغني رجاء أن يسلم. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ أي: لا حرج عليك إذ ألا يتزكى هذا الغني. ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَى﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، ومعنى "يسعى" يسرع في مشيه من حرصه على طلب الخير. ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ أي: يخشى الله أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك، وقيل: جاء وليس معه من يقوده فكان يخشى أن يقع؛ وهذا ضعيف. ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي: تشتغل عنه بغيره من قولك: لهيت عن الشيء إذا تركته، وروي أن رسول الله ﷺ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغني، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن هذا

فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي ﷺ، والآخر: أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثَر فيه أحد على أحد؛ وهذا أرجح لأنه يناسبه ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وما بعده، وأنث الضمير في قوله "إنها تذكرة" على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة، وذكره في قوله "فمن شاء ذكره" على معنى الوعظ أو الذكر أو القرآن. ﴿فِي صُحُفٖ﴾ صفة لـ"تذكرة" أي: ثابتة في "صحف" وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ، وقيل: هي مصاحف المسلمين. ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ إن كانت الـ"صحف" المصاحف فمعناه: مرفوعة المقدار، وإن كانت "صحف" الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة في السماء، و ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ أي: منزهة عن أيدي الشياطين. ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ هم الملائكة، والـ"سفرة" جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف، وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده، وقيل: يعني القراء من الناس؛ والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**» [مسلم: 798]؛ أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم. ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه: تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل: معناه لعن. وهو بعيد. ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ تعجب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك. ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعني المني، ومقصد الكلام تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه. ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: هيأه لما يصلح له، ومنه ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، وقيل: معناه جعله على مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك. ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ نُصب "السبيل" بفعل مضمر فسره "يسره" وفي معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: يسره سبيل خروجه من بطن أمه، والآخر: أنه سبيل الخير والشر كقوله ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، الثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان. والأول أرجح لعطفه على قوله "من نطفة خلقه فقدره"؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ أي: جعله ذا قبر، يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبرته إذا أمرت أن يدفن. ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: بعثه من قبره، يقال: نشر الميت إذا قام وأنشره الله، والإشارة بـ"إذا شاء" ليوم القيامة؛ أي: الوقت الذي قدر أن ينشره فيه. ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه. ﴿لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي: لم يقض

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم: لا يقضي أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفريط. ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته؟ فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح له معصيته والكفر به، وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه؛ والأول أشهر وأظهر في معنى الآية على أن القول الثاني صحيح، وانظر كيف فسره بقوله ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، وما بعده ليعدد النعم ويظهر القدرة، وقرئ "أنا صببنا" بفتح الهمزة على البدل من الطعام. ﴿شَقَقْنَا الأَرْضَ﴾ يعني بخروج النبات منها. ﴿حَبًّا﴾ يعني القمح والشعير وسائر الحبوب. ﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفصفصة، وقيل: علف البهائم؛ واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا. ﴿غُلْبًا﴾ أي: غليظة ناعمة. ﴿وَأَبًّا﴾ الأب المرعى عند ابن عباس ﷺ والجمهور، وقيل: التبن، وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر ﷺ. ﴿الصَّاخَّةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته، وقيل: هو من قولك: أصاخ للحديث إذا استمعه. والأول هو الموافق للاشتقاق. ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية، ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيب الحُنُو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل ما تقدم ذكره، وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه، وقيل: إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات؛ والأول أرجح وأظهر لقوله ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ: نفسي نفسي. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مضيئة من السرور، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء. ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار والـ﴿قَتَرَة﴾ أيضا الغبار، فقال ابن عطية: الـ"غبرة" من العبوس والكرب كما يعتري وجه المهموم والمريض، والـ"قترة" هي غبار الأرض، وقال الزمخشري: الـ"غبرة" غبار يعلوها، والـ"قترة" سواد، فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

سورة التكوير

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير. ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ابن عباس ﷺ: ذهب ضوؤها فأظلمت، وقيل: رمي بها، وقيل: اضمحلت، وأصله من تكوير العمامة؛ لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي: تساقطت من مواضعها، وقيل: تغيرت. والأول أرجح؛ لأنه موافق لقوله ﴿إِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾، وروي أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: حملت وبعد ذلك تُفتَّتُ فتصير هباء ثم تتلاشى. ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ "العشار" جمع عشراء؛ وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول، وتعطيلها هو تركها مسيبة، أو ترك حلبها. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت، وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها تحشر؛ أي: تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا، والآخر: أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس ﷺ، وقال: إنها لا تبعث وإنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن، والثالث: أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفر في الأرض فذلك حشرها. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا، والآخر: ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار، والثالث: فرغت من مائها ويبست، وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها؛ فالقول الأول والثاني أليق بالأصل، والأول والثالث موافق لقوله ﴿فُجِّرَتْ﴾. ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع، فالمعنى: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن، والآخر: زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين، والثالث: زوجت الأرواح والأجساد؛ أي: ردت إليها عند البعث؛ والأول هو الأرجح؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وابن عباس ﷺ. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ "الموؤودة" هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة "بأي ذنب قتلت" على وجه التوبيخ لقاتلها، وقرأ ابن عباس ﷺ "وإذا الموءودة سَأَلت" بفتح السين والهمزة، "بأي ذنب قُتِلْتُ" بضم القاف وسكون اللام وضم التاء، واستدل ابن عباس ﷺ بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم. ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ هي صحف الأعمال تنشر

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾

ليقرأ كل واحد كتابه، وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء. ﴿ وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ، وكشط السماء هو طيها كطي السجل قاله ابن عطية، وقيل: معناه كشفت؛ وهذا أليق بالكشط. ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أي: أوقدت وأحميت. ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أي: قربت. ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ هذا جواب "إذا" المكررة في المواضع قبل هذا، ومعناه: علمت كل نفس ما أحضرت من عمل، فلفظ الـ"نفس" مفرد يراد به الجنس والعموم، قال ابن عطية: إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها، وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، ومعناه: التكثير، وكذلك هنا معناه أعم الجموع، و﴿ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ عبارة عن الحسنات والسيآت. ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ ذكرت نظائره. ﴿ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ يعني الدراري السبعة؛ وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري، وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها؛ أي: تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا، وهي جواري في الفلك، وهي تنكس في أبراجها؛ أي: تستتر، وهو مشتق من قولك: كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه، وقيل: يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس، وقيل: يعني النجوم كلها؛ لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار؛ أي: تستتر وتخفى بضوء الشمس، وقيل: يعني بقر الوحش فـ"الخنس" على هذا من خنس الأنف، و"الكُنس" من سكناها في كناسها. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ يقال: عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام، فقيل: ذلك في أوله، وقيل: في آخره؛ وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل، ولأنه أعقبه بقوله ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي: استطار واتسع ضوؤه. ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ الضمير للقرآن، والرسول الكريم جبريل، وقيل: محمد صلى الله عليهما وسلم، قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا: إن محمدا قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟! وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه؛ لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله، وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم؛ لأنه قد يضاف إلى محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس؛ ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾، وقد وُصف جبريل بهذا في قوله ﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ ﴾. ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ ﴾ يتعلق بـ"ذي قوة"، وقيل بـ﴿ مَكِينٍ ﴾ وهذا أظهر، والمكين الذي له مكانة؛ أي: جاه وتقريب. ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله؛

وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

وهو "عند ذي العرش" أي: مطاع في ملائكة ذي العرش. ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد ﷺ باتفاق. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل لمحمد ﷺ وضمير المفعول لجبريل عليه السلام، وهذه الرؤية هي رؤيته له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض، وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء، ووصف هذا "الافق" بـ"المبين" لأنه روي أنه كان في الشرق حيث تطلع الشمس، وأيضا فكل أفق فهو مبين. ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل؛ أي: لا يبخل بأداء ما ألقي إليه من الغيب وهو الوحي، ومن قرأ بالظاء المشالة فمعناه متهم؛ أي: لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه؛ ورجح بعضهم هذه القراءة؛ لأن الكفار لم ينسبوا رسول الله ﷺ إلى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه ذلك. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش، أي: ليس لكم زوال عن هذه الحقائق، وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم.

سورة الانفطار

﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت. ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ أي: سقطت من مواضعها. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: فرغت، وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلطت. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: نبشت عن الموتى الذين فيها، وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس بجميع أعمالها، وقيل: "ما قدمت" في حياتها وما "أخرت" مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها، وأفردت الـ"نفس" والمراد بها العموم حسبما ذكرنا في التكوير. ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ﴾ خطاب لجنس بني آدم. ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب، ومعناه: أي شيء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه، فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ "ما غرك بربك الكريم"، فقال: «غره جهله وحمقه»، وقرأ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الثعالبي 10/ 146]، وقيل: غره

ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

الشيطان المسلط عليه، وقيل: غره ستر الله عليه، وقيل: غره طمعه في عفو الله عنه؛ ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد منها مما يغر الإنسان، إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين، فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب: أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر بالنعمة وأضاع الشكر الواجب. ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ بالتشديد والتخفيف، عدل أعضاءك وجعلها متوازنة، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، وشبه ذلك من الموازنة. ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ المجرور يتعلق بـ"ركبك" و"ما" زائدة، والمعنى: ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلا في أي صورة، وقيل: يتعلق بـ"عدلك" على أن يكون بمعنى صرفك، أي: صرفك إلى أي صورة شاء، وهذا بعيد، ولا يتمكن إلا مع قراءة "عدلك" بالتخفيف. ﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل أو التكذيب المذكور بعد. ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ هذا خطاب للكفار، و"الدين" هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم. ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب، فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك، وقيل: إن الملك يجد لها ريحا يدركها به. ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع. ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها، والآخر: لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا. ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ تعظيم له وتهويل، وكرره للتأكيد، والمعنى: أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته. ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ أي: لا يقدر أحد على منفعة أحد، وقرئ "يوم" بالرفع على البدل من "يوم الدين" أو على إضمار مبتدأ، وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره: يجاوزون يوم الدين، أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره: اذكر، ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في موضع رفع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

سورة المطففين

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ التطفيف في اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية، وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس، وهو الأظهر؛ لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره، وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له: أبو جهينة، له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص؛ فالسورة على هذا مدنية، وقيل: إنها مكية لذكر "أساطير الأولين"، وقيل: نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة. ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ معنى "اكتالوا على الناس": قبضوا منهم بالكيل، فـ"على" بمعنى من، وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم، ويجوز أن يتعلق "على الناس" بـ"يستوفون" وقدم المعمول لإفادة التخصيص. ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ معنى "يخسرون": ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال: خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، و"كالوهم" معناه: كالوا لهم، و"وزنوهم" معناه: وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جر، يقال: كِلتك وكلت لك، ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد، وحذف المفعول الثاني وهو المكيل والموزون، والواو التي هي ضمير الفاعل "للمطففين"، و"هم" الذي هو ضمير المفعول لـ"لناس" فالمعنى: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يُخسرونهم حقوقهم، وقيل: إن "هم" في قوله "كالوهم أو وزنوهم" تأكيد للضمير الفاعل، وقد روي عن حمزة أنه كان يقف على "كالوا" و"وزنوا" ثم يبتدئ بـ"هم" ليبين هذا المعنى؛ وهو ضعيف من وجهين؛ أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في "كالوا" و"وزنوا" فدل ذلك على أن "هم" ضمير المفعول، والآخر: أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أن "اكتالوا على الناس" معناه: قبضوا منهم، و"كالوهم" و"وزنوهم" معناه: دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود، قال ابن عطية: ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائع وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة، وقوله "وإذا كالوهم أو وزنوهم" في البائعين فهم الذين يُخسرون المشتري. ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم،

يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾

وكان عبد الله بن عمر ﷺ إذا مر بالبائع يقول له: اتق الله وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن. ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الظرف منصوب بقوله "مبعوثون"، وقيل: بفعل مضمر أو بدل من "يوم عظيم"، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم؛ فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة، وأقل من ذلك حتى إن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة. ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام. ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ "كتاب الفجار" هو ما يكتب من أعمالهم، و"الفجار" هنا يحتمل أن يراد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين؛ والأول أظهر لقوله بعد هذا ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾، و"سجين" اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظم الله أمره بقوله ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ثم فسره بأنه ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أي: مسطور بيِّنُ الكتابة، وهو كتاب جامع تكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار، وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ: «**أنه في الأرض السفلى**» [تهذيب الآثار: 719]، وروي عنه أيضا «**أنه في بئر هناك**» [الطبري: 30/ 96]، وحكى كعب ﷺ عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار في سجين؛ أي: كتبوا هنالك في الأزل. ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ قد ذكر. ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي، وفي الحديث: «**أن العبد إذا أذنب ذنبا صار نكتة سوداء في قلبه، فإن زاد ذنبا آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين**» [المستدرك: 6]. ﴿ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ حجب الكفار عن الله دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه، وقد استدل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمنين لله في الآخرة، وتأولها المعتزلة أن معناها: يحجبون عن رحمته. ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ "عليون" اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمع منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه الله بقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾، ثم فسره بقوله ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ وهو مشتق من العلو؛

يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي، فقد روي عن النبي ﷺ: «**أنه تحت العرش**» [تهذيب الآثار: 723]، وقال ابن عباس ﵁ هو الجنة، وارتفع "كتاب مرقوم" في الموضعين على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: هو كتاب، وقال ابن عطية "كتاب مرقوم" خبر "إن" والظرف ملغي، وهذا تكليف يفسد به المعنى، وقد روي في الأثر ما يفسر الآية وهو «**أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضيه الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين**» [العظمة: 520]. ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ يعني الملائكة المقربين. ﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ قد ذكر. ﴿يَنظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينظرون إلى أعدائهم في النار**»، وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها. ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: بهجته ورونقه كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية، والخطاب في "تعرف" للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين. ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ الـ"رحيق" الخمر الصافية، والـ"مختوم" قد فسره الله بأن ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾، وقرئ "ختامه" بألف بعد التاء و"خاتَمه" بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها، وفي معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه من الختم على الشيء بمعنى جعل الطابع عليه، فالمعنى: أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها، الثاني: أنه من ختم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته، الثالث: أن معناه مزاجه مسك، أي: يمزج الشراب بالمسك؛ وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ التنافس في الشيء هو الرغبة فيه والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه. ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ "تسنيم" اسم علم لعين في الجنة يشرب منه المقربون صرفا، ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون والأبرار أصحاب اليمين. ﴿عَيۡنٗا﴾ منصوب على المدح بفعل مضمر أو على الحال من "تسنيم". ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ بمعنى يشربها فالباء زائدة، ويحتمل أن تكون بمعنى: يشرب منها، أو كقولك: شربت الماء بالعسل. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش كأبي جهل وغيره، مر بهم علي بن أبي طالب ﵁ وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ معنى "يتغامزون" يغمز بعضهم لبعض ويشير بعينيه، والضمير في "مروا" يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار، والضمير في "يتغامزون" للكفار لا غير.

وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾

﴿ فَاكِهِينَ ﴾ من الفكاهة، وهي اللهو، أي: يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم قاله الزمخشري، ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا. ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أي: إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل: إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ أي: ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم، فكأنه قال: كلامهم بالمؤمنين فضول منهم. ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ يعني بـ"اليوم" يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم في الدنيا. ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ معنى "ثوب" جوزي، يقال: ثوبه وأثابه إذا جازاه، وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع معمول "ينظرون" فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفا فيوقف قبلها، ويكون معمول "ينظرون" محذوفا حسبما ذكرنا في "ينظرون" الذي قبل هذا؛ وهذا أرجح لاتفاق الموضعين.

سورة الانشقاق

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا؟ وجواب "إذا" محذوف ليكون أبلغ في التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره، أو حذف للعلم به اكتفاء بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب، وقيل: الجواب ما دل عليه ﴿ فَمُلَاقِيهِ ﴾ أي: إذا السماء انشقت لقي الإنسان ربه، وقيل: الجواب "أذنت" على زيادة الواو؛ وهذا ضعيف. ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ معنى "أذنت" في اللغة استمعت، وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت إليه حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: حق لها أن تسمع وتطيع لربها، أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة، وهذه الكلمة من قولهم: هو حقيق بكذا أو محقوق به؛ أي: يجب عليه أن يفعله؛ فالمعنى: يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تنشق، ويحتمل أن يكون أصله حَقُقت بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء. ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أي: زال ما عليها

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾

من الجبال حتى صارت مستوية. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقت ما في جوفها من الموتى فخرجوا للحشر، وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة، "وتخلت" أي: بقيت خالية مما كان فيها. ﴿يَآ أَيُّهَا الإِنسَانُ﴾ خطاب للجنس. ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة؛ فالمعنى: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك؛ لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي ربك، وقيل: المعنى إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر، ثم تلقى ربك فيجازيك به، والأول أظهر؛ لأن "كادحا" تعدى بـ"إلى" لما تضمن معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: لربك. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ذكر في الحاقة. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل، أو بمعنى هين سهل، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عذب**»، فقالت عائشة رضي الله عنها: ألم يقل الله "فسوف يحاسب حسابا يسيرا"؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وأما من نوقش الحساب فيهلك**» [البخاري: 103]، وفي الحديث أيضا عن رسول الله ﷺ: «**إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه، فيقول: فعلت كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**» [البخاري: 2309]، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**من حاسب نفسه في الدنيا هون الله حسابه يوم القيامة**» [الثعالبي: 4/ 227]. ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا بما أعطاه الله، والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين، ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشري. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ﴾ يعني الكافر، وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد رضي الله عنه، وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين. ولفظها أعم من ذلك، فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتى كتابه وراء ظهره، وقال في الحاقة ﴿بِشِمَالِهِ﴾؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه، وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه. ﴿يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ أي: يصيح بالويل والثبور. ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: كان في الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة، وهذا في مقابلة ما حكي عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله في الجنة مسرورا. ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

﴿بَلَىٰ﴾ أي: يحور ويبعث. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره. ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله. وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة. ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جمع وضم، ومنه الوسق، وذلك أن الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: إذا كمُل ليلة أربعة عشر، ووزن "اتسق" افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا، وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم لالتزام السين قبل القاف في "وسق" و"اتسق". ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الـ"طبق" في اللغة له معنيان؛ أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبق لهذا إذا طابقه، والآخر: جمع طبقة، فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى، وعلى الثاني: يكون المعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات بعضها فوق بعض، ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال وفي قراءة "تركبن"، فأما من قرأه بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء، والآخر: أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا إلى أن يهرم ثم إلى أن يموت، والثالث: لتركبن سنن من كان قبلكم، وأما من قرأ "تركبن" بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال؛ أحدها: لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال، والآخر: لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شيء، والآخر: لتركبن السموات في الإسراء سماء بعد سماء، وقوله "عن طبق" في موضع الصفة لـ"طبقا"، أو في موضع حال من الضمير في "تركبن" قاله الزمخشري. ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان. ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره؛ لأن النبي ﷺ سجد فيها [البخاري: 766]، وليست عند مالك من عزائم السجدات. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمر ليصفهم بالكفر. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب، أو بما يجمعون في صحائفهم من الأعمال القبيحة، يقال: أوعيت المال وغيره إذا جمعته. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة موضع النذارة تهكما بهم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار؛ فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية، وقال الزمخشري: هو منقطع. ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)

سورة البروج

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ "البروج" هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر تقطعها الشمس في سنة، وقيل: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرج، أي: تظهر. ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ [الترمذي: 3339]. ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ يحتمل الـ"شاهد" والـ"مشهود" أن يكون من الشهادة على الأمر، أو يكون من معنى الحضور، وحذف المعمول وتقديره: مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه، وقد اضطرب الناس في تفسير الـ"شاهد" والـ"مشهود" اضطرابا عظيما، وتلخص من أقوالهم في الـ"شاهد" ستة عشر قولا تقابلها في الـ"مشهود" اثنان وثلاثون قولا؛ القول الأول: أن الـ"شاهد" هو الله تعالى لقوله ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾، والـ"مشهود" على هذا يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم، والآخر: أن يكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها، والثالث: أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه؛ أي: يحضر للحساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة على الناس، القول الثاني: أن الـ"شاهد" محمد ﷺ لقوله ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، والـ"مشهود" على هذا يحتمل أن يكون أمته؛ لأنه يشهد عليهم، أو أعمالهم؛ لأنه يشهد بها، أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه، أي: يحضر، أو تقع فيه الشهادة على الأمة، القول الثالث: أن الـ"شاهد" أمة محمد ﷺ لقوله ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، والـ"مشهود" على هذا سائر الأمم؛ لأنهم يشهدون عليهم، أو أعمالهم، أو يوم القيامة، القول الرابع: أن الـ"شاهد" عيسى عليه السلام، والـ"مشهود" أمته لقوله ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أو أعمالهم، أو يوم القيامة، القول الخامس: أن الـ"شاهد" جميع الأنبياء، والـ"مشهود" أممهم؛ لأن كل نبي يشهد على أمته، أو يشهد بأعمالهم، أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه، القول السادس: أن الـ"شاهد" الملائكة الحفظة، والـ"مشهود" على هذا الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم، أو الأعمال؛ لأن الملائكة يشهدون بها، أو يوم القيامة، أو صلاة الصبح لقوله ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، القول السابع: أن الـ"شاهد" جميع الناس لأنهم يشهدون يوم القيامة؛ أي: يحضرونها، والـ"مشهود" يوم القيامة لقوله ﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾، القول الثامن: أن الـ"شاهد" الجوارح، والـ"مشهود" عليه أصحابها لقوله ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾، أو الأعمال؛ لأن الجوارح تشهد بها، أو يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه، القول التاسع: أن الـ"شاهد" الله والملائكة وأولوا العلم لقوله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾، والـ"مشهود" به الوحدانية، القول العاشر: أن الـ"شاهد" جميع المخلوقات، والـ"مشهود" به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك، القول الحادي عشر: أن الـ"شاهد" النجم لما ورد في الحديث: «**لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم**» [مسلم: 830]،

قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾

والـ"مشهود" على هذا الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل، القول الثاني عشر: أن الـ"شاهد" الحجر الأسود، والـ"مشهود" الناس الذين يحجون، القول الثالث عشر: روي عن النبي ﷺ: «**أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة**» [الطبراني: 3458]؛ وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال، ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس، القول الرابع عشر: أن الـ"شاهد" يوم عرفة، والـ"مشهود" يوم النحر قاله علي ابن أبي طالب ﷺ، القول الخامس عشر: أن الـ"شاهد" يوم التروية، والـ"مشهود" يوم عرفة، القول السادس عشر: أن الـ"شاهد" يوم الاثنين، والـ"مشهود" يوم الجمعة. ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول؛ الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال؛ أحدها: أنه قوله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وثانيها: أنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ﴾ وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب، وثالثها: أنه ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ تقديره: لقد قتل، ورابعها: أنه محذوف يدل عليه "قتل أصحاب الاخدود"، وتقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الاخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الاخدود وعيدا للكفار وتأنيسا للمسلمين المعذَّبين، الفصل الثاني: في تفسير لفظها؛ فأما "قتل" فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟ واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن؟ وأما "الاخدود" فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه، وأما "أصحاب الأخدود" فيحتمل أن يريد به الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد به المؤمنين الذين حرقوا فيه؛ فيكون القتل حقيقة خبرا. والأول أظهر. الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود، وفيها أربعة أقوال؛ الأول: ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: «**أن ملكا كافرا أسلم أهل بلاده، فأمر بالأخدود فخد في أفواه السكك وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق**» [مسلم: 3005]، القول الثاني: أن ملكا زنى بأخته، ثم أراد أن يحل للناس نكاح الأخوات، فأطاعه قوم، ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار، القول الثالث: أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود، القول الرابع: أن صاحب الأخدود ذو نواس المذكور في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ فيتفق هذا القول مع الأول؛ فإن ذا نواس حفر أخدودا وأوقد فيه نيرانا، وألقى فيها كل من وحد الله تعالى، واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر. ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ "النار" بدل من "الاخدود" وهو بدل اشتمال، و"الوقود" ما توقد به النار، والقصد وصف النار بالشدة والعظمة. ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في "إذ" قوله "قتل"

وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل: سبعين ألفا، فـ"قتل" على هذا بمعنى لعن؛ أي: لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين، وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم، وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها، فـ"قتل" على هذا بمعنى القتل الحقيقي؛ أي: قتلتهم النار، وقيل: الضمير في "إذ" هم للمؤمنين؛ والأول أظهر وأشهر لقوله "وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود". ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُومِنِينَ شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة؛ أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق، أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة، أو يكون بمعنى الحضور؛ أي: كانوا حاضرين على ذلك الفعل. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمُ إِلَّآ أَن يُومِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن ينكر، فإن قيل: لم قال "أن يومنوا" بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم؛ فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أن يدوموا على الإيمان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق، وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب؛ وهذا أظهر لقوله ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب، وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حين كفره كقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» [أحمد: 17812]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يريد في الآخرة، فيكون تأكيدا لعذاب جهنم، أو نوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم، ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار. ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش هو الأخذ بسرعة وقوة. ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث، وقيل: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبطش بهم في الدنيا والآخرة. والأول أظهر وأرجح لقوله ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وقد ذكرنا ﴿الْوَدُودُ﴾ في اللغات. ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ أضاف "العرش" إلى الله

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾

وخصه بالذكر؛ لأن "العرش" أعظم المخلوقات، و"المجيد" من المجد وهو الشرف ورفعة القدر، وقرئ "المجيد" بالرفع صفة لـ"ذو العرش" وبالخفض صفة لـ"لعرش". ﴿هَلۡ أَتَاكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر، والمقصود بذكر ﴿ٱلۡجُنُودِ﴾ تهديد الكفار وتأنيس النبي ﷺ. ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ تهديد لهم، معناه: لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء. ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ يعني اللوح المحفوظ الذي في السماء، وقرئ "محفوظ" بالخفض صفة لـ"لوح"، وبالرفع صفة لـ"لقرآن"، أي: حفظه الله من التبديل والتغيير، أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

سورة الطارق

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ هذه "السماء" التي أقسم الله بها هي المعروفة، وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء. وهذا بعيد. "والطارق" في اللغة ما يطرق؛ أي: يجيء ليلا، وقد فسره الله هنا بأنه ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ وهو يطلع ليلا، ومعنى "الثاقب" المضيء أو المرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زحل؛ لأنه أرفع النجوم إذ هو في السماء السابعة. ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه عند الجمهور: أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعني الملائكة الحفظة، وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «**أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين**» [الطبراني: 7704]، وإن صح هذا الحديث فهو المعول عليه، وقرئ "لما عليها" بتخفيف الميم، وعلى هذا تكون "إن" مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد، و"ما" زائدة، وقرئ "لما" بالتشديد وعلى هذا تكون "إن" نافية و"لما" بمعنى الإيجاب بعد النفي.
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف "ما" لأنها استفهامية وجوابها ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾، وسمي المني ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع، فقيل: معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، وقال سيبويه: هو على النسب؛ أي: ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقا؛ لأن بعضه يدفع بعضا، ومقصود الآية إثبات

يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣

الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده، ووجه اتصال هـذا الكلام بما قبله، أنه لما أخبر أن على كل نفس حافظـا يحفظ أعمالها، أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها. ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ الضمير في "يخرج" لـ"الماء"، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون لـ"الإنسـان"؛ وهذا بعيد جدا، "والترائب" عظام الصـدر واحدها تريبة، وقيل: هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: هي عصارة القلب ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسـفل الصلب؛ والأول هـو الصحيـح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس ﷺ: هي موضع القـلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلـب الرجـل وترائبه وصلب المـرأة وترائبها، وقيل: أراد صلـب الرجل وترائب المرأة. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَـادِرٌ﴾ الضمير في "إنه" لله تعالى وفي رجعه لـ"لإنسـان"، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسـان حيا بعد موته، والمراد إثبات البعث، وقيل: إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة، وقيل: رده من الكبر إلى الشباب، وقيل: الضمير في "رجعه" للماء الدافق، والمعنى: رده في الإحليل أو في الصلب؛ وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشـهور. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ﴾ يعني يوم القيامة، و"السرائر" جمع سريرة؛ وهي ما أسر العبد في قلبـه من العقائد والعزائم والنيات وما أخفى من الأعـمال، وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها، وروي عـن النبي ﷺ: «**أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسـل من الجنابة**» [شعب الإيمان: 2751]، وهذه معظمها، فلذلـك خصها بالذكر، والعامـل في "يوم" قوله "رجعه"؛ أي: يرجعه يوم تبـلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما، وأجيب بقوة المصدر في العمل، وقيل: العامل "قادر" واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم؛ وهذا لا يلـزم لأن القـدرة وإن كانـت مطلقة فقد أخـبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليـوم، وقال من احترز من الاعتراضـين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديـره: يرجعه يوم تبلى السرائر؛ وهذا كله على المعنى الصحيح في "رجعه"، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في "يوم" مضمر تقديره: اذكر. ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير لـ"لإنسان"، ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له، أخبر الله أنه يعدمهما يوم القيامة. ﴿وَالسَّـمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بـ"الرجع" عند الجمهور المطر، وسماه رجعا بالمصدر؛ لأنـه يرجع كل عـام أو لأنه يرجع إلى الأرض، وقيل: "الرجع" السـحاب الذي فيه المطـر، وقيل: هو مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من منزلة إلى منزلة. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات، وقيل: يعني ما في الأرض من الشـقاق والخنادق وشـبهها. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الضمير للقرآن؛

وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾

لأن سياق الكلام يقتضيه، والـ"فصل" معناه: الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له: فرقان، و ﴿الْهَزْلِ﴾ اللهـو، يعني أنه جد كلـه. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش، وكيدهم هو ما دبروا في شـأن رسول الله ﷺ من الإضرار به وإبطال أمره. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية العقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين. ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم؛ وهذا منسوخ بالسيف. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي: إمهالا يسيرا قليلا، يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة، وجعلَه يسيرا لأن كل آت قريـب، ولفظ "رويدا" هنا صفـة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتماهـل كقولك: رويدا يا فلان، وكرر الأمر في قولهم: "أمهلهم"، وخالف بينه وبين لفظ "مهل" لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري.

سورة الأعلى جل جلاله

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ التسـبيح في اللغة التنزيه، وذكر الـ"اسم" هنا يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون المراد المسـمى ويكون الاسـم صلة كالزائد، ومعنى الكلام: سبح ربك؛ أي: نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى، والآخر: أن يكون الـ"اسم" مقصودا بالذكر، ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه؛ الأول: تنزيه أسـماء الله عن المعاني الباطلة كالتشبيه والتعطيل، الثاني: تنزيه أسـماء الله تعالى عن أن يسـمى بها صنم أو وثن، الثالث: تنزيه أسـماء الله عن أن تذكر في حال الغفلة دون خشـوع، الرابع: أن المـراد قول: سـبحان الله، ولما كان هذا التسـبيح باللسـان لا بد فيه من ذكر الاسـم أوقع التسـبيح على الاسـم؛ وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «**سـبحان ربي الأعـلى**» [المختارة: 387]، وأنها لما نزلت قال: «**اجعلوها في سـجودكم**» [أبو داود: 896]، فدل ذلك على أن المراد هو التسـبيح باللسـان مع موافقة القلب، ولا بد في التسبيح باللسان من ذكر اسـم الله تعالى، فلذلك قال "سبح اسـم ربك" مع أن التسـبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسـمه، وإنما ذكر الاسـم لأنه هو الذي يوصل به إلى التسـبيح باللسـان وعلى هذا يكون موافقا في المعنى لقوله ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ لأن معناه نزه الله بذكر اسـمه، ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن معنى "سـبح" صل باسم ربك؛ أي: صل واذكر في الصلاة اسم ربك، و"الاعلى" يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم؛ والأول أظهر. ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ حذف مفعول "خلق" و"سـوى" لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد خلق كل شيء فسواه؛ أي: أتقن خلقته،

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾

وانظر ما ذكرنا في قوله ﴿ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ ﴾. ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ "قدر" بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء، أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير، وحذف المفعول ليفيد العموم؛ فإن كان من التقدير فالمعنى: قدَّر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وقيل: هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع؛ وهذه الأقوال أمثلة؛ والأول أعم وأرجح؛ فإن هداية الإنسان وسائر الحيوان إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء: المعنى هدى وأضل، واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى؛ وهذا بعيد. ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ "المرعى" هو النبات الذي ترعاه البهائم، وال"غثاء" هو النبات اليابس المتحطم، وقد يقال للزبل غثاء، و"احوى" معناه: أسود وهو صفة لـ"غثاء"، والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود، وقيل: إن "احوى" حال من المرعى، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف. ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ لأنه كان أميا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل من القرآن، وقيل: معنى الآية كقوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ الآية، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه، فضمن الله له أنه لا ينساه، وقيل: "فلا تنسى" نهي عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر؛ فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه، وهذا بعيد لإثبات الألف في "تنسى". ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه كقوله ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾، والآخر: أنه لا ينسى شيئا، ولكن قال "إلا ما شاء الله" تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ على بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي؛ والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عباد بن بشير يرحمه الله: «**لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أنسيتها**» [البخاري: 4750]. ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ عطف على "سنقرئك"، ومعناه: نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل: معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام: «**دين الله يسر**» [البخاري:39]؛ أي: سهل لا حرج فيه. ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾

لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك: قد أوصيتك إن سمعت، وقيل: إن المعنى فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد، وليس عليه الرونق الذي على الأول. ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ﴾ أي: من يخاف الله. ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ يعني الكافر، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والضمير المفعول لـ"الذكرى". ﴿ النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ هي نار جهنم، وسماها "كبرى" بالنظر إلى نار الدنيا، وقيل: سماها "كبرى" بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل وبعضها أكبر من بعض، وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر، ويؤيده قول رسول الله ﷺ: **«ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»** [مسلم: 2843]. ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة، وعطف هذه الجملة بـ"ثم"؛ لأن هذه الحالة أشد من صلي النار فكأنها بعده في الشدة. ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ يحتمل أن يكون "تزكى" بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي، أو بمعنى الطهارة للصلاة، أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها في يوم الفطر، والمعنى: أدَّى زكاة الفطر. ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ في طريق المصلَّى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ [البزار: 3383]، وقيل: المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس. ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الإشارة إلى ما ذكر قبل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو إلى ما تضمنته السورة، أو إلى القرآن بجملته، والمعنى: أنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

سورة الغاشية

﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: "هل" بمعنى قد؛ وهذا ضعيف. ﴿ الْغَاشِيَةِ ﴾ هي القيامة؛ لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل: هي النار من قوله ﴿ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ﴾ وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين؛ أهل الشقاوة وأهل السعادة. ﴿ خَاشِعَةٌ ﴾ أي: ذليلة. ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، وفي المراد بهم ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا أن يكون عملهم

تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴿٦﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾

ونصبهم في الدنيا؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها، أو يكون في الآخرة فيعملون عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة في عذابهم، الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم؛ لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب ﷺ وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهدا، فـ"عاملة ناصبة" على هذا في الدنيا، و"ناصبة" إشارة إلى اجتهادهم في العمل أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب، الثالث: أنها في القدرية، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: «**إن فيهم المجتهد**» [الحارث: 750]. ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ أي: شديدة الحر، ومنه ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ووزن "آنية" هنا فاعلة بخلاف ﴿ءَانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ﴾ فإن وزنه أفعلة. ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾ في الـ"ضريع" أربعة أقوال؛ أحدها: أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «**الضريع شوك في النار**» [الثعالبي: 4/ 244]. الثاني: أنه الزقوم لقوله ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾، الثالث: أنه نبات أخضر منتن ينبت في البحر؛ وهذا ضعيف، الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا أضعف؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب، ولله در من قال: إن الضريع طعام أهل النار؛ فإنه عم وسلم من عهدة التعيين، واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل: هو بمعنى مضرع للبدن، أي: مضعف، وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ؛ فإن قيل: كيف قال هنا "ليس لهم طعام إلا من ضريع"، وقال في الحاقة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾، فالجواب: أن الضريع لقوم والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال. ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ هذه الجملة صفة لـ"ضريع"، أو لـ"طعام" نفى عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع. ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾ أي: متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم. ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ أي: راضية في الآخرة؛ لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ يحتمل أن يكون من علو المكان، أو من علو المقدار، أو الوجهين. ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه: اللحن وما يكره، فيحتمل أن يريد كلمة لا غية أو جماعة لا غية. ﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ﴾ يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين. ﴿وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ﴾ قد ذكرنا "أكواب"، ومعنى "موضوعة": حاضرة معدة بشرابها، وفي قوله "مرفوعة" و"موضوعة" مطابقة. ﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة.

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾

﴿ وَزَرَابِيُّ ﴾ هي بسط فاخرة، وقيل: هي الطنافس، واحدها زربية. ﴿ مَبْثُوثَةٌ ﴾ أي: متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها، وقيل: مبسوطة. ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ ﴾ حض على النظر إلى خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك، وقيل: أراد بـ"الابل" السحاب؛ وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال؛ والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب، ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم. ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ أي: قاهر متسلط، وهذا منسوخ بالسيف. ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّى ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى ﴿ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ ﴾، وقيل: هو استثناء من مفعول ﴿ فَذَكِّر ﴾، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه، فهو على هذا متصل، وقيل: هو استثناء من قوله "لست عليهم بمصيطر"، أي: لا تتسلط إلا على من تولى وكفر؛ وهو على هذا متصل لا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية، والموادعة بمكة ثابتة. ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ أي: رجوعهم، والآية تهديد.

سورة الفجر

﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ أقسم الله تعالى بـ"الفجر" وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بـ ﴿ الصُّبْحِ ﴾، وقيل: أراد صلاة الفجر، وقيل: أراد النهار كله، وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة؛ ولا دليل على هذه التخصيصات، وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة؛ وهذا بعيد، والأول أشهر وأظهر. ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور، وقيل: العشر الأول من المحرم، وفيها يوم عاشوراء، وقيل: العشر الأخر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه. ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ روي عن النبي ﷺ **«أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة»** [المستدرك: 7517]، وذلك لأن يوم النحر عاشر فعدده شفع ويوم عرفة تاسع فعدده وتر، وروي عنه عليه الصلاة والسلام: **«أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى والوتر ليلة النحر»** [المعجم: 4073]،

وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾

وروي عنه عليه الصلاة والسلام: «**أنها الصلوات منها شفع ووتر**» [الترمذي: 2433]، وقيل: "الشفع" التنفل بالصلاة مثنى مثنى "والوتر" الركعة الواحدة المعروفة، وقيل "الشفع "العَالَمْ "والوتر" الله تعالى لأنه واحد، وقيل: "الشفع" آدم وحواء "والوتر" الله تعالى، وقيل: "الشفع" الصفا والمروة "والوتر" البيت الحرام، وقيل "الشفع" أبواب الجنة لأنها ثمانية "والوتر" أبواب النار لأنها سبعة، وقيل: "الشفع" قران الحج "والوتر" إفراده، وقيل: المراد الأعداد منها شفع ووتر؛ فهذه عشرة أقوال، وقرئ "الوتر" بفتح الواو وكسرها وهما لغتان. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ أي: إذا يذهب، كقوله ﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾، وقيل: أراد يسري فيه، فهو على هذا كقولهم: ليله قائم، والمراد على هذا ليلة جمع؛ لأنها التي يسرى فيها، والأول أشهر وأظهر. ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها، والـ"حجر" هنا هو العقل، كأنه يقول: إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول، وجواب القسم محذوف وهو: ليأخذن الله الكفار، ويدل على ذلك ما ذكر بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون. ﴿ إِرَمَ ﴾ هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال: هاشم لبني هاشم، وإعرابه بدل من "عاد" أو عطف بيان، وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم، وقيل: "ارم" اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير ﷺ "بعاد إرم" على الإضافة من غير تنوين "عاد"، وامتنع "إرم" من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث. ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ من قال "إرم" قبيلة قال "العماد" أعمدة بنيانهم، أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود، وقال ابن عباس ﷺ: ذلك كناية عن طول أبدانهم، ومن قال "إرم" مدينة فـ"العماد" الحجارة التي بنيت بها، وقيل: القصور والأبراج. ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة للقبيلة ؛لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما، يقال: كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، أو صفة للمدينة؛ وهذا أظهر لقوله "في البلاد"؛ ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا، وروي أنها بناها شداد بن عاد في ثلاثمائة عام، وكان عمره تسعمائة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروي أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية ﷺ، وقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية؛ وهذا ضعيف. ﴿ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ أي: نقبوه ونحتوا فيه بيوتا، والوادي ما بين الجبلين وإن لم يكن فيه ماء، وقيل: أراد وادي القرى. ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ ذكر في داود. ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون، ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ استعار السوط للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان ورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم، و"المرصاد" المكان الذي يرتقب فيه الرصد. ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ﴾ الابتلاء هو الاختبار، واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه، و"الانسان" هنا جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة؛ وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة، وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير، ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾، وأنكر عليه قوله حين الخير ﴿ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾، وقوله حين الشر ﴿ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ ويتعلق بالآية سؤالان؛ الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله "ربي أكرمن"، و"ربي أهانن"؟ والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن الإنسان يقول "ربي أكرمني" على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر، ويقول "ربي أهانن" على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله؛ فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر، والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا، فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك، فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، السؤال الثاني: إن قيل قد قال الله ﴿ فَأَكْرَمَهُ ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله "ربي أكرمن"؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار، الثاني: أنه أنكر عليه قوله "ربي أكرمن" إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه الإكرام لا على وجه التفضل والإنعام، كقول قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾، الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله "ربي أهانن" لا لقوله "ربي أكرمن"، فإن قوله "ربي أكرمن" اعتراف بنعمة الله وقوله "ربي أهانن" شكاية من فعل الله. ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ أي: ضيقه، وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد، وفي التشديد مبالغة، وقيل: معنى التشديد جعله على قدر معلوم. ﴿ كَلَّا ﴾ زجر عما أنكر من قول الإنسان. ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ هذا

وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾

ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة، ومعنى هذا الإضراب بـ"بل" كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم، ثم قال: بل تفعلون ما هو شر من ذلك؛ وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده، قال رسول الله ﷺ: «**أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم**» [الطبراني: 13434]. ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ الحض على الأمر هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو فكأنه ذم لترك طعام المسكين، والـ"طعام" هنا بمعنى الإطعام، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين، وقرئ "تحاضون" بفتح الحاء والألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا. ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾ "التراث" هو ما يورث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من الواو، واللم الجمع واللف، فالتقدير: أكلا ذا لم، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: شديدا كثيرا، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه. ﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي: سويت بذهاب جبالها. [﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي: دكا بعد دك كما تقول: تعلمت العلم بابا بابا]. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين: جاء أمره وسلطانه، وقال المنذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك، وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض. ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس. ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» [مسلم: 2842]. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ "يومئذ" بدل من "إذا دكت"، و"يتذكر" هو العامل وهو جواب "إذا دكت"، والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه، و"الانسان" هنا جنس، وقيل: يعني عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ هذا على حذف تقديره: أنى له الانتفاع بالذكرى، كما تقول: ندم حين لم تنفعه الندامة. ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة، فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا للآخرة، والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا في وقت حياتي، فاللام على هذا كقوله: كتبت لعشر من الشهر. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ من قرأ بكسر الذال من يعذب، والثاء من

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾

﴿ يُوثِقُ ﴾، فالضمير في "عذابه" و﴿ وَثَاقَهُ ﴾ لله، والمعنى: أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان؛ أي: لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق أحد مثل وثاقه، وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرو رجع إليها وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله ﷺ. ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ أي: الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يَتَطرقُ إليها شك في الإيمان، وقيل: "المطمئنة" التي لا تخاف حينئذ، ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب ﷺ "يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة". ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار؛ والأول أرجح لما روي أن أبا بكر ﷺ سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك»** [المختارة: 124]. ﴿ رَاضِيَةً ﴾ معناه: راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله، ومعنى الـ﴿ مَرْضِيَّةً ﴾ مرضية عند الله أو أرضاها الله بما أعطاها. ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أي: ادخلي في جملة عبادي الصالحين، وقرئ "فادخلي في عبدي" بالتوحيد، ومعناه: ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس، ونزلت هذه الآية في حمزة ﷺ، وقيل: في خبيب بن عدي ﷺ الذي صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.

سورة البلد

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفا لها، و"لا" زائدة. ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ هذا جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن المعنى أنت حالّ بهذا البلد، أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة، والآخر: أن معنى "حل" تُستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: لا أقسم نفي؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية، الثالث: أن معنى "حل" حلال يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتلك الكفار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: **«إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض لم يحل لأحد قبلي، ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار»** [أحمد: 2352]، يعني يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، فإن قيل: إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة، فالجواب: أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة: أنت مكرم، يعني فيما يستقبل، وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح؛ وهذا ضعيف.

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ فيه خمسة أقوال؛ أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده، الثاني: نوح وولده، الثالث: إبراهيم وولده، الرابع: محمد عليه السلام وولده، الخامس: جنس كل والد ومولود؛ وإنما قال "وما ولد" ولم يقل من ولد إشارة إلى تعظيم المولود كقوله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ قاله الزمخشري. ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ أي: يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل الكبد من قولك: كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده، وقيل: معنى "في كبد" واقفا منتصب القامة؛ وهذا ضعيف، و"الإنسان" على هذين القولين جنس، وقيل: "الانسان" آدم عليه السلام، ومعنى "في كبد" على هذا في السماء؛ وهذا ضعيف والأول هو الصحيح. ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه، والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه؛ فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوة، وقيل: عمرو ابن عبد ود وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب ﵁. ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾ أي: كثيرا، وقرئ "لبدا" بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة، ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ، وقيل: في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا. ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له في قوله "أهلكت مالا لبدا"، أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء. ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ أي طريقي الخير والشر فهو كقوله ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد، وقيل: المعنى ثديي الأم. ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ الاقتحام الدخول بشدة ومشقة، و"العقبة" عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس، وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال، و"لا" هنا تحضيض بمعنى هلا، وقيل: هي دعاء، وقيل: هي نافية، واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها، وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا، [وقال الزجاج قوله] ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يدل على التكرار؛ لأن التقدير: فلا اقتحم العقبة ولا آمن. ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ تعظيم لـ"العقبة" ثم فسرها بفك الرقبة؛ وهو إعتاقها وبالإطعام، وقرئ ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ بضم الكاف وخفض الرقبة،

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾

وهو على هذا تفسير لـ"لعقبة"، وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير "لا اقتحم" وفك الرقبة هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار» [البخاري: 6337]، وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلني على عمل أنجو به؟ فقال: «فك الرقبة وأعتق النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحدا؟ فقال النبي ﷺ: «لا؛ عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها» [أحمد: 16816]، وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكفار فهو أعظم أجرا من العتق؛ لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ من قرأ "فك" بالرفع قرأ "إطعام" فعطف مصدرا على مصدر، ومن قرأ "فك" بالفتح قرأ "أطعمَ" بفتح الهمزة والميم فعطف فعلا على فعل.

﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سغب الرجل إذا جاع. ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة، ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم. ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: ذا حاجة، يقال: ترب الرجل إذا افتقر، وهو مأخوذ من لصوقه بالتراب، وروي عن رسول الله ﷺ أنه: «الذي مأواه المزابل» [ابن مردويه: الدر المنثور: 10/ 274].

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ "ثم" هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام، ولا يقبل عمل إلا من مؤمن. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله، وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل: الرحمة كل ما يؤدي إلى رحمة الله. ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و ﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ جهة الشمال، وروي أن "الميمنة" عن يمين العرش، ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم. ﴿نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي: مطبقة مغلقة، يقال: أوصدت الباب إذا أغلقته، وفيه لغتان الهمز وترك الهمز.

سورة الشمس

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى ارتفاع الضوء وكماله، والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال، وقيل: الضحى النهار كله. والأول هو المعروف في اللغة. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي: تبعها، وفي تبعه لها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر، والآخر: أنه يتبعها

وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾

في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر، والثالث: أن تبعه لها أخذه من نورها.

﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ أي كشفها وأظهرها والضمير المفعول للشمس والضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تنجلي بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها، وقيل: الضمير الفاعل لله، وقيل: الضمير المفعول للظلمة أو للأرض أو للدنيا، وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ أي: يغطيها، وضمير المفعول لـ"لشمس"، وضمير الفاعل لـ"ليل" على الأصح. ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ قيل: إن "ما" في قوله "وما بناها" "وما طحاها" "وما سواها" موصولة بمعنى من، والمراد الله تعالى، وقيل: إنها مصدرية كأنه قال: والسماء وبنيانها؛ وضعف الزمخشري هذا بقوله "فألهمها" فإن المراد الله باتفاق، وهذا القول يؤدي إلى إفساد النظم، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق، فإن قيل: لم عدل عن من إلى "ما" في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال: والقادر الذي بناها. ﴿ طَحَاهَا ﴾ أي: مدها. ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل: لم نكر الـ"نفس"؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾، والآخر: أنه أراد نفس آدم. والأول هو المختار. ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أي: عرفها طريق الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو كقوله ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾. ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: ليُدَمْدِمَنَّ الله على أهل مكة؛ لتكذيبهم النبي ﷺ كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا، قال: وأما "قد افلح" فكلام تابع لقوله "فألهمها فجورها وتقواها" على سبيل الاستطراد. وهذا بعيد. والفاعل بـ"زكاها" ضمير يعود على "من"، والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: طهرها من الذنوب والعيوب، وقيل: الفاعل ضمير الله تعالى. والأول أظهر. ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ أي: حقرها بالكفر والمعاصي، وأصله دسس بمعنى أخفى، فكأنه أخفى نفسه لما حقرها، وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم: قصيت أظفاري، وأصله قصصت. ﴿ بِطَغْوَاهَا ﴾ مصدر بمعنى الطغيان، قلبت فيه الياء واوا على لغة من يقول طغيت والباء الخافضة كقولك: كتبت بالقلم، أو سببية، والمعنى: بسبب طغيانها، وقال ابن عباس ﷺ: معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾. ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ العامل في "إذ" "كذبت" أو "طغواها"، ومعنى: "انبعث" خرج إلى عقر الناقة بسرعة ونشاط، و"أشقاها" هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ فَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾

قدار بن سالف، ويحتمل أن يكون "أشقاها" واقعا على جماعة؛ لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع، والأول أظهر وأشهر. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني صالحا عليه السلام. ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: احفظوا ناقة الله، أو احذروا ناقة الله "وسقياها" شربها من الماء. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نسب العقر إلى جماعة؛ لأنهم اتفقوا عليه، وباشره واحد منهم. ﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم، وفيه تهويل. ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنبهم، وهو التكذيب أو عقر الناقة. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قال ابن عطية: معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يُفلتْ أحد منهم، وقال الزمخشري: الضمير للدمدمة، أي: سواها بينهم. ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى، والضمير في "عقباها" للدمدمة والتسوية وهو الهلاك؛ أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم، وفي ذلك احتقار لهم، وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح؛ وهذا بعيد، وقرئ "فلا يخاف" بالفاء وبالواو، وقيل: في القراءة بالواو: إن الفاعل "أشقاها" والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبى فعلته؛ وهذا بعيد.

سورة الليل

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يغطي، وحذف المفعول وهو الشمس لقوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، أو النهار لقوله ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، أو كل شيء يستره الليل. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: ظهر وتبين، والنهار من طلوع الشمس، واليوم من طلوع الفجر. ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ "ما" بمعنى من والمراد بها الله تعالى، وعدل عن من لقصد الوصف، كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى، وقيل: هي مصدرية، وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ "والذكر والأنثى" [البخاري: 3532]. ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم ومعناه: إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات، و"شتى" جمع شتيت. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ أي: أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتقى الله. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالخصلة الحسنة، وهي الإسلام، ولذلك عبر عنه بعضهم بأنها: لا إله إلا الله، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، وقيل: يعني الأجر والثواب على الإطلاق، وقيل: يعني الخلف على المنفق.

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ أي: نهيئه للطريقة اليسرى وهي فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك "نيسره للعسرى"، ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له» [البخاري: 4666]؛ أي: يهيئه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر. ﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾ أي: بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة "أعطى" كما أن "استغنى" في مقابلة "اتقى"، و ﴿ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ في مقابلة "صدق بالحسنى"، و ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ في مقابلة "نيسره لليسرى"، ومعنى "استغنى": استغنى عن الله فلم يطعه، أو استغنى بالدنيا عن الآخرة، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق ﷺ؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد ويعتقهم، وقيل: نزلت في أبي الدحداح ﷺ، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح ﷺ بالمدينة، وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب ﷺ؛ وهذا ضعيف لقوله "فسنيسره للعسرى" وقد أسلم أبو سفيان ﷺ بعد ذلك. ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ هذا نفي أو استفهام بمعنى الإنكار، واختلف في معنى "تردى" على أربعة أقوال؛ الأول: "تردى" أي: هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، أو "تردى" أي: سقط في القبر أو سقط في جهنم، أو "تردى" بأكفانه من الرداء. ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة. ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ ﴾ مخاطبة من الله أو من النبي ﷺ على تقدير: قل ﴿ لا يَصْلاهَآ إِلَّا الأَشْقَى ﴾؛ استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾، وتأولها الناس بثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المعنى لا يصلاها صلي خلود إلا الأشقى، والآخر: أنه أراد نارا مخصوصة، الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به "الأتقى" وهو أبو بكر الصديق ﷺ، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم. ﴿ يَتَزَكَّى ﴾ من أداء الزكاة أو من الزكاء، أي: يصير زكيا عند الله؛ أي: يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من "يوتي" أو حال من الضمير. ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ أي: لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم؛ بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله، وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول أظهر،

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾

ويؤيده ما روي أن سبب الآية: أن أبا بكر الصديق ﷺ لما أعتق بلالا ﷺ قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة، فنفى الله قولهم. ﴿إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ استثناء منقطع. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.

سورة الضحى

﴿وَالضُّحَى﴾ ذكر في ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾. ﴿وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ فيه أربعة أقوال؛ إذا أقبل وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن، أي: استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج؛ أي: ساكن غير مضطرب النظر؛ وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال من الوداع، وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك، والوداع مبالغة في الترك. ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي: ما أبغضك، وحذف ضمير المفعول من "قلى"، و"آوى"، و"هدى"، و"أغنى" اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤوس الآي، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي فقالت قريش: إن محمدا ودعه ربه وقلاه! فنزلت تكذيبا لهم، وقيل: رمي عليه السلام بحجر في أصبعه فدميت، فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت الآية. ﴿وَلَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْاُولَى﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا، قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بـ"الاخرة" حاله بعد نزول السورة، ويريد بـ"الاولى" حاله قبل نزولها؛ وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إذًا لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار» [الثعالبي: 4/ 263]، وقال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن، وقال ابن عباس ﷺ: رضاه بأن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم، وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره؛ والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه في الآخرة، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَئَاوَى﴾ عدد الله عليه نعمه فيما مضى من عمره؛ ليقيس على ذلك ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاؤه، "ووجد" في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهي بمعنى علم؛ فالمعنى: ألم تكن يتيما فآواك؛ وذلك أن والده عليه السلام توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية أعوام، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما، فكفله عمه أبو طالب، وقيل: لجعفر الصادق لم نشأ النبي ﷺ يتيما؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق.

وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَى ﴾ فيه ستة أقوال؛ الأول: وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ ﴾ هذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها، الثاني: وجدك في قوم ضلال، فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون؛ وهذا قريب من الأول، الثالث: وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة، الرابع: وجدك خامل الذكر لا تُعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك؛ وهذا بعيد عن المعنى المقصود، الخامس: أنه من الضلال عن الطريق؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام ضل في بعض شعاب مكة؛ أي: تلف وهو صغير فرده الله إلى جده، وقيل: بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها، وقيل: ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب، السادس: أنه من الضلال بمعنى المحبة؛ أي: وجدك محبا لله فهداك إليه، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾ أي: محبتك ليوسف؛ وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير. ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَى ﴾ العائل الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا، وأعال فهو معيل إذا كثر عياله، وهذا الفقر والغنى هو في المال وغناؤه ﷺ هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله، وقيل: المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به. ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ أي: لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه، ووجوه القهر كثيرة والنهي يعم جميعها. ﴿ وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ النهر هو الانتهار والزجر، فالنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴾، ويحتمل "السائل" أن يريد به سائل الطعام والمال؛ وهو الأظهر، أو السائل عن العلم والدين، وفي قوله "تقهر" و"تنهر" لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء. ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ قيل: معناه بث القرآن وبلغ الرسالة، والصحيح أنه عموم في جميع النعم قال رسول الله ﷺ: «**التحدث بالنعم شكر**» [الشكر: 64]، ولذلك كان بعض السلف يقول: لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا؛ وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجه الشكر أو ليقتدى به، وأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا، فقابل قوله "ألم يجدك يتيما" بقوله "فأما اليتيم فلا تقهر"، وقابل قوله "ووجدك ضالا" بقوله و"أما السائل فلا تنهر" على قول من قال: إنه السائل عن العلم، وقابله بقوله "وأما بنعمة ربك فحدث" على القول الآخر، وقابل قوله "ووجدك عائلا فأغنى" بقوله و"أما السائل فلا تنهر" على القول الأظهر، وقابله بقوله "وأما بنعمة ربك فحدث" على القول الآخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

سورة ألم نشرح

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره عليه الصلاة والسلام وتعديد ما ذكر بعده من النعم، وشرح صدره عليه الصلاة والسلام هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله. ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: قول الجمهور أن الوزر الذنوب، ووضعها هو غفرانها، فهو كقوله ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء عليهم السلام، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة، الثاني: أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة، الثالث: أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح، فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة. ﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه، قال الحارث المحاسبي: إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل؛ وهي صغائر مغفورة لهم لهمهم بها، وتحسرهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله، وهذا كما جاء في الأثر: «**إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه**» [البخاري: 5949]، واشتقاق "أنقض ظهرك" من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت، فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شيء ثقيل. ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أي: نوهنا باسمك وجعلناه شهيرا في المشارق والمغارب، وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: «**أن الله قال له: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي**» [ابن حبان: 3382]، فإن قيل: لم قال "لك ذكرك" و"لك صدرك" مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب: أن قوله "لك" تدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره عليه السلام. ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ هذا وعد باليسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ "مع" التي تقتضي المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر، فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟ فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه ﷺ في عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال، فوعده الله باليسر، وقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطيب نفسه، ويقوى رجاؤه كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب، ولذلك كرر ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ مبالغة، وقال رسول الله ﷺ: «**لن يغلب عسر يسرين**» [الحاكم: 3950]، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود ﷺ، وتأويله: أن العسر المذكور في هذه السورة واحد؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك: جاءني رجل فأكرمت الرجل، واليسر اثنان لتنكيره، وقيل: إن

فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾

اليسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة. ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، والمعنى: إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر، ثم اختلف في تعيين الأمرين، فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل، وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك. ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر، أي: لا ترغب إلا إلى ربك وحده.

سورة التين

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فيها قولان؛ الأول: أنه "التين" الذي يؤكل "والزيتون" الذي يعصر، أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار، روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه ﵃ تينا فقال: «**لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس**» [الفردوس: 4716]، وقال ﷺ: «**نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة؛ هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي**» [المعجم الأوسط: 678]، القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما، فقيل: هما جبلان بالشام؛ أحدهما: بدمشق ينبت فيه التين، والآخر: بإيلياء ينبت فيه الزيتون؛ فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون، وقيل: "التين" مسجد دمشق، "والزيتون" مسجد بيت المقدس، وقيل: "التين" مسجد نوح، "والزيتون" مسجد إبراهيم؛ والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم موسى عليه، والبلد الذي بعث منه محمد ﷺ فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فاران وهي مكة، وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين. ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وهو بالشام أضافه إلى "سينين"، ومعنى "سينين" مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل: معناه ذو الشجر واحدها سينينة قاله الأخفش، وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء، وأن تلزم الياء وتحرك النون بحركات الإعراب. ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ هو مكة باتفاق، و"الامين" من الأمانة أو من الأمن لقوله ﴿ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾. ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، و ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ الضعف والهرم والخرف، فهو كقوله ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾، وقوله ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءامَنُوا﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله، والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول، والآخر: أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان، و"أسفل سافلين" الكفر أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل؛ لأن ﴿الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لم يردوا "أسفل سافلين". ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، و"الدين" شريعته، والمعنى: أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك؟ والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر، و"الدين" على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروي، ومعنى "يكذبك" على هذا: يجعلك كاذبا؛ لأن من أنكر الحق فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا، فلأي شيء تكذب بالبعث والحساب؟ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون، وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «**بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين**» [أبو داود: 887].

سورة العلق

نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي ذكرناه أول الكتاب. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك، وموضع "باسم ربك" نصب على الحال، وإذا كان تقديره: مفتتحا، فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بسم الله الرحمن الرحيم، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا، والوجه الثاني: أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو "باسم ربك الذي خلق"، فيكون "باسم ربك" مفعولا وهو المقروء. ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول لقصد العموم، كأنه قال: الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر، ويحتمل أن أراد الذي خلق الإنسان، كما قال ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الإِنسَانَ﴾، ثم فسره بقوله ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، والـ"علق" جمع علقة وهي القطعة من الدم، والمراد بـ"الانسان" هنا جنس بني آدم؛ ولذلك جمع الـ"علق" لما أراد الجماعة بخلاف قوله ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾؛ لأنه أراد كل واحد على حدته، ولم يدخل آدم في "الانسان" هنا؛ لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾

ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾

كرر الأمر بالقراءة تأكيدا، والواو للحال، والمقصود تأنيس النبي ﷺ، كأنه يقول: افعل ما أمرت به فإن ربك كريم، وصيغة أفعل للمبالغة. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه "علم الخط بالقلم". ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره، أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل: إن "الانسان" هنا محمد ﷺ، والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم. ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ، و"كلا" هنا يحتمل أن يكون زجرا لأبي جهل أو بمعنى حقا أو استفتاح. ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ في موضع المفعول من أجله، أي: يطغى من أجل غناه، والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى و"استغنى" هو المفعول الثاني. ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى هو محمد ﷺ، وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله، وسبب الآية: أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي بالمسجد الحرام فهمَّ بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيته يصلي لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبا فقيل له: ما منعك؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا**» [مسلم: 7243]. ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوَ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ "أرايت" في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده بمعنى أخبرني، فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب، وفيها معنى التعجب والتوقيف، والخطاب فيها يحتمل؛ أن يكون للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين، وهي تتعدى إلى مفعولين وجاءت بعدها "إن" الشرطية في موضعين؛ وهما قوله "إن كان على الهدى" وقوله ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، فنحتاج إلى الكلام على مفعول "أرايت" في المواضع الثلاثة، وفي جواب الشرط، وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي "إن كان على الهدى"، "أو امر بالتقوى"، و"كذب وتولى" على من تعود هذه الضمائر؟ فقال الزمخشري: إن قوله "الذي ينهى" هو المفعول الأول لقوله "أرايت" الأولى، وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت "أرايت" بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴿١٥﴾ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٨﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٩﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿٢٠﴾

إلى مفعـول، وإن قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ هـو جواب قوله "إن كذب وتولى"، وإن جواب قوله "إن كان عـلى الهدى" محذوف يدل عليه جـواب قوله "إن كذب وتولى" فهو في المعنى جواب للشرطين معا، وإن الضمير في قوله "إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى" للذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قولـه "إن كذب وتولى"، وتقدير الكلام على هـذا: أخبرني عن الذي ينهى عبدا إذا صلى، إن كان هذا الناهي على الهدى أو إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغـير ذلـك، فمقصود الآية؛ تهديـد له وزجر وإعلام بأن الله يـراه، وخالفه ابن عطيـة في الضمائر فقال: إن الضمير في قوله "إن كان على الهدى أو امر بالتقوى" للعبد الذي صلى، وأن الضمير في قوله "إن كذب وتولى" للـذي نهى عن الصلاة، وخالفه أيضا في جعله "أرايت" الثانية مكـررة للتأكيد فقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وأن جوابها في المواضع الثلاثة قوله "ألم يعلم بأن الله يرى" فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصارا، وخالفهما الغزنوي أيضا في الجواب، فقال: إن جواب قوله "إن كان على الهدى" محـذوف، فقال: إن تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب، والضمير عـلى هـذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية. ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينتـه عـن كفره وطغيانه أن يؤخـذ بناصيته فيلقى في النـار، و"الناصية" مقدم الرأس فهـو كقوله ﴿ يُؤخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾، والسفع هو الجذب والقبض على الشيء، وقيل: هو الإحراق من قولك: سفعتْه النار، وأكد "لنسـفعا" باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألـف مراعاة للوقف عليها، ويظهر لي أن هذا الوعيـد نفـذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب. ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أبدل "ناصية" مـن "الناصيـة" ووصفها بالكذب والخطيئة تجـوزا، والكاذب الخاطئ في الحقيقـة صاحبها، والخاطئ الذي يفعـل الذنب متعمدا، والمخطئ الذي يفعله من غير قصد. ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ النادي والندي المجلس الذي يجتمـع فيـه الناس، وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد، فوالله ما بالـوادي أعظم ناديا مني، فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له، والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك، ثم وعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب، و﴿ الزَّبَانِيَةَ ﴾ في اللغة الشُّرط، واحدهم زبنية، وقيل: زبني، وفي الحديث أن رسـول الله ﷺ قال: «**لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا**» [الحاكم: 3809]. ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ أي: تقرب إلى الله بالسـجود كـما قال رسـول الله ﷺ: «**أقرب ما يكـون العبد من ربه، وهو سـاجد، فاجتهدوا في الدعاء**» [مسلم: 1111]، وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

سورة القدر

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولا؟ وهي أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر، وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالي الأوتار؛ ليلة ثلاثين لأنها الأولى، وليلة ثمان وعشرين لأنها الثالثة، وليلة ست وعشرين لأنها الخامسة، وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة، وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة، فهذه خمسة أقوال أخر فتلك عشرة أقوال، والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه، والقول الثاني عشر: أنها مخفية في رمضان كله؛ وهذا ضعيف لقوله ﷺ: «**التمسوها في العشر الأواخر**» [البخاري: 2021]، الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله، الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان؛ وهذان القولان باطلان؛ لأن الله قال ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾، وقال ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ ﴾ فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان، القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي ﷺ؛ وهذا ضعيف، القول السادس عشر: أنها ليلة سبع عشرة من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة؛ وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره؛ والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين. ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ الضمير في "أنزلناه" للقرآن دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته، والآخر: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات، والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه، وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان؛ أحدهما: أنه ابتدأ إنزاله فيها، والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها؛ وهذا ضعيف. وسميت "ليلة القدر" من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف؛ ويترجح الأول بقوله ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾. ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ هذا تعظيم لها قال بعضهم: كل ما قال فيه "ما أدراك" فقد علمه النبي ﷺ، وما قال فيه ﴿ مَا يُدْرِيكَ ﴾ فإنه لم يعلمه. ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنَ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر، قال بعضهم: يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [البخاري: 35]، وسبب الآية:

تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾

أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا ممن تقدم عَبَدَ الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك؟! ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر، وجعلها خيرا من العبادة في تلك المدة الطويلة، وروي أن الحسن ابن علي بن أبي طالب ﷺ عوتب حين بايع معاوية ﷺ، فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره نزْو القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من مدة ملك بني أمية، ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية ﷺ إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر. ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ "الروح" هنا جبريل، وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، وتنزلهم هو إلى الأرض، وقيل: إلى السماء الدنيا؛ وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها. ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى: أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام؛ فإنه روي أن الله يُعلِم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمتثلوا ذلك في العام كله، وقيل على هذا المعنى: إن "من" بمعنى الباء، أي: ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف، وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى: أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات، قال مجاهد: لا يصيب أحد فيها داء؛ والأظهر أن الكلام تم عند قوله "من كل أمر"، ثم ابتدأ قوله ﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾، واختلف في معنى "سلام"، فقيل: إنه من السلامة، وقيل: إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها، وكذلك اختلف في إعرابه، فقيل "سلام هي" مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه، وقيل: "سلام" خبر مبتدأ مضمر تقديره: أمرها سلام أو القول فيها سلام، و"هي" مبتدأ خبره ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ أي: هي دائمة إلى طلوع الفجر، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب، وقال ابن عباس ﷺ: إن قوله "هي" إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرين من كلمات السورة.

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ و﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾، وذكر أن جميعهم لم يكونوا ﴿ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ، ومعنى "منفكين": منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال؛ أحدها: أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

لتقوم عليهم الحجة، الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتى بعثه الله، الثالث: -اختاره ابن عطية- وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة، الرابع: -وهو الأظهر عندي- أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم محمدا ﷺ فقامت عليهم الحجة؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة، فـ"منفكين" على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا. ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ يعني محمدا عليه الصلاة والسلام، وإعرابه بدل من "البينة" أو خبر ابتداء مضمر. ﴿ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ يعني القرآن في صحفه. ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أي: قائمة بالحق مستقيمة المعاني، ووزن "قيمة" فعيلة، وفيه مبالغة قال ابن عطية: هذا على حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب، ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الـ"كتب" بمعنى المكتوبات. ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أي: ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق، ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾، وإنما خص "الذين أوتوا الكتاب" بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة محمد ﷺ بما يجدون في كتبهم من ذكره. ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ الآية، معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله؛ ولكنهم حرفوا وبدلوا، ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلأي شيء ينكرونه ويكفرون به. ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء؛ وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وضد الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي، وهو الرياء، قال رسول الله ﷺ: «**الرياء الشرك الأصغر**» [أحمد: 24350]، وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه: «**إنه تعالى يقول: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشريكه**» [مسلم: 7666]، واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع؛ مأمورات ومنهيات ومباحات؛ فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال، وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك، فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر،

حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام. ﴿حُنَفَآءَ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة أو الجماعة القيمة، وقد فسرنا "القيمة"، ومعناه: أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، هو دين الإسلام، فلأي شيء لا يدخلون فيه. ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ الخلق، لأن الله برأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم، وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالا عند العرب. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟ فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»** [مسلم: 160]، ورضاهم عنه في الآخرة هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها، ورضي الله عنهم كما ورد في الحديث: **«أن الله يقول يا أهل الجنة: هل تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا وأي شيء نريد؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين! فيقول: عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدا»** [البخاري: 6549]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ أي: لمن خافه، وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: **«خوف الله رأس كل حكمة»** [الورع: 11].

سورة إذا زلزلت

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: حركت واهتزت. ﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظمة جرمها. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني الموتى الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور، وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال. ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: يتعجب من شأنها؛ فيحتمل أن يريد جنس "الانسان"، أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لم يظن. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذا عبارة عما يحدث الله فيها من الأهوال فهو مجاز، وحديث

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴿٦﴾ لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٧﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٨﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾

بلسان الحال، وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة، و"تحدث" يتعدى إلى مفعولين حذف الأول منهما والتقدير: تحدث الخلق أخبارها، وانتزع بعض المحدثين من قوله "تحدث أخبارها" أن قول المحدث: حدثنا وأخبرنا سواء، وهذه الجملة هي جواب "إذا زلزلت"، و"تحدث" هو العامل في "إذا"، و"يومئذ" بدل من "إذا" ويجوز أن يكون العامل في "إذا" مضمرا، و"تحدث" عامل في "يومئذ". ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ الباء سببية متعلقة بـ"تحدث"؛ أي: تحدث بسبب أن الله أوحى لها، ويحتمل أن يكون "بأن ربك أوحى لها" بدلا من "أخبارها"، كما تقول: حدثت كذا وحدثت بكذا، والمعنى على هذا: تُحدث بحديث الوحي لها؛ وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة، و"لها" بمعنى إليها، وقيل: معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها، وهذا بعيد. ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ معنى "أشتاتا" مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شت، وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وِردهم، فقيل: الورد هو الدفن في القبور والصدر هو القيام للبعث، وقيل: الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة أو إلى النار؛ وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ الـ"مثقال" هو الوزن، والـ"ذرة" هي النملة الصغيرة، والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء، وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلا أو كثيرا، وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يخلد مؤمن في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات، وروي عن عائشة ﵂ أنها تصدقت بحبة عنب! فقيل لها في ذلك؟ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة، وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها [أحمد: 21135]. ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجزون بذنوبهم إلا بستة شروط؛ وهي أن تكون ذنوبهم كبائر، وأن يموتوا قبل التوبة منها، وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها، وأن لا يشفع فيهم، وأن لا يكون ممن استحق المغفرة بعمل كأهل بدر، وأن لا يعفو الله عنهم؛ فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

سورة العاديات

اختلف في ﴿ الْعَادِيَاتِ ﴾، و"الموريات"، و"المغيرات" هل يراد بها الخيل أو الإبل؛ وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق؟ وعلى القول بأنها الإبل، اختلف هل يعني: إبل

فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

غزوة بدر، أو إبل المجاهدين مطلقا، أو إبل الحجاج، أو الإبل على الإطلاق؟ ومعنى "العاديات": التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العَدْو الشديد ليس بصهال، وهو مصدر منصوب على تقدير: يضبحن ضبحا أو هو مصدر في موضع الحال تقديره: العاديات في حال ضبحها، و ﴿ الْمُورِيَاتِ ﴾ من قولك: أوريت النار إذا أوقدتها، والقدح صك الحجارة فتخرج منها شعلة نار، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل، وإعراب ﴿ قَدْحًا ﴾ كإعراب ﴿ ضَبْحًا ﴾، و ﴿ الْمُغِيرَاتِ ﴾ من قولك: أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على أعدائها، و ﴿ صُبْحًا ﴾ ظرف زمان؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح. ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ هذه الجملة معطوفة على "العاديات" وما بعده لأنه في تقدير: التي تعدو، والنقع الغبار، والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية، أو للمكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية، أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه "العاديات" فالباء سببية، ومعنى "أثرن": حركن، والضمير الفاعل للإبل أو للخيل، أي: حركن الغبار عند مشيهن. ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ معنى "وسطن": توسطن، و"جمعا" اختلف هل المراد به جمع من الناس، أو المزدلفة لأن اسمها جمع، والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع. ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ هذا جواب القسم، و"الكنود" الكفور للنعمة فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، و"الانسان" جنس، وقيل: "الكنود" العاصي، وقال بعض الصوفية: "الكنود" الذي يعبد الله على عوض. ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ الضمير لـ"لإنسان"، أي: هو شاهد على نفسه بكُنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده لـ"لإنسان" باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد. ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ "الخير" هنا المال كقوله ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾، والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال؛ فهو ذم لحبه والحرص عليه، وقيل: الشديد البخيل؛ والمعنى على هذا: إنه بخيل من أجل حب المال؛ والأول أظهر. ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ أي: بحث عنه وذلك عبارة عن البعث. ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: جمع في الصحف وأظهر محصلا؛ أي: مُيز خيره من شره. ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ الضمير في "ربهم" و"بهم" يعود على "الانسان"؛ لأنه يراد به الجنس، وفي هذه الجملة وجهان؛ أحدهما: أن هذه الجملة معمول "أفلا يعلم"، فكان الأصل أن تفتح "إن"؛ ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول "أفلا يعلم" محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على "الانسان"، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية، ويحتمل أن يكون فاعل "أفلا يعلم" ضميرا يعود على الله تعالى والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور؟، ثم استأنف قوله "إن ربهم بهم يومئذ لخبير" على وجه التأكيد والبيان للمعنى المتقدم، والعامل في "إذا بعثر" على هذا الوجه هو "أفلا يعلم"، والعامل فيه على ما يقتضيه قول ابن عطية هو المفعول المحذوف، و"إذا" هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية، والعامل في "يومئذ" "خبير"، وإنما خص ذلك بيوم القيامة؛ لأنه يوم الجزاء، فقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق.

سورة القارعة

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها، وقيل: هي النفخة في الصور لأنها تقرع الأسماع. ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر "القارعة"، والمراد به تعظيم شأنها وكذلك ﴿ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ العامل في الظرف محذوف دل عليه "القارعة" تقديره: تقرع في يوم، و"الفراش" هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح، و"المبثوث" هو المنتشر المتفرق؛ شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم، ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كتساقط الفراش في المصباح، قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور "كالفراش المبثوث"؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر، فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل "الفراش" هنا الجراد الصغار؛ وهو ضعيف. ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ "العهن" الصوف، وقيل: الصوف الأحمر، وقيل: الصوف الملون ألوانا؛ شبه الله به الجبال يوم القيامة؛ لأنها تُنسف فتصير لينة، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء.

﴿ مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ هو جمع ميزان أو جمع موزون؛ وميزان يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور، وقال قوم: هو عبارة عن العدل. ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ معناه: ذات رضا عند سيبويه، وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها، ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه. ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾

أحدها: أن الـ"هاوية" جهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها؛ أي: يسقطون في جهنم، و"أمه" معناه: مأواه كقولك: المدينة أم فلان؛ أي: مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه، الثاني: أن الأم هي الوالدة، و"هاوية" ساقطة؛ وذلك عبارة عن هلاكه، كقولك: أمه ثكلى إذا هلك، الثالث: أن المعنى أم رأسه هاوية في جهنم؛ أي: ساقطة فيها؛ لأنه يطرح فيها منكوسا، وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «**لا أم لك**»، فقال: يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول لي: «**لا أم لك**»، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما أردت لا نار لك، قال الله تعالى** ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾» [الثعالبي: 4/ 278]. وهذا يؤيد القول الأول. ﴿وَمَآ أَدۡرَاكَ مَا هِيَهۡ﴾ الهاء للسكت، والضمير لجهنم على القول بأنها هي الهاوية، وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث والمقصود تعظيمها، ثم فسرها بقوله ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

سورة التكاثر

﴿أَلۡهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنى "الهاكم": شغلكم، و"التكاثر" المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر، ولما قرأها النبي ﷺ قال: «**يقول ابن آدم مالي مالي، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**» [مسلم: 2958].

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ الۡمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن معناه حتى متم، فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها، الثاني: أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر؛ فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها؛ لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى، فالمعنى: ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى، الثالث: أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم، فيقول هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره. ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ زجر وتهديد، ثم كرره للتأكيد وعطفه بـ"ثم" إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل: "كلا سوف تعلمون" في القبور "ثم كلا سوف تعلمون" يوم القيامة، وقيل: الأول تهديد للكفار، والثاني تهديد للمؤمنين، وحذف مفعول "تعلمون" وتقديره: تعلمون ما يحل بكم، أو تعلمون أن القرآن حق، أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله. ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ الۡيَقِينِ﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة، فينبغي الوقف على "اليقين"، ومفعول "تعلمون" محذوف أيضا و"علم اليقين" مصدر، ومعنى "علم اليقين": العلم الذي

لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿١﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

لا شك فيه، قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: دار الآخرة، وقال الزمخشري: معناه علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة. ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسير لمفعول "تعلمون" تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم، والخطاب لجميع الناس فهو كقوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، وقيل: للكفار خاصة؛ فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بـ"ثم" للتهويل والتفخيم، والـ"عين" هنا من قولك: عين الشيء نفسه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين. ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: "النعيم" الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، والصواب العموم في كل ما يتلذذ به، قال رسول الله ﷺ: **«بيت يكنك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم»** [زوائد البزار: 2301]، وقال ﷺ: **«كل نعيم فمسئول عنه إلا نعيم في سبيل الله»** [الإصابة 7/ 405]، وأكل يوما عليه الصلاة والسلام مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: **«هذا من النعيم الذي تسألون عنه»** [الترمذي: 2369].

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها، قال رسول الله ﷺ: **«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»** [البخاري: 527]، الثاني: أنه العشي، أقسم به كما أقسم بالضحى، ويؤيد هذا قول أبي بن كعب ﷺ، سألت رسول الله ﷺ عن "العصر"؟ فقال: **«أقسم ربكم بآخر النهار»** [الطبراني في تفسيره: 6/ 554]، والثالث: أنه الزمان. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ "الانسان" هنا جنس ولذلك استثنى منه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهذا استثناء متصل. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا بالحق و﴿بِالصَّبْرِ﴾، فـ"الحق" الإسلام وما تضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار، وفي "الصبر" إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سورة الهمزة

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ هو على الجملة؛ الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم، واشتقاقه من الهمز واللمز، وصيغة فُعَلة للمبالغة، واختلف في الفرق بين الكلمتين؟ فقيل: الهمز في الحضور واللمز في الغيبة، وقيل: بالعكس، وقيل: الهمز باليد والعين واللمز باللسان، وقيل: هما سواء، ونزلت السورة في الأخنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، وقيل: في أمية بن خلف، وقيل: في الوليد بن المغيرة؛ ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات. ﴿ وَعَدَّدَهُ ﴾ أي: أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات، وقيل: معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر. ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أي: يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا، وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد. ﴿ كَلَّا ﴾ رد عليه فيما ظنه. ﴿ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ هذا جواب قسم محذوف، و"الحطمة" هي جهنم، وإنما سميت "حطمة" لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه، وقد عظمها بقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾، ثم فسرها بأنها ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ أي: تبلغ القلوب بإحراقها، قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها. ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ مغلقة. ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ الـ"عمد" جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع، وقرئ "عُمُدٍ" بضمتين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب، والـ"ممددة" الطويلة، وفي المعنى قولان؛ أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مددت على أبوابها عمد تشديدا في الإغلاق والثقاف، كما تثقف أبواب البيوت بالعمد؛ وهو على هذا متعلق بـ"موصدة"، والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العمد؛ فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمر تقديره: هم موثوقون في عمد.

سورة الفيل

نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم؛ فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه، وقد ذكرت القصة في كتاب السير وغيره، واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب عربي وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾

قريبا منها فرَّ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مائتي بعير فكلمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه، فبرك الفيل بذي الغميس ولم يتوجه إلى مكة، فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول، وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورا سودا، وقيل: خضرا، عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجدري والأسقام وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ﴾ معناه: ألم تعلم، و"كيف" في موضع نصب بـ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ لا بـ"ألم تر"، والجملة معمول "الم تر". ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي: إبطال وتخسير. ﴿ أَبَابِيلَ ﴾ معناه: جماعات شيئا بعد شيء، قال الزمخشري: واحدها أبالة، وقال جمهور الناس: هو جمع لا واحد له من لفظه. ﴿ بِحِجَارَةٍ ﴾ روي أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة، وقال ابن عباس ﷺ: إنه أدرك عند أم هانئ ﷺ نحو قفيز من هذه الحجارة، وأنها كانت مخططة بحمرة، وروي أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا. ﴿ سِجِّيلٍ ﴾ قد ذكر. ﴿ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ العصف ورق الزرع وتبنه، والمراد أنهم صاروا رميما، وفي تشبيههم به ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع التلف والخسة؛ ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن، الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود، الثالث: أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقي هو لا شيء.

سورة قريش

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ "قريش" هم حي من عرب الحجاز الذين من ذرية معد بن عدنان، إلا أنه لا يقال قريشي إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت كبني هاشم وبني أمية وبني مخزوم وغيرهم، وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم؛ والتقرش التكسب وكانوا تجارا، وعن معاوية ﷺ أنه سأل ابن عباس ﷺ: لم سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى، وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة؛ رحلة في الشتاء إلى

فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾

اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وقيل: كانت الرحلتان جميعا إلى الشام، وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكناهم بها، وال"إيلاف" مصدر من قولك: آلفت المكان إذا ألفته، وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال: ألف الرجل الشيء وألفه إياه غيره، فالمعنى على القول الأول: أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف، وعلى الثاني: أن الله ألفهم الرحلتين، واختلف في تعلق قوله "لإيلاف قريش" على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه يتعلق بقوله "فليعبدوا"، والمعنى: فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم، الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: اعجبوا لإيلاف قريش، الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله ﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾ أو بما قبله من الأفعال، ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب ﷺ سورة واحدة لا فصل بينهما، وقد قرأهما عمر ﷺ في ركعة واحدة من المغرب، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر، ونصب "رحلة "لأنه مفعول بـ"إيلافهم"، وقال: "رحلة" وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تَعِفُّوا

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ هذا إقامة حجة عليهم واستدعاء لهم بملاطفة وتذكير بالنعم، و"البيت" هو المسجد الحرام. ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين، فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف، ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق، فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذي زرع، ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وهو قوله ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾. ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل، ويحتمل أن يريد آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾، وقد فسرناه في موضعه أو يعني آمنهم في أسفارهم؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم، وقيل: آمنهم من الجذام فلا ترى بمكة مجذوما، قال الزمخشري: التنكير في "جوع" و"خوف" لشدتها.

سورة أرأيت

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ قيل: إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب، وقيل: هو مطلق، و"الدين" هنا الملة أو الجزاء. ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ أي: يدفعه بعنف، وهذا الدفع يحتمل أن يكون

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾

عن إطعامه والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد، والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى، وهذه الجملة هي جواب "ارآيت"؛ لأن معناها أخبرني، فكأنه سؤال وجواب، والمعنى: انظر الذي يكذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك؛ لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات، فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق؛ والسورة على هذا نصفها مكي ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي، وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن الصلاة والسهو فيها إنما هي من صفة المنافقين الذين كانوا بالمدينة، لاسيما على قول من قال إنها في عبد الله بن أبي، وقيل: إنها مكية كلها، وهو الأشهر، ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل: مدنية، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها، وقد سئل رسول الله ﷺ عن "الذين هم عن صلاتهم ساهون" فقال: «**الذين يؤخرونها عن وقتها**» [البزار: 1145]، وقال عطاء بن يسار: الحمد لله الذي قال: "عن صلاتهم ساهون" ولم يقل: في صلاتهم. ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ هو من الرياء، أي: صلاتهم رياء للناس لا لله. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ فيه وصف لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس، وفي "الماعون" أربعة أقوال؛ الأول: أنه الزكاة، الثاني: أنه المال بلغة قريش، الثالث: أنه الماء، الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص، وسئل رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: «**الماء والنار والملح**»[ابن ماجه: 2568]، وزاد في بعض الطرق: «**الإبرة والخمير**»[الثعالبي: 4/ 285].

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، و"الكوثر" بناء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال؛ الأول: أنه حوض النبي ﷺ، الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس ﷺ وتبعه سعيد بن جبير، بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله، فالمعنى: أنه على العموم، الثالث: أن "الكوثر" القرآن العظيم، الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع، الخامس: أنه التوحيد، السادس: أنه الشفاعة، السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه؛ ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن الصحيح أن المراد بـ"الكوثر" الحوض لما ورد في الحديث الصحيح؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض؛ آنيته عدد نجوم السماء**» [مسلم: 921]. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال؛

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدي والضحايا، الثاني: أنه عليه الصلاة والسلام كان يضحي قبل صلاة العيد فأمر أن يصلي ثم ينحر؛ فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة، الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له، أي: لوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص، الرابع: أن معنى "انحر" ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة، فهو على هذا من النحر وهو الصدر، الخامس: أن معناه ارفع يدك عند نحرك في افتتاح الصلاة. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ هو المبغض، وهو من الشنآن بمعنى العداوة، ونزلت الآية في العاصي بن وائل، وقيل: في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال: إن محمدا أبتر؛ أي: لا ولد له ذكر، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر، وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله؛ أي: مقطوع عنها، ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي ﷺ، فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فكأنه والدهم.

سورة الكافرون

سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا: يا محمد! اتبع ديننا ونتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «**معاذ الله أن نشرك بالله شيئا**» [المعجم الصغير: 752]، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم، ولذلك قال ﷺ: «**من قرأها فقد برئ من الشرك**» [النسائي: 10541]. ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" فالجواب من وجهين؛ الأول قاله الزمخشري: وهو أن قوله "لا أعبد ما تعبدون" يريد في الزمان المستقبل، وقوله ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ يريد به ما مضى، أي: ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف فكيف تطلبون ذلك مني الآن، الثاني قاله ابن عطية: وهو أن قوله "لا أعبد ما تعبدون" لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال: "ولا أنا عابد ما عبدتم"؛ أي: أبدا ما عشت، وهذا معترض لأن "لا" النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال، فقوله "لا أعبد" لا يحتمل أن يراد به الحال، ويحتمل عندي أن يكون قوله "لا أعبد ما تعبدون" يريد به في المستقبل على حسب ما تقتضيه "لا" من الاستقبال، ويكون قوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" يريد به في الحال فيحصل من المجموع نفي عبادته

وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١

للأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" أظهر من معنى المضي الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال فإن قولك: ما زيد قائم بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح ﴿أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، إلا أن هذا في قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبي بن خلف وابنا الحجاج، وكلهم ماتوا كفارا، فإن قيل: لم قال "ما أعبد" بـ"ما" دون من التي هي موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله "لا أعبد ما تعبدون" فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل "ما أعبد" على طريقته لتناسب اللفظ، الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري، الثالث: أن "ما" مصدرية والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي؛ وهذا ضعيف، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما قول الزمخشري: وهو أن الأول في الحال والثاني فيما مضى، والآخر قاله ابن عطية: وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدا. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم شرككم ولي توحيدي، وهذه براءة منهم، وفيها مسالمة منسوخة بالسيف.

سورة النصر

سأل عمر بن الخطاب ﷺ جماعة من الصحابة ﷺ عن معنى هذه السورة فقالوا: إن الله أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح -وذلك على ظاهر لفظها-، فقال لابن عباس ﷺ بمحضرهم: يا عبد الله! ما تقول أنت؟ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر ﷺ: ما أعلم منها إلا ما علمت [البخاري: 4294]، وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود ﷺ وغيره، ويؤيده قول عائشة ﷺ: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم إني أستغفرك**» يتأول القرآن [مسلم: 1116]، أي: هذه السورة، وقال لها مرة: «**ما أراه إلا حضور أجلي**» [البخاري: 3624]، وقال ابن عمر ﷺ: نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق في حجة الوداع، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يوما أو نحوها، وقال ابن مسعود ﷺ: هذه السورة تسمى سورة التوديع. ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يعني بـ"الفتح" فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ، وقال ابن عباس ﷺ: الـ"نصر"

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾

فتح الحديبية، و"الفتح" فتح مكة، وقيل: الـ"نصر" إسلام أهل اليمن، والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة. ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير، فقد روي أن رسول ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفا، وقال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر، وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته عليه الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة عشر ألفا. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار، ومعنى "بحمد ربك" فيما تقدم، فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء.

سورة أبي لهب

سببها أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله ﷺ الصفا فنادى بأعلى صوته: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، ثم أنذرهم عموما وخصوصا، فقال له أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة [البخاري: 4770] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ معنى "تبت" خسرت، والتباب هو الخسران، وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوة له، فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر ﷺ وغيره، ويقال: إنه كني بأبي لهب لتلهب وجهه جمالا، الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية، الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب، وليناسب ذلك قوله "سيصلى نارا ذات لهب". ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون "ما" نافية أو استفهامية يراد بها النفي، و"ماله" هو رأس ماله، وما كسب: الربح، أو "ماله": ما ورث، و"ما كسب": هو ما اكتسبه لنفسه، وقيل "ماله" جميع ماله و"ما كسب" أولاده. ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا. ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية؛ وهي أخت أبي سفيان ﷺ وعمة معاوية ﷺ، وفي وصفها بـ"حمالة الحطب" أربعة أقوال؛

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

أحدها: أنها كانت تحمل حطبا وشوكا وتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه، الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس؛ أي: يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم، الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به، الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد العنق، والمسد الليف، وقيل: الحبل المفتول، وفي المراد به ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول، وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها، والآخر: أن حالها في جهنم يكون كذلك؛ أي: يكون في عنقها حبل، الثالث: أنها كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على وجه التفاؤل والذم لها بتبرجها، ويحتمل قوله "وامرأته" وما بعده وجوها من الإعراب يختلف الوقف باختلافها؛ وهي أن يكون "امرأته" مبتدأ، و"حمالة الحطب" خبره أو "حمالة الحطب" نعت والخبر في "جيدها حبل من مسد"، أو يكون "امرأته" معطوفا على الضمير في "يصلى" و"حمالة الحطب" نعت أو خبر مبتدأ مضمر.

سورة الإخلاص

سبب نزول هذه السورة؛ أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسبه، فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها؟ فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيا عليه، ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة [الأسماء والصفات: 596]، وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك. فنزلت [الترمذي: 3690]، وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية [لأن سؤال اليهود بالمدينة]، وعلى الرواية الثانية تكون مكية، واختلف في معنى قوله ﷺ: «**قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**» [مسلم: 1924]، فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل من قرأ ثلث القرآن، وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم، وذلك أن علوم القرآن ثلاثة؛ توحيد وأحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار؛ وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث، ويؤيده أن في بعض روايات الحديث: «**إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن**» [مسلم: 1923]، وخرج النسائي [8027] أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرؤها فقال: «**أما هذا فقد غفر له**»، وفي رواية أنه قال: «**وجبت له الجنة**» [أحمد: 8232]، وخرج مسلم [1926] أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة "قل هو الله أحد"، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه، لأي شيء يصنع ذلك**»، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»، وفي رواية خرجها الترمذي [3148] أنه ﷺ قال للرجل: «**حبك إياها أدخلك الجنة**»، وخرج الترمذي [3143] أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ

كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين». ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن الذي يراد به التعظيم والتفخيم، وإعرابه مبتدأ وخبره مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له، و"الله" مبتدأ و"أحد" خبره، وقيل: "الله" هو الخبر و"أحد" بدل منه، وقيل: "الله" بدل و"أحد" هو الخبر، و"أحد" له معنيان؛ أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك: ما جاءني أحد، وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله "ولم يكن له كفؤا احد"، والآخر: أن يكون بمعنى واحد، وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة، وهذا هو المراد هنا. واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى؛ الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد، والآخر: أنه واحد لا نظير له ولا شريك، كما تقول: فلان واحد عصره؛ أي: لا نظير له، الثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض؛ والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾، قال الزمخشري: "أحد" وصف بالوحدانية ونفي للشركاء، قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته، وذلك في القرآن كثير جدا، وأوضحها أربعة براهين؛ الأول: قوله ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ﴾؛ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له، والآخر: قوله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ اِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، والثالث: قوله ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَواْ اِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾، والرابع: قوله ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنِ اِلَهٍ اِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾. وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾.

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ في معنى "الصمد" ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه السيد الذي يصمد إليه في الأمور؛ أي: يلجأ إليه، والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾، والثالث: أنه الذي لا جوف له؛ والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية؛ بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه، أي: تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها، ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله، كقوله في مريم ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾، ثم أعقبه بقوله ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ اِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾، وقوله ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ وقوله ﴿ قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ ﴾، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ليكون برهانا على نفي الولد، قال الزمخشري: صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج. ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزير ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله، وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال؛ الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾، فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار، الثاني: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولدا، وإلى هذا أشار تعالى بقوله ﴿ قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾، الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البنوة، وإلى هذا أشار تعالى بقوله ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾، الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾، ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ هذا رد على الذين قالوا: انسب لنا ربك، وذلك أن كل مولود محدث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ الكفؤ هو النظير والمماثل، قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيا للصاحبة؛ وهذا بعيد؛ والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل، ويجوز في "كفؤا" ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين، ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء، ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد، ويجوز فيه الهمزة والتسهيل، وانتصب "كفؤا" على أنه خبر "كان" و"احد" اسمها، قال ابن عطية: يجوز أن يكون "كفؤا" حالا لكونه كان صفة للنكرة فقُدم عليها، فإن قيل: لم قدم المجرور وهو "له" على اسم "كان" وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى، والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقا، إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدمه، فإن قيل: إن قوله "قل هو الله أحد" يقتضي نفي الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم متقدم كقوله ﴿ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾، ويُفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا؛ أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار، والآخر: الإيضاح والبيان، فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ تقدم معنى "اعوذ" في التعوذ، ومعنى "رب" في اللغات والفاتحة، وفي "الفلق" ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾، وقال الزمخشري: هو فعل بمعنى مفعول، الثاني: أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى، وغير ذلك، الثالث: أنه جب في جهنم، وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ [ابن جرير 24/ 284]. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها، و"ما" موصولة أو موصوفة أو مصدرية. ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فيه ثمانية أقوال؛ الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾، وهذا قول الأكثرين؛ وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن، ولذلك قيل في المثل: الليل أخفى للويل، الثاني: أنه القمر، خرج النسائي [10134] أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: **«يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»**، ووقوبه على هذا كسوفه؛ لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به، الثالث: أنه الشمس إذا غربت؛ والوقوب على هذا بمعنى الظلمة والدخول، الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل؛ وهذا قريب من الذي قبله، الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: **«النجم هو الغاسق»** [العظمة: 476]، فيحتمل أن يريد الثريا، السادس: أنه الذكر إذا قام، حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما، السابع: قال الزمخشري: يجوز أن يراد بالـ"غاسق" الأسود من الحيات ووقبه ضربه، الثامن: أنه إبليس حكى ذلك السهيلي. ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث شبه النفخ دون تفل ريق، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: والنفخ مع ريق، وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عُقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك، وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر، قد عقدت فيه عقد على فصلان؛ وهي أولاد الإبل فمنعت بذلك رضاع أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين، قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن إثمهن في ذلك، والآخر: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن، والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن، و"النفاثات" بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره: النساء النفاثات، أو الجماعة النفاثات، أو النفوس النفاثات؛ والأول أرجح؛ لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي،

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله ﷺ، وعقدن له إحدى عشر عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد، وشفى الله رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن قيل: لم عرف "النفاثات" بالألف واللام، ونكر ما قبله وهو "غاسق" وما بعده وهو "حاسد" مع أن الجميع مستعاذ منه؟ فالجواب: أنه عرف "النفاثات" ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد، فإن شرهما في بعض دون بعض. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا، قال رسول الله ﷺ: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» [أبو داود: 4905]، وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عُصي اللهُ بها في السماء وفي الأرض؛ أما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد، ثم إن الحسد على درجات؛ الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه؛ بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به، الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه، الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره؛ وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة، والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات؛ أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام، الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى؛ فإن حقيقة الحسد كراهة إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله، الثالثة: تألم قلبه وكثرة همه وغمه، فنرغب إلى الله تعالى أن يجعلنا محسودين لا حاسدين؛ فإن المحسود ذو نعمة والحاسد في كرب ونقمة، ولله در الشاعر في قوله:

إني لأرحم حاسديَ لفرط ما ... ضمت صدورهم من الأغوار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يشتكي كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله من بات حاسدا ... لمن بات في نعمائه يتقلب

قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين: الخمسة على عينك، فإن قيل: لم قال "اذا وقب" و"اذا حسد"، فقيد بـ"اذا" التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟ فالجواب: أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده، فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين؛ فإن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾

عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد والظن والطيرة؛ فمخرجه من الحسد أن لا يبغي، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الطيرة ألا يرجع**» [شعب الإيمان: 1179]، فلهذا خصه بقوله "اذا حسد"، وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم، فلذلك خصه بقوله "اذا وقب"، فإن قيل: إن قوله "من شر ما خلق" عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده، فلأي شيء ذكر ما بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهودُ رسولَ الله ﷺ وشدة حسدهم له.

سورة الناس

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ فالجواب: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر؛ لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم. ﴿ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ هذا عطف بيان، فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى "برب" ثم بـ"ملك" ثم بـ"إله"؟ فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى؛ وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه، وأما الملك فلا يوصف به إلا آحاد الناس وهم الملوك ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس؛ فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملوك؛ ولذلك لا يدعي الملوك أنهم آلهة، وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير، فلذلك ختم به، فإن قيل: لِما أظهر المضاف إليه وهو "الناس" في المرة الثانية والثالثة، فهلا أضمره في المرتين لتقدم ذكره في قوله "برب الناس"، أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟ فالجواب: أنه لما كان هذا عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار، وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغَّص الموتُ ذا الغنى والفقير

﴿ الْوَسْوَاسِ ﴾ هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي؛ فيحتمل أن يكون "الوسواس" بمعنى الموسوس، فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية، "الوسواس" من أسماء الشيطان، ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة، كالوصف بعدل وصوم، أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس، وقال الزمخشري: إنما المصدر وِسواس بالكسر. ﴿ الْخَنَّاسِ ﴾ معناه: الراجع على عقبه المستتر أحيانا، وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس، فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن

ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦

الذكر، وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك. ﴿ الَّذِي يُوَسْـوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ وسوسة الشيطان في صدور الناس بأنواع كثيرة؛ منها فساد الإيمان والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله، ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال. وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء؛ وهي: الإكثار من ذكر الله، والإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة، والثالث: مخالفته والعزم على عصيانه، فإن قيل: لم قال "في صدور الناس" ولم يقل في قلوب الناس؟ فالجواب: أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب. ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن والإنس، ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد به من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة، فإنه شيطان كما قال تعالى ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾، أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء؛ والأول أظهر، وقيل إن "الناس" معطوف على "الوسواس"، كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس، وليس "الناس" على هذا ممن يوسوس؛ والأول أظهر وأشهر. فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لما كان القرآن من أعظم نعم الله على عباده والنعم مظنة الحسد، فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله، الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: «**أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط**» [مسلم: 1927]، كما قال في فاتحة الكتاب: «**لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها**» [الترمذي: 3115]، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام؛ ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها، الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره.

كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إليه كما أعانني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجبا لدخول الجنة من غير حساب ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم. وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبعمائة، والحمد لله رب العالمين.

كلمة المحقق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا ند له يسـتحق العبادة ولا نظير له يرتجى. وأشـهد أن محمدا عبده ورسـوله أقوم الناس طريقا وأوضحهم سـبيلا وأسدهم منهجـا نـور الكون ومصباح الدجى صلى الله عليـه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهـداه فنجا ومن تبعهم واتخذ سبيلهم شرعة ومنهاجا.

وبعد: فإن الله تعالى أرسـل رسـله بالبينات وأنزل معهم الكتب والمعجزات ومن أعظم تلك الكتب وهو المهيمـن عليهـا كتاب الله القرآن العظيم الذي خص الله به هذه الأمة المشرفة؛ هذا الكتاب المبين الذي جاء به رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ النذير المبين ليبلغه لأمته البلاغ المبين فمن تمسك به نجا وفاز الفوز المبين ومن أعرض عنه ونبذه وراء ظهره خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

هذا القرآن بلاغ ورسـالة من عالم الغيب من فوق سـبع سماوات إلى عالم الشهادة رسالة من رب الكون إلى من يعمر هذا الكون لتربط الإنسان بأصله وتعرفه مسؤوليته ووظيفته في هذا الكون بصائر من ربنا فما أحوج الإنسان الكادح إلى ربه لمن يبصره ويرشده!.

فالقرآن طريق الربانية الأوحد لا يحقق غيره هذا المبتغى: ﴿ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَـا كُنتُـمْ تَدْرُسُـونَ ﴾ [آل عمران: 97]. إذ هـو كلام الله ووحيه إلى عباده وتزداد في قلب المسـلم عظمة هذا الكتاب باستحضاره أن هذا القرآن صلة بينه وبين خالقه صلة تقتضي التلقي والترقي يصورها المصطفى ﷺ بأنها كالحبل الممدود من السماء إلى الأرض طرفه الأعلى بيد الله وطرفه الأدنى بيد كل مسلم تال للقرآن..!

فما أحرى بنا أن نتعلق بهذا القرآن تلاوة وترتيلا وتدبرا وتذكرا وتفكرا وتبصرا؛ ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 92].

جهود الأمة في خدمة القرآن:

ولا سـبيل لتحقيق ذلك إلا بمعرفة معانيه ودلالاته وسـياقاته وإشاراته وقد كان علماؤنا الأجلاء يعتنون بهذا الكتاب أشـد الاعتنـاء فلم يتركوا جانبا من جوانبه إلا تناولوه بالشرح والبيان ولا مسـألة من مسـائل مرتبطة به إلا بينوها بالدليل والبرهان ولهم في ذلك مناهج مختلفة وأسـاليب متعددة سـار عليها أئمة التفسير من قرون خالية وأزمنة مترامية وكان لؤلؤةَ ذلك العقد سفر نفيس وتفسير جليل أبدعته يراعة إمام عظيم قد أبهج النفوس بحسن اختراعه وهو تفسير : "**التسهيل لعلوم التنزيل**" للإمام أبي القاسم ابن جزي.

وله من اسـمه نصيب فقد كان مقصده فيه تقريب كتاب الله وعلومه للأمة فوضع هذا التفسـير الشـامل لعلوم القرآن وفنونه المختصر في عباراته وإشاراته بألفاظ وجيزة وعبارات سهلة. فكان بذلك تفسيرا بديعا في بابه قريبا لطالبه جامعا لفوائد وفرائد قل أن توجد في مثله.

الإمام أبو القاسم ابن جزي الكلبي:

مؤلف هذا التفسـير هو الإمام العالم الحافظ الشـهير أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي. المولود سنة (693).

حلاه مترجموه بأحسن الأوصاف فهو من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة والعدالة نشأ رحمه الله في بيت أصيل ومجد رفيع أثيل بين العلماء والقضاة والفقهاء فتخرج على علماء الأندلس الأفذاذ في عصره من أمثال ابن الزبير في التفسير وابن رشيد في الحديث وابن الشاط في الفقه والأصول وشُهد له بمشاركته في جميع العلوم فهو معدود من الفقهاء والمفسرين المشـاركين في شـتى المعارف والعلوم والخطباء المبرزيـن إذ كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة تفرغ للعلوم الشرعية من التدريس والتحصيل والإرشاد والتأليف فألف في فنون من العلم وترك آثارا خلدت ذكره فصنف المصنفات ودون الدواوين في سائر المعارف والتخصصات بدءا بالقرآن والقراءات وهو في الفقه وأصوله علم من أعلامه المبرزين وكتبه في الحديث شاهدة على تضلعه في هذا الفن المتين.

وكان موصوفـا بانقطاعـه للعلـم وتفرغه للطاعات وهجر الملذات والشـهوات واجتهاده فيما يقربه لربه من العبادات إلى أن توفي وهو في مهمة الجهاد ضد الأعداء في وقعة طريف سنة: (741). وهو بعد لم يكمل العقـد الخامـس فبارك الله له في عمره القصير؛ فكان نتاجه وفيرا وحياته مباركة وهذا من توفيق الله لأوليائه وبركته في الأعمار لأهل الله وخاصته؛ وإن كان من سبب لهذا الإنتاج الوفير والجهد العظيم مقرونا بالإبداع والتميـز فإنما ذلك لهمته العالية في طلب العلم واجتهـاده في تحصيله وبذله الغالي والنفيس من أجله؛ أليس هـو القائـل:

لـكل بنـي الدنيـا مـراد ومقصـد ... وإن مـــرادي صـحـة وفـــراغ

لأبـلـغ في عـلـم الشـريـعـة مبلغـاً ... يـكـون بـه لي في الجـنـان بـلاغ

ففي مثـل هـذا فلينافـس أولـو النهى ... وحسـبي مـن الدنيـا الغـرور بـلاغ

فـما الـفـوز إلا في نـعـيـم مـؤبـد ... بـه العيـش رغـد والشـراب يسـاغ

فأفنى رحمه الله عمره في الدفاع عن دينه وأمته وخدمة علوم الشريعة بلغ فيها مبلغا مشهودا له به في الدنيا فنسأل الله له فوق ذلك المبلغ في الآخرة.

تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل":

يعتبر الإمام ابن جزي ممن لهم باع في التفسير ومن الذين تُلقيت جهودهم في هذا الميدان بالقبول والاستحسان والإعجاب والامتنان؛ لكونه يتقن هذا العلم أيما إتقان ويحسنه غاية الإحسان ويتجلى ذلك من خلال تفسيره في المميزات التالية:

الميزة الأولى: مكانة مؤلفه ابن جزي العلمية وما حباه الله به من صفات يخص بها من شاء من أصفيائه بها يرزق القبول ومن أعظمها الإخلاص والصدق مما جعل أعماله بعد وفاته يكتب لها القبول؛ فالإمام ابن جزي مثال للعالم الرباني التقي النقي الخفي نجد في وجدانه تعظيما فائقا لحرمات الله وحسا مرهفا يقشعر بدنه من ذكر الله والعالم المتصف بالتقوى والمتزر بالخشية هو الذي تفتح له معارف القرآن ويستعين بها للغوص في أسراره واستخراج كنوزه وحظ الإمام ابن جزي من هذا وافر وما سبق من سبق في هذا الباب إلا بخشية الله وتعظيم شعائره وحرماته وهذا الذي جعله يصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني وهذا جانب فريد في تفسير ابن جزي سيلاحظه المتأمل في نفائس من إشاراته.

الميزة الثانية: منهج ابن جزي البديع الذي راعى فيه الإيجاز مع الحرص على الوفاء بتفسير الآية فقد بنى تفسيره هذا على الاختصار مع جمع الأقوال وتلخيص العلوم المتعلقة بالكتاب في الآية ففسر القرآن بالقرآن وبالسنة وأتى بنصيب من أحكام القرآن بذكر المذاهب الفقهية ومعاقدها من الآية فبحث مجموعة من المسائل الفقهية المستنبطة من القرآن وفي كتابه جملة مما يحتاجه المفسر من القراءات التي تساعده على تفسير الآية ولم يخله من شواهد اللغة العربية وتوجيهات النحويين وأبدع في علم السلوك لاسيما باب مقامات السائرين إلى الله الذي قل أن يوجد في كتاب مستفيدا ذلك من القرآن.

والإمام ابن جزي لم يترك لأحد التكهن بمنهجه في هذا التفسير بل رقم ذلك في مقدمته فقال عن مضامين كتابه ومقاصده: (وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا؛ إذ جعلته وجيزا جامعا؛ قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين وتقريبا على الراغبين ...

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب ...

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات ...

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح ...).

فهـل بعـد هذه المقاصد مقصد من مقاصد التأليف؟. فقد أتى بها كلها في كتاب فاختصر جهود السـابقين كأنـه جمـع اللباب في علـوم الكتاب بعبارة موجزة رغـم ذلك أضاف إليه نكتا عجيبـة لا توجد في كتاب مع إيضاح مشكلات هذا الباب والنقد والتحقيق والإبداع. وقلما تجتمع هذه المقاصد في مؤلف واحد.

الميزة الثالثة: المصادر التي اعتمد عليها في هذا الديوان تتميز بأهميتها وشـموليتها وأصالتها فكان اعتماده عليها سـببا في حسـن تفسـيره وبلوغه درجة رفيعة بين المفسرين فاطلاعه الواسـع على التفاسـير المشـهورة الواسعة الانتشار والتي هي عمدة التفاسير قديما وحديثا أكسبته قيمة علمية كبرى وذلك مثل:

١- تفسير ابن جرير الطبري الذي وصفه ابن جزي بأنه: (جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها)

٢- وتفاسير النقاش والثعلبي والماوردي ويرى ابن جزي أن كلام هؤلاء الثلاثة يحتاج إلى تنقيح.

٣- تفسير مكي بن أبي طالب القيسي المبرز في التفسير وغيره من تآليفه فإنها نحو ثمانين تأليفا أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير.

٤- ومن بعدهم أبو العباس المهدوي الذي وصفه ابن جزي بأنه (متقن التأليف حسـن الترتيب جامع لفنون علوم القرآن).

٥- إلا أن المصدر الأساسي الذي تأبطه ابن جزي في رحلته مع القرآن هو تفسير ابن عطية حاز على رضا ابن جزي فوصفه بأنه (أحسـن التآليف وأعدلهـا فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة).

٦- ويعـد تفسـير الزمخشري عنـد ابن جزي مصـدرا ثانويا لاسـيما في الجوانب اللغويـة وإن نقده في جوانـب أخـرى.

٧- كما اطلع على تفسير الرازي المشهور بابن الخطيب وأشار إلى أنه يحتاج إلى تلخيص.

فهذه أهم تفاسير الإسلام قد استوعبها ابن جزي في هذا المختصر الملم بأشتات تفسير الآية.

ومما يتميز به تفسير ابن جزي أيضا اعتماده على نوع من المصادر الأخرى وهي المصادر الشفهية فقد أفرغ علم بعض شـيوخه في هذا التفسـير وما تلقاه من أفواههم مشافهة من الفوائد فابن جزي يعد تلميذا لأبي جعفر بن الزبير من أعلم أهل الأندلس بالقرآن في عصره يصفه ابن جزي بقوله: (ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشـيخنا الأسـتاذ أبو جعفر بن الزبير؛ فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه وله فيه تحقيق ونظر دقيق). والمتصفح لهذا التفسير سيجد فيه نقولا عن أستاذه وشيخه ابن الزبير.

الميزة الرابعة: الإبداع والتميز في تفسـير ابن جزي ويتجلى تميزه عن كافة التفاسـير في ثلاث جواهر ودرر طرز بها كتابه وهي لا غنى لطالب العلم عنها فهي تبصرة للمبتدئ وتذكرة للمنتهي:

الجوهرة الأولى: مقدمة رائعة في أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة يحتاج إليها المهتم بالتفسير وعلوم القرآن جمع فيها من القواعد ما تفرق في كتب وصاغها صياغة دقيقة بأسلوب رصين جعلها في اثني عشر بابا.

الجوهرة الثانية: مقدمة لغوية فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن مع شرحها وبيان أصلها بحفظها تُستوعب جملة من لغة القرآن. وكأن ابن جزي بوضعه هاتين المقدمتين يمهد الطريق لمن أراد الولوج في علم التفسير وتدارس كتاب الله ليبين أن لهذا العلم مفاتيح ومقدمات هي بمثابة أدوات علمية يتوصل بها إلى دقائق التفسير وبدونها يضل طالبه في شعابه.

الجوهرة الثالثة: مقامات السائرين إلى الله التي نثرها ابن جزي في عدة سور بين ثنايا آيات القرآن مستمدا إياها من وحي الكتاب أوصلها إلى اثني عشر مقاما من مقامات السلوك تؤهل طالب العلم ومتدبر القرآن لتزكية نفسه وعلمه وتنظيف قلبه من الأدران.

الميزة الخامسة: الإنصاف والعدل واحترام من سبقه من المفسرين على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم وتلك أخلاق القرآن فلا يقتضي وقوفه على هفوات بعض المفسرين الطعن فيهم وفي كتبهم فذلك يتنافى مع تعظيم القرآن وأهله وإنما اكتفى بقوله: (وكل أحد سلك طريقا نحاه وذهب مذهبا ارتضاه وكلا وعد الله الحسنى) وإذا بين ما يؤخذ على بعض التفاسير لم يزد على قوله -يقوده في ذلك عدل العالم-: (فخذ منه ما صفا ودع ما كدر). ويختم قائلا: (والله ينفع الجميع بخدمة كتابه ويجزيهم أفضل ثوابه).

الميزة السادسة: ومن خصائص هذا التفسير التي يمتاز بها عن غيره ميزة تَنبه إليها ابن جزي ورعاها في عمله وقلما يلتفت إليها وهي التقيد بقراءة أهل بلده الأندلس قراءة نافع وقد بين ابن جزي سبب اختياره هذا فقال: (وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين: أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب، والآخر اقتداء بالمدينة - شرفها الله -؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك: قراءة نافع سنة).

ولا نعرف له في هذا الصنيع مثيلا إلا ما قام به العلامة محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره ولعل اختياره ذلك هو صدى عمل ابن جزي هذا يقول ابن عاشور: (وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون، لأنها القراءة المدنية قارئا وراويا، ولأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس). ولعل عمل ابن جزي الفريد هذا هو الذي جعل المشارقة يضربون صفحا على تفسيره لأن تعلقهم بقراءة عاصم وتعلمهم عليها أكثر من غيرها.

قيمة تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل" العلمية:

إضافة إلى ما يميز هذه التفسير مما تقدمت الإشارة إليه من المنهج البديع والمصادر الأصلية في هذا العلم فإن مما يبين أيضا أهمية هذا التفسير أثره فيمن بعده وشهرته فقد تلقى العلماء هذا التفسير بالقبول واهتموا به وأثنوا عليه وأكثروا من نسخه وروايته ودرسوه وحشوا عليه واعتمدوه مصدرا في علم التفسير.

والقيمة العلمية لكتاب التسهيل ناتجة عن مكانة ابن جزي في هذا العلم وإتقانه له يقول عنه تلميذه ابن الخطيب وهو عمدة من جاء بعده في ترجمته: (كان رحمه الله ... حفظة للتفسير مستوعباً للأقوال). وقال أيضا: (ورحل في علم التفسير إلى كل طية وتركيب في أغراضه كل مطية حتى أنسى الزمخشري وابن عطية).

ولهذا صار هذا الكتاب مجالا للدرس منذ ظهوره وانتشاره بين أهل العلم يقول المجاري وهو يتحدث عن شيخه عبد الله ابن جزي ولد مؤلف "التسهيل": (... وشرعت عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" من تآليف السيد والده المذكور وتم لي منه بقراءتي وقراءة غيري جميع المقدمة التي افتتح بها تفسيره المذكور). مما يدل على أن هذا التفسير استرعى اهتمام طلبة العلم والمهتمين بعلوم القرآن في وقت مبكر.

كما حظي باهتمام المفسرين فنقلوا منه وأثنوا عليه يقول ابن عجيبة -وهو من أكثر من وقفنا عليه نقل من هذا التفسير-: (وممن ألف في التفسير أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي من أهل غرناطة ألف كتابا في التفسير سماه: التسهيل لعلوم التنزيل فهو مقتطف من ابن عطية غير أنه أوضح فيه العبارة وأجاد الإشارة وحرر فيه المقال وأكمل غاية الإكمال إلا أنه لم يستوعب القرآن بالكلام وقد تلقى الناس كتابه بالقبول فبلغ به غاية المأمول توفي شهيدا في غزوة طريف سنة إحدى وأربعين من القرن الثامن). ويقول المسند عبد الحي الكتاني وهو يعدد مؤلفات ابن جزي: (... والتفسير المشهور الذي حشى عليه الشيخ التاودي ابن سودة، وهو عندي).

ومما يؤكد انتشاره واعتماد العلماء عليه تحبيس سلاطين المغرب نسخا منه على مختلف الخزائن عبر العصور المختلفة كما يدل على ذلك طرر النسخ الخطية.

وإن كانت هذه الشهرة التي يتمتع بها هذا التفسير مسلمة فإنما هي في قطره الأندلس وما يليه من البلدان المغربية أما في المشرق فبعض القرائن تدل على أنه كان مغمورا ويقف المرء حائرا مستغربا أمام كون الإمام السيوطي الجماعة الواسع الاطلاع لم يشر لهذا التفسير في كتابه "طبقات المفسرين" ويزداد غرابة إذا علم أن تلميذه وبلديه الداودي المالكي ذكره ضمن كتابه "طبقات المفسرين". وبعد هذه الفترة نجد لهذا التفسير صدى في المشرق فقد نقل منه ابن عقيلة المكي في كتابه: "الزيادة والإحسان في علوم القرآن" كما نجد نقولا منه في حاشية الجمل المصري على الجلالين المسماة: "الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية".

طبعات الكتاب السابقة:

هذا هو ابن جزي وذلك هو تفسيره للقرآن الكريم وتلك شهرة كتابه في الآفاق إلا أن ذلك السجل الحافل لهذا السفر العظيم لم يشفع له ليخدم خدمة تليق بكتاب الله أولا ثم بمقصد مؤلفه ومقدار جهده ثانيا فكان غالب طبعات هذا الكتاب لا ترقى لمنزلة هذا العمل حتى كادت تتفق على نشر هذا الكتاب دون أدنى دقة مطلوبة أو قليل من الاهتمام الذي يليق به فخلطوا فيه بين الغث والسمين والرث والثمين والكتاب من ذلك بريء رغم كون أصول الكتاب متوافرة هنا وهناك. ولو كانت القضية تتعلق بالأخطاء الشائعة لهان الأمر ولكنها تجاوزت ذلك بكثير لتفسد المعنى المقصود من أساسه.

وحتى يكون القارئ على بينة من الأمر نذكر مثالا يوضح شناعة تلك الأخطاء الواقعة في نسخ هذا الكتاب المطبوعة؛ ففي سورة الإخلاص نفي الولد عن الله عز وجل تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد ذكر ابن جزي في تفسيره لتلك السورة هذه العبارة: (والعبودية تنافي البنوة) كما في بعض النسخ الخطية وقد أورد جل المفسرين هذه العبارة بهذا اللفظ: (والعبودية تنافي الولادة). أما النسخ المطبوعة من تفسير ابن جزي فقد أوردت العبارة هكذا: (والعبودية تنافي النبوة) وإن كان هذا خطأ بتقديم حرف على حرف فإنه خطأ مخالف لمقتضى القرآن الكريم والسنة النبوية وعقائد المسلمين.

وليست هذه الديباجة محلا لتتبع تلك الأخطاء فيكاد المرء يجزم أن كل صفحة لا تخلو من خطأ أو أخطاء فكان نشر هذا الكتاب على الطريقة التي وصفنا خطيئة في حق هذا التفسير. وإذا كان التحريف والتغيير مما يلتمس لصاحبه العذر فإن هذا التفسير لم يقتصر في حقه على ذلك بل اعتدي على حرمته بتقديم ما أخره مؤلفه وتأخير ما قدمه فبعض النسخ المطبوعة قديما تجد فيها المقدمتين اللتين استهل بهما المؤلف كتابه وهما جوهرة هذا التفسير ملحقة بآخر الكتاب.

بل الأعجب من ذلك أن جميع النسخ المطبوعة التي اطلعنا عليها تصرفت تصرفا شنيعا في نص مؤلفه فغيرت ترتيب المقدمة اللغوية المرتبة على ترتيب المغاربة للحروف مستبدلين لها بترتيب المشارقة و جميع المخطوطات التي بين أيدينا على عكس ذلك. ومن بينها النسخ المكتوبة في المشرق.

عملنا في هذا الكتاب:

وإن المنتدى الإسلامي وهو يتشرف بنشر هذا السفر الجليل يَعتبر هذا العمل فضيلة ادخرها الله له نرجوا بها المثوبة في الدنيا والآخرة وعملنا في هذا الكتاب يتركز على ستة أمور مهمة:

الأول: إخراج نص هذا الكتاب سالما من الآفات والأخطاء وضبط نص هذا التفسير كما أراده المؤلف أو قريبا من مراده كل ذلك حسب القدرة والاستطاعة.

الثاني: إخراج الكتاب على ترتيب المؤلف كما وجد في الأصول المعتمدة دون تقديم ما أخره وتأخير ما قدمه مما يخالف ما ارتضاه مؤلفه.

الثالث: المقارنة بين المخطوطات والتدقيق على الأصول التي بين أيدينا وإثبات ما يترجح في الأصل. ولم نثبت الفروق المرجوحة في الحاشية • وهي كثيرة- حتى لا نثقل الكتاب بالحواشي والهدف الأساس هو ضبط النص.

الرابع: إذا غم علينا الأمر ولم نهتد إلى المعنى المراد نرجع إلى كلام المفسرين المتقدمين وخاصة ابن عطية والزمخشري أو الناقلين من هذا التفسير للاهتداء للمعنى المراد.

الخامس: بما أن المؤلف قد بنى تفسيره هذا على قراءة نافع فإننا أثبتنا مع هذا التفسير إحدى روايات هذه القراءة وهي مصحف القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني.

السادس: جميع الأحاديث التي ذكرها المؤلف أو أشار إليها عزوناها إلى مصادرها الحديثية مما يساعد القارئ على معرفة مظنة الحديث وقد كفانا ابن جزي مؤونة هذا الباب فحكم على عدد غير قليل من الأحاديث التي أوردها.

النسخ الخطية المعتمدة:

نسخ التسهيل لعلوم التنزيل الخطية متعددة وحصلنا منها -ولله المنة والفضل- على عدة نسخ أصلية ومصورة عن أصل وكلها نسخ كاملة وقد اختلفت هذه المخطوطات وتباينت من حيث الجودة والرداءة والقوة والضعف فبعضها ما هو إلا تكرار للنسخ الأخرى وبعضها رغم وجود الأخطاء فيها إلا أنها قد ترجح في بعض الفروق نسخا على أخرى.

ولإنجاز هذا العمل في أفضل إخراج اخترنا من بينها أحسنها وأجودها فقابلناه على ثلاث نسخ أصلية أحدها مسندة إلى نسخة المؤلف وهذا وصف النسخ الخطية على الترتيب في الأهمية:

١- نسخة الخزانة الحسنية بالمغرب برقم: 11111 وتقع في مجلدين ينتهي المجلد الأول عند تفسير آخر سورة الكهف ويتكون من مائة وست ورقات ويبد أ المجلد الثاني بتفسير سورة مريم عليها السلام ويتكون من مائة وخمس عشرة ورقة وخطها مغربي مقروء وهي كاملة لا نقص فيها مصححة ومزودة بالتعقيبة نسخت في سنة ألف ومائة وثمانية وتسعين على يد: عبد الرحمن بن الخياط بن أحمد بن عبد القادر ابن زاكور.

وقـد نالت غاية الاهتمام من ناسـخها يظهـر ذلك في كثير من الحواشي التي طرزت بهـا بين فوائد وتعليقات وفهرسة لموضوعات هذا التفسير. كما تظهر ميزة هذه النسخة في دقتها وموافقتها للصواب في الغالب ولولا الطمـس الذي يغطي بعضـا منها لكان فيها حل لكثير من معضلات هذا التفسـير. ويكفـي تفضيلا لها أنها النسـخة الوحيدة المسـندة إلى نسخة المؤلف يقول ناسـخها: (ونسخنا هذه النسـخة من نسخة سيدي محمد ابن صالح ابن محمد الأندلسي وفرغ منها يوم الأحد الثالث والعشرون من شـهر الله المحرم عام ثمانية وألف وقد نسخها من نسخة سيدي موسى بن علي بن موسى ... ونسخ هو تلك النسخة من نسخة المؤلف المبارك الأوحد البركة الشـيخ الرباني العلامة الفهامة سـيدي محمد ابن جزي... من خط يده). وكثير من التعليقات المثبتة في حواشيها تدل على الدقة في مقابلة هذه النسخة وتصحيحها.

٢- نسـخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية برقم: 10771 وهـي نسـخة كاملة تقع في مجلد واحـد متكون من مائة واثنتين وثمانين ورقة خطها مغربي جيد سـنة نسخها ألف ومائتان وواحد وأربعون ناسخها محمد بن عمر احايك وعليها بعض التصحيحات والتعليقات في الحواشي وضبطها بالشكل من أولها إلى آخرها. كما أنها مزودة بالتعقيبة.

٣- النسـخة الأخرى من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسـات الإسـلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية برقم: 12802 وهي نسخة كاملة تقع في مجلد واحد يشتمل على مائتين وثلاث وخمسين ورقة كتبت بخط مغربي واضح مختلف بين أول النسـخة وآخرها نسخت سـنة أربع وثمانين ومائة وألف على يد إبراهيم ابن أحمد بن سعيد الوسكري. وفي طررها تنبيهات وتصحيحات وعلى الصفحات الأولى قيد التمليك وقيد الوقف وبعض الفوائد وميزة هذه النسخة أنها مزودة بالتعقيبة جميعها.

٤- نسـخة المعهد العالي للدراسـات والبحوث الإسلامية بموريتانيا تحت رقم: 1809 وهي نسخة تقع في مجلـد واحد ناقصة من أولها ابتداؤها من: "الباب الثاني في السـور المكيـة والمدنية" ويوجد خروم في مقدمتها وخاتمتها كتبت بخط مغربي جيد وفرغ منها ناسخها ... بن إبرهيم المسفوي عشية يوم الخميس قبيل رمضان سنة خمسة وستين ومائتين وألف وهي خالية من التعليقات غير التعقيبة التي في آخر كل ورقة منها.

٥- نسـخة دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم: 11115 وهي نسـخة كاملة تقع في جزأين وخطها مغربي جميل وفي نهاية الجزء الأول اسم الناسخ وتاريخ النسخ هكذا: (وكان الفراغ من نسخ هذا النصف زوال يوم الجمعـة ثالث جمادى الثانية عام سـت ومائتين وألف على يد كاتبه وأسـير ذنبه محمد بـن عبد ... بن أحمد بن عيسـى الوكيلي) ولا يوجد في آخر الجزء الثاني لا خاتمة المؤلف الواردة في غالب النسـخ ولا خاتمة الناسـخ. وقد تغير الخط من أوائل سـورة الأحقاف. وعلى الصفحة الأولى من هذه النسـخة قيد التحبيس على الجامع

الأعظم بتونس تاريخ تحبيسها ثلاثة وعشرون من رمضان سنة ستة وخمسين ومائتين وألف.

هذه هي أهم النسخ التي اعتمدنا عليها أو راجعنا بعضها فيما التبس علينا كما أن هناك نسخا أخرى وقفنا عليها واستأنسنا بها ولكن أهميتها لا تصل إلى منزلة النسخ التي أشرنا إليها.

وإننا إذ ننشر هذه التحفة ونزينها بأحسن الحلل فإننا نقدمها لك أيها القارئ والمحب لكتاب الله تعالى راجين منك أن تولي وجهك قبلة القرآن قراءة وترتيلا وتدبرا وتفكيرا وأن يكون هذا التفسير البديع وسيلتك لذلك لنكون جميعا من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: 170] . ونختم هذه التقدمة بقول ابن جزي:

يا رب إنَّ ذنوبي اليوم قد عظمت ... فما أطيق لها حصرا ولا عددا

وليس لي بعذاب النار من قبل ... ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا

فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ... ولا تذيقنني حرّ الجحيم غدا

رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه بمنه وكرمه فاللهم يا منزِّل القرآن! نسألك بحق القرآن وبحقّ من أنزل عليه القرآن أن تنوّر قلوبنا وقبورنا بنور الإيمان والقرآن.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المقدمة

المقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات

فهرس السور

فهرس السور

طبع هذا السفر النفيس
وقفا على روح المشمول برحمة الله
وعفوه الشيخ محمد بن سلطان القاسمي.
فاللهم اجعل ثواب نشر هذا التفسير في
ميزان حسناته، وكفر عنه سيئاته، وارفع به
درجاته، وتقبل منه طاعاته. واجعله ببركة
القرآن العظيم، ممن يرد حوض نبيك
الكريم، عليه أفضل صلاة و تسليم
آمين آمين آمين

